الشمس المنيرة

في شرح

ألفية السيرة للحافظ العراقي

تأليف

أ.د/ وليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي

دار الجامعة الإسلامية بمنيسوتا للنشر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

اسم الكتاب	الشمس المنيرة في شرح ألفية السيرة للحافظ العراقي
اسم المؤلف	وليد بن إدريس المنيسي
اللغة	العربية
رقم إذن الطباعة والتداول	ISBN: 9798-4906-86248

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا
كلية الدراسات الإسلامية
بلومنتون - منيسوتا

Islamic University Of Minnesota
8201 Park Ave. South
Bloomington, MN 55420

الشمس المنيرة

في شرح

ألفية السيرة للحافظ العراقي

تأليف

أ.د. وليد بن إدريس بن عبد العزيز المنيسي

دار الجامعة الإسلامية بمنيسوتا للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أما بعد فإن علم السيرة النبوية من أجل العلوم فهو العلم الذي يزداد به المسلم محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وشوقًا إليه ومعرفة بأحواله وما كان عليه المصطفى ﷺ من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، فلذلك كتب فيه أهل العلم كتبا عظيمة جليلة القدر نثرا ونظما ، وكان على رأس المنظومات في سيرة النبي ﷺ ألفية الإمام الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله ورضي عنه ، حيث تميزت منظومته باشتمالها على جميع أبواب السيرة وما يتبعها من الخصائص والشمائل، كما تميزت بعذوبة الألفاظ وجمالها وبهائها فاجتمع فيها جمال المبنى وجمال المعنى ، ولذلك فقد اعتنى بها أهل العلم ووضعوا عليها عددا من الشروح، إلا أني رأيت قصور همم كثير من الطلاب في عصرنا عن مطالعة الشروح السابقة وغموض عبارة بعض تلك الشروح وإيجازها ، فوضعت هذا الشرح بلغة عصرية سهلة ليسهل على طلاب العلم المبتدئين من أمثالنا مطالعته وفهم مراد الناظم رحمه الله بيسر وسهولة ، وسميته (الشمس المنيرة في شرح ألفية السيرة) سائلا الله تعالى أن ينفع به ويكتب له القبول ، والحمد لله رب العالمين.

الإسناد إلى الناظم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

قال وليد بن إدريس المنيسي: أروي ألفية السيرة للحافظ العراقي عن الشيخين محمد بن عبد الرزاق الخطيب الدمشقي وعبد الرحمن بن شيخ الحبشي اليمني كلاهما، عن أبي النصر محمد بن عبد القادر الخطيب، عن الوجيه الكزبري، عن مرتضى الزبيدي، عن أحمد بن شعبان الزعبلي، عن شمس الدين محمد بن العلاء البابلي، عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عن المؤلف الحافظ العراقي رحمهم الله أجمعين وألحقنا بهم في الصالحين.

نبذة عن الناظم رحمه الله[١]

هو الحافظ، أبو الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي.

وهو كردي الأصل، ووُلِد رحمه الله بالقاهرة، سنة خمس وعشرين وسبعمئة للهجرة النبوية ٧٢٥ هـ. حيث قَدِم أبوه رحمه الله من مدينة إربل، إلى القاهرة، وتوفي بها رحمه الله سنة ست وثمانمئة ٨٠٦ للهجرة النبوية.

شيوخه: تتلمذ على عدد من الشيوخ، منهم: الإسنوي رحمه الله وهو من الفقهاء الكبار، وتقي الدين الأخنائي، والعلاء التركماني، وابن جماعة، وغيرهم من العلماء.

وبدأ طلب العلم في صِغَره، وكانت له رحلات في طلب العلم، رحل من القاهرة إلى الإسكندرية، وإلى بيت المقدس، وإلى الشام، وإلى الحجاز: إلى مكة والمدينة، وتتلمذ على علماء هذه البلاد.

تلاميذه: تتلمذ عليه كثير ممَّنْ صاروا بعد ذلك من كبار العلماء، وأبرز تلاميذه:

١- الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله وهو من الأئمة الكبار، وكان قاضي قضاة مصر في زمانه، وذُكِر أنه لازم الحافظ العراقي نحو عشر سنين ملازمة تامة، كان يتعلم فيها من الحافظ العراقي، وكان ابن حجر لا ينادي الحافظ العراقي إلا بـ (يا سيدي)، إجلاله له.

٢- الحافظ نور الدين الهيثمي: من كبار حُفّاظ الحديث وأئمة السُّنة.

٣-ابنه: أبو زرعة، ولي الدين العراقي، وهو مؤلف كتاب «طرْح التثريب» في عدة مجلدات في شروح الحديث النبوي الشريف.

---

[١] للاستزادة ينظر «إنباء الغمر» جـ٢، صـ٢٧٥، «الضوء اللامع» للسخاوي، جـ٤، صـ١٧١.

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة: منها:

١-«شرح على سنن الترمذي».

٢-وفي الفقه: «تتمات المهمات في الفقه وأصوله».

٣-وله منظومة في غريب القرآن الكريم- معاني الكلمات الغريبة في القرآن الكريم-.

٤-وله كتاب «المغني عن حمْل الأسفار في الأسفار» وموضوعه تخريج أحاديث كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله.

٥-وله ألفية في الحديث النبوي- غير ألفية السيرة التي معنا- في علوم الحديث النبوي الشريف اسمها: «ألفية الحديث».

مناصبه وأعماله: تولى القضاء في المدينة النبوية، وتولى الخطابة في المسجد النبوي الشريف، وإمامة المسجد الشريف نحو ثلاث سنين وخمسة أشهر، وذلك عندما رحل إلى المدينة رحمه الله.

وتولى التدريس في دار الحديث الكاملية، والظاهرية، وجامع ابن طولون، والمدرسة الفاضلية، وكانت هذه المدارس العلمية بمنزلة الجامعات الكبيرة في زماننا هذا، وكانت يُرحَل إليها لطلب العلم.

وكان رحمه الله كثير الحياء، مجتهدًا في العبادة، يقول الحافظ ابن حجر: لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل، وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر رحمه الله .

وعُرِف رحمه الله بصلاحه واستجابة دعائه؛ كان الناس في القاهرة إذا أصابهم قحط في زمانه، وتوقف نهر النيل بسبب الجدب وقلة المطر؛ صلى بهم الحافظ العراقي رحمه الله صلاة الاستسقاء، وخطب خطبة بليغة، ودعا الناس إلى التوبة والاستغفار، فانهمر المطر، وجاء النيل عاليًا.

موضوع الكتاب

موضوعه في علم السيرة النبوية.

أولًا: ما المقصود بالسيرة النبوية؟

السيرة في اللغة معناها: طريقة السير، وتأتي أيضًا بمعنى مسير الأيام والليالي، يقال: سيرة فلان: أي كيف سارت أيامه ولياليه؟

وبمعنى الحالة التي يكون عليها الشيء، ومن هذا الباب قول الله ﷻ: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[طه: ٢١] أي: سنعيد العصا إلى حالتها الأولى.

أما في الاصطلاح: فعلم السيرة النبوية عُرِّف بتعريفات منها:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من مولده إلى وفاته.

٢- وقيل: العلم الذي تُدرَس فيه أنباء النبي ﷺ من مولده ونشأته، وبعثته، وهدْيه في الدعوة إلى الله ومغازيه عليه السلام.

موضوع علم السيرة النبوية هو: شخص رسول الله عليه السلام وما يتعلق بذاته الشريفة، وأخباره، وأحواله عليه السلام.

ثمرة دراسة السيرة النبوية: دراسة السيرة النبوية لها فوائد وثمرات عديدة، منها:

١- أنها تعين على فهْم كتاب الله ﷻ وذلك أن حياة النبي ﷺ هي التطبيق العملي لما في القرآن الكريم من التكاليف الشرعية، فكان النبي ﷺ هو المثال العملي والتطبيق العملي للقرآن.

٢- أنها توصل المسلم إلى الإيمان برسول الله ﷺ فمن خلال دراسة سيرته يعلم أن هذا النبي ﷺ لم يكن مجرد إنسان عادي له ذكاء أو فهْم، فتميز به عن الآخرين، وإنما كان رسولًا مؤيدًا من عند الله ﷻ بالمعجزات وبخوارق العادات، وأن مَنْ اتصف بهذه الصفات لا يمكن إلا أن يكون رسولًا من عند الله ﷻ.

٣- أنها تدعو المسلم إلى الاقتداء برسول الله ﷺ، واتخاذه أسوة حسنة ﷺ امتثالًا لأمر الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٤- الاقتداء بهدْي النبي ﷺ في التربية، وفي التعليم، وفي العبادة، وفي كل باب من أبواب الدين.

٥- أنها السيرة الوحيدة الباقية لنبي من الأنبياء عليهم السلام فلا يوجد نبي من الأنبياء عليهم السلام نُقِلت إلينا تفاصيل أحواله من يوم مولده إلى يوم وفاته، وجميع أعماله خلال اليوم والليلة، والحضر والسفر، وأحواله في بيته، وأحواله مع الناس، وأحوال في كل جانب من جوانب الحياة، وهذا الأمر مما تميز به رسولنا ﷺ ولا يُعرف لغيره، فمَنْ أراد أن يقتدي بالأنبياء بصفة عامة فلن يجد أمامه سيرة كاملة لنبي منهم سوى سيرة نبينا ﷺ.

علاقة السيرة النبوية بغيرها من العلوم الإسلامية:

أولًا: **علاقة السيرة النبوية بعلم التاريخ**: هي قسم من التاريخ، ولكنها قسم عظيم، ولا بد من معرفته، وله أثره فيما بعده.

فعلاقة السيرة بالتاريخ علاقة الجزء بالكل؛ لأنها قسم من التاريخ، لكنه أُفْرِد لأهميته وللعناية به، وأثره في سلوك المسلم، فمعظم أحداث التاريخ لا ينبني عليها عمل، وإنما تُذْكَر للاعتبار، ومعرفة الحوادث، وربما للتسلية والتفكه، وغير ذلك، لكن سيرة النبي ﷺ

إنما تراد للتعلم وللتأسي، والاقتداء به ﷺ وللتعرف عليه وزيادة الإيمان به ﷺ؛ فلذلك أُفرِدَت عن عموم التاريخ

ثانيًا: علاقة السيرة بالسُّنة النبوية: السيرة لها علاقة بالسُّنة النبوية، فبينهما ما يُسمى بعموم وخصوص من وجه؛ فكل منهما أعم من الآخر من جهة، وأخص من جهة أخرى، فهناك جزء مشترك بين السيرة والسُّنة، **فالسُّنة**: هي ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فِعْل أو تقرير. وما أُضيف إلى النبي ﷺ: منه ما يتعلق بغزوات رسول الله ﷺ، ومنه ما يتعلق بهديه في الدعوة ﷺ ومراحل دعوته إلى غير ذلك.

فهناك قسم مما أُضيف إلى النبي ﷺ مشترك بين السُّنة والسيرة، لكن نجد جزءًا من أحداث السيرة ينطبق عليه أنه سيرة، ولا ينطبق عليه أنه سُنة، مثل: ما يتعلق بقصص الصحابة أثناء مواقفهم مع النبي ﷺ مما ليس فيه رواية عن النبي ﷺ.

وهناك قسم من السيرة يتعلق بما قبل بعثة النبي ﷺ مما رُوي عن غير رسول الله ﷺ من الأخبار والروايات التي تُروى في حال الناس قبل بعثته ﷺ، فهذا مما لا يدخل في السيرة ولا في السُّنة.

وهناك قسم في السُّنة ليس داخلًا في السيرة، مثل: أحاديث النبي ﷺ المتعلقة بأحكام الطهارة والصلاة، وأحكام البيوع...، فهي من سُنة النبي ﷺ لكنها ليس لها تعلُّق بالسيرة.

كذلك هناك أيضًا ما يتعلق بِسِيَر الصحابة ﵃، فجزء منه له علاقة بسيرة النبي ﷺ، وهو ما يتعلق بقصصهم وأخبارهم أثناء مرافقتهم رسول الله ﷺ في حوادث السيرة المختلفة، وهناك أجزاء أخرى من سِيَر الصحابة تتعلق بأحوالهم قبل لقاء رسول الله ﷺ، وأحوالهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، فهذه متعلقة بسير الصحابة وتراجمهم.

وعلم السيرة النبوية تفرّعت منه علوم إسلامية، وصارت لها مؤلفات مستقلة، فمن ذلك: علم المغازي والملاحم.

المغازي: هي غزوات النبي ﷺ، أي: المعارك الحربية التي شهدها الرسول ﷺ.

أما الملاحم: فهي المعارك الحربية بصفة عامة بين المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى، فأي معركة بين المسلمين وأُمة أخرى تُسمى ملحمة، وعندما يقال: الفتن والملاحم، يُقصَد بالفتن: المعارك التي وقعت بين المسلمين، والملاحم: المعارك التي وقعت بين المسلمين وأمم أخرى من غير المسلمين.

فتجد كتبًا في الملاحم تتكلم عن المعارك الحربية بصفة عامة، من ضمنها المغازي، وهناك كتب أُفرِدَت للمغازي تتكلم عن غزوات النبي ﷺ، وغزوات النبي ﷺ وتفاصيل أحداثها هي جزء من سيرة النبي ﷺ.

وهناك أيضًا كتب الشمائل النبوية، وهي: الكتب التي تتكلم عن الصفات الخِلقية والخُلقية لرسول الله ﷺ وما يتعلق بعادات النبي ﷺ في الأمور الجِبلية مثل: عادات النبي ﷺ في الأكل والشرب والمشي والجلوس، كل هذا يُسمى الشمائل النبوية، فهو جزء من السيرة، لكنه أُفرِد بعلم مستقل وصارت هناك كتب مخصصة للشمائل النبوية.

وهناك علم الخصائص النبوية: وهي الأمور التي اختص الله ﷻ بها الرسول ﷺ، وميّزه بها عن غيره من الأنبياء، ويدخل فيها ما ميّز الله أُمته به عن غيرها من الأمم، مثل قول النبي ﷺ: « **أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى**

قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً»[١] . وهناك عدة مؤلفات أُفرِدَت في الخصائص النبوية.

وهناك علم دلائل النبوة، والمقصود به: تبشير الأنبياء السابقين بنبينا ﷺ وتبشير الكتب السابقة على القرآن برسول الله ﷺ، ومما يُذكر فيها أيضًا: بعض الحكايات التي تُحكَى عن الكُهَّان والمنجمين، فبعضهم أخبروا عن بعثة النبي ﷺ، وهذه الأشياء لا يُعتمَد عليها ، لكن يذكرونها على أنها مما يُروَى من الأشياء التي حصلت قبل بعثة النبي ﷺ ودفعت بعض الناس إلى السؤال عن النبي ﷺ، وهناك كتبٌ في دلائل النبوة، مثل: دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم، ودلائل النبوة للبيهقي، وغيرهما من الأئمة ألّفوا كتبًا خاصةً في موضوع دلائل النبوة.

وهناك المعجزات النبوية أيضًا، وهي علم من العلوم المنبثقة عن السيرة، والمعجزات جزء من دلائل النبوة، مما يُستدَل به على نبوة النبي ﷺ، والمعجزات: هي خوارق العادات التي أجراها الله ﷻ على يد النبي ﷺ فأفرد بعض العلماء كُتبًا للكلام عن معجزات الرسول ﷺ.

ومعجزات النبي ﷺ قالوا: أكثر من مائة نوع، كل نوع تحته وقائع متعددة، مثل: تسبيح الحصى بين يدي النبي ﷺ، وتسليم الشجر والحجر عليه، ونبْع الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ في عدة وقائع كان يعطش الصحابة ولا يجدون ماءً فينفجر الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتى يشرب الجيش كله، عدة آلاف يشربون من هذا الماء، ويملؤون أوعيتهم، وبركة الطعام، أي: تكثير الطعام ببركة وضْع النبي ﷺ يده فيه، في أكثر من واقعة يضع النبي ﷺ يده في الطعام، ويدعو فيُبارَك في هذا الطعام القليل، حتى

[١] صحيح البخاري ٣٣٥ وصحيح مسلم ٥٢١.

يأكل منه مئات من الناس، ويبقى الطعام بعد الأكل أكثر منه مما كان عليه قبل أن يؤكَل، ومعجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ.. وسيأتينا كثير من هذه المعجزات إن شاء الله لاحقا.

وهناك علم حقوق النبي ﷺ وهو من العلوم التي انبثقت عن السيرة النبوية: وحقوق النبي ﷺ مثل: حق طاعته، واتباعه، وتصديق خبره، والصلاة والسلام عليه كلما ذُكِر ﷺ ومحبته ﷺ، وتقديم محبته على محبة الوالد، والولد، والناس أجمعين، وغير ذلك من حقوق النبي ﷺ على أُمته.

وفي العصر الحاضر، ظهر نوع جديد من الكتابة في السيرة النبوية تُفرَد لتناول جوانب معينة من حياة النبي ﷺ مثل: دراسة حياة النبي ﷺ باعتباره قائدًا عسكريًا، كما فعل اللواء محمود شيت خطاب من علماء العراق، في كتابه «الرسول القائد» والمؤلف كان لواءً في الجيش، واستغل مهارته العسكرية في الكتابة في هذا الموضوع، وله عدة مؤلفات متخصصة في مهارة النبي ﷺ كقائد عسكري حربي، وكيفية تخطيط وإدارة النبي ﷺ للمعارك.

وهناك ما يتعلق بالنواحي الإدارية في حياة رسول الله ﷺ باعتباره قائدًا إداريًا ضرب ﷺ المثل الأعظم في حُسْن الإدارة ، وكذلك هديه ﷺ في مجال التربية والتعليم، واستعمال النبي ﷺ للوسائل التربوية التي يزعمون أنها وسائل حديثة، وكلها قد استعملها النبي ﷺ على أكمل وجه في طُرق تربيته وتعليمه ﷺ.

كذلك: الجوانب الأُسرية في حياة النبي ﷺ باعتباره زوجًا، وباعتباره أبًا ﷺ وتناوُل هذه الجوانب ودراستها في حياة رسول الله ﷺ، فالآن توسعت الدراسات في جوانب من سيرة المصطفى ﷺ.

فكل هذه العلوم متفرعة عن علم السيرة النبوية.

ترتيب كتب السيرة:

موضوعات السيرة النبوية مرتبة تاريخيًا حسب تسلسل الأحداث التاريخية من مولده ﷺ إلى يوم وفاته ﷺ والمراحل التي مرّ بها، بخلاف كتب السنة، والكتب التي لها علاقة بالسيرة، فهذه تكون مُرتبة ترتيبا موضوعيًا حسب الموضوعات.

من فضائل علم السيرة النبوية:

١ – أنه داخل في فضل العلم الشرعي بصفة عامة؛ فهو علم من العلوم الإسلامية.

٢ –أنه يدخل في تدبُّر القرآن الكريم، وقد قال الله ﷻ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[محمد:٢٤]، وتدبُّر القرآن الكريم يتضمن تدبُّر آيات الغزوات، وآيات أحداث السيرة، فسورة آل عمران بها نحو أكثر من ثمانين آية تتعلق بغزوة أُحد، والدروس والعِبَر المستفادة من الغزوة، وسورة الأنفال معظمها يتعلق بأحداث غزوة بدر، وما يستفاد من أحداث الغزوة، وسورة التوبة تتعلق بغزوة تبوك، وما صاحبها من مواقف المنافقين في هذه الغزوة، وتخلفهم وقعودهم، وكيدهم لرسول الله ﷺ، وغزوة الأحزاب –وهي غزوة الخندق– تناولتها سورة الأحزاب، وغير ذلك من مغازي رسول الله ﷺ، فدراسة السيرة النبوية تدبُّر لكتاب الله ﷻ ومرور على هذه الآيات الكريمة وفهْم المراد منها.

٣–أنها تدخل في فهْم سُنة النبي ﷺ وتبليغها؛ لأن هناك قسمًا مشتركًا بين السُّنة والسيرة، فدراسة السيرة تُعتبَر دراسة لقسم من سُنة رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَانَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»[١].

[١] رواه أحمد في مسنده ٢١٥٩٠ وأبو داود ٣٦٦٠ والترمذي ٢٦٥٦ وابن ماجه ٢٣٠.

أَوّل مَنْ كتب في سيرة النبي ﷺ:

يذكر العلماء أن أوّل ما من كتب في سيرة النبي ﷺ هو الصحابي الجليل سهل بن أبي حثمة الأنصاري رضي الله عنه، فقد كتب جزءًا من سيرة رسول الله ﷺ، رواه عنه حفيده، وتلميذ حفيده هو الواقدي، وهو واحد من كبار علماء السيرة.

وكذلك سعيد بن عبادة الخزرجي، وسعيد بن المسيب، والشعبي، وعُروة بن الزبير، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن شهاب الزهري، كل هؤلاء من علماء التابعين كتبوا في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، لكن كانت كتاباتهم غير كاملة؛ لأنها لم تكن مشتملة على سيرة النبي ﷺ من بدايتها إلى نهايتها، وإنما كانت أجزاءً متفرقة.

ثم بعد ذلك: الكتب الكاملة، ومن أوائلها كتاب المغازي للواقدي، وسيرة محمد بن إسحاق رحمه الله وكان من علماء المدينة النبوية، وهو من أتباع التابعين، من معاصري الإمام مالك رحمه الله، و كل مَنْ كتب في السيرة بعده فهُم عيالٌ عليه، أي: عالة على كتب محمد بن إسحاق رحمه الله، فكتابه في السيرة أكبر كتب السيرة، وكل مَنْ كتب في السيرة بعده كان تلخيصًا لكتابه.

وهناك الطبقات لابن سعد وتاريخ الطبري، وغيرها، فهذه بدايات كتب السيرة، لكن أجمعها وأشملها هو كتاب ابن إسحاق، وبعد ذلك تتابعت كتب السيرة، وأكثرها إما تلخيص لكتاب محمد بن إسحاق أو تلخيص لكتاب من التي اعتمدت عليه.

اسم هذا العلم:

علم السيرة النبوية، ويقال له أيضا: المغازي، فبعض العلماء يكتب في السيرة تحت اسم المغازي، مثل: كتاب «المغازي» للواقدي، ، وهذا من باب تسمية الكل بالجزء؛ لأن المغازي النبوية هي القسم الأعظم في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام؛ فلذلك يُطلَق على السيرة

كلها (علم المغازي)، وبعضهم يجمع الأمرين، فيقول: السِّيَر والمغازي، وبعضها يسمى السيرة النبوية، وبعضها تسمي المغازي فقط.

استمداد هذا العلم:

مستمد من كتاب الله ﷻ فأحداث السيرة كثير منها ذُكِر في القرآن الكريم، و من سُنة النبي ﷺ، ومن مرويات السلف وعلماء السِّيَر.

حُكم الشارع في تعلُّم السيرة النبوية:

فرض كفاية، أي: يجب على المسلمين أن يكون فيهم طائفة يعلمون سيرة نبيّهم ﷺ، ولو خلا المسلمون ممَّنْ يعلم سيرة النبي ﷺ لأثموا جميعًا بهذا، فهو من فروض الكفايات التي لا بد أن تقوم بها طائفة، إذا قامت بها طائفة سقط الإثم عن الباقين.

مسائل هذا العلم:

بعض العلماء يُقسِّم مسائل السيرة إلى ثلاثة أقسام رئيسة: المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

١ – **المبتدأ**: هو ما قبل بعثة النبي ﷺ، مما يشمل الحديث عن نشأة العالم، وحاله من أيام آدم عليه السلام والأنبياء السابقين، ثم حالة العالم قبل بعثة النبي ﷺ.

٢–**المبعث**: هو ما يتعلق بنشأة النبي ﷺ وبعثته، وما يتبع ذلك من المرحلة المكية+.

٣–**المغازي**: هو ما يتعلق بالمرحلة المدنية –أحداث ما بعد الهجرة– من حياة رسول الله ﷺ.

مقدمة المؤلف

١- يَقُوْلُ رَاجِي مَــنْ الَيْهِ الْمَهْرَبُ «عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ الْحُسَيْنِ» الْمُذْنِبُ:

وصف المؤلف نفسه بأنه يرجو مَنْ إليه المهرب، والذي إليه المهرب هو الله ﷻ كما قال الله ﷻ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الذاريات: ٥٠]، وقال ﷺ: «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**»[١] فالله ﷻ هو الذي إليه المهرب، أي: إليه المنجى، وإليه المفر ﷻ، فالإنسان يهرب من غضب الله إلى رحمته، ومن عذاب الله ﷻ إلى جنته ونعيمه، ومن عبادة غير الله إلى عبادة الله ﷻ.

(«عَبْدُ الرَّحِيم بْنُ الْحُسَيْنِ» الْمُذْنِب) هذا من تواضعه وانكساره بين يدي الله تعالى؛ يصف نفسه بأنه مُذنب خطّاء يرجو رحمة الله تعالى.

٢- أَحْمَــدُ رَبِّي بِأَتَــمِّ الْحَمْــدِ وَلِلصَّــلاَةِ وَالسَّــلاَمِ أُهْــدِيْ:

٣- إلى نَبِيِّــهِ، وَأَرْجُــو اللهَ فِي نُجْــحِ مَــا سُــئِلْتُهُ شِــفَاهَا

٤- مِنْ (نَظْمِ) سِيرَةِ النَّبِيِّ الأَمْجَدِ «أَلْفِيَّــةً» حَاوِيَــةً لِلْمَقْصَــدِ

(أُهْدِيْ إلى نَبِيِّهِ) أي: يُهدي الصلاة والسلام إلى النبي ﷺ، وإنه يرجو الله ﷻ (فِي نُجْحِ) أي: أن ينجح الأمر الذي (سُئِلْتُهُ)، فالمؤلف سُئل (شِفَاهَا) أي مشافهة، بعض الناس طلبوا منه مشافهةً (نَظْم سِيرَةِ النَّبِيِّ الأَمْجَدِ) والنظم هو: الشِّعر، فالكلام: منظومٌ،

[١] هو جزء من حديث البراء بن عازب الذي رواه البخاري٢٤٧ ومسلم٢٧١٠

ومنثور، فالمنظوم هو الشعر، والمنثور: ما سواه، والمؤلف سئل أن ينظم سيرة النبي ﷺ شعرًا؛ لأن الشعر حفظه أسهل من النثر؛ لذلك سلك العلماء هذا المسلك في ضبط العلم، وتسهيله للمبتدئين، فعملوا المنظومات العلمية في كثير من العلوم؛ لأنها تضبط العلم، وتكون أسهل في الحفظ والاستحضار.

بعض النُّسخ فيها (سألته) أي: أنه سأل الله ﷻ لكن الصواب: أن المقصود هنا: أنه سُئل مشافهةً أن ينظم السيرة، ويسأل الله ﷻ أن يوفقه لأداء هذا الأمر الذي طُلِب منه.

(أَلْفِيَّةً): أي منظومة من ألف بيت، (حَاوِيَةً لِلْمَقْصِدِ) شاملة لمقاصد السيرة النبوية، وغاياتها، وأهم أحداثها.

٥- وَلْيَعْلَـمِ الطَّالِبُ أَنَّ السِّـيَرَا: تَجْمَـعُ مَا صَـحَّ، وَمَا قَـدْ أُنْكِرَا

هنا يُنبه المؤلف على أن كتب السيرة النبوية تجمع ما صح على قوانين علماء الحديث وضوابطهم في تصحيح الأحاديث وقبولها، فمنها ما صح، وما قد أُنكِر، أي ليست له أسانيد تصح، وربما تُروَى الحادثة الواحدة أحيانًا بعدة روايات بينها تعارض، بحيث لا يمكن قبول هذه الروايات جميعًا في آنٍ واحد، فالحادثة وقعت مرة واحدة، فإما أن تكون وقعت هكذا، أو هكذا، وأحيانًا يتعذر الجمع والتوفيق بحيث يُعلَم أن إحدى هذه الروايات فيها خطأ أو فيها خلل.

٦- وَالْقَصْدُ: ذِكْرُ مَا أَتَى أَهْلُ السِّيَرْ بِـهِ، وَإِنْ اسْـنَادُهُ لَـمْ يُعْتَـبَرْ

٧- فَإِنْ يَكُنْ قَدْ صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرْ: ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاسْـتُطِرْ

قصد في هذه الألفية أن يأتي بما ذكره أهل السِّيَر، حتى لو كان إسناده ليس بالإسناد القوي، لكنه يُنبه إذا كان (صَحَّ غَيْرُ مَا ذُكِرْ) أي إذا كان الموضوع الواحد قد وردت فيه عدة روايات، بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، (ذَكَرْتُ مَا قَدْ صَحَّ مِنْهُ وَاسْتُطِرْ) فإنه يُنبّه على الصحيح منها.

وهنا ننبّه على أن علماء الإسلام منذ القرون الأولى نبّهوا على أن السيرة النبوية لا يُشترَط لها ما يُشترَط للأحاديث المتعلقة بالعقائد والأحكام من الشروط، أي: يُتساهَل في روايات السيرة النبوية ما لا يُتساهَل في أحاديث العقائد والأحكام، من جهة قبول الروايات التي فيها انقطاع في الإسناد، فأحيانًا يكون الإسناد غير متصل، لكن الخبر شاع وانتشر، والناس يروونه، فعلماء السيرة الأوائل الذين جمعوا الأخبار كانوا يجمعونها مما شاع واشتهر بين الناس، وإن لم يكن له إسناد متصل.

مثلًا: أحداث الغزوات وتفاصيل ما وقع فيها، هي أخبار مما يرويه الناس، وأصبح مشهورًا بينهم، فكان علماء السيرة الأوائل يكتفون بهذا.

والإمام أحمد رحمه الله كان يقول: (ثلاثة علوم ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي). والمقصود بقوله: (ليس لها إسناد) أي: الغالب على رواياتها أنها تكون موقوفة على الصحابة، وليس لها إسناد متصل إلى النبي ﷺ، ثم ما كان متصلًا منها إلى النبي ﷺ قد لا يوجد له إسناد صحيح على شروط الْمُحدِّثين، ولذا قال الإمام الزركشي معلِّقًا على قول الإمام أحمد رحمه الله: «**قال المحققون من أصحابه: ومراده: أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقد صح من ذلك كثير**»[١].

و بالرغم من هذا فإنهم كانوا يقبلون هذه المرويات – في نطاق السيرة النبوية–، لكن

[١] البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٦.

إذا جاؤوا إلى مجال الاعتقاد، والحلال والحرام، تكون هناك درجة أعلى من التدقيق، لكن مجرد أحداث السيرة، وأن فلانًا من الصحابة قد شهد هذه الغزوة أو لم يشهد هذه الغزوة، أو أن الذي قتل فلانًا من الزعماء الكافرين هو فلان، أو مثل هذه الأمور، فما كانوا يدققون فيها؛ لأنها روايات لا يترتب عليها تحليل وتحريم، ولم يترتب عليها مسألة من مسائل الاعتقاد، فجرى العمل في السيرة بتخفيف شروط قبول الخبر.

ولذا فمن الخطأ أن نحاول إخضاع علم السيرة لقواعد المحدثين؛ لأن هذا خلاف صنيع العلماء المتقدمين، ولأننا إذا فعلنا هذا سوف نطرح أكثر روايات السيرة النبوية، وسوف يحدث فجوة في أحداث هذا العلم، ويقطع تسلسلها، وقد حاول بعض المعاصرين أن يدققوا في مرويات السيرة النبوية، ويطبقوا قواعد علم الحديث على السيرة النبوية، فألفوا كتبًا، تحمل عنوان «صحيح السيرة النبوية»، واستبعدوا كل ما خالف قواعد الْمُحدِّثين، فأدى هذا إلى استبعاد قسم كبير من مرويات السيرة، مما جعل أحداث السيرة غير متسلسلة، وأصبحت السيرة النبوية كأنها عبارة عن مواقف متفرقة لا رابط لها ولا تسلسل، وربما كان بين الموقف والموقف سنوات أو شهور، مما يعيق فهْمها ويؤدي إلى تمزقها وضياع الفائدة منها، وهذا منهج غير المنهج الصحيح الذي كان عليه علماء السلف، فقد كانوا يروون سيرة النبي ﷺ مقتصرين على هذه الأخبار طالما أن المسألة لم يترتب تحليل وتحريم ومسألة من مسائل الاعتقاد.

ومعظم علماء السيرة كانوا يأخذون عن أولاد الصحابة، فالواقدي ومحمد بن إسحاق كانوا معاصرين لأولاد الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يسمعون من أولاد الصحابة ما يحكون عن آبائهم، لكن لا يعتنون بكون الإسناد متصلًا ومدى ثقة الرواة، اعتمادًا على الشهرة وانتشار الخبر.

أسماؤه الشريفة ﷺ

هذا الباب ذكر فيه أسماء رسول الله ﷺ وكان من عادة العرب أنهم إذا فخّموا شيئًا واعتنوا به، وأهمهم أمره كثّروا أسماءه، أي: جعلوا له أسماء كثيرة تدل على عنايتهم به، واهتمامهم بأمره، وكل اسم منها يدل على صفة من صفات المسمى، والنبي ﷺ له أسماء كثيرة، سيأتي بيانها في النظم.

١- مُحَمَّــدٌ مَــعَ الْمُقَــفِّي أَحْمَــدَا   الْحَاشِرُ الْعَاقِــبُ وَالْمَاحِي الرَّدَى

قال ﷺ: « **لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ، وَأَنَا المَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ**»[١] .

وقول النبي ﷺ: « **لي خمسة أسماء**» لا يفيد الحصر؛ لورود غيرها في أحاديث أخرى، ولكن إما أنها خمسة أسماء وردت في الكتب السابقة، أو خمسة أسماء لم يتسمَّ بها أحدٌ قبله.

ونحوه، قول النبي ﷺ: «**إن لله ﷻ تسعة وتسعين اسمًا مَنْ أحصاها دخل الجنة**»[٢] فهذا لا يفيد انحصار أسماء الله في تسعة وتسعين، فأسماء الله -تعالى- لا يحصيها العد، وإنما المقصود من بين أسماء الله ﷻ تسعة وتسعون اسمًا لها هذه المزية.

---

[١] متفق عليه: البخاري ٣٥٣٢ ومسلم ٢٣٥٤.

[٢] متفق عليه: البخاري٢٧٣٦ ومسلم٢٦٧٧.

أول اسم من أسمائه ﷺ هو (**مُحَمَّدٌ**) ﷺ، وهذا الاسم جاء في كتاب الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ**﴾[الفتح: ٢٩]، وقال الله ﷻ: ﴿**وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ**﴾[محمد: ٢] وهو أشهر أسمائه ﷺ وأشرفها.

(**مُحَمَّدٌ**) أي: الذي يُحمَد لكثرة خصاله الحميدة ﷺ، فالله ﷻ وملائكته حمدوه، والحمد بمعنى الثناء والذِّكْر الحسن، فالله ﷻ حمد رسوله ﷺ، أي: مدحه وذكره ذِكْرًا حسنًا، وأثنى عليه رب العالمين، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : أَتَانِي جِبْرِيلُ ، فَقَالَ : إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ : كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ ؟ قَالَ : اللهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي[١] .

فرفع الله ﷻ ذِكْر النبي ﷺ، فلا يُذْكَر الله ﷻ في الأذان، ولا في الخطبة، ولا في الصلاة، ولا غير ذلك إلا ذُكِر رسول الله ﷺ تشريفًا له.

قال القاضي عياض: حمى الله كل من تسمى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره[٢].

فلم يتسمَّ به أحد قبل رسول الله ﷺ إلا قُرب ميلاد النبي ﷺ لما أخبر الأحبار والكهَّان أن نبيًّا يُبعَث اسمه محمد، فتسمى به بعض العرب.

قال القاضي عياض عن اسم محمد : لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده، أن نبيا يبعث اسمه محمد، فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك، رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهم محمد بن

---

[١] أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨ / ١٧٥) برقم: (٣٣٨٢) وأبو يعلى في مسنده (٢ / ٥٢٢) برقم: (١٣٨٠).

[٢] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١ / ٢٣١.

أحيحة بن الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد ابن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي، لا سابع لهم[١].

ومن أسمائه ﷺ **(أحمد)**، على وزن (أفعل) وهو اسم التفضيل، بمعنى: أنه أكثر الناس حمدًا لربه ﷻ.

فهو محمد، وأحمد، وحامدٌ، ومحمود ﷺ من الله ﷻ وملائكته والمؤمنين، والأنبياء كلهم حمّادون لربهم، وهو أحمدهم ﷺ، وفي حديث الشفاعة الطويل يقول النبي ﷺ: **«فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فإذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ»**[٢] فالله ﷻ سيُلهِم نبيّه ﷺ محامد وتسابيح يحمده بها، يقول: «لا أعلمها الآن» ولكن سيعلمه الله ﷻ هذه المحامد في الآخرة.

وخُصَّ ﷺ بسورة الحمد، وهي سورة الفاتحة.

---

[١] السابق.

[٢] هو جزء من حديث الشفاعة الطويل، وهو متفق عليه: البخاري ٧٤١٠ ومسلم١٩٣.

واختصه الله ﷻ بلواء الحمد، وهو لواء يحمله النبي ﷺ ينضوي تحته كل النبيين.

واختصه الله ﷻ بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى، يشفع في فصْل القضاء، يطلب من الله ﷻ أن يقضي بين عباده، وسُميت أُمته بالحمّادين.

قال القاضي: سماه الله تعالى في كتابه محمدا وأحمد، فمن خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره... ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو إن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك[١].

ومن أسمائه عليه السلام: (الْمُقَفِّي) أي تابع الأنبياء وخاتمهم، وقافية كل شيء آخره، فهو المقفي للأنبياء أي الخاتم لهم، وهو السائر أيضًا على طريقتهم ونهجهم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الحديد: ٢٧] فالنبي الذي يُقفِّي أي يأتي مُتبعًا وسائرًا على نهْج نبيّ قبله، والله ﷻ قفّى على آثار كل نبي بنبي، حتى كان نبينا عليه السلام هو المقفي لجميع الأنبياء الخاتم لهم، والسائر على طريقتهم ونهجهم عليهم السلام.

ومن أسمائه ﷺ : (الْحَاشِرُ) قال: «**وأنا الحاشر: الذي يُحشَر الناس على قدمي**» أي: على إثري، أي: يأتي الحشر في زمن نبوته ورسالته، فليس بينه وبين الحشر نبي.

والتفسير الثاني للحاشر: أنه أوّل مَنْ تنشق عنه الأرض يوم القيامة ﷺ، ثم يُخرَج الناس من القبور، ويُحشرون ليوم القيامة؛ لأنه قال عليه السلام - وهذه من خصائصه-: **لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ،**

---

[١] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ١ / ٢٣١.

فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ ، أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى[١] .

ومن أسمائه ﷺ : (**العاقب**)، وفسّر ﷺ العاقب في الحديث نفسه فقال: «**وأنا العاقب: الذي ليس بعدي نبي**».

و من معاني العاقب أيضًا: الذي خلف مَنْ قبله في الخير، يقال: فلان عاقِب أي: قد خلف مَنْ قبله في الخير، فهو ﷺ عاقب لِمَنْ سبقه من الأنبياء.

ومن أسمائه ﷺ : (**الماحي**) وفسّر ﷺ الماحي في الحديث نفسه فقال: «**وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر**» والناظم رحمه الله يقول: (**وَالْمَاحِي الرَّدَى**)، الردى: معناه الهلاك، والمقصود به: الكفر هنا.

فالمقصود أن الكفر سيُمحى ببعثته عليه الصلاة والسلام أولًا فأول إلى أن يضمحل بعد نزول -عيسى عليه السلام- فقالوا: يمحو الله به الكفر، وهذا محمول على الأغلب، وليس المقصود أن الكفر ينمحي من جميع البلاد، فلا يوجد كفر ولا يوجد كافر، ولكن المقصود: أن النبي ﷺ جاء لمحو الكفر، فينمحي الكفر، ويضمحل بدعوة النبي ﷺ وبدينه وبشريعته عليه الصلاة والسلام أي شيئًا فشيئًا.

وبعض السلف فسّر الماحي، فقال: يمحو الله جل وعلا به سيئات مَنْ تبعه، وهذا التفسير رُوي مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ولكن الحافظ ابن حجر يقول: الأشبه أنه من قول أحد الرواة، لكن التفسير الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يمحو الله بي الكفر**».

ومسألة ظهور الإسلام على الكفر قالوا: أحيانًا يكون بالسيف والسنان، وأحيانًا بالحُجة والبيان، فالظهور بالحجة والبيان هذا دائم في كل وقت، محا الله الكفر أي:

---

[١] أخرجه البخاري (٣/ ١٢١) برقم: (٢٤١٢) ومسلم (٧/ ١٠٢) برقم: (٢٣٧٣)

بالحجة والبيان، فحُجة الإسلام تمحو حجة الكفر، وتدحضها ، أما انتصار الإسلام على الكفر بالقوة، والسلاح، والسلطان، فهذا ليس في كل وقت وفي كل زمن، فقد قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠]، وسُنة الله ﷻ في الرسل وأتباع الرسل مع أعدائهم أن الحرب بينهم سجال، يُدالُون مرة، ويُدَال عليهم أخرى، لكن دائمًا الإسلام يدحض الكفر ويمحه بالحجة والبيان، والبرهان.

٢- وَهُوَ الْمُسَمَّى: بِنَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي «مُسْلِمٍ» وَبِنَبِيِّ التَّوْبَةِ

الاسم السابع: (نبي الرحمة) عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سِكَّةٍ مِنْ سِكَكِ الْمَدِينَةِ: **أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَالْحَاشِرُ ، وَالْمُقَفِّي ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**[١] .

وكان ﷺ رحيمًا بأُمته، كما وصفه ربه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨] وبعثه الله رحمةً للعالمين، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧] يرجو لهم الهداية، ولما جاءه ملك الجبال يُخيّره أن يُطبق عليهم الأخشبين فقال: « **أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٢]، فكان من رحمته ﷺ أنه يريد لهم الهداية ويسعى في هدايتهم، وادخر دعوته شفاعة لأمته ﷺ يوم القيامة.

وشريعته ﷺ كلها رحمة، رحمة بالأطفال والمساكين، والضعفاء والأرامل،

[١] أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤ / ٢٢١) برقم: (٦٣١٥) وأحمد في «مسنده» (١٠ / ٥٥٧٢) برقم: (٢٣٩٢٥) ، (١٠ / ٥٥٧٢) برقم: (٢٣٩٢٧) والترمذي في «الشمائل» (١ / ٢٠٣) برقم: (٣٦٧) ، (١ / ٢٠٣) برقم: (٣٦٨).

[٢] أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤ / ١١٥) برقم: (٣٢٣١) ، (٩ / ١١٨) برقم: (٧٣٨٩) ومسلم في «صحيحه» (٥ / ١٨١) برقم: (١٧٩٥).

والأيتام، وحتى بالحيوان، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[١].

الاسم الثامن: (نبي التوبة)، قال: (فِي «مُسْلِمٍ» وَبِنَبِيِّ التَّوْبَةِ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيُّ التَّوْبَةِ ...[٢]. أي: نبي يُخبِر عن الله ﷻ بقبول التوبة، ويدعو إلى التوبة، وهي: الرجوع إلى الله ﷻ والندم على الذنوب، والإقلاع عنها، والعزم على عدم العودة إليها.

وكان ﷺ كثير التوبة، على الرغم أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكان ﷺ يقول: « **إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ** »[٣].

وعن ابن عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**[٤] .

وعَنْ زَاذَانَ قَالَ : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ : «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**» ، حَتَّى بَلَغَ مِائَةَ مَرَّةٍ[٥] .

---

[١] أخرجه الترمذي (١٩٢٤).

[٢] أخرجه مسلم (٥ / ٩٢) برقم: (١٦٦٠).

[٣] أخرجه مسلم (٨ / ٧٢) برقم: (٢٧٠٢).

[٤] أخرجه مسلم (٨ / ٧٢) برقم: (٢٧٠٢).

[٥] أخرجه النسائي في الكبرى (٩ / ٤٥) برقم: (٩٨٥١) ، وأحمد في مسنده (١٠ / ٥٤٩٣) برقم: (٢٣٦٢٠)

٣- وَفِيْـهِ أَيْضًا: بِنَـبِيِّ الْمَلْحَمَةْ وَفِي رِوَايَـةٍ: نَـبِيُّ الْمَرْحَمَـةْ

الاسم التاسع: (نبي الملحمة) والملحمة: الحرب، سميت بذلك؛ لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدى باللُّحمة، (سَدى الثوب: بفتح السين، جمع أسدية وأسداء: وهي الخيوط الممتدة طولًا، وهي التي ينسج منها الثوب، واللُّحمة: الخيوط الممتدة عرضًا) فالناس في الحرب يشتبك بعضهم ببعض، فسُميت الحرب أو المعركة ملحمة.

وسُمي ﷺ نبي الملحمة؛ لأنه ﷺ كان مجاهدًا غازيا في سبيل الله، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي**»[١] أي: كان مصدر رزقه ﷺ مما يغنمه في الغزوات، فقد جعل الله ﷻ له نصيبًا من المغانم، وبعض الأنبياء السابقين كانوا غير مأمورين بقتال أعدائهم كعيسى عليه السلام ولكن نبينا ﷺ شريعته كشريعة موسى عليه السلام كان موسى مأمورًا بقتال أعدائه.

ونبينا عليه الصلاة والسلام مرَّ بمرحلتين: المرحلة المكية: كان منهيًّا فيها عن القتال، ثم المرحلة المدنية: كان مأمورًا فيها بقتال أعدائه عليه الصلاة والسلام.

الاسم العاشر: (نَبِيُّ الْمَرْحَمَةْ) والمرحمة هي: الرحمة، قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾ [البلد: ١٧-١٨].

فأصحاب الميمنة: هم الذين يوصي بعضهم بعضًا بالصبر، ويوصي بعضهم بعضًا بالمرحمة، ومرّ بنا أن النبي ﷺ هو نبي الرحمة، ونبي المرحمة، والمرحمة: هي الرحمة.

[١] أخرجه البخاري معلقا عن ابن عمر (٤ / ٤٠)

٤- طَـهَ وَيَاسِـيْنُ مَعَ الرَّسُـوْلِ كَـذَاكَ عَبْـدُ اللهِ فِي التَّنْزِيْـلِ

الاسم الحادي عشر والثاني عشر (طَهَ وَيَاسِيْنُ) وهذان الاسمان ذكرهما عدد من العلماء، ومن المفسرين، وعدوهما في أسماء رسول الله ﷺ، وأخذوا هذا من قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[طه: ١-٢]، وقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾[يس: ١-٣]، فقالوا: الآيات فيها خطاب لرسول الله ﷺ، إذًا طه وياسين اسمان من أسماء رسول الله ﷺ.

لكن الصواب في هذا: أن طه، وياسين من الحروف المقطعة في فواتح السور مثلهما مثل: (حم، وطسم، والر، والم) وليس المقصود بها تسمية الرسول ﷺ.

والاستدلال بضمير الخطاب لرسول الله ﷺ بعدها استدلال ضعيف؛ لأننا إذا تتبعنا بقية الحروف المقطعة سنجد أن ضمير الخطاب ورد مع حروف أخرى، ومع ذلك لم يفد هذا أنها من أسماء رسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[القلم: ١-٢] فهنا الخطاب لرسول الله ﷺ، وهذا لا يعني أن (نٓ) من أسمائه.

ومثل: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾[الأعراف: ١-٢] فهنا الخطاب أيضًا لرسول الله ﷺ، لكن هذا لا يعني أن ﴿الٓمٓصٓ﴾ من أسمائه.

ففي القرآن كثير من الحروف المقطعة الأخرى غير طه وياسين، وورد بعدها خطاب لرسول الله ﷺ، فورود الخطاب لرسول الله ﷺ لا يعني أن هذه الحروف المقطعة من أسمائه ﷺ، لكن المؤلف تبع مَنْ قال من المفسرين: إنها من أسماء رسول الله ﷺ.

لكن (ياسين) بالذات قالوا: ورد اسمًا لنبي الله إلياس عليه السلام في بعض القراءات القرآنية

كقراءة نافع ومَنْ وافقه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[الصافات: ١٣٠] أي: آل نبي الله ياسين عليه السلام، فيمكن التسمي بـ(ياسين) على أنه من أسماء نبي الله إلياس عليه السلام.

وأما التسمي بـ(طه، وياسين) فالأصل في الأسماء الإباحة ما لم يرد دليل ينهى عن التسمي بها، فمسألة أنها من أسماء رسول الله ﷺ أو ليست من أسمائه، فهذه مسألة لا علاقة لها بمسألة جواز التسمي بها.

الاسم الثالث عشر: (الرَّسُوْلِ) وهذا الاسم ورد كثيرًا في كتاب الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة: ٦٧] (الرسول) أي الْمُرسَل، ومعناه: الذي أرسله ربه ﷻ فبلغ رسالة الله ﷻ وبلّغ دينه وشرعه.

الاسم الرابع عشر: (عَبْدُ اللهِ) وهذا اسم وارد في (التَّنْزِيْلِ) أي في القرآن.

وبعض هذه الأسماء التي ذكر أنها من أسماء النبي ﷺ قد تأتي على أنها صفات للرسول ﷺ، وبعضهم يقول: إنها من أسمائه، فمن أسمائه في القرآن: عبد الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[الجن: ١٩] أي: لما قام النبي ﷺ يدعو إلى الله تعالى ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ لبدًا: أي مزدحمين عليه، مجتمعين عليه، فقالوا: إما أن يكون المقصود: ازدحام الجن على النبي ﷺ لسماع القرآن منه، أو المقصود ازدحام المشركين عليه يصدونه عن الدعوة إلى الله تعالى.

ووصْف الله تعالى بالعبودية في أشرف المقامات: في مقام الدعوة إلى الله، وفي مقام الإسراء، وفي مقام التحدي بالقرآن، ففي الإسراء قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾[الإسراء: ١]، وفي مقام التحدي بالقرآن الكريم: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[البقرة: ٢٣].

٥- وَالْمُتَوَكِّلُ النَّبِيُّ الأُمِّيْ وَالرَّؤُوفُ الرَّحِيْمُ أَيُّ رُحْمٍ

الاسم الخامس عشر: (الْمُتَوَكِّلُ) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال عن النبي: «أَجَلْ، وَاللهِ انَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾[الأحزاب: ٤٥] وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ الَهَ الَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَإِذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»[١]

فسماه الله جل وعلا المتوكل، وهو الذي يعتمد على الله جل وعلا ويلتجئ إليه، ويفوّض الأمور إليه سبحانه وتعالى.

الاسم السادس عشر: (النَّبِيُّ الأُمِّيْ)، وهذا الاسم ورد في كتاب الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[الأعراف: ١٥٧].

و(النَّبِيُّ الأُمِّيْ) أي: الذي لا يكتب، وبعضهم يقول: لا يكتب ولا يقرأ، لكن الصواب أن يقال: لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، لكن هو يقرأ صلى الله عليه وسلم: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ٣] فهو يقرأ عليه الصلاة والسلام لكن من غير كتاب، فالقراءة قد تكون من كتاب، وقد تكون من الحفظ، فالذي يقرأ من حفظه يقال: إنه يقرأ، فهو عليه الصلاة والسلام لا يكتب ولا يقرأ الكتاب، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

---

[١] صحيح البخاري ٢١٢٥.

وعدم الكتابة كمال في حقه ﷺ، ونقْص في حق غير النبي ﷺ من البشر؛ لأن الله ﷻ أراد من أميّته أن تكون دليلًا على صدْق نبوته ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨] فلو كان النبي ﷺ -قبل القرآن- يقرأ الكتب لقال المبطلون: إنه قرأ من الكتب السابقة، وهذا القرآن اقتبسه من كتب سابقة عليه، فأراد الله ﷻ أن يكون أُميًّا، ما سبق له أن قرأ كتابًا قبل القرآن الكريم، حتى إذا نزل عليه الوحي لا يدّعي مُبطِل أنه نسخ من كتب سابقة أو أخذ عنها، فقطع الله ﷻ شُبهة الكافرين، وجعل أميّته دليلًا من دلائل صدْق نبوته ﷺ.

ووصْف الأمي وَرَد في صفة النبي ﷺ، وفي صفة أُمته، فعن ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : **إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ** [١] ﷺ، والعرب يقال لهم: الأميون، ﴿قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾[آل عمران: ٧٥] .

ووصْف الأُمية في أُمة النبي ﷺ، بمعنى أن مصدر علوم أُمة الإسلام هو الحفظ والتلقي بالمشافهة، فالقرآن الكريم هو مصدر علوم الأمة الإسلامية، والأصل فيه أنه يُتلقّى مشافهةً وأنه محفوظ في الصدور، والعرب الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ كانت علومهم معتمدة على الحفظ أكثر من اعتمادها على القراءة في الكتب السابقة.

لكن هذا - كما ذكرنا- لا يعني ذمّ تعلُّم الكتابة والقراءة، بل إن النبي ﷺ حثَّ على تعلُّم الكتابة، وكان له كُتّاب يُملي عليهم النبي ﷺ ويكتبون القرآن بأمره، ويكتبون الحديث له ﷺ.

وكذلك أيضًا في أسرى بدر جعل النبي ﷺ فداءهم أن يُعلّم كل واحد منهم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة، فإذا علّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة يُطلَق سراحه،

---

[١] متفق عليه: البخاري١٩١٣ ومسلم ١٠٨٠.

فانتشرت الكتابة في المسلمين، وكثُر تعلُّمها، فكان النبي ﷺ حريصًا على تعلُّم المسلمين الكتابة، وهي من وسائل حِفْظ العلم.

الاسم السابع والثامن عشر: (الرَّؤُفُ الرَّحِيْمُ)، (أَيُّ رُحْمِ) أي: رحمة تلك التي اتصف بها عليه الصلاة والسلام تفخيمًا وتعظيمًا لرحمته عليه الصلاة والسلام، والرأفة: هي رقة القلب ولِينه، وهي شدة الرحمة.

وهنا في البيت قال: (الرَّؤُفُ) وهو لغة في الرؤوف، وقراءة متواترة أيضًا للاسم (رؤُف رحيم) أو رؤوف رحيم، فهو ﷺ (رؤف، ورؤوف، رحيم)، وجاء هذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قالوا: إما الخطاب للبشر بصفة عامة أنه رسول منكم، أي بشر من الإنس ليس من الجن ولا من الملائكة.

أو منكم أيها العرب.

وفي بعض القراءات غير المتواترة: (من أنْفَسِكُم) من النفاسة، يعني: من أشرفكم وأعلاكم.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه أن يصيبكم عنت أو حرج، فأي شيء يشق عليكم فهو يشق عليه.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يريد لكم الخير.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ عليه الصلاة والسلام شديد الرأفة، وشديد الرحمة بالمؤمنين عليه الصلاة والسلام.

٦- وَشَـاهِدًا مُبَـشِّرًا نَذِيْـرَا كَـذَا سِرَاجًـا، صِـلْ بِـهِ مُنِيْرَا

الاسم التاسع عشر: (الشاهد)؛ فهو يشهد للأنبياء على أُممهم أنهم بلغوا أُممهم، ويكون شهيدًا على أُمته ﷺ أنه بلغهم رسالة ربه، والله سبحانه وتعالى يقبل شهادته، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أن النبي ﷺ قال: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وَالوَسَطُ: العَدْلُ»[١].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

الاسم العشرون: (الْمُبَشِّر): أي: يُبشِّر المؤمنين بالرضوان والجنة.

الاسم الحادي والعشرون: (النذير) الذي ينذر مَنْ عصى الله جل وعلا، أي: يُخوّفهم من عقاب الله سبحانه وتعالى فهو بشير ونذير ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وقال جل وعلا عن الرسل جميعًا: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[النساء: ١٦٥]، فكل الرسل بما فيهم نبينا محمد ﷺ يبشرون وينذرون؛ يبشرون مَنْ أطاع الله بما أعدَّ الله له من الثواب والأجر العظيم، ويُنذرون مَنْ عصى الله جل وعلا وخالف أمره من عقاب الله سبحانه وتعالى.

---

[١] صحيح البخاري ٣٣٣٩.

قال: (كَذَا سِرَاجًا، صِلْ بِهِ مُنِيْرَا) أي صِلْ بكلمة سراج كلمة منيرٍ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٦]، فسماه الله ﷻ سراجًا ووصف هذا السراج قال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٦]، فهذا الاسم عُدَّ اسمًا، وعُدَّ اسمين، فمن أسمائه (السراج) ﷺ ومن أسمائه (المنير) لقوله تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٦].

والسراج هو: المصباح، والمنير: أي: العظيم الإضاءة.

لأن المصباح قد يكون منيرًا، وقد يكون المصباح منطفئًا، أو ضعيف النور، لكنه ﷺ سراج منير عليه الصلاة والسلام أي: مصباح عظيم الإضاءة.

والسراج: يأتي بمعنى المصباح، ويأتي بما هو أعظم من المصباح؛ لأن الله ﷻ وصف الشمس بأنها سراج فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

فالرسول ﷺ سراج، وهو منير عليه الصلاة والسلام، فهو ينير للمؤمنين طريق الحق، ويبين لهم طريق الحق من طريق الباطل، وهو نور جعله الله سبحانه وتعالى يستضيء به المؤمنون، ويستدلون به على طريق الحق الذي يوصلهم إلى الله سبحانه وتعالى.

وهو ينير قلوب المؤمنين كما أن المصباح ينير البصر، فعين الإنسان المبصرة تحتاج إلى نور لتبصر، وبدون النور لا ترى شيئًا؛ لأن الإنسان إذا كان في الظلام لا يستفيد ببصره شيئًا، إلا عن طريق النور، فكذلك القلب أيضًا، وهذا النور هو في الأصل مستمد من الله سبحانه وتعالى فهو الذي ألقى هذا النور في قلب العبد، وجعل الرسول ﷺ وسيلة وسببًا لهذا النور الذي يبصر به المؤمن طريقه.

٧- كَـذَا بِـهِ الْمُزَّمِّـلَ الْمُدَّثِّـرَ وَدَاعِيًـا لِلَّهِ وَالْمُذَكِّـرَ

الاسم الرابع والعشرون والخامس والعشرون: (الْمُزَّمِّلَ، الْمُدَّثِّرَ)

(الْمُزَّمِّلَ الْمُدَّثِّرَ) أي المتغطي بثوب، أو ما يُزَمَّل به الإنسان أو يدثّر به بمعنى يلبسه فوق ثيابه، أو يتغطى به فوق ثيابه، ويلتحف به،فالتزميل والتدثير هو ما يُلبَس فوق الثياب.

وهو ﷺ تزمَّل وتدَثَّر عندما نزل عليه الوحي أوَّل ما نزل، فذهب إلى خديجة رضي الله عنها يرجف فؤاده فقال: «زملوني زملوني، دثروني دثروني» فزمَّلُوه: أي أعطوه ثوبًا الْتَحَف به، أو وضعه عليه فوق ثيابه ﷺ، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢]، وأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل: ١-٢]أي انزع عنك رداء الراحة وقم لله جل جلاله وبَلِّغ رسالة ربك، فصار من أسمائه ﷺ المزمل والمدثر.

مع أنه وصْف عارض لرسول الله ﷺ، لكن لما ناداه الله جل جلاله به اكتسب هذا الاسم تشريفًا؛ لكون رب العالمين سبحانه وتعالى ناداه به.

الاسم السادس والعشرون: (الداعي إلى الله) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾[الأحزاب: ٤٦]، فهو ﷺ يدعو إلى الله، والدعوة إلى الله جل جلاله هي أحسن القول، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[فصلت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[النحل: ١٢٥] فأمره الله جل جلاله بالدعوة، أي يرشد الناس ويُبيّن لهم، ويدلهم على طريق النجاة.

الاسم السابع والعشرون: (الْمُذَكِّرُ) ﷺ؛ وهذا الاسم مأخوذ من قول الله جل جلاله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ﴾[الغاشية: ٢١]، فهو ﷺ يُذَكِّر الناس بالله سبحانه وتعالى، يدعوهم إلى ذِكْر الله سبحانه وتعالى

سواء ذِكْر الله ﷻ باللسان، أو ذِكْر الله تعالى بالقلب، فهو يُذَكّر الناس بالله ﷻ، وهذا يشمل ذِكْر الله ﷻ باللسان، ويشمل ذِكْره بالقلب، أي: أن تستحضر قلوبهم توحيد الله ﷻ والإخلاص له، وعبادته، وأن يذكروا أمر الله ﷻ فيمتثلوه، ويذكروا نهي الله فيجتنبوه.

٨- وَرَحْمَـةٌ وَنِعْمَـةٌ وَهَـادِيْ وَغَيْرُهَـا تَجِـلُّ عَـنْ تَعْـدَادِ

الاسم الثامن والعشرون: (رحمة)، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾[التوبة: ٦١] الأذن: بمعنى يصدق ما يقال له، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ﴾ [التوبة: ٦١]؛ فهو ﷺ أُذن خير، وهو ﷺ رحمة للذين آمنوا، فهو ﷺ يرحم المؤمنين، وهو نفسه رحمة رَحِم الله به المؤمنين، و رَحِم الله به البشرية حين أرسله إليهم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، ومن مظاهر هذه الرحمة أن الله لم يعذبهم وهو فيهم ﷺ، فالأمم السابقة أهلكهم الله ﷻ لما خالفوا أنبياءهم، فمنهم مَنْ أرسل الله عليه الصيحة، وأرسل عليه حاصبًا، ومَنْ خسف به الأرض، لكن أُمة محمد ﷺ رغم أنهم كذبوه إلا أن وجوده بينهم كان رحمةً، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾[الأنفال: ٣٣] فلم يأخذهم بعذاب عاجل.

الاسم التاسع والعشرون: (نعمة) في بعض الآيات الكريمة التي يأتي فيها التذكير بنعمة الله، يذكر بعض المفسرين أن النعمة هي محمد ﷺ وهذا من تفسير النعمة ببعض معانيها، فهو نعمة عظيمة من الله ﷻ أنعم الله ﷻ بها على عباده.

الاسم الثلاثون: (وَهَادِيْ) من أسمائه ﷺ «الهادي»، وذلك أن الله ﷻ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢]، فهو ﷺ هادٍ.

ولكن كيف نوفق بين الآيات التي وصفه الله فيها بأنه هادٍ والآيات التي نفى عنه الهداية، أنه يهدي، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾[النمل: ٨١]، وكذلك: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[القصص: ٥٦]؟

الجواب: أن الهداية نوعان: هداية التبيين والإرشاد، وهداية التوفيق والإسعاد.

هداية التبيين والإرشاد: أنه بيّن للناس طريق الحق من طريق الباطل؛ فهذه الهداية أعطاها الله تعالى لنبيّه ﷺ فهو يهدي بمعنى يُبيّن للناس، يقول لهم: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، يُعلِّم الناس ويرشدهم.

أما هداية التوفيق: وهي جعْل القلوب تستجيب لهذه الهداية، فهذه لا يملكها إلا الله ﷻ، النبي ﷺ لا يهدي مَنْ أحب، لا يستطيع أن يجعل قلب المدعو يستجيب لدعوته ﷺ، ويُوفَّق للعمل بمقتضى هداية الإرشاد.

فهو ﷺ يهدي هداية الإرشاد، أي: يُعلِّم ويُرشد ويبين للناس، ويقول لهم: هذا طريق الحق، وهذا طريق الضلال، لكن هو ليس عليهم بمصيطر ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢]، وما في معناها من الآيات الكريمة مثل: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، فهو ﷺ عليه البلاغ وعليه الهداية أي: هداية التبيين والإرشاد، يُبَلِّغ ولكن كون الناس تستجيب أو لا تستجيب، هذا بأمر الله ﷻ ومما لا يملكه النبي ﷺ.

فهذه ثلاثون اسمًا ذكرها المؤلف.

قال: (وَغَيْرُهَا تَجِلُّ عَنْ تَعْدَادِ) غير هذه الأسماء أسماء أخرى (تَجِلُّ عَنْ تَعْدَادِ) ذكروا منها: المختار، والمصطفى، والشفيع، والمشفع، والصادق، الأمين، المصدوق، وغير ذلك من أسمائه ﷺ، فهو لم يقصد حصْر الأسماء في هذه الأسماء الثلاثين.

٩- وَقَدْ وَعَى (ابْنُ الْعَرَبِيِّ) سَبْعَةْ   مِنْ بَعْدِ سِــتِّيْنَ، وَقِيْلَ: «تِسْــعَةْ
١٠- مِـــنْ بَعْــدِ تِسْــعِيْنَ»، ....

يشير إلى أن القاضي أبي بكر بن العربي، القاضي المالكي، له كتاب اسمه «عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» فالإمام أبو بكر بن العربي ذكر سبعة وستين اسمًا للنبي ﷺ.

(وَقِيْلَ: «تِسْعَةْ مِنْ بَعْدِ تِسْعِيْنَ») وهذا القول حكاه ابن العربي بعد أن عدَّ سبعة وستين اسمًا من أسماء رسول الله ﷺ عن بعض العلماء قال: وذكر بعض العلماء، أو زادها بعض العلماء حتى أوصلها إلى تسعة وتسعين اسمًا لرسول الله ﷺ.

١٠- ....، وَلابْــنِ دِحْيَةِ:   «الْفَحْــصُ يُوفِيْهَــا ثَلاَثَمِئَــةِ»

يشير هنا إلى الإمام ابن دحية، واسمه: أبو الخطاب عمر بن حسن الكلبي الداني من علماء الأندلس، من حفّاظ الحديث في الأندلس، الحافظ ابن دحية عدَّ ثلاثمائة اسم من أسماء رسول الله ﷺ.

١١- وَكَوْنُهَــا أَلْفًا فَفِي «الْعَارِضَةِ»   ذَكَرَهُ عَــنْ بَعْــضِ ذِي الصُّوْفِيَّةِ

في عارضة الأحوذي لابن العربي ذكر أن بعض الصوفية أوصلوا أسماء رسول الله ﷺ إلى ألف اسم، لكن هذا فيه تكلُّف منهم ، لكن فيما ذُكِر الكفاية ويحصل به المقصود.

فالمقصود: أن هذه الأسماء الكريمة مشتملة على صفات كريمة اتصف بها رسول الله ﷺ، ومما يتعرف به المسلم على رسول الله ﷺ، ويكمل به إيمانه برسول الله ﷺ

أن يتعرف على صفاته، وهذه الأسماء سواء كانت أسماء أو صفات هي مشتملة على صفات رسول الله ﷺ التي وصفه الله بها في القرآن الكريم، أو وُصِف بها في السُّنة الشريفة.

باب ذِكْر نسبه الزكي الطيب الطاهر ﷺ

هذا الباب في نسب النبي ﷺ وهذا مما يحتاج المسلم إلى معرفته، فالنبي ﷺ بُعِث في العرب، وهؤلاء العرب الذين بُعث فيهم الرسول ﷺ كان من عادتهم الفخر بالأنساب، لا يستجيبون لِمَنْ لا يعرفون نسبه، ولا يعرفون آباءه وأجداده، فمما أيّد الله ﷻ به نبيّه ﷺ أنه بعثه من قبيلة هي أشرف قبائل العرب، واختاره الله ﷻ من نسب معروف فيهم من جهة الآباء والأجداد، كلهم ذوو ذِكْر عند العرب ومعروفون بمكارم الأخلاق والصفات الحميدة.

والمقصود بالزكي الطيب الطاهر، أنه ﷺ نشأ من نكاح صحيح من جهة الآباء والأجداد، فآباؤه وأجداده معروفون ﷺ وكذلك من جهة الأمهات لم يُذكرن بسفاح، فصانه الله ﷻ وهذا جعله سببًا من الأسباب التي تقطع الحجة على الكافرين حتى لا يسيئوا إلى النبي ﷺ أو يجعلوا هذا عذرًا له في عدم اتباعه.

١- وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ الْمُطَّلِبْ أَبُوهُ، وَهُوَ شَيْبَةَ الْحَمْدِ نُسِبْ

(وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ) هو محمد بن عبد الله ﷺ، (عَبْدُ الْمُطَّلِبْ أَبُوهُ) أي: عبد المطلب هو أبو عبد الله.

(وَهُوَ شَيْبَةَ الْحَمْدِ نُسِبْ) يعني عبد المطلب سُمي شيبة الحمد؛ لأنه وُلد، وفي رأسه شيبة أي شعرة بيضاء، فلُقِّب بشيبة الحمد.

٢- أَبُــوهُ عَمْــرٌو هَاشِــمٌ، وَالْجَدُّ   عَبْــدُ مَنَــافِ بْــنُ قُــصَيٍّ زَيْدُ

(أَبُوهُ عَمْرُو هَاشِمٌ) أي: أبو عبد المطلب: اسمه عمرو، ولقبه: هاشم، ولُقِّب بهاشم؛ لأنه أوّل مَنْ هشم الثريد لقومه، وهو الخبز الذي يؤكل مع اللحم، يضعون اللحم مع المرق ويثردون معه الخبز، فكان أوّل مَنْ هشم الثريد، يأتي بالخبز اليابس، فيهشمه أي يُكسّره ويُفته ويضعه مع المرق واللحم ويُطعِم قومه.

(وَالْجَدُّ عَبْدُ مَنَافِ) وهو والد هاشم، قالوا: سُمي به؛ لطوله، كان طويلًا من النيف وهو الزيادة فلُقِّب بـ (عبد مناف).

(ابْنُ قُصَيٍّ زَيْدُ) والد عبد مناف اسمه: زيد، ولقبه: قُصَيّ.

٣- ابْــنُ كِلاَبٍ أَيْ حَكِيمٍ يَا أُخَيْ   وَهُوَ ابْنُ مُرَّةَ بْــنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيْ

- هو ابن كلاب.

(ابْنُ كِلاَبٍ أَيْ حَكِيمٍ) والد قُصي، و اسمه: حكيم، ولقبه: كلاب.

ولُقِّب بـ (كلاب)؛ قيل: لأنه كان يكالب الأعداء في الحرب، أي كثير المقاومة للأعداء في الحرب، وقيل: لأنه كان يحب الصيد بالكلاب، وهذا المشهور.

(وَهُوَ ابْنُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِ) فكلاب ابن مُرة، ومُرة ابن كعب، وكعب ابن لؤي.

٤- وَهُوَ ابْنُ غَالِــبِ أَيِ ابْنِ فِهْرِ   وَهُوَ ابْــنُ مَالِكٍ أَيِ ابْــنِ النَّضْرِ

لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

والفِهْر معناه: الحجر الطويل، و فِهْر هذا لُقِّب بـ (قريش) وإليه نُسبت قريش، فكل مَنْ تفرّع من فِهْر فهو قرشي، وهذا الكلام رجّحه البيهقي وغيره: أن قريشًا هو فِهْر: (فمَنْ لم يلده فِهر بن مالك فليس بقرشي).

وذهب الرافعي والنووي إلى أن قريشًا هم أولاد النضر بن كنانة، فكل أولاد النضر بن كنانة فهم قريش، فإذا ليسوا فقط أولاد فِهْر.

٥- وَأَبُـهُ كِنَانَـةٌ مَـا أَبْرَكَـهْ　　　وَالِدُهُ خُزَيْمَـةُ بْـنُ مُدْرِكَـةْ

(وَأَبُهُ) أي: وأبوه، وهذه على لغة النقص في الأسماء الخمسة، بعض العرب يحذفون حروف العلة من الأسماء الخمسة، ويعربونها بالحركات يقول: جاء أبُه، ورأيت أبَه، ومررت بأبِه، ومنه قول رؤبة بن العجاج:

بأبـه اقتـدى عـدي في الكـرم　　　ومَـنْ يشـابه أبَـه فمـا ظلـم

يقول: (وَأَبُهُ كِنَانَةٌ مَا أَبْرَكَهْ) أي: تعجب من كثرة بركته، والبركة: هي الخير الكثير، أي: تفرّع منه خير كثير؛ لأن من ذريته رسول الله ﷺ، والمهاجرون من قريش، وكثير من المؤمنين يتفرع من ذرية هذا الرجل.

وَالِدُهُ خُزَيْمَةُ بْنُ مُدْرِكَةْ: أي أن كنانة هو ابن خزيمة بن مُدركة.

٦- وَهُوَ ابْنُ إِلْيَاسَ أَيِ ابْنِ مُضَرَا　　　ابْـنِ نِـزَارِ بْـنِ مَعَـدٍّ لاَ مِـرَا

(لاَ مِرَا): أي لا شك في هذا النسب.

٧- وَهُوَ ابْنُ عَدْنَانَ. وَأَهْلُ (النَّسَبِ) قَـدْ أَجْمَعُـوا إلى هُنَـا فِي الْكُتُبِ

أهل النسب أجمعوا إلى هنا أي: إلى عدنان؛ لأن النبي ﷺ كان إذا انتسب لا يجاوز عدنان، ويقول: كذب النسابون ثلاثًا، فكان ﷺ ينتسب إلى عدنان.

وبعض أجداد النبي ﷺ هؤلاء كانوا في فترة التوحيد، قبل حصول الشرك في جزيرة العرب، فيذكرون أن معدًا وعدنان ومَنْ بعدهم من أجداد النبي ﷺ كانوا من الموحدين على ملة إسماعيل؛ لأن أوّل مَنْ سيَّب السوائب وبحر البحيرة في جزيرة العرب هو: عمرو بن لُحي.

بعض المؤرخين يقولون: إن معد وعدنان كانا في زمن موسى عليه السلام أو في الفترة التي بين موسى وعيسى –عليهما السلام– وهما من ذرية إسماعيل عليه السلام وكانا هما وآباؤهما على ملة إسماعيل عليه السلام يوحدون الله جل وعلا ولا يشركون به، لكن بعد ذلك حصل الشرك، في قسم من أجداد النبي ﷺ.

٨- وَبَعْـدَهُ خُلْـفٌ كَثِـيْرٌ جَمٌّ أَصَحُّـهُ حَـوَاهُ هَـذَا النَّظْـمُ

بعد ذلك بقى النسب من عدنان إلى آدم عليه السلام، فيه (خُلْفٌ كَثِيْرٌ): أي اختلاف كثير، وهي آراء يتناقلها النسابون، وأصح هذه الآراء المروية هو ما (حَوَاهُ هَذَا النَّظْمُ).

ثم ذكر المؤلف النسب إلى آدم عليه السلام فقال:

٩- عَدْنَانُ فِي الْقَوْلِ الأَصَحِّ: ابْنُ أُدَدْ وَبَعْضُهُـمْ يَزِيْـدُ أُدًّا فِي الْعَـدَدْ:

عدنان ابن أدد، وبعضهم يقول: عدنان بن أدّ بن أدد.

١٠- بَيْنَهُمَـــا، وَأُدَدٌ وَالِدُهُ مُقَــوَّمٌ، نَاحُــوْرُ بَعْــدُ جَــدُّهُ

عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور.

١١- وَهُوَ ابْنُ تَيْرَحٍ أَيِ ابْنِ يَعْرُبَا وَأَنَّ يَعْرُبَــا هُــوَ ابْــنُ يَشْــجُبَا

ناحور ابن تيرح بن يعرب بن يشجب.

١٢- وَهُوَ ابْنُ نَابِتٍ، وَإِسْـمَاعِيْلُ أَبٌ لَهُ، وَجَــدُّهُ الْخَلِيْــلُ

١٣- إِبْرَاهِــمُ بْنُ تَــارَحٍ أَيِ آزَرُ ....

يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

(بْنُ تَارَحٍ أَيِ آزَرُ) يقول: آزر لقب لـ(تارح).

١٣- .... وَهُوَ ابْــنُ نَاحُــوْرٍ، وَهَــذَا آخَرُ

آزر بن ناحور، وناحور هذا غير ناحور السابق الذي هو ابن تيرح.

١٤- وَهُوَ ابْنُ شَارُوْحَ بْنِ أَرْغُو، فَالَخْ أَبٌ لَهُ، ابْــنُ عَيْـبَرَ بْــنِ شَــالَخْ

ناحور بن شاروح بن أرغو بن فالخ. ويقال: ساروح، ويقال: ساروغ، ضبطه النووي ساروغ بالغين المعجمة، وضبطه المناوي ساروح بمهملات، والحافظ ابن حجر ضبطه شاروح بالشين، المعجمة.

١٥- وَهُوَ ابْنُ أَرْفَخْشَذْ، أَبُوهُ سَامُ ... أَبُـوهُ نُـوحٌ صَائِـمٌ قَـوَّامُ

شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال: (صَائِمٌ قَوَّامُ) وهو نوح عليه السلام.

١٦- وَهُوَ ابْنُ لَامِكَ بْنِ مَتُّوْشَلَخَا ... ابْـنِ خَنُوخَ، وَهُـوَ فِيْمَـا وُرِّخَا

١٧- إِدْرِيْسُ فِيْمَـا زَعَمُوْا ....

نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، (خَنُوخَ، وَهُوَ فِيْمَا وُرِّخَا إِدْرِيْسُ) قالوا: إن خنوخ هذا هو اسم أو لقب لنبي الله إدريس عليه السلام.

١٧- .... يَـرْدُ أَبُـهْ ... وَهُوَ ابْنُ مَهْلِيْـلَ بْنِ قَيْنَنْ يَعْقُبُهْ

١٨- يَانَشُ شِـيْثٌ أَبُـهُ ابْنُ آدَمَا ... صَـلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَسَـلَّمَا

إدريس عليه السلام ابن يرد، بْنُ مَهْلِيْلَ، بْنِ قَيْنَنْ بن يانش، بن شيث، بن آدم.

وشيث هذا نبي، وردت نبوته في السُّنة في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كم كتابًا أنزل الله؟ قال: «مِائَةُ كِتَابٍ، وَأَرْبَعَةُ كُتُبٍ، أُنْزِلَ عَلَى شِيثٍ خَمْسُونَ صَحِيفَةً»[١].

١٩- أَمَّا (قُرَيْـشٌ) فَالأَصَحُّ: فِهْرُ ... جِمَاعُهَـا، وَالأَكْـثَرُوْنَ النَّـضْرُ

هذا الخلاف ذكرناه آنفا في البيت الرابع من هذا الفصل.

---

[١] أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢ / ٧٦) برقم: (٣٦١).

٢٠- وَأُمُّــهُ آمِنَــةٌ، وَالِدُهَــا وَهْبٌ، يَـلِي عَبْدُ مَنَـافٍ جَدُّهَا

٢١- وَهُــوَ ابْنُ زُهْــرَةٍ، يَلِي كِلاَبُ وَفِيْــهِ مَـعْ أَبِيْــهِ الانْتِسَــابُ

ذكر نسب أم النبي ﷺ، فيقول: أمه هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فتلتقي مع النبي ﷺ في الجد الذي لُقِّب بكلاب، واسمه حكيم، ولُقِّب بـ (كلاب) لأنه كان كثير الصيد بالكلاب.

ذكر مولده وإرضاعه ﷺ

١- وَوُلِدَ النَّبِيُّ عَامَ الْفِيْلِ | أَي فِي رَبِيْعِ الأَوَّلِ الْفَضِيْلِ
٢- لِيَوْمِ الاثْنَيْنِ، مُبَارَكًا أَتَى | لِلَيْلَتَيْنِ مِنْ رَبِيْعٍ خَلَتَا
٣- وَقِيْلَ: «بَلْ ذَاكَ لِثِنْتَيْ عَشْرَةْ» | وَقِيْلَ: «بَعْدَ الْفِيْلِ ذَا بِفَتْرَةْ
٤- بِأَرْبَعِيْنَ أَوْ ثَلاثِيْنَ سَنَةْ» | وَرُدَّ ذَا الْخُلْفُ، وَبَعْضٌ وَهَّنَهْ

يشير في هذه الأبيات إلى أن النبي ﷺ وُلِد بمكة عام الفيل، فمكان ولادته ﷺ: مكة المكرمة، وزمان ولادته ﷺ: عام الفيل، في شهر ربيع الأول ﷺ.

ولم يكن عند العرب تقويم يرتبون فيه الأعوام، ويسلسلونها بالعدد، فكانوا يُؤرِّخون بالحوادث المشهورة، فإذا حدثت حادثة مشهورة يقولون: وُلِد فلان في العام الذي حصل فيه كذا، كوفاة ملك من الملوك، أو وقوع حرب من الحروب، أو حادثة مشهورة، فيؤرخون بهذا العام، ويقولون: وُلِد فلان في عام كذا، أو قبله بكذا سنة، أو بعده بكذا سنة، ثم إذا حدثت حادثة مشهورة بعدها بدؤوا يؤرخون بها وتركوا التاريخ الأول.

فالعام الذي وُلِد فيه النبي ﷺ وقعت فيه حادثة شهيرة جاء ذِكْرها في كتاب الله ﷻ وهي: حادثة الفيل، وذلك أن أبرهة وكان ملكًا حبشيًّا يحكم اليمن في ذلك الوقت، وكان قد بنى بناءً كبيرًا في اليمن - في صنعاء- وكان يريد من الناس أن يحجوا إليه، ويتركوا الحج إلى بيت الله الحرام، فلم تطاوعه العرب على ذلك، بل على العكس:

فإن قريشًا أرسلوا بعض شبابهم فخربوا في هذا البناء الذي بناه أبرهة، وأحرقوا بعضًا منه، فاستشاط غيظًا، وأرسل جيشًا كبيرًا، ومعه فيل يقال له: محمود، وبعض الروايات ذكرت أنه عدة أفيال، وكان محمود هذا قائد هذه الأفيال.

فلمّا وصل جيش أبرهة، وكان جيشًا ضخمًا فيه عشرات الآلاف، ومعهم الأفيال والأسلحة الكبيرة الكثيرة، منع الله ﷻ الفيل من التحرك في اتجاه الكعبة، فبرك الفيل، وكلما أرادوا أن يوجهوه في اتجاه الكعبة أَبى عليهم، مهما أزعجوه ليتحرك يأبى أن يتحرك، فإذا حرّكوه إلى أي اتجاه آخر يتوجه، فإذا وجّهوه جهة الكعبة ثبت في مكانه وامتنع من الحركة، ثم إن الله ﷻ أرسل طيرًا أبابيل، أي جماعات كثيرة من الطيور، كل طير منها في منقاره حجر، وفي مخلبيه حجران، فجعلت الطيور ترمي هذا الجيش بهذه الأحجار، فلا يصيب أحدَهم حجر من هذه الأحجار إلا أصابه مرض شديد حتى تتمزق أعضاؤه، وتتساقط أعضاؤه شيئًا فشيئًا، تتساقط أصابعهم ثم أيديهم وأرجلهم، وأهلكهم الله ﷻ وكان ذلك آية عظيمة.

وكان هذا من إرهاصات النبوة، أي: من التمهيدات أو العلامات التي جعلها الله ﷻ تهيئة لقدوم النبي ﷺ لأن الله ﷻ أعلى بهذه الحادثة شأن قريش، وصارت لهم مكانة أكبر مما كانت لهم عند العرب، وصار للبيت الحرام منزلة عظيمة، وسمع العرب بهذا الخبر.

فالنبي ﷺ وُلِد عام الفيل، وحسب التقويم الهجري، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاثًا وخمسين سنة، بُعث وله أربعون سنة، ومكث ثلاث عشرة سنة قبل الهجرة، فإذا عام الفيل هو العام الذي يكون قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنةً.

٢- لِيَــوْمِ الاثْنَــيْنِ، مُبَــارَكًا أَتَى لِلَيْلَتَــيْنِ مِــنْ رَبِيْــعٍ خَلَتَــا
٣- وَقِيْــلَ: «بَلْ ذَاكَ لِثِنْتَيْ عَشْرَةْ» وَقِيْــلَ: «بَعْــدَ الْفِيْــلِ ذَا بِفَتْرَةْ
٤- بِأَرْبَعِــيْنَ أَوْ ثَلاَثِــيْنَ سَــنَةْ» وَرُدَّ ذَا الْخُلْــفُ، وَبَعْــضٌ وَهَّنَهْ

وُلِد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول، ويوم الاثنين يوم مبارك؛ فتُرفَع فيه أعمال العباد إلى الله -تعالى- وكان النبي ﷺ يحب صيام يوم الاثنين.

(لِلَيْلَتَيْنِ مِنْ رَبِيْعٍ خَلَتَا) تعددت الآراء، بعضهم يقول: وُلِد النبي ﷺ في اليوم الثاني من ربيع الأول، وبعضهم يقول: اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وقيل: الثامن، وقيل: العاشر، وقيل: السابع عشر، وقيل غير ذلك.

وهذا الاختلاف في تحديد يوم ميلاد النبي ﷺ - وإن عُلِم الشهر- أكبر دليل على أن النبي ﷺ لم يعتنِ بِذْكر هذا اليوم، وأن الصحابة رضي الله عنهم لم يحتفلوا بيوم مولده ﷺ، وإلا لَذُكِر هذا اليوم وحُفِظ، فلذلك تعددت الآراء لعدم اعتنائهم بحِفظ ذلك اليوم؛ لكونه لا يترتب عليه عمل، ولا كان النبي ﷺ ولا صحابته يحتفلون بِذِكْر المولد، فلذلك تعددت الآراء في تحديد اليوم.

ويقولون: اليوم الذي اشتهر عند المتأخرين أنه يوم المولد وهو الثاني عشر من ربيع الأول، هذا اليوم حسب الحسابات الفلكية يستحيل أن يوافق يوم اثنين، فهذا يؤكد أن هذا اليوم لا يمكن أن يكون هو ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام.

(وَقِيْلَ: «بَعْدَ الْفِيلِ ذَا بِفَتْرَةْ بِأَرْبَعِينَ أَوْ ثَلاَثِيْنَ سَنَةْ») بعض الناس رووا أن النبي ﷺ وُلِد بعد عام الفيل بثلاثين سنة أو أربعين سنة.

(وَرُدَّ ذَا الْخُلْفُ، وَبَعْضٌ وَهَّنَهْ) هذا الخلاف خلاف مردود وبعض العلماء حكى

الإجماع على أن النبي ﷺ وُلِد عام الفيل ﷺ.

ثم يذكر بعض العجائب التي حصلت يوم ميلاد رسول الله ﷺ، قال:

٥- وَقَـدْ رَأَتْ إذ وَضَعَتْـهُ نُـوْرَا   خَـرَجَ مِنْهَـا رَأَتِ الْقُصُـوْرَا

وفي نسخة: (فأضا القصورا) أي: فأضاء القصور.

٦- قُصُوْرَ بُصْرَى قَدْ أَضَاءَتْ، وَوُضِعْ   بَـصَرُهُ إلى السَّـمَاءِ مُرْتَفِـعْ

إن النبي ﷺ حين وضعته أمه آمنة بنت وهب خرج منها نور أضاء وانتشر حتى رأت آمنة قصور بصرى - مدينة بالشام-، أو حتى أضاء هذا النور قصور بصرى.

ووَرَدَ أن النبي ﷺ لما نزل من بطن أمه ﷺ كان رافعًا بصره إلى السماء (وَوُضِعْ بَصَرُهُ إلى السَّمَاءِ مُرْتَفِعْ) ﷺ.

فكان النبي ﷺ حين وُضِع رافعًا بصره إلى السماء، ووردت عجائب أخرى، منها: أنه في الليلة التي وُلِد فيها النبي ﷺ انكسر إيوان كِسرى -أي قصر مُلكه، وكسرى ملك الفرس- وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار الفرس، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة، فكانوا يذكرون أنها من ألف سنة موقدة وكان كُهّان المجوس يتعاهدون هذه النار العظيمة التي كانوا يعبدونها بحيث تكون موقدة لا تنطفئ أبدًا، ويوم ولادة النبي ﷺ انطفأت هذه النيران.

٧- مَـاتَ أَبُـوهُ وَلَهُ عَامَـانِ   وَثُلُـثٌ، وَقِيْـلَ بِالنُّقْصَـانِ:

٨- عَنْ قَدْرِ ذَا، بَلْ صَحَّ كَانَ حَمْلا   ....

مات والد النبي ﷺ، وكان عمره ﷺ عامين وثلثًا، (وَقِيلَ بِالنُّقْصَانِ: عَنْ قَدْرِ ذَا) وقيل: كان عمر النبي ﷺ أقل من عامين وثلث العام، فقيل: كان ابن سبعة أشهر، وقيل: إنه كان حملًا عليه السلام عندما مات أبوه، والحافظ العراقي يصحح هذه الرواية فيقول: (بَلْ صَحَّ كَانَ حَمْلًا) فأصح ما قيل في عُمر النبي ﷺ يوم وفاة والده أنه كان حملًا عليه السلام، وعلى كل حال: فالنبي ﷺ نشأ يتيمًا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦]

....	وَ(أَرْضَعَتْهُ) حِينَ كَانَ طِفْلَا
٩- مَعْ عَمِّهِ حَمْزَةَ لَيْثِ الْقَوْمِ	وَمَعْ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيْ
١٠- «ثُوَيْبَةٌ» وَهْيَ إلى أَبِي لَهَبْ	أَعْتَقَهَا، وَإِنَّهُ حِينَ انْقَلَبْ:
١١- هُلْكًا، رُئِي نَوْمًا بِشَرِّ حِيبَةْ	لَكِنْ سُقِي بِعِتْقِهِ ثُوَيْبَةْ

وَ(أَرْضَعَتْهُ) ثويبة جارية لأبي لهب (حِيْنَ كَانَ طِفْلا)، مع عمه حمزة ومع أبي سلمة المخزومة، فهذان أخوا رسول الله ﷺ من الرضاعة: حمزة بن عبد المطلب (لَيْثِ الْقَوْمِ) أي أسد القوم الذي كان مضرب المثل في الشجاعة والإقدام رضي الله عنه.

وأبو سلمة المخزومي واسمه: عبد الله بن عبد الأسد رضي الله عنه، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو زوج أم سلمة السابق قبل زواجها برسول الله ﷺ، وكان من المهاجرين إلى الحبشة رضي الله عنه، وسيأتي ذِكْره في السابقين إلى الإسلام.

(«ثُوَيْبَةٌ» وَهْيَ إلى أَبِي لَهَبْ) أي: وهي مملوكة لأبي لهب.

وفي النسخة الأخرى: (وهي التي أبو لهب أعتقها) فالمقصود أنها المملوكة لأبي لهب، أو أنها التي أعتقها أبو لهب، وكلا المعنيين صحيح، فهي كانت مملوكة لأبي

لهب، وأعتقها أبو لهب لما جاءت تُبَشِّره بولادة الرسول ﷺ.

(وَإِنَّهُ حِيْنَ انْقَلَبْ: هُلْكًا) لما هلك أبو لهب- أخزاه الله- (رُئِي نَوْمًا بِشَرِّ حِيْبَةْ) أي بِشَرِّ حالة، وورد هذا في حديث أن العباس رضي الله عنه وقيل: غيره، رأى رؤيا في المنام أن أبا لهب سُقي قطرات من الماء قدر ما بين السبابة والإبهام، وقيل له: هذه بعتقك ثويبة، أي: كوفئ بعتق ثويبة بأن سُقي قطرات من الماء مكافئةً لعتقه ثويبة.

لكن على كل حال، هناك كلام في اتصال إسناد هذه الرواية، ثم إنها رؤيا منامية، والله جل وعلا أعلم بحقيقة الأمر؛ لأن الذين يحتفلون بالمولد يتعلقون بهذه القصة ويبنون عليها أنها علامة أن يوم المولد يوم شريف.

وفي الحقيقة ليس في القصة دلالة على هذا، فغاية ما في الأمر أنه لو صّحت هذه القصة فغاية ما تفيده أنه خُفِّف عنه شيء يسير من العذاب؛ لأنه أعتق هذه الأَمَة، وكان هذا التخفيف في فترة البرزخ، والله جل وعلا لا يظلم مثقال ذرة سبحانه وتعالى.

١٢- وَبَعْدَهَا «حَلِيْمَةُ السَّعْدِيَّةْ» فَظَفِرَتْ بِالدُّرَّةِ السَّنِيَّةْ
١٣- نَالَتْ بِهِ خَيْرًا وَأَيَّ خَيْرِ مِنْ سَعَةٍ وَرَغَدٍ وَمَيْرِ

يتكلم عن المرضعة الثانية لرسول الله ﷺ بعد ثويبة، وهي حليمة السعدية.

واسمها: حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية نسبةً إلى بني سعد بن بكر قبيلة من قبائل العرب، التي كانت في البادية.

وكان من عادة قريش أن يرسلوا أطفالهم في فترة الرضاع والطفولة إلى البادية؛ ليرضعوا في البادية، ويجلسوا عند أهل البادية؛ ليتعلموا من أهل البادية الشهامة

والشجاعة، ويتعلموا منهم فصاحة اللغة، والاحتمال والصبر، وما في البادية من أخلاق حميدة، فكانت هذه من عادات العرب.

فلما وُلِد النبي ﷺ بعد أن أرضعته ثويبة فترة، بحثوا له عن مرضعة من أهل البادية وأرسلوه إلى حليمة السعدية في بادية بني سعد.

ففازت حليمة السعدية (**بِالدُّرَّةِ السَّنِيَّةْ**) الدرة: هي الجوهرة أو اللؤلؤة، السنية: أي المضيئة، فهنا يُشبه النبي ﷺ بالدرة السنية، ففازت بكنز عظيم وبفضل كبير؛ حيث اختارها الله ﷻ لإرضاع رسول الله ﵊، فـ(**نَالَتْ بِهِ خَيْرًا وَأَيَّ خَيْرِ**) وحصلت لها سعة في رزقها، ورغَد في عيشها، وذلك أنها لما ذهبت لرسول الله ﷺ درَّ اللبن في ثديها وكثُر، وكان عندها ناقة هزيلة فإذا بالناقة تسمن ويكثُر فيها اللبن، وأتانُها كانت بطيئة المشي فإذا بها تسبق غيرها، وكثُر الدَّر في شياهها، فحصل لها رزق وافر، وهو من البركة التي جعلها الله ﷻ في رسوله ﵊.

١٤- أَقَامَ فِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ عِنْدَهَا ... أَرْبَعَةَ الأَعْوَامِ تَجْنِي سَعْدَهَا

أقام النبي ﷺ في البادية عند بني سعد بن بكر أربعة أعوام (**تَجْنِي سَعْدَهَا**) أي تجني العِزّة والشرف والخير الكثير الذي جعله الله ﷻ عندها.

١٥- وَحِيْنَ شَقَّ صَدْرَهُ جِبْرِيْلُ ... خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَثًا يَؤُوْلُ

١٦- رَدَّتْهُ سَالِمًا إِلَى «آمِنَةِ» ... .

لما شق جبريل صدر النبي ﷺ (**خَافَتْ عَلَيْهِ حَدَثًا يَؤُوْلُ**) خشيت أن يحصل له حادث، فيموت عندها عليه السلام، فسعت- رغم فرحها بالنبي ﷺ وسرورها ببقائه عندها- لكن خافت عليه أن يحدث له ضُرّ وهو في حوزتها فردته إلى أُمّه آمنة.

وهنا الإشارة إلى حادثة شق رسول الله ﷺ، فعَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ»**[١] وهذه المرة الأولى التي شُقَّ فيها صدر النبي ﷺ وهو في بادية بني سعد، وكان عمره ﷺ أربعة أعوام، كما مرّ بنا في هذه الرواية.

فالنبي ﷺ أخبر أن الصدر شُقّ من غير ألم ولا دم، فالنبي ﷺ رأى الملكين وعليهما ثياب بيض، وأجلساه، وشقّا صدره فانفتح صدره من غير أن يحس بألم ولا أن يرى دمًا، وأخرجا قلبه عليه السلام فرأى قلبه أُخِذ عليه السلام وشقّا القلب، وأخرجا منه علقة سوداء، أي: قطعة من الدم المتجلط الأسود، فأخذا علقة سوداء فطرحاها، ثم قالا: هذا حظ الشيطان منك، فألقياها بعيدًا، ثم وضعا فيه قطعة بحجمها لونها مثل لون الفضة، وقالا له: هذه الرأفة والرحمة، ثم أعادا قلبه إلى مكانه، وضمّا صدره.

فلمّا علمت حليمة بهذه الواقعة خشيت على النبي ﷺ، وهي لا تعلم ما حصل، أنه أُخِذ بعيدًا وأتاه رجلان وأضجعاه، فخشيت أن أحدًا يريد به سوءًا أو يريد أن يقتله، فأعادته إلى أمه آمنة.

---

[١] صحيح مسلم ١٦٢.

.... وَخَرَجَتْ بِهِ إلى الْمَدِيْنَةِ
١٧- تَزُوْرُ أَخْوَالًا لَهُ، فَمَرِضَتْ رَاجِعَةً وَقُبِضَتْ، فَدُفِنَتْ:
١٨- هُنَاكَ بِالأَبْوَاءِ، وَهُوَ عُمُرُهْ سِتُّ سِنِيْنَ، مَعَ شَيْءٍ يَقْدُرُهْ
١٩- ضَابِطُهُ: بِمِئَةٍ أَيَّامَا وَقِيْلَ: «بَلْ أَرْبَعَةٌ أَعْوَامَا»
٢٠- وَحِيْنَ مَاتَتْ حَمَلَتْهُ «بَرَكَةْ» لِجَدِّهِ بِمَكَّةَ الْمُبَارَكَةْ
٢١- كَفَلَهُ إلى تَمَامِ عُمْرِهِ ثَمَانِيًا، ثُمَّ مَضَى لِقَبْرِهِ

يُخبر أنه لما أعادته حليمة السعدية إلى أُمه آمنة بقي سالمًا عند أمه آمنة حتى أكمل ست سنين، عند ذلك خرجت به أُمه آمنة، ومعها جاريتها بركة الحبشية التي تُكنَى بأم أيمن رضي الله عنها وأرضاها، وذهبت إلى المدينة تزور أخواله من بني النجار، في المدينة النبوية.

فأقامت به عندهم شهرًا، ثم رجعت، وهي راجعة من المدينة إلى مكة مرضت، فماتت في منطقة يقال لها: الأبواء، بين مكة والمدينة، وهي إلى المدينة أقرب، أي في وسط الطريق بين مكة والمدينة، لكن أقرب إلى المدينة، وكان عمر النبي ﷺ في ذلك الوقت ست سنين ومائة يوم.

وَقِيْلَ: «بَلْ أَرْبَعَةٌ أَعْوَامَا» قيل: إن عمر النبي ﷺ كان أربعة أعوام عندما ماتت أمه، لكن الأول أصح أن عمره كان ست سنين ومائة يوم عليه الصلاة والسلام، فرجعت به أم أيمن الحبشية رضي الله عنها، وذهبت به إلى جدّه عبد المطلب، فدفعته إليه.

فكفله جده عبد المطلب حتى صار عمر النبي ﷺ ثماني سنين، ثم توفي عبد المطلب.

وقبل وفاته أوصى ابنه أبا طالب أن يكفل محمدًا عليه الصلاة والسلام وأن يعتني به وبتربيته عليه الصلاة والسلام.

باب ذِكر كفالة أبي طالب له ﷺ

١- أَوْصَى بِهِ جَـدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبْ إِلَى أَبِي طَالِـبِ الْحَـامِي الْحَدِبْ
٢- يَكْفُلُهُ بَعْدُ، فَكَانَتْ نَشْـأَتُهْ طَاهِـرَةً مَأْمُونَـةً غَائِلَتُـهْ

الحدب: أي العطوف.

نشأ ﷺ نشأةً آمنة من المكر والخديعة؛ حيث كان الذين يكفلون النبي ﷺ من العطوفين عليه، الراغبين له في الخير، الحريصين عليه ﷺ.

٣- فَكَانَ يُدْعَى بِـ«الأَمِيْنِ» وَرَحَلْ مَعْ عَمِّهِ لِلشَّـامِ، حَتَّى إِذ وَصَلْ:
٤- بُصْرَى رَأَى مِنْهُ «بَحِيْرَا» الرَّاهِبُ: مَـا دَلَّ أَنَّـهُ النَّـبِيُّ الْعَاقِـبُ
٥- مُحَمَّـدٌ نَـبِيُّ هَـذِي الأُمَّـةْ فَـرَدَّهُ تَخَوُّفًـا مِـنْ ثَمَّـةْ
٦- مِنْ أَنْ يَرَى بَعْضُ الْيَهُودِ أَمْرَهْ وَعُمْـرُهُ إِذ ذَاكَ: ثِنْتَـا عَـشْرَةْ

انتقل النبي ﷺ بعد ذلك إلى كفالة عمه أبي طالب، وكان أبو طالب عطوفًا عليه، مشفقًا عليه، حتى إنه كان لشدة حبه للنبي ﷺ يُؤّخر عشاء أولاده حتى يحضر محمد ﷺ، فألقى الله ﷻ في قلب أبي طالب محبة طبيعية للنبي ﷺ، وعطفًا عليه؛ ليتولى نصْره والدفاع عنه ﷺ.

وكان أبو طالب فقيرًا؛ فكثُر ماله لما آوى النبي ﷺ إليه، فكانت بركة النبي ﷺ ملازمةً لكل مَنْ كفَلَه ﷺ.

(**فَكَانَ يُدْعَى بِـ«الأَمِيْنِ»**) ﷺ، فكان قومه يلقبونه بالأمين، وكانوا يلقبونه بـ(الصادق) أيضًا ﷺ لما رأوا من أمانته وصدْقه.

ولما بلغ اثنتي عشرة سنة، رحل مع عمّه أبي طالب إلى الشام، للتجارة حتى إذا وصلا إلى بُصرى - وهي مدينة بالشام غير البصرة التي بالعراق-.

فلما وصلا إلى بُصرى، مرا براهب يقال له: بَحيرا، بفتح الباء، بَحيرا الراهب، وكلمة الراهب: من الرهب الذي هو الخوف، فهو راهب؛ لأنه يرهب الله ﷻ أي يخاف الله ﷻ، فهي كلمة تُطلَق على عُبّاد النصارى الذين كانوا يخلون بأنفسهم ويهجرون الناس، ويعتكفون في الأديرة والكنائس.

فمرَّ ببَحيرا الراهب، فرأى بَحيرا ما دلّه على أن النبي ﷺ هو (**نَبِيُّ هَذِي الأُمَّةْ**) وكان النبي ﷺ له ذِكْر في كتب أهل الكتاب، وكان أهل الكتاب ينتظرون مبعث النبي ﷺ، كما جاء في قصة سلمان الفارسي لما مر سلمان على عدد من رهبان أهل الكتاب، وكل واحد منهم يحيله إلى آخر، حتى ذهب إلى آخرهم، فقال: لا أعلم أحدًا بقي على ظهر الأرض على مثل ما كنّا عليه، ولكن هذا زمان مبعث النبي الخاتم، مُهاجره يثرب، فاذهب إليها فانتظره هناك.

فكانوا يعلمون أن النبي ﷺ قد اقترب موعد بعثته، وكانوا يتسمعون الأخبار وينتظرون سماع الخبر ببعثة النبي ﷺ.

فلما جاء النبي ﷺ وهو طفل مع عمّه أبي طالب، ورآه بحيرا الراهب فرأى علامات عرف منها أنه هو النبي الخاتم ﷺ فقالوا: إنه رأى غمامة تظله من بين القوم وهو راكب.

ولما نزل النبي ﷺ تحت شجرة، انحنت أغصان الشجرة حتى أظلّت النبي ﷺ.

فصنع بَحيرا الراهب طعامًا، وأضاف القوم الذين فيهم النبي ﷺ، وقال لعمه أبي طالب: ارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود، أن يروا بعض صفاته فيعرفوا أنه النبي المبعوث من العرب فربما تحيلوا على اغتياله، فإنه كائن له شأن عظيم.

٧- ثُمَّ مَضَى (لِلشَّامِ) مَعْ مَيْسَرَةِ | فِي مَتْجَرٍ، وَالْمَالُ مِنْ خَدِيْجَةِ
٨- مِنْ قَبْلِ تَزْوِيجٍ بِهَا، فَبَلَغَا | بُصْرَى، فَبَاعَ وَتَقَاضَى مَا بَغَى
٩- وَقَدْ رَأَى مَيْسَرَةُ الْعَجَائِبَا | مِنْهُ، وَمَا خُصَّ بِهِ مَوَاهِبَا
١٠- وَحَدَّثَ السَّيِّدَةَ الْجَلِيْلَةْ | خَدِيْجَةَ الْكُبْرَى، فَأَحْصَتْ قِيْلَهْ
١١- وَرَغِبَتْ فَخَطَبَتْ مُحَمَّدَا | فَيَا لَهَا مِنْ خِطْبَةٍ مَا أَسْعَدَا
١٢- وَكَانَ إِذْ زَوَّجَهَا ابْنَ خَمْسِ | مِنْ بَعْدِ عِشْرِيْنَ بِغَيْرِ لَبْسِ

بعد ذلك رجع النبي ﷺ مرة أخرى إلى الشام في التجارة لما بلغ خمسًا وعشرين سنة ﷺ، وهناك رواية ضعيفة، لا تصح أن هناك مرّة بينهما، ذهب فيها النبي ﷺ مع بلال إلى الشام، وأن أبا بكر بعث بلالًا مع النبي ﷺ إلى الشام ، وهذه الرواية غير صحيحة؛ لأنه حسب هذه الرواية كان عمر النبي ﷺ اثنتي عشرة سنة، وكان أبو بكر عمره عشر سنوات، ولم يكن بلال مملوكًا لأبي بكر في هذا الوقت، وأبو بكر كان عمره عشر سنوات، ولا يمكن أن يكون بعث بلالًا مع النبي ﷺ إلى الشام بعد أن رجع مع أبي طالب.

فذهب إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة، وكان ﷺ يرعى الغنم قبل أن يخرج في التجارة مع خديجة رضي الله عنها فقال له عمه أبو طالب: إن خديجة ترسل مَنْ يتجر لها فيصيبون

منافع، فلو جئتها لأسرعت إليك، فبلغ الخبر خديجة فأرسلت إلى النبي ﷺ وقالت: أُعطيك ضعف ما أعطي غيرك؛ لأمانتك، وكان يُلقَّب بالأمين عليه الصلاة والسلام.

فأجاب النبي ﷺ وخرج مع غلامها ميسرة، وذلك قبل أن يتزوج خديجة رضي الله عنها وأرضاها.

(**فبَلَغَا بُصْرَى**) وصل النبي ﷺ أيضًا إلى مدينة بصرى في الشام، وهذه ثالث مرة يأتي ذِكْر هذه المدينة، (**فَبَاعَ وَتَقَاضَى مَا بَغَى**) أي باع البضائع التي حملها معه من مكة، واشترى بضائع من الشام؛ ليجلبها إلى مكة ليبيعها فيها عليه الصلاة والسلام، وورد أنه في هذه الرحلة أن النبي ﷺ مرّ براهب يقال له: نسطورا الراهب، راهب آخر أيضًا من رهبان النصارى في الشام، لمح على النبي ﷺ أمارات وعلامات تدل على نبوته.

فسأل ميسرة: مَنْ هذا؟ قال: رجل من قريش، فقال لميسرة-و كان النبي ﷺ جلس تحت شجرة بجوار الدير الذي فيه نسطورا هذا- فقال له: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، فكانت هذه من ضمن الأمور العجيبة التي رآها ميسرة في هذه الرحلة.

ورأى ميسرة أمورًا أخرى عجيبة حدَّث بها خديجة رضي الله عنها لما رجع، منها: أن النبي ﷺ اختلف مع رجل في بيع سلعة، فاستحلف الرجل النبي ﷺ وقال له: أتحلف باللات والعزى أنك اشتريتها بكذا؟ فقال النبي ﷺ: ما حلفت بهما قط ولا أفعل، فصدقه الرجل، وقال: أنت صادق فيما تقول.

وربح النبي ﷺ في هذه التجارة ضعف ما كان يربح غيره من التجار، فرأت خديجة رضي الله عنها بركة في اتجار النبي ﷺ لها.

فلما حدّثها ميسرة بما رأى من العجائب، والأمانة، والصدق، وأشياء في رحلته مع الرسول ﷺ (**فَأَحْصَتْ قِيْلَهْ**) أي حفظت ما قاله ميسرة، ووعت ما قاله (**فَخَطَبَتْ**

مُحَمَّدًا) عليه السلام، أي أرسلت خديجة امرأة إلى النبي ﷺ تعرض عليه الزواج بخديجة رضي الله عنها، وقالت للنبي ﷺ: أرأيت لو أن خديجة رغبت بالزواج بك، أتتزوجها ؟ فسُرّ النبي ﷺ بذلك، لما عُرفت به خديجة رضي الله عنها أيضًا من السيرة الحسنة، فتزوجها النبي ﷺ، وكان عمر النبي ﷺ خمسًا وعشرين سنة، وكان عمر خديجة رضي الله عنها أربعين سنة رضي الله عنها، وكانت قد تزوجت قبل النبي ﷺ رجلين، وكان لها ابنان من زوجيها السابقين، أحد زوجيها السابقين هو أبو هالة، وابنه اسمه هند بن أبي هالة، وهند هنا اسم لرجل، وهو ربيب النبي ﷺ، وهو الذي سيأتينا وصْفه لرسول الله ﷺ.

قصة بناء الكعبة

١- وَإِذْ بَنَتْ قُرَيْشٌ الْبَيْتَ: اخْتَلَفْ مُلاَؤُهُـمْ تَنَـازُعًا، حَـتَّى وَقَفْ

مُلاؤهم أو مِلاؤهم: أي: ملؤهم،كبراؤهم وأشرافهم.

تنازعًا: يعني حصل بينهم تنازع بين ملئهم أي: بين كبرائهم، وأشرافهم وهم يبنون البيت.

وذلك أن الكعبة المشرفة أصابها سيْل قبل بعثة النبي ﷺ، فاجتمعت قريش لبناء الكعبة، وكما ذكرنا، كان عندهم بقايا من شريعة إبراهيم عليه السلام فكان مما قالوا: لا يدخل في بناء البيت- الكعبة- مال حرام، فقالوا: نجمع من أموالنا من المال الحلال، لا يدخل فيها درهم ربًا، ولا مهر بغي، ولا حلوان كاهن. يعني أي مال اكتُسب من الربا، أو حُلوان كاهن (شخص تكهن وأخذ أجرة على الكهانة)، ومهر البغي (يعني امرأة زنت وأخذت أُجرة) هذه الأموال لا توضع في بناء الكعبة، وأخذوا يجمعون من المال الحلال، فكانوا يعرفون أن هذه الأموال محرمة.

فقصرت بهم النفقة، يعني لم تكن عندهم نفقة كافية لبنائها على نفس الطريقة التي كانت عليها قبل الانهدام؛ فلهذا قصّروا.. أي: ما استطاعوا إدخال الحجر في بناء الكعبة وقللوا من ارتفاعها، ولم يُدخلوا فيها الحِجْر: الجزء المقوس هذا لم يستطيعوا إدخاله فاكتفوا بتحديده، مع أن الحِجْر هذا كان داخلًا في بناء الكعبة الذي بناه إبراهيم عليه السلام، وكان ارتفاعها أكثر مما كانت عليه فالمهم أنهم جمعوا أموالًا وبدؤوا يبنون الكعبة، فلما انتهوا من البناء ووصلوا إلى موضع وضْع الحجر الأسود، اختلفوا فيمَن يضع الحجر الأسود، فكل قبيلة قالت: نحن الأحق بوضْع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا يقتتلون فيما بينهم، بسبب تنازعهم على وضْع الحجر الأسود في مكانه.

٢- أَمْرُهُـمُ فِيْمَنْ يَكُـونُ يَضَعُ   الْحَجَـرَ الأَسْـوَدَ حَيْـثُ يُوْضَعُ؟

فاتفقوا فيما بينهم على أن يُحكّموا أول داخل إلى البيت، قالوا: أول داخل يدخل إلى البيت نُحكّمه في أمرنا، فكان أول مَنْ دخل عليهم البيت نبينا محمد ﷺ.

٣- إذ جَـاءَ قَالُوْا كُلُّهُـمْ: «رَضِيْنَا   لِوَضْعِـهِ مُحَمَّـدَ الأَمِيْنَـا»

فلما دخل محمد ﷺ فكلهم استبشروا بهذا؛ لعِلمهم بأمانته ﷺ، وأنه يحكم بالعدل، كلهم استبشروا، وقالوا: رضينا بمحمد الأمين ﷺ يحكم في المسألة، ولو أراد أن يضعه هو وضعه.

٣- فَحُـطَّ فِي ثَوْبٍ وَقَـالَ: «يَرْفَعُ   كُلُّ قَبِيْـلٍ طَرَفًـا»، فَرَفَعُـوْا

(فَحُطَّ فِي ثَوْبٍ) فأشار عليهم النبي ﷺ أن يضعوا الحجر الأسود في ثوب، أي: يأتون بثوب ويُمسِك كل رئيس قبيلة بطرف من أطراف الثوب، ووضع النبي ﷺ الحجر في الثوب فاشتركوا كلهم في حمْله حتى قرّبوه من موضعه ووضعه النبي ﷺ بيده الشريفة في مكانه.

(كُلُّ قَبِيْلٍ) يعني كل قبيلة ترفع طرفًا.

٥- ثُمَّـتَ أَوْدَعَ الأَمِـيْنُ الْحَجَرَا   مَكَانَـهُ، وَقَـدْ رَضُوْا بِمَـا جَرَى

(ثُمَّتَ) يعني ثم.

وقالوا: كانت هذه الحادثة لما بلغ عمر النبي ﷺ خمسة وثلاثين سنةً.

والكعبة المشرفة بُنيت وانهدمت وتكرر هذا مرات في التاريخ:

فأول بناء للكعبة: قيل بَنَته الملائكة لآدم عليه السلام.

وقيل: أوّل بناء: بناء شيث بن آدم، لكن الأول أصح: (إن الملائكة بَنَت الكعبة لآدم عليه السلام)، وربما شيث بن آدم- وهو نبي أيضًا عليه السلام- ربما هو جدّد بناء الكعبة.

وبعد ذلك بناها إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام وجد قواعد البيت، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[البقرة: ١٢٧] فوجد قواعد البيت موجودة، وأكمل البناء ورفعه.

ثم انهدم بالسيل في هذه المرة التي بَنَته فيها قريش، فلما بَنَت قريش الكعبة- هذه المرة التي شارك فيها النبي ﷺ ووضع الحجر أخرجوا منها الحِجْر وقصّروا من ارتفاعها، ورفعوا بابها، فالكعبة كان لها بابان (باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون)، فأغلقوا أحد البابين، وجعلوا لها بابًا واحدًا، ورفعوه حتى لا يُصعَد إليه إلا بدرج أو سلم؛ لتكون حكرًا على كبرائهم. فبنوها بهذه الطريقة.

النبي ﷺ قال: «**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ**»[١] فالنبي ﷺ كان يريد أن يعيد بناء الكعبة كما كانت على عهد إبراهيم عليه السلام قال: ولكن قومك قصُرت بهم النفقة فما بنوها كما كانت على عهد إبراهيم.

---

[١] صحيح مسلم ١٣٣٣.

لكن النبي ﷺ ترك إعادة بناء الكعبة على وضْعها الصحيح منْعًا للفتنة، وهذا الحديث فيه مراعاة المصالح، والمفاسد، والموازنة بينها، وأن الإنسان قد يترك شيئًا من الخير إذا كان يترتب عليه مفسدة أكبر، فإعادة بناء الكعبة على البناء الصحيح هذه مصلحة ولكن فيها مفسدة وهي التي بينها ﷺ قال: «لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية» فلو هدم النبي ﷺ الكعبة لقالوا: هدم الكعبة، وهم يُعظّمونها، وربما حصلت فتنة بين الناس، فتركها النبي ﷺ على حالها.

ولما وقعت المعركة بين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وبني أُمية، كان الحجاج بن يوسف الثقفي قائد الجيش من قِبَل بني أُمية، ونصب المنجنيق على جبل أبي قُبيس- الجبل المشرف على الكعبة- وهدم الكعبة، وكان ابن الزبير قد هدمها قبل ذلك، وأعاد بناءها على بناء إبراهيم واستدل بالحديث النبوي، وأن النبي ﷺ كان راغبًا في ذلك.

فلما حصلت الحرب هدمها الحجاج بن يوسف وأعاد بناءها كما كانت في عهد النبي ﷺ.

فاستمرت كذلك في عهد بني أمية، فلما جاء العباسيون، وتولى هارون الرشيد استشار الإمام مالكًا رحمه الله في أن يهدم الكعبة، ويعيدها على بناء ابن الزبير، فقال الإمام مالك رحمه الله: ناشدتك الله يا أمير المؤمنين، أن لا تجعل هذا البيت لعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس.

فتُركت على هذا الوضع إلى وقتنا هذا.

طبعًا حصلت سيول، فانهدمت منها أشياء وتجدد بناؤها، لكن ظلت على البناء الذي كانت عليه في زمن النبي ﷺ.

باب كيف كان بدء الوحي؟

١- حَـتَّى إذَا مَــا بَلَـغَ الرَّسُــولُ ... الأَرْبَعِــيْنَ: جَــاءَهُ جِبْرِيْــلُ
٢- وَهُــوَ بِغَــارٍ بِحِــرَاءٍ مُخْتَــلِي ... فَجَاءَهُ بِالْــوَحْيِ مِنْ عِنْــدِ الْعَلِي
٣- فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ، وَكَانَ قَدْ خَلَتْ ... مِنْ شَــهْرِ مَــوْلِدٍ ثَمَــانٍ إنْ ثَبَتْ
٤- وَقِيْلَ: «فِي سَابِعِ عِشْرِيْ رَجَبِ» ... وَقِيْلَ: «بَلْ فِي رَمَضَــانَ الطَّيِّبِ»
٥- قَالَ لَهُ: «اقْــرَأْ»، وَهُوَ فِي الْمِرَارِ ... يُجِيْــبُ نُطْقًــا: «مَا أَنَــا بِقَارِيْ»
٦- فَغَطَّــهُ ثَلاَثَــةً حَــتَّى بَلَــغْ ... الْجَهْــدَ، فَاشْــتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَــغْ
٧- أَقْــرَأَهُ جِبْرِيْــلُ أَوَّلَ «الْعَلَقْ» ... قَــرَأَهُ كَمَــا لَهُ بِــهِ نَطَــقْ

هنا يتكلم عن بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، وكان أول ما بُدئ به النبي ﷺ من الوحي: الرؤيا الصالحة، كما في الصحيحين من حديث **عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ:** **«أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: « فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الأكرم} « فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ،**

فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رضي الله عنها- فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ»[١]

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، قالوا: هذه الفترة كانت ستة أشهر قبل مجيء الوحي إليه عليه الصلاة والسلام.

وقبل فترة الرؤيا الصالحة كانت فترة يسمع فيها تسليم الحجر والشجر، يمر في الطريق ﷺ فيسمع صوتًا يُسلِّم عليه، ولا يرى أحدًا، وهو تسليم الشجر والحجر على النبي ﷺ، وهو مار في الطريق فيسمع الشجر والحجر يُسلِّم عليه- عليه الصلاة والسلام-.

بعد ذلك جاءت فترة الرؤيا الصالحة، فتتتابع عليه الرؤى عليه الصلاة والسلام فلا يرى رؤية إلا جاءت مثل فلق الصبح، يعني تتحقق تمامًا مثلما رآها عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك جاءه الوحي، وكان قد حُبِّب إليه الخلاء ﷺ ، حُبِّب إليه أن يختلي

[١] متفق عليه: البخاري٣ ومسلم١٦٠.

بنفسه في غار حراء، في مكان ينأى فيه النبي ﷺ بنفسه، فكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها تزوده بالطعام والشراب، فيعتكف في الغار الليالي ذوات العدد، يتعبّد لله سبحانه وتعالى كان يعبد الله على ملة إبراهيم عليه السلام فكان يعبد الله جل وعلا ويخلو بنفسه في غار حراء الليالي ذوات العدد حتى ينفد ما معه من الزاد فيرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها فيذهب إلى الغار عليه الصلاة والسلام.

وعندما بلغ الرسول ﷺ الأربعين سنةً (جَاءَهُ جِبْرِيْلُ) عليه السلام (وَهُوَ بِغَارٍ بِحِرَاءٍ مُخْتَلِي) في غار في جبل حراء.

(فَجَاءَهُ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ الْعَلِي) من عند الله سبحانه وتعالى.

(فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ) كان الوحي إلى النبي ﷺ في يوم الاثنين، النبي ﷺ وُلِد يوم الاثنين، وأُوحي إليه يوم الاثنين، وهاجر يوم الاثنين، وتُوفي يوم الاثنين عليه الصلاة والسلام.

(وَكَانَ قَدْ خَلَتْ) يعني: يقول إن مجيء الوحي إلى النبي ﷺ كان في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول.

(وَقِيْلَ: «فِي سَابِعِ عِشْرِيْ رَجَبِ») وقيل في السابع والعشرين من رجب.

(وَقِيْلَ: «بَلْ فِي رَمَضَانَ الطَّيِّبِ») وقيل: بل أوّل ما جاءه الوحي في رمضان الطيب.

وأصح هذه الأقوال أنه في شهر رمضان، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢﴾[القدر: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥]، فالقرآن أُنزِل في ليلة القدر، وليلة القدر في رمضان.

لكن الفريق الذي يقول: إن الوحي كان في شهر ربيع أو شهر رجب، يقولون:

المقصود بنزول القرآن في رمضان: نزول القرآن جملةً؛ لأن القرآن أُنزِل تنزيلين:

التنزيل الأول: هو تنزيل القرآن جملةً مكتوبًا من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

والتنزيل الثاني: هو نزوله مُفَرَّقًا على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة.

والصواب: أن نزول القرآن جملةً إلى السماء الدنيا، هذا كان في ليلة القدر من رمضان، ونزوله مُفرَّقًا على النبي ﷺ كانت بدايته أيضًا في رمضان.

الذين قالوا: إن القرآن نزل في ربيع الأول، قالوا: يمكن التوفيق؛ لأن الرؤيا الصالحة التي كانت مبدأ الوحي استمرت ستة أشهر، وشهر رمضان هو الشهر التاسع في السنة الهجرية، وربيع الأول هو الشهر الثالث في السنة الهجرية، فقالوا: لعل الأحاديث التي فيها أن بدء الوحي كان في ربيع الأول، يقصد بالوحي فيها: البدء بالرؤيا الصالحة، أي: أن الرؤيا استمرت ستة أشهر، ثم نزول سورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾كان في رمضان، يعني بعد ستة أشهر من الرؤيا، فإذا ضُمّت إلى مدة الوحي فسيظهر لنا أن بداية الوحي في ربيع، لكن بداية نزول سورة «اقرأ» الصواب: أنها كانت في شهر رمضان.

قال: فجاءه الوحي، والمقصود هنا: مجيء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ.

(قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ») وتكرر هذا ثلاث مرار.

(وَهُوَ فِي الْمِرَارِ) يعني وهو في المرات الثلاث.

(يُجِيْبُ نُطْقًا: «مَا أَنَا بِقَارِيْ») يعني جاء جبريل إلى النبي ﷺ، وغطّه: يعني ضمّه إليه.

٦- فَغَطَّـهُ ثَلاَثَـةً حَـتَّى بَلَـغْ   الْجَهْـدَ، فَاشْـتَدَّ لِذَاكَ وَانْصَبَـغْ

(فَاشْتَدَّ): يعني قوي وصلُب جسمه.

(وَانْصَبَغْ): يعني اكتسب جلدًا وقوةً ﷺ لما ضمّه الملك إليه، فالملك ضمّ النبي ﷺ حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله (قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ») قال: («مَا أَنَا بِقَارِيْ»)، فضمّه المرة الثانية وأرسله، وقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، ثلاث مرات، كل مرة النبي ﷺ يقول: ما أنا بقارئ، فيضمه الملك إليه ثم يرسله، ويقول له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فقال له: اقرأ. بعد المرة الثالثة قال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

٧- أَقْـرَأَهُ جِبْرِيْـلُ أَوَّلَ «الْعَلَقْ»   قَـرَأَهُ كَمَـا لَهُ بِـهِ نَطَـقْ

أي: فقرأه النبي ﷺ كما سمعه من جبريل عليه السلام وجبريل عليه السلام سمعه من رب العالمين سبحانه وتعالى.

٨- وَكَوْنُ ذَا الأَوَّلَ فَهْوَ الأَشْـهَرُ   وَقِيْـلَ: «بَـلْ يَـا أَيُّهَـا الْمُدَّثِّرُ»
٩- وَقِيْـلَ: «بَلْ فَاتِحَـةُ الْكِتَابِ»   وَالأَوَّلُ: الأَقْـرَبُ لِلصَّـوَابِ

يعني كون أول ما أُنزِل من القرآن هو سورة العلق، أو أوائل سورة العلق، فهذا هو القول الأشهر الصحيح.

ثم يشير المؤلف إلى الآراء الأخرى، فطريقته أنه يذكر القول الصحيح، ويشير إلى

الأقوال الأخرى، فقال: هناك أقوال أخرى منها: أن أول ما أُنزل على النبي ﷺ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) وهذا قول جابر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه وجماعة من العلماء، قالوا: أول سورة أُنزلت على النبي ﷺ: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

ولعلهم يقصدون بذلك أول ما أُنزل بعد فترة الوحي، فقد انقطع الوحي فترةً بين العلق والمدثر. أو أنه أوّل ما أُرسل به، قالوا: نُبِّئ بالعلق وأُرسِل بالمدثر، فلعلهم يقصدون أول ما أُنزِل، يعني أولية مُقيّدة، إما أولية بعد الفترة أو أولية الرسالة، فأول ما أُنزل يأمره بالتبليغ هي سورة المدثر؛ لأن سورة العلق ليس فيها أمر بالتبليغ، فهذا على القول بأن النبي هو مَنْ أُوحي إليه بوحي ولم يُؤمَر بالبلاغ، فقالوا: النبي ﷺ نُبِئ بسورة العلق، يعني أُوحي إليه لكن لم يؤمَر بالبلاغ.

ثم بالمدثر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢].

هنا أُمِر بالتبليغ فيكون أوّل ما أُنزل فيه أمر بالتبليغ.

(وَقِيلَ: «بَلْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ») قيل: إن أول ما أُنزِل على النبي ﷺ فاتحة الكتاب، وهذا رأي آخر، ولكنه لا يصح.

(وَكَوْنُ ذَا الأَوَّلَ فَهْوَ الأَشْهَرُ) هذا القول الأشهر والأصح، والذي عليه أكثر العلماء.

قال: (وَالأَوَّلُ: الأَقْرَبُ لِلصَّوَابِ) كما نبّه المؤلف، القول الأول: أن أول ما أُنزل من القرآن هو العلق، هذا هو الأقرب للصواب.

١٠- جَـاءَ إِلَى (خَدِيجَـةَ) الأَمِينَةْ   يَشْـكُو لَهَا: مَـا قَـدْ رَآهُ حِينَهْ

١١- فَثَبَّتَتْـهُ؛ إِنَّهَـا مُوَفَّقَـةْ   أَوَّلُ مَـا قَـدْ آمَنَـتْ مُصَدِّقَـةْ

يقول: إن النبي ﷺ جاء إلى خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكانت صاحبة سره، يأتمنها عليه الصلاة والسلام، ويشكو إليها ما يجد عليه الصلاة والسلام.

فجاء إليها النبي ﷺ فشكا إليها ما رأى من نزول الملك عليه، وأن الملك غطّه غطًّا شديدًا، وجاء النبي ﷺ يرجف فؤاده عليه الصلاة والسلام فقد أصابه فزع عليه الصلاة والسلام من هول ما رأى.

فجاء إلى خديجة (**يَشْكُو لَهَا: مَا قَدْ رَآهُ حِيْنَهْ**) يعني فور نزول الوحي عليه ذهب مسرعًا إلى خديجة رضي الله عنها.

(**فَثَبَّتَتْهُ؛ إِنَّهَا مُوَفَّقَةْ**) فكانت موفقة رضي الله عنها فثبتت النبي ﷺ، قالت له: والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة.

المعدوم: الذي ليس له مصدر للرزق، كان النبي ﷺ يكسبه يعني يعطيه.

ويحمل الكَلّ: الكَلّ أي العاجز، يحمله النبي ﷺ.

قالوا: هذا يشمل الحمل الحسي بمعنى العاجز عن ركوب الدابة مثلًا يحمله فيُركبه عليها، أو الحمل المعنوي بمعنى يتحمل النبي ﷺ ما على العاجز من الأعباء فيساعده فيها.

وتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق؛ يعني إذا رأى إنسانًا مبتلًى، أو نزلت به ضائقة في دنياه أعانه عليه الصلاة والسلام وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة... فهذه صفات النبي ﷺ.

فثبتت النبي ﷺ، قالت: مَنْ كان على مثل صفاتك لا يمكن أن يخزيه الله جل وعلا أبدًا.

(**أَوَّلُ مَا قَدْ آمَنَتْ مُصَدِّقَةْ**) فكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أوّل مَنْ صدّق النبي ﷺ، وأوّل مَنْ آمن به على الإطلاق.

١٢- ثُـمَّ أَتَتْ بِـهِ تَـوُمُّ «وَرَقَةْ»	قَـصَّ عَلَيْــهِ مَــا رَأَى، فَصَدَّقَهْ
١٣- فَهْـوَ الَّذِي آمَنَ بَعْـدُ ثَانِيَا	وَكَانَ بَـرًّا صَادِقًـا مُوَاتِيَـا
١٤- وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: «إِنَّهْ	رَأَى لَهُ تَخَضْخُضًـا فِي الْجَنَّـةْ»

مواتيًا: يعني موافقًا.

(تَخَضْخُضًا) يعني حركةً، يعني رآه النبي ﷺ يتحرك في الجنة.

وورقة بن نوفل هو ابن عم خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وكان امرأً قد تنصّر، وكان يكتب الكتاب العبراني كما في صحيح البخاري، وفي الرواية الأخرى: كان يكتب الكتاب العربي، فكان يكتب بالعربية والعبرانية في نفس الوقت، يُحسِن اللغتين وينقل الإنجيل من العبرانية إلى العبرية.

وكان ورقة بن نوفل رضي الله عنه واحدًا من الحنفاء الذين كانوا يعبدون الله وحده في مكة على ملة إبراهيم عليه السلام هو وزيد بن عمرو بن نفيل وآخرون، فقد رحل هو وزيد إلى الشام للبحث عن الدين الحق، -والشام كان فيها كبار علماء النصارى- فذهبوا إلى الشام يستمعون إلى علماء النصارى، وإلى ما عندهم من الكتب.

فأما زيد بن عمرو فبقي على ملة إبراهيم- عليه السلام- وأما ورقة بن نوفل فتنصّر، كان على شريعة إبراهيم عليه السلام، فانتقل إلى شريعة عيسى عليه السلام.

وقال العلماء: إنه قبل بعثة محمد ﷺ كان كل مَنْ وحّد الله سبحانه وتعالى ويتعبد لله جل جلاله على شريعة أي نبي من الأنبياء السابقين بحسب ما بلغه فهو ناجٍ، لذلك فمثل زيد بن عمرو بن نوفيل قد أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة، وهو قد مات قبل بعثة النبي ﷺ، لكنه كان موحدًا، وقال النبي ﷺ: «**وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا**

بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»[١] «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم» و**الْمَقْتُ: أَشَدُّ الْبُغْضِ، وَالْمُرَادُ بِهَذَا الْمَقْتِ وَالنَّظَرِ: مَا قَبْلَ بَعْثَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْمُرَادُ بِبَقَايَا أَهْلِ الْكِتَابِ: الْبَاقُونَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِهِمُ الْحَقِّ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلٍ**. فكان هناك بقايا من أهل الكتاب يوحدون الله ﷻ ولا يشركون به شيئًا، فهؤلاء لم يمقتهم الله ﷻ بل هم من الناجين.

وهذا قبل بعثة النبي ﷺ، أما بعد بعثته فلا يقبل الله ﷻ من أحد دينًا غير دين الإسلام، ولا شريعة غير شريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

المهم أن ورقة تنصّر، وتعلّم الإنجيل في الشام، وكان يكتب الكتاب العبراني، وينقله إلى العربية.

فذهبت خديجة بالنبي ﷺ إلى ابن عمّها ورقة وقالت: يا ابن عمي، اسمع من ابن أخيك، فقصّ عليه ما رآه، فصدقه ورقة بن نوفل، وقال: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، وهذه القصة في الصحيحين كما مر.

قال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى. **قال الحافظ في الفتح: «وَالنَّامُوسُ: صَاحِبُ السِّرِّ كَمَا جَزَمَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ فِي أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء. وَزعم ابن ظَفَرٍ: أَنَّ النَّامُوسَ: صَاحِبُ سِرِّ الْخَيْرِ، وَالْجَاسُوسَ: صَاحِبُ سِرِّ الشَّرِّ. وَالْأَوَّلُ الصَّحِيحُ، الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ. وَقَدْ سَوَّى بَيْنَهُمَا رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ أَحَدُ فُصَحَاءِ الْعَرَبِ. وَالْمُرَادُ بِالنَّامُوسِ هُنَا: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»**[٢] فقال: إنه الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، يعني ليتني كنت شابًّا قويًّا؛ لأن ورقة كان شيخًا قد هرِم، فقال: ليتني كنت فيها جذعًا.

---

[١] جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ٢٨٦٥.

[٢] فتح الباري٢٦/١.

قال ورقة للنبي ﷺ: ليتني أكون حيًّا إذ يخرجني قومك. قال: أومخرجي هم؟! قال: نعم، لم يأتِ رجل بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك، أنصرك نصرًا مؤزرًا.

أي: لو جاء اليوم الذي يعاديك فيه قومك، وأنا على قيد الحياة سأنصرك نصرًا مؤزرًا-.

فكان هذا خبر ورقة، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ثم لم يلبث ورقة أن توفي، رضي الله عنه.

قال: (**فَهْوَ الَّذِي آمَنَ بَعْدُ ثَانِيَا**) يقول: ثاني مَنْ أسلم بعد خديجة رضي الله عنها هو ورقة بن نوفل رضي الله عنه.

ولذلك فإن القول الصحيح، الصواب الذي عليه أكثر علماء أهل السُّنة: عدّ ورقة رضي الله عنه من الصحابة، والترضي عنه رضي الله عنه وأنه آمن لورود أحاديث تدل على ذلك، فمنها: أن النبي ﷺ: (**رَأَى لَهُ تَخَضْخُضًا فِي الْجَنَّهْ**) أو رآه يتخضخض في الجنة يعني يتحرك فيها عليه السلام.

وأخبر النبي ﷺ أنه رأى لورقة في الجنة درجتين، ورآه ﷺ وعليه لباس أخضر.

فرؤيته يتحرك في الجنة قيل: هذا كان يوم الإسراء، والرؤى التي بعد ذلك رؤى منامية، رآها النبي ﷺ له، ورؤى الأنبياء حق، فرأى لورقة درجتين في الجنة، ورآه في الجنة وعليه لباس أخضر، واللباس الأخضر: لباس أهل الجنة.

فهذه كلها علامات على أنه من أهل الجنة، وآمن بالنبي ﷺ لأنه قال: ليتني كنت جذعًا حين يُخرجك قومك فأنصرك نصرًا مؤزرًا، وهذا إيمان به ﷺ.

فلذلك نرى الحافظ العراقي هنا يعدّه ثاني مَنْ أسلم من الصحابة بعد خديجة رضي الله عنها.

باب ذِكْر قدر إقامته ﷺ بمكة بعد البعثة

١- أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ الْبِعْثَةِ:	ثَلَاثَ عَشْرَةَ بِغَيْرِ مِرْيَةِ
٢- وَقِيلَ: «عَشْرًا» أَوْ «خَمْسَ عَشْرَةْ»	قَوْلَانِ وَهَّنُوْهُمَا بِمَرَّةْ

يقول: إن النبي ﷺ أقام بعد البعثة في مكة ثلاث عشرة سنة.

(بِغَيْرِ مِرْيَةِ) يعني بغير شك.

فهذا هو القول الصحيح، ودائمًا يذكر القول الراجح ويشير إلى الأقوال الأخرى المرجوحة.

قال: (وَقِيلَ: «عَشْرًا») يعني في رأي مرجوح أنه أقام في مكة عشر سنين بعد البعثة.

وقيل: («خَمْسَ عَشْرَةْ»)..

والأقوال في المدة التي أقامها ﷺ بمكة بعد البعثة - أجابوا عن سبب الاختلاف فيها فقالوا: إما أنه على سبيل التقريب؛ لأن ثلاث عشرة يمكن أن تُقرَّب إلى عشر أو تُقَرَّب إلى خمس عشرة، يعني الذين قالوا: أقام بمكة عشرًا يقصدون على سبيل التقريب، أو خمس عشرة سنة يعني على سبيل التقريب، وليس على سبيل التحديد، لكن الذين ذكروا ثلاث عشرة سنة فهؤلاء يقصدونها تحديدًا.

وهناك رأي آخر، يقول: إنه يُحتمَل أن الذين قالوا: إنه ﷺ أقام خمس عشرة سنة حسبوا معها الفترة التي كان يسمع فيها تسليم الحجر والشجر، ويسمع الصوت، وفترة الرؤية الصالحة، فحسبوا هذه من ضمن مدة الوحي فجعلوها خمس عشرة سنة.

والذين قالوا: عشر سنين، قالوا: يُحتمَل أيضًا أنهم قصدوا المدة التي كان النبي ﷺ

يجهر فيها بالدعوة، ولم يحسبوا مدة الإسرار بالدعوة؛ لأنه كان يدعو سرًّا ثلاث سنوات.

فإما أن هذا هو القصد، أو القصد: التقريب.

لكن الصواب: أنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة عليه الصلاة والسلام.

٣- فَكَانَ فِي صَلاَتِهِ يَسْتَقْبِلُ بِمَكَّةَ: الْقُدْسَ، وَلَكِنْ يَجْعَلُ:

٤- الْبَيْتَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَيْضًا فِيمَا أَتَى تَطَوُّعًا أَوْ فَرضًا

إن النبي ﷺ وهو في مكة كان يستقبل بيت المقدس- وهي قبلة الأنبياء السابقين -صلوات الله وسلامه عليهم- وهي قبلة المسلمين الأولى؛ فقد كانت قبلة الأنبياء السابقين، وكانت قبلة النبي- نبينا محمد ﷺ- قبل أن تُحوَّل القبلة إلى الكعبة.

فقيل: فترة بقائه في مكة ﷺ ثلاث عشرة سنة كان يصلي مُستقبلًا صخرة بيت المقدس، لكنه ﷺ كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، يعني: القدس شمال مكة فكان النبي ﷺ يقف في الجهة الجنوبية من الكعبة، ويجعل وجهه في اتجاه الشمال، بحيث تصبح الكعبة أمامه ووجهه في اتجاه الشمال، فيكون في نفس الوقت مُتوجِّهًا إلى القدس، ومتوجهًا إلى الكعبة. قال: **(فِيمَا أَتَى تَطَوُّعًا أَوْ فَرْضًا)**

فكان يقف خلف الكعبة بحيث يصلي فتكون الكعبة بينه وبين بيت المقدس، في جميع صلواته نفلًا وفرضًا.

٥- وَبَعْدَ هِجْرَةٍ: كَذَا لِلْقُدْسِ عَامًا وَثُلْثًا، أَوْ وَنِصْفَ سُدْسِ

٦- وَحُوِّلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْقِبْلَةُ: لِكَعْبَةِ اللهِ، وَنِعْمَ الْجِهَةُ

يقول: كذلك بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ظل يستقبل بيت المقدس (عَامًا وَثُلْثًا) يعني سنة وأربعة أشهر.

قال: (أَوْ وَنِصْفَ سُدْسِ) يعني ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا؛ لأنه في صحيح البخاري أن النبي ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا.

فعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصارِ، وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلَّاهَا صَلاةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ» فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ؛ إذ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَهْل الكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣][١]

فلو قلنا: ستة عشر شهرًا كما قال: (عَامًا وَثُلْثًا) لأن العام اثنا عشر شهرًا، والثلث أربعة، فيكون المجموع ستة عشر شهرًا، لو زدت عليها نصف سدس سنة، يعني شهرًا وزيادة؛ لأن السنة اثنا عشر شهرًا، نصف السدس يعني ١ على ١٢، يعني زِيدَ عليها شهرًا أيضًا فتصبح سبعة عشر شهرًا.

فالخلاصة: أن الحديث في البخاري أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة استقبل بيت

[١] صحيح البخاري ٤٠.

المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، ثم نُسِخت القبلة إلى الكعبة.

وعندما كان النبي ﷺ بالمدينة كان ﷺ لا يستطيع استقبال الكعبة وبيت المقدس في نفس الوقت كما كان يفعل في المدينة. لماذا؟ لأن المدينة في المنتصف بين مكة وبيت المقدس، وبيت المقدس في اتجاه الشمال، ومكة في اتجاه الجنوب، فإذا استقبل بيت المقدس صار مستدبرًا الكعبة، فلا يمكن أن يستقبلهما معًا.

فكان كما قال الله ﷻ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ١٤٤] فكان النبي ﷺ يتضرع إلى الله -تعالى- ويريد تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة، فقال له ربه ﷻ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾[البقرة: ١٤٤].

٦- وَحُوِّلَتْ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ الْقِبْلَةُ: لِكَعْبَـةِ اللهِ، وَنِعْـمَ الْجِهَـةُ

(نِعْمَ الْجِهَةُ) هي الكعبة؛ لأنها جهة شريفة مُكرّمة.

باب ذِكْرِ السابقين إلى الإسلام

١- مِـنَ الرِّجَالِ: ابْـنُ أَبِي قُحَافَةِ	قَـالَ بِـهِ حَسَّـانُ فِي الْقَصِيْدَةِ
٢- وَعِـدَّةٌ مِـنَ الصَّحَابَـةِ الأُلَى	وَفَّـوْا، وَتَابِعُوْهُـمُ مِمَّـنْ تَـلَى
٣- خَدِيْجَةَ: اذْكُرْ أَوَّلَ النِّسْـوَانِ	عَلِيًّـا: اعْـدُدْ أَوَّلَ الصِّبْيَـانِ
٤- وَعُمْـرُهُ ثَمَـانٍ أَوْ مُعَـشَّرُ	أَوْ سِـتٌّ أَوْ خَمْسٌ، وَقِيْلَ: «أَكْبَرُ»
٥- مِنَ الْمَوَالِي: زَيْـدُ بْنُ حَارِثَةْ	كَانَ مُجَالِسًـا لَهُ مُحَادِثَـهْ

أول مَنْ أسلم من الرجال هو ابن أبي قحافة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، اسمه: عبد الله بن أبي قحافة، وكنيته: أبو بكر، فهذا أوّل مَنْ أسلم من الرجال. طبعًا هذا إذا لم نعدّ ورقة من الصحابة.

فهناك رأي يقول: إن ورقة كان من المؤمنين الصالحين، وإنه رُؤي في الجنة على أساس أنه لم يُدرِك بعثة النبي ﷺ، يعني ما كان النبي ﷺ أُمِر بالدعوة، لكن في الحقيقة هذا كلام مرجوح، والصواب: عَدّ ورقة من الصحابة.

لكن هنا يقول: إن أول مَنْ أسلم من الرجال هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(قَالَ بِهِ حَسَّانُ فِي الْقَصِيْدَةِ) يقول: حسان بن ثابت هو الذي قال هذا: إن أول مَنْ أسلم هو أبو بكر، قاله حسان في قصيدته، التي يقول فيها:

إذا تذكـرت شـجوًا من أخـي ثقة	فاذكـر أخـاك أبـا بكـر بمـا فعلا
خيـرَ البريـة أتقاهـا وأعدَلَهـا	بعـد النبـي وأوفاهـا بمـا حمـلا
والتالـيَ الثـانيَ المحمودُ مشـهده	وأول النـاس منهم صدَّق الرسـلا

فهنا أبيات حسّان، الشاهد منها: أن حسان بن ثابت يمدح أبا بكر الصديق ﵁ بأنه أوّل الناس صدّق الرسل، فهنا يقول: إن أوّل مَنْ أسلم هو أبو بكر ﵁ من الرجال.

وليس هناك تعارض بين قولنا: أول مَنْ أسلم أبو بكر، وأوّل مَنْ أسلم ورقة، فالأولية يمكن أن تكون مُقيّدة، فأبو بكر هو أوّل مَنْ أسلم ممَّنْ بقي من الصحابة، وممَّنْ دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام. وأما ورقة: فهو أوّل مَنْ أسلم لمجرد سماع خبر بعثة النبي ﷺ لكن لم يُعمَّر وتُوفي.

قال: (**وَعِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الأُلَى**) يعني كذلك عدد من الصحابة والتابعين نصّوا على أن أوّل مَنْ أسلم هو أبو بكر ﵁، ثم إنه تبع أبا بكر في إسلامه عدد من الصحابة ﵃ سيأتي ذِكْرهم.

فيمكن أن يكون المعنى هنا أيضًا أنه تبِع أبا بكر من الصحابة عدد ممّنْ تبِع أبا بكر فأسلم على إثْر أبي بكر ﵁، سيأتي ذِكْرهم.

(**خَدِيْجَةَ: اذكُرْ أَوَّلَ النِّسْوَانِ**) أوّل مَنْ أسلم من النساء خديجة ﵂ وأرضاها.

(**عَلِيًّا: اعْدُدْ أَوَّلَ الصِّبْيَانِ**) أوّل مَنْ أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب ﵁.

ثم ذكر الخلاف في عمر علي ﵁ عندما أسلم:

فقيل: إن عليًّا عندما أسلم و (**عُمْرُهُ ثَمَانِ**) سنين.

(**أَوْ مُعَشَّرُ**) يعني: أو كان عمره عشر سنين.

(**أَوْ سِتّ**) سنين.

(**أَوْ خَمْس**) سنين.

(وَقِيلَ: «أَكْبَرُ») من هذا. فقيل: اثنتا عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، وهذا أكبر ما ذُكِر في عُمر علي ﵁ عندما أسلم، فالآراء تتراوح ما بين خمس سنين إلى خمس عشرة سنة.

فالله ﷻ أعلم، فالأشهر أنه ثمان سنين، فكان أوّلَ مَنْ أسلم من الصبيان: علي ﵁.

وقال الحافظ ابن عبد البر: كان علي أوّل مَنْ أسلم مُطلقًا، قيل: إن عليًّا كان أوّل مَنْ أسلم يعني قبل خديجة وقبل أبي بكر، لكن المشهور: أن خديجة هي أوّل مَنْ أسلم مُطلقًا.

وقالوا: إن عليًّا وخديجة وأبا بكر، وزيد بن حارثة ﵃ كلهم أسلموا في يوم واحد، فالخلاف يسير في كون أيهم سبق الآخر.

فكل هذه الأحداث كانت في أول يوم من بعثة النبي ﷺ، إسلام هؤلاء جميعًا.

حتى إن بعض العلماء لا يجزم بمسألة الأولية المطلقة فيقول: نقول: هؤلاء جميعًا أسلموا في يوم واحد، وهم: خديجة، وورقة، وأبو بكر، وعلي، وزيد، فكلهم أسلموا في يوم واحد، فلا يُدرَى أيهم سبق، نقول: كلهم أوّل مَنْ أسلم ﵃.

أوّل مَنْ أسلم من الموالي هو زيد بن حارثة ﵁، وكان قد سُبي في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام، ووهبه لعمته خديجة، ووهبته خديجة لرسول الله ﷺ.

وكان أبوه وعمّه يبحثان عنه، فلما شبَّ زيد سمع به أبوه وعمّه، فأتيا إلى مكة، فأتيا النبي ﷺ وقالا: يا سيد قومه، يابن عبد المطلب، جئناك في ولدنا فامنن علينا؛ فإننا ندفع لك الفداء.

فقال لهم النبي ﷺ: أَوَغير ذلك؟ قالوا: وما هو؟ قال: نُخيّره، إما أن يرجع إليكم

وإما أن يبقى معي، إن اختاركم فخذوه من غير فداء، وإن اختارني تركتموه يبقى معي، فقالا له: أنصفت، أو زِدتنا على النَّصَف، يعني هذه زيادة على العدل والإنصاف.

فدعوا زيدًا وخيّره النبي ﷺ فقال زيد للنبي ﷺ: ما أختار عليك أحدًا، أنت مني مكان الأب والعم.

فقالا له: أتختار العبودية على الحرية؟! فحينئذٍ أعتقه النبي ﷺ وتبنّاه قبل تحريم التبني، وخرج النبي ﷺ إلى الكعبة وقال: اشهدوا أن زيدًا ابني أرثه ويرثني، فصار يُدعَى زيد بن محمد حتى حرَّم الله ﷻ التبني بعد ذلك، فقال ﷻ: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[الأحزاب: ٥] فصار يُدعَى زيد بن حارثة، يُنسَب لأبيه.

لكن كان النبي ﷺ يحبه، وكان يقال له: حِبّ رسول الله، وابنه أسامة بن زيد كان يقال له: حِب رسول الله ابن حِب رسول الله.

(كَانَ مُجَالِسًا لَهُ مُحَادِثَهْ) وكان زيد مُجالِسًا للنبي ﷺ محادثًا له.

٦- عُثْمَانُ وَالزُّبَــيْرُ وَابْنُ عَوْفِ	طَلْحَةُ سَــعْدٌ: أَمِنُوْا مِــنْ خَوْفِ
٧- إذ آمَنُــوْا بِدَعْــوَةِ الصِّدِّيْــقِ	كَذَا ابْــنُ مَظْعُوْنٍ بِــذَا الطَّرِيْقِ

هنا يذكر السابقين يعني الذين أسلموا في أول الدعوة، ذكر الناظم -رحمه الله تعالى- سبعة وخمسين رجلًا وامرأة من السابقين الأولين إلى الإسلام، رضي الله عنهم.

في هذا البيت يقول: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص؛ هؤلاء رضي الله عنهم (آمَنُوْا بِدَعْوَةِ الصِّدِّيْقِ).

هؤلاء كانوا تجارًا مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد كان تاجرًا، وكان هؤلاء أصدقاءه

فبمجرد إسلام أبي بكر دعا أصدقاءه هؤلاء إلى الإسلام فأسلموا على يديه، وجاء بهم في اليوم الثاني مباشرة من بعثة النبي ﷺ مسلمين.

فهؤلاء -وهم من العشرة المبشرين بالجنة-: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص. هؤلاء الخمسة رضي الله عنهم أسلموا على يد أبي بكر الصديق في اليوم الثاني من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

فـ (أَمِنُوْا مِنْ خَوْفِ إذ آمَنُوْا بِدَعْوَةِ الصِّدِّيْقِ) يعني أمنوا من الخوف حيث آمنوا مستجيبين لدعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم (ابْنُ مَظْعُوْنٍ) يقصد به عثمان بن مظعون رضي الله عنه، قالوا كان ترتيبه في الإسلام الرابع عشر، أسلم بعد ثلاثة عشر شخصًا أسلموا قبله.

وقَبَّله النبي ﷺ بعد موته، وأثنى عليه النبي ﷺ ثناءً عظيمًا، وكان من السابقين الأولين كما ذكرنا رضي الله عنه.

قوله: (بِذَا الطَّرِيْقِ) يعني أسلم أيضًا بدعوة أبي بكر الصديق، قال: (كَذَا ابْنُ مَظْعُوْنٍ بِذَا الطَّرِيْقِ) يعني طريقة إسلام بن مظعون الجمحي رضي الله عنه نفس طريقة إسلام السابقين، يعني على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

٨- ثُــمَّ أَبُــو عُبَيْــدَةٍ وَالأَرْقَــمُ كَــذَا أَبُــو سَــلَمَةَ الْمُكَــرَّمُ

أيضًا من السابقين الأولين: أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، وكذلك الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي رضي الله عنه. وقيل في ترتيب إسلامه: كان سابع مَنْ أسلم، وقيل: كان الحادي عشر في ترتيب مَنْ أسلم.

(كَذَا أَبُو سَلَمَةَ) وهو عبد الله بن عبد الأسد المخزومي الذي مر بنا أنه كان أخًا للنبي ﷺ من الرضاعة. وكان أوّل مَنْ هاجر إلى الحبشة، وكان أخًا للنبي ﷺ من الرضاعة.

٩- وَابْنُ سَـعِيْدٍ خَالِدٌ قَدْ أَسْلَمَا ... وَقِيْـلَ: «بَـلْ قَبْلَهُـمُ تَقَدَّمَـا»

من السابقين الأولين إلى الإسلام خالد بن سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه.

أسلم بعد هؤلاء وقيل: بل تقدم قبلهم، ففي الروايات التي وردت في إسلام خالد بن سعيد رضي الله عنه قيل: كان ثالث مَنْ أسلم، وقيل: كان رابع مَنْ أسلم، وقيل: أسلم بعد أبي عبيدة والأرقم، وأبي سلمة وهؤلاء رضي الله عنهم.

فهذا خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه، وكان من المهاجرين إلى الحبشة رضي الله عنه.

١٠- كَذَا ابْنُ زَيْدٍ أَي سَعِيْدٌ لاَ مِرَا ... وَزَوْجُـهُ فَاطِمَـةُ اخْـتُ عُمَرَا

كذلك من السابقين إلى الإسلام: سعيد (ابْنُ زَيْدٍ) وهو من العشرة المبشرين بالجنة. رضي الله عنه، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وزوجته فاطمة بنت الخطاب هي أخت عمر، وكان متزوجًا بأخت عمر، وعمر كان متزوجًا بأخته.

زوجة عمر هي: عاتكة بنت زيد أخت سعيد بن زيد، وزوجة سعيد بن زيد هي فاطمة بنت الخطاب، وكان سعيد بن زيد وفاطمة بنت الخطاب قد أسلما قبل إسلام عمر، وهما اللذان كانا سببًا في إسلام عمر رضي الله عنه كما سيأتي، يعني دعوَا عمر إلى الإسلام رضي الله عنه.

فسعيد بن زيد رضي الله عنه أسلم قبل عمر، وكان من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه، وكان مستجاب الدعوة رضي الله عنه.

١١- كَـذَاكَ عَبْدُ اللهِ مَـعْ قُدَامَةْ هُمَـا لِمَظْعُـونٍ سَـعِيْدَا الْهَامَةْ

هنا يشير إلى عبد الله بن مظعون وقدامة بن مظعون، أخوَيْ عثمان بن مظعون، فهذه أسرة مباركة، كانوا من السابقين الأولين.

(سَعِيْدَا الْهَامَةْ) الهامة: الرأس، وسعيد الهامة: أحيانًا يُكنَى بها عن الشجاع، كانا من الشجعان الأبطال رضي الله عنهما .

١٢- وَحَاطِبٌ حَطَّابٌ ابْنَا الْحَارِثِ أَسْـمَاءُ عَائِشْ وَهْيَ غَـيْرُ طَامِثِ

أيضًا من السابقين الأولين رضي الله عنهم: حاطبٌ، وحطّاب ابنا الحارث الجمحي، رضي الله عنهما وكانا أخوين، وكانا من المهاجرين إلى الحبشة.

وهؤلاء الذين هاجروا إلى الحبشة رضي الله عنهم ممَّنْ أوذي في سبيل الله، كل الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام، ممَّنْ تعرضوا لأذى قريش واضطهادهم، فهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم رضي الله عنهم.

(أَسْمَاءُ عَائِشْ) أسماء وعائشة ابنتا الصديق، أسماء يقصد: أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعائش يقصد: عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، أيضًا كانتا من السابقين الأولين إلى الإسلام.

قال: (وَهْيَ غَيْرُ طَامِثِ) يعني وهي صغيرة لم تبلغ، وإسلامهما تبعًا لإسلام أبيهما أبي بكر رضي الله عنه.

بعض العلماء اعترض على عدّ عائشة رضي الله عنها من السابقين الأولين إلى الإسلام قالوا: لأنها وُلدت بعد البعثة بخمسة أعوام، فلم تُدرك زمن السابقين الأولين الذين أسلموا

في الأيام الأولى لدعوته ﷺ، لكن الناظم عدّ أسماء، فعدّ معها عائشة رضي الله عنهم، ثم ضعّف هذا القول، فقال:

١٣- كَذَا ابْنُ إسْحَاقَ بِذَاكَ انْفَرَدَا   وَلَـمْ تَكُنْ عَائِـشُ مِمَّـنْ وُلِدَا

الناظم على طريقته يشير إلى القول، ولو كان مرجوحًا، ويبين ضعفه إذا كان ضعيفًا

فيقول: ابن إسحاق ذكر السابقين الأولين إلى الإسلام فعدّ منهم عائشة رضي الله عنها، فقال الناظم هنا: إنه انفرد بهذا القول، ولم يوافقه العلماء على هذا، قالوا: لأن عائشة لم تكن ممَّنْ وُلِد في وقت إسلام السابقين الأولين، لكن أسماء رضي الله عنها كان ممَّن حضر بدايات البعثة، وعُدَّت مع السابقين، رضي الله عنهم.

١٤- فَاطِمَــةٌ فُكَيْهَــةُ الزَّوْجَــانِ   تِلْـكَ لِذَاكَ هَـذِهِ لِلثَّـانِي

من السابقين الأولين إلى الإسلام: فاطمة وفكيهة رضي الله عنهما وهما زوجتا حاطب وحطّاب ابني الحارث الجمحي.

فاطمة اسمها: فاطمة بنت المُجلل القرشية رضي الله عنها هذه زوجة حاطب بن الحارث الجمحي. كانت هي وزوجها من السابقين الأولين إلى الإسلام، ومن المهاجرين إلى الحبشة.

وفكيهة اسمها: فكيهة بنت يسار رضي الله عنها، وهي زوجة حاطب بن الحارث بن الجمحي، وهي وزوجها من المهاجرين إلى الحبشة رضي الله عنهم.

قال: (**تِلْكَ لِذَاكَ هَذِهِ لِلثَّانِي**) يعني فاطمة زوجة حاطب، وفكيهة زوجة حطاب.

١٥- عُبَيْـدَةُ بْنُ حَـارِثٍ، خَبَّابُ ابْـنُ الأَرَتِّ كُلُّهُـمْ أَجَابُـوْا

الحادي والعشرون في ترتيب السابقين الأولين إلى الإسلام: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم قديمًا قبل دخول المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم.

(خَبَّابُ ابْنُ الأَرَتِّ) رضي الله عنه، وكان قد سُبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة فأعتقته، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام رضي الله عنه، وممَّنْ عُذِّب في سبيل الله، كما جاء في صحيح البخاري من حديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[١]

فكان من السابقين الأولين وتعرض لأذى شديد، وتعذيب شديد في سبيل الله تعالى.

وورد أيضًا أن خباب بن الأرت كان ممَّنْ أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكثير من هؤلاء الذين سبق ذِكْرهم من السابقين الأولين، كان إسلامهم على يد الصديق رضي الله عنه، فكان الصحابة في الدعوة إلى الله جل وعلا والدعوة إلى الإسلام، فأسلم على يديه عدد كبير رضي الله عنه.

(كُلُّهُمْ أَجَابُوْا) يعني كلهم أجابوا دعوة الإسلام، وقيل: كلهم أجابوا دعوة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فيكون هؤلاء جميعًا ممَّنْ أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

[١] صحيح البخاري ٣٦١٢.

١٦- كَذَا سَـلِيْطٌ وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو وَابْـنُ حُذَافَـةٍ خُنَيْسٌ بَـدْرِيْ

من السابقين إلى الإسلام سليط بن عمرو العامري القرشي ﵁، هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وشهد جميع غزوات النبي ﷺ.

والذي بعده وهو رقم أربعة وعشرين: خنيس بن حذافة السهمي ﵁، وهو بدري، ممّنْ شهد غزوة بدر ﵁، وهو زوج حفصة بنت عمر قبل المصطفى ﵊، كان زوجًا لحفصة بنت عمر، ثم استُشهد ﵁ فتزوجها النبي ﷺ بعده.

فخنيس بن حذافة السهمي ﵁ كان من السابقين إلى الإسلام.

١٧- وَابْنُ رَبِيْعَةَ اسْـمُهُ مَسْعُوْدُ وَمَعْمَـرُ بْـنُ حَـارِثٍ مَعْـدُوْدُ

الخامس والعشرون من السابقين إلى الإسلام: مسعود بن ربيعة ﵁، وهو من بني عبد العزى من قريش، وأسلم قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم وشهد بدرًا، والصحابي إذا عُدّ في مناقبه أنه شهد بدرًا فهذه منقبة عظيمة؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إن الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» فكون الصحابي من البدريين فهذا من مناقبه.

وقال جبريل للنبي ﷺ: «**ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: خيرنا، قال: كذلك الملائكة تعدّ مَنْ شهد بدرًا فيهم خير الملائكة**»؛ الملائكة الذين شهدوا بدرًا كانوا أيضًا خير الملائكة، والصحابة الذين شهدوا بدرًا هم خيار الصحابة ﵃.

السادس والعشرون: معمر بن الحارث الجمحي، أخو حاطب وحطاب الجمحيين، هذه أسرة أخرى كريمة من أُسَر السابقين الأولين، فقد مرت بنا أسرة آل مظعون كان

منهم ثلاثة من السابقين الأولين: عثمان، وعبد الله، وقدامه أبناء مظعون، هنا أسرة حاطب وحطاب ومعمر أبناء الحارث الجمحي، فهؤلاء كلهم من السابقين، وهو بدري أيضًا ﵁ شهد بدرًا وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام.

١٨- وَوَلَدَا جَحْشٍ هُمَا عَبْدُ اللهْ   كَـذَا أَبُـو أَحْمَـدَ عَبْـدٌ أَوَّاهْ

فيشير هنا إلى عبد الله بن جحش وأبي أحمد بن جحش بن رباب، وأبو أحمد اسمه: عبد، فهناك: عبد بن جحش، وعبد الله بن جحش، كلاهما ﵄ كانا من السابقين الأولين إلى الإسلام، وكلاهما ممَّنْ هاجر الهجرتين إلى الحبشة الهجرة الأولى والهجرة الثانية.

١٩- كَذَا شَبِيهُ الْمُصْطَفَى أَي جَعْفَرُ   أَسْـمَاءُ زَوْجُـهُ، الْحَلِيْـفُ عَامِرُ
٢٠- عَيَّاشُ أَعْـنِي ابْنَ أَبِي رَبِيْعَةِ   وَزَوْجُـهُ أَسْـمَا إِلى سَـلامَةِ

هنا يشير أيضًا إلى عدد من السابقين الأولين ﵃.

رقم تسعة وعشرين من السابقين الأولين: جعفر بن أبي طالب، وقال: (شَبِيْهُ الْمُصْطَفَى) لأن النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب: «أشبهت خلْقي وخُلُقي»[١] وهو ابن عم رسول الله ﷺ، و أخو علي بن أبي طالب، وأشبه خَلْق النبي ﷺ وأشبه خُلق النبي ﵇، وقد أسلم وهاجر إلى الحبشة، وظل فيها إلى العام السابع من الهجرة، فقدم في عام خيبر على النبي ﷺ، فاعتنقه النبي ﷺ وقبّل ما بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما

[١] صحيح البخاري٢٦٩٩.

أُسَرّ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟»

(أَسْمَاءُ زَوْجُهُ) هذه رقم ثلاثين من السابقين الأولين إلى الإسلام: أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وأرضاها زوجة جعفر بن أبي طالب، أسلمت وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له أولادًا، منهم: محمد بن جعفر وآخرون.

وبعد استشهاد جعفر رضي الله عنه تزوجها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وظلت مع أبي بكر الصديق إلى وفاته رضي الله عنه، وهي التي غسّلت أبا بكر الصديق بوصية منه، ثم تزوجت بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكانت زوجة لجعفر، ثم لأبي بكر، ثم لعلي رضي الله عنهم.

فأسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها كانت من السابقات الأوليات إلى الإسلام.

قال: (الْحَلِيْفُ عَامِرُ) يشير هنا إلى عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب رضي الله عنه، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وشهد غزوة بدر، وهو من البدريين رضي الله عنه.

قال: (عَيَّاشٌ نَعْنِي ابْنَ أَبِي رَبِيْعَةِ) عياش بن أبي ربيعة المخزومي.

وزوجته أسماء بنت سلامة، قال: (وَزَوْجُهُ أَسْمَا إلى سَلاَمَةِ) يعني أسماء المنتسبة إلى سلامة، اسمها أسماء بنت سلامة الدارمية التميمية رضي الله عنها وأرضاها، هذه رقم ثلاثة وثلاثين من السابقين الأولين إلى الإسلام، كانت من المهاجرين إلى الحبشة مع زوجها عياش رضي الله عنه.

٢١- نُعَيْمٌ النَّحَّــامُ، أَيْضًا حَاطِبُ	وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو، وَكَذَاكَ السَّــائِبُ
٢٢-أَيِ ابْنُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُوْنٍ، ذُكِرْ	أَبُــوهُ، مَــعْ مُطَّلِــبِ ابْــنِ أَزْهَرْ
٢٣- وَزَوْجُــهُ رَمْلَةُ، مَــعْ أُمَيْنَةْ	بِنْــتُ خَلَــفْ لِخَــالِدٍ قَرِيْنَــةْ:

الرابع والثلاثون هو: نعيم بن عبد الله العدوي ﵁، العدوي: نِسبة إلى بني عدي، قوم عمر بن الخطاب ﵁.

لُقِّب بالنحام، والنحام هو: الذي يسعل ويتنحنح، يقال: تنحّم: بمعنى: تنَخّم أو سعّل أو تنحنح، فلُقِّب بـ (نعيم النحام) ﵁ قالوا: لحديث رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت الجنة فسمعتُ نحمة نُعيم فيها» يعني سمعتُ سعلته، فلُقِّب بالنحام ﵁، وهو نعيم بن عبد الله العدوي من بني عدي، أسلم قبل عمر ﵁، وكان قومه يحمونه ﵁ لأنه كان يمون أرامل بني عدي وأيتامهم، فقالوا له: أقِم على أي دين شئت، يعني رغم أنهم في تلك الفترة كانوا يعادون مَنْ أسلم ويضطهدونه ويؤذونه، لكنَّ نعيمًا ﵁ لكونه ذا فضل على قومه قال له بنو عدي: أقِم على أي دين شئت ونحن نحميك، وندفع عنك، ومنعوه من الهجرة إلى الحبشة في الوقت الذي كان الصحابة يُضطّرون إلى الهجرة إلى الحبشة بسبب إيذاء قومهم لهم.

قال: (أَيْضًا حَاطِبُ وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو) هذا رقم خمسة وثلاثين: حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامري ﵁، وهو ممَّنْ هاجر الهجرتين إلى الحبشة، الهجرة الأولى والثانية، وشهد بدرًا وكان من السابقين إلى الإسلام.

وهو أخو سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، الذي مرَّ ذِكْره ﵁ قبل قليل في قول الناظم: (كَذَا سَلِيطٌ وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو) فهذا أخوه، وقد كانا من السابقين الأولين إلى الإسلام.

السادس والثلاثون: هو السائب بن عثمان بن مظعون ﵁ عنه وعن أبيه، وهو من السابقين الأولين، وشهد غزوة بدر مع النبي ﷺ، هو من البدريين. وأبوه عثمان بن مظعون ﵁.

السابع والثلاثون: المطلب بن أزهر الزهري ﷺ، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، وتُوفي بها ﷺ.

٢٣- وَزَوْجُـهُ رَمْلَةٌ، مَـعْ أُمَيْنَةْ بِنْـتُ خَلَـفْ لِخَـالِدٍ قَرِيْنَـةْ:

زوجة المطلب بن أزهر اسمها: رملة بنت أبي عوف ﷺ، وهي رقم ثمانية وثلاثين من السابقين الأولين، أسلمت وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وهي معدودة في السابقين الأولين.

رقم تسعة وثلاثين: أُمينة- بضم الهمزة- بنت خلف بن أسعد الخزاعية ﷺ وأرضاها، أسمها أُمينة بنت خلف، وبعض الروايات فيها تسميتها أُميمة، بالميم.

فـ أُمينة أو أُميمة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ﷺ كانت من السابقين إلى الإسلام، وهي زوجة خالد بن سعيد بن العاص، قال: (بِنْتُ خَلَفْ لِخَالِدٍ قَرِيْنَةْ) يعني هي زوجة لخالد، وخالد بن سعيد بن العاص مرّ ذِكْره، كان أيضًا من السابقين الأولين ومن المهاجرين إلى الحبشة، وهذه زوجته أُمينة ﷺ.

٢٤- مَضَى اسْمُهُ، عَمَّارٌ بْنُ يَاسِرِ وَابْـنَ فُهَـيْرَةَ اسْـمِهِ بِعَامِـرِ

قال: (مَضَى اسْمُهُ) خالد بن سعيد، (مَضَى اسْمُهُ) يعني مرّ ذِكْره في السابقين.

فهنا يعد من السابقين أيضًا ﷺ عمار بن ياسر ﷺ وهو وأبوه وأمه من السابقين إلى الإسلام ﷺ، وأمه سمية بنت خياط كانت أول مَنْ استُشهد في الإسلام، قتلها أبو جهل، طعنها بحربة فقتلها، وعمار بن ياسر وأبوه وأمّه -ﷺ-كانوا من السابقين،

وكانوا يُعذَّبون عذابًا شديدًا في مكة، وكان النبي ﷺ يمر بهم ويقول: «صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»، وقُتل أبوه وأمه في التعذيب رضي الله عنهما.

وأُكرِه عمار على أن يقول كلمة الكفر حتى يُخلّوا سبيله، ويتوقفوا عن تعذيبه، فقالها مُكرهًا وجاء إلى النبي ﷺ حزينًا أنه أُكرِه بالتعذيب أن يتكلم بكلمة كُفْر، فأنزل الله جل وعلا فيه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[النحل: ١٠٦] فعذره الله تبارك وتعالى وشهد الله جل وعلا له أن قلبه مطمئن بالإيمان رضي الله عنه، وقال فيه النبي ﷺ: «اقتدوا بهدْي عمّار» رضي الله عنه.

الحادي والأربعون، عامر بن فُهيرة رضي الله عنه، عامر بن فهيرة كان عبدًا مملوكًا للطفيل بن عمرو، فاشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأعتقه، وقد كان رفيق النبي ﷺ وأبي بكر الصديق في رحلة الهجرة، لم يكن معهما في الغار وقت وجودهما في الغار ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[التوبة: ٤٠] لكن بعد خروجهما من الغار رافقهما في رحلة الهجرة إلى المدينة.

وهو من البدريين رضي الله عنه، ومن القُراء الذين قُتلوا في سرية بئر معونة، ويقال لها: سرية القراء.

٢٥- أَبُو حُذَيْفَــةٍ صُهَيْبٌ جُنْدَبُ	وَهُــوَ أَبُــو ذَرٍّ صَــدُوْقٌ طَيِّــبُ
٢٦- وَقَــالَ: «إِنِّي رَابِــعٌ لأَرْبَعَــةْ	مِــنْ تَابِعِي النَّــبِيِّ أَسْــلَمُوْا مَعَهْ»
٢٧- كَــذَا أُنَيْسٌ أَخُهُ قَدْ أَسْــلَمَا	ثُمَّــتَ بَعْــدُ أَسْــلَمَتْ أُمُّهُمَــا

هنا يقول: من السابقين الأولين رضي الله عنهم: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس

القرشي ﵁، كان من فضلاء الصحابة، وأبوه عتبة بن ربيعة كان من أئمة الكفر الذين آذوا المسلمين إيذاءً عظيمًا، وشاء الله ﷻ أن يكون ابنه أبو حذيفة من فضلاء المؤمنين، ومن السابقين الأولين.

(صُهَيْبٌ): وهو صيب بن سنان الكعبي الذي يُلقَّب بصهيب الرومي ﵁، وهو أصلًا كعبي من بني كعب، وهم قوم من العرب، سباه الروم وهو طفل صغير، ونقلوه إلى بلاد الروم، فنشأ في بلاد الروم فكان في لسانه لَكنة، يعني أخذ من لغة الروم، أسلم ﵁ وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ﵁.

يقول: (جُنْدَبُ وَهُوَ أَبُو ذَرٍّ) أبو ذر اسمه جُندب الغفاري ﵁، أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ﵁.

قال: (صَدُوْقٌ طَيِّبُ) لأن النبي ﷺ قال: «ما أظلَّت السماء، ولا أقلَّت الغبراء أصدق لهجةً من أبي ذر»؛ فمدحه النبي ﷺ بالصدق، والصدق يشمل: صِدْق الحديث، وصِدْق الإيمان يعني صِدْق القلب والعمل ﵁.

فأبو ذر ﵁ واسمه جندب قال:

٢٦- وَقَــالَ: «إِنِّي رَابِــعٌ لأَرْبَعَــةْ مِــنْ تَابِعِي النَّــبِيِّ أَسْــلَمُوْا مَعَهْ»

أبو ذر ﵁ كان يقول: أنا رابع مَنْ أسلم، كان يقول أبو ذر ﵁: إنه رابع مَنْ أسلم ﵁، وذلك أنه لمّا أنه سمع بالنبي ﷺ وقدِم من قبيلته غفار إلى مكة المكرمة وسأل عن النبي ﷺ، وظل شهرًا بمكة، والمشركون لم يخبروه عن مكان النبي ﷺ حتى استدل عليه، ولما سأل عن النبي ﷺ قال: مَنْ آمن به؟ قالوا: حر وعبد، ففهم من هذا أن الحر هو أبو بكر، والعبد هو زيد بن حارثة ﵁، وخديجة زوجة النبي ﷺ، فظنّ أنه رابع مَنْ أسلم.

لكن قالوا في هذا: إن النبي ﷺ في ذلك الوقت كان يُسِرُّ بإسلامه ﷺ ومَنْ آمن كانوا يكتمون إيمانهم ويُخفون إيمانهم، فعندما أسلم أبو ذر رضي الله عنه كان هناك عدد ممَّنْ أسلم ممَّنْ يكتمون إسلامهم ولا يُعرَفون، فهُو رضي الله عنه كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، لكن الصواب: أنه ليس الرابع على أساس أنه أسلم قبله عدد من الصحابة، ولكن كانوا يكتمون إيمانهم ولا يُظهرونه حيث كانوا يجتمعون مع النبي ﷺ في دار الأرقم سرًّا كما سيأتي إن شاء الله.

قال: (كَذَا أُنَيْسٌ أَخُهُ قَدْ أَسْلَمَا) أُنيس بن جنادة الغفاري أخو أبي ذر قد أسلم أيضًا رضي الله عنه، وهو أيضًا معدود من السابقين الأولين.

وأمهما رملة بنت الوقيعة الغفارية رضي الله عنها وأرضاها.

فأبو ذر، وأُنيس، وأخوه، وأمهما رملة كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام رضي الله عنهم.

٢٨- كَـذَا ابْنُ عَبْدِاللهِ وَهُوَ وَاقِدُ كَـذَا إِيَـاسٌ عَاقِـلٌ وَخَـالِدُ
٢٩- وَعَامِـرٌ أَرْبَعَةٌ بَنُـو الْبُكَيْرِ وَابْـنُ أَبِي وَقَّـاصٍ اسْـمُهُ عُمَيْرِ

هنا يقول: من السابقين الأولين رضي الله عنهم: واقد بن عبد الله رضي الله عنه، وفي بعض الروايات سُمي وافدًا، قيل: وافد بن عبد الله (بالفاء)، لكن الرواية المشهورة أنه واقد (بالقاف) ابن عبد الله بن عبد مناف، كان من السابقين الأولين إلى الإسلام رضي الله عنه.

وإياس، وعاقل، وخالد، وعامر؛ هؤلاء أربعة أبناء البكير بن أبي البكير بن عبد ياليل من بني عبد مناف رضي الله عنهم، هؤلاء أربعة إخوة من السابقين الأولين إلى الإسلام، هم: إياس بن البكير، وعاقل بن البكير، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، هؤلاء أربعة

إخوة ﭫ، كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام ﭫ، أسلموا في دار الأرقم في فترة الدعوة السرية، وشهدوا مع النبي ﷺ كل المشاهد، كل الغزوات مع النبي ﷺ.

وعاقل كان من شهداء غزوة بدر ﭬ، والباقون استُشهدوا في غزوات أخرى ﭫ.

خالد استُشهد يوم الرجيع، وعامر استُشهد في معركة اليمامة ﭫ.

فهؤلاء الأربعة كانوا من السابقين الأولين ﭫ.

قال: (وَابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ اسْمُهُ عُمَيْرِ) عُمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، أسلم بعد إسلام أخيه سعد، وكان الأخ الأصغر لسعد بن أبي وقاص، اسمه عمير بن أبي وقاص، واستُشهد بغزوة بدر ﭬ، وقيل: كان عمره وقت استشهاده في غزوة بدر ست عشرة سنة.

٣٠- كَـذَاكَ بِنْـتُ أَسَـدٍ فَاطِمَةُ ... كَـذَاكَ بِنْـتُ عَامِـرٍ ضُبَاعَـةُ

من السابقين الأولين وهي رقم ثلاثة وخمسين: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي زوجة أبي طالب وأم علي بن أبي طالب ﭬ.

أسلمت ﭭ، وكانت من السابقين الأولين إلى الإسلام، وزوجها أَبى أن يُسلِم، لكن أسلمت هي وأسلم ابنها علي ﭬ، وهاجرت إلى المدينة.

وتُوفيت في المدينة ﭭ، وكان النبي ﷺ يُكرمها ويُثني عليها، ولما توفيت ﭭ خلع النبي ﷺ قميصه ودفعه لتُكفّن فيه ﭭ، ودخل النبي ﷺ قبرها يوم دفْنها، وقال ﷺ: «لم يكن أحد بعد أبي طالب أَبَرَّ لي منها» ﭭ وأرضاها.

الرابع والخمسون من السابقين الأولين إلى الإسلام: ضباعة بنت عامر العامرية ﭭ

وأرضاها، أسلمت بمكة وكانت من السابقين إلى الإسلام.

٣١- عَمْرٌو أَبُو نَجِيْحَ فِيْهِمْ مَعْدُوْدْ ‏ ‏ ‏ ‏ عُتْبَــةُ عَبْــدُ اللهِ نَجْلاَ مَسْــعُوْدْ

هنا من السابقين الأولين (عَمْرٌو أَبُو نَجِيْحَ)، أبو نجيح كُنية عمرو، وهو عمرو بن عبسة ﵁، اسمه عمرو بن عبسة، وكُنيته أبو نجيح ﵁.

قال: (فِيْهِمْ مَعْدُوْدُ) يعني هو معدود في السابقين الأولين إلى الإسلام، ﵁.

ثم عتبة بن مسعود، وعبد الله بن مسعود ﵄ وهما عتبة وعبد الله ابنا مسعود بن غافل الزهري.

عتبة بن مسعود كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة ﵁، وكان عتبة بن مسعود معدودًا من الفقهاء، ومن العلماء ﵁، من علماء الصحابة وفقهائهم لكن لم يُعمَّر طويلًا حتى يأخذ الناس عنه كما أخذوا عن ابن مسعود.

قال الزهري (محمد بن شهاب الزهري) من علماء التابعين، قال: ما كان عبد الله بأفقه ولا أقدم صُحبةً من عتبة، لكنه مات سريعًا، لكن عتبة مات سريعًا فلم يُشتَهَر بفقهه وعلمه كما اشتُهر عبد الله بن مسعود ﵁، هذا كلام الزهري.

بعد ذلك، المؤلف جعل بابًا مخصوصًا في قصة إسلام عبد الله بن مسعود، فقال:

باب ذِكْر إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١- جَـاءَ لَهُ النَّـبِيُّ وَهُـوَ يَـرْعَى غُنَيْمَـةً، يُسِـيْمُهَا فِي الْمَـرْعَى

٢- قَـالَ لَهُ: «شَـاؤُكَ فِيْهَا لَبَنُ؟» قَـالَ: «نَعَـمْ، لَكِنَّـنِي مُؤْتَمَنُ»

٣- قَالَ: «فَهَلْ فِيْهَا إِذْنْ مِنْ شَـاةِ مَـا مَسَّـهَا الْفَحْـلُ؟، إِذًا فَتَاتِيْ

٤- بِهَا»، فَمَسَّ الضَّرْعَ وَهُوَ يَدْعُوْ فَامْتَـدَّ ضَرْعُهَـا، وَدَرَّ الـضَّرْعُ

٥- فَاحْتَلَبَ الشَّاةَ وَأَسْقَى، ثُمَّ مَصْ فِي شُرْبِهِ، قَالَ لَهُ: «اقْلُصْ» فَقَلَصْ

٦- قَـالَ: «فَعَلِّمْنِي لَعَـلِّيَ أَعْلَمُ» قَـالَ لَهُ: «غُلَيِّـمٌ مُعَلَّـمُ»

هنا يذكر قصة إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وذلك أنه كان راعيًا يرعى غنمًا لآل عقبة ابن أبي معيط، فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر، وهو يرعى الغنم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل عندك لبن؟، قال: («نَعَمْ، لَكِنَّنِي مُؤْتَمَنُ») أنا أمين عليها، لا أستطيع أن أُعطيك اللبن بغير إذن أصحاب الغنم.

٢- قَـالَ لَهُ: «شَـاؤُكَ فِيْهَا لَبَنُ؟» قَـالَ: «نَعَـمْ، لَكِنَّـنِي مُؤْتَمَنُ»

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فهل عندك شاة لم ينزُ عليها الفحل؟ بمعنى أنها ليس في ضرعها لبن؛ لأنه ما عاشرها فحْل، قال: نعم. فأتيته بشاة، عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: نعم، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بشاة، فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع بيده وهو يدعو، وما كان لها ضرع- يعني: كان ضرعها أصلًا ليس فيه شيء من اللبن- فمسح النبي صلى الله عليه وسلم ضرعها ودعا صلى الله عليه وسلم فإذا ضرعها حافل مملوء لبنًا.

قال: «فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقعرة فاحتلب الشاة» فجاء عبد الله بن مسعود بصخرة منقعرة مثل الإناء، يستعملها النبي ﷺ كإناء.

«فحلب النبي ﷺ الشاة فيها، فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب» ﷺ.

«ثم قال للضرع (اقلص) فقلص».

وهنا يقول: (**فَاحْتَلَبَ الشَّاةَ وَأَسْقَى**) وأسقى: يعني سقى مَنْ حوله، (**ثُمَّ مَصَّ فِي شُرْبِهِ**) يعني شَرِب ﷺ.

قال عبد الله بن مسعود: فلما رأيت هذا قلت: يا رسول الله، علمني، قال: فمسح النبي ﷺ رأسي، وقال: بارك الله فيك؛ فإنك غلام مُعلَّم، فأسلم عبد الله بن مسعود من هذه اللحظة لما رأى هذه المعجزة لرسول ﷺ، وصحبه يتعلم منه من ذلك اليوم؛ فكان من السابقين الأولين رضي الله عنه.

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم

١- وَاتَّخَـذَ النَّـبِيُّ دَارَ الأَرْقَـمِ: لِلصَّحْبِ، مُسْتَخْفِيْنَ عَنْ قَوْمِهِمِ
٢- وَقِيْلَ: «كَانُـوْا يَخْرُجُونَ تَتْرَى إِلَى الشِّـعَابِ لِلصَّـلاَةِ سِرًّا»
٣- حَـتَّى مَضَـتْ ثَلاَثَةٌ سِـنِيْنَا وَأَظْهَـرَ الرَّحْمَـنُ بَعْـدُ الدِّيْنَـا
٤- وَصَـدَعَ النَّبِيُّ جَهْـرًا مُعْلِنًا إِذْ نَزَلَتْ: «فَاصْدَعْ بِمَا»، فَمَا وَنَى
٥- وَأَنْـذَرَ الْعَشَـائِرَ الَّـتِي ذُكِرْ بِجَمْعِهِـمْ إِذ نَزَلَـتْ: «وَأَنْـذِرْ»

هنا يذكر قصة دعوة النبي ﷺ سرًّا في دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه.

الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه كان شابًّا من شباب الصحابة، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام- كما مر بنا ذِكْره رضي الله عنه- في السابقين.

وكانت له دار قريبة من الصفا، قالوا: هذا سبب أو حكمة اختيار النبي ﷺ دار الأرقم؛ لأن دار الأرقم كانت قريبة من الصفا في مكان يكثُر فيه ذهاب الناس وإيابهم، يعني مكان أصلًا مزدحم عادةً، والناس يكثر مرورهم في هذا المكان فلا يستغربون دخول عدد كبير من الناس وخروجهم، فرأى النبي ﷺ الحكمة في اختيار هذه الدار ليجتمع فيها بأصحابه.

فصار النبي ﷺ يجتمع بأصحابه في دار الأرقم يقرأ عليهم القرآن، ويُعلمهم الدين، رضي الله عنهم.

وكان عدد المسلمين في ذلك الوقت من خلال فترة دار الأرقم لم يزد عن أربعين

صحابيًّا، وفترة الدعوة السرية في دار الأرقم كانت ثلاث سنوات، وبدأ النبي ﷺ الدعوة بعدد قليل، وظلوا يزدادون حتى وصلوا أربعين صحابيًّا يجتمعون مع النبي ﷺ في هذه الدار، يُعلمهم النبي ﷺ القرآن، ويعلمهم أحكام الدين.

و(كَانُوْا يَخْرُجُونَ تَتْرَى) يعني جماعة إثْر جماعة، يعني كانوا لا يدخلون دفعة واحدة، أو يخرجون دفعة واحدة، وإنما يخرجون مجموعة إثر مجموعة، وكانوا يصلون في شعاب مكة، وهي الممرات التي بين الجبال سرًّا، يعني يذهبون للصلاة في الشعاب، ويصلون سرًّا، يتبع بعضهم بعضًا غير متواصلين؛ لئلا يشعر بهم مشركو قريش.

وظل النبي ﷺ يدعو في دار الأرقم سرًّا حتى أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان آخر مَنْ جاء مسلمًا في فترة الدعوة في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وبعد إسلام عمر رضي الله عنه كانت قد مرّت ثلاث سنوات على الدعوة سرًّا، فأنزل الله ﷻ الآيات الكريمة التي فيها الأمر بالجهر بالدعوة.

وكان إسلام عمر رضي الله عنه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان إسلام عمر فتْحًا، وهجرته نصرًا، وخلافته رحمةً رضي الله عنه، فكان إسلام عمر فتْحًا، كان النبي ﷺ يدعو خلال تلك الفترة يقول: «اللهم أعِز الإسلام بأحب العمرين إليك» فَأَعَزَّ الله ﷻ الإسلام بإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان لعمر من الهيبة في قومه، والإقدام ما ناسب أن يبدأ عصر الجهر بالدعوة والإعلام بها.

٤- وَصَــدَعَ النَّبِيُّ جَهْــرًا مُعْلِنًا إِذْ نَزَلَتْ: «فَاصْدَعْ بِمَا»، فَمَا وَنَى

(فَمَا وَنَى): فما ونى النبي ﷺ يعني: ما ضعُف النبي ﷺ.

كانت بداية الأمر بالجهر بالدعوة بآيتين كريمتين: قول الله ﷻ في سورة الحجر: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤]؛ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾: يعني اجهر بما

ذِكْر تأييده ﷺ بمعجزة القرآن المجيد

١- وَجَعَـلَ اللهُ لَهُ الْقُرْآنَـا: آيَـةَ حَـقٍّ أَعْجَـزَتْ بُرْهَانَـا

إن الله ﷻ جعل للنبي ﷺ القرآن (آيَةَ حَقٍّ)، (أَعْجَزَتْ بُرْهَانَا) يعني برهانها أعجزهم أن يأتوا ببرهان مثله يردّون به عليه أو يعارضونه؛ لأن القرآن كان برهانًا حجة معجزة لرسول الله ﷺ.

٢- أَقَـامَ فِيهِمْ فَوْقَ عَشْرٍ يَطْلُبُ: إِتْيَانَهُـمْ بِمِثْلِـهِ، فَغُلِبُـوْا

ظل النبي ﷺ أكثر من عشر سنين يطلب منهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن فغُلبوا، لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: ٨٨]؛ فتحداهم النبي ﷺ أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

وإعجاز القرآن الكريم ذو وجوه متعددة؛ فهو إعجاز في نظْمِه، وبلاغته وفصاحته، وكانت العرب أهل فصاحة وبيان، وبلغوا الغاية في فصاحة اللغة، ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن.

كذلك إعجازه من جهة معانيه، وما فيه من الأحكام، وإعجاز التشريع والأحكام الكاملة، وإعجاز الأخبار، يعني ما فيه من الأخبار الصادقة سواء عن الأمور الماضية أو الأمور المستقبلة، فعجزوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

٣- ثُـمَّ بِعَـشْرِ سُـوَرٍ فَسُـوْرَةْ فَلَـمْ يُطِيْقُوهَـا، وَلَـو قَصِـيْرَةْ

يعني بعد ذلك تحداهم النبي ﷺ أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم ﴾[هود: ١٣] فعجزوا عن ذلك.

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ٢٣]، فتحداهم أن يأتوا بسورة (فَلَمْ يُطِيْقُوهَا، وَلَو قَصِيْرَةْ)أي: عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، ولو كانت كأقصر سُوَرِه.

٤- وَهُمْ لَعَمْرِي الْفُصَحَاءُ اللُّسْنُ ... فَانْقَلَبُوا، وَهُمْ حَيَارَى لُكْنُ

٥- وَ (أُسْمِعُوْا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيْعَا ... لَدَى الْمَلاَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعَا

٦- فَلَمْ يَفُهْ مِنْهُمْ فَصِيحٌ بِشَفَهْ ... مُعَارِضًا، بَلِ الإلَهَ صَرَفَهْ

يقول: (وَهُمْ لَعَمْرِي الْفُصَحَاءُ اللُّسْنُ) يعني هم الفصحاء اللسن أي: البُلَغاء، ومن معاني اللسن أيضًا: ذوو الألسنة السليطة الحادة، التي لا يصبرون بها عمَّنْ هجاهم أو اعترض عليهم، فينظمون فيه أشعار الهجاء، ويعارضونه فيما يقول.

(فَانْقَلَبُوْا، وَهُمْ حَيَارَى لُكْنُ) فأصبتهم لَكْنة أي: عَيٌّ وثِقَلٌ في ألسنتهم، العي: هو عدم القدرة على الإفصاح والبيان، ولم يستطيعوا أن يعارضوا القرآن الكريم، أو يجيبوا تحدِّي النبي ﷺ لهم، وتحدّي الله ﷻ لهم في كتابه العزيز.

٥- وَ (أُسْمِعُوْا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيْعَا ... لَدَى الْمَلاَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعَا

يعني القرآن العظيم فيه توبيخ وتقريع للمشركين، وتوَعُّد لهم بالعذاب الأليم إن استمروا على شِرْكهم وبيان سفاهة معتقداتهم الباطلة، فـ((أُسْمِعُوْا) التَّوْبِيْخَ وَالتَّقْرِيْعَا).

(لَدَى الْمَلاَ، مُفْتَرِقًا مَجْمُوعَا) يعني حال افتراقهم عن الناس وحال اجتماعهم مع

الناس.

(فَلَمْ يَفُهْ مِنْهُمْ فَصِيْحٌ بِشَفَهْ) ومع ذلك لم يتفوّه واحد منهم بشيء يعارض به القرآن الكريم.

(مُعَارِضًا، بَلِ الإلَه صَرَفَهْ) هنا يتكلم عن مسألة اعتقادية، وهي: هل إعجاز القرآن الكريم بالصرفة أم لا؟

المعتزلة يزعمون أن القرآن مخلوق، من مخلوقات الله ﷻ وليس صفة من صفاته؛ فلذلك من معتقدات المعتزلة أن عدم قُدرة المشركين على معارضة القرآن أو الإتيان بمثله ليس لكون القرآن لا يمكن أن يأتي البشر بمثله، ولكن لأن الله صرَفهم عن الإتيان بمثله. فهم يرون أن المشركين كان بإمكانهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو الناس بصفة عامة ممّنْ عارض القرآن يستطيعون أن يأتوا بمثله، ولكن الله صرَفهم عن ذلك وصدَّهم عنه، فيرون أن الإعجاز هنا في أن الله ﷻ صرَفهم.

وهذا الكلام لا شك أنه كلام باطل ومخالف لمعتقد أهل السّنة، لكن من أهل السُّنة مَنْ يستعمل الصِّرفة بالمعنى اللغوي: بمعنى أن الله ﷻ صدَّ المشركين عن الإتيان بمثل القرآن، وعلى أنه لا يلزم من ذلك أن القرآن العظيم يستطيع الناس أن يأتوا بمثله، أو أن الصرفة هي الوجه الوحيد من وجوه الإعجاز، فهذا ما يقصده المؤلف، يعني يقصد: أن القرآن الكريم مُعجِز في ألفاظه وبلاغته، ومُعجز في صِدْق أخباره، ومُعجِز في عظمة معانيه، ومُعجز في تأثيره على مستمعيه وعلى نفوسهم، إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فالقرآن لا يمكن الإتيان بمثله؛ لما في ذات القرآن، يعني لأنه صفة الله ﷻ ولا يستطيع إنسان أن يأتي بمثله؛ لكون القرآن مُعجِز في بلاغته وأخباره وأحكامه وتأثيره.

ومع ذلك فإن الله ﷻ صَرَف المشركين عن أن يأتوا بمثله، لكن حتى لو لم يصرفهم

الله ﷻ لما استطاعوا أن يأتوا بمثله، فكلامه معناه: أن الله ﷻ صرف المشركين عن أن يأتوا بمثل القرآن، أو بسورة مثل سُور القرآن مع شدة عداوتهم للنبي ﷺ ورغبتهم في إبطال حجة النبي ﷺ، ومع ذلك لم يستطيعوا هذا.

٧- فَقَائِلٌ يَقُولُ: «هَذَا سِحْرُ» وَقَائِلٌ: «فِي أُذْنَيَّ وَقْرُ»

يذكر هنا موقف المشركين من القرآن الكريم لما قرأه عليهم النبي ﷺ قال: (فَقَائِلٌ يَقُولُ: «هَذَا سِحْرُ») بعض المشركين قال: هذا القرآن سحر.

(وَقَائِلٌ: «فِي أُذْنَيَّ وَقْرُ») وقر: يعني صَمَمٌ: لا أسمع.

إذا تلا عليهم النبي ﷺ القرآن بعضهم يقول: هذا سحر، وبعضهم يقول: في أذني وقْر- يعني صمم- لا أسمع ما تقول.

٨- وَقَائِلٌ يَقُولُ مِمَّنْ قَدْ طَغَوْا: «لاَ تَسْمَعُوا لَهُ، وَفِيْهِ فَالْغَوْا»

وهذا ما ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت: ٢٦]، فقالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه: يعني أحدِثوا لغطًا، وجلبة، عندما يقرأ النبي ﷺ القرآن؛ حتى لا يواصل قراءته عليكم.

وفي تفسير آخر: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾[فصلت: ٢٦] قالوا: أي: عارضوه باللغو يعني بالكلام الذي لا نفْع فيه، عارضوا القرآن باللغو: يعني إذا تكلّم بالقرآن تكلموا أنتم بأشياء أخرى.

٩- وَهُمْ إذَا بَعْضٌ بِبَعْضٍ قَدْ خَلاَ: اعْتَرَفُوْا بِأَنَّ حقًّا مَا تَلاَ

يعني كان المشركون- رغم أنهم أمام النبي ﷺ يقولون: هذا سحر، ويحدث منهم اللغو في القرآن- لكن إذا خلا بعضهم ببعض وتشاوروا فيما سمعوه من القرآن (اعْتَرَفُوْا

بِأَنَّ حقًّا مَا تَلا)..

١٠- وَأَنَّــهُ لَيْــسَ كَلامَ الْبَــشَرِ وَأَنَّــهُ لَيْــسَ لَهُ بِمُفْــتَرِيْ

يعني إذا خلا بعضهم ببعض اعترفوا أن ما تلاه النبي ﷺ حق، وأنه ليس كلام البشر، وأنه ﷺ لم يفترِ هذا القرآن.

١١- اعْــتَرَفَ الْوَلِيْدُ، ثُــمَّ النَّضْرُ وَعُتْبَــةٌ بِــذَاكَ، وَاسْــتَقَرُّوْا

١٢- وَابْنُ شَرِيْقٍ بَاءَ وَهُوَ الأَخْنَسُ كَذَا أَبُــو جَهْلٍ، وَلَكِنْ أُبْلِسُــوْا

ذكر هنا بعض أئمة الكفر الذين اعترفوا بأن القرآن حق، وأن النبي ﷺ لم يفترِه، وهم جماعة من أَلَدِّ خصوم النبي ﷺ وأعدائه، وأحرَصهم على مقاومة دعوته، ومع ذلك اعترفوا أن القرآن كلام الله، وأن النبي ﷺ لا يستطيع أن يأتي به من عند نفسه.

فأوّل هؤلاء: الوليد بن المغيرة، وقد اجتمع نفر من قريش بالوليد بن المغيرة، وسألوه: ماذا يقولون في هذا القرآن؟ وماذا يفعلون تجاه القرآن؟

فقال الوليد بن المغيرة: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لَغَدِق، وإن فرعه لجناة.

الغَدق: الكثير، الغزير ، يقال: ماءً غدقًا يعني كثيرًا.

وإن فرعه لجناة: يعني لَثَمر طيب.

يعني: إن القرآن عليه حلاوة وجمال وحُسن، وأصله مُغدِق، وفرعه مثمر، فاعترف بذلك، لكنه أشار عليهم أن يقولوا: هذا سحر مع أنه في نفسه معترف أنه ليس بسحر.

والنضر بن الحارث كان من زعماء قريش أيضًا، وعتبة بن ربيعة، والأخنس بن

شريق، وأبو جهل، كل واحد من هؤلاء وَرَد عنه أنه عندما خلا بأصحابه اعترف لهم بأن القرآن حق، وأنه كلام الله، وأنهم لم يسمعوا مثله قط.

هم يعلمون أن النبي ﷺ أولًا أُمي ﷺ ما قرأ كتابًا قبل القرآن كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[العنكبوت: ٤٨]، فكانوا يعلمون أن النبي ﷺ ما قرأ الكتب السابقة حتى يزعموا أنه قرأ من كتب السابقين، ونقل عنها، وأنه ﷺ لا يعلم أخبار أهل الكتاب وأخبار الأنبياء السابقين، وأخبار الأمم السالفة، ولا أخذ عنهم ولا قرأ كتبهم، ومع ذلك يقص قصص الأنبياء السابقين وتفاصيل أمورهم وأحوال الأمم السابقة، ثم هم يعلمون أن النبي ﷺ هو الصادق الأمين، واعترفوا له أنهم ما جرّبوا عليه كذبًا قط ﷺ فكانوا من هذه الجهة كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: ٣٣].. فكانوا لا يُكذِّبون النبي ﷺ، يعلمون أنه صادق وما جرّبوا عليه كذبًا قط ﷺ.

وكذلك لبلاغة القرآن وفصاحته- وهم أهل البلاغة والفصاحة- وهذه الجهة من إعجاز القرآن لا يستطيع أن يُقِرّ بها على وجهها الأكمل إلا مَنْ كان بليغًا فصيحًا، ولهذا يذكر العلماء أن موسى عليه السلام كان من أبرز معجزاته: العصا التي تنقلب حيّة، فكبار السحرة وخبراؤهم ممَّنْ اختارهم فرعون، وألقوا حبالهم وعِصيهم وخيّلوا للناس أنها حيّات تسعى، لما رأوا عصا موسى التي انقلبت حيةً قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢١-١٢٢]، رغم أنهم قبل لحظات كانوا يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الشعراء: ٤٤] لكن رأوا شيئًا أعجزهم؛ لأنهم هم أهل السحر وأعْرف به، ورأوا ما يجزمون أنه ليس بسحر.

وكذلك عيسى عليه السلام بُعث في قوم برعوا في الطب، وبلغوا فيه مبلغًا عظيمًا، فكان من

معجزة عيسى عليه السلام أنه يُبرِئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، يمسح على الأكمه- والأكمه: الذي وُلِد ضريرًا- فيبرأ بإذن الله.

ويحيي الموتى بإذن الله، يمر على الميت فيحييه بإذن الله جل وعلا وهذا شيء حتى أطباء عصرنا هذا رغم ما بلغوا فيه من التقدم الطبي يعجزون عنه، لو جئنا بأمهر الأطباء ورأى معجزة عيسى عليه السلام يُحيي الموتى ويُبرِئُ الأكمه، لجَزَم بأن هذا مما لا يمكن فِعْله بالطب.

فهؤلاء شعراء قريش وفصحاء قريش، كانوا قد بلغوا الغاية في الفصاحة والبيان، فكانوا أعرف بما يمكن أن يقوله الشعراء.

وهم يعلمون أن أعذب الشعر أكذبه، وقد قال تعالى عن الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٦]؛ فالشاعر حتى يكون شعره راقيًا لا بد أن يخلطه بالأكاذيب والمبالغات.

فجمال الشعر أن يكون مليئًا بالمبالغات وتهويل الأمور، وأن الشاعر يقول أشياء لا يفعلها، وإذا أراد أن يمدح رجلًا بالشجاعة يصفه بأشياء غير حقيقية بغرض المبالغة، لكنه لو وصف الشيء على ما هو عليه حقيقةً من غير مبالغات ومن غير أكاذيب لا يكون كلامه ذا أثر تطرب له النفوس.

لكن القرآن العظيم كل ما فيه حق، ومع ذلك ليس فيه مبالغة غير صحيحة، ومع ذلك يعجزون أن يأتوا بكلام في جماله وحُسنه.. إلى غير ذلك من وجوه إعجاز القرآن العظيم.

هذا من جهة فقط الألفاظ، لكن إذا نظرنا إلى إعجاز القرآن في معانيه، وإعجاز التشريع في القرآن الكريم، والإعجاز في صدق ما فيه من الأخبار، ومطابقتها للحقائق

لو جدنا وجوهًا عظيمة لإعجاز القرآن، فكانوا يعترفون أن القرآن حق.

١٣- وَكَيْفَ لاَ (وَهُوَ) كَلاَمُ اللهِ مُنَزَّهٌ عَنْ نِحْلَةِ اشْتِبَاهِ

يعني كيف لا يُعجِزهم وهو كلام الله ﷻ الذي هو مُنَزّه أن يُشتبه في أنه منحول أو مُختلَق، فكلام الله ﷻ مُنزّه أن يشتبه أحد في أنه كلام مُنتحَل أو مخلوق، أو مُختلَق.

١٤- يَهْدِي إلى الَّتِي هُدَاهَا أَقْوَمُ بِهِ يُطَاعُ وَبِهِ يُعْتَصَمُ

١٥- وَهُوَ لَدَيْنَا حَبْلُهُ الْمَتِيْنُ نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِينُ

هو حبل الله المتين لدينا لنتمسك به، والحبل: هو السبب الذي يوصل إلى المقصود، فالقرآن هو حبل الله المتين- الحبل القوي الذي لا ينقطع- هو السبب الذي يوصل إلى رضوان الله ﷻ (نَعْبُدُهُ بِهِ وَنَسْتَعِيْنُ).

١٦- وَهُوَ الَّذِي لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهْ وَلاَ يَضِلُّ أَبَدًا مُصَاحِبُهْ

لا تنقضي عجائب القرآن، فكلما تدبرت القرآن وجدت فيه من المواعظ ومن المعاني العجيبة. العجائب: يعني المعاني العجيبة، كلما تدبرت القرآن وجدت فيه من المعاني العجيبة، والعظات العظيمة، فلا تنقضي عجائب القرآن الكريم، وليس لها نهاية يُنتهَى إليها.

(وَلاَ يَضِلُّ أَبَدًا مُصَاحِبُهْ) أي: لا يضل من اتخذ القرآن دليلًا وصاحبًا، يعمل بما فيه.

١٧- مُعْجِزَةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى الْمَدَى حَتَّى إلى الْوَقْتِ الَّذِي قَدْ وُعِدَا

فهي معجزة باقية إلى الوقت الذي -وعد الله تعالى- أن يرتفع فيه القرآن، وهذا في حديث النبي ﷺ أنه في آخر الزمان يرفع الله ﷻ القرآن قبل أن تقوم الساعة، فلا تقوم

الساعة إلا على شرار الخلق، فيرفعه من الصدور ويرفعه من الصحف فيصبح الناس ويجدون المصاحف بيضاء ليس فيها آية، ويقبض الله ﷻ العلماء ولا يبقى أحد يذكر من كتاب الله ﷻ آية وهذا قبل أن تقوم الساعة، فلا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق عليهم تقوم الساعة.

ذكر كفاية الله المستهزئين

١- وَقَدْ كَفَى الْمُسْتَهْزِئِيْنَ الْبُعَدَا: اللهُ رَبُّنَا، فَبَاءُوْا بِالرَّدَى

يعني أن الله ﷻ (كَفَى الْمُسْتَهْزِئِيْنَ الْبُعَدَا) كفى نبيّنا ﷺ المستهزئين به وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر: ٩٥].

(فَبَاءُوْا بِالرَّدَى) يعني رجعوا بالهلاك والخسارة.

٢- فَعَمِيَ الأَسْوَدُ، ثُمَّ الأَسْوَدُ الآخَرُ اسْتَسْقَى فَأَرْدَتْهُ الْيَدُ

أول واحد من هؤلاء الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر: ٩٥] هو الأسود بن المطلب بن أسد بن زمعة، فهذا الأسود بن المطلب دعا عليه النبي ﷺ فعمي بصره.

(ثُمَّ الأَسْوَدُ الآخَرُ اسْتَسْقَى) الأسود الآخر هو الأسود بن عبد يغوث

فالأسود بن عبد يغوث مرّ بالمصطفى ﷺ وجبريل عند النبي ﷺ، فقال جبريل للنبي ﷺ: «قد كفيته»، وأشار جبريل عليه السلام بإصبعه إلى بطن الأسود بن عبد يغوث فاستسقى (يعني: أصابه مرض الاستسقاء، هو المعروف الآن بالأسماء المعاصرة بالفشل الكبدى ينشأ عنه انتفاخ للبطن، ثم يوصِّل إلى الموت والهلاك).

كل هؤلاء دعا عليهم النبي ﷺ، لما آذوه واستهزءوا به فاستجاب الله ﷻ دعاءه، فهذا الأسود: (اسْتَسْقَى فَأَرْدَتْهُ الْيَدُ) يعني فأهلكته يد جبريل، حين أشار جبريل بيده إليه.

٣- كَذَا أَشَارَ لِلْوَلِيْدِ فَانْتَقَضْ الْجُرْحُ، وَالْعَاصِي كَذَاكَ فَعَرَضْ:

٤- لِرِجْلِهِ الشَّوْكَةُ حَتَّى أُرهِقَا وَالْحَارِثُ اجْتِيْحَ بِقَيْحٍ بَزَقَا

الثالث من المستهزئين الذين استهزؤوا بالنبي ﷺ وكفاه الله إياه: الوليد بن المغيرة، أشار جبريل عليه السلام إلى ساقه، وكانت قد أصابته شظية نبل (قطعة حديد صغيرة مثل الشوكة من النبل أصابته)، فمنعه الكِبر والتيه أن ينزعها حالًا، فانتفض عليه الجرح فمات بسببها.

(وَالْعَاصِي) هذا هو الرابع: العاص بن وائل السهمي، وهو والد عمرو بن العاص.

أشار جبريل عليه السلام إلى أُخمصيه- الأخمص: هو تجويف بطن الرجل، أي: الجزء المقوس في بطن الرجل يسمى الأخمص- أشار جبريل إلى أخمصيه فخرج على راحلته فنزل في شعب (فَعَرَضْ لِرِجْلِهِ) شوكة في أخمصه، فصارت كعنق البعير، يعني تورمت رجله حتى صارت كعنق البعير من شدة الورم.

(حَتَّى أُرهِقَا) وفي نسخة (حَتَّى أُزْهِقَا) يعني حتى مات، لعل (حَتَّى أُزْهِقَا) أحسن، حتى أُرهق: يعني أصابه الرَّهق والألم الشديد. قال: (وَالْحَارِثُ اجْتِيْحَ بِقَيْحٍ بَزَقَا) هذا الخامس اسمه الحارث بن العيطلة السهمي أشار إليه جبريل عليه السلام فـ (اجْتِيْحَ) يعني أصابته جائحة، والجائحة: يعني المصيبة، فـ (اجْتِيْحَ) يعني فأصابته مصيبة حين أشار إليه جبريل عليه السلام فابتُلي بقيح يتمخطه من أنفه ويبزقه من فمه، فأصابه قيح فجعل يتمخط من أنفه ويبزق من فمه قيحًا ودمًا حتى مات بذلك.

٥- وَعُقْبَـــةٌ فِي يَـــوْمِ بَـــدْرٍ قُتِلاَ   أَبُـــو لَهَـــبْ بَـــاءَ سَرِيْعًـــا بِالْبَلاَ

(وَعُقْبَةٌ فِي يَوْمِ بَدْرٍ قُتِلَا) ممَّنْ كانوا يُكثرون الاستهزاء بالنبي ﷺ ودعا عليهم النبي ﷺ: عقبة بن أبي معيط، وقد قُتل في يوم بدر.

قال: (أَبُو لَهَبْ بَاءَ سَرِيْعًا بِالْبَلَا) يعني رجع سريعًا بالبلاء، وذلك أن أبا لهب- كما

هو معلوم- كان يؤذي النبي ﷺ ويستهزئ به، وكان يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو الحُجاج، في موسم الحج كان النبي ﷺ يمر على قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، فكان أبو لهب يسير خلف النبي ﷺ، وكلما دعا قومًا إلى الإسلام حذّرهم منه وقال: أنا عمه وأدرى به وهذا كذاب ويُحذّر الناس من النبي ﷺ.**فعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا» ، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ قَدْ أَدْمَى كَعْبَيْهِ وَعُرْقُوبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُطِيعُوهُ؛ فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ»**[١]

فأبو لهب مات بداء يقال له: داء العدسة، وهو مرض مُعدٍ، فهلك حتى صار له نتن- يعني رائحة منتنة- والناس يخافون أن يمسوهم بأيديهم ليدفنوه أو يغسلوه؛ مما به من الداء فأمروا عبيدهم أن يدحرجوه بالعصي حتى ألقوه بعيدًا.

ومات بعد غزوة بدر بسبع ليالٍ، وأقام ثلاثة أيام لم يُدفَن، والناس لا يريدون أن يلمسوه أو يقربوه.

والثامن هو الحكم بن أبي العاص، قال:

٦- ثَامِنُهُمْ أَسْلَمَ وَهُوَ الْحَكَمُ فَقَدْ كَفَاهُ شَرَّهُ إِذْ يُسْلِمُ

الحكم بن أبي العاص، كان ممَّنْ آذى النبي ﷺ لكن كفى الله ﷻ النبي ﷺ، أذاه بأن أسلم، وهذا من ضمن الكفاية، فالله ﷻ وعده أن يكفيه المستهزئين، فكانت كفايته

[١] صحيح ابن خزيمة١٥٩ وقال محققه: إسناده صحيح.

السابقين بأن أهلكهم وعذَّبهم في الدنيا قبل الآخرة، وأما كفاية الحكم فإنه أسلم فكفاه الله أذاه حين أسلم في يوم فتح مكة.

ذكر مشي قريش في أمره ﷺ إلى أبي طالب.

١- ثُــمَّ مَشَــتْ قُرَيْــشٌ الأَعْدَاءُ إلَى أَبِي طَالِــبٍ، أَنْ يُسَــاؤُوْا:
٢- مِــنْ ابْنِــهِ مُحَمَّدٍ فِي سَــبِّهِمْ وَسَــبِّ دِينِهِــمْ وَذِكْــرِ عَيْبِهِــمْ
٣- فِي مَــرَّةٍ وَمَــرَّةٍ وَمَــرَّةْ وَهُــوَ يَــذُبُّ وَيُقَــوِّي أَمْــرَهْ

يقول: إن النبي ﷺ لما دعا إلى الإسلام- كما مر بنا- كان أبو طالب يكفل النبي ﷺ، وهو الذي تولى تربيته عليه السلام بعد وفاة جدّه فذهبت قريش إلى أبي طالب، (أَنْ يُسَاؤُوْا) يعني قالوا لأبي طالب: إنه قد ساءنا سبُّ ابنك محمدٍ عليه السلام لآلهتنا ولديننا، وآبائنا.

قال: (مِنْ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ) لأن أبا طالب كان بمنزلة الأب للنبي ﷺ في ذلك الوقت بعد وفاة أبيه وجدّه.

فذهبوا إلى أبي طالب وقالوا: إن محمدًا يسبنا ويسب ديننا ويضلل آباءنا، فإما أن تكفّه عنّا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، نتصرف معه ولا تدافع عنه.

فقالوا له ذلك ثلاث مرات قال: (فِي مَرَّةٍ وَمَرَّةٍ وَمَرَّةْ) يعني في ثلاث مرات يذهبون إليه، ويكلمونه في شأن النبي ﷺ، وكان أبو طالب يقول لهم قولًا رفيقًا، و(يَذُبُّ) عن النبي ﷺ يعني يدافع عن النبي ﷺ (وَيُقَوِّي أَمْرَهْ)، ويقول: لأمنعنّه منكم، و لا أُخلي بينكم وبينه، أي: هو ابني، ولا يمكن أن أترككم تؤذونه، ويقول لهم: سوف أكلم محمدًا ﷺ بشأن عيبه آلهتكم، لكن لا يمسه أحد منكم بسوء.

و كان أبو طالب يصد المشركين ويدافع عن النبي عليه السلام.

فلما كلموا أبا طالب أكثر من مرة، كلّم أبو طالب النبي ﷺ في هذا الأمر وقال له: إن

قومك تأذوا من ذِكْرك آلهتهم ودينهم بسوء.

فقال النبي ﷺ: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلك دونه.

فالنبي ﷺ بيّن لأبي طالب أنه لا يمكن أن يتخلى عن دعوته ولا أن يترك الدعوة إلى الإسلام.

٤- فِي آخِرِ الْمَـرَّاتِ قَالُوْا: «أَعْطِنَا مُحَمَّـدًا وَخُـذْ عُمَـارَةَ ابْنَنَـا
٥- بَدَلَهُ»، قَـالَ: «أَرَدْتُـمْ أَكْفُلُ ابْنَكُـمْ وَأُسْـلِمُ ابْـنِي يُقْتَلُ؟!»

في آخر المرات التي جاؤوا فيها إلى أبي طالب كلموه أكثر من مرة، وخيّروه بين أمرين: إما أن يمنع محمدًا ﷺ من الدعوة إلى الإسلام، أو يتركهم يتصرفون معه، وهو رافض كلا الأمرين، ففي آخر مرة قالوا له: هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة، هو أجمل فتى في قريش، وأحسن شاب، في قريش، خذه وأعطنا ابن أخيك محمدًا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وعاب آلهتهم. قالوا: خُذ عمارة فاتخذه ولدًا، واترك لنا محمدًا.

فقال: بئسما تسومونني به، أكفل لكم ولدكم، وأُسلِم لكم ابني لتقتلوه؟!

هذا لا يكون أبدًا.

٦- ثُـمَّ مَـضَى يَجْهَـرُ بِالتَّوْحِيْدِ وَلاَ يَخَـافُ سَـطْوَةَ الْعَبِيْـدِ

النبي ﷺ مضى يجهر بالتوحيد ولا يخاف سطوة العبيد، يعني لا يخاف عليه السلام أذى الخلق، ومهما استهزؤوا به عليه السلام وآذوه فكان ﷺ يصبر على آذاهم، ويدعو إلى الإسلام ويصبر على ما يناله من الأذى عليه السلام.

٧- وَأَجْمَعَتْ قُرَيْشُ أَنْ يَقُولُوْا: «سَاحِرٌ احْذَرُوْا وَعَنْهُ مِيْلُوْا»

٨- وَقَعَدُوْا فِي زَمَنِ الْمَوَاسِمِ يُحَذِّرُونَ مِنْهُ كُلَّ قَادِمِ

٩- وَافْتَرَقَ النَّاسُ، فَشَاعَ أَمْرُهُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَسَارَ ذِكْرُهُ

يقول: إن قريشًا اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم، فيما يقولونه للناس؛ ليصرفوهم عن دعوة النبي ﷺ فأرادوا أن يوحدوا كلمتهم، ويجمعوا أمرهم على رأي واحد بدلا من اختلافهم في شأنه ﷺ ففريق يقول: هو ساحر، وفريقٌ آخر يقولو: كذّاب، وفريق ثالث يقول: شاعر، فأرادوا أن يتفقوا على قول واحدٍ؛ حتى تصدقهم العرب الذين يأتون في مواسم الحج، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة، « وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ وَقَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدُمُ عَلَيْكُمْ فِيهِ. وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا فَيُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدُّ قَوْلُكُمْ بَعْضَهُ بَعْضًا قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ فَقُلْ وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُلْ بِهِ فَقَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا وَأَسْمَعُ قَالُوا: نَقُولُ إِنَّهُ كَاهِنٌ قَالَ: مَا هُوَ بِكَاهِنٍ لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزَمْزَمَةِ الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ: إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ فَمَا هُوَ بِخَنْقِهِ وَلَا تَخَالُجِهِ وَلَا وَسْوَسَتِهِ. قَالُوا: فَنَقُولُ إِنَّهُ شَاعِرٌ قَالَ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ لَقَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ: رَجَزَهُ، وَهَزَجَهُ، وَقَرِيضَهُ، وَمَقْبُوضَهُ، وَمَبْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشَّاعِرِ قَالُوا: فَنَقُولُ سَاحِرٌ. قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ؛ لَقَدْ رَأَيْنَا السُّحَّارَ وَسِحْرَهُمْ فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ قَالُوا: فَمَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ، وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عُرِفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لَأَنْ تَقُولُوا: سَاحِرٌ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ

الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ بِذَلِكَ»[١]

وكان أبو لهب يسير خلف النبي ﷺ وهو يدعو وفود العرب في الحج فيُحذّر الناس من النبي ﷺ، لكن رغم ذلك كان النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام ويجهر به، وشاع ذِكْره في قبائل العرب، عندما كانوا يأتون من جميع أنحاء الجزيرة للحج، فيسمع بعضهم بالنبي ﷺ، ويذهبون إلى أقوامهم فيُخبرونهم أن رجلًا بمكة يزعم أنه نبي، ويقول كذا، وقومه يقولون كذا، فشاع خبره، وانتشر بين قبائل العرب كلها. وكان هذا من أسباب مجيء بعض الناس، مثل: أبي ذر الغفاري رضي الله عنه حين سمع من ناس قدموا من مكة يقولون: إنه ظهر بمكة رجل يقول: إنه نبي، فذهب إلى النبي ﷺ والتقى به وأسلم رضي الله عنه، فصار ناس يأتون من أماكن شتى ويُسلمون.

---

[١] دلائل النبوة لأبي نعيم١٨٣.

ذكر قدوم وفد نجران

ووفد نجران هؤلاء هم قوم قدموا على النبي ﷺ في مكة في أوّل دعوة النبي ﷺ بمكة، ونجران هذه منطقة في جنوب الجزيرة العربية، كانت سابقًا معدودة من اليمن، والآن طبعًا حسب الحدود السياسية هي تابعة للسعودية، فمنطقة نجران في جنوب الجزيرة العربية، كان أهلها نصارى، وكانت لهم صلة بالحبشة، الحبشة قريبة منهم يعبرون البحر إلى الحبشة.

فجاء من نجران عشرون رجلًا إلى النبي ﷺ وهو بمكة، وأسلموا على يديه عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء غير وفد نجران الذين قدموا على النبي ﷺ في المدينة يناظرونه في الإسلام، ونزل بشأنهم سورة آل عمران، يعني نصف سورة آل عمران في غزوة أُحد، ونصفها بشأن وفد نجران.

لكن الوفد المقصود معنا هم الذين جاء ذِكْرهم في سورة القصص.

١- وَجَاءَ مِنْ نَجْرَانَ قَوْمٌ أَسْلَمُوْا ... عِدَّتُهُمْ عِشْرُونَ، لَمَّا عَلِمُوْا:

٢- بِصِدْقِهِ، جَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَسَبْ ... وَأَقْذَعَ الْقَوْلَ لَهُمْ بِلاَ سَبَبْ

٣- فَأَعْرَضُوْا، وَقَوْلُهُمْ: «سَلاَمُ ... لَيْسَ لَنَا مَعْ جَاهِلٍ كَلاَمُ»

قصة هؤلاء الوفد رضي الله عنهم أنهم كانوا من نصارى نجران، وجاؤوا إلى النبي ﷺ فوجدوه في المسجد الحرام فقعدوا إليه ﷺ وكلموه وسألوه عن أشياء مما في كتبهم، فأجابهم النبي ﷺ على أسئلتهم ودعاهم إلى الله -تعالى- وتلا عليهم القرآن فبكوا رضي الله عنهم

وفاضت أعينهم من الدمع، واستجابوا لأمر الله، وعرفوا أنه النبي المذكور في كتبهم، فجاء أبو جهل، وهم جالسون حول النبي ﷺ ووجدهم يستمعون إلى النبي ﷺ، وينصتون لكلامه وصدّقوا ما يقول، فسبهم أبو جهل وقال: خيّبكم الله من ركْب، بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم؛ لتأتوهم بخبر الرجل فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم وَصَدَّقْتُمُوهُ فِيمَا قَالَ؟ مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحْمَقَ مِنْكُمْ.

فردّوا عليه رضي الله عنهم قالوا: سلام عليكم، لا نجاهلكم، يعني لا نرد على جهلكم بجهل، -والجهل هنا : هو الغضب، عكس الحِلم- قالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه. وأعرضوا عنه، فأنزل الله سبحانه وتعالى في شأنهم آيات كريمة في سورة القصص، وهي في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: ٥٢-٥٦] يعني النبي ﷺ يدعو قومه فلم يهتدوا، وهؤلاء يعني جاءوا من بلاد بعيدة فهداهم الله سبحانه وتعالى.

وقوله عز وجل: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[القصص: ٥٤] يعني يؤتون أجرهم مضاعفًا لأن النبي ﷺ قال: «رجل آمن بنبيّه ثم آمن بي» فهذا يُؤتى أجره مرتين، أجر الإيمان مرتين؛ المرة الأولى لما آمن بنبيّه، والمرة الثانية لما آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام.

ذكر قدوم وفد ضماد بن ثعلبة رضي الله عنه

١- ثُـمَّ أَتَى ضِمَادُ وَهُـوَ الأَزْدِيْ لِيَسْـتَبِيْنَ أَمْـرَهُ بِالنَّقْـدِ

٢- مَـا هُوَ إلّا أَنْ مُحَمَّـدٌ خَطَبْ: أَسْـلَمَ لِلْوَقْـتِ بِصِـدْقٍ، وَذَهَبْ

ذكرنا أن النبي ﷺ بدأ يدعو وفود الحجاج، في كل موسم، والناس يسمعون بالخبر ويذهبون وينقلون إلى أقوامهم، فبسبب الدعاية المغرضة ضد النبي ﷺ شاء الله ﷻ أن ينتشر ذِكْره، فتوافد الناس من القبائل، ومن البلاد المختلفة؛ ليعرفوا حقيقة هذا الرجل الذي يقول: إنه نبي. ويتبيّنوا حقيقة هذا الدين الجديد.

فممَّنْ قدِم على النبي ﷺ رجل يقال له: ضماد بن ثعلبة الأزدي، وكان ذلك في السنة الخامسة من البعثة.

وخبره في صحيح مسلم من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما «أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ، قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي، قَالَ: فَبَعَثَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ: هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ»[١]

فضماد أسلم بسبب خطبة الحاجة فقط، سمع خطبة الحاجة فشرح الله صدره للإسلام فهذا معنى قوله:

٢- مَـا هُوَ إِلّا أَنْ مُحَمَّـدٌ خَطَبْ: أَسْـلَمَ لِلْوَقْـتِ بِصِـدْقٍ، وَذَهَبْ

يعني ما هو إلا أن خطب النبي ﷺ خطبة الحاجة إذا به يُسلِم ويرجع إلى قومه مسلمًا.

[١] صحيح مسلم٨٦٨.

ذِكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين.

١- وَأُوْذِيَ النَّـبِيُّ مَـا لَـمْ يُـؤْذَا   مَـنْ قَبْلَـهُ مِـنَ النَّبِيِّـيْنَ، وَذَا:

٢- مِمَّـا يُضَاعِـفُ لَهُ الأُجُـوْرَا   وَلَـوْ يَشَـاءُ دُمِّـرُوْا تَدْمِـيْرَا

يقول: إن النبي ﷺ أُوذي ما لم يؤذَ مَنْ قبله من النبيين، وسنذكر شيئًا من الأذى الذي تعرض له النبي ﷺ من قريش ومن أهل الطائف.

فالنبي ﷺ كان قومه كانوا يستهزئون به ويسخرون منه ويقولون: هو مجنون، ويقولون: ساحر، كذاب..إلخ، وهذا نوع من الأذى المعنوي، وقد ألحقوا به الأذى الحسي أيضًا بضربه عليه السلام وإلقاء الأذى على ظهره الشريف، ومحاولة قتْل النبي ﷺ فتعرّض لأذى كثير في الفترة المكية، وبلغ الأذى مداه لما ذهب النبي ﷺ إلى الطائف فوقفوا له صفين للنبي ﷺ بعد أن سخروا منه، واستهزؤوا به عليه السلام وقفوا صفين والنبي ﷺ يمر يرجمونه بالحجارة ﷺ حتى أدموا عقبيه عليه السلام، أو أدموا رجليه من الجروح وهم يضربونه بالحجارة على قدميه عليه السلام.

الناظم هنا يقول: إن النبي ﷺ أُوذِي ما لم يؤذَ نبي قبله، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه **قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ ﷺ أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الابِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ**

وَرَسُولُهُ؟ رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»[١]

فقال النبي ﷺ: «يرحم الله أخي موسى أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر»؛ قال شُرّاح الحديث: هذا من تواضع النبي ﷺ أن يقول: «أوذي موسى بأكثر من هذا»، فبعض العلماء يقول: إن النبي ﷺ هو أكثر مَنْ تعرَّض للأذى في دعوته إلى الإسلام، لكنه كان يستقل ما أصابه من الأذى ويقول: إن مَنْ قبله من الأنبياء أوذوا بأكثر مما أُوذِي به عليه الصلاة والسلام.

ولو يشاء النبي ﷺ لدُمِّروا تدميرًا؛ لأن الله جل وعلا أرسل إليهم ملك الجبال وخيّره أن يُطبِق الجبلين عليهم فيدمرهم عن آخرهم، لكنه لم يفعل ذلك وقال: أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله.

٣- لَكِنَّهُمْ إذ أَضْمَـــرُوْا الضَّغَائِنَا مَا مُكِّنُوْا، فَاسْـــتَضْعَفُوْا مَنْ آمَنَا

يقول: كانوا يضمرون الضغائن في قلوبهم، ولم يتمكنوا من إظهار ما أضمروه من الضغائن إلا على المستضعفين، ولو كان الأمر بيدهم لانتقموا من النبي ﷺ، ومن جميع مَنْ أسلم، لكن كان الأذى الحسي كان ينال الصحابة رضي الله عنهم على درجات متفاوتة؛ فكل مَنْ كان له عشيرة وقرابة يدافعون عنه كان يناله من الأذى أخَفّ مما ينال مَنْ كان من المستضعفين من العبيد والموالي والغرباء، ممّنْ لا يدافع أحد عنهم ويتصدى لأعدائهم.

فكان مشركو قريش يضمرون الضغينة والأحقاد على المسلمين في قلوبهم، ويُظهرون منها ما يتمكنوا من إظهاره.. (فَاسْتَضْعَفُوْا مَنْ آمَنَا).

---

[١] متفق عليه: البخاري ٣١٥٠ ومسلم ١٠٦٢.

٤- عَمَّـارًا الطَّيِّــبَ أُمَّـهُ أَبَـهْ أُمَّ بِـلاَلٍ، وَبِـلاَلًا عَذَّبَـهْ:

(عَمَّارًا الطَّيِّبَ أُمَّهُ أَبَهْ) يعني: أمه، وأباه.

(أُمَّ بِلاَلٍ، وَبِلاَلًا عَذَّبَهْ) يقول: ممّنْ أُوذي: عمار بن ياسر، و أمه سمية بنت الخياط، وأبوه ياسر العنسي ﷺ، وكذلك أم بلال وابنها بلال.

وأم بلال اسمها: حمامة ﷺ وأرضاها كانت أيضًا ممّنْ أوذي في الله ﷻ وتعرض لتعذيب قريش.

٥- أُمَيَّـةٌ، وَمِنْهُـمُ جَارِيَـةُ وَمِنْهُـمُ زِنْـبَرَةُ الرُّومِيَّـةُ

(وَبِلاَلًا عَذَّبَهْ: أُمَيَّةٌ) الذي عذّب بلالًا هو أُمية بن خلف، ولهذا لما رآه بلال ﷺ في غزوة بدر، قال: رأس الكفر، لا نجوت إن نجا، وقتله.

فأمية كان يُعذّب بلالًا ﷺ ويضع على صدره الصخرة العظيمة في الحر ، ويُجرّده من ثيابه، وكان بلال ﷺ يقول: أحد أحد، يعني لا يزيد على قوله: أحد أحد، يوحد الله ﷻ وهم يُعذّبونه.

فأمية بن خلف هو الذي كان يعذب بلالًا وأمه ﷺ.

قال: (ومنهم جارية) يعني جارية اسمها: أم عمرو، من الصحابيات ﷺ من بني عدي ممَّنْ أُوذيت أيضًا وعُذّبت ﷺ.

وزنبرة الرومية ﷺ كانت جارية من الروم، وكانت لبني عبد الدار، فلما أسلمت عميت، فقال مشركو قريش: أعمتها اللات والعزى، فرَدّ الله عليها بصرها.

أحيانًا المؤمن لما يُسلِم يمتحنه الله ﷻ ليختبر صدْقه، فهذه أول ما أسلمت عميت،

فقالوا: أعمتها اللات والعزى، لكنها صبرت وثبتت على إسلامها، فرَدّ الله ﷻ عليها بصرها، وكانوا يعذبونها رضي الله عنها.

٦- كَـــذَاكَ أُمُّ عَنْبَـــسٍ وَابْنَتُهَـــا وَابْـــنُ فُهَـــيْرَةٍ فَـــذِي سَـــبْعَتُهَا

(كَذَاكَ أُمُّ عَنْبَسٍ وَابْنَتُهَا) أم عنبس وهي أَمَة لبني تميم بن مُرة، أسلمت فعُذبت رضي الله عنها.

(وَابْنَتُهَا) بنت أم عنبس رضي الله عنها أيضًا ممّنْ أسلمت في تلك الفترة وتعرضت لتعذيب شديد وثبتت على دينها.

(وَابْنُ فُهَيْرَةٍ فَذِي سَبْعَتُهَا) ابن فهيرة عامر بن فهيرة رضي الله عنه الذي كان عبدًا لطفيل واشتراه أبو بكر فأعتقه.

٧- ابْتَاعَهَا الصِّدِّيْــقُ، ثُمَّ أَعْتَقْ جَمِيْعَهُــمْ لِلَّهِ بَــرَّ وَصَــدَقْ

فهؤلاء السبعة من أشد مَنْ كان يُعذَّب في الله ﷻ وكلهم كانوا من الموالي، هم: عمار بن ياسر، وأمه، وأبوه، وبلال، وأمه، وأبوه، وجارية وهي أم عمرو، وزنبرة الرومية، وأم عنبس وابنتها، وعامر بن فهيرة.

فهؤلاء سبعة رضي الله عنهم كانوا من الموالي، وكانوا يُعذَّبون تعذيبًا شديدًا فاشتراهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بماله من مواليهم وأعتقهم لله ﷻ وعاتبه أبوه –وكان مشركًا في ذلك الوقت– لأنه كان يعتق العبيد الضعفاء، وكان أبوه يريد منه أن يعتق الشبّان الأقوياء؛ حتى يدافعوا عنه، ويناصروه ، فكان يقول له: إنه يعتقهم لله ﷻ لا يريد منهم جزاءً ولا شكورًا، وإنما يريد فضل الله ﷻ.

ذكر انشقاق القمر

١- وَإِذْ بَغَتْ مِنْهُ قُرَيْشٌ أَنْ يُرِي ... آيًا، أَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ
٢- فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةٌ عَلَتْ ... وَفِرْقَةٌ لِلطَّوْدِ مِنْهُ نَزَلَتْ
٣- وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالإِجْمَاعِ ... وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِي
٤- زَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِيْمَانَا ... وَلأَبِي جَهْلٍ بِهِ طُغْيَانَا
٥- وَقَالَ: «ذَا سِحْرٌ»، فَجَاءَ السَّفْرُ ... كُلٌّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقِرُّ

من معجزات النبي ﷺ العظيمة، التي جاءت الإشارة إليها في كتاب الله: معجزة انشقاق القمر، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[القمر: ١].

انشقاق القمر للنبي ﷺ كان شرطًا من أشراط الساعة، يعني من علامات الساعة، فبعثة النبي ﷺ، وموته، وانشقاق القمر له عليه الصلاة والسلام هذه كلها من علامات الساعة الصغرى، يعني التي لا تدل على القرب الشديد، ولكن القرب النسبي بالنسبة لما مضى من الزمان.

(بَغَتْ) قريش من النبي ﷺ: يعني طلبت من النبي ﷺ (أَنْ يُرِيْ آيًا) أن يريهم آية ومعجزة، جاءت قريش إلى النبي ﷺ وطلبوا منه أن يريهم معجزة وشيئًا من خوارق العادات كما جاء الأنبياء قبله بمعجزات وخوارق؛ حتى يؤمنوا به، وقالوا له: لو أتيتنا بمعجزة خارقة نؤمن بك. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ القَمَرَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا»[١]

---

[١] صحيح البخاري٣٨٦٨.

فجمعهم النبي ﷺ ليلة أربع عشر، ليلة اكتمال البدر، وقال لهم النبي ﷺ: إنه سيريهم القمر مشقوقًا فرقتين أو فلقتين- في بعض الروايات: فرقتين أو فلقتين-، وأنه لو أراهم ذلك هل يؤمنون به ، ووعدوه أن يؤمنوا.

فانشق القمر:

٢- فَصَـارَ فِرْقَتَـيْنِ: فِرْقَةٌ عَلَتْ   وَفِرْقَـةٌ لِلطَّـوْدِ مِنْـهُ نَزَلَـتْ

الطود: هو الجبل، وقالوا: المقصود هنا جبل أبي قبيس-جبل بجوار الكعبة- فأراهم النبي ﷺ القمر مشقوقًا نصفين: نصفًا عاليًا، ونصفًا نازلًا، يعني: نصفه فوق الجبل ونصفه نازل مفصول عن النصف الآخر.

قال:

٣- وَذَاكَ مَرَّتَـيْنِ بِالإِجْمَـاعِ   وَالنَّـصِّ وَالتَّوَاتُـرِ السَّـمَاعِيْ

أكثر الأحاديث فيها أن القمر انشق فرقتين أو فلقتين، لكن جاء في رواية في «سنن الترمذي» أن القمر انشق مرتين، وأكثر العلماء على أن هذه الرواية فيها تصحيف أو وهم من الراوي، وأن المقصود فرقتين وليس مرتين، أن القمر انشق فرقتين يعني قسمين، وليس المقصود أنه انشق مرتين كما ورد في رواية الترمذي.

فإذا قوله: (بِالإِجْمَاعِ وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِيْ) يقصد يعني أصل حادثة انشقاق القمر، وليس كونه مرتين، فالإجماع والنص والتواتر: أن القمر انشق للنبي ﷺ، لكن أما كونه مرتين فبالعكس، فأكثر العلماء يقولون: إن الرواية التي فيها انشقاق القمر مرتين يعني هذه وَهْم، وأن الصواب: فرقتين.

قال: (زَادَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِيْمَانَا) المؤمنون ازدادوا إيمانًا لما رأوا هذه المعجزة العظيمة.

(**وَلأَبِي جَهْلٍ بِهِ طُغْيَانَا**) أما أبو جهل فازداد طغيانًا برؤية هذه المعجزة.

(**وَقَالَ: «ذَا سِحْرٌ»**) أبو جهل وضع يديه في عينيه، وقال: سحر محمد أعيننا، فقال بعض الحاضرين: لئن سحر محمد أعينكم فلن يسحر أعين الناس جميعًا، فانتظروا حتى يأتي المسافرون، ونسألهم هل رأوا القمر ليلة أربع عشرة مشقوقًا أم لا ؟

فإذا كان أهل البلاد الأخرى لم يروا هذا فهذا سحر لأعين الحاضرين.

(**فَجَاءَ السَّفْرُ**) أي: جاء المسافرون.

(**كُلٌّ بِهِ مُصَدِّقٌ مُقِرُّ**) فجاءت القوافل التجارية والمسافرون يتوافدون على مكة، وكلهم يخبرون أنهم رأوا حادثة عجيبة في ليلة أربع عشرة، رأوا القمر مشقوقًا فرقتين، وأخذوا يتحدثون بهذا، فكان هذا علامة على صدْق رسول الله ﷺ، ورغم ذلك لم يؤمنوا به ﷺ ولم يتبعوه!

ولهذا فإنه جاء كثيرًا في كتاب الله ﷻ التنبيه على أنه ليس مجيء الآيات هو الذي يكون سببًا لإيمان مَنْ لم يشأ الله ﷻ إيمانه، وأن الذين كفروا لا يتوقف إيمانهم على رؤية الآيات. قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ﴾[الأنعام: ٢٥] لأن الأصل الذي يدل على قدرة الله ﷻ وعظمته هو هذه المخلوقات العظيمة، فدائمًا الله ﷻ يلفت انتباه الناس إلى التأمل في مخلوقاته العظيمة، التأمل في خلْق السموات وخلْق الأرض وخلْق الإنسان، وهذه الكواكب، والشمس والقمر ، كيف تتحرك وتسير بهذا النظام المحكَم، وأعضاء جسمك أنت لا تحركها: القلب والأعضاء، وتسير على أبدع نظام وأحكم نظام، لا بد لها من موجد أوجدها، فإذا كان الإنسان لا يستدل بهذه الأمور رغم أنها كلها تعتبر آيات عظيمة.

ولهذا فإن المشركين رأوا معجزات عظيمة ومع ذلك لم يؤمنوا، والأنبياء السابقون

أتوا بمعجزات وأتوا بخوارق للعادات، ومع ذلك فإن المشركين عاندوا ولم يؤمنوا.

فالقصد: أن مَنْ كفر مهما رأى من خوارق العادات، فلن يزيده ذلك إلا كفرًا وطغيانًا، ولهذا لم يُجِب الله ﷻ طلبهم بعد ذلك لما صاروا يطلبون من النبي ﷺ آيات فكان الله ﷻ لا يجيب طلبهم، فالآيات لا تأتي على حسب أهواء الطالبين؛ لأنه مهما جاءت، ومهما رأوا آيات عظيمة لم يؤمنوا، فليس هناك حكمة في أن يريهم الله تعالى -رغم قدرته ﷻ- مزيدًا من الآيات؛ لأنهم رأوا ما فيه الكفاية ولم يؤمنوا.

فلذلك لما قالوا للنبي ﷺ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وقال: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾ [الإسراء: ٥٩]..

يعني الله ﷻ ما منعه أن يرسل بالآيات -الآيات: أي المعجزات الخوارق للعادات- إلا أن كذّب بها الأولون ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ٥٩] يعني آيةً بيّنة واضحة ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩] إلى آخر الآيات الكريمة.

ذكر الهجرتين إلى النجاشي وحصر بني هاشم في الشعب.

هذا الباب يذكر فيه حادثتين من حوادث سيرة النبي ﷺ: هما الهجرة الأولى، والهجرة الثانية، إلى الحبشة وكان الدافع إلى هاتين الهجرتين: هو إيذاء مشركي قريش للصحابة ﭭ وتعذيبهم. اشتد الأذى بأصحاب النبي ﷺ، واشتد تعذيب المشركين وإيذاؤهم للصحابة ﭭ، فقال لهم النبي ﷺ: «إن بالحبشة ملكًا لا يُظلَم عنده أحد».

وكلمة الحبشة في ذلك الوقت كانت تُطلَق على البلاد المسماة الآن: الصومال، وجيبوتي، وإريتريا، وإثيوبيا، وأجزاء من السودان ، كل هذه المنطقة كان يُطلَق عليها بلاد الحبشة، ليست حسب التقسيمات السياسية الآن.

والمنطقة التي نزلها الصحابة ﭫ هي القريبة من الساحل، وهي تعتبر الآن أرض الصومال، يعني هذه البلاد شرّفها الله ﷻ باستضافة أصحاب رسول الله ﷺ ونصرتهم وإيوائهم.

فالنبي ﷺ قال لأصحابه: «إن بالحبشة ملكًا لا يُظلَم عنده أحد» يعني أذِن لهم النبي ﷺ أن يهاجروا إلى هناك؛ لعل الله ﷻ يجعل لهم فرجًا ومخرجًا، قال: «لعل الله يجعل لكم فرجًا ومخرجًا»، وأَذِن لهم ﷺ أن يهاجروا إلى الحبشة فرارًا بدينهم من أذى قومهم.

١- لَمَّا فَشَا الإِسْـــلامِ وَاشْتَدَّ عَلَى ... مَــنْ أَسْــلَمَ الْبَلَاءُ: هَاجَــرُوْا إِلَى

٢- أَصْحَمَــةٍ فِي رَجَبٍ مِنْ سَــنَةِ ... خَمْــسٍ مَضَتْ لَهُــمْ مِــنَ النُّبُوَّةِ

(لَمَّا فَشَا الإِسْلامِ) أي: انتشر أمر الإسلام والدعوة إلى الإسلام في مكة وحولها ،

وصاحب الدعوة العلنية اشتداد الإيذاء على النبي ﷺ ومَنْ معه.

(أَصْحَمَةٍ) هو اسم النجاشي ملك الحبشة، (النجاشي) هو لقب على كل مَنْ ملك الحبشة، قبل الإسلام كان يُطلَق على كل مَنْ ملك الحبشة (النجاشي)، كما كان يُطلَق على مَنْ ملك الفرس (كسرى)، وعلى مَنْ ملك الروم (قيصر) وهكذا، فمَنْ حكم الحبشة، وملكها يقال له: (النجاشي).

واسم النجاشي الذي هاجر إليه الصحابة اسمه: أصحمة رضي الله عنه ورحمه الله.

فقال: لما اشتد البلاء على الصحابة قال لهم النبي ﷺ: «تفرقوا في الأرض فسيجمعكم الله» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «هاجروا إلى أرض الحبشة؛ فإن بها ملكًا لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صدْق حتى يجعل الله لكم فرجًا»؛ فخرج المسلمون فرارًا بدينهم.

وكان ذلك في شهر رجب سنة خمسة من البعثة.

٣- خَمْسٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَاثْنَا عَشَرَا مِــنَ الرِّجَــالِ، كُلُّهُمْ قَــدْ هَاجَرَا

ثم ذكر أسماء هؤلاء المهاجرين كان عددهم خمس نسوة واثني عشر رجلًا؛ فالمجموع سبعة عشر مهاجرًا إلى الحبشة.

٤- عُثْمَــانُ مَــعْ زَوْجَتِــهِ رُقَيَّةْ أَسْــبَقُهُمْ لِلْهِجْــرَةِ الْمَرْضِيَّــةْ

عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ (أَسْبَقُهُمْ لِلْهِجْرَةِ الْمَرْضِيَّةْ) أول مَنْ هاجر إلى الحبشة.

وكانت العادة أنهم يهاجرون عن طريق مكة، فميناء جُدة فيه المراكب تنتقل إلى الحبشة، وكانت هناك تجارة بين أهل الحبشة وأهل الحجاز، يأتي التجار، وينقلون بضائع من الحبشة إلى الحجاز، ويجلبون البضائع من الحجاز إلى الحبشة فذهبوا إلى ساحل البحر وانتظروا مركبًا وركبوا معهم وعبروا إلى الحبشة.

فهنا يذكر المهاجرين إلى الحبشة، الهجرة الأولى: قال: كانوا سبعة عشر (خمس من النساء، واثنا عشر رجلًا) أولهم: كان عثمان بن عفان، وزوجته رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنها.

٤- عُثْمَـانُ مَـعْ زَوْجَتِـهِ رُقَيَّةْ ... أَسْـبَقُهُمْ لِلْهِجْـرَةِ الْمَرْضِيَّـةْ

٥- مُصْعَبُ وَالزُّبَـيْرُ وَابْنُ عَوْفِ ... وَحَاطِـبٌ، فَأَمِنُـوْا مِـنْ خَوْفِ

من المهاجرين أيضًا مصعب بن عمير، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف،كل هؤلاء هاجروا إلى الحبشة رضي الله عنهم.

وحاطب: هو حاطب بن عمرو، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام مر ذِكْره، قال: (وَحَاطِبٌ).

(فَأَمِنُوْا مِنْ خَوْفِ) كلهم أمنوا من الخوف بهجرتهم إلى الحبشة.

٦- كَذَا ابْنُ مَظْعُونَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُوْ ... سَـلَمَةٍ، وَزَوْجُـهُ تُصَاحِـبُ

من ضمن المهاجرين إلى الحبشة عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وزوجته أم سلمة رضي الله عنها. وأبو سلمة من السابقين الأولين إلى الإسلام رضي الله عنه، وهاجر هو وزوجته أم سلمة إلى الحبشة، وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم

بعد وفاة أبي سلمة رضي الله عنه.

فزوجته هي أم سلمة: هند بنت أبي أمية (تُصَاحِبُ) يعني صاحبتْه في الهجرة.

٧- أَبُـو حُذَيْفَـةٍ أَبُـوهُ عُتْبَـةُ وَزَوْجُـهُ بِنْـتُ سُـهَيْلٍ سَـهْلَةُ

(أَبُو حُذَيْفَةٍ أَبُوهُ عُتْبَةُ) أبو حذيفة أبوه عتبة بن ربيعة.

(وَزَوْجُهُ بِنْتُ سُهَيْلٍ سَهْلَةُ) زوجة أبي حذيفة اسمها سهلة بنت سهيل.

٨- وَابْـنُ عُمَيْرٍ هَاشِـمٌ، وَعَامِرُ ابْـنُ رَبِيْعَـةَ الْحَلِيْـفُ النَّاصِرُ

من المهاجرين إلى الحبشة: هاشم بن عمير بن عبد مناف رضي الله عنه، ومن المهاجرين أيضًا: عامر بن ربيعة، قال: (الْحَلِيْفُ النَّاصِرُ) هو حليف لآل الخطيب، وكان ناصرًا يعني ناصرًا للدين يعني وللإسلام.

٩- وَزَوْجُـهُ لَيْلَى، أَبُو سَـبْرَةَ مَعْ زَوْجَتِـهِ أَيْ أُمِّ كُلْثُـومٍ جُمَـعْ

(وَزَوْجُهُ لَيْلَى) زوجة عامر بن ربيعة، زوجته ليلى بنت أبي خيثمة العدوية رضي الله عنها، كانت من المهاجرات إلى الحبشة.

من المهاجرين أيضًا: أبو سبرة بن عبد العزى العامري رضي الله عنه ومعه زوجته، اسمها: أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

(جُمَعْ): يعني أجمعين، هؤلاء جميعًا هاجروا إلى الحبشة.

١٠- وَخَرَجَـتْ (قُرَيْشُ) فِي الآثَارِ لَـمْ يَصِلُـوْا مِنْهُـمْ لأَخْـذِ الثَّارِ

١١- فَجَـاوَرُوهُ فِي أَتَـمِّ حَـالِ ثُـمَّ أَتَـوْا مَكَّـةَ فِي شَـوَّالِ

الذي حصل أن قريشًا اكتشفت هجرة هؤلاء الصحابة السبعة عشر إلى الحبشة فخرجت على آثارهم إلى ساحل البحر تريد اللحاق بهم، فخرجوا وراءهم فوجدوهم قد ركبوا السفن وعبروا البحر ولم يستطيعوا أن يدركوهم.

فقال: (فَجَاوَرُوهُ فِي أَتَمِّ حَالِ) يعني جاوروا أصحمة النجاشي في أتم حال.

(ثُمَّ أَتَوْا مَكَّةَ فِي شَوَّالِ) يعني مكثوا فقط ثلاثة أشهر، هذه مدة الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت ثلاثة أشهر فقط من شهر رجب وعادوا في شوال. وسبب رجوعهم إلى مكة: شائعة أُشيعت ووصلت إليهم في الحبشة، جاءت أخبار من مكة أن أهل مكة قد أسلموا وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وصاروا يصلون معه، فسمعوا الخبر فرجعوا بعد ثلاثة أشهر (فِي شَوَّالِ).

١٢- مِنْ عَامِهِمْ إذ قِيلَ: «أَهْلُ مَكَّةِ قَدْ أَسْـلَمُوْا»، وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّبَتِ

(وَلَمْ يَكُنْ بِالثَّبَتِ) يعني لم يكن هذا الخبر خبرًا صحيحًا.

وقصة هذه الشائعة: أن النبي ﷺ كان قد قرأ على مشركي قريش سورة النجم في المسجد الحرام، وكانوا ملأً من كبراء قريش، فتلا عليهم النبي ﷺ سورة النجم حتى بلغ آخرها: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾[النجم: ٦٢]، فسجد النبي ﷺ فسجدوا معه كما في صحيح البخاري **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما: «**أَنَّ النَّبِيَّ** ﷺ **سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ**»[١] فالمشركون من تأثرهم بالقرآن العظيم سجدوا مع

[١] صحيح البخاري١٠٧١.

النبي ﷺ، رغم أنهم كفار لكن سجدوا مع النبي ﷺ فبعض مَنْ رآهم رأى النبي ﷺ يسجد ووراءه أبو جهل، وأبو لهب، ومشركو قريش يسجدون معه فأُشيع أن المشركين يصلون مع النبي ﷺ أو يسجدون معه، على ما وصل الخبر إلى الحبشة أن مشركي قريش قد أسلموا.

هناك رواية في سندها ضعف شديد وهي مردودة، والشيخ الألباني رحمه الله ألّف في تضعيفها كتابًا سماه: «نصب المجانيق في تضعيف قصة الغرانيق» وهذه الرواية تُذْكر في سبب سجود المشركين، يزعمون أن النبي ﷺ حين قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[النجم: ١٩-٢٠]، يزعمون أن الشيطان ألقى على لسان النبي ﷺ جملة: "تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» تلك الغرانيق العلا: والغرانيق جمع غرنوق، الغرنوق: طائر أبيض كبير يُضرَب به المثل في الحُسن والجمال، فهذا هو سبب سجود مشركي قريش-في تلك الرواية المزعومة- أنه عظّم آلهتهم في القراءة، ويزعمون أن الشيطان أجرى هذا على لسان النبي ﷺ!

وبعض المفسرين أخذ بهذه الرواية وفسّر قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢] التمني: هو التلاوة ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢] يعني في تلاوته، فيزعمون أن المقصود أن الشيطان أجرى على لسانه كلامًا ليس من كلام الله جل وعلا وهذا ليس بصحيح، والصواب: في تفسير آية الحج أن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾[الحج: ٥٢] يعني إذا تلا الكتاب الذي يتلوه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢] يعني ألقى الشيطان شبهات وتشكيكات في نفوس المستمعين لتلاوة النبي، فيلقي الشبهات يعني يحاول أن يُشَكِّكهم فيما يتلوه النبي من

كتاب الله، وليس المقصود: أن الشيطان يُجري كلامًا على لسان النبي، ليس من كلام الله تعالى، ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾[الحج: ٥٢] الله تعالى ينسخ: يعني يزيل هذه الشبهات، ويدحضها ويُحكِم الله ﷻ آياته.

الشاهد: أن الخبر وصل إلى أهل الحبشة أن أهل مكة أسلموا فرجع المهاجرون ﭫ.

١٣- فَاسْتَقْبَلُوهُمْ بِالأَذَى وَالشِّدَّةِ ... فَرَجَعُوْا لِلْهِجْرَةِ الثَّانِيَةِ

١٤- فِي مِئَةٍ عَدُّ الرِّجَالِ، مِنْهُمُ ... اثْنَانِ مِنْ بَعْدِ الثَّمَانِيْنَ هُمُ

فالذي حصل: أنهم لما رجعوا استقبلتهم قريش بالأذى الشديد، وضاعفوا عليهم التعذيب والإيذاء.

فحينئذٍ هاجروا إلى الحبشة مرة ثانية، نفس المهاجرين الذين هاجروا الهجرة الأولى وأخذوا معهم في المرة الثانية عددًا أكبر، فكان مجموع المهاجرين للهجرة الثانية إلى الحبشة مِئة مهاجر، عدد الرجال منهم اثنان وثمانون والباقون من النساء ثمانية عشر.

١٥- فَنَزَلُوْا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى ... أَتَمِّ حَالٍ، وَتَغَيَّظَ الْمَلاَ

١٦- عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ ... وَكَتَبَ الْبَغِيْضُ فِي كِتَابِهِ

١٧- عَلَى بَنِي هَاشِمٍ الصَّحِيْفَةْ ... .

قصة الهجرة إلى الحبشة ذكرها الإمام أحمد كاملة في مسنده عن أم سلمة ﭬ **قَالَتْ:** **لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ: النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا**

نُؤْذَى، وَلا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إلى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إلا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إلى كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ، قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إلا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إلى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إلى الْمَلِكِ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ؛ لِنَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَإِذا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسْلِمَهُم إِلَيْنَا وَلا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُم إلى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ، فَقَالا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إلى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِم أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ، وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ، لِتَرُدَّهُم إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إلى عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلامَهُمْ، فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُم إِلَيْهِمَا، فَلْيَرُدَّاهُم إلى بِلادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ، قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمُ اللهِ، إِذًا لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا بِلادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا

يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولانِ أَسْلَمْتُهُم إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُم إِلى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاؤوهُ، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، « فَدَعَانَا إِلى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ »، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْاسْلامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص) ، قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ

حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُم إِلَيْكُم أَبَدًا، وَلا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ - وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا -: لا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُم أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُم يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِم فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ، اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا، وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا، فَلا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ، فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ. قَالَتْ: فَوَاللهِ إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذ نَزَلَ بِهِ - يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَ: فَوَاللهِ مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنٍ حَزِنَّاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ عَلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ

حقًّا ما كانَ النَّجاشِيُّ يعرفُ مِنْهُ. قَالَتْ: وَسارَ النَّجاشِيُّ وبَيْنَهُما عُرْضُ النِّيلِ، قَالَتْ: فَقالَ أَصْحابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقْعَةَ الْقَوْمِ ثُمَّ يَأْتِينا بِالْخَبَرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا، قَالَتْ: وَكانَ مِنْ أَحْدَثِ الْقَوْمِ سِنًّا، قَالَتْ: فَنَفَخُوا لَهُ قِرْبَةً، فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إلى نَاحِيَةِ النِّيلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللهَ لِلنَّجاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالتَّمْكِينِ لَهُ فِي بِلادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ»[١]

١٥- فَنَزَلُوْا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ عَلَى	أَتَمِّ حَالٍ، وَتَغَيَّظَ الْمَلاَ
١٦- عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحابِهِ	وَكَتَبَ الْبَغِيْضُ فِي كِتَابِهِ
١٧- عَلَى بَنِي هَاشِمٍ الصَّحِيْفَةْ	وَعُلِّقَتْ بِالْكَعْبَةِ الشَّرِيْفَةْ
١٨- «أَنْ لاَ يُنَاكِحُوْهُمُ وَلاَ وَلاَ»	وَحُصِرُوْا فِي الشِّعْبِ، حَتَّى أَقْبَلاَ:
١٩- أَوَّلُ عَامِ سَبْعَةٍ لِلْبَعْثِ	قَاسَوْا بِهِ جَهْدًا بِشَرِّ مُكْثِ
٢٠- وَسُمِعَتْ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمِ	فَسَاءَ ذَاكَ بَعْضَ أَقْوَامِهِمِ
٢١- وَاطَّلَعَ (الرَّسُولُ) أَنَّ الأَرَضَةْ	أَكَلَتِ الصَّحِيْفَةَ الْمُبَغَّضَةْ
٢٢- مَا كَانَ مِنْ جَوْرٍ وَظُلْمٍ ذَهَبَا	وَبَقِيَ الذِّكْرُ كَمَا قَدْ كُتِبَا
٢٣- فَوَجَدُوْا ذَاكَ كَمَا قَالَ، وَقَدْ	شُلَّتْ يَدُ الْبَغِيْضِ وَاللهِ الصَّمَدْ

[١] مسند أحمد ١٧٤٠.

٢٤- فَلَبِسُــوْا السِّلاَحَ ثُمَّ أُخْرِجُوْا   مِنْ شِـعْبِهِمْ، وَكَانَ ذَاكَ الْمَخْرَجُ:

٢٥- فِي عَامِ عَــشْرَةٍ بِغَــيْرِ مَــيْنِ   وَقِيْــلَ: «كَانَ مُكْثُهُــمْ عَامَــيْنِ»

هنا يتكلم المؤلف رحمه الله عن حادثة من الحوادث الأليمة التي نزلت بالنبي عليه الصلاة والسلام وبأصحابه الكرام، وظهر فيها صبر النبي عليه الصلاة والسلام على ما ناله من الأذى وصبر أصحابه رضي الله عنهم.

وذلك أن المشركين حبسوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شِعب يقال له: شِعْب بني هاشم، أو: شِعْب أبي طالب، وهو شِعْب في مكة.

والشِّعْب: هو المضيق بين الجبلين، فجمعوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه- كما سيأتي بإذن الله تعالى- وحُصِر معهم حتى المشركون من بني هاشم ما عدا قِلّة منهم ممّنْ والوا قريشًا.

يعني حتى قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم من المشركين ممَّنْ أخذتهم الحمية للنبي صلى الله عليه وسلم، حُبسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شِعْب بني هاشم، وظلوا محبوسين في هذا الشِّعْب مدة ثلاث سنوات كاملة.

وذكر في قول أنهم حُبسوا عامين، أو عامين وعدة أشهر، لكن المشهور أن مدة الحبس كانت ثلاث سنوات قاسوا فيها شدة وعناءً شديدًا، ونفد طعامهم وأزوادهم، وصاروا يأكلون أوراق الشجر، وعانوا شدة عظيمة كما سنذكر بعض ما ورد في هذا.

فهنا يقول: وَتَغَيَّظَ الْمَلاَ، عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى أَصْحَابِهِ

الملا: يعني: الملأ: **والْمَلأُ -مَهْمُوزٌ بِغَيْرِ مَدٍّ-: الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ وَرَأْيُهُمْ وَاحِدٌ؛ لأنّهم يمالىء بَعْضُهُمْ بَعْضًا، أَيْ: يُعَاوِنُهُ وَيُوَافِقُهُ، وَيُطْلَقُ الْمَلأُ عَلَى أَشْرَافِ**

الْقَوْمِ وَقَادَتِهِمْ لِأَنَّ شَأْنَهُمْ أَنْ يَكُونَ رَأْيُهُمْ وَاحِدًا عَنْ تَشَاوُرٍ، والمراد بهم هنا: هم سادة قريش الذين تغيظوا على النبي ﷺ، وعلى أصحابه ممّنْ بقوا في مكة في هذا الوقت، كما ذكرنا أن مائة من أصحاب النبي ﷺ كانوا هاجروا إلى الحبشة، والمتبقون من أصحاب النبي ﷺ تغيّظ عليهم الملأ من قريش، وكان ذلك في أول شهر المحرم سنة سبع من البعثة.

وسبب التغيظ: ما بلغ قريشًا من إكرام النجاشي لأصحاب النبي ﷺ في الحبشة، وأن النجاشي ردّ على مشركي قريش هديتهم، ودافع عن أصحاب النبي ﷺ، فهذه الأحداث زادت المشركين حنقًا وحقدًا على النبي ﷺ وأصحابه.

فكتبوا كتابًا تعاهدوا فيه أن يقاطعوا النبي ﷺ وأصحابه ومَنْ والاهم ويحاصروهم حصارًا حسيًا ومعنويًا، وكتبوا صحيفة بذلك، وكان كاتب هذه الصحيفة اسمه بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، وهو نفسه من بني هاشم ، لكن بعض بني هاشم كان ولاؤهم لقريش مثل أبي لهب، ومثل بغيض بن عامر هذا.

هذا الرأي الذي اعتمده المؤلف، أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر، فهو اسم على مسمى، وقال: إن البغيض شلت يده لما كتب هذه الصحيفة كما سيأتي فيما بعد.

وورد في بعض روايات السيرة أن كاتب الصحيفة: هشام بن عمرو بن الحارث، أو منصور بن عكرمة، لكن الرأي الذي اعتمده المؤلف أن الكاتب هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف.

فمما كُتب في هذه الصحيفة أن قريشًا تعاهدوا ألا يناكحوا بني هاشم، ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم إلا أن يُسلموا محمدًا ليُقتَل، فهذا هو قول المؤلف: (**أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمُ وَلَا وَلَا**) يعني: أن لا يناكحوهم، ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم؛ فلا يتزوجون من بني

هاشم، ولا من الصحابة الذين آمنوا بالنبي ﷺ، ولا يُزوجونهم، ولا يبيعون لهم، ولا يشترون منهم، ولا يخالطوهم إلا إذا سلّموا النبي ﷺ إليهم؛ ليقتلوه ﷺ وعلقوا هذه الصحيفة بالكعبة الشريفة كما ذكر الناظم.

فأبى بنو هاشم وظاهرهم بنو المطلب، وقرروا أن يكونوا مع النبي ﷺ وأصحابه، وألا يُسلموا النبي ﷺ إليهم، حتى المشركون من بني هاشم وبني المطلب.

فأجمع المشركون على إخراجهم من مكة إلى شِعْب أبي طالب، فحصروا فيه بني هاشم وبني المطلب مؤمنهم وكافرهم، المؤمن حُصِر فيه ديانةً، والكافر حُصِر فيه حميةً لقومه وقرابته.

فقطعوا الميرة (الزاد والطعام) عن النبي ﷺ وأصحابه ومَنْ معه من المحصورين في الشِّعْب، ومنعوا المارة من دخول الشِّعْب، أحاطوا به، يعني: مثل السجن تمامًا، ومنعوا الناس من دخوله، ومنعوا بني هاشم والمؤمنين من الخروج منه، ومنعوا عنهم الأسواق والتجارة، ولا يأتي أحد حتى يجلب لهم بضائع ليشتروا منهم، وأصرّوا ألا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا ما لم يُسلموا محمدًا ﷺ للقتل.

فمكث النبي ﷺ وأصحابه بهذا الشِّعب ثلاث سنوات كاملة كما ذكرنا، قاسوا فيها من شدة الجوع، وتضاغى صبيانهم من شدة الجوع، قال:

.... قَاسَــوْا بِــهِ جَهْــدًا بِــشَرٍّ مُكْثِ

٢٠- وَسُــمِعَتْ أَصْوَاتُ صِبْيَانِهِمْ ....

صار أطفالهم يبكون وأصوات صراخهم تُسمَع من خارج الشِّعْب. أقاموا في هذا العذاب ثلاث سنوات، لا يصل إليهم شيء من الطعام إلا ما أُدخل سرًّا، على حين غفلة

من الحراس ، فكان بعض مَنْ في قلبهم شيء من الشفقة و الرحمة ربما أدخلوا إليهم شيئًا في مغافلة المحيطين بالشِّعْب، ويتسللون في الليل، لكن الوضع العام أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا في جوع وجهد ومشقة.

فَلَمَّا كَانَ رَأْسُ ثَلَاثِ سِنِينَ تَلَاوَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَمِنْ بَنِي قُصَيٍّ، وَرِجَالٌ سِوَاهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ، قَدْ وَلَدَتْهُمْ نِسَاءٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا الرَّحِمَ واسْتَخَفُّوا بِالْحَقِّ، وَاجْتَمَعَ أَمْرُهُمْ مِنْ لَيْلَتِهِمْ عَلَى نَقْضِ مَا تَعَاهَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْغَدْرِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ ، فتلاوموا يعني بدأ يلوم بعضهم بعضًا، كيف نسكت على هؤلاء وهم في هذا الحصار الظالم.

وهؤلاء الذين تلاوموا وسعوا في نقْض هذا الحصار الظالم : أبو البختري العاص بن هشام، والمطعم بن عدي، وهشام بن عمرو بن الحارث، وزهير بن أمية.

هؤلاء هم الذين سعوا في هذا الأمر، وبدؤوا يجمعون مجموعة من بني قصي وتسلحوا، قال: (فَسَاءَ ذَاكَ بَعْضَ أَقْوَامِهِمْ) أي: فساءهم ذلك ولبسوا السلاح وأرادوا أن يذهبوا لإخراج النبي ﷺ.

وفي هذه الأثناء أوحى الله -ﷻ- إلى نبيّه الكريم ﷺ أن الأرضة أكلت جميع ما في الصحيفة من ظلم، وشرك، وقطيعة رحم، وبهتان؛ فلم يبقَ منه شيئًا، وبقي ما كان في الصحيفة من ذِكْر الله -ﷻ- كما كُتب لم يتغير منه شيءٌ، والأرضة: هي العثة أو الحشرة التي تأكل الورق، هم كتبوا الكتاب ووضعوه داخل الكعبة وعلّقوه داخل الكعبة.

فأوحى الله ﷻ إلى النبي ﷺ أن الأرضة أكلت ما في الكتاب من ظلم، الظلم: هو أنهم لا يبايعونهم، ولا يسمحون لأحد بجلب الطعام لهم و من الأسواق وما في ذلك من قطيعة الرحم؛ لأنهم من قريش، وبينهم وبين المحاصرين لهم رحم، فهذا ظلم

وقطيعة رحم وبهتان، فكل هذا أكلته الأرضة ولم يبق في الكتاب إلا ما فيه من ذِكْر الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فالنبي ﷺ أخبر عمّه أبا طالب بهذا، فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبتني، الثواقب: هي النجوم ، يعني : يحلف أن النبي ﷺ ما كذبه،فما جرّب كذبًا على النبي ﷺ، فقال: ما قلته حق وصدْق.

فخرج أبو طالب وانطلق في عصابة من بني عبد المطلب، وطلبوا مقابلة قريش حتى أتوا المسجد، فظنت قريش أنهم خرجوا من شدة البلاء؛ ليسلموا رسول الله ﷺ إليهم ليُقتَل، فقال أبو طالب: قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها فأتوا بالصحيفة التي فيها مواثيقكم فلعل أن يكون بيننا وبينكم صلح، يريد: أن بعض الأمور التي كُتبت في الصحيفة نسيناها، يعني لا نذكر النص المكتوب في الصحيفة.

فأتوا بها معجبين، لا يشكون أن محمدًا ﷺ يُدفَع إليهم وأن أبا طالب يريد أن يكلمهم في أمر تسليم النبي ﷺ، فوضعوها بينهم، وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال: إنما أتيناكم في أمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم. أي: أتيناكم في أمر هو عدل وإنصاف بيننا وبينكم، كانت العادة أن الصحف في ذلك الوقت تُطوى، فيكتبون الكتاب ويطوونه، فالصحيفة مطوية ولا يدرون ماذا حصل بداخلها لأنها مطوية أو ربما وضعوها في جراب، فالقصد: أن الصحيفة مغلقة إلى هذا الوقت وأتوا بها ولا يعلمون ماذا حصل داخلها.

فقال أبو طالب: أخبرني ابن أخي أن هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها إلا ذِكْر الله ورسوله- ﷺ- فإن كان كما قال: فلا والله لا نُسلمه حتى نموت من عند آخرنا، وإن كان باطلًا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم.

قالوا: رضينا بالذي تقول. ففتحوها فوجدوا الأمر كما أخبر النبي ﷺ؛ أُكِل كل ما في الصحيفة من ظلم وعدوان، أكلته الأرضة، ولم يبق فيها إلا في بدايتها (باسمك اللهم..) والمواضع التي فيها ذِكْر: أن تُسلموا محمدًا إلينا، فالمواضع التي فيها اسم الله ﷻ واسم النبي ﷺ بقيت كما هي، وكل ما كان فيها من ظلم وعدوان أكلته الأرضة.

فقالوا: هذا سحر ابن أخيك! سبحان الله! كانوا كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَاۚ﴾[الأنعام: ٢٥] فهذا الذي حدث هو معجزة عظيمة للنبي ﷺ، وآية على صدْقه، لكن مع ذلك لم تزدهم إلا طغيانًا، فقالوا: هذا سحر ابن أخيك، وزادهم بغيًا وعدوانًا.

قال:

٢٣- فَوَجَـــدُوْا ذَاكَ كَمَا قَالَ، وَقَدْ   شُـــلَّتْ يَدُ الْبَغِيْضِ وَاللهِ الصَّمَدْ

يعني: وجدوا ما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر الصحيفة، وأن الأرضة أكلتها، ولم تترك فيها إلا ما فيه ذكر الله -ﷻ- وجدوا ذلك حقًّا كما أخبرهم به النبي ﷺ، وهذا آية من الله -ﷻ- على صدق نبيه ﷺ، وقد حدثت آية أخرى: وهي أن البغيض أن الذي كتب الصحيفة شُلت يده والعياذ بالله تعالى، فهذا هيّج مجموعة ممّنْ لديهم إنصاف، فخرج هؤلاء ومعهم مجموعة من بني قصي، ولبسوا السلاح وأخرجوا النبي ﷺ وأصحابه، ومَنْ معه من الشِّعْب بالقوة، وفرّج الله ﷻ عن النبي ﷺ وأصحابه.

ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها:

١- بَعْـدَ خُرُوْجِهِـمْ بِثُلْـثَيْ عَامِ ... وَثُلُـثَيْ شَـهْرٍ وَيَـوْمٍ طَـامِيْ

(ثلثا العام) أي: ثمانية أشهر

(طَامِيْ) أي: زائد، يعني: ويوم زيادة على ثلثي الشهر.

ثلثا الشهر: عشرون يومًا، ويوم زائد: يعني: واحد وعشرون يومًا.

والمقصود: بعد خروج النبي ﷺ من الشِّعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يومًا:

٢- سِـيْقَ أَبُـو طَالِـبَ لِلْحِمَامِ ... ثُـمَّ تَـلاَ ثَلاَثَـةَ الأَيَّـامِ:

٣- مَوْتُ خَدِيْجَةَ الرِّضَا، فَلَمْ يَهُنْ ... عَلَى الرَّسُـولِ فَقْدُ ذَيْـنِ، وَحَزِنْ

يشير هنا إلى وفاة أبي طالب ووفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

فوفاة أبي طالب كانت بعد خروج النبي ﷺ من الشِّعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يومًا، وبعدها بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها، وهذا العام يُعرَف بعام الحُزن.

وعندما حضرت أبا طالب الوفاة ذهب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام؛ رجاء أن يختم له بالإسلام، ففي الصحيحين من حديث **سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، فَقَالَ: « أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ. فَقَالَ أَبُو**

جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.[١]

فسبحان الله، أبو طالب كان يدافع عن النبي ﷺ وينصره، وضحى تضحياتٍ عظيمة، ودخل الشِّعب وحُصِر، واحتمل الجوع، والعطش، والحصار؛ مناصرةً للنبي عليه الصلاة والسلام.

وكان أبو طالب في نفسه يعلم أن النبي ﷺ صادق، لكن منعه من الإيمان به خوف الملامة وحذار المسبّة، يعني حتى لا يُعيّره قومه ويلومونه، ويقولون: ترك دين آبائه، وهذا عياذًا بالله ﷻ أحد الصوارف عن الحق.

يعني الصوارف التي تصرف الناس عن الحق، سواء عن الإيمان، يعني عن أصل الإيمان، أو تصرف الناس أحيانًا عن اتباع الحق في أي مسألة من المسائل أو باب من أبواب الدين، فهناك صوارف تصرف الناس عن الحق، ومنعت ناسًا من الإسلام.

وقد تكلم عن هذه الصوارف بتفصيل: الإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب «مفتاح دار السعادة» تكلم عن أسباب تخلف العمل بمقتضى العلم، فقال: « **السببُ الثامن: تخيُّله أنَّ في الإسلام ومتابعة الرسول إزراءً وطعنًا منه على آبائه وأجداده وذمًّا لهم، وهذا هو الذي منعَ أبا طالبٍ وأمثاله عن الإسلام؛ استعظموا آباءهم وأجدادَهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال وأن يختاروا خلافَ ما اختار أولئك لأنفسهم، ورأوا أنهم إن أسلموا**

[١] متفق عليه: البخاري ٤٧٧٢ ومسلم ٢٤.

سفَّهوا أحلامَ أولئك، وضلَّلوا عقولهم، ورموهم بأقبح القبائح وهو الكفر والشرك.

ولهذا قال أعداء الله لأبي طالبٍ عند الموت: أترغبُ عن ملَّة عبد المطلب؟ ! فكان آخرَ ماكلَّمهم به: «هو على ملَّة عبد المطَّلب» فلم يَدْعُه أعداءُ الله إلا من هذا الباب؛ لعلمهم بتعظيمه أباه عبد المطلب، وأنه إنما حاز الفخرَ والشَّرف به، فكيف يأتي أمرًا يلزمُ منه غايةُ تنقيصه وذمِّه؟!

ولهذا قال: «لولا أن تكونَ سُبَّةً على بني عبد المطلب لأقررتُ بها عينَك»، أو كما قال.

وهذا شِعرُه يصرِّحُ فيه بأنه قد علمَ وتحقَّق نبوَّة محمدٍ ﷺ وصِدْقَه؛ كقوله:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... من خَيْرِ أديان البريَّة دِينا

لولا الملامةُ أو حِذارُ مَسَبَّةٍ ... لوجدتني سَمْحًا بذاك مُبِينا

وفي قصيدته اللاميَّة:

فوالله لولا أن تكونَ مَسَبَّةٌ ... تُجَرُّ على أشياخِنا في المَحافلِ

لكنَّا اتَّبعناهُ على كلِّ حالةٍ ... من الدَّهر جِدًّا غير قولِ التَّهازُلِ

لقد عَلِمُوا أنَّ ابننَا لامُكَذَّبٌ ... لدينا ولا يُعْنى بقولِ الأباطِلِ

والمَسبَّةُ التي زعم أنها تُجَرُّ على أشياخه: شهادتُه عليهم بالكفر، والضلال، وتسفيه الأحلام، وتضليل العقول؛ فهذا هو الذي منعه من الإسلام بعد تيقُّنه.»[١]

فهذا واحد من الأسباب التي تصرف الناس عن قبول الحق، وهو: خوف الملامة،

---

[١] مفتاح السعادة جـ١، صـ٢٦٨، ط عالم الفوائد.

وخوف المسبة، وتعيير الناس له إذا اتبع الحق، فهذا هو الصارف الذي صرف أبا طالب عن الإيمان. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

و هناك صارف: الجاه والسلطان، أن الإنسان يكون له جاه وسلطان، ويخاف أنه إذا اتبع الحق زال عنه جاهه وسلطانه، وهذا هو الذي صرف هرقل قيصر الروم عن الإيمان، فهرقل كان يعلم أن النبي ﷺ هو النبي الخاتم الذي بُشّر به في كتبهم، وجمع قومه، وقال لهم: يا قوم، هل أدلكم على الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

وقال لأبي سفيان: ليملكن موضع قدمي هاتين، ومع ذلك لما وجد أن قومه سيعزلونه من الملك إذا اتبع النبي ﷺ فضّل الملك والرياسة على الإيمان بالنبي ﷺ.

هناك دافع أو صارف الحسد؛ وهذا الذي صرف اليهود عن الإيمان بالنبي ﷺ، فاليهود كانوا ينتظرون نبيًّا من بني إسرائيل، فلما جاء من بني إسماعيل لم يؤمنوا به بسبب الحسد، وكراهة أن يكون التميز في قبيلة أخرى أو في قوم آخرين.

وهذا الصارف هو الذي صرف أبا جهل أيضًا عن الإسلام، مع علمه بصدق النبي ﷺ فأبو جهل كان يقول: **تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدًا ولا نصدقه.**

وكذلك بعض مَنْ كان يتبع مسيلمة الكذاب كانوا يقولون له: والله إنّا لنعلم أنك كذاب ولكنّ كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر.

هناك صارف العادة والإلْف، واتباع الآباء والأجداد ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٢]،أو ﴿مُّقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣] في الآية الأخرى.

فأبو طالب كان يعلم أن النبي ﷺ صادق وأن دينه حق، فإذا كفره كان حذار المسبّة.

ولهذا استغل هذا الأمر أبو جهل وعبد الله بن أمية فالنبي ﷺ قال لأبي طالب: يا عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أشفع لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ (تترك ملة أبيك، وتتبع ملة أخرى).

فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا، النبي ﷺ أعاد عليه، قال: يا عم! قل: (لا إله إلا الله) كلمة أشفع لك بها عند الله، فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب؛ فآخر كلمة قالها: هو على ملة عبد المطلب، ثم هلك.

وملة عبد المطلب كانت الشرك بالله -تعالى- فعبد المطلب كان كمشركي قريش: يؤمن بوجود الله ﷻ لكن يعبد معه آلهة أخرى، فكان يقول: للبيت رب يحميه، ويؤمن بالله ﷻ لكن يشرك معه آلهة أخرى قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣]، فما كان كُفْر مشركي قريش أنهم يُنكرون وجود الله، ولا يُنكرون أنه الخالق ﷻ وإنما كان شركهم أنهم يدعونه ﷻ ويدعون معه اللات والعزى ويدعون آلهة أخرى.

فقال: هو على ملة عبد المطلب.

فهلك أبو طالب، وأمر النبي ﷺ عليًّا أن يواريه التراب. والنبي ﷺ سيشفع له عند الله ﷻ فيخفف الله العذاب عنه، لكن قضى الله ﷻ أن الكافرين لا يخرجون من النار والعياذ بالله تعالى.

فعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ

فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[١] والضحضاح: ما رقّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار.

فهلك أبو طالب، و كان من حكمة الله ﷻ أنه بقي على دين قومه، حتى ينصر النبي ﷺ، فالله ﷻ أيّد نبيّه ﷺ بأن جعل له نصيرًا ممَّنْ هو على دين قومه؛ لأنه لو أسلم أبو طالب لتجرّأ عليه مشركو قريش كما تجرؤوا على غيره من سادات قريش ممّنْ أسلم. كثير من الصحابة الذين أسلموا كانت لهم وجاهة ومنزلة في قومهم، فلما أسلموا اجترؤوا عليهم.

لكن أبا طالب نظرًا لأنه كان لا يزال على دينهم فكان اجتراؤهم عليه في حدود لا يتخطونها، ومما مكّنه من نُصرة النبي ﷺ، فكان هذا من توفيق الله ﷻ للنبي ﷺ أن ألقى في قلب أبي طالب محبة طبيعية للنبي ﷺ جعلته ينصره.

بعد وفاة أبي طالب، اجترأ مشركو قريش على النبي ﷺ اجتراءً عظيمًا، وناله ﷺمن الأذى ما لم يكن يناله أيام وجود أبي طالب، **حتى عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِ تُرَابًا، فَرَجَعَ إلى بَيْتِهِ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ تَمْسَحُ عَنْ وَجْهِهِ التُّرَابَ وَتَبْكِي قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: «أَيْ بُنَيَّةُ، لا تَبْكِي؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ مَانِعٌ أَبَاكِ»، وَيَقُولُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ: «مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»**.

وبعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام توفيت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها.

وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها مر بنا نصرتها للنبي ﷺ، ودفاعها عنه بنفسها وبمالها رضي الله عنها وأرضاها. ولذلك كافأها الله -تعالى- بأن أرسل إليها السلام مع جبريل عليه السلام

[١] متفق عليه: البخاري٦٢٠٨ ومسلم٢٠٩.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: « أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فإذا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ»[١]

بعد وفاة أم المؤمنين خديجة ﷺ خرج النبي ﷺ إلى الطائف، وقصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف لم يذكرها المؤلف -رحمه الله تعالى- فنشير إليها باختصار:

النبي ﷺ لما اشتد عليه أذى مشركي قريش، أراد النبي ﷺ أن يذهب إلى الطائف -والطائف تبعد نحو ستين ميلًا عن مكة المكرمة- فأراد النبي ﷺ أن يذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى الإسلام، ويلتمس منهم أن ينصروه ويعينوه على دينه لعلهم يكونون أحسن حالًا من أهل مكة.

فذهب النبي ﷺ ماشيًا على قدميه ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم يستجب له أحد ممّنْ مر بهم، فلما وصل إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، بنو عمرو بن عمير بن عوف، فجلس إليهم رسول الله ﷺ وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟

وقال الثالث: والله لا أكلّمك أبدًا، لئن كنت رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك.

---

[١] متفق عليه: البخاري ٣٨٢٠ ومسلم ٢٤٣٢.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف.

وقد قال لهم: إذ فعلتم فاكتموا عليّ. وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه.

فأقام بالطائف عشرة أيام، وقيل: شهرًا، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلّمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا: يا محمد اخرج من بلدنا. وأغروا به، سفهاءهم، وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس.

يعني لم يكتفوا بطرد النبي ﷺ من بلدهم؛ بل أغروا السفهاء ودعوا عبيدهم وأطفالهم، وأمروهم أن يقفوا صفين على جانبي الطريق الذي يمر فيه النبي ﷺ وأن يرجموه بالحجارة وهو خارج من بلدهم عليه السلام حتى اختضبت نعلاه بالدماء عليه السلام وكان زيد يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه.

فلم يزل السفهاء يرمون النبي ﷺ بالحجارة حتى ألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، على بعد ثلاثة أميال من الطائف، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة من زعماء قريش، لكن لهما بستان قريب من الطائف، فدخل النبي ﷺ بستان عتبة وشيبة ابني ربيعة، فلما التجأ إليه رجعوا عنه.

فلما انصرف عنهم أتى ظلّ شجرة فصلى ركعتين ثم قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمني؟ أو إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحلّ علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك» .

فلما رآه ابنا ربيعة، وما لقي تحركت له رحمهما فدعوَا غلامًا لهما يقال له: عداس،

فقالا له: خذ له هذا القطف من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له: يأكل منه. ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله. ثم أكل فنظر عدّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيّ البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟ قال: نصراني وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى. قال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ والله لقد خرجت منها- يعني من أهل نينوى- وما فيها عشرة يعرفون ما يونس بن متّى، فمن أين عرفت أنت يونس بن متى وأنت أمّي وفي أمّة أمّيّة؟ قال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبيًّا وأنا نبي. فأكبّ عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك! ما لك تقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قال:

ويحك يا عدّاس لا يصرفنك عن دينك؛ فإن دينك خير من دينه.

وقال عدّاس لسيديه لما أرادا الخروج إلى بدر وأمراه بالخروج معهما فقال لهما: قتال ذلك الرجل الذي رأيت في حائطكما تريدان؟ فو الله ما تقوم له الجبال. فقالا: ويحك يا عدّاس قد سحرك بلسانه.

فانصرف رسول الله ﷺ عنهم وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.

وأثناء رجوع النبي ﷺ في الطريق أرسل الله ﷻ إليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ:**

« لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ. وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فإذا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ »، قَالَ: « فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ »، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[١]

فرغم شدة الأذى الذي تعرض له النبي ﷺ إلا أنه عفا عنهم مع قدرته على أن يأمر ملك الجبال أن يُهلِك أهل مكة والطائف أجمعين ويبيدهم، لكنه ﷺ رجا أن يُخرِج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله ﷻ، وحقق الله ﷻ له رجاءه، فدارت الأيام بعد ذلك وأسلم أهل مكة وأسلم أهل الطائف، وصارت ذريتهم يعبدون الله ﷻ.

أقام النبي ﷺ بنخلة أيامًا، وأراد الرجوع إلى مكة، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال: يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه. ثم انتهى إلى حراء وبعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق؛ ليجيره فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير على الصّريح. فبعث إلى سهيل بن عمرو- وقد أسلم بعد ذلك- فقال: إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب. فبعث إلى المطعم بن عدي- وقد مات كافرًا- فأجابه إلى ذلك وقال: نعم، قل له: فليأت. فرجع إليه، فأخبره فدخل رسول الله ﷺ فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح

---

[١] البخاري ٣٢٣١ ومسلم ١٧٩٥.

خرج المطعم بن عدي، وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستة أو سبعة. فقال لرسول الله ﷺ : طُف.(يعني: بالبيت).

واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فأقبل أبو سفيان إلى المطعم بن عدي فقال: أمجير أم تابع؟

قال: بل مجير. قال: إذن لا تخفر قد أجرنا من أجرت. فجلس معه حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه، فلما انصرف إلى بيته وانصرفوا معه، فذهب أبو سفيان مجلسه.

ولأجل هذه السابقة التي سبقت للمطعم قال رسول الله ﷺ : «لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النّتنى- يعنى أسارى بدر لأطلقتهم له» .

ذكر وفد الجن

من الحوادث العظيمة في سيرة النبي ﷺ أثناء رجوعه من الطائف إلى مكة أن الله ﷻ بعث إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن، فآمنوا بالنبي ﷺ، وصدقوه، واتبعوه، وصاروا رسلًا لرسول الله ﷺ إلى أقوامهم من الجن.

والحكمة في هذا التوقيت: أنه كان في وقت يعاني فيه النبي ﷺ من صدود الإنس عن دعوته ﷺ فبعث الله إليه مَنْ آمن به وصدّقه من الجن، وكان لقاء الجن بالنبي ﷺ في واد يقال له: وادي نخلة بين مكة والطائف، في أثناء رجوع النبي ﷺ من الطائف.

وكان هذا عندما صار عمر النبي ﷺ خمسين سنة، فالنبي ﷺ بُعث وهو ابن أربعين سنة، ومضت عشر سنوات من بعثة النبي ﷺ، قلنا: العام العاشر هو عام الحزن.

هنا يقول الناظم ؒ قال: باب ذِكْر وفد الجن، أي: من جن نصيبين.

نصيبين: مدينة من مدن الشام، أو يقال عنها: مدن الجزيرة، منطقة الجزيرة التي هي الجزيرة الفراتية، التي تقع بين دجلة والفرات، تُعتبر جزءًا من الشام حسب التقسيم المعاصر، وهذه الجزيرة الآن جزء منها تابع لسوريا، وجزء تابع للعراق.

يقول الناظم رحمه الله:

١- وَبَعْدَ أَنْ مَضَتْ لَهُ خَمْسُوْنَا ... وَرُبْعُ عَامٍ جَاءَهُ يَسْعَوْنَا
٢- جِنُّ نَصِيبِيْنَ لَهُ، وَكَانَا ... يَقْرَأُ فِي صَلَاتِهِ قُرْآنَا
٣- بِنَخْلَةٍ، فَاسْتَمَعُوْا وَأَسْلَمُوْا ... وَرَجَعُوا فَأَنْذَرُوْا قَوْمَهُمُ

فيقول: بعد أن مضت للنبي ﷺ خمسون عامًا (وَرُبْعُ عَامٍ)، خمسون وربع عام:

يعني: كان أكمل خمسين عامًا وثلاثة أشهر ﷺ يعني الآن دخلنا في العام الحادي عشر من بعثة النبي ﷺ وكان هذا أثناء رجوع النبي ﷺ من الطائف.

(جَاءَهُ يَسْعَوْنَا جِنُّ نَصِيْبِيْنَ) يعني جاء جن نصيبين يسعون إلى النبي ﷺ، وورد في الأحاديث أنهم كانوا تسعة من الجن.

والجن مُكَلّفون كالإنس، ورسولنا ﷺ مُرسَل إلى الإنس والجن.

والإنس: هم ذرية آدم عليه السلام، فيهم المؤمن والكافر.

والجن هم ذرية إبليس -لعنه الله- أبوهم كافر لكن الذرية منهم المؤمن والكافر.

فالجن كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[الجن: ١١]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾[الجن: ١٤]؛ الجن منهم المسلمون ومنهم القاسطون، يعني: ومنهم الظالمون.

فالجن هم ذرية إبليس، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾[الكهف: ٥٠].

فالجن منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم جميع الملل والطوائف، والفِرَق الموجودة في الإنس؛ لأنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[الجن: ١١] كانوا طرائق متفرقة، مثل حال الإنس، يعني: فيهم: اليهود، والنصارى، والوثنيون، وفيهم: السني، والبدعي وغير ذلك؛ فهُم طرائق شتى، وهم مكلّفون.

وهناك اختلاف بين العلماء: هل هناك رسل من الجن أم لا؟

أكثر العلماء يقولون: ليس هناك رسل من الجن، وإنما رسل الإنس يكونون رسلًا إلى الإنس والجن، ويكون هناك رسل من الرسول الإنسي يدعون الجن، يعني الرسول

الإنسي يدعو بعض الجن وهم يدعون قومهم ويبلغون قومهم عن رسولهم.

ففي قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فقالوا هنا: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٣٠] يعني بالنسبة للإنس هم رسل إلى الإنس، والجن رسلهم رسل من رسل الإنس، وليسوا رسلًا من الله ﷻ مباشرة.

وهؤلاء الجن كانوا تسعة جاؤوا إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فاستمعوا لقراءته ﷺ فلما فرغ من قراءته أسلموا بالنبي ﷺ، وولوا إلى قومهم منذرين، وجاء ذِكْر ذلك في سورة الأحقاف، من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠].

فقالوا: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ يعني كتاب بعد التوراة بعد موسى ﷺ ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ إلى آخر سورة الأحقاف، ذكر الله ﷻ فيها قصة مجيء الجن إلى النبي ﷺ.

وهناك أيضًا سورة الجن فيها ذِكْر إرسال النبي ﷺ إلى الجن.

وفي صحيح مسلم عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: فَقَالَ عَلْقَمَةُ، أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ. فَقُلْنَا: اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ. قَالَ: فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ. قَالَ: فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَدْنَاكَ، فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ، فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ. فَقَالَ: «أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ» قَالَ:

فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ: « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا؛ فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ».[١]

ومَعْنَى اسْتُطِيرَ: طَارَتْ بِهِ الْجِنُّ، وَمَعْنَى اغْتِيلَ: قُتِلَ سِرًّا. وَالْغِيلَةُ -بِكَسْرِ الْغَيْنِ- هِيَ: الْقَتْلُ فِي خُفْيَةٍ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ وهو بمكة: من أحبّ منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل. فلم يحضر منهم أحد غيري، فانطلقنا فقال: إن بني إخوة وبني عمّ يأتون الليلة فأقرأ عليهم القرآن. فسرنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطّ لي برجله خطًّا ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال لي لا تبرح منه حتى آتيك. ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن فغشيه أسودة كثيرة. وفي رواية فذكر هيئة كأنهم الزطّ ليس عليهم ثياب، ولا أرى سوأتهم طوالا قليلا، فجئتهم فرأيت الرجال ينحدرون عليه من الجبال، فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان: أنا أرحلهم عنك.

فقال: إني لن يجيرني من الله أحد. فحالوا بيني وبينه حتى ما أسمع صوته فانطلقوا فطفقوا يتقطّعوه مثل السحاب ذاهبين حتى بقي رهط، ففرع رسول الله ﷺ سمع الفجر، فنزل ثم أتاني فقال: أرسلت إلى الجن. فقلت: فما هذه الأصوات التي سمعتها قال: هذه أصواتهم حين ودّعوني وسلّموا عليّ. ما فعل الرهط؟ فقلت: هم أولئك يا رسول الله. فسألوه الزاد فأخذ عظمًا وروثًا فأعطاهم إياهما. فقال: لكم كلّ عظم عراق ولكم كل روثة خضرة. قالوا: يا رسول الله يقدرهما الناس علينا. قلت: يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ فقال: إنهم لا يجدون عظمًا إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا

[١] صحيح مسلم ٤٥٠.

وجدوا فيها حبّها يوم أكلت، فلا يتنقّينّ أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة. فلما أصبحت رأيت مبرك ستين بعيرًا

فلما ولوا- قال ابن مسعود رضي الله عنه- مَنْ هؤلاء؟ قال: جن نصيبين.

قالوا: لعل هذا كان لقاء آخر بين النبي ﷺ وبين هؤلاء الجن، غير لقائه لما قرأ عليهم القرآن، واستمعوا إليه عليه الصلاة والسلام وهو راجع من الطائف، وهذه في مرة أخرى التقى بهم النبي ﷺ.

باب ذِكْر قصة الإسراء.

١- وَبَعْدَ عَامٍ مَـعَ نِصْفٍ: أُسْرِيَا ... بِـهِ إلى السَّـماءِ، حَـتَّى حَظِيَـا

٢- مِنْ مَكَّةَ الْغَرَّا إلى الْقُدْسِ، عَلَى ... ظَهْـرِ الْـبُرَاقِ رَاكِبًا، ثُـمَّ عَلاَ:

٣- إلى السَّـماءِ، مَعَـهُ جِبْرِيْـلُ ... فَاسْـتَفْتَحَ الْبَـابَ لَهُ يَقُـولُ

٤- مُجِيْبًا إذ قِيْلَ لَهُ «مَنْ ذَا مَعَكْ؟»: ... «مُحَمَّـدٌ مَـعِي»، فَرَحَّـبَ الْمَلَكْ

٥- ثُـمَّ تَـلاَقَى مَـعَ الاَنْبِيَـاءِ ... وَكُلُّ وَاحِـدٍ لَدَى سَـمَاءِ

٦- ثُمَّ عَلاَ لِمُسْـتَوَى قَدْ سَـمِعَا ... صَرِيْـفَ الاَقْـلاَمِ بِمَا قَـدْ وَقَعَا

٧- ثُـمَّ دَنَـا حَـتَّى رَأَى الإلَهَـا ... بِعَيْنِـهِ، مُخَاطِبًـا شِـفَاهَا

٨- أَوْحَى لَهُ سُـبْحَانَهُ مَـا أَوْحَى ... فَـلاَ تَسَـلْ عَمَّا جَـرَى تَصْرِيْحَا

٩- وَفَرَضَ (الصَّلاَةَ) خَمْسِيْنَ عَلَى ... أُمَّتِـهِ، حَـتَّى لِخَمْـسٍ نَـزَلاَ

١٠- وَالأَجْرُ خَمْسُـونَ كَمَا قَدْ كَانَا ... وَزَادَهُ مِـنْ فَضْلِـهِ إحْسَـانَا

١١- فَصَـدَّقَ «الصِّدِّيْقُ» ذُو الْوَفَاءِ ... وَكَـذَّبَ الْكُفَّـارُ بِـالإِسْرَاءِ

١٢- وَسَـأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ الْقُدْسِ ... رَفَعَـهُ إِلَيْـهِ رُوْحُ الْقُـدْسِ:

١٣- جِبْرِيْلُ، حَتَّى حَقَّقَ الأَوْصَافَا ... لَهُ، فَمَـا طَاقُـوْا لَهُ خِلاَفَـا

١٤- لَكِنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُـوْا وَجَحَدُوْا ... فَأُهْلِكُـوْا، وَفِي الْعَـذَابِ أُخْلِدُوْا

يشير إلى حادثة الإسراء والمعراج وهما من معجزات رسول الله ﷺ.

أما الإسراء فجاء ذِكْره في سورة الإسراء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء: ١]، والإسراء: هو السير ليلًا أو السفر ليلًا، فكان الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس.

وأما المعراج فجاء ذِكْره في سورة النجم، والمعراج: هو الصعود من بيت المقدس إلى السموات العُلى، وجاء ذِكْر ذلك في سورة النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم: ١-٥].

إلى آخر السورة الكريمة، كلها في ذِكْر قصة المعراج بالنبي ﷺ.

وقد كان الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ يقظة بجسده وروحه ﷺ وهذا هو الصحيح.

بعض الناس زعموا أن الإسراء كان منامًا بالروح فقط، وهذا الكلام مردود؛ لأنه لو كان كذلك لما حصلت هذه الضجة العظيمة بشأن الإسراء والمعراج، ولمَا ارتد ناسٌ ولا ما حصلت فتنة بسببه، فلو أن شخصًا رأى رؤيا منامية أنه ذهب إلى القدس وإلى السماء ورجع وقصّ هذا، ما كذّبه أحد، فالناس يرون في المنام أشياء عجيبة، وهذا شيء مألوف، لكن حادثة الإسراء والمعراج كانت يقظة برسول الله ﷺ، وبجسده وروحه معًا ﷺ لذلك لما أخبر بحادثة الإسراء والمعراج كذّبت قريش، وأخذوا يهزؤون بالنبي ﷺ، وكان ذلك سببًا في ردة بعض ضعاف الإيمان ممّنْ كان أسلم وآمن بالنبي ﷺ رجع فارتد -والعياذ بالله- لما أُخبِر بحادثة الإسراء والمعراج.

وكان سبب تفضيل أبي بكر الصديق وتلقيبه بالصديق: أنه لما جاءه المشركون يريدون تشكيكه في النبي ﷺ، وقالوا: إن صاحبك يزعم أنه أُسري به إلى القدس وصُعِد

به إلى السماء، ورجع في ليلة، فقال: إن كان قال فقد صدق، قبل أن يسمع النبي ﷺ، وقبل أن يُخبره النبي ﷺ، فلقبه النبي ﷺ بالصديق منذ ذلك اليوم.

متى وقع الإسراء والمعراج؟

قيل: في شهر ربيع الأول، وقيل: في ربيع الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان؛ فهناك أقوال عديدة، لم يُضبَط تحديدًا موعد الإسراء والمعراج، فالاحتفالات التي تقام أحيانًا ليلة السابع والعشرين من رجب لا تعتمد على تاريخ ثابت على وجه القطع أن الإسراء والمعراج كان في السابع والعشرين من رجب، وإنما هو قول من الأقوال التي قيلت، وقيلت أقوال أخرى في موعد الإسراء والمعراج.

وأما تحديد السنة:

فهناك أقوال، فقيل: إنه قبل الهجرة بثلاث سنوات يعني في العام الحادي عشر من البعثة، وقيل: قبل الهجرة بسنة ونصف، وهذا الذي اختاره المؤلف هنا أنه قبل الهجرة بسنة ونصف، يعني كان النبي ﷺ أكمل واحدًا وخمسين عامًا ونصف.

لأن الهجرة كانت لما أكمل ثلاثًا وخمسين سنة عليه الصلاة والسلام وهنا قال:

١- وَبَعْدَ عَامٍ مَـعَ نِصْفٍ: أُسْرِيَا   بِـهِ إلى السَّــمَاءِ، حَــتَّى حَظِيَــا

(حَظِيَا) يعني حظي عند ربه عز وجل بالمنزلة العظيمة.

النبي ﷺ كان نائمًا في البيت الذي يسكنه في مكة، ويقال له: بيت أم هانئ، وأم هانئ رضي الله عنها هي أم هانئ بنت أبي طالب، أخت علي بن أبي طالب، فهي بنت عم النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ في بيت أم هانئ، وجاءه جبريل عليه السلام فرأى النبي ﷺ سقف البيت ينفرج، ويدخل منه جبريل عليه السلام ويحمله عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ إلى الحجر.

ذهب به إلى الحجر، الذي يقال له: حجر إسماعيل وهو البناء المقوس عند الكعبة الذي هو يُعتبَر جزءًا من الكعبة، فأخذه وذهب إلى الحجر.

فلذلك نجد في بعض الروايات أن النبي ﷺ أُسرِي به من بيت أم هانئ، وفي بعضها أنه أُسري به من الحجر، فليس هناك تعارض؛ لأنه أُخِذ من بيت أم هانئ، وذُهِب به إلى الحجر أولًا، حيث شُقّ صدره عليه الصلاة والسلام عند الحجر، وأُخرِج قلبه وغُسِل في طست من ذهب بماء زمزم تهيئةً للإسراء به عليه الصلاة والسلام.

ومع جبريل عليه السلام دابة يقال لها: البراق وهي: دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل.

قال ابن القيم -رحمه الله-: **ثُمَّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِجَسَدِهِ عَلَى الصَّحِيحِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، رَاكِبًا عَلَى الْبُرَاقِ، صُحْبَةَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَنَزَلَ هُنَاكَ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ امَامًا، وَرَبَطَ الْبُرَاقَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْمَسْجِدِ.**

وَقَدْ قِيلَ: انَّهُ نَزَلَ بِبَيْتِ لَحمٍ وَصَلَّى فِيهِ، وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ عَنْهُ الْبَتَّةَ.

«**ثُمَّ عُرِجَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ لَهُ جِبْرِيلُ فَفُتِحَ لَهُ، فَرَأَى هُنَالِكَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَرَاهُ اللهُ أَرْوَاحَ السُّعَدَاءِ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْوَاحَ الْأَشْقِيَاءِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ لَهُ، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَلَقِيَهُمَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَرَدَّا عَلَيْهِ وَرَحَّبَا بِهِ، وَأَقَرَّا بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَرَأَى فِيهَا يُوسُفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إلى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَكَى مُوسَى،**

فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ مِنْ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، ثُمَّ رُفِعَ إِلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثُمَّ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلى الْجَبَّارِ -جَلَّ جَلَالُهُ- فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى كَانَ ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم]، وَفَرَضَ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً. فَرَجَعَ حَتَّى مَرَّ عَلَى مُوسَى فَقَالَ لَهُ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قَالَ: بِخَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَالْتَفَتَ إِلى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ، فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَعَلَا بِهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى بِهِ الْجَبَّارَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَهُوَ فِي مَكَانِهِ. هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ أَنْزَلَ حَتَى مَرَّ بِمُوسَى فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللهِ ﷻ حَتَى جَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَمَرَهُ مُوسَى بِالرُّجُوعِ وَسُؤَالِ التَّخْفِيفِ، فَقَالَ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا بَعُدَ نَادَى مُنَادٍ: قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[١].

وورد في بعض أحاديث الإسراء أن النبي ﷺ في طريقه وهو على البراق ذاهبًا إلى بيت المقدس مر في طريقه بمدين ومر بسيناء، وبطور سيناء، ومر ببيت لحم، فذكر النبي ﷺ الأماكن التي مر بها عليه السلام وأنه توقف في بعض هذه الأماكن، وصلى عليه السلام حتى وصل في نهاية الرحلة إلى بيت المقدس وجُمع له الأنبياء، وصلى بهم عليه السلام.

ثم عُرِج به إلى السماء عبر معراج، والمعراج: هو المصعد، المعراج: أي: آلة للصعود يقال لها المعراج، فموضع المعراج الذي يُعرَج به إلى السماء هو عند بيت المقدس، طبعًا كيفيته هذه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى

[١] زاد المعاد: جـ٣،صـ٣٠،ط مؤسسة الرسالة.

فبعد أن صلى في بيت المقدس ﷺ نُصِب المعراج وعُرِج به ﷺ، صُعِد به إلى السماء، ومعه جبريل عليه السلام فاستفتح الأبواب.

٣- إلى السَّمَاءِ، مَعَهُ جِبْرِيلُ فَاسْتَفْتَحَ الْبَابَ لَهُ يَقُولُ

جبريل عليه السلام استفتح، أي: طلب أن يُفتح له الباب. فكل سماء لها أبواب، وعند الأبواب ملائكة يحرسونها، فملائكة السماء الدنيا قالت: مَنْ هذا؟ قال: جبريل، قالوا: مَنْ معك؟ قال: محمد ﷺ فرحبوا به، وفتحوا له ﷺ وظل كذلك يرقى من سماء إلى سماء والتقى في كل سماء بالأنبياء الذين فيها، بعض الأنبياء لقيهم في كل سماء من السموات التي مر بها ﷺ.

حتى:

٦- .... عَلاَ لِمُسْتَوَى قَدْ سَمِعَا صَرِيْفَ الاَقْلاَمِ ......

يعني صُعد بالنبي ﷺ حتى وصل إلى السماء السابعة، والسماء السابعة فوقها الجنة وفوقها سدرة المنتهى، والسدرة: هي شجرة السدر، والسدر هو نبات النبق، فشجرة السدر وهي شجرة عظيمة وصفها النبي ﷺ بأنها: ورقها مثل آذان الفيلة، ونبقها مثل قلال هجر، وهي قلال ضخمة عظيمة، وهجر: هي الأحساء أو البحرين.

ورأى السدرة يغشاها ما يغشى، وقال النبي ﷺ: يغشى السدرة فراش من ذهب، رأى النبي ﷺ فراشًا من الذهب يغطي هذه السدرة ويطير حولها.

وسدرة المنتهى عندها جنة المأوى كما وصف رب ﷻ، قال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾[النجم: ١٤-١٥] والجنة أُعدِّت وخُلِقت كما ذكر الله ﷻ عن الجنة قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣] يعني فُرِغ منها، فالجنة جاهزة ومُعدّة ومُهيأة

لاستقبال المؤمنين، والحور العين مخلوقات الآن، وفي الجنة ينتظرن، والولدان المخلدون، وما أعدّ الله فيها من النعيم؛ فالنبي ﷺ دخل الجنة في رحلة المعراج ورآها بعينه عليه الصلاة والسلام.

لما وصل النبي ﷺ عند سدرة المنتهى التي هي فوق السماء السابعة وصل إلى مقام ينتهي إليه جبريل، يعني جبريل عليه السلام لا يُسمَح له بالصعود فوق هذا المقام، وأذِن رب العالمين تبارك وتعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يرقى فوق مقام لا يرقى عنده جبريل، رُقي به عليه الصلاة والسلام وقال: «حتى صرت إلى منتهى أسمع فيه صريف الأقلام» صريف الأقلام: هو صوت كتابة الأقلام التي تكتب كلمات الله تبارك وتعالى وما يأمر الله جل وعلا به مما أراد الله جل وعلا إجراءه من المقادير، فصار النبي ﷺ في مستوى يسمع صريف الأقلام عليه الصلاة والسلام.

وكلّمه رب العالمين تبارك وتعالى وأثنى رب العالمين تبارك وتعالى على أدبه عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت، ولذلك العلماء يذكرونه في كتاب الأدب، يريدون فيه: قوله تعالى: ﴿مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَاطَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، يعني نبينا محمد ﷺكان في موقف عظيم ومهيب، وكل شيء حوله عجيب ومدهش، ومع ذلك ما زاغ بصره وما طغى، ما طغى: يعني ما جاوز الحد الذي يُسمَح له أن ينظر إليه، ولا زاغ: يعني ولا التفت يمينًا ولا يسارًا، عليه الصلاة والسلام.

فكلمه رب العالمين تبارك وتعالى وهذا مما اختص الله جل وعلا به بعض رسله، وهم أفضل الرسل، يعني الذين كلمهم الله جل وعلا بغير واسطة الملك، فسمعوا كلام الله تبارك وتعالى بآذانهم مباشرة بغير واسطة الملك، فقال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٣] يعني من الرسل المفضلين مَنْ كلمهم الله جل وعلا ومن الرسل المكلّمين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وموسى – عليه السلام – ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤]، وآدم عليه السلام نبي مُكلَّم كما قال عليه الصلاة والسلام.

فكلمه الله ﷻ وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها رب العالمين -سبحانه- النبي ﷺ امتثل لأمر الله ﷻ ثم بعد أن فرض الله عليه الصلوات خمسين صلاة في اليوم والليلة، وأوحى الله ﷻ إليه آخر آيتين من سورة البقرة، تلقاهما النبي ﷺ من رب العالمين ﷻ مباشرة بغير واسطة في ذلك اليوم.

وهناك الخلاف بين الصحابة ﭫ: هل النبي ﷺ رأى ربه ﻷ يوم المعراج أم لا؟

وهنا الناظم -رحمه الله -كأنه يؤيد يعني أن النبي ﷺ رأى ربه يوم المعراج؛ لأنه قال:

٧- ثُـمَّ دَنَـا حَـتَّى رَأَى الإِلَهَـا بِعَيْنِـهِ، مُخَاطِبًـا شِـفَاهَا

فيقول النبي ﷺ (**رَأَى الإِلَهَا**) ﷻ (**بِعَيْنِهِ، مُخَاطِبًا شِفَاهَا**) يعني وخاطبه رب العالمين ﷻ مشافهة، وهذا قول عبد الله بن عباس ﭭ أن النبي ﷺ رأى ربه يوم المعراج، وقول الإمام أحمد بن حنبل ~ وجماعة من الأئمة.

والرأي الآخر: وهو رأي أم المؤمنين عائشة ﭪ وبعض الصحابة والأئمة، يقولون: إن النبي ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج، ولكن رأى الحجاب، رأى النور الذي هو حجاب الله ﷻ ولم ير الله ﷻ يوم المعراج.

لكن هذا الخلاف في الرؤية وعدمها متعلق بما قبل الآخرة، أما في الآخرة فجميع المؤمنين يرون الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] الذين قالوا إن النبي ﷺ رأى ربه ﻷ قالوا: المعراج هذا لا يأخذ أحكام الدنيا، النبي ﷺ في ذلك الوقت ما كان يأخذ أحكام الدنيا، وأن أهل الدنيا لا يرون الله ﷻ فالنبي ﷺ في ذلك الوقت أخذ أحكام الآخرة في هذا المكان.

الذين يقولون: إنه رأى ربه ﷻ قالوا: الرؤية المنفية غير الرؤية المثبتة، فقالوا: إن المقصود: «أنّى أراه» يعني رؤية فيها إحاطة فحملوا النفي على نوع من الرؤية، وليس على أصل الرؤية، فالرؤية المنفية رؤية فيها إدراك أو فيها إحاطة، لكن أصل الرؤية قالوا: ثابتة.

وابن عباس رضي الله عنهما كان يفسر الآية الكريمة في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦﴾ [النجم: ١٣-١٦] فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣] يقول: رأى ربه، نزلة أخرى: يعني مرة أخرى؛ لأن المرة الأولى هي رؤية النبي ﷺ لله ﷻ منامًا، فقال: إن النبي ﷺ رأى الله ﷻ منامًا ثم رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى يعني يقظةً.

وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت تقول الضمير هنا يعود على جبريل، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣] تقول: إن النبي ﷺ رأى جبريل مرة أخرى على صورته التي خلقه الله عليها، يسد ما بين السماء والأرض، وله ستمائة جناح، فرآه مرة أخرى على صورته وكان رآه قبل ذلك في أجياد بمكة بعد الإيحاء إليه على صورته.

وأحاديث الإسراء والمعراج كثيرة، قالوا: أحاديث متواترة وردت عن بضعة وثلاثين صحابيًا، رووا عن النبي ﷺ أحاديث الإسراء والمعراج، ومنها عشرات الروايات في الصحيحين وغيرها، فمن ضمن أحاديث الإسراء والمعراج، والأحاديث يُكمل بعضها بعضًا، في كل حديث ذِكْر بعض التفاصيل التي لم تُذْكر في الحديث الآخر.

فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ**»، قَالَ: «**فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ**»، قَالَ: «**فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِها**

الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ « ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِانَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَانَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فإذا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فإذا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ-صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا- فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فإذا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فإذا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ -ﷻ-: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فإذا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فإذا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فإذا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ

أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إلى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَإِذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ.

قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إلى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ.

قَالَ: « فَرَجَعْتُ إلى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إلى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: « فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَبَيْنَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً

قَالَ: « فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إلى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ » فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ[١]

هؤلاء الذين التقى بهم النبي ﷺ في طريقه من الأنبياء، والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- طبعًا أكثر من هذا، وكلهم مُنعمّون عند الله ﷻ لكن هو ذكر مَنْ مرّ به، يعني لقيه في طريقه أثناء المرور ﷺ.

---

[١] صحيح مسلم١٦٢.

في السماء السابعة قال: « فإذا أنا بإبراهيم مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور».

والبيت المعمور: هو بيت لله ﷻ حيال الكعبة، يعني فوق الكعبة، ولله ﷻ في كل سماء بيت تطوف به ملائكة كل سماء، ويعبدون الله ﷻ عنده.

فالبيت الذي في السماء الدنيا اسمه بيت العِزّة، والبيت الذي في السماء السابعة اسمه البيت المعمور الذي أقسم الله ﷻ به في سورة الطور: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤﴾ [الطور: ١-٤] فإبراهيم عليه السلام هو الذي بنى بيت الله ﷻ في الدنيا فدائمًا الجزاء من جنس العمل، فهو جالس مُسندًا ظهره إلى البيت المعمور «وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه» يعني من كثرة الملائكة، كل يوم سبعون ألف ملك جُدد يدخلون البيت المعمور، يطوفون به ويعبدون الله فيه، ويخرجون و لا يعودون إليه آخر ما عليهم، يعني لا يعودون إليه مرة أخرى لكثرة الملائكة، كل يوم سبعون ألفًا غير الذين دخلوه في اليوم الذي قبله.

(وَسَأَلُوهُ عَنْ صِفَاتِ الْقُدْسِ) يعني: أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن صفات بيت المقدس، فسألوه عن عدد أعمدته، وصفة نوافذه وأبوابه، قال: فسألوني عن أشياء لم أُثبتها، يعني النبي ﷺ ذهب إلى بيت المقدس لكن ما تثبّت من هذه الأمور.

قال: (رَفَعَهُ إِلَيْهِ رُوْحُ الْقُدْسِ) وفي رواية قال ﷺ قال: «فجلّاه الله لي حتى كأني أنظر إليه» هنا شراح الحديث بعضهم يقول: إن الله ﷻ أعطى النبي ﷺ قوة في البصر حتى صار ينظر وهو في مكة إلى بيت المقدس.

والفريق الآخر قالوا: «جلّاه الله لي» يعني أن البيت قد رفعه إليّ جبريل، قالوا: المقصود أنه صُوّر بيت المقدس، بكيفية يعلمها الله ﷻ بحيث ينظر إليه النبي ﷺ لأنه قال: «كأني أنظر إليه» فهذا يفيد أنه ما نظر حقيقة، ولكن صُوّر للنبي ﷺ بحيث أصبح

ينظر إليه أمامه فيجيبهم عن أسئلتهم، وهم يعلمون أن النبي ﷺ ما زار بيت المقدس من قبل.

النبي ﷺ لم يذهب إلى بيت المقدس من قبل، وعندما ذهب إلى الشام للتجارة ذهب إلى بُصرى ورجع، يعني: ما ذهب إلى بيت المقدس، فكانوا يعلمون ذلك، فسألوه عن أشياء فجعل النبي ﷺ يجيبهم عن أسئلتهم سؤالًا سؤالًا، ومع ذلك استمروا على تكذيبهم، فجعل يصفه بابًا بابًا وموضعًا موضعًا.

وجاء في حديث أم هانئ أن النبي ﷺ قال لهم: «آيته أنني مررت بعير بني فلان» العير : هي القافلة التجارية، لبني فلان «بوادي كذا، فأنفرهم حِس الدابة، فندّ لهم بعير، فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى القدس» النبي ﷺ قال: وهو سائر بالبراق مر بعير لبني فلان، وصوت البراق نفّرهم، يعني هم سمعوا صوتًا يشق الطريق حتى أن بعيرًا من إبلهم ندّ فزِعًا من صوت البراق.

قال: «فدللتهم عليه» النبي ﷺ قال لهم: بعيركم في المكان الفلاني.

«ثم أقبلتُ حتى إذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نيامًا ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفته وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء» فوصف لهم النبي ﷺ أنه مر بقافلة أخرى لبني فلان، وسمى لهم أصحاب هذه القافلة، وأنه شرب من إناء لهم، ووصف لهم البعير الذي يتقدم هذه القافلة «جمل أورق وعليه غرارتان» الغرارة: هي مثل: الجُوال.

فالقصد: أنهم انتظروا فإذا بالقافلتين اللتين أخبر عنهما النبي ﷺ يقدمان كما وصف النبي ﵊ وعلى نفس الصفة، وقالوا: إنهم سمعوا صوت محمد ﷺ، وأنه سلّم عليهم

وأنهم ردوا ﷺ، وسمعوا صوته وهم لا يرونه ﷺ، وذكروا قصة الإناء كما وصف ﷺ، وما زادهم هذا إلا تكذيبًا.

هذا كان ما يتعلق بقصة الإسراء والمعراج.

باب ذِكْر عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل وبيعة الأنصار له ﷺ

قال:

١- وَعَــرَضَ النَّــبِيُّ نَفْسَــهُ عَلَى   قَبِيْلَــةٍ قَبِيْلَــةٍ، لِيَحْصُــلاَ

٢- إِيْــوَاؤُهُ مِــنْ بَعْضِهِــمْ، يُبَلِّغُ   رِسَــالَةَ اللهِ، فَــكُلٌّ يَــنْزَغُ:

٣- إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، حَتَّى يُعْرِضُوْا   عَــنْ قَــوْلِهِ، وَيَهْــزَؤُوْا وَيَرْفُضُوْا

٤- حَــتَّى أَتَــاحَ اللهُ لِلأَنْصَــارِ   فَاسْــتَبَقُوْا لِلْخَــيْرِ بِاخْتِيَــارِ

نذكر المعنى الإجمالي ثم نشرحه تفصيلًا إن شاء الله، يقول: إن النبي ﷺ عرض نفسه على القبائل قبيلة قبيلة، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك في مواسم الحج خاصةً عندما يأتي وفود العرب، كانوا يأتون من كل أنحاء الجزيرة العربية، إلى مكة للحج، وكل قبيلة كان تُخيِّم في مكان في موسم الحج، فكان النبي ﷺ يمر على خيام كل قبيلة من القبائل يدعوهم إلى الإسلام، ويطلب منهم النبي ﷺ، أن يؤووه وينصروه، ويُبدي لهم استعداده أنهم إن آمنوا به ونصروه أن ينتقل معهم إلى بلادهم.

وكان أبو لهب يمر دائمًا خلف النبي ﷺ، يُحذِّر الناس منه، ويقول: أنا عمه، وأعرف الناس به، وإنه كذاب وإنه مجنون، وإنه كذا، ويُنَفِّر الناس عنه ﷺ.

فكانوا يُعرِضون عن قوله ويهزؤون به ﷺ ويرفضون.

٤- حَــتَّى أَتَــاحَ اللهُ لِلأَنْصَــارِ   فَاسْــتَبَقُوْا لِلْخَــيْرِ بِاخْتِيَــارِ

حتى وفّق الله ﷻ أنه ﷺ ذهب يدعو أهل المدينة الذين قدِموا للحج، فدعاهم النبي ﷺ، وكانت المدينة تُسمى يثرب في ذلك الوقت فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وأنه إن

آمنوا به يذهب إليهم ﷺ (فَاسْتَبَقُوْا لِلْخَيْرِ بِاخْتِيَارِ).

٥- فَيُسْلِمُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ، يُسْلِمُ ... بِهِ جَمِيْعُ أَهْلِهِ، فَرُحِمُوْا

فأسلموا وآمنوا بالنبي ﷺ وجعل الواحد منهم يُسلِم ثم يرجع إلى بلده فيدعو أهله إلى الإسلام فيُسلم أهله أجمعون.

٦- لَقِيَ سِتًّا أَوْ ثَمَانِيًا لَدَى ... «عَقَبَةٍ»، دَعَاهُمُ إلى الْهُدَى

٧- فَآمَنُوْا بِاللهِ، ثُمَّ رَجَعُوْا ... لِقَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ، فَسَمِعُوْا

فستة أو ثمانية منهم بايعوا النبي ﷺ عند العقبة- أي: عند جمرة العقبة في منى- وهي الجمرة الكبرى من الجمرات الثلاث، فكان عند جمرة العقبة فلقي ستة أو ثمانية من الأنصار آمنوا بالنبي ﷺ وبايعوه ﷺ على الإسلام (ثُمَّ رَجَعُوْا لِقَوْمِهِمْ يَدْعُونَهُمْ، فَسَمِعُوْا).

(حَتَّى فَشَا الإسلام) رجعوا إلى قومهم يدعون إلى الإسلام ففشا الإسلام في المدينة.

٨- حَتَّى فَشَا الإسلام، ثُمَّ قَدِمَا ... فِي قَابِلٍ مِنْهُمْ وَمِمَّنْ أَسْلَمَا

٩- لِبَيْعَةٍ ضِعْفُ الَّذِيْنَ سَلَفُوْا ... .

ففي العام الذي بعده قدِم على النبي ﷺ ضعف العدد الذين بايعوه في العام الأول، فبايعوا النبي ﷺ (كَبَيْعَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ انْصَرَفُوْا)؛ بيعة النساء: هي البيعة المذكورة في سورة الممتحنة: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾[الممتحنة: ١٢]؛

فالنبي ﷺ لما بايع الأنصار بايعهم مثل بيعة النساء، قال لهم: بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم.

المقصود في بيعة النساء: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ﴾[الممتحنة: ١٢] قالوا: المقصود أن المرأة كانت أحيانًا تلتقط لقيطًا فتتبناه وتنسبه إلى زوجها، يعني تدّعي أنه ولدها وتنسبه إلى زوجها، وخاصةً مَنْ كانت منهم تلد بنتًا، وتعرف كراهتهم للبنات فتأخذ بدلًا منه طفلًا لقيطًا وتقول: هذا ولدي، فتنسب إلى زوجها مَنْ ليس من صلبه، وتزعم أنه ابنه فالمقصود بـ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾[الممتحنة: ١٢] يعني لا ينسبن ولدًا لأزواجهن، ليس منهم.

لكن في بيعة الرجال قالوا: المقصود هنا: (ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم) قالوا: المعنى العام للبهتان، البهتان: هو الكذب والافتراء.

وبين أيديكم وأرجلكم: بمعنى تكسبه جوارحكم، أي: لا تأتوا ببهتان أو بافتراء تعملونه يعني بجوارحكم، مثل: قذف الآخرين بالزنا مثلًا.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾[الممتحنة: ١٢] هذه في بيعة النساء، وهي بمعنى النواح، النوح على الميت.

وفي بيعة الرجال (ولا تعصوني في معروف): هو بمعنى معصية أمر النبي ﷺ؛ لأن كل ما أمر به النبي ﷺ فهو معروف، بمعنى المعصية يعني بصفة عامة.

هذه البيعة سُميت (بيعة النساء) لأن صيغتها تشابه الصيغة التي بايع بها النبي ﷺ النساء.

١٠- ثُـمَّ أَتَى مِـنْ قَابِلٍ سَـبْعُونَا وَنَيِّـفٌ فَبَايَعُـوْا، يُخْفُونَـا:

١١- بَيْعَتَهُـمْ لَيْلًا، وَنِعْـمَ الْبَيْعَةُ جَـزَاءُ مَـنْ بَايَـعَ فِيْهَـا الْجَنَّةُ

يقول: في العام الذي بعده جاء سبعون ونيّف فبايعوا النبي ﷺ.

هذا على سبيل الإجمال، وتوضيح ذلك بشيء من التفصيل: أن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج يقول: «ألا رجل يعرض عليّ قومه؟ فإن قريشًا منعوني أن أُبَلِّغ رسالة ربي» فكانوا يهزؤون بالنبي ﷺ.

حتى ذهب النبي ﷺ يدعو الأوس والخزرج، وقد قدِموا من المدينة للحج في مكة، فذهب يدعوهم إلى الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلم عدد منهم فكانوا ستًا وقيل: كانوا ثمانية.

الرواية التي فيها أن الذين بايعوا النبي ﷺ في أول مرة حصلت فيها بيعة كانوا ستة، هم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، أو عبادة بن الصامت يعني في رواية (جابر بن عبد الله)، وفي رواية (عبادة بن الصامت)، وفي بعض الروايات زيادة (أبي الهيثم بن التيهان، ومعاذ بن عفراء) رضي الله عنهم.

ولم يكن فيهم نساء في هذه المرة.

وفي العام الذي بعده بايع النبي ﷺ اثنا عشر، وهو معنى قوله: (ضِعْفُ) العام الذي بعده بايعه ضعف العدد الأول، فبايع النبي ﷺ اثنا عشر رجلًا من الأنصار.

منهم خمسة بايعوا مرة ثانية ممَّنْ كانوا أسلموا، وبايعوا في العام الذي قبله، وهم: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر؛

هؤلاء الخمسة و السبعة الآخرون، هم: ذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة، والعباس بن عبادة، ومعاذ بن عفراء، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة رضي الله عنهم.

فهؤلاء الذين بايعوا كبيعة النساء، بايعهم النبي ﷺ قال: «ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأُصبتم بحدّ في الدنيا فهو كفارة له في الدنيا، وإن سترتم عليه فأمركم إلى الله؛ إن شاء عذّب وإن شاء غفر»..

فبايعهم النبي ﷺ على ذلك وعلى أنهم إن فعلوا شيئًا مما يُوجِب حدًّا وأُقيم عليهم الحد في الدنيا مثل: السرقة، والزنا، فهو كفارة له، وإذا ستروا على أنفسهم وتابوا فهُم تحت مشيئة الله إن شاء عذّب وإن شاء عفا.

فبايعوا النبي ﷺ على ذلك وانصرفوا إلى المدينة، و لما رجعوا إلى المدينة كتبوا إلى النبي ﷺ: أن ابعث إلينا مَنْ يقرئنا القرآن ويفقهنا، فبعث إليهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، فنزل على أسعد بن زرارة،وأسعد بن زرارة كان ممَّنْ أسلم وبايع، و كان من سادات الأنصار، وكبراء أهل المدينة.

فنزل في دار أسعد بن زرارة، وكانوا يصلون الجمعة في هذه الدار فقالوا: كان النبي ﷺ في مكة لا يستطيع أن يصلي الجمعة، فأول جمعة صُليت كانت في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنه قبل بناء المسجد، فكانوا يصلون الجمعة في المدينة، والنبي ﷺ ما كان يستطيع أن يصليها في مكة، فالإسلام قوي أمره وشأنه في المدينة.

فمصعب رضي الله عنه كان أول سفير في الإسلام، وكان يقال له: القارئ، ويقال له: المقرئ أيضًا رضي الله عنه، فقالوا: كان أوّل مَنْ سُمي القارئ، وأوّل مَنْ سُمي المقرئ هو مصعب بن عمير رضي الله عنه.

وممن أسلم على يده: أُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما.

وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه من سادة أهل المدينة أيضًا، وكان قد بلغه اجتماع مصعب مع رجال ممَّنْ أسلم في دار أسعد بن زرارة، فبعث إليهم أُسيد بن حضير؛ ليزجر هؤلاء ويمنعهم، فلما جاء أُسيد بن حضير أخذ يتكلم بكلام يزجر به مصعبًا ومَنْ معه، فقال له مصعب: أوتجلس فتسمع، فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره، قال: أنصفت.

ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ القرآن، فقال: ما أحسن هذا! كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ فقالوا له: تغتسل وتشهد شهادة الحق، ثم تصلي.

وطبعًا يعني هنا الذي يذكره الفقهاء أن الشهادة لا تُؤخّر عن الاغتسال، يعني أنه يتشهد أولًا ثم يغتسل لاحقًا، فالقصد: أنه تشهد واغتسل وصلى.

ثم قال: إن في المدينة رجلًا لو تبعكم لم يتخلف أحد عن الإسلام، وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه، وسأرسله الآن، فلما قدم أسيد على سعد قال سعد لمَنْ حوله: لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به. فقال له سعد: ما فعلت؟، فذكر قصته، وأنه سمع كلامًا أعجبه، وأشار أُسيد على سعد أن يذهب إليهم ويسمع منهم ما يقولون.

فجاء سعد فدخل عليهم و كلمه مصعب وقرأ عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فأسلم سعد رضي الله عنه.

العام الذي بعده قدِم من الأنصار سبعون رجلًا ونيّف: ونيّف يعني: ورجل أو رجلان وامرأتان، (ونيّف) قيل يعني: رجل وامرأتان، وقيل: رجلان وامرأتان، يعني سبعون، أو واحد وسبعون أو اثنان وسبعون من الرجال وامرأتان.

وهذه البيعة سُميت بالبيعة الثانية، فعندنا البيعة الأولى، والبيعة الثانية.

البيعة الأولى: هي التي بايع فيها اثنا عشر رجلًا، سموها بيعة العقبة الأولى، اثنا عشر رجلًا.

والثانية: هي التي بايع فيها واحد وسبعون أو اثنان وسبعون رجلًا وامرأتان.

فاجتمعوا وسلموا على النبي ﷺ، وكان الإسلام قد انتشر في المدينة، وجاؤوا فسلموا على المصطفى عليه السلام، وبايعهم، وواعدهم النبي ﷺ ليلة النفر الأول وهو اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، والنفر الثاني هو الثالث عشر من ذي الحجة.

فالنبي ﷺ بايعهم في الثاني عشر من ذي الحجة؛ إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشِّعب الأيمن إذا انحدروا من مِنى في أسفل العقبة في الموضع الذي فيه مسجد الخيف الآن.

وأمرهم ألا يُنَبّهوا نائمًا ولا ينتظروا غائبًا، فخرج القوم يتسللون، وسبقهم النبي ﷺ لذلك الموضع ،ومعه العباس عم النبي ﷺ، وتكلم العباس وقال: إنكم دعوتم محمدًا ﷺ إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعزّ الناس في عشيرته يمنعه ممَّنْ كان على قوله، ومَنْ لم يكن على قوله، يمنعه الشرف والحسد، وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، يعني هذه البيعة الثانية كان فيها مواعدة النبي ﷺ أن يهاجر إليهم في المدينة وينتقل إليهم، فالعباس يعني قال لهم: إن محمدًا ﷺ في مكة يعني قومه يمنعونه سواء الذين أسلموا أو ممَّنْ لم يُسلِم، يعني من قرابته وبني هاشم كانوا أيضًا يدافعون عن النبي ﷺ.

قال: وقد أَبَى إلا الانقطاع إليكم؛ أي: إن النبي ﷺ أَبَى إلا أن يهاجر إليكم وينتقل إلى بلدكم.

فإن كنتم ترون أنكم تفون له، وأنكم أهل جلَد وقوة وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وأتمروا ولا تفرقوا إلا عن اجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه.

فقام البراء بن معرور رضي الله عنه، فقال: سمعنا ما قلت، ولو كان في أنفسنا غير ما ننطق به قلناه، ولكنّا نريد الوفاء وبذْل المُهَج دونه.

ثم قرأ عليهم القرآن ورغّبهم في الإسلام، فبايعوا النبي ﷺ كما ذكرنا، وطلب منهم النبي ﷺ أن يُخرِجوا اثني عشر نقيبًا أي: مندوبين عنهم، فأخرِجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، قال لهم النبي ﷺ: «إن موسى اتخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيبًا، فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخَذ غيره، فإنما يختار لي جبريل» يعني لا يحزن أحد أنه لم يُخرَج كمندوب يعني عنكم، نقباء: يعني هم يُمَثِّلونكم.

وبايعهم النبي عليه الصلاة والسلام وكان من ضمن هذه البيعة أن ينصروا النبي ﷺ، ويؤوه إذا جاء إليهم، وأن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأولادهم، وأن يدافعوا عنه عليه الصلاة والسلام فبايعهم النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك، وكان هذا إيذانًا بالهجرة.

وخلال هذه الفترة بدأ النبي ﷺ يبعث أصحابه إلى المدينة حتى يهاجروا قبله عليه الصلاة والسلام حتى سافر وهاجر معظم الصحابة، ولم يبق إلا النبي ﷺ وأبو بكر وعلي وقِلّة ممَّنْ لم يستطيعوا الهجرة، لكن معظمهم كان هاجر قبل النبي ﷺ وذهب إلى المدينة وصارت المدينة مُهيأة لهجرة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وبهذا نكون قد انتهينا من المرحلة المكية من سيرة رسول الله ﷺ، وننتقل إلى المرحلة المدنية وهي آخر عشرة أعوام في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ذِكْر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة

١- وَإذْ فَشَـا الإِسـلام بِالْمَدِيْنَهْ: هَاجَرَ مَـنْ يَحْفَـظُ فِيْهَـا دِيْنَهْ
٢- وَعَـزَمَ الصِّدِّيْـقُ أَنْ يُهَاجِرَا فَـرَدَّهُ النَّـبِيُّ، حَـتَّى هَاجَـرَا:
٣- مَعًـا إِلَيْهَـا، فَتَرَافَقَـا إِلَى غَارٍ بِـ«ثَـوْرٍ» بَعْـدُ، ثُـمَّ ارْتَحَلا
٤- وَمَعْهُمَا عَامِـرُ مَوْلَى الصِّدِّيْق وَابْـنُ أُرَيْقِـطٍ دَلِيْـلٌ لِلطَّرِيْقْ
٥- فَأَخَذُوْا نَحْوَ طَرِيْقِ السَّـاحِلِ وَالْحَـقُّ لِلْعَـدُوِّ خَـيْرُ شَـاغِلِ
٦- تَبِعَهُـمْ سُرَاقَـةُ بِـنُ مَالِـكِ يُرِيْـدُ فَتْـكًا، وَهُـوَ غَـيْرُ فَاتِكِ
٧- لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الْفَرَسْ نَـادَاهُ بِالأَمَـانِ، إذ عَنْـهُ حُبِسْ

هنا يقول: لما (فَشَا الإسلام): ظهر الإسلام وانتشر بالمدينة النبوية (هَاجَرَ مَنْ يَحْفَظُ فِيهَا دِيْنَهْ) مرّ بنا أن الصحابة ﭫ بدؤوا بالهجرة قبل النبي ﷺ فالصحابة الكرام كانوا بمكة مستضعفين وبدأ الإسلام ينتشر بالمدينة فبدأ الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- يهاجرون تباعًا مجموعةً تلو مجموعة يسبقون النبي ﷺ إلى المدينة النبوية.

وقالوا: كان أول مَنْ هاجر من أهل مكة إلى المدينة: مصعب بن عمير ﭬ، وقيل: أول مَنْ هاجر هو أبو سلمة بن عبد الأسد ﭬ، مرّ بنا ذِكْره كان من السابقين الأولين ﭬ، وكان أخًا للنبي ﷺ من الرضاعة، فقيل: إن أبا سلمة هو كان أوّل مَنْ هاجر، وقيل: مصعب بن عمير.

وكان أبو بكر الصديق ﭬ قد عزم أن يهاجر، يقول:

٢- وَعَـزَمَ الصِّدِّيْـقُ أَنْ يُهَاجِرَا فَـرَدَّهُ النَّـبِيُّ، حَـتَّى هَاجَـرَا:

٣- مَعًـا إِلَيْهَـا، فَتَرَافَقَـا إِلَى غَارٍ بِ«ثَـوْرٍ» بَعْـدُ، ثُـمَّ ارْتَحَلَا

يعني كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يستأذن النبي عليه الصلاة والسلام في أن يهاجر إلى المدينة كما هاجر بقية الصحابة رضي الله عنهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له: «لا تعجل؛ لعل الله يجعل لك صاحبًا».

يقول: فردّه النبي صلى الله عليه وسلم: منعه من الهجرة حتى يتشرف بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر معه النبي عليه الصلاة والسلام.

وكما هو مشهور في كتب السِّيَر في خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة التي عزم فيها النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة مع الصديق، قال لعلي رضي الله عنه: «نم على فراشي وتسجَّ ببردي» أي: يتغطى ببرده «فلن يخلص إليك شيء تكرهه»، وكلّف النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه بردّ الأمانات إلى أهلها؛ فقد كان الناس يودِعُون ودائع عند النبي صلى الله عليه وسلم لأمانته عليه الصلاة والسلام فأبقى عليًّا لردّ الودائع.

وكان المشركون قد شعروا بقُرب هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه تهيأ للخروج، ووجدوا الصحابة هاجروا ولم يتبق إلا الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وقِلّة ممّنْ بقي، فكانوا في تلك الليلة التي هاجر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام **«فَلَمَّا أَيْقَنَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم قَدْ بُويِعَ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَنْ كَانَ بِمَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَنْ يَلْحَقُوا بِإِخْوَانِهِمْ بِالْمَدِينَةِ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالُوا: الْآنَ فَأَجْمِعُوا فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ؛ فَوَاللهِ لَكَأَنَّهُ قَدْ كَرَّ عَلَيْكُمْ بِالرِّجَالِ فَأَثْبِتُوهُ أَوِ اقْتُلُوهُ أَوْ أَخْرِجُوهُ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ لِيَقْتُلُوهُ، فَلَمَّا دَخَلُوا الدَّارَ اعْتَرَضَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ جَمِيلٍ فِي بَتٍّ لَهُ وَالْبَتُّ: الْكِسَاءُ، فَقَالَ: أَدْخُلُ؟ فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالَّذِي اجْتَمَعْتُمْ لَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْضُرَهُ مَعَكُمْ، فَعَسَى أَنْ لَا يَعْدِمَكُمْ مِنْهُ رَأْيٌ وَنُصْحٌ، فَقَالُوا: أَجَلْ فَادْخُلْ. فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قَدْ كَانَ**

مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ، فَأَجْمِعُوا فِي هَذَا الرَّجُلِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَكَانَ مِمَّنِ اجْتَمَعَ لَهُ فِي دَارِ النَّدْوَةِ: شَيْبَةُ وَعُتْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَرَى أَنْ تَحْبِسُوهُ وَتَرَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ حَتَّى يَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الشُّعَرَاءِ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى، وَالنَّابِغَةُ، وَغَيْرُهُمَا. فَقَالَ النَّجْدِيُّ: وَاللهِ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ لَيَخْرُجَ رَأْيُهُ وَحَدِيثُهُ حَيْثُ حَبَسْتُمُوهُ إِلى مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَوْشَكَ أَنْ يَنْتَزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ، ثُمَّ يَغْلِبُوكُمْ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: بَلْ نُخْرِجُهُ فَنَنْفِيهِ مِنْ بِلَادِنَا، فإذا غُيِّبَ عَنَّا وَجْهُهُ وَحَدِيثُهُ فَوَاللهِ مَا نُبَالِي أَيْنَ وَقَعَ مِنَ الْبِلَادِ، وَلَئِنْ كَانَ أَجْمَعْنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَنَا وَأَصْلَحْنَا ذَاتَ بَيْنِنَا قَالَ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَمَا رَأَيْتُمْ حَلَاوَةَ مَنْطِقِهِ وَحُسْنَ حَدِيثِهِ وَغَلَبَتَهُ عَلَى مَنْ يَلْقَاهُ دُونَ مَنْ خَالَفَهُ، وَاللهِ لَكَأَنِّي بِهِ أَنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ قَدْ دَخَلَ عَلَى قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، فَأَصْفَقَتْ مَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ إِلَيْكُمْ حَتَّى يَطَأَكُمْ بِهِمْ، فَلَا وَاللهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ. قَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ: وَاللهِ إِنَّ لِي فِيهِ لَرَأْيًا مَا أَرَاكُمْ وَقَعْتُمْ عَلَيْهِ قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ غُلَامًا نَهْدًا جَلْدًا نَسِيبًا وَسِيطًا، ثُمَّ تُعْطُوهُمْ شِفَارًا صَارِمَةً ثُمَّ يَجْتَمِعُوا فَيَضْرِبُوهُ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فإذا قَتَلْتُمُوهُ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ، فَلَمْ تَدْرِ عَبْدُ مَنَافٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَا تَصْنَعُ، وَلَمْ يَقْوَوْا عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ، فَإِنَّمَا أَقْصَرُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَأْخُذُوا الْعَقْلَ فَتَدُونَهُ لَهُمْ. قَالَ النَّجْدِيُّ: لِلَّهِ دَرُّ الْفَتَى هَذَا الرَّأْيُ وَالَّا فَلَا شَيْءَ. فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعُوا لَهُ، وَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ الْخَبَرُ، وَأُمِرَ أَنْ لَا يَنَامَ عَلَى فِرَاشِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَبِتْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ يَبِيتُ، وَبَيَّتَ عَلِيًّا فِي مَضْجَعِهِ»[١].

وذهب النبي ﷺ إلى بيت الصدّيق وقت الظهيرة؛ ليخبره بأنّ الله –ﷻ قد أمره بالهجرة، وأذن له بالخروج، ولم يكن من عادته ﷺ أن يأتي أبا بكر في مثل هذا

[١] دلائل النبوة جـ٢،صـ٤٦٩.

الوقت،كما «قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا مُتَقَنِّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدًا لَكَ أَبِي وَأُمِّي، وَاللهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ حِينَ دَخَلَ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ» قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» قَالَ: فَالصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِالثَّمَنِ» قَالَتْ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ، وَضَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَأَوْكَأَتْ بِهِ الجِرَابَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقِ. ثُمَّ لَحِقَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ ثَوْرٌ، فَمَكُثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ لَقِنٌ ثَقِفٌ، فَيَرْحَلُ مِنْ عِنْدِهِمَا سَحَرًا، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِهِمَا حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ»[١].

وأسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان لها دور كبير في حادثة الهجرة، وإعداد النبي ﷺ لأمر الهجرة النبوية، وكذلك إعداد صاحبه أبي بكر رضي الله عنه فيه أخذ بالأسباب مع توفيق الله ﷻ فإن النبي ﷺ أخذ بما في وسعه من الأسباب ووضع خطة مُحكمة عليه السلام لتوقي أذى الأعداء، فمنها: اختباؤه عليه السلام ثم تكليف أفراد أسرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ببعض المهام.

[١] صحيح البخاري٥٨٠٧.

فأسماء بنت أبي بكر ﭬ كان دورها في أحداث الهجرة: جلْب الطعام إلى النبي ﷺ وصاحبه في الغار، وشقّت نطاقها، والنطاق: ثوب تلفُّه عليها، فشقت النطاق وجعلته نصفين ولفّت الطعام بنصف،وانتطقت بالآخر؛ ولذلك عرفت بذات النطاقين ﭬ.

وكلّف أبو بكر ﭬ ابنه عبد الله: أن يتسمع لهم خبر القوم بالنهار، وأن يأتيهم به بالليل.

وكُلّف عامر بن فهيرة -وكان مولى لأبي بكر الصديق ﭬ، وهو من السابقين الأولين - أن يأخذ غنمًا يسرح بها فيُعفّي بها على آثار أسماء وعبد الله ، فأسماء تأتي بالطعام، وعبد الله يأتي بالخبر، ويسير عامر بالغنم فيُعفّي آثار أقدام أسماء وعبد الله.

ثم كان الاتفاق أن عامر بن فهيرة بعد ذلك يصحبهما في رحلة الهجرة، ولكنه لم يكن معهما في الغار؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾[التوبة: ٤٠].

فكان النبي ﷺ وأبو بكر في الغار، والله ﷻ معهم، والمعية هنا: هي المعية الخاصة، و هي معية النصر والتأييد والحفظ والرعاية، فالله ﷻ معهم بنصره وتأييده ورعايته وحفظه ﷻ.

وانتظروا الأيام الثلاثة ثم خرج النبي ﷺ وصاحبه من الغار، وشرعا في طريق الهجرة وانضم إليهم عامر بن فهيرة ﭬ، فكان رفيق النبي ﷺ وصاحبه في الهجرة يخدمهما وكان معهم أيضًا في الهجرة دليل يدلهم على الطريق وهو عبد الله بن أريقط.

وعبد الله بن أريقط كان هاديًا خريتًا، يعني كان دليلًا ماهرًا خبيرًا بالدروب في الصحراء؛ ليسير بالنبي ﷺ وصاحبه في طريق غير الطريق المعتاد الذي يُسافَر منه من مكة إلى المدينة، فسلك النبي ﷺ مع عبد الله بن أريقط الدليل يدلهم ويهديهم الطريق،

فسار بهم في طريق غير معروف.

وكان عبد الله بن أريقط مشركًا، وصحبهم بالأجرة، ولكنه كان أمينًا والنبي ﷺ استأجره؛ ليرشدهم على الطريق ويعطونه أجرة على هذه الدلالة.

فهنا يقول:

٣- ....، ثُـمَّ ارْتَحَـلاَ

٤- وَمَعْهُمَا عَامِـرُ مَوْلَى الصِّدِّيْقْ وَابْـنُ أُرَيْقِـطٍ دَلِيْـلٌ لِلطَّرِيْقْ

هل أسلم عبد الله بن أريقط بعد ذلك أم لا؟

بعض العلماء يقول: إنه أسلم بعد ذلك، وبعضهم يقول: لم يثبت خبر إسلامه الله ﷻ أعلم، لكن وقت الهجرة كان مشركًا.

قال: (فَأَخَذُوْا نَحوَ طَرِيْقِ السَّاحِلِ) يعني سلك النبي ﷺ طريق الساحل، طريقًا قريبًا من الساحل متوجهًا من مكة إلى المدينة.

قال: (وَالْحَقُّ لِلْعَدُوِّ خَيْرُ شَاغِلِ) الحق: هو الله ﷻ قد شغل الأعداء عن النبي ﷺ فلم يستطيعوا الوصول إليه.

قال: (تِبعَهُمْ سُرَاقَةُ بِنُ مَالِكِ) هنا قصة سراقة بن مالك المدلجي الذي أسلم بعد ذلك ﵁ وصحِب النبي ﷺ.

قصة سراقة: أنه خرج يطلب النبي ﷺ وصاحبه؛ طمعًا في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يأتي بالنبي ﷺ وصاحبه حيّين أو ميّتَيْن، أو يدل عليهما، وكانت جائزة ضخمة كبيرة، قدرها مئة ناقة، فخرج سعيًا في الحصول على هذه الجائزة.

فبلغه أن سوادًا مرّ بالساحل، سوادًا يعني: أشخاصًا، بعض أهل الطريق أو المارين في الطريق أخبروا أنهم رأوا ناسًا يسيرون في اتجاه الساحل فتوقع أن يكون السائرون هم النبي ﷺ وصاحبه.

فخرج (يُرِيْدُ فَتْكًا) بالنبي ﷺ أي: يريد قتْل النبي ﷺ، الفتْك: هو القتْل، فسراقة بن مالك تَبِع النبي ﷺ (يُرِيْدُ فَتْكًا) يعني يريد أن يقتل النبي ﷺ (وَهُوَ غَيْرُ فَاتِكٍ) يعني وهو غير قاتل له؛ لأن الله ﷻ حماه عليه الصلاة والسلام وحفظه وعصمه ﷺ منه.

قال: (لَمَّا دَعَا عَلَيْهِ سَاخَتِ الْفَرَسْ) الذي حصل أن سراقة بن مالك وصل إلى مكان النبي ﷺ دعا النبي ﷺ قال: «اللهم اكفناه كيف شئت وبما شئت» فساخت أقدام الفرس في الأرض فعجز عن الحركة، ساخت يدا الفرس إلى بطنها.

فـ (نَادَاهُ) أي: أن سراقة نادى النبي ﷺ ، (بِالأَمَانِ) أي: طلب منهم الوقوف، ووعدهم أن يكونوا آمنين من شره. يقول سراقة كما في صحيح البخاري: «جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي المَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ البَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الأَزْلاَمَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا: أَضُرُّهُمْ أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي

أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ.»[١]

فلما فُتِحت المدائن في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجيء بكنوز كسرى إلى عمر رضي الله عنه فجاء سراقة إلى عمر وأخبره بأن النبي ﷺ وعده أن يلبس سواري كسرى، وكان له سواران يلبسهما في يديه- يعني من الجواهر النفيسة - فأعطى عمر سواري كسرى لسراقة رضي الله عنه.

[١] صحيح البخاري٣٩٠٦.

باب ذِكْر مروره ﷺ بأم معبد

١- مَــرُّوْا عَلَى خَيْمَــةِ أُمِّ مَعْبَــدِ   وَهْيَ عَلَى طَرِيْقِهِــمْ بِمَرْصَــدِ
٢- وَعِنْدَهَــا شَــاةٌ أَضَرَّ الْجَهْــدُ   بِهَــا، وَمَــا بِهَــا قُــوًى يَشْــتَدُّ
٣- فَمَسَــحَ النَّبِيُّ مِنْهَــا الضَّرْعَا   فَحَلَبَــتْ مَا قَــدْ كَفَاهُمْ وُسْــعَا
٤- وَحَلَبَــتْ بَعْــدُ إِنَــاءً آخَــرَا   تَــرَكَ ذَاكَ عِنْدَهَــا وَسَــافَرَا

يقول: إن النبي ﷺ ومَنْ معه مروا في الطريق على خيمة أم معبد، واسمها: عاتكة بنت خالد الخزاعية، وقد أسلمت بعد ذلك رضي الله عنها.

فمروا على خيمة أم معبد وكانت هي وزوجها لهم خيمة في طريق المسافرين، وكانت تسقي المارة الماء واللبن.

فمر النبي ﷺ ومَنْ معه (عَلَى خَيْمَةِ أُمِّ مَعْبَدِ وَهْيَ عَلَى طَرِيْقِهِمْ بِمَرْصَدِ) والمرصد: يعني مكان الراصد، وهو المراقِب يعني الذي يراقب الطريق، (بِمَرْصَدِ): يعني بمقعد ترصد فيه الطريق يعني تراقب فيه الطريق، وترصد المارين على الطريق بغرض سقْيهم الماء واللبن.

فمر بها النبي ﷺ (وَعِنْدَهَا شَاةٌ أَضَرَّ الْجَهْدُ) يعني كان في ذلك الوقت كان عندهم جدب وقلة مرعى، فنظر النبي ﷺ فوجد عندها شاة، فقال: ما هذه؟ قالت: شاة أضر بها الجهد.

(**وَمَا بِهَا قُوًى**) يعني ليس بها قوى (**تَشْتَدُّ**) يعني تشتد بها حتى تلحق الغنم؛ لترعى معها، يعني هذه الشاة من ضعْفها أنها عاجزة عن اللحاق بالغنم، وأخبرته أن زوجها أخذ أغنامًا أخرى، وذهب يبحث لها عن مرعى، وهذه الشاة بقيت عندها وبها ضُر ولا تستطيع أن تخرج معها للرعي من شدة ضعفها.

فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، يعني هي أضعف من أن يكون بها لبن.

(**فَمَسَحَ النَّبِيُّ مِنْهَا الضَّرْعَا**) مسح النبي ﷺ ضرع الشاة، وورد أيضًا أنه مسح ظهر الشاة وضرعها، وسمى النبي ﷺ ودعا.

(**فَحَلَبَتْ مَا قَدْ كَفَاهُمْ وُسْعَا**) يعني: ما تحتمله طاقتهم من الرِّي، يعني أحضروا إناءً كبيرًا، وحلبوا الشاة وشرب النبي ﷺ ومَنْ معه، ثم حلب النبي ﷺ بعد ذلك إناءً آخر فملأ لها الإناء لبنًا من هذه الشاة التي كانت لا لبن فيها، وترك النبي ﷺ هذا الإناء مملوءًا عندها وسافر عليه السلام واصل بعد ذلك طريقه.

ثم قدِم زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، فلما رأى اللبن عجب، وقال: من أين، ولا حلوب في البيت؟! قالت: مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا، قال: صفي لي هذا الرجل الذي مر، فوصفت النبي ﷺ أوصافًا ستأتينا في باب بعد قليل فيه ذِكْر أوصاف النبي ﷺ من خلال حديث أم معبد لما وصفت النبي ﷺ لزوجها، فذكرت صفات النبي عليه السلام.

فلما وصفته قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي يبحثون عنه، وقد عزمت على صُحبته إن وجدت إلى ذلك سبيلًا، ثم واصل النبي عليه السلام طريق الهجرة.

وورد عن أسماء رضي الله عنها أنها قالت: **فَمَكَثْنَا ثَلَاثَ لَيَالٍ مَا نَدْرِي أَيْنَ وَجه رَسُولُ اللهِ** ﷺ ،

حَتَّى أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ يَتَغَنَّى بِأَبْيَاتٍ مِنْ شِعْرٍ غِنَاءَ الْعَرَبِ، وَان النَّاس ليتبعونه يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ وَمَا يَرَوْنَهُ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ:

جَـزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْـرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْـنِ حَـلَّا خَيْمَتَـيْ أُمِّ مَعْبَـدِ

هُمَـا نَـزَلَا بِالْبِـرِّ ثُـمَّ تَرَوَّحَـا ... فَأَفْلَـحَ مَـنْ أَمْسَـى رَفِيـقَ مُحَمَّدِ

لِيَهْـنِ بَنِـي كَعْـبٍ مَـكَانُ فَتَاتِهِـمْ ... وَمَقْعَدُهَـا لِلْمُؤْمِنِيـنَ بِمَرْصَـدِ

فيـا لقصـيٍّ مَـا زَوَى اللهُ عَنْكُـمُ ... بِـهِ مِنْ فِعَـالٍ لَا تجـازى وَسُـؤْدُدِ

سَـلُوا أُخْتَكُمْ عَـنْ شَـاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنَّكُـمْ إِنْ تَسْـأَلُوا الشَّـاةَ تَشْـهَدِ

دَعَاهَـا بِشَـاةٍ حَائِـلٍ فَتَحَلَّبَـتْ ... لَـهُ بِصَرِيـحٍ، ضَـرَّةُ الشَّـاةِ مُزْبِـدِ

فَغَـادَرَهُ رَهْنًـا لَدَيْهَـا لِحَالِـبٍ ... يَـدُرُّ لَهَـا فِـي مَصْـدَرٍ ثُـمَّ مَـوْرِدِ

قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ عَرَفْنَا حَيْثُ وَجَّهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلى الْمَدِينَةِ.

باب ذِكْر وصوله ﷺ إلى قباء

قباء: قرية صغيرة في ذلك الوقت، و هي الآن تُعتبَر حيًّا من أحياء المدينة، لكن في ذلك الوقت كانت قرية صغيرة تبعد ثلاثة أميال عن المدينة، الآن مع توسع المدينة صارت حيًّا أو ضاحيةً من ضواحي المدينة النبوية.

قال رحمه الله:

١- حَـتَّى إذَا أَتَى إلى قُبَـاءِ ... نَزَلَهَـا بِالسَّـعْدِ وَالْهَنَـاءِ

٢- فِي يَـوْمِ الاثْنَـيْنِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةْ ... مِنْ شَـهْرِ مَـوْلِدٍ، فَنِعْـمَ الْهِجْرَةْ

٣- أَقَـامَ أَرْبَعًـا لَدَيْهِـمْ، وَطَلَعْ ... فِي يَـوْمِ جُمْعَـةٍ، فَصَـلَّى وَجَمَـعْ:

٤- فِي مَسْـجِدِ الْجُمْعَةِ، وَهْيَ أَوَّلُ ... مَـا جَمَّـعَ النَّـبِيُّ فِيمَـا نَقَلُـوْا

٥- وَقِيلَ: «بَلْ أَقَـامَ أَرْبَعَ عَشْرَةْ ... فِيهِـمْ»، وَهُـمْ يَنْتَحِلُـونَ ذِكْرَهْ

٦- وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ الشَّـيْخَانِ ... لَكِـنَّ مَـا مَـرَّ مِـنَ الإِتْيَانِ

٧- لِمَسْـجِدِ الْجُمْعَةِ يَـوْمَ جُمْعَةِ: ... لاَ يَسْـتَقِيمُ مَـعَ هَـذِي الْمُـدَّةِ

٨- إِلّا عَلَى الْقَوْلِ: «بِكَوْنِ الْقَدْمَةِ ... إِلَى قُبَـا كَانَـتْ بِيَـوْمِ الْجُمْعَةِ»

هنا يقول: إن النبي ﷺ وصل إلى قُباء ونزلها عليه الصلاة والسلام بالسعد والهناء وسط ترحيب عظيم من الأنصار رضي الله عنهم، وكانوا يترقبون قدوم رسول الله ﷺ، ويخرجون على مشارف المدينة ينتظرون مجيء النبي عليه الصلاة والسلام.

و كان المهاجرون والأنصار، يخرجون ينتظرون قدوم النبي ﷺ كل يوم من أول النهار إلى أن يشتد الحر وقت الظهيرة، فيرجعون ويخرجون في اليوم التالي ينتظرون النبي ﷺ على مشارف المدينة.

فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إلى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ من الْيَهُود إلى أُطُمٍ مِنْ آطَامِهِمْ(حصن من حصونهم) لِأَمْرٍ يَنْظُرُ الَيْه، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ(عليهم الثياب البيض) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ. فلبسوا السلاح وخرجوا فتلقوا النبي ﷺ مرحبين به عليه السلام وقدموا به حتى وصل إلى قباء عليه السلام.

وجاء المسلمون يسلمون على النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر و عامر بن فهيرة، فكان الأنصار الذين أسلموا ممَّنْ لم ير النبي ﷺ قبل ذلك كانوا ربما سلموا على أبي بكر بالنبوة، يقولون: السلام عليك يا رسول الله، يحسبونه النبي عليه السلام فيشير إلى النبي ﷺ، وهذا من تواضعه عليه السلام وأنه ما كان عليه ثوب يُميّزه ولا جلس مجلسًا يترفع فيه عن مجلس صاحبه رضي الله عنه، فكان بعضهم ربما خلط بينه وبين الصديق رضي الله عنه.

فهنا الناظم رحمه الله يناقش تاريخ وصول النبي ﷺ إلى قباء، فيقول: أهل السّيَر يعني علماء السيرة يروون في كتب السّيَر أن النبي ﷺ وصل إلى قباء يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وأنه أقام أربعة أيام، في قباء وصلى الجمعة في قباء عليه السلام ثم خرج من قباء يوم الجمعة متوجهًا إلى المدينة على بُعد ثلاثة أميال فالأيام التي قضاها في قباء هي: الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وانصرف ظهر الجمعة.

فهذا الذي يرويه أهل السّيَر، يقول: لكن الرواية الأخرى التي رواها البخاري ومسلم في الصحيحين فيها: أن النبي ﷺ أقام أربع عشرة ليلة في قباء، وليس فقط أربعة أيام.

قال: (وَهُمْ يَنْتَحِلُونَ ذِكْرَهْ) يعني: يميلون إلى هذا القول.

يقول: لكن الرواية التي فيها أنه أقام أربعة عشرة يومًا هذه لا تستقيم إلا على القول بأن قدوم النبي ﷺ إلى قباء كان يوم جمعة.

فالأمر في ذلك يسير، وكما مرّ بنا فإن بعض التفاصيل في أحداث السيرة قد تختلف فيها الروايات لكن هذا لا يقدح في أصل الحادثة، هناك قدر مشترك بين الروايات وإن كان بعض الروايات مثلًا قد تكون مراسيل أو منقطعات، لكن تشترك في رواية أصل القصة وأصل الحادثة، وربما وقع اختلاف في بعض التفاصيل مثل يوم الدخول وعدد الأيام التي مكثها، لكن الروايات كلها تتفق على أن النبي ﷺ أول ما دخل المدينة دخل إلى قباء، وأنه أقام في قباء وأنه صلى فيها جمعة على الأقل أو أكثر من جمعة ﷺ لكن هنا الخلاف: هل يوم الدخول كان يوم الاثنين، أو أن يوم الدخول كان يوم جمعة، ومدة الإقامة هل هي أربعة أيام أو أربعة عشر يومًا؟

لكن طبعًا هنا في الموضوع الذي معنا إحدى الروايتين في الصحيحين، ولا شك أن ما كان في الصحيحين أرجح مما ليس في الصحيحين.

على كل حال؛ يذكر هنا بعد ذلك أن النبي ﷺ صلى الجمعة بقباء، وهو المسجد الذي أسسه النبي ﷺ في قباء، وهو المسجد المعروف إلى اليوم ،وهو المسجد الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: ١٠٨].

وقد ذكرنا أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة قبل هجرة النبي ﷺ، كانوا يصلون الجمعة في دار أسعد بن زرارة رضي الله عنه، فلما قدِم النبي ﷺ بنى مسجد قباء ثم توجه إلى المدينة وبنى مسجده، أي النبي ﷺ لما وصل إلى قباء وضع أسس هذا المسجد الذي

أُسّس على التقوى من أول يوم.

طبعًا بالنسبة للآية الكريمة ورد حديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال عن مسجده الشريف، المسجد النبوي: «هذا الذي أُسّس على التقوى من أول يوم».

وقالوا: هنا لا تعارض؛ فمسجد النبي ﷺ هو مسجد أُسّس على التقوى من أول يوم، وهذا لا يعارض كون الآيات الكريمة نزلت بشأن مسجد قباء إلا أن لفظها يشمل أيضًا مسجد رسول الله ﷺ، فهو أيضًا مسجد آخر أُسِّس على التقوى من أول يوم.

النبي ﷺ في المدة التي قضاها عليه السلام في قباء، نزل على كلثوم بن الهدم وقيل: على سعد بن خيثمة رضي الله عنه وجمعوا بينهما بأنه عليه السلام نزل في البيتين، يعني أنه نزل على كلثوم بن الهدم رضي الله عنه، وأنه كان يقضي بعض الوقت، ويستقبل الناس في بيت سعد بن خيثمة رضي الله عنه.

ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خبيب بن إساف، وقيل: على خارجة بن زيد رضي الله عنه.

فأسس النبي ﷺ مسجد قباء وهو المسجد الذي أُسّس على التقوى من أول يوم، ثم طلع من بين أظهرهم يوم الجمعة.

القصد: أن النبي ﷺ خطب في هذا المسجد، عند بني عمرو بن عوف رضي الله عنهم، الذين كانوا يسكنون في منطقة قباء وأقام عندهم النبي عليه السلام.

قال:

٩- بَـنَى بِهَا (مَسْـجِدَهُ) وَارْتَحَلَا لِطَيْبَـةَ الْفَيْحَـاءِ، طَابَـتْ نُزُلَا

١٠- فَبَرَكَـتْ نَاقَتُـهُ الْمَأْمُـوْرَةْ بِمَوْضِـعِ الْمَسْـجِدِ فِي الظَّهِـيْرَةْ

يقول: ارتحل النبي ﷺ بعد أن بعدما بنى النبي ﷺ مسجد قباء، و بناء المسجد في ذلك الوقت هو التأسيس اليسير، وإحاطة المكان بأسوار، وأعمدة خشب، والسقف

من سعف النخيل، وأشياء نحو هذا، فما كان البناء الذي يستغرق وقتًا طويلًا.

وارتحل النبي ﷺ بعد صلاة الجمعة (**لِطَيْبَةَ الْفَيْحَاءِ**) طيبة من أسماء المدينة النبوية المشرفة.

(**فَبَرَكَتْ نَاقَتُهُ الْمَأْمُوْرَةْ**) ناقة النبي ﷺ بركت في موضع معين؛ لأن النبي ﷺ لما دخل المدينة جعلوا يتنافسون على الأخذ بزمام ناقة النبي ﷺ، كل منهم يريد استضافة النبي عليه السلام في بيته، فجعلوا يتسابقون رضي الله عنهم لاستضافة النبي ﷺ فكان يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة، يعني: الله ﷻ أمرها بالتوجه إلى مكان معين، وهو مكان المسجد النبوي.

مر النبي ﷺ أول شيء على بني سالم، فأخذوا بزمام الناقة، وأرادوا أن يستضيفوه عندهم، فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

فمر بعد ذلك على بني ساعدة، فاعترضه سعد بن عبادة في رجال معه يريدون استضافة النبي ﷺ فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

وتجاوزهم إلى دار بني الحارث بن الخزرج فاعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة في رجال معهم، وطلبوا استضافة النبي ﷺ وأرادوا أن يأخذوا بناقته فقال: «دعوها فإنها مأمورة».

ثم مر بدار عدّي بن النجار من بني النجار -وهم أخوال النبي ﷺ- فقال: «دعوها فإنها مأمورة» حتى وصلت إلى دار بني مالك بن النجار، فلما وصلوا إلى دار بني مالك بن النجار بركت ناقة النبي ﷺ في موضع المسجد.

وكان ذلك الموضع في ذلك الوقت مملوكًا لغلامين يتيمين من بني النجار.

فلما بركت ناقة النبي ﷺ وهو عليها لم ينزل، وثَبَتْ الناقة فسارت غير بعيد ثم

التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول، يعني بركت الناقة والنبي ﷺ عليها، وقد أرخى لها زمامها وتركها تسير حيث وجهها الله ﷻ فالناقة بركت قليلًا ثم وثبت سارت قليلًا، ثم التفتت ورجعت إلى نفس المكان الأول وبركت فيه مرة أخرى.

ثم تحلحلت ووضعت جرانها، فاستقرت، فنزل عنها النبي ﷺ وذلك في وقت الظهيرة، فكان أقرب بيت من هذه الأرض التي بركت فيها الناقة هو بيت أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فأخذ أبو أيوب رحْل النبي ﷺ وأدخل ناقته داره؛ ونزل رسول الله ﷺ ضيفًا على أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وقال النبي ﷺ: «المرء مع رحله» يعني: أول شيء فعله أبو أيوب أنه أخذ رحْل النبي ﷺ فوضعه في داره، فلما جاء ناس يطلبون استضافة النبي ﷺ قال: «المرء مع رحله».

مكث النبي ﷺ في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه نحو ستة أشهر، تشرف فيها أبو أيوب بصحبة رسول الله ﷺ، وضيافة النبي عليه الصلاة والسلام وخلال هذه الفترة كان النبي ﷺ يبني مسجده، والحجرات -بيوت أزواج النبي ﷺ التي بناها عليه الصلاة والسلام- خلال هذه الأشهر الستة.

وكانت دار أبي أيوب رضي الله عنه من طابقين، ويفصل بينهما سقف من الخشب، هو أرض الطابق العلوي وسقف الطابق السفلي، فأراد أبو أيوب أن يكون النبي ﷺ في الطابق الأعلى؛ حتى لا يعلو أبو أيوب سقفًا تحته رسول الله ﷺ.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «السفل أرفق بنا»؛ لأنه يأتيه الضيوف، ويدخلون ويخرجون.

فوافق أبو أيوب على مضض أن يصعد إلى الطابق الأعلى، وكان متأذيًا من هذا، ويخشى أن يطأ على السقف بقوة فيزعج النبي ﷺ.

قال أبو أيوب: فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ.

فَلَقَدِ انْكَسَرَ حُبٌّ(إناء) لَنَا فِيهِ مَاءٌ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٌ غَيْرَهَا، نَنْشُفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ شيء فَيُؤْذِيَهُ.

فصعد النبي ﷺ بعد ذلك إلى الطابق الأعلى، ونزل أبو أيوب رضي الله عنه إلى الطابق الأسفل رضي الله عنه.

وكان أصحاب النبي ﷺ يأتونه ويزورونه في هذا البيت ويجلسون معه ﷺ فيعلمهم مما علمه الله سبحانه وتعالى.

وكان الأنصار رضي الله عنهم من جيران رسول الله ﷺ وغيرهم يرسلون الطعام إلى النبي ﷺ، ويتعاهدون هذه الدار بإرسال الطعام إليها لإكرام النبي ﷺ وإكرام ضيوفه رضي الله عنهم.

والأرض التي بركت فيها الناقة- كما ذكرنا- كانت مملوكة لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار فساومهما النبي ﷺ على هذه الأرض، والغلامان هما: سهل بن عمرو، وسهيل بن عمرو من بني مالك بن النجار، وكانا غلامين يتيمين في حجر معاذ بن عفراء، يعني يربيهما ويكفلهما معاذ بن عفراء رضي الله عنه.

فالنبي ﷺ ساومهما في شراء هذه الأرض؛ ليتخذها مسجدًا عليه السلام فقالا: هبة لك يا رسول الله ﷺ، فأبى النبي ﷺ وابتاعها بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر رضي الله عنه أن يعطيهما إياها.

و كانت مساحة الأرض مائة ذراع في مائة ذراع، فهذه مساحة المسجد الذي بناه النبي ﷺ، مائة ذراع في مائة ذراع.

وكانت هذه الأرض تشتمل على قبور من قبور أهل الجاهلية وفيها بعض النخيل- فأمر النبي ﷺ بالنخيل الذي فيها فقُطِع، وكان فيها أشجار غرقد، فأمر بالنخل وأشجار

الغرقد التي فيها فقُطعت، وأمر بقبور المشركين فنُبِشت، وأُخرِج ما فيها من العظام ودُفِنت في مكان آخر، وكانت الأرض غير مستوية، وغير مهيأة فسُوّيت الأرض، ثم شرع النبي ﷺ يبني المسجد ومعه أصحابه رضي الله عنهم.

مساحة المسجد مائة ذراع في مائة ذراع، وبقية الأرض حول المسجد بُنيت فيها بيوت رسول الله ﷺ.

فجعل النبي ﷺ أساس البناء ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة، ثم رفع البناء باللبن، اللبن: هو الطوب الذي يُعجَن من الطين ويُوضَع في الشمس حتى يجف.

والنخيل الذي قُطِع استُعمِل أعمدة للمسجد، الأعمدة من النخيل، والسقف من سعف النخيل، يعني سُقِف المسجد بسعف النخيل.

وكان النبي ﷺ يحمل الحجارة مع أصحابه رضي الله عنهم وهم يحملون الحجارة لبناء المسجد، ويقول ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة»، وكانوا يُنشدون وهم يبنون المسجد، يقولون:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منّا العمل المُضلّل

فلما وجدوا النبي ﷺ يعمل بيده الشريفة ﷺ تشجعوا للمشاركة في بناء المسجد ونقْل الأحجار .

ثم إنه ﷺ بعد بناء المسجد بدأ يبني بيوتًا حوله لنسائه ومواليه عليه السلام، فبنى الحجرات حول المسجد.

والحجرة في لغة العرب عكس ما هو متعارف عليه اليوم، اليوم يستعملون البيت وداخله حجرات، لكن الاستعمال العربي الصحيح أن الحجرة تشتمل على بيوت،

يعني كل غرفة يقال لها بيت، فإذا قيل مثلًا: حجرة عائشة ﵂، فكأنها (شقة) ذات غرف يعني، كل غرفة يقال لها بيت، فالحجرة أكبر من البيوت، ومنه الحديث: «صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في حجرتها خير من صلاتها في مسجد قومها، وصلاتها في مسجد قومها خير من صلاتها في مسجدي هذا» فالبيت هو داخل الحجرة.

فبُنيت الحجرات لرسول الله ﷺ وآل بيته حول المسجد.

هنا يقول الناظم رحمه الله:

١١- فَحَلَّ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَا ... حَتَّى ابْتَنَى مَسْجِدَهُ الرَّحِيْبَا

(الرَّحِيْبَا): يعني الواسع

١٢- وَحَوْلَهُ مَنَازِلًا لأَهْلِهِ ... وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ فِي ظِلِّهِ

(وَحَوْلَهُ أَصْحَابُهُ فِي ظِلِّهِ) ﵊، يعني: حول بيوت النبي ﷺ بدأ بعض أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين يبتنون بيوتًا بالقرب من مكان رسول الله ﵊.

بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، فقدِما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجة النبي ﵊ التي تزوجها بعد وفاة أم المؤمنين خديجة ﵂، وأمرهما أيضًا بإحضار أسامة بن زيد، وإحضار أمه، وهي أم أيمن (بركة الحبشية) ﵂ وهي زوجة زيد بن حارثة، ووالدة أسامة بن زيد، وهي حاضنة رسول الله ﷺ.

وبقيت زينب بنت النبي ﵊ مع زوجها أبي العاص بن الربيع وفي هذا الوقت لم يكن تحريم زواج المشركين بالمسلمات قد نزل، وكانت زينب بنت النبي ﷺ مسلمة وزوجها كان مشركًا، وفيما بعد سيأتينا أن زينب قدمت مهاجرة إلى النبي ﷺ وزوجها

كان مشركًا، ثم إن النبي ﷺ ردّها إلى زوجها بالنكاح الأول لما أسلم زوجها بعد ذلك فردّها النبي ﷺ إليه بالنكاح الأول، يعني لم يجدد عقد النكاح؛ لأنها لم تتزوج بعده.

وقدم عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه أيضًا مهاجرًا ومعه عيال أبي بكر، وفيهم عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، فقدموا المدينة.

وأخذ الصحابة رضي الله عنهم يبنون مساكنهم حول بيت رسول الله ﷺ سواء كانوا من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة ولم يكن لهم بيوت، أم من الأنصار رضي الله عنهم، فالأنصار كانوا يتقاسمون المدينة حسب القبائل والأُسر، يعني: هذه مساكن بني فلان، وهذه مساكن بني فلان، كل حي فيه قبيلة من قبائل الأنصار، فكثير من الأنصار بدؤوا يتركون مساكنهم، ويبنون مساكن بالقرب من بيت رسول الله ﷺ في منطقة بني مالك بن النجار التي نزل فيها النبي ﷺ، وجعلوا يرحلون، يعني الأنصار يتركون مساكنهم ويبنون بجوار رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال:

١٣- طَابَتْ بِهِ طَيْبَةُ مِنْ بَعْدِ الرَّدَى	أَشْرَقَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَا
١٤- كَانَتْ لَمِنْ أَوْبَا أَرْضِ اللهِ	فَزَالَ دَاؤُهَا بِهَذَا الْجَاهِ
١٥- وَنَقَلَ اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَةِ:	مَا كَانَ مِنْ حُمَّى بِهَا لِلْجُحْفَةِ
١٦- وَلَيْسَ دَجَّالٌ وَلاَ طَاعُونُ	يَدْخُلُهَا، فَحِرْزُهَا حَصِيْنُ

يقول: لما هاجر النبي ﷺ إلى طيبة- وهي المدينة النبوية- (طَابَتْ بِهِ) ﷺ و(أَشْرَقَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهَا أَسْوَدَا) يعني ذهب عنها (الرَّدَى) الردى: هو الهلاك، ويأتي بمعنى: الكفر، يعني وما كان فيها من كفر وضلال قبل مجيء الرسول ﷺ، فذهب الردى،

وذهب ما كان سيئًا فيها، وحلَّ فيها الخير وحلّت فيها البركة.

(كَانَتْ لَمِنْ أَوْبأِ أَرْضِ اللهِ) يعني كانت المدينة بها وباء ومرض، فكان بها الحمى، والمهاجرون ﷺ لما قدموا إلى المدينة كثير منهم أصابتهم الحمى، وصعب عليهم طقس المدينة وطبيعتها.

(فَزَالَ دَاؤُهَا) يعني بفضل الله ﷻ والله ﷻ جعل النبي ﷺ مباركًا وتحصل البركة فيما مسّه النبي ﷺ، وفي آثاره ﷺ البركة يعني الشرعية في آثار المصطفى ﷺ فهنا بركة دعاء النبي ﷺ أنه دعا ﷺ بأن يزول الوباء عن المدينة، واستجاب الله ﷻ دعاءه، وذهب عنها الوباء وانتقل بفضل الله ﷻ (مَا كَانَ مِنْ حُمَّى) في المدينة انتقل إلى (لِلْجُحْفَةِ) وهي قرية بين المدينة ومكة، وهذه القرية سُميت بذلك؛ لأن السيل أجحفها، كان نزل فيها سيل فجرف القرية ودمّرها، فدعا النبي ﷺ أن ينقل الله حمى المدينة إلى الجحفة، قال النبي ﷺ: «اللهم انقل حمّاها إلى الجحفة»؛ فانتقلت الحمى إلى الجحفة وسلمت المدينة من هذا الوباء.

ثم ذكر أن المدينة لا يدخلها الدجال ولا يدخلها الطاعون ففيها حرز حصين من الدجال؛ الدجال لا يستطيع دخول مكة ولا المدينة في آخر الزمان، وتقف الملائكة حرسًا على أنقاب مكة والمدينة يمنعون الدجال من دخولهما، وكذلك المدينة لا يدخلها الطاعون كما ذكر المؤلف، وورد هذا في بعض الأحاديث.

قال:

١٧- أَقَامَ شَهْرًا، ثُمَّ بَعْدُ نَزَلَتْ عَلَيْهِ إِتْمَامُ الصَّلَاةِ أُكْمِلَتْ

يقول: إن النبي ﷺ بعد أن أقام شهرًا في دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ نزل عليه إتمام

الصلاة وإكمال الصلاة؛ وذلك أن الصلاة أول ما فُرِضت فُرِضَت ركعتين ركعتين.

كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « **فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ** »[١]

فورد في بعض الروايات أن زيادة الصلاة كانت بعد شهر من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فكان يصلي كل صلاة من الصلوات الخمس ركعتين ركعتين، ثم زيدت الصلاة فجُعلت الظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والعشاء أربعًا، وجُعلت المغرب ثلاثًا، وبقي الفجر ركعتين.

والرواية الثانية: أن الصلوات أول ما فُرِضت فُرضت ركعتين فقالوا: إن الصلاة لما فرضها الله خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم خففها إلى خمس، فلما كانت خمسين كانت كل صلاة ركعتين.

ثم لما خُففت إلى خمس، خُففت إلى خمس منها صلوات رباعية وصلوات ثلاثية، فبعض العلماء يرى أن الصلاة من أول يوم صلاها فيها النبي ﷺ بعد المعراج كانت على هذا العدد من الركعات، ثم الظهر أربعًا والعصر أربعًا والمغرب ثلاثًا والعشاء أربعًا، ويكون تفسير: (وزيدت في الحضر) أنها فُرِضت ركعتين يعني في السماء، وزيدت بعد ذلك، وأُقِرَت الصلاة ركعتين في السفر.

لكن الذي أخذ به المؤلف هنا: أن الصلاة زيدت بعد شهر من هجرة النبي ﷺ، وأنه خلال الفترة التي قبل ذلك من فرضها يوم الإسراء إلى ذلك الوقت كان يصلي كل صلاة من الخمس ركعتين.

---

[١] البخاري ٣٩٣٥ ومسلم ٦٨٥.

١٨- أَقَامَ مِنْ شَهْرِ رَبِيْعٍ لِصَفَرْ يُبْنَى لَهُ مَسْجِدُهُ وَالْمُسْتَقَرْ

يقول: بقي من شهر ربيع لشهر صفر في ذلك الوقت، كان يُبنَى مسجد النبي ﷺ، (وَالْمُسْتَقَرْ) يعني وحجرات النبي ﷺ وأزواجه خلال هذه المدة.

من شهر ربيع الأول إلى شهر صفر: يعني تقريبًا أحد عشر شهرًا، كانت تُبنَى حجرات أزواج النبي ﷺ خلال هذه الفترة يعني شيئًا فشيئًا، لكن كما ذكرنا خلال ستة أشهر كان النبي ﷺ في بيت أبي أيوب، وبدأ أولًا ببناء المسجد وبدأ الصلاة في المسجد، ثم بدأت بيوت النبي ﷺ تُبنى. ومدة بناء المسجد مع البيوت التي حوله استغرقت نحو سنة أو أحد عشر شهرًا.

قال:

١٩- وَوَادَعَ الْيَهُودَ فِي كِتَابِهِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَصْحَابِهِ

الآن يبدأ بالكلام عن أحداث السنوات الهجرية، فالسنة الأولى من الهجرة: كان أبرز أحداثها بناء المسجد النبوي الشريف.

ثم ذكر من أحداث هذه السنة: أن النبي ﷺ (وَادَعَ الْيَهُودَ) يعني صالحهم النبي ﷺ وجعل بينه وبينهم عهدًا، بين اليهود (وَبَيْنَ مَا أَصْحَابِهِ) يعني: وبين أصحابه، يعني (ما) هنا زائدة للتوكيد.

والكتاب الذي كتبه النبي ﷺ فيه معاهدة بينه ﷺ وبين اليهود، يعني نَصُّ الكتاب قال: « هذا كتاب من محمد رسول الله بين المؤمنين من قريش ويثرب ومَنْ تبعهم فلَحِق بهم وجاهد معهم أنهم أُمة واحدة من دون الناس»

المؤمنون من قريش: هم المهاجرون، والمؤمنون من يثرب: هم أهل المدينة

الأنصار، ومَنْ تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: من أي قبيلة كانوا، من أي بلد كان، أنهم أُمة واحدة من دون الناس- هؤلاء أُمة واحدة من دون الناس وهي أُمة الإسلام، إنما المؤمنون إخوة.

قال: «وأن مَنْ تبعنا من اليهود كان له النصرة والأسوة غير مظلومين» كان له النصرة والأسوة: يعني والمواساة، الأسوة هنا بمعنى المواساة، له النصرة: يعني مَنْ تبعنا من اليهود ننصره ونواسيه، غير مظلومين: ننصرهم على مَنْ ظلمهم، فلو اعتدى أحد على اليهود الذين في رعاية الدولة الإسلامية فإننا ننصرهم على عدوهم وندفع عنهم الظلم.

«وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة أن ينصر مُحدِثًا ولا يؤويه» المُحدِث هنا بمعنى: الظالم، مَنْ أحدث حدثًا بمعنى: ظلم، فلا يحل لمؤمن أن ينصر مُحدِثًا ولا أن يؤويه: يعني أن ينصر ظالمًا أو يؤوي ظالمًا، بل على المؤمنين أن يخلوا بين الظالم وبين الاقتصاص منه وأخْذ الحق منه وردّه إلى أصحابه.

«وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرّده إلى الله ورسوله» عليه السلام.

فكانت هذه صيغة المعاهدة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين اليهود.

قال:

٢٠- وَكَانَ بَـدْءُ الأَمْـرِ بِـالإِذَانِ رُؤْيَـا ابْـنِ زَيْـدٍ، أَوْ لِعَـامٍ ثَانِ

من أحداث السنة الأولى أيضًا: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، آخَى النبي ﷺ بينهم وقالوا: هذه كانت مؤاخاة أولى، ثم آخى بينهم ثانية بعد غزوة بدر، فكانت هناك مؤاخاة في العام الأول، ثم مؤاخاة أخرى ستأتي بعد غزوة بدر إن شاء الله.

ومن أحداث السنة الأولى أيضًا: بدء الأذان، قال: (وَكَانَ بَدْءُ الأَمْرِ بِالإِذَانِ).

(رُؤْيَا ابْنِ زَيْدٍ، أَوْ لِعَامٍ ثَانِ) وقيل: إن الأذان فُرِض في العام الثاني، يعني قيل: إن الأذان في العام الأول- وهو الأشهر-، وروي أن الأذان فُرِض في العام الثاني.

وبداية تشريع الأذان كانت برؤيا لعبد الله بن زيد ﷺ؛ وذلك أنهم كانوا يصلون، قبل أن يُشرَع الأذان، فكان الناس يجتمعون في مواقيت الصلاة بغير دعوة، يعني يراقبون مواقيت الصلاة.

مواقيت الصلاة علّمها جبريل للنبي ﷺ في أول يوم فُرِضت فيه الصلوات الخمس، يوم المعراج، فأول صلاة من الصلوات الخمس صلاها النبي ﷺ كانت صلاة الظهر لأنه عُرِج به وقت صلاة الفجر.

فأول صلاة حضر وقتها كانت صلاة الظهر بعد أن فُرِضت الصلوات الخمس.

فبعث الله ﷻ جبريل عليه السلام فصلى إمامًا بالرسول ﷺ يومين متتاليين، خمس صلوات ثم خمس صلوات، صلى به خمس صلوات في اليوم الأول، جبريل يؤم النبي ﷺ ليعلمه بأمر من الله ﷻ مواقيت الصلاة، وليعلمه أيضًا صفة الصلاة وهيئات الصلاة، فجعل جبريل يصلي، والنبي ﷺ يأتم به.

فصلى بالنبي ﷺ الصلوات في اليوم الأول في أول وقتها، كل صلاة في أول وقتها، يعني صلى به الظهر حين زالت الشمس، وصلى به العصر في اليوم الأول حين صار ظل كل شيء مثله، وصلى به المغرب حين غربت الشمس، والعشاء حين غاب الشفق، والفجر حين بزغ الفجر. هذا في اليوم الأول.

وفي اليوم الثاني: صلى به كل صلاة من هذه الصلوات الخمس في آخر وقتها، فصلى به الظهر حين صار ظل كل شيء مثله، وهو الوقت الذي صلى فيه العصر بالأمس، وصلى به العصر حين صار ظل كل شيء مثليه، وصلى به المغرب حين وجبت

الشمس وقتًا واحدًا لم يحد عنه، وصلى به العشاء حين مضى ثلث الليل، وصلى به الفجر حين أسفر جدًا أي: أضاء واقترب شروق الشمس.

ثم قال جبريل للنبي ﷺ: ما بين هذين الوقتين وقت، فعلمه مواقيت الصلاة.

نرجع إلى موضوع الأذان: فكان الناس يجتمعون لمواقيت الصلاة كما علمهم النبي ﷺ؛ إذا زالت الشمس أي: بعد ما تكون الشمس في منتصف السماء ثم تزول، يعني أول بداية تحرّك للشمس عن منتصف السماء فهذا وقت الظهر، فيجتمعون في هذا الوقت ويراقبون المواقيت، ويجتمعون.

ثم إنهم اهتموا لهذا الأمر، ووجدوا مشقة في الاجتماع لمواقيت الصلاة من غير علامة تُعلِمهم بدخول وقتها، فأخذوا يشيرون على النبي ﷺ أن يتخذ ناقوسًا كناقوس النصارى، أو يتخذ بوقًا كبوق اليهود يُعلِمهم بوقت الصلاة، فلم يعجبه ﷺ ذلك، وكان النبي ﷺ لا يريد أن يكون شعار المسلمين كشعار اليهود والنصارى في مواقيت الصلاة.

ففي تلك الليلة رأى عبد الله بن زيد رضي الله عنه أنه مرّ به رجل في المنام، عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا، فقال له عبد الله: أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: ندعو به للصلاة، قال: أفلا أدلك على خير منه؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان.

ثم استأخر غير بعيد ثم قال: تقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله إلى آخر ألفاظ الإقامة.

فأخبر بها رسولَ الله ﷺ فقال ﷺ: «إنها رؤيا حق إن شاء الله، قم مع بلال فألقها عليه؛ فإنه أندى منك صوتًا» يعني صوته أعلى وأحسن منك، نداوة الصوت: ارتفاعه مع حُسنه، فقال: «قم فألقها على بلال» يعني قم علِّم بلالًا هذا الذي رأيته في الرؤيا

«فإنه أندى منك صوتًا، ففعل».

«فلما سمعها عمر ﵁ وهو في بيته»، فخرج عمر وهو يجر إزاره يقول: والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل ما رأى، فقال النبي ﷺ: «لله الحمد».

وفي هذه السنة أيضًا كان إسلام عبد الله بن سلام ﵁ الذي كان كبير أحبار اليهود، وكبير علمائهم ﵁، وقصة إسلامه معروفة: أنه جاء إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ في قباء، يعني قبل أن يدخل المدينة ﵊.

وكان عبد الله بن سلام ينتظر مبعث النبي الخاتم، وكان كبير علماء اليهود وسيدهم، وهو من أسرة علم فيهم؛ فأبوه كان أيضًا حَبْر اليهود، وكبير أحبارهم في المدينة، فكان ينتظر مبعث النبي ﵊ فلما سمع بقدوم النبي ﷺ إلى قباء ذهب إليه يلقاه ويتبين فيه العلامات الموجودة في كتبهم، فوجدها في رسول الله ﷺ فآمن بالنبي ﷺ واتبعه، وكان اسمه الحصين بن سلام النبي ﷺ سماه: عبد الله بن سلام.

فالقصد: أن عبد الله بن سلام لما أسلم ﵁ قال للنبي ﷺ: إن اليهود قوم بُهْت؛ يعني أهل بهتان، البهت: هو الافتراء، يعني يفترون الفرية التي تبهت المفترَى عليه يعني تُدهشه من فظاعتها وعدم توقعه إياها، قال: إن اليهود قوم بُهْت فإن علموا بإسلامي بهتوني بما ليس فِيّ، فأشار عبد الله بن سلام على النبي ﷺ أن يُحضِر اليهود، ويسألهم عنه قبل أن يُخبرهم أنه أسلم، فحضر اليهود عند النبي ﷺ، فسألهم: «كيف عبد الله بن سلام فيكم؟» فقالوا: هو سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وابن حبرنا، وخيرنا وابن خيرنا، وأخذوا يثنون عليه ويمدحونه، فقال لهم النبي ﷺ- وكان عبد الله بن سلام في الدار مختبئًا عنهم-: «فما تصنعون إذا أسلم؟» فقالوا: أعاذه الله من ذلك. يعني لا يمكن أن يُسلِم هذا عالمنا وسيدنا.

فخرج عبد الله بن سلام أمامهم وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وأخذوا يسبونه، ويسبون أباه، ويذكرونه بكل سوء، وغيّروا كلامهم لما أسلم رضي الله عنه.

قال: (أَوْ لِعَامٍ ثَانِ) يعني الأذان شُرِع في العام الأول، وقيل: في العام الثاني.

قال:

٢١- فَفِيْـــهِ (فَرْضُ) الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ ... لِلْفِطْـــرِ، وَالْعِيْدَيْـــنِ بِالصَّــلاَةِ

٢٢- بِخُطْبَتَيْنِ بَعْــدُ، وَالأُضْحِيَّةُ ... كَــذَا زَكَاةُ مَالِهِــمْ، وَالْقِبْلَــةُ:

٢٣- لِلْمَسْــجِدِ الْحَــرَامِ، وَالْبِنَاءُ ... بِعَائِــشٍ، كَذَلِــكَ الزَّهْــرَاءُ

هنا يشير إلى أبرز أحداث السنة الثانية من الهجرة، ففي العام الثاني من الهجرة فُرض الصوم، وفُرضت زكاة الفطر، وشُرعت صلاة العيدين، قال: (وَالزَّكَاةِ لِلْفِطْرِ، وَالْعِيْدَيْنِ) يعني وفي هذا العام شُرعت صلاة العيدين، وهنا عبر عن صلاة العيدين بقوله: (فُرِض) فنقول: مذاهب الفقهاء فيها كالتالي: منهم مَنْ قال: صلاة العيدين فرض عين على كل مَنْ تجب عليه صلاة الجمعة، وهذا قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

وقال الإمام أحمد: صلاة العيدين فرض كفاية، يعني كل بلد يجب أن تقام فيها صلاة العيد، لكن إذا شهدها بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين، لكن يأثم المسلمون جميعًا إذا لم تُقَم صلاة العيد في مدينتهم أو بلدهم.

وعند الإمامين مالك والشافعي: صلاة العيدين سُنة من السنن.

فالقصد: أنه كان تشريع صلاة العيد أو الأمر بصلاة العيدين (بِخُطْبَتَيْنِ بَعْدُ) أي:

والخطبتان بعد صلاة العيد، صلاة العيد تُصلى ركعتين ثم يخطب الإمام بعدها خطبتين كما يخطب للجمعة.

فهذا كان أيضًا في العام الثاني.

قال: (وَالأُضْحِيَّةُ) يعني أيضًا أُمِر بالأضحية في هذا العام الثاني.

(كَذَا زَكَاةِ مَالِهِمْ) كذلك زكاة المال فُرِضت في العام الثاني من الهجرة.

(وَالقِبْلَةُ: لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يعني وتغيرت القبلة إلى المسجد الحرام بعد أن كانوا يستقبلون بيت المقدس منذ أن فُرِضت الصلاة يوم الإسراء والمعراج إلى ذلك الوقت، وحتى قبل أن تُفرَض الصلاة كان النبي ﷺ ، والمسلمون إلى بيت المقدس، وعلى رأس بضعة عشر شهرًا من هجرة الرسول ﷺ يعني في العام الثاني تحوّلت القبلة إلى الكعبة المشرفة.

وكما مر بنا كان النبي ﷺ وهو في مكة يستقبل بيت المقدس لكن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، لكن لما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة أصبح لا يستطيع أن يستقبل الكعبة وبيت المقدس في نفس الوقت؛ لأن مكة في اتجاه الجنوب، وبيت المقدس في اتجاه الشمال فجعل يُقلّب وجهه عليه السلام يعني يتضرع إلى الله جل وعلا في الدعاء، أن يُحوّل الله جل وعلا القبلة إلى الكعبة فأنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[البقرة: ١٤٤]..

قال: (وَالْبِنَاءُ بِعَائِشٍ،كَذَلِكَ الزَّهْرَاءُ) يعني كذلك في العام الثاني بنى النبي ﷺ بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ قد عقد عليها وهي بنت ست سنين، وكان بناؤه بها عليه السلام بعد أن بلغت تسع سنين، وصارت مهيأة لدخول النبي ﷺ عليها، وكان هذا في

العام الثاني من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام.

وكذلك بناء علي رضي الله عنه بفاطمة رضي الله عنها وأرضاها، كان في العام الثاني من الهجرة، وهي أصغر بنات النبي صلى الله عليه وسلم.

قال:

٢٤- وَبَدْرٌ الْكُبْرَى. وَفِي (الثَّالِثَةِ) دُخُـولُهُ بِحَفْصَـةَ الْقَانِتَـةِ

٢٥- وَالزَّيْنَبَـيْنِ، وَبَنَى ابْنُ عَفَّانْ بِـأُمِّ كُلْثُـومٍ، وَفِيْـهِ الْجَمْعَـانْ:

٢٦- الْتَقَيَـا بِأُحُـدٍ ....

ذكر هنا آخر أحداث السنة الثانية: غزوة بدر الكبرى.

فالمؤلف يسرد أبرز أحداث الأعوام الهجرية العشرة التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، النبي صلى الله عليه وسلم مكث في المدينة عشر سنين فيذكر أبرز الأحداث التي حدثت خلال هذه الأعوام؛ لأن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة لكن بعد ذلك -إن شاء الله- سيذكر بابًا في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكر فيه بعضًا من تفاصيل أحداث كل غزوة من هذه الغزوات، لكن هنا فقط يذكر الغزوات الكبرى مؤرخًا لها وذاكرًا السنة التي وقعت فيها.

فقال: السنة الثالثة من الهجرة أبرز أحداثها: دخول النبي صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر (الْقَانِتَةِ) يعني من القنوت: الذي هو العبادة وطول القيام لله جل وعلا وذلك أنه لما حصل فيما بعد أن طلّق النبي صلى الله عليه وسلم حفصة فجاء جبريل عليه السلام بوحي من الله جل وعلا يقول: إن الله جل وعلا يأمرك أن تُراجع حفصة؛ فإنها صوّامة قوّامة، صوامة قوامة: كثيرة الصيام، كثيرة القيام لله جل وعلا كانت عابدة رضي الله عنها.

(وَالزَّيْنَبَيْنِ) يعني أيضًا في السنة الثالثة: كان دخول النبي ﷺ بزينب بنت خزيمة الحارثية رضي الله عنها وأرضاها أم المؤمنين، وزينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها.

أما زينب بنت خزيمة الحارثية رضي الله عنها فكانت تُكنَى بأم المساكين؛ لكثرة صداقاتها رضي الله عنها وإطعامها المساكين، وأما زينب بنت جحش رضي الله عنها وأرضاها، فهي التي جاء ذِكْرها في القرآن في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ﴾[الأحزاب: ٣٧]..

فكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها قبل أن يتزوجها النبي ﷺ زوجة لمولاه زيد بن حارثة، وكان النبي ﷺ كان قد تبنى زيد بن حارثة في الجاهلية قبل أن ينزل تحريم التبني، فلما نزل تحريم التبني، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ﴾[الأحزاب: ٥] أراد الله ﷻ أن يُبطِل عادات أهل الجاهلية في موضوع التبني، كان مَنْ تبنى شخصًا صار كابنه، ولا يحل له في الجاهلية أن يتزوج بزوجة ابنه من التبني كما لا يحل أن يتزوج بزوجة ابنه من النسب، فأراد الله ﷻ أن يُبطِل هذه العادات، وأمر نبيّه الكريم عليه السلام بالزواج بزينب بنت جحش رضي الله عنها.

من أحداث السنة الثالثة أيضًا أنه (بَنَى ابْنُ عَفَّانَ بِأُمِّ كُلْثُومٍ) رضي الله عنها، عثمان بن عفان تزوج أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وكان عثمان بن عفان كما مر بنا من قبل كان قد هاجر إلى الحبشة مع زوجته الأولى وهي رقية بنت محمد عليه الصلاة والسلام وكان عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ من أوائل المهاجرين إلى الحبشة، ثم إن رقية رضي الله عنها وأرضاها توفيت، وكانت أم كلثوم قد حضرت من مكة فزوّجه النبي ﷺ بابنته الثانية أم كلثوم بعد وفاة رقية رضي الله عنها وأرضاها.

قال: (وَفِيهِ الْجَمْعَانْ: الْتَقَيَا بِأُحُدٍ) من أحداث السنة الثالثة: التقاء الجمعين بأحد،

غزوة أُحد وقعت في هذه السنة الثالثة.

فهذه أبرز أحداث السنة الثالثة.

نأتي إلى أحداث السنة الرابعة قال:

٢٦- الْتَقَيَا بِأُحُدٍ. وَ (الرَّابِعَةْ) بِئْرُ مَعُونَةٍ بِتِلْكَ الْفَاجِعَةْ
٢٧- وَغَزْوُهُ بَنِي النَّضِيْرِ وَجَلَوْا ذَاتُ الرِّقَاعِ بَعْدَهَا كَمَا حَكَوْا
٢٨- وَقَائِلٌ: «فِيْهَا الصَّلاَةُ قُصِرَتْ وَالْخَمْرُ حُرِّمَ»، اوْ فِي الَّتِي خَلَتْ
٢٩- وَقِيْلَ: «فِيْهَا آيَةُ التَّيَمُّمِ» كَذَا صَلاَةُ الْخَوْفِ، مَعْ خُلْفٍ نُمِيْ
٣٠- وَقِيْلَ: «فِي الْخَمْسِ». ....

الآن يتكلم عن أحداث السنة الرابعة، فقال: أبرز أحداث السنة الرابعة: سرية (بِئْرُ مَعُونَةٍ) عرفنا أن المعارك التي وقعت في زمن النبي ﷺ إذا شارك فيها الرسول ﷺ سُميت غزوة، وإذا لم يشارك فيها النبي ﷺ سُميت سرية.

فسرية (بِئْرُ مَعُونَةٍ) سرية أرسلها النبي ﷺ بقيادة المنذر بن عمرو رضي الله عنه، أرسله النبي ﷺ ومعه سبعون من القراء، والقراء كما مر بنا هم حفظة القرآن العالمون به، فالقراء في زمن النبي ﷺ كانت تُطلَق بمعنى العلماء والفقهاء، فتقسيم العلماء إلى: قارئ، وفقيه، ومُحدِّث إلى آخره، ما كان موجودًا في زمن النبي ﷺ، وكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يعلموا معانيها، ويعملوا بما فيها؛ فكان القراء هم العلماء وهم الفقهاء في نفس الوقت، فهؤلاء القراء كانوا سبعين من القراء من حفظة القرآن الكريم، وكانوا من علماء الصحابة رضي الله عنهم.

وبعثهم النبي ﷺ في سرية فخرج عليهم عامر بن الطفيل بقومه فقتل القراء جميعًا إلا كعب بن زيد وعمرو بن أمية الضمري رضي الله عنهما هذان من القراء الذين شهدوا بئر معونة ونجوَا، وبقية القراء استشهدوا رضي الله عنهم.

وكانت فاجعة عظيمة كما ذكر المؤلف؛ فقد حزن النبي ﷺ حزنًا شديدًا على هؤلاء القراء رضي الله عنهم، وقنت النبي ﷺ شهرًا يدعو على هؤلاء الذين قتلوا القراء بنو عامر، قنت النبي ﷺ شهرًا يدعو عليهم في صلاته.

وفي هذا العام أيضًا كانت (غَزْوة بَنِي النَّضِيْرِ) في شهر ربيع الأول من هذه السنة.

وبنو النضير: هم قبيلة من قبائل اليهود الثلاثة التي كانت تقيم في المدينة، وهم: بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، ففي السنة الرابعة وقعت غزوة بني النضير، حاصرهم النبي ﷺ وخرّب بيوتهم، وحرق نخيلهم، فسألوه الجلاء فأذِن لهم النبي ﷺ في الجلاء من المدينة؛ وهذا لأنهم كانوا نقضوا عهودهم مع النبي ﷺ وأعانوا أعداء النبي ﷺ وأجلاهم النبي عليه السلام وجعل لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة- السلاح - فأذِن لهم أن يُحمّلوا إبلهم، ولهم ما استطاعت إبلهم أن تحمله أن يأخذوه معهم لكن يتركون السلاح، لا يأخذون معهم شيئًا من السلاح، وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة.

وفيهم نزلت آيات سورة الحشر.

كذلك من أحداث السنة الرابعة: غزوة (ذَاتُ الرِّقَاعِ) وسُميت (ذَاتَ الرِّقَاعِ)؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كانت تقطعت نعالهم، وجعلوا يلفون الخِرَق على أرجلهم، الرقاع: هي الخِرَق التي كانوا يلفونها على أرجلهم لقِلّة ما معهم من نعال.

قال: (وَقَائِلٌ: «فِيْهَا الصَّلاَةُ قُصِرَتْ) قال بعض الأئمة: إن الصلاة الرباعية قُصِرت إلى ركعتين في السفر وهذا كان في العام الرابع.

وفي العام الرابع أيضًا نزل تحريم الخمر، نزل تحريم شُرْب الخمر،(**وَالْخَمْرُ حُرِّمَ اوْ فَفِي الَّتِي خَلَتْ**) وقال بعضهم: إنها حُرّمت في السنة التي خلت وهي الثالثة.

قال: (وَقِيْلَ: «فِيْهَا آيَةُ التَّيَمُّم») من أحداث السنة الرابعة على قول لبعض العلماء: أن تشريع التيمم لفاقد الماء أو العاجز عن استعمال الماء، عِوضًا عن الوضوء والاغتسال كان في العام الرابع.

وقيل أيضًا: إنه شُرع فيه صلاة الخوف، قال: (كَذَا صَلاَةُ الْخَوْفِ، مَعْ خُلْفٍ نُمِيْ وَقِيْلَ: «فِي الْخَمْسِ»).

بالنسبة لصلاة الخوف فقيل: إن صلاة الخوف شُرعت في السنة الرابعة في غزوة ذات الرقاع، وقيل: إنما شُرعت في السنة الخامسة، وقيل: غير ذلك.

قال:

٣٠- ....(وَفِيْـهِ) نَزَلَـتْ	آيُ الْحِجَابِ، وَالْخُسُوفُ صُلِّيَتْ:
٣١- لِقَمَـرٍ، وَفِيْهِ غَـزْوُ الْخَنْدَقِ	مَـعَ قُرَيْظَـةٍ، مَـعَ الْمُصْطَلِـقِ:
٣٢- عَلَى الصَّحِيْـحِ، وَبِهَا جُوَيْرِيَةْ	بَنَى بِهَـا، وَالافْـكُ أَوْ فِي الآتِيَةْ

هنا يتكلم عن أبرز أحداث السنة الخامسة من الهجرة:

قال: (وَفِيْهِ) نَزَلَتْ آيُ الْحِجَابِ) نزلت آية الحجاب: فرض الحجاب كان في السنة الخامسة.

(وَالْخُسُوفُ صُلِّيَتْ: لِقَمَرٍ) يعني خُسِف القمر وشُرِعت صلاة الخسوف في هذه السنة أيضًا.

(وَفِيْهِ غَزْوُ الْخَنْدَقِ مَعَ قُرَيْظَةٍ، مَعَ الْمُصْطَلِقِ عَلَى الصَّحِيْحِ) يعني فيه وقعت غزوة الخندق وهي غزوة الأحزاب، وغزوة بني قريظة أي: فيه غزا النبي ﷺ يهود بني قريظة، وغزوة بني المصطلق، هذه كلها من أحداث السنة الخامسة، وتفاصيل هذه الغزوات إن شاء الله كما ذكرنا سيأتينا بإذن الله.

وبنى فيها النبي ﷺ بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنها.

وحادثة الإفك أيضًا وقعت في هذه السنة لما اتهم المنافقون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما هي بريئة منه، وردد مقالتهم بعض المؤمنين ممَّنْ زل في هذه الحادثة، ووقع في قذْف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها، وأنزل الله جل وعلا براءتها في كتابه الكريم.

قال: (أَوْ فِي الآتِيَةْ) يعني وقيل: إن حادثة الإفك كانت في العام السادس وليس الخامس.

قال:

٣٣- فِي (السِّتِّ) كَانَتْ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةْ ... وَبَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تِلْكَ الزَّاكِيَةْ

٣٤- وَفِيْهِ فَرْضُ الْحَجِّ، أَوْ مَا خَلَتِ ... أَوْ فِي الثَّمَانِ أَوْ فَفِي التَّاسِعَةِ:

٣٥- خُلْفٌ، وَقِيْلَ: «كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ ... وُجُوبُهُ» حَكَاهُ فِي النِّهَايَةِ

من أحداث السنة السادسة: (عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةْ) عمرة الحديبية أو صلح الحديبية الذي وقع بين النبي ﷺ والمشركين، وذلك: أن النبي ﷺ كان قد خرج للعمرة في هذه السنة السادسة، فصده المشركون عن دخول مكة وكادت الحرب أن تنشب بين النبي ﷺ والمشركين، إلا أن الأمر انتهى بصلح وهدنة عقدها النبي ﷺ بينه وبين المشركين، وكان من بنود هذا الصلح أن يُسمَح للنبي ﷺ ومَنْ معه بالقدوم للعمرة في العام الذي

بعده، وأصرّ المشركون على منْع النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة في هذا العام، مع أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا قد وصلوا إلى الحديبية وهي على حدود مكة، يعني آخر مكان في الحِلّ قبل مكة يعني من الجهة التي قدِم فيها النبي عليه السلام فمنعوا النبي ﷺ من دخول مكة.

وحصلت فيها بيعة الرضوان تحت الشجرة، البيعة التي قال الله فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨]، وذلك لما كادت الحرب أن تنشب وكاد أن يقع القتال بين مَنْ قدموا مع النبي ﷺ للعمرة، وبين مشركي قريش لما صدوا المسلمين عن البيت وأوشكت الحرب أن تقوم فبايع الصحابة النبي ﷺ تحت شجرة هناك على أن يقاتلوا مع النبي ﷺ إذا حصل قتال وأن يثبتوا، وبايعهم النبي ﷺ ومدح الله ﷻ أهل هذه البيعة: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

يقول: كذلك هذه السنة من أحداثها (فَرْضُ الْحَجِّ) أن الحج فُرِض في السنة السادسة، ثم هناك خلاف طويل بين العلماء في موضوع متى فُرِض الحج؟ وترتب عليه موضوع هل الحج واجب على الفور أو على التراخي؟ يعني مَنْ قدر على الحج هل يجب عليه أن يحج من سنته أو يجوز أن يؤجله إلى عام آخر؟

فالذين قالوا: إن الحج فُرِض في العام السادس يقولون: النبي ﷺ أخّر الحج إلى العام العاشر مع كونه كان قادرًا عليه، والآخرون أجابوا عن هذا: إما بأن الحج لم يكن فُرض أصلًا، وإما أن الحج فُرِض ولكن كان النبي ﷺ لا يستطيع الحج؛ لعذر، وهو وجود الأصنام حول الكعبة، وكون المشركين يطوفون عراة بالبيت، وكانوا قد غيّروا في المناسك والنبي ﷺ كان يريد أن يحج حجة يُعلم فيها المسلمين مناسكهم،

لا يختلط فيها المسلمون بالمشركين، ولا مناسك المسلمين بمناسك المشركين، وتكون الأصنام أُزيلت، إلى غير ذلك من الأعذار.

فهنا أورد الأقوال في فَرْض الحج: فقيل: في هذه السنة وهي السادسة.

(أَوْ مَا خَلَتِ) يعني في السنة الخامسة.

(أَوْ فِي الثَّمَانِ) وقيل: في السنة الثامنة.

(أَوْ فَفِي التَّاسِعَةِ)، فعندنا الخامسة، والسادسة، والثامنة، والتاسعة، فهذه أربعة أقوال.

(خُلْفٌ) يعني اختلاف بين العلماء.

(وَقِيْلَ: «كَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ وُجُوبُهُ» حَكَاهُ فِي النِّهَايَةِ) يعني حكاه إمام الحرمين وهو أبو المعالي الجويني في كتابه «النهاية»: أن الحج فُرِض قبل الهجرة، يعني يقول: حتى إن بعض العلماء وهو أبو المعالي الجويني إمام الحرمين رحمه الله ذكر أن الحج وجب قبل الهجرة.

قال:

٣٦- وَفِيْهِ قَدْ سَـابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَآيَـةُ الظِّهَـارِ فِي ابْـنِ خَـوْلِي

يعني من أحداث السنة السادسة: أن النبي ﷺ سابق بين الخيل وجعل حدودًا للخيل المضمرة، والخيل غير المضمرة، سابق بين الخيل فسبق فرس أبي بكر رضي الله عنه.

وفي هذه السنة نزلت (آيَةُ الظِّهَارِ) حُكم الظهار، والظهار: هو تشبيه الرجل زوجته أو بعضها بمَنْ تحرُم عليه أو ببعضها، يعني أن يُشبّه الرجل زوجته بمَنْ يحرم عليه نكاحها كأمه وأخته، أو ببعضها كيد أمه أو ظهر أمه أو أخته، فهذا هو الظهار، وأنزل الله سبحانه وتعالى

حُكم مَنْ فعل ذلك، وأنه إن أراد معاودتها فعليه كفارة كما بيّنها الله ﷻ وهي: عِتْق رقبة، فإذا لم يجد يصوم شهرين متتابعين، إذا لم يستطع يُطعِم ستين مسكينًا.

فـ (وَآيَةُ الظِّهَارِ فِي ابْنِ خَوْلِيْ) آية الظهار كانت في شأن خولة بنت ثعلبة، ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت.

وهنا استُشكِل قول الناظم: «في ابن خولي»؛ لأن هناك صحابيًّا آخر اسمه أوس بن خولي، لكن المعروف أن آية الظهار لم تنزل في شأن أوس بن خولي، وإنما نزلت في شأن أوس بن الصامت.

وأما المرأة التي ظاهر منها زوجها فهي خولة بنت ثعلبة.

قال:

٣٧- فِي (السَّبْعِ) خَيْبَرٌ وَعُمْرَةُ الْقَضَا ... وَقَدِمَتْ أُمُّ حَبِيْبَةَ الرِّضَا

٣٨- بَنَى بِهَا، وَبَعْدَهَا مَيْمُونَةُ ... كَذَاكَ فِيْهَا قَبْلَهَا صَفِيَّةُ

٣٩- وَفِيْهِ مَنْعُ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ ... وَمُتْعَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ حَلَّتِ:

٤٠- يَوْمَ حُنَيْنٍ، ثُمَّ قَدْ حَرَّمَهَا ... مُؤَبَّدًا، لَيْسَ لِذَلِكَ انْتِهَا

هنا يشير إلى أحداث السنة السابعة، فأبرز أحداثها: غزوة خيبر بين النبي ﷺ وبين اليهود، وهم يهود خيبر.

وفي السنة السابعة أيضًا وقعت عمرة القضاء؛ لأنه لما ذكرنا في العام السادس كان النبي ﷺ ذهب للعمرة وصدّه المشركون عن البيت وكان هناك اتفاق أن يرجع النبي ﷺ للاعتمار في العام الذي بعده فرجع النبي ﷺ في العام الذي بعده، وكانت عُمَر

النبي ﷺ كلها في ذي القعدة، ففي شهر ذي القعدة من العام السابع، اعتمر النبي ﷺ وأصحابه العمرة التي يقال لها: عمرة القضاء.

وفي هذه السنة قدِمت أم حبيبة رضي الله عنها من الحبشة، ففي العام السابع رجع المهاجرون الذين كانوا في الحبشة رضي الله عنهم ومعهم جعفر بن أبي طالب، فلما قدِم قال النبي ﷺ: «والله ما أدري بأيهما أُسَرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟»؛ لأنهم قدموا، وقت أن فُتحت خيبر على النبي عليه الصلاة والسلام.

فممنْ قدِم أم حبيبة رضي الله عنها وأرضاها، وكان النبي ﷺ عقد عليها وهي هناك في الحبشة، ودفع مهرها النجاشي رضي الله عنه. فلما قدمت في العام السابع بنى بها الرسول عليه الصلاة والسلام.

وتزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها، تزوجها النبي ﷺ بمكة في عمرة القضاء.

قال: (كَذَاكَ فِيْهَا قَبْلَهَا صَفِيَّةُ) صفية أم المؤمنين رضي الله عنها كانت يهودية وأسلمت رضي الله عنها وأرضاها، كانت من أهل خيبر الذين غزاهم النبي ﷺ في خيبر وأسلمت رضي الله عنها وأرضاها، وتزوجها رسول الله ﷺ أيضًا في هذه السنة السابعة.

ومن أحداث هذه السنة: تحريم (الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ) الحمر الأهلية: هي الحمير غير الوحشية؛ لأن الحمر الوحشية -هي الحمير المخططة هذه- يحل أكلها، وأما الحمر الأهلية فحرّمها النبي ﷺ في العام السابع من الهجرة، حرم النبي ﷺ لحوم الحمر الأهلية.

وحرّم فيها (مُتْعَةَ النِّسَاءِ) حرّم النبي ﷺ نكاح المتعة وهو الزواج المؤقت، أنه يتزوج المرأة لأجَلٍ يتفقان عليه، فحرّم النبي ﷺ نكاح المتعة في غزوة خيبر.

(ثُمَّ حَلَّتِ: يَوْمَ حُنَيْنٍ، ثُمَّ قَدْ حَرَّمَهَا مُؤَبَّدًا، لَيْسَ لِذَلِكَ انْتِهَا) يعني تحريمًا أبديًا ليس له انتهاء، إذًا كانت مباحة، ثم حُرّمت يوم خيبر، ثم أباحها النبي ﷺ يوم حنين، ثم عاد فحرّمها تحريمًا مؤبدًا لا انتهاء له.

بعد ذلك يذكر أحداث السنة الثامنة، قال:

٤١- وَفِي (الثَّمَانِ) وَقْعَةٌ بِمُؤْتَةِ ... وَالْفَتْحُ مَعْ حُنَيْنَ فِي ذِي السَّنَةِ

٤٢- وَأَخْذُ جِزْيَةِ مَجُوسِ هَجَرَا ... وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ فِيهِ الْمِنْبَرَا

يقول هنا: أبرز أحداث السنة الثامنة من الهجرة: أنها وقعت فيها غزوة مؤتة، وهي غزوة في منطقة مؤتة قريبًا من البلقاء بالشام، وفي ذلك الوقت كانت حدود الشام تبدأ من منطقة تيماء وشمالها، فمؤتة من الشام ووقعت فيها غزوة بين النبي ﷺ والنصارى في تلك الأماكن، والعرب الذين يوالون الروم في هذه الأماكن.

وفي السنة الثامنة أيضًا: وقع فتْح مكة المكرمة؛ لأن مشركي قريش قد صالحوا النبي ﷺ في صلح الحديبية في العام السادس، على ترك الحرب عشر سنين هدنة، فلا تحصل حرب بين الفريقين عشر سنين، لكن بشرط ألا ينقض أحد الفريقين عهده، أنه لا ينصر عليه عدوًّا: يعني لا النبي ﷺ ينصر أعداء قريش، ولا هم ينصرون أعداء النبي ﷺ ولا أعداء حلفائه، وكانت خزاعة من حلفاء النبي ﷺ، وقريش حاربوا خزاعة ونصروا أعداء خزاعة عليهم، فنقضوا العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ فذهب النبي ﷺ في جيش عظيم، فيه عشرة آلاف مقاتل، وفتح الله ﷻ عليه مكة المكرمة في شهر رمضان من العام الثامن.

وفي نفس السنة بعد فتح مكة كان النبي ﷺ معه عشرة آلاف مقاتل وأخذ معهم

ألفين ممَّنْ أسلم، من مسلمة الفتح ممَّنْ أسلموا من أهل مكة ومَنْ حولها فصاروا اثني عشر ألفًا، وأخذهم معه النبي ﷺ وذهب لقتال أهل الطائف، قبيلة ثقيف في الطائف، وقاتلهم النبي ﷺ في غزوة حنين في نفس هذه السنة الثامنة، وكانت بعد الفتح بأيام قليلة.

كذلك من أحداث هذه السنة: أخْذ الجزية من مجوس هجر، وهجر: هي منطقة الأحساء في شرق الجزيرة العربية، وحسب التقسيمات السياسية التي كانت في زمن النبي ﷺ كان يقال لهذه المنطقة: البحرين، منطقة البحرين ما كانت تقتصر فقط على الجزيرة المعروفة الآن بالبحرين، ولكن كل ما بين العراق وعمان، الساحل الشرقي هذا كله كان يقال له البحرين، بما فيه منطقة هجر التي هي الأحساء.

فالنبي ﷺ أخذ الجزيرة من مجوس هجر، كانوا مجوسًا مثل الفرس، وكان الفرس لهم سلطة على هذه المنطقة، والنبي ﷺ أرسل العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه أميرًا على البحرين وكلّفه بأخذ الجزية من مجوس البحرين.

(**وَاتَّخَذَ النَّبِيُّ فِيْهِ الْمِنْبَرَا**) يعني هذه السنة الثامنة أيضًا من أحداثها: أنها أول سنة يخطب فيها النبي ﷺ على المنبر، وكانت امرأة من الأنصار رضي الله عنها وأرضاها كان عندها غلام نجار، وكان النبي ﷺ إلى هذه الوقت كان يخطب مستندًا إلى جذع نخلة، فعرضت على النبي ﷺ أن يصنع له غلامها منبرًا يخطب عليه، كما في صحيح البخاري «**عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؟ فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ»، قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ الَّذِي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا، حَتَّى كَادَتْ تَنْشَقُّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا، فَضَمَّهَا إِلَيْهِ،**

فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ، حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ»[١]

وكَانَ الْحَسَنُ ﷺ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ بَكَى ثُمَّ قَالَ: يَا عِبادَ اللهِ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقًا اليَهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلى لِقَائِهِ.

قال:

٤٣- فِي (التِّسْعِ) غَزْوَةُ تَبُوْكٍ، بَعْدَ أَنْ ... صَـلَّى عَلَى «أَصْحَمَ» غَائِبًا فَسَـنْ

٤٤- وَفِيْــهِ قَدْ آلى مِنَ النِّسْـوَانِ ... شَـهْرًا، وَفِيْـهِ قِصَّـةُ اللِّعَـانِ

٤٥- وَحَجَّةُ الصِّدِّيْقِ، ثُمَّ أَرْسَـلاَ ... لَهُ عَلِيًّـا بَعْـدَهُ عَلَى الْـوِلاَ:

٤٦- «أَنْ لاَ يَحُجَّ مُشْرِكٌ بَعْدُ، وَلاَ ... يَطُـوفَ عُرْيَانٌ كَفِعْـلِ الْجُهَلاَ»

٤٧- وَسُـمِّيَتْ: بِسَـنَةِ الْوُفُـودِ ... لِكَـثْرَةِ الْقَـادِمِ مِـنْ وُفُـودِ

يذكر هنا أبرز أحداث السنة التاسعة: غزوة تبوك التي تُعرَف بغزوة العُسرة، وتبوك مدينة في شمال الجزيرة العربية، طبعًا في وقتنا الحاضر هي داخل المملكة العربية السعودية، وفي زمن النبي ﷺ كانت تبوك تُعتبر من مدن الشام في ذلك الوقت، وكانت هذه المناطق خاضعة لسلطة الروم فخرج النبي ﷺ لقتالهم في السنة التاسعة.

(«أَصْحَمَ») هو أصحمة، لكن رخّمه في البيت قال: أصحم، والترخيم: هو حذف آخر المنادى، لكن هنا حذف آخر الاسم لضرورة الوزن.

أي: وصلى النبي ﷺ صلاة الغائب على النجاشي ﷺ واسمه (أصحمة)، كلمة

---

[١] صحيح البخاري ٢٠٩٥.

النجاشي تُطلَق على كل مَنْ ملك الحبشة، كان يقال له: النجاشي، فنجاشي الحبشة في ذلك الوقت اسمه أصحمة ﷺ.

ولما توفي أصحمة أوحى الله ﷻ إلى نبيّه ﷺ بخبره وهو في المدينة، فصلى على النجاشي صلاة الغائب، فسَنَّ النبي ﷺ بذلك صلاة الغائب.

قال: (وَفِيْهِ قَدْ آلى مِنَ النِّسْوَانِ) يعني في هذه السنة حصلت حادثة إيلاء النبي ﷺ من أزواجه شهرًا.

والإيلاء: هو الحلف، أن يحلف الزوج ألا يعاشر زوجته.

فآلى النبي ﷺ من نسائه شهرًا: يعني حلف ألا يدخل بيوتهن شهرًا، واعتزلهن النبي ﷺ في عُلية له، عُلية: هي حجرة فوقية يُصعَد إليها بدرج ، فبقي النبي ﷺ في هذه العُلية ينزل إلى المسجد يصلي، ويصعد إلى عُليته، يعني هجر أزواجه شهرًا وآلى منهن ﷺ.

أغضبنه في شيء، قيل: في بسبب سؤال النفقة ، يعني النبي ﷺ كان زاهدًا في الدنيا ﷺ، وتأتيه الأموال الكثيرة ﷺ فيتصدق بها يمينًا وشمالًا وكان يمر على بيوت النبي ﷺ الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، لا يوقد في بيوتهم نار، ليس لهم إلا الأسودان (التمر والماء)، وأحيانًا ينفد التمر، لا يكون في بيوتهن إلا الماء، فقيل: إنهن سألنه النفقة، يعني أغضبنه ﷺ بسؤالهن.

وقيل: في شيء من الغيرة وقع بينهن، أو شيء من هذا القبيل.

فالنبي ﷺ حلف ألا يدخل بيوتهن شهرًا ﷺ.

وفي هذه السنة أيضًا التاسعة: حدثت قصة اللعان، وذلك في شأن هلال بن أمية وامرأته.

واللعان: يكون إذا اتهم الرجل امرأته بالزنا وليس معه شهود.

«فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «البَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ البَيِّنَةَ؟ فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «البَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ» فَقَالَ هِلاَلٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلاَلٌ فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»[١]

والمرأة يدرأ عنها العذاب يعني إذا لم تشهد أُقيم عليها الحد، وإذا شهدت ﴿أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[النور: ٨]، الشهادة الخامسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[النور: ٩] فيدرأ عنها العذاب، فإذا حصلت الملاعنة بين الطرفين، تحرم عليه أبدًا، ويتبرأ من نسبة الولد، الذي يتهمها بأنه ليس منه لا يُنسَب إلى هذا الأب.. إلى آخره.

(وَحَجَّةُ الصِّدِّيْقِ) حجّ أبو بكر الصديق ﷺ، طبعًا مكة فُتحت في العام الثامن، وفي العام التاسع بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ أميرًا على الحج ولم يحج النبي ﷺ في

---

[١] صحيح البخاري٤٧٤٧.

العام التاسع، والسبب في ذلك:

قيل: إن المشركين كانوا في هذه السنةكانوا قد غيّروا فيها الشهور، وهو ما يُعرَف بالنسيء: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[التوبة: ٣٧] فكانوا يجعلون الشهر الحرام حلالًا، ويجعلون الشهر الحلال حرامًا، فقالوا: هذه السنة كان فيها نسيء، فكان الحج لا يصادف موعده الصحيح.

ولذلك في حجة الوداع النبي ﷺ قال: «إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» يعني عادت الشهور كما خلقها الله ﷻ ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[التوبة: ٣٦].

وهناك سبب آخر، وهو: أن المشركين كانوا يطوفون عراة بالبيت- والعياذ بالله تعالى- وكانت لهم تحريفات لمناسك الحج تخالف شريعة إبراهيم عليه السلام وتخالف حج المسلمين، فكان منهم مَنْ لا يقف بعرفة، ويقفون بالمزدلفة بدلًا من عرفة، ويؤخرون النفر، فأراد النبي ﷺ أن يبعث أبا بكر رضي الله عنه في هذا العام التاسع حتى يحج بالناس، وبعث خلفه عليًّا (عَلَى الْوِلَا) يعني بعث عليًّا بعده؛ لينادي في الناس: ألا يحجنّ بعد العام مشرك، ولا يطوفنّ بالبيت عريان.

ثم يقول: إن هذه السنة:

٤٧- وَسُمِّيَتْ: بِسَنَةِ الْوُفُودِ لِكَثْرَةِ الْقَادِمِ مِنْ وُفُودِ

طبعًا بعد أن فُتحت مكة كان العرب في أنحاء الجزيرة العربية ينتظرون نتيجة الخصومة بين النبي ﷺ وقريش، والكعبة هي المكان المعظم عند العرب، وكانوا تبعًا لمَنْ تولى قيادة البلد الحرام.

فكانوا ينتظرون ماذا يحصل في الحروب بين النبي ﷺ ومشركي قريش، فلما فتح الله ﷻ مكة على النبي ﷺ ودخلت مكة في حوزة الإسلام دخل الناس في دين الله أفواجًا، وبدأت القبائل تفِدُ عليه ﷺ كل قبيلة ترسل وفدًا يبايع النبي ﷺ على الإسلام ويدخلون في الإسلام ويطلبون من النبي ﷺ أن يبعث معهم مَنْ يعلمهم الدين، ومَنْ يأخذ منهم الزكاة.

فسُميت هذه السنة وهي السنة التاسعة (بِسَنَةِ الْوُفُودِ)؛ لكثرة مَنْ قدم فيها من الوفود على النبي عليه الصلاة والسلام.

قال:

٤٨- فِي (الْعَشْرِ) كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ ... لاَ يُحْصَرُ الْوَافُونَ بِاطِّلاَعِ

٤٩- فَقِيلَ: «كَانُوْا أَرْبَعِيْنَ أَلْفًا ... أَوْ ضِعْفَهَا»، وَزِدْ عَلَيْهِ ضِعْفَا

٥٠- وَارْتَدَّ فِيْهَا وَادَّعَى النُّبُوَّةْ: ... الأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ، حَتَّى مَوَّهْ:

٥١- لِبَعْضِ قَوْمِهِ بِسَجْعٍ صَنَعَهْ ... فَقُتِلَ الشَّقِيُّ مَعْ مَنْ تَبِعَهْ

أبرز أحداث السنة العاشرة: حجة الوداع، حج النبي ﷺ في السنة العاشرة حجة الوداع، قال: (لاَ يُحْصَرُ الْوَافُونَ) فيها (بِاطِّلاَعِ) الذين شهدوا حجة الوداع لا يُحصَرون؛ لكثرتهم، فقد كانوا ألوفًا مؤلفةً وما كان هناك إحصاء دقيق للعدد، فكان الإحصاء تقديريًّا أو تقريبيًا، فقيل: كانوا أربعين ألفًا، وقيل: كانوا ثمانين ألفًا، وقيل: كانوا مائة وعشرين ألفًا، (فَقِيلَ: «كَانُوْا أَرْبَعِيْنَ أَلْفًا أَوْ ضِعْفَهَا») يعني ثمانين ألفًا، و(وَزِدْ عَلَيْهِ ضِعْفَا) يعني: أو مائة وعشرين ألفًا شهدوا مع النبي ﷺ حجة الوداع.

في هذه السنة: ارتد الأسود العنسي، (وَادَّعَى النُّبُوَّةْ) وكان بصنعاء في اليمن، و(مَوَّهْ)

يعني: زخرف لقومه ولبّس عليهم (بِسَجْعٍ صَنَعَهْ) أي: جعل يقول كلامًا مسجوعًا، ويزعم أنه وحي من الله ﷻ وأنه نبي والعياذ بالله تعالى.

(فَقُتِلَ الشَّقِيُّ مَعْ مَنْ) معه من أتباعه، في ذلك الوقت كانت اليمن دخلت في الإسلام، وكان النبي ﷺ بعث له أمراء في صنعاء، فبعث معاذًا وأبا موسى الأشعري ﵁، كان معاذ في جهة صنعاء، وأبو موسى الأشعري في جهة حضرموت، وكان فيها أصحاب النبي ﷺ هناك فحصل قتال بين الأسود العنسي الذي ادّعى النبوة، وبين المسلمين وقُتل الشقي ومَنْ معه من أتباعه في هذه السنة التي هي العاشرة.

قال:

٥٢- فِيمَا يَلِيهَا وَهْيَ (إِحْدَى عَشْرَةْ) قَضَى نَبِيُّ اللهِ فِيهَا عُمْرَةْ

٥٣- عَاشَ ثَلَاثًا بَعْدَ سِتِّيْنَ عَلَى أَصَحِّهَا، وَالْخُلْفُ فِي هَذَا خَلَا

السنة الحادية عشرة هي السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ، وقد توفي ﷺ في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة النبوية، وعاش النبي ﷺ ثلاث وستين سنة كما ذكر المؤلف، (وفيه خلف قد خلا) يعني مضى ذِكْره: أنه جاء عن بعض الصحابة أن النبي ﷺ أقام بمكة بعد البعثة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وهو ﷺ بُعث على رأس أربعين سنة، وأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا يصبح المجموع ستين سنة، لكن أجابوا عن هذا قالوا: إن المقصود هنا التقريب، الذين قالوا: عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة قصدوا التقريب، أو أنهم لم يحتسبوا سنوات الدعوة السرية ثلاث سنوات، توفيقًا يعني بين الأقوال.

فالصواب: أن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة، وهو بُعِث وهو ابن

أربعين، ومكث ثلاث عشرة سنة، ثم عشر سنوات بالمدينة؛ لأنه قدم المدينة في شهر ربيع الأول في السنة الأولى من الهجرة، وتوفي ﷺ في شهر ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة فمجموع مدة إقامته ﷺ بالمدينة عشر سنين.

فهذه باختصار أبرز أحداث السنوات التي قضاها النبي ﷺ بالمدينة، ذكرها المؤلف إجمالًا، ثم بعد ذلك إن شاء الله كل هذه الأحداث مر عليها بعد ذلك بتفصيل أكثر في أبواب قادمة إن شاء الله تعالى.

باب ذِكْر صفته ﷺ

أي: أوصافه الطاهرة ﷺ.

قد يقول قائل: ما أهمية هذا الباب مع أن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» ؟ والتفاضل عند الله ﷻ بالتقوى وليس بالصفات الخلقية.

فما أهمية هذا الباب؟

أهمية هذا الباب:

أولًا: أنه من علامات محبته ﷺ فمن علامات محبته ﷺ: حُب التعرف على خِلقة رسول الله ﷺ وما حباه الله ﷻ به من الصفات؛ فإن الإنسان إذا أحبّ النبي ﷺ تعلق قلبه بالرغبة في معرفة صفات هذا النبي الكريم ﷺ واستحضار صورة النبي ﷺ في ذهن الإنسان عند الحديث عن النبي ﷺ.

ثانيًا: ما يتعلق بذلك من حُكم شرعي فيما يتعلق برؤية النبي ﷺ في المنام، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ رآني في المنام فقد رآني حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي»؛ فالشيطان لا يستطيع أن يتمثل في صورة النبي ﷺ التي كان عليها في الدنيا.

لذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما إذا جاءه مَنْ يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، وقال لي: كذا وكذا، يقول له: صِفْه لي، فيصف له ما رأى في المنام، فإذا وصفه كما يطابق صفته ﷺ يقول: قد رأيته.

فإذا جاءنا شخص ويزعم أنه رأى النبي ﷺ في المنام نقول له: صِفْه لنا، فإذا وصفه صفةً تطابق صفة رسول الله ﷺ التي جاءت في سيرته المشرفة، تكون هذه رؤيا حق،

والذي رآه هو النبي ﷺ حقًا؛ لأن الشيطان لا يتمثل به.

لكن إذا جاء شخص ووصف صفة أخرى تتعارض مع ما جاء في صفته ﷺ في السيرة المشرفة فنقول: هذا شيطان يتلاعب بالرائي؛ لأنه يمكن أن يأتي الشيطان في صورة أخرى من الصور غير صورة النبي ﷺ، ويزعم كذِبًا أنه هو النبي ﷺ فتكون هذه حُلمًا، وتلاعبًا من الشيطان.

فهذه من الفوائد الشرعية المتعلقة بمعرفة صفاته ﷺ.

ثالثًا: يُستفاد من معرفة صفته ﷺ أن نعرف أن الله ﷻ أكرمه بالكمال الخِلقي، والكمال الخُلقي ﷺ فقد كانت صفاته ﷺ الخِلقية والخُلقية في غاية الكمال الذي أكرمه الله ﷻ به.

قال المؤلف رحمه الله:

١- وَرَبْعَـةً كَانَ مِـنَ الرِّجَـالِ ... لاَ مِـنْ قِصَارِهِـمْ وَلاَ الطِّـوَالِ

كان النبي ﷺ ربعةً أي: معتدل الطول، الربعة: هو الإنسان معتدل الطول. (لاَ مِنْ قِصَارِهِمْ وَلاَ الطِّوَالِ) يعني لا كان النبي ﷺ قصيرًا ولا طويلًا، يعني لا قصيرًا قِصَرًا زائدًا، ولا طويلًا طولًا زائدًا، وإنما كان معتدل الطول ﷺ.

٢- بَعِيـدَ بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، شَـعَرُهْ ... يَبْلُـغُ شَـحْمَةَ الأُذْنْ، يُوَفِّـرُهْ:

٣- مَـرَّةً أُخْـرَى، فَيَكُـونُ وَفْرَهْ ... يَـضْرِبُ مَنْكِبَيْـهِ يَعْلُـو ظَهْرَهْ

فيقول: من صفات النبي ﷺ أنه كان بعيد ما بين المنكبين ﷺ: يعني عريض أعلى الظهر وأعلى الصدر.

والمنكب: هو مكان التقاء الكتف والعضد.

صفة شعر النبي ﷺ قال: (شَعَرُهْ يَبْلُغُ شَحْمَةَ الأُذُنْ) شحمة الأذن: هي القطعة الطرية في طرف الأذن، فكان النبي ﷺ يطيل شعره حتى يبلغ شحمة الأذن.

قال:

....، يُوَفِّرُهْ:

٣- مَرَّةً اخْرَى، فَيَكُونُ وَفْرَةْ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهْ

يعني أحيانًا يكون شعره ﷺ وفرةً، والوفرة: هي الشعر الذي يصل إلى شحمة الأذن، وأحيانًا يتركه حتى يضرب المنكبين يعني يصل إلى المنكبين، والشعر إذا وصل إلى المنكبين يقال له: اللُّمة.

فكان النبي ﷺ يترك شعره حتى يصل إلى المنكبين فيقال له: اللُّمة، ثم يقصه ﷺ حتى يصل إلى شحمتي الأذنين، ثم إذا طال إلى المنكبين يقصه إلى الأذنين ﷺ.

وكان من عادة النبي ﷺ أن يفرق شعره ﷺ من المنتصف، كان يفرق شعره من يافوخه إلى ما بين عينيه.

اليافوخ: هو منتصف الرأس إلى ما بين العينين.

فكان يفرق النبي ﷺ شعره قسمين، وشعره ﷺ يطول إلى المنكبين ثم يقصه حتى يصل إلى الأذنين.

قال: (يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ يَعْلُو ظَهْرَهْ) يعني: ربما طال الشعر عن المنكبين حتى وصل إلى الظهر أحيانًا، لكن العادة أن شعر النبي ﷺ كان دائمًا ما بين الأذن إلى المنكب.

٤- يَحْلِقُ رَأْسَهُ لأَجْلِ النُّسُكِ وَرُبَّمَا قَصَّرَهُ فِي نُسُكِ

فيقول: إن النبي ﷺ كان يحلق شعره في النسك - يعني في الحج والعمرة-، عند التحلل من الحج والعمرة يحلق شعره، والحلق: هو إزالة الشعر كله، فما كان النبي ﷺ يحلق شعره إلا في النسك، وربما قصّره في النسك عليه الصلاة والسلام يعني ربما قصّره في النسك، لكن الغالب أنه كان يحلق رأسه ﷺ في النسك.

وقد قال ﷺ: «رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين، رحم الله المحلقين» ثلاث مرات، في كل مرة يقولون: والمقصرين يا رسول الله؟ فيقول: «رحم الله المحلقين» ثم بعد الثالثة قال: «والمقصرين».

قال:

٥- وَقَدْ رَوَوْا: لاَ تُوضَعُ النَّوَاصِيْ إلّا لأَجْلِ النُّسُكِ الْمَحَّاصِ

(وَقَدْ رَوَوْا) يعني روى المُحدِّثون أنه (لاَ تُوْضَعُ النَّوَاصِيْ) يعني لا يُحلَق الشعر إلا لأجل النُّسك.

وهذا الأمر ورد فيه عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الخوارج قال: «سيماهم التحليق» يعني علامتهم أنهم دائمًا حليقو الرؤوس.

فهنا قال الفقهاء: إنه يُكرَه أن تكون سيما الإنسان الحلق، والسيما: هي العلامة الدائمة، يعني: أنه يكون من عادته دائمًا أنه حالق رأسه، كلما نبت حلقه، فقالوا: يُكرَه هذا؛ لما فيه من التشبه بالخوارج، ولأنه يخالف هديه عليه الصلاة والسلام ما كان النبي ﷺ يحلق شعره إلا في النسك.

لكن قالوا هذا على الكراهة وليس على التحريم؛ لأن النبي ﷺ لما رأى طفلًا حلقوا

بعض رأسه وتركوا بعضه، قال: احلقوه كله أو ذروه كله، فمعنى هذا أنه يجوز حلْق الرأس كله، أو ترْك الرأس كله.

لكن كما ذكرنا: الكراهة هنا في أن تكون هذه سيما للإنسان وعلامة دائمة ملازمة له، فتكون على سبيل الكراهة لا تصل إلى التحريم.

قال: (أَبْيَضُ).

و (الْمَحَّاصِ) الذي يُمحّص من الذنوب، يعني يُطهّر منها.

(إلّا لأَجْلِ النُّسُكِ الْمَحَّاصِ) يعني لأن النسك هو الحج والعمرة، وهما ينقيان الذنوب، وينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد.

المحَّاص من التمحيص، وهو: التنقية من الذنوب.

قال:

٦- أَبْيَضُ قَـدْ شُرِّبَ حُمْرَةً عَلَتْ   وَفِي الصَّحِيحِ: «أَزْهَرُ اللَّوْنِ» ثَبَتْ

هنا يتكلم عن لون بشرة النبي ﷺ فيقول: كان النبي ﷺ أبيض مُشربًا بياضه حُمرة، قد أُشرِب بياضه حمرة أي خُلِط بحُمرة.

قال: (وَفِي الصَّحِيْحِ: «أَزْهَرُ اللَّوْنِ») يعني وجاء في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أزهر اللون» والأزهر: هو الأبيض المشرَب بحُمرة.

يقال: فلان أزهر يعني أبيض البشرة، والبياض مُشرَب يعني مشوب بحُمرة أو مخلوط بحُمرة.

فكان هذا لون بشرة النبي ﷺ.

قال:

٧- وَفِي الصَّحِيْحِ: «أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ» أَيِ حُمْـرَةٌ لَدَى بَيَـاضِ الْعَـيْنِ

يقول: (وَفِي الصَّحِيْحِ) يعني جاء في صحيح مسلم: «كان النبي ﷺ أشكل العينين»، («أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ») له تفسيران:

فالتفسير الأول: هو الذي ذكره المؤلف: أنه يخالط بياض عينيه حُمرة.

وجاء عن أحد رواة الحديث- وهو سماك رحمه الله- قال: أشكل العينين: طويل شق العين.

لكن قال أكثر شُرّاح الحديث- وهذا المعروف في اللغة- : إن الشَّكَل هو اختلاط البياض بحُمرة، فأشكل العينين يعني: بياض عينيه يخالطه أو يشوبه حُمرة يسيرة.

قال:

٨- وَلِعَـلِيٍّ: «أَدْعَـجُ»، وَفُـسِّرَا: بِشِـدَّةِ السَّـوَادِ فِي الْعَـيْنِ يُرَى

يقول: (وَلِعَلِيٍّ) يعني: وجاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وصف النبي ﷺ قال: «أدعج العينين»، وفُسّر الدعج: بشدة سواد العين.

وفي الحقيقة كلمة («أَدْعَجُ») فُسّرت بشدة سواد العين، وهناك تفسير آخر للدعج، وهو أنه: شدة السواد مع شدة البياض، لكن هذا التفسير لم يختاروه؛ لأنه سيتعارض مع («أَشْكَلُ الْعَيْنَيْنِ»).

ونلاحظ هنا أن الصحابة رضي الله عنهم وصفوا النبي عليه الصلاة والسلام وصْفًا دقيقًا في كل ما يتعلق بالمصطفى عليه الصلاة والسلام وذلك؛ لشدة محبتهم له عليه الصلاة والسلام واعتنائهم بأمره، فرووا لنا هذه التفاصيل الدقيقة المتعلقة بالنبي عليه الصلاة والسلام.

قال:

٩- وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّهُ جَعْدُ الشَّعَرْ ... لاَ سَـبِطٌ وَلاَ بِجَعْـدٍ» الْخَـبَرْ

١٠- وَعَنْ عَلِيٍّ: «سَـبِطٌ» لَمْ يَثْبُتِ ... إِسْـنَادُهُ، وَكَانَ كَـثَّ اللِّحْيَـةِ

هنا بالنسبة لشعر النبي ﷺ الأحاديث الكثيرة التي جاءت في صفة شعر النبي ﷺ أنه كان لا هو بالشعر السبط، هو المسترسل الذي لا تكسّر فيه، ولا هو بالشعر الجعد وهو الشديد الخشونة والتثني، وإنما كان وسطًا بين ذلك، يعني جاء أنه رَجِل الشعر، وهو الشعر الذي فيه تثَنٍّ يسير أو تجعد يسير، لا هو الشديد الجعودة، ولا هو بالسبط المسترسل الذي ليس فيه أي تثَنٍّ ولا تكسُّر.

التوفيق بين الروايات: جاء بعض روايات جعْد الشعر، وبعضها سبِط الشعر، وأكثر الوصّاف للنبي ﷺ قالوا: إنه كان رَجِل الشعر يعني ليس بجعد ولا سبِط، فهنا قالوا الرواية التي فيها سَبِط الشعر قال: لم يثبت إسنادها.

والرواية التي جاء فيها جَعْد الشعر ، قالوا: مقارنةً بالسبوطة الشديدة- الاسترسال الشديد- فقصدوا أنه ليس مسترسلًا استرسالًا شديدًا.

لكن الخلاصة: أن شعر النبي ﷺ كان كما وُصِف لا هو بالسبط ولا هو بالجعد، وإنما كان بين ذلك.

قال: (وَكَانَ كَثَّ اللِّحْيَةِ) كان عليه السلام كثّ اللحية يعني كثير شعر اللحية وغليظ شعر اللحية، اللحية الكثّة: يعني كثيرة الشعر مع غِلَظ الشعر، اللحية ليس شعرًا ناعمًا مسترسلًا؛ لأنه شعر غليظ، وكثّ اللحية: كثير شعر اللحية.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون قراءته في الصلاة من اضطراب لحيته من وراء ظهره، في

الصلاة السرية، وكانت لحيته ﷺ تملأ عارضيه، أي: تملأ جانبي الوجه، اللحية متصلة من شعر الرأس تملأ جانبي الوجه.

قال:

١١- وَأَشْعَرَ(الصَّدْرِ)دَقِيْقَ الْمَسْرُبَةْ   مِـنْ سُرَّةٍ حَـتَّى يُحَـاذِي لَبَـهْ

يقول: كان النبي ﷺ (أَشْعَرَ (الصَّدْرِ)) يعني كثير شعر الصدر.

(دَقِيْقَ الْمَسْرُبَةْ) قالوا: هي خط من الشعر، يصل ما بين السرة واللُّبة.

واللُّبة: هي بداية النحر، فكان يوجد خط دقيق من الشعر من لبة النبي ﷺ حتى يصل إلى سُرّته عليه الصلاة والسلام؛ فكان (دَقِيْقَ الْمَسْرُبَةْ) عليه الصلاة والسلام.

قال:

١٢- وَكَانَ شَـثْنًا كَفُّـهُ وَالْقَـدَمُ   وَهُـوَ الْغَلِيْـظُ قُـوَّةً يَسْـتَلْزِمُ

يقول: كان النبي ﷺ شثن الكف وشثن القدم، وفسّر الشثن بأنه الغليظ القوي، يعني كان غليظ أصابع الكفين ، القدمين مع أصابعهما، فكان غليظ الأصابع عليه الصلاة والسلام.

وقالوا: إن شثن الكفين، وشثن القدمين هذا يدل على القوة، إذا قبض يقبض بقوة عليه الصلاة والسلام.

وقالوا: هذا لا يتعارض مع ما ورد من ليونة كف النبي ﷺ فالليونة تكون في الملمس، وملمس جلد النبي ﷺ فيه ليونة، لكن حجم الكف وحجم الأصابع فيه غِلَظ وقوة في القبض وقوة في البطش، لأن أنسًا رضي الله عنه قال: صافحتُ رسول الله ﷺ قال: فما مسّت يدي حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ؛ فليونة في الجلد لكن مع قوة وغِلَظ وكِبَر في حجم الكف واليدين والقدمين.

١٣- إذَا مَشَى: كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ ... فِي صَبَبٍ، مِنْ صُعُدٍ يَحُطُّ

١٤- إذَا مَشَى: كَأَنَّمَا تَقَلَّعَا ... مِنْ صَخْرٍ، أَيْ قَوِيَّ مَشْيٍ مُسْرِعَا

هنا صفة مشْي النبي ﷺ يقول: إذا مشى النبي ﷺ (كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ فِي صَبَبٍ) يعني كأنما ينحدر من مكان عالٍ، ينزل إلى المكان الخفيض.

(مِنْ صُعُدٍ يَحُطُّ) يعني يحط من مكان عال أو كأنه يهبط من مكان عال.

(إذَا مَشَى: كَأَنَّمَا تَقَلَّعَا) يعني بعض الصحابة لما وصف مشْي النبي ﷺ قال: يتقلع تقلُّعًا، قالوا: يعني كأنه يُخرِج قدميه من صخر، يعني كأن القدم مغروسة في صخر وهو يُخرِجها من الصخر لقوة المشية.

وهذه الصفة في المشي فيها القوة والسرعة في مشية النبي ﷺ، كان يمشي مشية فيها قوة وفيها سرعة في المشي.

ووصف الصحابة أيضًا رضي الله عنهم أنهم كانوا يمشون مع النبي ﷺ فيجهدون أنفسهم للحاقه عليه السلام وهو غير مكترث، يعني إذا مشوا مع النبي ﷺ يمشي مشيته العادية يعني هو ما يتعمد إسراعًا، لكن مشيته العادية هي في طبيعتها فيها سرعة وقوة، فالذي يريد أن يسير معه ﷺ يُجهِد نفسه حتى يلاحقه وهو غير مُكترِث عليه السلام.

فيقول: (أَيْ قَوِيَّ مَشْيٍ مُسْرِعَا) يعني هذه الصفة في صفة مِشية النبي ﷺ تفيد قوة مشيته وتفيد سرعة مشيته عليه السلام.

١٥- يُقْبِلُ كُلُّهُ إذَا مَا الْتَفَتَا ... وَلَيْسَ يُلْوِي عُنُقًا تَلَفُّتَا

كان من صفات النبي ﷺ أنه إذا التفت التفت جميعًا عليه السلام يعني بجميع بدنه وصدره،

لا يلتفت بعنقه، فإذا ناداه شخص من خلفه، وأراد أن يلتفت إليه يلتفت كله ﷺ لا يلوي عنقه، أو لا يلتفت برأسه أو عنقه، وإنما يلتفت جميعًا ﷺ ولا يخالف بعض جسده بعضًا.

١٦- كَأَنَّمَـا عَرَقُـهُ كـ«اللُّؤْلُـؤِ» أَيِ فِي الْبَيَـاضِ وَالصَّفَـا إِذَا رُئِيْ
١٧- تَجْمَعُـهُ أُمُّ سُـلَيْمٍ، تَجْعَلُـهْ فِي طِيبِهَـا، فَهْوَ لَعَمْـرِي أَفْضَلُهْ
١٨- يَقُولُ مَنْ يَنْعَتُـهُ: «مَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْـدَهُ رَأَيْـتُ قَـطُّ مِثْلَـهُ»

فهنا يصف عرق النبي ﷺ فيقول: كان عرق النبي ﷺ كاللؤلؤ- أي في بياضه وصفائه-، يعني عرق النبي ﷺ إذا انحدر كأنه حبات اللؤلؤ في نقائها، وصفائها: يعني نقاء لونها، وبياضها ﷺ.

وكان عرقه ﷺ أطيب من المسك كما ورد في صحيح مسلم أن أم سليم رضي الله عنها وأرضاها وهي أم أنس بن مالك خادم الرسول ﷺ كانت تجمع عرق النبي ﷺ وتجعله في قارورة؛ لتتطيب به وورد هذا عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، أيضًا كنّ أحيانًا يجمعن عرق النبي ﷺ ويجعلنه في قارورة.

وكان النبي ﷺ يعني خاصةً وقت نزول الوحي عليه يتفصد عرقًا كما جاء في «صحيح البخاري».. كان يعني من علامات نزول الوحي عليه- ﷺ- أنه إذا جاءه الوحي يتفصد جبينه عرقًا في الليلة الشديدة البرد، يتفصد عرقًا: يعني يصب العرق من جبينه ﷺ فكنّ يجمعن عرقه ﷺ ويجعلنه في قارورة يُتطيّب به.

١٨- يَقُولُ مَنْ يَنْعَتُـهُ: «مَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْـدَهُ رَأَيْـتُ قَـطُّ مِثْلَـهُ»

مَنْ نعَتَ النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم، كل منهم يقول: ما رأيت قبله ولا بعده مثله

ﷺ يعني في كمال الخِلقة وكمال الخُلق ﷺ.

فجاء في الصحيحين عن البراء رضي الله عنه قال: «لم أرَ شيئًا أحسن منه» ﷺ.

وكذلك جاء في الحديث عن إسحاق الهمداني قال: قلت لامرأة حجّت مع المصطفى ﷺ: شبهيه لي، فقالت: كالقمر ليلة البدر، ولم أرَ قبله ولا بعده مثله.

وجاء هذا في أحاديث: أكثر من واحد ممَّنْ وصف النبي ﷺ يقول: ما رأيت قبله ولا بعده مثله ﷺ.

ذِكْر وصف أم معبد الخزاعية له ﷺ..

بعد أن ذكر عددًا من صفات النبي ﷺ التي اشترك فيها واصفون كثيرون أورد هنا حديثين من أشهر الأحاديث التي وردت في صفة النبي ﷺ: حديث أم معبد الخزاعية، وحديث هند بن أبي هالة.

وأم معبد وصفت النبي ﷺ لزوجها حين أخبرته بمروره بخيمتها:

١- تَقُــولُ فِيْــهِ بِلِسَــانٍ نَاعِتِ: أَبْلَــجُ وَجْــهٍ ظَاهِــرُ الْوَضَــاءَةِ

قالت: (أبلج الوجه): يعني مُشرِق الوجه، نيّر الوجه، وجهه أبلج، البلج: هو النور، والإشراق، والإضاءة، فتقول: أبلج الوجه يعني وجهه منير ومُضيء، وهذا المعنى أيضًا ورد في أحاديث أخرى، فبعض الصحابة وصف وجه النبي ﷺ قال: «كالقمر ليلة البدر»، وبعضهم قال: «إذا رأيته قلت: الشمس طالعة» ﷺ، فكان وجهه ﷺ كأنه الشمس وكأنه القمر في ليلة البدر.

وهنا أم معبد ﵂ تقول: كان أبلج الوجه يعني مُشرِق الوجه منيرًا مضيئًا ﷺ.

(ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ) والوضاءة يعني الحُسن والجمال.

فتقول: كان أبلج الوجه ظاهر الوضاءة.

٢- الْخَلْــقُ مِنْــهُ لَمْ تَعِبْــهُ ثُجْلَةْ كَلاَّ وَلَــمْ تُــزْرِ بِــهِ مِــنْ صَعْلَةْ

فتقول: إن النبي ﷺ لم يوجد في بدنه ﷺ ما يُعاب به ﷺ، وليس فيه أي شيء من العيوب الخِلقية.

فقالت: (لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَة)، وقالوا: الثُّجلة: هي عِظَم البطن مع استرخاء أسفله.

فالنبي ﷺ: (لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةْ) يعني ليس عظيم البطن، مسترخي أسفل البطن، فلم يكن كذلك ﷺ.

(وَلَمْ تُزْرِ بِهِ مِنْ صَعْلَةْ) هذه أيضًا في وصْف أم معبد، والصعلة: هي صِغَر حجم الرأس، فالنبي ﷺ كان عظيم الهامة، يعني كبير حجم الرأس ﷺ فالصعلة: هي صِغَر حجم الرأس.

فإذا هنا أم معبد تنفي عن النبي ﷺ أمرين؛ تنفي عنه الثُّجلة التي هي عِظَم البطن مع استرخاء أسفله، وتنفي عنه الصعلة التي هي صِغَر حجم الرأس.

٣- أَدْعَجُ، وَالأَهْدَابُ فِيْهَا وَطَفُ ... مِـنْ طُوْلِهَا أَوْ غَطَـفٌ أَوْ عَطَفُ

تقول: كان النبي ﷺ (أَدْعَجُ) ومر بنا الدعج، وهو شدة سواد العينين، وقيل في تفسير آخر: شدة سواد العين مع شدة بياضه.

فتقول: كان النبي ﷺ (أَدْعَجَ) ﷺ.

(وَالأَهْدَابُ فِيْهَا وَطَفُ) وفي رواية فيها (غَطَفٌ)، وفي رواية فيها (عَطَفُ).

الأهداب: هي الأشفار، وهي شعر الجفن.

فتقول: (وَالأَهْدَابُ فِيْهَا وَطَفُ مِنْ طُوْلِهَا) فالوطف بمعنى الطول، يعني الأهداب طويلة.

وفي رواية فيها (غَطَفٌ)، والغطف: أيضًا بمعنى الوطف، وهو أن يطول شعر الأجفان، ثم ينعطف، يعني أن الشعر طويل وفيه تقوس، شعر الجفن طويل وليس مستقيمًا هكذا، وإنما يجيء بتقوس من هنا، والشعر من أسفل أيضًا فيه تقوس وانثناء.

والعَطَف: بمعناه، فالعطف: هو الطول مع الانعطاف.

فإذا كلها بمعنى واحد تقريبًا، الوطف، أو الغطف، أو العطف؛ كلها تفيد طول شعر الأجفان أو الأهداب مع انعطافها أو ما فيها من الانحناء.

٤- وَالْجِيْـدُ فِيْهِ سَـطَعٌ، وَسِـيْمُ   وَالصَّـوْتُ فِيْـهِ صَحَلٌ، قَسِـيْمُ

فتصف جيد النبي ﷺ، والجيد: وهو العنق، فتقول: في جيده سطع، والسطع: هو طول العنق وارتفاعه، فتقول: كان النبي ﷺ في جيده سطع يعني طول وارتفاع.

(وَسِيْمُ) يعني من صفاته الوسامة، الوسامة: وهي بمعنى الحسن، يقول: كان النبي ﷺ وسيمًا وفي جيده سطع.

قال: (وَالصَّوْتُ فِيْهِ صَحَلٌ) تقول: وفي صوته صَحَل، والصحل: فُسِّر بالبحة أو غِلَظ الصوت، يعني الصوت الذي فيه غِلَظ أو فيه بحة خفيفة، تعطي الصوت حُسنًا وجمالًا، فكان ﷺ أحسن الناس صوتًا، وورد حُسْن صوته عليه السلام في أحاديث كثيرة، يصف الصحابة حُسْن صوت النبي ﷺ خاصةً حينما يتلو القرآن الكريم، حتى إنه ﷺ قال عليه السلام: «ما أذِن الله لشيء أذَنَه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن» يعني نفسه عليه السلام، وأَذِن: يعني أنصت واستمع، «ما أذِن الله لشيء» يعني ما استمع الله تبارك وتعالى لشيء عز وجل «أَذَنه» كاستماعه تبارك وتعالى «لنبي حَسَن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» يعني نفسه عليه السلام.

وقال جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقرأ سورة الطور، حتى إذا بلغ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾[الطور: ٣٥] قال: كاد قلبي أن يطير من جمال صوت النبي ﷺ يعني وحُسْن صوته عليه السلام.

فالصحل قالوا: هو قريب من الصهل، والصهل: هو صوت الفرس، مثل صوت

صهيل الفرس يكون فيه بحّة خفيفة، الصحل: بحة في الصوت مع قوة تُشبه الصهل وهو صوت الخيل.

(قَسِيْمُ) يعني كان النبي ﷺ قسيمًا، والقسامة بمعنى الحُسْن، القسيم بمعنى الحسن وتناسق تقسيم الأعضاء.

٥- كَثِيْـفُ لِحْيَـةٍ، أَزَجُّ، أَقْـرَنُ ... أَحْلاَهُ مِـنْ قُـرْبٍ لَهُ وَأَحْسَـنُ

٦- أَجْمَلُـهُ مِـنْ بُعْـدٍ وَأَبْـهَى ... يَعْلُـوهُ إذ مَـا يَتَكَلَّـمُ الْبَهَـا

يقول: (كَثِيْفُ لِحْيَةٍ، أَزَجُّ، أَقْرَنُ) كان كثيف اللحية ﷺ.

الأزج: هو مقوّس الحاجبين مع طولهما، يعني طويل الحاجبين ﵇، والحاجبان دقيقان وطويلان، ويمتدان إلى مؤخر العينين.

والأقرن: الموصول الحاجبين بعضهما ببعض، يعني الحاجبان متصلان أو ملتقيان في الوسط، وفي الحقيقة: موضوع القرن هو اقتران الحاجبين هنا، ووُصّاف النبي ﷺ بعضهم قال: في حاجبيه قرن مثل أم معبد ﵂، وبعضهم وصف أنه غير مقرون الحاجبين.

وهند بن أبي هالة ﵁ يستفاد من وصْفه أنه مَنْ رأى النبي ﷺ من بعيد يحسب أن حاجبيه بينهما قرن، يعني الذي يراه من بعيد يحسب أن الحاجبين مقترنان يعني ملتقيين، لكن مَنْ دنا منه ﷺ وتأمله وجد بينهما بلجًا، يعني عدم التقاء، لكن شيء يسير لا يُرى لمَنْ لم يدقق في النظر إليه ﷺ.

فلذلك ليس هناك تعارض، ففي حاجبيه قرن يعني هذا ما يبدو لمَنْ لم يدقق في التأمل، وأما مَنْ دقق في التأمل فيجد بينهما بلجًا يسيرًا، ليس التقاءً تامًا، وإنما بينهما شيء يسير.

ثم تقول في صفة النبي ﷺ: إنه أحلى الناس من قُرب، وأجمل الناس من بُعد- ﷺ- فحُسْن النبي ﷺ يعني سواء رُؤي من بعيد أو رُؤي من قريب ﷺ، فجماله وحُسنه ﷺ في الحالتين؛ لأن بعض الناس ربما إذا رُؤي من بعيد مثلًا يبدو حُسنه في القُرب ويختلف الأمر أو العكس، لكن النبي ﷺ كان حُسنه وجمال خِلقته ﷺ يُدركه القريب منه والبعيد عنه، ﷺ.

وتصف كلام النبي ﷺ فتقول: (يَعْلُوهُ إذ مَا يَتَكَلَّمُ الْبَهَا) يعلوه البهاء إذا تكلم ﷺ، ويعلوه الوقار إذا صمت ﷺ تقول: «كان النبي ﷺ أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب، إن تكلّم سما وعلاه البهاء، وإن صمت فعليه الوقار»، فإذا إذا تكلّم ﷺ يعلو كلامه البهاء والحُسن، وجمال الكلام الذي لا يريد سامعه أن يسكت عنه ﷺ، وإذا صمت ﷺ فعليه الوقار، عليه الحلم والرزانة.

وقالت: (مَنْطِقُهُ كَخَرَزٍ تَحَدَّرَتْ)، تقول أم معبد: «كان منطقه خرزات نظْم يتحدرن» يعني : كأنه عقد وانفرط العقد والخرزات من الجواهر النفيسة والأحجار الكريمة، كأن حبات العقد تنفرط، وتتساقط واحدة وراء الأخرى، فكلماته تخرج من فمه كأنها حبات عقد، خرزات انفرطت من العقد وهي تتساقط واحدة تلو الأخرى، فتشبه حُسن كلمات النبي ﷺ كأنها خرزات من العقد انفرطت.

٨- فَصْلُ الْكَلاَمِ لَيْسَ فِيهِ هَذْرُ حُلْـوُ الْمَقَـالِ مَـا عَـرَاهُ نَـزْرُ

كان النبي ﷺ (فَصْلَ الْكَلاَمِ) يعني كلامه بيّن ظاهر يفصل بين الحق والباطل، ويقطع النزاع، ويقول الكلمة التي تحسم الأمر.

(لَيْسَ فِيهِ هَذْرُ) الهذر: هو الكلام الذي يَمل سامعه، فكلام النبي ﷺ ليس فيه هذر يعني ليس فيه كلام مما يمل سامعه، الكلام الذي لا فائدة فيه ويُسبب الملل للسامع.

وكان حُلو المنطق، تقول أم معبد رضي الله عنها: «حلو المنطق، لا نزر ولا هذْر»؛ يعني ليس كلامه بالقليل الذي لا يُفهَم، ولا هو بالكثير الذي يُمِل.

(**مَا عَرَاهُ نَزْرُ**) النزر: هو القلة، يعني لا كلامه بالنزر وهو القليل قِلّة لا يُفهَم معها مقصده وماذا يريد، فليس كلامه بالقصير قِصرًا مُخِلًّا لا تفهم معه ماذا يريد، ولا هو بالطويل طولًا مملًّا يعني زيادة عن الحاجة، وإنما كلامه ﷺ بقدر تحصل الحاجة والفائدة.

وهذا كان من خصائص النبي ﷺ أنه قال: «واختُصِر لي الكلام اختصارًا»، وقال: «أُعطيت جوامع الكلم» ﷺ.

«أُعطيت جوامع الكلم» يعني الكلمات القليلة التي تجمع المعاني الكثيرة، فيتكلم النبي ﷺ في الأمر فيجمع المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، واختُصِر له الكلام اختصارًا ﷺ بحيث يستطيع أن يُعبر عن المعاني الكثيرة في الألفاظ المختصرة الوجيزة المُفهِمة التي يحصل بها المقصود ويتم بها النفع.

٩- لَا بَائِنٌ طُولًا وَلَا يُقْتَحَمُ ... مِنْ قِصَرٍ، فَهْوَ عَلَيْهِمْ يَعْظُمُ

١٠- بِنَضْرَةِ الْمَنْظَرِ وَالْمِقْدَارِ ... تَحُفُّهُ الرِّفْقَةُ بِائْتِمَارِ

١١- إِنْ أُمِرُوا: تَبَادَرُوا امْتِثَالَا ... أَوْ قَالَ قَوْلًا: أَنْصَتُوا إِجْلَالَا

فتقول: إن النبي ﷺ ليس بالطويل البائن ولا تقتحمه عين من قِصَر يعني لا هو طويل طولًا بائنًا، ولا هو قصير ﷺ قِصَرًا مفرِطًا، وإنما كان ﷺ معتدل الطول.

(**فَهْوَ عَلَيْهِمْ يَعْظُمُ بِنَضْرَةِ الْمَنْظَرِ**) يعني كان أنضر الناس منظرًا ومُفضلًا على جلسائه، ومَنْ حوله بجمال منظره ﷺ.

(تَحُفُّهُ الرِّفْقَةُ) يعني تحيط به الرفقة، المرافقون للنبي ﷺ يحفون به يعني يحيطون به ﷺ.

(بِائْتِمَارِ) يعني بأمره ﷺ.

(إِنْ أُمِرُوْا: تَبَادَرُوْا امْتِثَالا) يعني إذا أمرهم بشيء تبادروا امتثالًا له ﷺ.

(أَوْ قَالَ قَوْلًا: أَنْصَتُوْا إِجْلاَلا) إذا قال ﷺ قولًا أنصتوا إجلالًا لقوله، إذا تكلم أنصتوا واستمعوا إليه ﷺ مُجلّين له لا يقاطعونه في الكلام، ولا ينشغلون عن حديثه بشيء، وإنما ينصتون له ﷺ إذا تكلم، وإذا أمرهم بأمر بادروا إلى امتثال أمره ﷺ.

١٢- فَهْــوَ لَدَى أَصْحَابِــهِ مَحْفُودُ أَي يُسْرِعُــونَ طَاعَــةً، مَحْشُــودُ

فتقول: في صفة النبي ﷺ تقول: محفود محشود، تصف أم معبد النبي ﷺ تقول: محفود محشود، فما معنى محفود؟

قال: يُسرعون طاعةً، يعني أصحابه يُسرعون في طاعته ﷺ.

محشود: يعني يجتمع الناس حوله، دائمًا حوله حشْد، الناس يجتمعون حوله ينتظرون أمره، ويتسمعون لقوله ﷺ.

١٣- لَيْــسَ بِعَابِــسٍ وَلاَ مُفَنِّــدِ بِــذَاكَ عَرَّفَتْــهُ «أُمُّ مَعْبَــدِ»

فمما جاء أيضًا في وصْف أم معبد للنبي ﷺ (لَيْسَ بِعَابِسٍ) عُبوس الوجه: هو إبداء الضجر والضيق، فالعابس هو: الذي يُظهِر الكراهية والضيق من لقاء مَنْ حوله، فلم يكن ﷺ عابس الوجه، بل بالعكس من هذا -كان ﷺ- كما قال جرير رضي الله عنه: ما رآني النبي ﷺ قط إلا تبسم.

(وَلاَ مُفَنِّدِ) المفند: هو الذي لا فائدة من كلامه، كما قال يعقوب عليه السلام ﴿إِنِّي لَأَجِدُ

رِيحَ يُوسُفَ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[يوسف: ٩٤] فتفندون: أي: تقولون: إنه أصابه الخرف؛ لكِبَر سِنّه وضعْف عقله، فالنبي ﷺ لم يكن بالمفند وإنما كلامه ﷺ الكلام الذي فيه رجاحة العقل، ويشهد له برجاحة العقل ﷺ.

(بِذَاكَ عَرَّفَتْهُ «أُمُّ مَعْبَدِ») يعني أم معبد عرّفت النبي ﷺ بهذا التعريف ووصفته بهذا الوصف.

باب ذِكْر وصْف هند بن أبي هالة له ﷺ.

و هو هند بن أبي هالة التميمي الأسدي، أمه هي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها؛ لأن أبا هالة التميمي الأسدي هذا كان الزوج السابق لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها قبل أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

فهند بن أبي هالة رضي الله عنه ربيب المصطفى ﷺ.

والربيب: هو ابن الزوجة.

وكان وصّافًا، يعني كان مشهورًا بحُسْن الوصف، يعني: يتأمل الموصوف ويصفه وصفًا دقيقًا.

فيقول الناظم رحمه الله:

١- وَابْـنُ أَبِي هَالَـةَ زَادَ لَمَّـا وَصَفَـهُ: مُفَخَّمًـا وَفَخْمَـا

يقول: (وَابْنُ أَبِي هَالَةَ زَادَ لَمَّا) يعني زاد في صفات النبي ﷺ لما وصفه ﷺ زاد في وصفْه عمّا وصفه الواصفون، يعني تدقيقًا في الوصف يعني وتوضيحًا وتبيينًا.

فقال: كان ﷺ فخمًا مُفخّمًا عليه الصلاة والسلام؛ كان فخمًا يعني عظيمًا، مفخمًا يعني مُعظمًّا في صدور الناس، ومُعظّمًا في أعينهم، فيقول: كان النبي ﷺ فخمًا مُفخمًا يعني كان عظيمًا مُعظّمًا عليه الصلاة والسلام.

٢- لِوَجْهِـهِ تَلأْلُـؤٌ كَالْبَـدْرِ مُعْتَـدِلُ الْخَلْـقِ، عَرِيْضُ الصَّدْرِ

يقول: (لِوَجْهِهِ تَلأْلُؤٌ كَالْبَدْرِ) يقول: كان وجهه ﷺ يتلألأ كالبدر يعني كالقمر ليلة

البدر، كما ورد أن النبي ﷺ كان ظاهر الوضاءة، كان أبلج الوجه، كان وجهه منيرًا مشرقًا مضيئًا ﵊، فالتلألؤ بمعنى الإضاءة، والإنارة، والإشراق ﵊.

(مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ) يعني كان النبي ﷺ معتدل الخلق، يعني لا هو بالطويل المفرط، ولا القصير يعني القصر المفرط، ولا هو بالسمين سمنًا مفرطًا، ولا هو بالنحيف النحافة المفرطة، فكان معتدل الخَلق ﵊.

(عَرِيْضُ الصَّدْرِ) كان النبي ﷺ عريض الصدر، هو كما جاء في صفته: (بعيد ما بين المنكبين)، فهذا يُفسِّر قوله هنا: (عَرِيْضُ الصَّدْرِ) ﵊.

٣- عَظِيْمُ هَـامٍ، وَاسِـعُ الْجَبِيْنِ فَـمٌ ضَلِيْـعٌ، أَقْنَـأُ الْعِرْنِـيْنِ

أي: كان النبي ﷺ (عَظِيْمَ هَامٍ) يعني حجم الرأس، الهامة: هي الرأس، كان عظيم الرأس ﵊، وهذا يؤكد وصْف أم معبد، قالت: (لم تزر به صعلة) وهي صِغَر الرأس، فهنا هند بن أبي هالة يقول: كان عظيم الهام ﵊.

(وَاسِعُ الْجَبِيْنِ) يعني جبينه ﵊ واسع يعني ممتد طويل عريض لعِظَم رأسه ﵊، فالجبين واسع يعني ممتد وطويل وعريض.

(فَمٌ ضَلِيْعٌ) يقول: كان ضليع الفم ﷺ ومعنى ضليع الفم: يعني واسع الفم، عظيم الفم، وهذا كان مما يُمدَح في صفة الرجل أن يكون عظيم الفم؛ لما يؤدي به إلى الفصاحة والبيان وحُسْن إخراج الحروف من مخارجها، وتبيين الكلِم.

(أَقْنَأُ الْعِرْنِيْنِ) العرنين: هو ما صلُب من عظم الأنف، وأقنأ: أقنى: مرتفع الأعلى، مُحدودب الوسط، يعني فيه انحناء في وسطه، انحناء معتدل من غير إفراط.

٤- يَعْلُــوهُ نُــوْرٌ، مَــنْ رَآهُ إذ مَا لَــمْ يَتَأَمَّــلْ: ظَنَّــهُ أَشَــمَّا

يقول هند بن أبي هالة ﵁ في صفة النبي ﷺ: له نور يعلوه، يعني الذي ينظر إليه يشعر أن وجهه منير، يُشرِق، وينبعث منه النور والضياء ﵊.

ويقول: يحسبه مَنْ لم يتأمله أشمّ.

والشمم: هو ارتفاع قصبة الأنف.

فيقول: الذي لم يتأمله يحسبه أشمّ.

٥- مُفَلَّجُ الأَسْــنَانِ، سَــهْلُ الْخَدِّ أَشْــنَبُ، بَــادِنٌ، طَوِيْــلُ الزَّنْــدِ

يقول: (مُفَلَّجُ الأَسْنَانِ) الفلج: هو وجود فُرجة بين الثنايا، وهي الأسنان الأمامية، بها فلج يعني فُرجة بين الثنيتين الأماميتين، الثنايا العليا والثنايا السفلى، فيكون بين الثنيتين فرجة، فهذا يقال له: الفلج، وهو أيضًا من الصفات المستحسنة.

(سَهْلُ الْخَدِّ) ﵊ يعني غير مرتفع الوجنتين، يعني خد النبي ﷺ ليس فيه ارتفاع في الوجنتين يعني ليس فيهما بروز أو ارتفاع.

قال: (أَشْنَبُ) والشنب: هو بياض الأسنان، الشنب ليس المقصود به الشعر الذي فوق الشفة العليا، يقال: فلان أشنب يعني أبيض الأسنان، فكان ﷺ أشنب يعني أبيض الأسنان.

(بَادِنٌ) : ضخم البدن، وهذه الصفة تُفهَم في ضوء ما تقدم، أن النبي ﷺ لم يكن مسترخي البطن، ولا كان طويلًا طولًا بائنًا، فإذا البادن هنا بمعنى: عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، شثن الكفين، وكما ورد في صفته أيضًا ﵊: أنه عظيم المشاش- المُشاش: رؤوس العظام- ﵊.

فهذا معنى (بَادِنٌ)، هذا معنى كون النبي ﷺ بادنًا يعني عظيم البدن لكن من غير سمنة ولا استرخاء في البطن.

قال: (طَوِيْلُ الزَّنْدِ) والزند: هو لحم الذراع، فكان النبي ﷺ طويل الذراع عليه الصلاة والسلام أو بعبارة أخرى: موصل طرف الذراع في الكف.

٦- عُنُقُـهُ يُـرَى كَجِيْـدِ دُمْيَةِ مَـعَ صَفَـاءِ لَوْنِـهِ كَالْفِضَّـةِ

عنق النبي ﷺ يُرَى كجيد الدمية، والدمية: بمعنى الصورة المجسمة من الرخام أو العاج، فعنق النبي ﷺ يُرَى كجيد الدمية يعني كجيد التمثال المصنوع من العاج أو من الرخام في حُسنه وصفاء لونه، مع صفاء لونه كالفضة، فيقول: كان عنق النبي ﷺ كالفضة الصافية.

٧- أَزَجُّ فِي غَـيْرِ قَرَنْ، إذَا غَضِبْ بَيْنَهُمَـا عِـرْقٌ يُـدِرُّهُ الْغَضَـبْ

يقول: (أَزَجُّ فِي غَيْرِ قَرَنْ) أزج الحاجبين عليه الصلاة والسلام في غير قرن: يعني من غير التقاء بينهما، فإذًا الذين وصفوا بأنه كان مقرون الحاجبين فهذا كما قلنا: لِمَنْ يراه من بعيد، لكن الذي يدقق في حاجبي النبي ﷺ يجد أنهما كادا يقترنان لكن ليس بينهما اقتران.

يقول: بين حاجبي النبي ﷺ (عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبْ) يعني عند مكان التقاء الحاجبين عرق إذا غضب النبي ﷺ ظهر هذا العرق وتحرك وبدا.

وكان النبي ﷺ يظهر عليه الغضب ويظهر عليه البِشْر والسرور عليه الصلاة والسلام فكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون من ملامح وجهه ﷺ إذا سرّه الشيء أو إذا أغضبه، وكان يغضب لله سبحانه وتعالى لا لنفسه عليه الصلاة والسلام فكان النبي ﷺ إذا سُرّ تلألأ وجهه أو تنورّ وجهه، يقولون: فتنوّر وجه رسول الله ﷺ أو فتلألأ وجه رسول الله ﷺ.

وإذا كرِه الشيء أو غضِب ﷺ يعرَف الغضب في وجهه ﷺ.

«فعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»»[١]

فالشاهد أن النبي ﷺ كان يبدو على وجهه ﷺ الرضا والبشر إذا سُرّ، ويبدو على وجهه الغضب إذا تأذى من شيء ﷺ.

٨- وَسَائِلُ الْأَطْرَافِ، رَحْبُ الرَّاحَةِ ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ

يقول: كان النبي ﷺ سائل الأطراف، معنى سائل الأطراف: ممتد الأصابع بلا احديداب ولا تعقّد، ولا تكسُّر جلد، فكان النبي ﷺ سائل الأطراف، يعني: أصابعه طويلة ممتدة، ليس فيها احديداب ولا فيها انقباض.

---

[١] صحيح مسلم ١٠١٧.

(رَحْبُ الرَّاحة) رحب: يعني فسيح واسع، راحة الكف: هي بطن الكف، فكان النبي ﷺ رحب الراحة، واسع الكف فسيحه، وقالوا هذه الصفة المقصود بها هنا الصفة الخلقية، لكنها أيضًا يُكنى بها عن الكرم والجود، يقال: فلان رحْب الراحة يعني هذه الصفة وإن كانت صفة خِلقية لكن يُكنَى بها عن الجود والكرم، فكان النبي ﷺ رحب الراحة حسًّا ومعنى، يعني: من جهة الصفة الخِلقية ومن جهة أيضًا الكرم.

كان (ضَخْمَ الْكَرَادِيْسِ) عليه الصلاة والسلام والكراديس: هي رؤوس العظام، وهي مكان التقاء العظم مع العظم الآخر.

(ذَرِيْعُ الْمِشْيَةِ) يعني سريع المشية واسع الخطوة، الذريع: الذي خطوته تكون واسعة في غير تكلف، كما مر بنا أن النبي ﷺ كان إذا مشى ﷺ كأنه منحدر من صبب، يُجهِد مَنْ معه نفسه حتى يُدركه وهو غير مكترِث عليه الصلاة والسلام فيكون مُسرعًا في المشية من غير تكلُّف أو تعمّد للإسراع.

ذِكْر أخلاقه الشريفة ﷺ.

الأخلاق: جمْع خُلق، والخُلق: فُسّر بأنه الصورة الباطنة للإنسان يعني أوصاف النفس، أوصاف الروح والنفس، فما سبق كان الكلام عن الخَلْق : وهو الصورة الظاهرة للإنسان، الأوصاف الحسية الظاهرة، والآن الحديث عن الخُلق وهو الأوصاف الباطنة المتعلقة بهيئة القلب وهيئة النفس والروح وصورته.

يقول:

١- أَكْـرِمْ بِـهِ خُلُقُـهُ الْقُـرْآنُ ... فَهْـوَ لَدَى غَضَبِـهِ غَضْبَـانُ

٢- يَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ، لَيْسَ يَغْضَبُ ... لِنَفْسِـهِ، إِلّا إِذَا تُرْتَكَـبُ:

٣- مَحَـارِمُ اللهِ إِذًا فَيَنْتَقِـمْ ... فَأَحَـدٌ لِذَاكَ أَصْـلًا لَـمْ يَقُـمْ

فيقول: أَكْرِم بالنبي ﷺ هذه صيغة تعجب: يعني أكْرِم بخُلقه يعني ما أكرم خُلق النبي ﷺ، كان خُلقه أكرم الأخلاق عليه الصلاة والسلام.

(خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) خلقه القرآن ﷺ كما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قال: «كان خُلقه القرآن».

وهنا فسّر المؤلف معنى (خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) فقال: فهو يغضب لما يُغضِب الله سبحانه وتعالى مُنَزِّل القرآن، فهو يغضب لما يُغضِب الله سبحانه وتعالى مما ذكر الله في القرآن أنه يُغضِب الله تعالى.

و(يَرْضَى بِمَا يَرْضَاهُ) يرضى بما أخبرنا الله جل وعلا أنه يرضاه في القرآن الكريم.

فمعنى (خُلُقُهُ الْقُرْآنُ) يعني أن كل ما أمر الله جل وعلا به وبيّن لنا أنه يحبه ويرضاه سبحانه وتعالى من

الأخلاق في كتابه الكريم فكان النبي ﷺ أعظم الناس اتصافًا به، أكمل الناس اتصافًا به.

وكل خلق نهانا الله ﷻ عنه في القرآن الكريم وبيّن ﷻ أنه مما يُغضبه فكان النبي ﷺ أبعد الناس عن هذه الأمور التي أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنها مما يُغضِب الله تعالى ولا يُرضيه.

ثم ذكر من صفة النبي ﷺ أنه كان لا يغضب لنفسه ﵊ (لَيْسَ يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ) فكثيرًا ما أوذي النبي ﷺ وكان يعفو عمّنْ آذاه ﷺ يعني في نفسه. في مواقف كثيرة: لما جاء ملك الجبال وقال: لو شئت أطبقت عليه الأخشبين، وكان أهل مكة قد آذوا النبي ﷺ وأهل الطائف رجموه بالحجارة ﷺ حتى جرحوا قدميه ﷺ، ومع ذلك قال: «أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله» وعفا عنهم ﵊.

ثم لما فتح مكة- كما سيأتينا إن شاء الله- قال لقريش: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» مع أنهم آذوه ﵊، وآذوا أصحابه ﵃، ومع ذلك عفا عنهم النبي ﷺ وهو قادر عليهم.

فكان لا يغضب لنفسه ﵊، وهذا من كمال خُلقه ﵊، ولكن إذا انتُهكت محارم الله ﷻ لم يقم لغضبه أحد، يقول: (فَأَحَدٌ لِذَاكَ أَصْلًا لَمْ يَقُمْ) يعني فينتقم لله ﷻ ولا يقوم أحد لغضب النبي ﷺ.

فجاء: أنه إذا انتُهكت حُرمة الله كان أشد الناس غضبًا لله ﷻ وهذا من تعظيمه لله ﷻ ولأمره ﷻ.

٤- بَعَثَـــهُ الرَّحْمَـــنُ بِالإِرْفَـــاقِ   كَيْمَـــا يُتِـــمَّ صَالِـــحَ الأَخْـــلاَقِ

(بَعَثَهُ الرَّحْمَنُ بِالإِرْفَاقِ) يعني بعثه الله ﷻ بالرفق فكان النبي ﷺ يحث على الرفق،

وقال ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزِع الرفق من شيء إلا شانه» وقال عليه السلام: «إن الله رفيق يحب الرفق»، وقال ﷺ: «إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم الرفق» تصبح المعاملات بين أهل البيت برفق، ليس فيها شجار ولا نزاع ولا شقاق، وإنما الأمور تتم برفق يعني بِيُسْر وسهولة وتسامح من الناس، فكان النبي ﷺ يحب الرفق ويوصي به، والله جل وعلا بعثه بالرفق.

(كَيْمَا يُتِمَّ صَالِحَ الأَخْلاَقِ) يقول عليه السلام: «إنما بُعثتُ لأتمم صالح الأخلاق»، وفي رواية: «لأتمم مكارم الأخلاق»؛ قالوا: معنى هذا أنه كانت توجد بعض الأخلاق الحسنة عند العرب في الجاهلية فما كان عندهم من أخلاق حسنة أقرّهم النبي ﷺ عليها، وجاء ليُتممها ويُكملها عليه السلام وما كان عندهم من أخلاق ذميمة جاء لتحذيرهم منها ونهيهم عنها عليه السلام.

٥- أَشْــجَعَهُمْ فِي مَوْطِــنٍ وَأَنْجَدَا ... وَأَجْـوَدَ النَّـاسِ بَنَانًـا وَيَـدَا

٦- مَا سِيْلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ: «لاَ» ... وَلَيْسَ يَـأْوِي مَـنْزِلًا إِنْ فَضَلاَ

٧- مِمَّـا أَتَى دِرْهَـمٌ اوْ دِيْنَـارُ ... حَـتَّى تُرِيْـحَ مِنْهُمَـا الأَقْـدَارُ

يقول: (أَشْجَعَهُمْ فِي مَوْطِنٍ) كان النبي ﷺ أشجع الناس، وأنجد الناس من النجدة: وهي إغاثة الملهوف ونُصرة المظلوم، فكان أشجع الناس وأنجد الناس، أنجد الناس: يعني أكثر الناس نجدةً، ومساعدةً لمَنْ استنجد به يطلب مساعدته في دفْع ظلم عنه وفي نُصرته، فحتى قبل بعثة النبي ﷺ كان النبي ﷺ كان ممَّنْ شهد حِلفًا في الجاهلية في دار ابن جدعان، يسمى حلف الفضول، «وَكَانَ حِلْفُ الْفُضُولِ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ وَأَشْرَفَهُ فِي الْعَرَبِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ: الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَكَانَ سَبَبُهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْ زُبَيْدٍ قَدِمَ مَكَّةَ بِبِضَاعَةٍ فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ فَحَبَسَ عَنْهُ حَقَّهُ، فَاسْتَعْدَى عَلَيْهِ الزُّبَيْدِيُّ الْأَحْلَافَ: عبد الدَّار، ومخزومًا، وجمحًا وَسَهْمًا وَعَدِيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَأَبَوْا أَنْ يُعِينُوا عَلَى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَزَبَرُوهُ - أَيِ انْتَهَرُوهُ - فَلَمَّا رَأَى الزُّبَيْدِيُّ الشَّرَّ أَوْفَى عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقُرَيْشٌ فِي أَنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحَجَرِ
إِنَّ الْحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الْفَاجِرِ الْغُدَرِ

فَقَامَ فِي ذَلِكَ الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَالَ: مَا لِهَذَا مترَكٌ.

فَاجْتَمَعَتْ هَاشِمٌ وَزُهْرَةُ وَتَيْمُ بْنُ مُرَّةَ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، وَتَحَالَفُوا فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا بِاللهِ لَيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ حَقَّهُ مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، وَمَا رَسَا ثَبِيرٌ وَحِرَاءُ مَكَانَهُمَا، وَعَلَى التَّأَسِّي فِي الْمَعَاشِ.

فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْحلف حلف الفضول، وقالو: لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلَاءِ فِي فَضْلٍ مِنَ الْأَمْرِ.

ثُمَّ مَشَوْا إِلى الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ فَانْتَزَعُوا مِنْهُ سامة الزُّبَيْدِيِّ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ.»[١]

فكان النبي ﷺ أنجد الناس وأشجع الناس.

---

[١] السيرة النبوية لابن كثير: جـ١، صـ٢٥٧.

ومن شجاعة النبي ﷺ: أنهم كانوا إذا حمي الوطيس يحتمون بالنبي ﷺ في المعارك والغزوات، وكان يشهد النبي ﷺ الغزوات بنفسه عليه السلام وخرج بنفسه الشريفة في سبع وعشرين غزوة، يقاتل في سبيل الله، خروجه للغزوة هذا من الشجاعة.

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ.

وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا» قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ إِنَّهُ لَبَحْرٌ» قَالَ: وَكَانَ فَرَسًا يُبَطَّأُ.»[١]

فهنا النبي ﷺ عرّض نفسه ﷺ لمخاطرة.. لكن لشجاعته ﷺ وإقدامه كان أول مَنْ ذهب يستطلع هذا الخبر بنفسه عليه السلام.

يقول: (وَأَجْوَدَ النَّاسِ بَنَانًا وَيَدًا) (أَجْوَدَ النَّاسِ بَنَانًا) البنان هو الإصبع، وأجود الناس يدًا: يعني أكرمهم، فيُكنَى باليد عن الكرم والسخاء؛ لأن اليد هي آلة الإنفاق.

قال: (مَا سِيلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ: «لَا») ما سيل: ما سُئل، قال: (مَا سِيلَ قَطُّ حَاجَةً فَقَالَ: «لَا») عليه السلام، يعني من كرم النبي ﷺ أنه ما سُئل قط حاجةً فقال: لا، عليه السلامكان لا يقول: (لا) قط ﷺ لسائل.

وإذا سئل شيئًا ، ولم يكن عنده وعد السائل خيرًا.

وقد توفي النبي ﷺ وبقيت بعض الوعود التي وعدها النبي ﷺ لبعض الناس، وتوفي

---

[١] متفق عليه: البخاري٢٩٠٨ ومسلم٢٣٠٧.

قبل إنجازها ﷺ، فلما ولي أبو بكر الخلافة رضي الله عنه نادى في الناس وقال: مَنْ كانت له عِدة عند رسول الله ﷺ فليأتني، أي شخص وعده النبي ﷺ أن يعطيه شيئًا فليأتني.

فلم يأتِ أحد يزعم أن رسول الله ﷺ وعده بشيء إلا أعطاه إياه، وكان ممَّنْ جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه جابر رضي الله عنه فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ قَدْ أَعْطَيْتُكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا»، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ البَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ، فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي: كَذَا وَكَذَا، فَحَثَا لِي حَثْيَةً، فَعَدَدْتُهَا، فإذا هِيَ خَمْسُ مِائَةٍ، وَقَالَ: خُذْ مِثْلَيْهَا.»[١]

وعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا»، أَتَدْرُونَ مَا البُرْدَةُ؟ قَالُوا: الشَّمْلَةُ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدِي فَجِئْتُ لِأَكْسُوكَهَا، «فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ»، فَحَسَّنَهَا فُلاَنٌ، فَقَالَ: اكْسُنِيهَا، مَا أَحْسَنَهَا! قَالَ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ، وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لاَ يَرُدُّ، قَالَ: إِنِّي وَاللهِ، مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهُ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.»[٢]

٦- .... وَلَيْسَ يَـأْوِي مَـنْزِلًا إِنْ فَضَلَا

٧- مِمَّـا أَتَى دِرْهَـمٌ اوْ دِينَـارُ حَـتَّى تُرِيـحَ مِنْهُمَـا الأَقْـدَارُ

يقول: إذا جاءت أموال الصدقات، والغنائم إلى النبي ﷺ، لا يستريح، ولا يأوي إلى منزل حتى يُفرّق هذه الأموال، (حَتَّى تُرِيحَ مِنْهُمَا الأَقْدَارُ) يعني حتى يستريح النبي

---

[١] صحيح البخاري٢٢٩٧.

[٢] صحيح البخاري ١٢٧٧.

ﷺ بقدر الله ﷻ من هذه الدراهم والدنانير فكانت تؤرقه ﷺ، لا يستريح حتى يُفرّقها ولا يبقى عنده شيء منها.

وجاء هذا في صحيح البخاري «**عَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إلى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، فَقَالَ: «ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**»[١]

فقالوا: هذا لا يُخِل بالخشوع في الصلاة؛ لأنه تفكُّر في الخير، الذي يُخِل بالخشوع هو التفكير في أمور الدنيا، لكن النبي ﷺ فكّر في أمر تفريق الصدقات، وكان مشغول البال في الصلاة بصدقات يريد أن يُفرّقها فقالوا: هذا لا يُخِلّ بالخشوع في الصلاة.

فقال: «ذكرتُ شيئًا من تِبْر في الصلاة فكرهت أن يحبسني» فذهب النبي ﷺ فأتى به وفرّقه ﷺ.

٨- أَصْدَقُ لَهْجَةٍ، وَأَوْفَى ذِمَّةً أَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً فِي الأُمَّةْ

يقول: كان ﷺ أصدق الناس لهجة، يعني كان أصدق الناس كلامًا ﷺ، صدْق اللهجة يأتي بمعنى صدْق الكلام، ويأتي أيضًا بمعنى صفاء السريرة،، وعدم الغش المخادعة ، فالنبي ﷺ لا يخادع الناس، ولا يخالف ظاهره باطنه؛ فهو صادق اللهجة ﷺ- ما يتكلم به يتكلم بالصدق ﷺ حتى كان أهل مكة يلقبونه قبل بعثته بالصادق الأمين.

(أَصْدَقُ لَهْجَةٍ، وَأَوْفَى ذِمَّةْ) الذمة: هي العهد والأمان، يعني إذا عاهد أحدًا عهدًا أو

[١] صحيح البخاري٨٥١.

أعطاه أمانًا، فهو أوفى الناس بذمته وعهده ﷺ لا يغدر - ﷺ- ولا يخون عهدًا.

و(أَلْيَنُهُمْ عَرِيْكَةً) ﷺ.. يعني أحسنهم معاشرة، وتواضعًا يقال: فلان ليّن العريكة بمعنى: متواضع، قليل النفور والخلاف، يعني لا يحب أن ينافر جليسه، ويخالفه في الكلام، ويتواضع لجلسائه ﷺ.

٩- أَكْرَمُهُمْ فِي عِشْرَةٍ، لاَ يَحْسِبُ جَلِيْسُهُ أَنَّ سِوَاهُ أَقْرَبُ

كان النبي ﷺ أكرم الناس عِشْرة، العِشرة بمعنى: المعاشرة والمصاحبة فكان كريم العِشرة ﷺ حَسن العشرة لأصحابه ﷺ يُحسِن إليهم ويعاملهم بالوفاء، يعني: مَنْ صنع معروفًا، أو فعل شيئًا جميلًا يذكره له النبي ﷺ.

قال: (لاَ يَحْسِبُ جَلِيْسُهُ أَنَّ سِوَاهُ أَقْرَبُ) يعني كل واحد من جلساء النبي ﷺ يحسب أنه أقرب الناس إلى النبي ﷺ؛ لما يخص به النبي ﷺ كل واحد من جلسائه من العناية والاهتمام والتقريب، فكل واحد من الجلساء يشعر أنه له اختصاص بالنبي ﷺ، وله منزلة خاصة عنده ﷺ.

١٠- (حَيَاؤُهُ) يَرْبُو عَلَى الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، لِشِدَّةِ الْحَيَاءِ

من أخلاقه ﷺ الكريمة: خُلق الحياء؛ فكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، والعذراء: هي الفتاة التي لم تتزوج، في خدرها: يعني في بيتها، التي لا تُكثِر الخروج من البيت، ومخالطة الناس، فهذه تكون من صفاتها الحياء، فالنبي ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ﷺ.

ومما يُذكر في هذا: «**حديث عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْ حَيْضَتِهَا؟ قَالَ: فَذَكَرَتْ أَنَّهُ عَلَّمَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرُ بِهَا.**

قَالَتْ: كَيْفَ أَتطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا سُبْحَانَ اللهِ!» وَاسْتَتَرَ - وَأَشَارَ لَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ بِيَدِهِ عَلَى وَجْهِهِ - قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاجْتَذَبْتُهَا إِلَيَّ وَعَرَفْتُ مَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ.»[١] قال:

١١- نَظَرُهُ لِلأَرْضِ مِنْهُ أَكْثَرُ ... إِلَى السَّمَاءِ، خَافِضٌ إِذ يَنْظُرُ

يقول: كان النبي ﷺ نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء، وربما جاء ذِكْر وحدانية الله ﷻ فيشير بأصبعه السبابة إلى السماء، ويرفع بصره إلى السماء أحيانًا في الحديث، لكن في مشيه وجلوسه كان نظره إلى الأرض ﷺ أكثر منه إلى السماء.

يقول: (خَافِضٌ إِذ يَنْظُرُ) يعني لا يثبت بصره في وجه أحد؛ لحيائه عليه الصلاة والسلام قالوا: كان من حيائه ﷺ إذا حدّث أحدًا أنه لا يُثبِت بصره في وجه مُحدِّثه عليه الصلاة والسلام وهذا من كمال الحياء، أما في الغرب فعندهم: من آداب الحديث الحملقة في وجه المُحدِّث سواء كان رجلًا أم امرأة، وهذا من قِلّة حيائهم، لكن من حياء النبي ﷺ: أنه لا يُدقق النظر في وجه المُحدِّث وإنما يلتفت إلى مُحدِّثه، لكن يكون خافضًا بصره إلى الأرض في أكثر الوقت.

١٢- أَكْثَرُهُمْ تَوَاضُعًا، يُجِيبُ ... دَاعِيَهُ: بَعِيدٌ اوْ قَرِيبُ

١٣- مِنْ عَبْدٍ اوْ حُرٍّ، فَقِيرٍ أَوْ غَنِي ... وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنِ

كان النبي ﷺ أكثر الناس تواضعًا عليه الصلاة والسلام، وقد خُيّر النبي ﷺ أن يكون ملكًا نبيًّا أو عبدًا رسولًا، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا عليه الصلاة والسلام.

وكان عظيم التواضع عليه الصلاة والسلام فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ،

---

[١] متفق عليه: البخاري ٣١٤ ومسلم ٣٣٢.

فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»[١] القديد: هو اللحم المجفف، المملح؛ لأن الأغنياء كانوا يذبحون ويأكلون اللحم الطازج يوميًّا، ولكن يقول النبي ﷺ: «إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة».

وكان يقول ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد».

ويقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، إنما أنا عبد الله ورسوله» عليه الصلاة والسلام.

وكان ﷺ أيضًا كما جاء في صفته: كان لا يُنَفَّر الناس بين يديه، ولا يقال: إليك، إليك؛ لا يُنَفّر الناس: حتى في حجة الوداع، ومعه أكثر من مائة ألف من الحجاج، لا يُنَفّر الناس بين يديه، ولا يقال: إليك إليك.. يعني ما كان أحد يمشي يُفسِح الطريق للنبي ﷺ ويُوسّع الناس بين يديه.

وكما مر بنا في أحداث الهجرة لما قدِم النبي ﷺ كان لا يُعرَف من أبي بكر، يعني ليس عليه ثياب مميزة، ولا له طقوس معينة، ولا كرسي مميز، وشكل مميز، وملابس مميزة، وإنما يجلس إذا جلس مع الناس ﷺ متواضعًا.

فكان أكثر الناس تواضعًا عليه الصلاة والسلام.

(**يُجِيْبُ دَاعِيَهُ**) يعني يجيب مَنْ دعاه إلى طعام ونحوه، فكان النبي ﷺ لا يتكبر عن إجابة دعوة مَنْ دعاه، فلا يرد دعوة شخص؛ لأنه فقير مثلًا، فكان ﷺ يجيب مَنْ دعاه من عبد أو حر، فقير أو غني، وكان يقول ﷺ: «لو دُعيت إلى ذراع لأجبت، ولو دُعيت إلى كُراع لأجبت» والذراع كان أحب الشاة إلى النبي ﷺ، والكراع هو أردأ لحم الشاة،

---

[١] سنن ابن ماجه ٣٣١٢.

فقال: «لو دُعيت إلى ذراع لأجبت، ولو دُعيت إلى كُراع لأجبت».

ودعاه مرة رجل يهودي إلى خبز وإهالة سَنخة، وإهالة سنخة أي: دهن سنخ وهو متغير الرائحة من طول مُكثه، فالرجل كان يهوديًّا فقيرًا ودعا النبي ﷺ إلى خبز ودهن متزنخ متغير الرائحة، فأجاب دعوته، لبّى دعوته ﷺ وأكل من طعامه عليه الصلاة والسلام.

(وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنِ) كان النبي ﷺ أرحم الناس بكل مؤمن عليه الصلاة والسلام ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] كما وصفه ربه ﷻ فكان رحيمًا بالمؤمنين عليه الصلاة والسلام.

.... وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِكُلِّ مُؤْمِنِ

١٤- وَطَائِفٍ يَعْرُوهُ حَتَّى «الْهِرَّةْ» يُصْغِي لَهَا الإِنَاءَ غَيْرَ مَرَّةْ

يقول: كان أرحم الناس بالمؤمنين، وأرحم الناس بكل طائف (يَعْرُوهُ) يعني يقصده، فكان أرحم الناس بمَنْ طاف به يقصده يلتمس حاجة منه.

يقول: (حَتَّى «الْهِرَّةْ») كان رحيمًا حتى بالهرة إذا قصدت النبي ﷺ تريد طعامًا، فإذا جاءت الهرة (يُصْغِي لَهَا الإِنَاءَ) يكون النبي ﷺ معه إناء من لبن يشرب فتأتي الهرة فيُقرّب لها الإناء ويدنيه لها حتى تشرب الهرة ويشرب من أثرها عليه الصلاة والسلام، وكان يقول: «إنها من الطوافين عليكم والطوافات».

فقوله: (غَيْرَ مَرَّةْ) يعني في مرات كثيرة، كل مرة تأتي هرة إلى النبي ﷺ تلتمس طعامًا كان يصغي لها الإناء؛ حتى تشرب لرحمته عليه الصلاة والسلام.

وكان يقول: «في كل ذات كبد رطبة أجر» أي: حيوان له كبد يعني أي كائن حي إذا أطعمه الإنسان وسقاه له أجر بإطعامه وسقياه.

١٥- كَانَ أَعَفَّ النَّاسِ، لَيْسَ يُمْسِكُ   أَيْدِي مَنْ لَيْسَ لَهُنَّ يَمْلِكُ

١٦- يُبَايِعُ النِّسَاءَ لَا يُصَافِحُ   أَيْدِيَهُنَّ، بَلْ كَلَامٌ صَالِحُ

من أخلاق النبي ﷺ خُلق العفة؛ (كَانَ أَعَفَّ النَّاسِ) عليه الصلاة والسلام يتعفف عمّا حرّم الله سبحانه وتعالى ويقول هنا: (لَيْسَ يُمْسِكُ أَيْدِيَ مَنْ لَيْسَ لَهُنَّ يَمْلِكُ) يعني لا تمس يده يد امرأة لا تحل له، يعني ليست ملك يمينه ولا زوجته، فكان ﷺ لا تمس يده امرأة لا تحل له عليه الصلاة والسلام.

وعندما كان يبايع النساء كان لا يصافحهن، يعني كان يبايع الرجال بالمصافحة، لكن في مبايعة النساء كان لا يبايعهن بالمصافحة وإنما بالكلام، من غير مصافحة؛ وهذا من عفته عليه الصلاة والسلام.

١٧- أَشَدُّهُمْ لِصَحْبِهِ إِكْرَامًا   لَيْسَ يَمُدُّ رِجْلَهُ احْتِرَامًا:

١٨- بَيْنَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ   رُكْبَتَهُ عَلَى الْجَلِيْسِ يُكْرِمُ

يقول: كان النبي ﷺ أشد الناس (لِصَحْبِهِ إِكْرَامًا) ومن ذلك أنه كان لا (يَمُدُّ رِجْلَهُ) كان من كرم أخلاقه ﷺ أنه لا يمد رجله بين جلسائه عليه الصلاة والسلام.

(وَلَمْ يَكُنْ يُقَدِّمُ رُكْبَتَهُ عَلَى الْجَلِيْسِ) لا يتقدم عن جلسائه وإنما يجلس معهم في الصف الذي يجلسون فيه عليه الصلاة والسلام.

فجاء في الحديث أنه كان ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يُخرِج شيئًا من أطرافه إكرامًا واحترامًا لهم عليه الصلاة والسلام.

١٩- فَمَنْ بَدِيْهَةً رَآهُ هَابَهُ   طَبْعًا، وَمَنْ خَالَطَهُ أَحَبَّهُ

كان من صفة النبي ﷺ أنه مَنْ رآه بديهةً هابه، ومَنْ خالطه عِشرةً أحبه عليه الصلاة والسلام، الذي

يرى النبي ﷺ لأول مرة يهاب النبي ﷺ يعني يقع في صدره هيبة للنبي ﷺ، مثل هذا الرجل الذي أصابته رِعدة لما رأى النبي ﷺ لأول وهلة.

لكن مَنْ خالط النبي ﷺ عِشرةً: الذي يعاشر النبي ﷺ ويخالطه يحبه عليه الصلاة والسلام، فهذا الخوف الذي حصل من رؤيته لأول مرة يذهب بمخالطة النبي ﷺ، عندما يرى من تواضعه ومن كرم أخلاقه عليه الصلاة والسلام.

٢٠- (يَمْشِي) مَعَ الْمِسْكِيْنِ وَالأَرْمَلَةِ ... فِي حَاجَـةٍ، مِنْ غَـيْرِ مَـا أَنَفَةِ

فكان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام: أنه (يَمْشِي مَعَ الْمِسْكِيْنِ وَالأَرْمَلَةِ) في حوائجهم، إذا جاءه مسكين يريد من النبي ﷺ أن يمشي معه في حاجة فربما أخذ بيده ومشى معه في سِكك المدينة لمصلحة لمسكين، ويمشي مع الأرملة التي تُوفي زوجها وبحاجة إلى مساعدة يمشي معها النبي ﷺ ومع الأمة. يعني لا يحمله كِبْر على السير مع هؤلاء كحال الملوك والجبارين، وإنما من تواضعه ﷺ أنه يسعى في حاجة الفقراء من عبيد وإماء ومساكين وأرامل، ولا يستنكف ﷺ أن يمشي معهم ويقضي لهم مصالحهم عليه الصلاة والسلام.

٢١- يَخْصِـفُ نَعْلَهُ، يَخِيْـطُ ثَوْبَهُ ... يَحْلُـبُ شَـاتَهُ، وَلَـنْ يَعِيْبَـهُ

٢٢- يَخْـدُمُ فِي مِهْنَـةِ أَهْلِهِ، كَمَا ... يَقْطَـعُ بِالسِّـكِّيْنِ لَحْمًـا قُدِّمَا

فيقول: كان النبي ﷺ (يَخْصِفُ نَعْلَهُ) يعني يخرزها أو يُصلِحها، إذا انقطعت نعله ﷺ وكانت بحاجة إلى إصلاح،كان لا يتكبر ﷺ عن إصلاح نعله بنفسه عليه الصلاة والسلام.

و(يَخِيْطُ ثَوْبَهُ) يعني يرقع ثوبه، إذا انشق ثوبه ﷺ واحتاج إلى إصلاح، أو ترقيع، أو خياطة، فكان يخيطه عليه الصلاة والسلام. (يَحْلُبُ شَاتَهُ) من الأمور التي كان يعملها بنفسه ﷺ حلْب الشاة، فكان يحلب شاته بنفسه عليه الصلاة والسلام.

(وَلَنْ يَعِيبَهُ) يعني لا يعيبه ذلك ﷺ بل هو من تواضعه وكرم أخلاقه ﷺ.

٢٢- يَخْـدُمُ فِي مِهْنَـةِ أَهْلِهِ، كَمَا ... يَقْطَـعُ بِالسِّـكِّيْنِ لَحْمًـا قُدَّمَا

(يَخْدُمُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ) أو مَهْنة أهله، في مَهنة أهله يعني في خدمة أهله، فقالوا: مثل تقطيع اللحم بالسكين، يعني كان يتولى ﷺ بعض الأعمال في المنزل يساعد بها أهله ﷺ مثل: تقطيع اللحم بالسكين ﷺ فكان يساعدهم في هذا الأمر.

٢٣- يُـرْدِفُ خَلْفَـهُ عَلَى الْحِمَارِ ... عَلَى إِكَافٍ، غَـيْرَ ذِي اسْـتِكْبَارِ

فكان النبي ﷺ يُردف خلفه يعني يُركِب خلفه أصحابه، أو خادمه، أو أقاربه، يُركبهم خلفه ﷺ على الحمار- ﷺ-.

فهناك عدة أحاديث عن الصحابة يذكر أحدهم أنه كان رديف النبي ﷺ، أو رِدْف النبي ﷺ مثل معاذ وعبد الله بن عباس، عبد الله بن عباس رضي الله عنه في حديث «احفظ الله يحفظك» قال: «كنت رديف النبي ﷺ يومًا على دابة فقال: يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك».

ومعاذ أيضًا كان مرة رديف النبي ﷺ على حمار فقال له النبي ﷺ: «يا معاذ، ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»..

فكان النبي ﷺ ربما أردف خلفه ﷺ، وهذا من التواضع، أنه لا يتكبر النبي ﷺ أن يُركِب معه غيره ﷺ على نفس الدابة، لا يتكبر عن هذا ﷺ.

وكذلك لما مرّ النبي ﷺ بأسماء بنت أبي بكر، وكانت على بُعد ميل أو أكثر من المدينة، وتحمل النوى معها، حمولة من النوى كانت تجلبها من أرض زوجها الزبير، كانت تعلف الفرس، فكان معها حِمْل والمسافة بعيدة بينها وبين المدينة، ورآها النبي

ﷺ ومعه أصحابه، كان النبي ﷺ ومعه أصحابه على دوابهم ورأوا أسماء تمشي على رجلها، فأناخ النبي ﷺ ناقته وأشار إليها أن تركب على الدابة، قالت: فذكرتُ غيرة الزبير فاستحييت، ذكرت أن الزبير يغار وربما لو علم أنها ركبت مع النبي ﷺ على الدابة، فاعتذرت للنبي ﷺ وواصلت الطريق مشيًا.

فالشاهد: أن النبي ﷺ إذا ركب الدابة ومعه متسع في الدابة لركوب شخص خلفه، ومرّ في الطريق بمَنْ يحتاج إلى ركوب أركبه معه عليه الصلاة والسلام.

يقول: (عَلَى إكَافٍ، غَيْرَ ذِي اسْتِكْبَارِ) الإكاف: هي البرذعة، و هي ما يوضع على الحمار أو البغل؛ ليُركَب عليه، فكان يُردِف معه أحيانًا على نفس الإكاف إذا كان كبيرًا يتسع لشخصين فيركب النبي ﷺ ويُردف شخصًا خلفه.

٢٤- يَمْشِي بِلاَ نَعْلٍ وَلاَ خُفٍّ إِلَى عِيَادَةِ الْمَرِيْضِ حَوْلَهُ الْمَلاَ

كان النبي ﷺ يمشي حافيًا أحيانًا عليه الصلاة والسلام وهذا من تواضعه ﷺ.

وربما مشى حافيًا إلى المريض؛ ليعوده، و(حَوْلَهُ الْمَلاَ) كان النبي ﷺ محشودًا، يعني دائمًا إذا توجه إلى مكان يكون معه رفقة، الصحابة رضي الله عنهم ينتظرون خروج النبي ﷺ من بيته لذهابه إلى أي مكان، ويغتنمون الفرصة ويصحبونه ﷺ في الطريق، فكان يذهب لعيادة المريض ﷺ وحوله الملأ من أصحابه الكرام.

٧- يُجَالِسُ الْفَقِيْرَ وَالْمِسْكِيْنَا وَيُكْرِمُ الْكِرَامَ إذ يَأْتُونَا

كان من خُلقه ﷺ أنه (يُجَالِسُ الْفَقِيْرَ وَالْمِسْكِيْنَا) يجالس الفقراء والمساكين ويُحسِن إليهم عليه الصلاة والسلام ولا يتكبر عن مجالستهم، وفي نفس الوقت كان يُكرِم الكريم، يُكرم وجهاء القبائل ورؤساء العشائر من ملوك العرب، فكان النبي ﷺ يُكرمهم أيضًا ويخصهم

بإكرام، فكان يقول ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه».

وكان من صفاته ﷺ أنه يُكرِم كبير كل قوم ويوليه عليهم، ويُهدي إليه الهدايا العظيمة.

ففي غزوة حنين أعطى النبي ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الإبل، الأقرع بن حابس هذا كان سيد بني تميم، فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل.

وعيينة بن حصن الفزاري كان زعيم قبيلة فزارة، أعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل.

فكان معه في غزوة حنين أربعة من شيوخ القبائل، فأعطى النبي ﷺ هؤلاء الأربعة كل واحد منهم مائة من الإبل، فأكرمهم، وعاملهم بما لا يعامل به آحاد الناس؛ لعلمه ﷺ أن إكرام هؤلاء إكرام لقبائلهم، وهؤلاء إذا أسلموا وحسُن إسلامهم تبعتهم قبائلهم، فكان يخصهم بالإكرام؛ لأن غرضه ﷺ نشْر الدين، وليس غرضه أن يحوز أموالهم، ولا أن يتسلط عليهم، وإنما غرضه ﷺ أن يدخلوا في الدين، ولا يهم مَنْ الذي يكون رئيسهم، المهم أن يدخلوا في الإسلام، وهذه السياسة الحكيمة من النبي ﷺ شجعت رؤساء القبائل وملوك العرب على الدخول في الإسلام لعلم أحدهم أنه إذا أسلم سيظل ملكًا على قومه، وستظل له مكانته، فهذا من حُسْن سياسة النبي ﷺ، وحُسْن إدارته.

فلو أن ملكًا من الملوك يعلم أنه إذا أسلم عُزِل من الملك، وأُخِذت منه أمواله، وصار مثل آحاد الناس، وليس له خصوصية ولا احترام، لنَفّره ذلك عن الدين، فكان النبي ﷺ يُكرِم هؤلاء الكبراء، ويُحسِن إليهم ويخصهم بعطايا كبيرة ويوليهم على أقوامهم عليه الصلاة والسلام.

حتى في المخاطبات، النبي ﷺ لما بعث الرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام كان يكتب: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، فقوله: (عظيم الروم) مع أنه

كافر ومشرك بالله ﷻ لكن مع ذلك النبي ﷺ سماه (عظيم الروم)، فهو عظيم عند قومه، وهذا ليس فيه شيء يخالف الحق، فهو عظيم الروم، يعني: هو كبيرهم وعظيمهم، هم يُعظّمونه، فيُلقّبه بألقاب فيها إكرام له ويدعوه إلى الإسلام.

٢٦- لَيْسَ مُوَاجِهًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهْ جَلِيْسُـــهُ، بَــلْ بِالرِّضَــا يُوَاجِهُهْ

يعني الشيء الذي يكرهه جليسه لا يواجهه به ﷺ فكان إذا أساء شخص، وأراد أن ينصحه النبي ﷺ يُعرّض بالنصيحة، فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فإذا بلغه عن أحد ما يكره، وكان حاضرًا في وسط القوم جعل الموعظة عامة، ولم يخص بها أحدًا، ويقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» وينصح نصيحة عامة يسمعها المقصود بالنصيحة من ضمن الجلساء، لا يشعر أنه هو الذي وُوجه بالخطاب بشيء يكرهه.

(بَلْ بِالرِّضَا يُوَاجِهُهْ) يعني بل يواجه الناس بالرضا بالكلمة الطيبة.

٢٧- يَمْــزَحُ لاَ يَقُــولُ إلّا حَقَّــا يَجْلِـسُ فِي الأَكْلِ مَــعَ الأَرِقَّــا

كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًا ﷺ ومن المشهور من مزاحه ﷺ: أنه لما جاءته امرأة عجوز تسأله عن شيء، فقال لها النبي ﷺ: «أما علمتِ أنه لا يدخل الجنة عجوز؟» فبكت المرأة، فضحك النبي ﷺ وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨﴾[الواقعة: ٣٥-٣٨].

يعني سوف يعيد الله ﷻ إنشاءها، وتصبح شابة بكرًا، يعني لا تدخلها عجوزٌ على حالها، ولكن سيعيد الله إنشاءها.

كذلك قال النبي ﷺ لامرأة يومًا قال: «أليس زوجك الذي في عينه بياض؟» يسألها: مَنْ زوجها، فقال: «أليس زوجك الذي في عينه بياض؟» قالت: ليس في عينه بياض،

فقال النبي ﷺ: «بلى، في عينه بياض»..

فرجعت المرأة إلى زوجها تنظر في عينه وتقول: النبي ﷺ يقول: في عينك بياض، فقال: كل إنسان في عينه بياض، يعني هي حسبت البياض إن سواد العين أبيض، لكن هو النبي ﷺ يقصد بياض العين.

فكان هذا من ملاطفته عليه الصلاة والسلام.

وكان رجل من الصحابة رضي الله عنهم اسمه زاهر، رآه النبي ﷺ في السوق فأمسك به من الخلف وقال: «مَنْ يشتري هذا العبد؟» فقال: إذًا تجدني والله يا رسول الله كاسدًا، قال: «لكنك عند الله لست بكاسد».

كان النبي ﷺ ربما نادى بعض أصحابه يا ذا الأذنين كل واحد عنده أذنين، فكان من مزاحه عليه الصلاة والسلام.

إلى غير ذلك يعني من مزاح المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكرم عشرته، وحُسْن خُلقه عليه الصلاة والسلام.

المزاح بالكذب هذا طبعًا مُحرّم، المزاح بالكذب هذا من الأمور المحرمة سواء قل أو كثُر يعني؛ فالنبي ﷺ قال: «ويل للذي يكذب الكذبة ليُضحِك الناس».

لكن المزاح الذي بالحق فهذا يُشرَع على ألا يُكثِر منه بحيث يغلب على الإنسان ويصبح حياته كلها عبث ولهو، لكن هو مثل الملح للطعام؛ إذا كثُر أضرّ وآذى.

قال: (يَجْلِسُ فِي الأَكْلِ مَعَ الأَرِقَّا) كان النبي ﷺ يجلس في الأكل مع الأرقاء يعني مع العبيد، ولا يستنكف ﷺ كحال المتكبرين الذين لا يحبون أن يجلس معهم في الأكل الفقراء، ويتميزون في الجلوس عنهم، لكن النبي ﷺ كان يجلس مع الفقير ومع العبد ومع غيره، ويأكل معهم عليه الصلاة والسلام.

بل كان يقول ﷺ: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ** »[١].

وفي رواية: « **يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»[٢].

فكان يصف هذا الطعام بأنه شر الطعام: أن الإنسان يعمل دعوة ويخص الأغنياء ويمنع الفقراء من الأكل من طعامه.

وكان يقول: « يُدعى إليها مَنْ يأباها» بعض الناس يتعمد دعوة الأغنياء الكبراء الذين هم مشغولون، وما عندهم وقت ولا رغبة في حضورها، فيريد المفاخرة مثلًا بأنه حضر له الوجيه الفلاني والرئيس الفلاني، فيُدعَى إليها مَنْ يأباها، ويُمنَع منها مَنْ يأتيها.

والفقراء الذين هم بحاجة إلى طعام مثلًا، ويسمعون أن فلانًا عنده طعام فيأتون للأكل، يُمنعون من الحضور والأكل.

طبعًا لا مانع أن الإنسان يدعو أصدقاءه إلى طعام، لكن لا يكون قصْده أنه يخص الأغنياء فقط، وإنما يدعو أصدقاءه، وحتى إذا كانوا أغنياء، فهذا لا يضره في شيء إذا كانت الدعوة؛ لكونهم من صداقته أو من قرابته، لكن لا يتعمد الإنسان أن يخص الأغنياء ويبتعد عن الفقراء وعن مجالستهم، بل مجالسة المساكين والفقراء مما يُرقق قلب المسلم، ويُقلل من تعلقه بالدنيا، ويزيده رحمةً ورأفة.

---

[١] صحيح البخاري٥١٧٧.

[٢] صحيح مسلم١٤٣٢.

٢٨- يَـأْتِي إلى بَسَـاتِنِ الإخْوَانِ   يُكْرِمُهُـمْ بِذَلِـكَ الإتْيَـانِ

كان النبي ﷺ يذهب إلى بساتين إخوانه، أي: بساتين أصحابه من أصحاب البساتين، فكان النبي ﷺ ربما زار بعض أصحاب البساتين من أصحابه.

(يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ الإتْيَانِ) فكان النبي ﷺ، يُكرمهم بزيارته إياهم، وأكله من طعامهم ﷺ وكان أسعد يوم عندهم عندما يأتيهم النبي ﷺ زائرًا.

من ذلك قصة زيارته لأبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه، وهو رجل من الكرماء من الأنصار كان عنده بستان كبير ، «فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فإذا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فإذا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إذ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ»[١]

٢٩- قِيْـلَ لَهُ: يَدْعُـو عَلَى الْكُفَّارِ   دَوْسٍ وَغَيْرِهِـمْ مِـنَ الْفُجَّـارِ

[١] صحيح مسلم٢٠٣٨.

٣٠- فَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةْ وَلَيْسَ لَعَّانًا نَبِيُّ الرَّحْمَةْ»

٣١- بَلْ سَأَلَ: «اللهُمَّ فَاهْدِ دَوْسَا وَأْتِ بِهِمْ»، فَأَصْبَحُوا رُؤُوسَا

فيقول: (قِيلَ لَهُ: يَدْعُو عَلَى الْكُفَّارِ) يعني طُلب من النبي ﷺ أن يدعو على الكفار، وفي مرة طُلِب منه ﷺ أن يدعو على قبيلة دوس وكانوا مشركين، فقال النبي ﷺ: «اللهم اهد دوسًا وأتِ بهم مسلمين».

وقصة الحديث: أن الطفيل الدوسي رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن دوسًا قد هلكت، عصت وأبت، فادع الله عليهم، وكان الطفيل أسلم وذهب يدعو قومه دوسًا إلى الإسلام، ودوس قبيلة في جنوب الجزيرة العربية، ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه، فالطفيل ذهب يدعو قومه إلى الإسلام فأبوا أن يستجيبوا لدعوته، ولم يُسلِم أحد، فجاء إلى النبي ﷺ وقال: إن دوسًا هلكت وأبت الدخول في الإسلام، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوسًا وأتِ بهم».

فذهب إليهم الطفيل في المرة الثانية فإذا بهم قد أسلموا، وقدِم بهم بعد ذلك مسلمين على النبي ﷺ.

«وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[١].

يعني ما بُعثت للعن الناس، والدعاء عليهم بالطرد من رحمة الله، وإنما بُعثتُ رحمةً عليه الصلاة والسلام.

وهذا الأصل في هدْيه عليه الصلاة والسلام، لكن في بعض المواقف دعا على بعض المشركين؛ لشدة

[١] صحيح مسلم ٢٥٩٩.

جُرمهم وعظيم إجرامهم، مثل هؤلاء الذين غدروا بالقراء، جاؤوا للنبي ﷺ وزعموا أنهم يريدون الدخول في الإسلام، وطلبوا من النبي ﷺ أن يُرسِل معهم بعض القراء يُعلمونهم الإسلام، ويُقرؤونهم القرآن، وبعث معهم النبي ﷺ خيرة قراء الصحابة، فأخذوهم وغدروا بهم في الطريق وقتلوهم رضي الله عنهم، فدعا النبي ﷺ عليهم وقنت يدعو عليهم عليه السلام.

ففي مواقف معينة دعا النبي ﷺ على بعض مَنْ اشتد إجرامهم وأذاهم من المشركين، لكن الأصل أن النبي ﷺ يدعو لهم بالهداية، وما كان لعّانًا.

واللعّان: صيغة مبالغة، يعني الكثير اللعن.

يعني ما كان اللعن من طبعه عليه السلام لكن ربما دعا على بعض المشركين ﷺ في بعض المواقف.

٣٢- لَـمْ يَـكُ فَحَّاشًـا وَلاَ لَعَّانَا وَلاَ بَخِيْـلًا لاَ وَلاَ جَبَانَـا

لم يكن النبي ﷺ (**فَحَّاشًا**) من الفُحش وهو الكلام البذيء، الذي يُستحيا من ذِكْره، الكلام الذي فيه ذِكْر العورات، والكلام الذي فيه السب، فلم يكن النبي ﷺ فحّاشًا، وما كان يتكلم بالكلام الذي يُستحيا من ذِكْره، ولا كان لعّانا عليه السلام.

(**وَلاَ بَخِيْلًا لاَ وَلاَ جَبَانَا**) وهذا قاله النبي ﷺ لما فتح حُنين وغنِم النبي ﷺ أموالًا كثيرة في غزوة حنين «**فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ أَبَاهُ، أَخْبَرَهُ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، فَاضْطَرُّوهُ إِلى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَوَقَفَ، فَقَالَ:** « **رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخْشَوْنَ عَلَيَّ الْبُخْلَ؟ فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا**

جَبَانًا وَلَا كَذَّابًا»[١] يقول: لو كان عندي مثل هذا الشجر من الأنعام لقسمته بينكم وفرقته جميعًا بينكم، ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا عليه الصلاة والسلام.

٣٣- (يَخْتَارُ) أَيْسَرَ الأُمُورِ إذ مَا خُيِّرَ، إلّا أَنْ يَكُونَ إثْمَا

كان النبي ﷺ يختار أيسر الأمور ما لم يكن إثمًا كما في الصحيحين من حديث «عَائِشَةَ، قَالَتْ: «**مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ**»[٢]

٣٤- لَمْ يُرَ ضَاحِكًا بِمِلْءِ فِيْهِ ضَحِكُهُ تَبَسُّمٌ يُبْدِيْهِ

النبي ﷺ (لَمْ يُرَ ضَاحِكًا بِمِلْءِ فِيْهِ) ما كان يضحك النبي ﷺ ضحكًا بملء فيه عليه الصلاة والسلام الضحك: هنا هو القهقهة بملء الفم، وإنما كان ضَحِكَه تبسمًا عليه الصلاة والسلام.

قالوا: لكن ورد في بعض المواقف ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، النواجذ: هي الأضراس الخلفية. في مواقف قليلة نادرة ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه عليه الصلاة والسلام.

لكن طبعه العام عليه الصلاة والسلام، وهدْيه الغالب أنه كان ضَحِكه تبسمًا عليه الصلاة والسلام.

٣٥- يَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُ الْجَلِيْسُ مِنْهُ، فَمَا بِوَجْهِهِ عُبُوْسُ

٣٦- أَصْحَابُهُ إذ يَتَنَاشَدُوْنَا بَيْنَهُمُ الأَشْعَارَ، يَضْحَكُوْنَا

٣٧- وَيَذْكُرُوْنَ جَاهِلِيَّةً: فَمَا يَزِيْدُ أَنْ يَشْرَكَهُمْ تَبَسُّمَا

تكلم هنا عن بعض مكارم أخلاق النبي ﷺ وهدْيه الشريف عليه الصلاة والسلام.

---

[١] مسند أحمد ١٦٥٧٧.

[٢] البخاري ٦٧٨٦ ومسلم ٢٣٢٧.

فيقول: كان من هدْيه ﷺ أنه (يَعْجَبُ مِمَّا يَعْجَبُ الْجَلِيْسُ مِنْهُ) وجاء ذلك في حديث علي رضي الله عنه في سُنن الترمذي يَصِف النبي ﷺ قال: «كان يعجب مما يعجبون، ويضحك مما يضحكون» عليه الصلاة والسلام، يعني كان يشاركهم حديثهم عليه الصلاة والسلام، ويكون مُنصتًا لما يتكلمون به إذا ذكروا شيئًا عجيبًا، يُبدي تعجبه إذا ذكروا شيئًا مُضحكًا، يشاركهم النبي ﷺ.

(فَمَا بِوَجْهِهِ عُبُوْسُ) العبوس: هو تقطيب الوجه، كهيئة المكتئب أو الغاضب، فما كان العبوس من هدْي النبي ﷺ، ولكن كان من هدْيه ﷺ طلاقة الوجه، وأن يبدو عليه البِشر عليه الصلاة والسلام.

٣٦- أَصْحَابُـهُ إذ يَتَنَاشَـدُوْنَا بَيْنَهُـمُ الأَشْـعَارَ يَضْحَكُوْنَـا

كان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجلسون فيتناشدون الأشعار، ويتحدثون بأمر الجاهلية، يُخبرون عن الوقائع التي حصلت في الجاهلية قبل الإسلام، فكانوا يذكرون هذه الأمور ويضحكون منها، ويتبسم النبي ﷺ، فكان يشاركهم بالتبسم عليه الصلاة والسلام، ويستمع إلى ما يُنشدونه من الأشعار، وهذا من حُسْن خُلقه عليه الصلاة والسلام، وطِيب عِشرته عليه الصلاة والسلام.

فإذًا هدْي النبي ﷺ هو أكمل الهدْي، فليس هناك أحد أحرص على وقته، ولا أكثر حِرصًا على الخير من رسول الله ﷺ، ولكنه كان يحتسب الأجر في مؤانسة أصحابه وجُلسائه، هذا نفسه باب من أبواب الأجر، وهذه المجالس يُستعان بها على طاعة الله تعالى، فكان هذا من هدْي الرسول ﷺ.

٣٨- قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بِبَسْطِ الْخُلْقِ فَهُـمْ سَـوَاءٌ عِنْـدَهُ فِي الْحَـقِّ

٣٩- مَـا انْتَهَرَ الْخَـادِمَ قَطُّ فِيمَا يَأْتِيْـهِ، أَوْ يَتْرُكُـهُ مَلُوْمَـا

٤٠- فِي صُنْعِهِ لِلشَّيْءِ: «لِمْ صَنَعْتَهُ؟» وَتَرْكِـهِ لِلـشَّيْءِ: «لِـمْ تَرَكْتَهُ؟»

٤١- يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا» سُبْحَانَ مَنْ كَمَّلَهُ سُبْحَانَا

يقول: إن النبي ﷺ (قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بِبَسْطِ الْخُلْقِ) يعني بحُسن خُلقه ﷺ قد وسِع الناس جميعًا، وقد رُويَ عنه ﷺ أنه قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم حُسن الخلق وبسْط الوجه» يعني لا يستطيع أحد مهما كان ماله كثيرًا أن يسع الناس كلهم بهذا المال، ويُحسِن إلى الناس جميعًا بماله، ولكن يستطيع الإنسان أن يسع الناس جميعًا بحُسن خُلقه، وطلاقة وجهه، بشاشة وجهه، وحُسْن خُلقه يستطيع أن يسع الناس جميعًا.

فكان النبي ﷺ يسع الناس جميعًا ببسْط وجهه عليه الصلاة والسلام.

(فَهُمْ سَوَاءٌ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ) كان النبي ﷺ يعطي كل ذي حق حقّه، والناس جميعًا سواء في إعطائهم حقوقهم التي جعلها الله سبحانه وتعالى لهم.

لكن طبعًا هناك تفاوت في حقوق الناس، فهناك حق الزوجة والأولاد، وحق الجيران، وحق المسلم، وحق غير المسلم، فكان النبي ﷺ يعطي الناس جميعًا حقوقهم عليه الصلاة والسلام، كل بما كفل له الشرع.

يقول الناظم: إن النبي ﷺ (مَا انْتَهَرَ الْخَادِمَ قَطُّ) عليه الصلاة والسلام، وذلك كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: «خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط لشيء فعلته: لمَ فعلته، ولا لشيء تركته: لمَ تركته»، فأنس خدم النبي ﷺ عشر سنين، خلال هذه السنين العشرة ما قال له قط لشيء فعله: لم فعلته، ولا لشيء تركه لم تركته، وهذا من حُسن خُلق النبي ﷺ وتعامله مع خادمه.

(يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا») كان من كلامه ﷺ (يَقُولُ: «لَوْ قُدِّرَ شَيْءٌ كَانَا») يعني

ما قدّره الله ﷻ سيكون، وكان النبي ﷺ يُرشِد أُمته إلى أن يقولوا: قدّر الله وما شاء فعل، وينهاهم عن (لو)، ويقول: «لو تفتح عمل الشيطان»، ويقول: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[١] كان النبي ﷺ يُرشِد أمته إلى هذا، وكان ﷺ عاملاً بهذا الخُلق الكريم، وهذا الهدي العظيم أنه إذا حصل شيء تكرهه أو فاتك شيء كنت تحب أن تحصل عليه، فلا تقعد تتحسر على ما مضى وتقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فـ(لو) تفتح عمل الشيطان، تؤدي بالإنسان إلى الاعتراض على قدر الله ﷻ ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، وفي رواية: «قَدَرُ الله وما شاء فعل».

وكان يقول ﷺ: «لو قُدّر شيء كان».

قال: (سُبْحَانَ مَنْ كَمَّلَهُ سُبْحَانَا)، (سُبْحَانَ مَنْ كَمَّلَهُ) كلمة (سبحان) تنزيه لله ﷻ يُنزّه الله ﷻ الذي كمّل النبي ﷺ، وحلّاه بكمال الأخلاق ﷺ.

٤٢- وَفِي (الْجُلُوسِ) يَحْتَبِي تَوَاضُعًا وَمَــرَّةً كـ«الْقُرْفُصَــاءِ» خَاضِعًــا

في صفة جلوسه ﷺ أنه يجلس جِلسة الاحتباء. والاحتباء أحيانًا يكون باليد، وأحيانًا يكون بالثوب، قال: حبوة اليد، وحبوة الثوب، حبوة الثوب: أن يجلس الشخص على إليته، وينصب قدميه ثم يأتي بثوب من ظهره ويجعله يضم رجليه.

وهناك حبوة اليد: أن يضم رجليه ويُقرّب فخذيه إلى بطنه عن طريق إمساكهما باليد.

فكان النبي ﷺ يحتبي تواضعًا ﷺ.

قال: (وَمَرَّةً كـ«الْقُرْفُصَاءِ» خَاضِعَا) وأحيانًا كان يجلس ﷺ جلسة القرفصاء،

---

[١] صحيح مسلم ٢٦٦٤.

وبعض أهل اللغة يقول: القرفصاء هي الاحتباء، وهذا ورد حتى في بعض الأحاديث: كان يحتبي وهو القرفصاء، وبعض أهل اللغة فرّق بينهما قال: يقال لجلسة الاحتباء: قرفصاء إذا كان الإنسان لا يلبس ثيابًا داخلية تحت الإزار الذي يلبسه، أما إذا كان تحته ثوب آخر فيقال لها: الاحتباء، بعض أهل اللغة يفرق بينهما بهذا التفريق.

وبعضهم يقول: الاحتباء هو ما يكون بالثوب، والقرفصاء هي الحبوة التي تكون باليد.

فهذه جلسة الاحتباء أو جلسة القرفصاء، وربما خالف بين الرجلين أو يضع القدمين متلاصقتين.

هذه الجلسة كان النبي ﷺ يجلسها، ولكنه نهى عنها إذا أدّت إلى انكشاف عورة الإنسان، إذا كان لا يتنبه لثيابه مثلًا، كبعض مَنْ يلبس إزارًا أو نحوه، وليس تحته ثياب داخلية، فإذا كان جلسة الاحتباء تؤدي إلى انكشاف العورة فيكون منهيًّا عنها، وكذلك إذا كان في حضور ناس، كذلك أيضًا يُنهى عنها في الصلاة.

ولكن الأحاديث التي وردت بالنهي عن الاحتباء في الصلاة هي بلفظ الإقعاء، يعني نهى النبي ﷺ عن الإقعاء في الصلاة كإقعاء القرد، أو كإقعاء الكلب أو إقعاء السبع.

وفُسّر الإقعاء هنا بأنه مثل الاحتباء، لكن مع إرسال اليدين، يعني نفس جلسة الاحتباء لكن مع إرسال اليدين، وعدم ضم القدمين باليد، فهذا نهى عنه النبي ﷺ في الصلاة.

وينهى أيضًا عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب، ووردت أحاديث تنهى عن الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب، بالنسبة للمأمومين، لكن في الحقيقة هذا الحديث في سنده كلام ، ومَنْ حسّن هذا الحديث واحتج به فقالوا: النهي يفيد الكراهة؛ لأن هذه

الجلسة- جلسة الاحتباء- ربما تفضي إلى النوم والنعاس.

فكان النبي ﷺ يجلس هذه الجلسة عليه الصلاة والسلام، وهي جِلسة فيها تواضع، كان أهل الكِبر يتكبرون عن الجلوس هذه الجلسة، ويخصصون لهم مجالس كراسي مذهبة. كالملوك الذين كانوا يجلسون على عروش ومجالس مُذهّبة ومرصّعة بالجواهر، لكن النبي ﷺ كان يجلس على الأرض مع أصحابه ﷺ جلسة الاحتباء أو جلسة القرفصاء عليه الصلاة والسلام.

٤٣- مَجْلِسُهُ: حِلْمٌ وَصَبْرٌ وَحَيَا يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ مَنْ قَدْ لَقِيَا

مجلسه ﷺ مجلس حلم، ومجلس صبر، ومجلس حياء، يصف مجالس النبي ﷺ، بأنها مجالس حلم يعني ليس فيها غضب، وإنما مجلس فيه حلم، يحتمل النبي ﷺ جلساءه، ليس كجلوس مَنْ يغاضب جليسه، وإنما يجلس ﷺ في حلم.

ومجلس صبر: يصبر فيها النبي ﷺ لا يتململ، ولا يتأفف من مجالسة أصحابه، ولا يبادر بعقاب مَنْ أساء في مجلسه، وإنما يحتمل ﷺ جلساءه عليه الصلاة والسلام.

ومجلس حياء: مجلسه ﷺ مجلس حياء يعني لا يُذكَر في مجلسه ﷺ الكلام الفاحش أو البذيء أو الذي يُستحيا منه، ونحو هذا.

(**يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ مَنْ قَدْ لَقِيَا**) كان النبي ﷺ يبدأ مَنْ لقيه بالسلام؛ لأن البادئ بالسلام أفضل من الذي ينتظر حتى يُبدأ بالسلام ثم يرد؛ فهذا من التنافس في الخير، فكان النبي ﷺ يبدأ بالسلام مَنْ لقيه عليه الصلاة والسلام.

٤٤- وَيُؤْثِرُ الدَّاخِلَ بِالْوِسَادَةْ أَوْ يَبْسُطُ الثَّوْبَ لَهُ زِيَادَةْ

الوسادة: هي ما يُجلَس عليه، أو يُتكَأ عليه، فكان النبي ﷺ يجلس على الوسادة، وإذا جاءه ضيف يريد أن يُجالِسه فكان يُكرمه ﷺ بالوسادة، ربما قام عن وسادته ﷺ وأعطاها

لجليسه يُكرمه بها ويُؤثره بها ﷺ.

(أَوْ يَبْسُطُ الثَّوْبَ لَهُ زِيَادَةْ) إذا كان تحته ثوب يجلس عليه، ثم جاء مَنْ يُجالِس النبي ﷺ كان يبسط الفراش إذا كان مثنيًّا، يُوسّعه؛ لِيُفسِح لجليسه حتى يجلس معه على الفراش بدلًا من الجلوس على التراب.

٤٥- لَيْسَ يَقُولُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ قَطْعًا: سِوَى الْحَقِّ، فَخُذْهُ وَاكْتُبِ

يقول: إن النبي ﷺ كان لا يقول في الغضب والرضا إلا حقًا؛ فعَنْ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ »[١] في جميع أحيانه كان لا يقول إلا حقًا ﷺ سواء في وقت رِضًى أو في وقت غضب، وأذِن لأصحابه أن يكتبوا عنه ﷺ كل ما يقول، سواء في وقت رضاه أو في وقت غضبه؛ فإنه لا يخرج منه إلا الحق ﷺ، ولا يقول إلا الحق.

٤٦- يَعِظُ بِالْجِدِّ إِذَا مَا ذَكَّرَا كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ حَذَرَا

من هدْي المصطفى ﷺ: أنه يعظ بالجد والاجتهاد، (إِذَا مَا ذَكَّرَا) يعني إذا ما قام خطيبًا ﷺ في أصحابه ﷺ فكان يُحدّثهم بجد، يأخذ أمر الدين بجد وبقوة وبيقين فيما يُحدّثهم عنه ويُخوفهم منه من عذاب الله ﷻ وما يحثهم عليه من الخير، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»،

[١] مسند أحمد ٦٨٠٢.

وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١] قال:

٤٧- وَيَسْتَنِيرُ وَجْهُهُ إِنْ سُرَّا   تَخَالُهُ مِنَ السُّرُوْرِ بَدْرَا

كان ﷺ إذا جاءه ما يسره، يبدو على وجهه ﷺ السرور، فكان إذا سُرّ ﷺ تخال وجهه بدرًا، وجاء في الصحيحين: «كان ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر» ﷺ.

وكذلك إذا غضب ﷺ يتمعر وجهه ويبدو عليه الضيق والغضب كما ورد هذا في أحاديث منها: ما في صحيح مسلم «عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٢]

[١] صحيح مسلم ٨٦٧.
[٢] صحيح مسلم ١٠١٧.

٤٨- يَمْنَـعُ أَنْ يَمْشِيَ خَلْفَهُ أَحَدْ   بَـلْ خَلْفَـهُ مَلاَئِـكُ اللهِ الأَحَدْ

كان النبي ﷺ يمنع أن يمشي خلفه أحد من أصحابه؛ لأن خلفه الملائكة، فكان النبي ﷺ يقول: «امشوا أمامي وخلّوا ظهري للملائكة»، فكان الصحابة يمشون عن يمينه وعن شماله ويمشون أمامه عليه الصلاة والسلام وظهره للملائكة، يمشي خلفه ملائكة الله سبحانه وتعالى.

٤٩- وَلَيْـسَ يَجْزِي سَـيِّئًا بِمِثْلِهِ   لَكِـنْ بِعَفْـوٍ وَبِصَفْـحِ فَضْلِهِ

فكان النبي ﷺ لا (يَجْزِي سَيِّئًا بِمِثْلِهِ) ولكن يجازي على السيئة بالعفو والصفح عليه الصلاة والسلام، والإحسان إلى مَنْ أساء إليه.

ويذكر العلماء أن مجازاة السيئة لها مراتب ودرجات:

المرتبة الأولى: جزاء السيئة بأسوأ منها: فهذه مرتبة مُحرّمة منهي عنها، أن الإنسان يجازي السيئة بأسوأ منها؛ يكون بهذا قد ظلم، تحوّل من مظلوم إلى ظالم.

المرتبة الثانية: وهناك مجازاة السيئة بمثلها: وهذه مرتبة مباحة، من الأمور التي أباحها الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[الشورى: ٤٠] فإذًا مَنْ جازى سيئة بسيئة مثلها فهذا مما أباحه الله سبحانه وتعالى للإنسان.

فمَنْ سبّك فسببته، أو ضربك فضربته، أو آذاك بشيء فجازيته بمثل إساءته فهذا مما عفا الله جل وعلا عنه، مما أُبيح، سواء بمثله أو بأقل.

المرتبة الثالثة: هي العفو عن المسيء، أنك تعفو عنه، ولا تجازيه على سيئته، فهذه مرتبة مندوب إليها، وحثّنا الله سبحانه وتعالى عليها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[الشورى: ٤٠] فلو أن شخصًا أساء إليك فعفوت عنه، ولم تعاقبه فأجرك على الله سبحانه وتعالى.

وقال النبي ﷺ: «ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عِزًّا»، إذا عفوت زادك الله ﷻ عِزًّا بهذا العفو.

المرتبة الرابعة: وهي مجازاة السيئة بالحسنة: أن يُسيء إليك شخص فلا تكتفي بأن تعفو عنه؛ بل تُحسِن إليه، فهذه أكمل المراتب، وقالوا: لاسيما إذا اجتمع معها أيضًا ألا يجد الإنسان في قلبه تجاه هذا الذي أساء إليه، فهناك عفو عن المسيء بمعنى أنك لا تعاقبه لكنك تجد في صدرك، لا يزال صدرك مشحونًا تجاه هذا الشخص الذي أساء إليك لكنك لم تعاقبه فهذه مرتبة، هناك المرتبة الأعلى إنك تُحسِن إلى مَنْ أساء إليك وفي نفس الوقت لا تجد في صدرك تجاه هذا الشخص الذي أساء إليك، يعني العفو عنه ظاهرًا وباطنًا، أنك لا تعاقبه ولا تؤاخذه ظاهرًا وتعفو عنه باطنًا وتُحسِن إليه، فهذا من أكمل ما يكون وهذه كانت مرتبة النبي عليه الصلاة والسلام، وخيرة أصحابه.

كالصديق رضي الله عنه كان يُحسِن إلى مسطح بن أُثاثة رضي الله عنه، وهو قريب لأبي بكر وكان فقيرًا وكان من المهاجرين، وممَّنْ شهِد بدرًا، ولكنه رضي الله عنه ممَّنْ وقع في خاض في عِرض عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، المنافقون اتهموا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، وبعض المؤمنين الصالحين تكلموا في هذا الأمر منهم مسطح رضي الله عنه، فكان أبو بكر رضي الله عنه يُحسِن إليه، وينفق عليه، فلما تكلم في عِرْض ابنته عائشة، حلف أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق على مسطح بعد الآن، يعني أن يقطع عنه النفقة التي كان ينفقها عليه، فما أراد أن يُسيء إليه، ولكن فقط أن قطع عنه الإحسان،

فأنزل الله تعالى الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[النور: ٢٢]؛ ولا يأتل: لا يحلف. أولو الفضل منكم والسعة: وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٢٢] أي لا يحلفوا أن يقطعوا الإحسان

أو الإيتاء لِمَنْ اتصف بهذه الصفات: ﴿أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ﴾[النور: ٢٢] فلما نزلت هذه الآية الكريمة قال أبو بكر ﷺ: بلى. أُحب أن يغفر الله لي، فعاد إلى الإنفاق على مسطح وكفّر عن يمينه.

فإذًا هنا المجازاة بالإحسان، وكان هذا هدْي المصطفى ﷺ، وجاء في صحيح البخاري من حديث «عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ قَالَ: « أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا.»[١] وكذلك أيضًا لما جاءه ملك الجبال، وقال: لو شئت أطبقت عليهم الأخشبين، كان قادرًا ﷺ أن يأمر ملك الجبال الذي كلّفه الله ﷻ أن يستجيب لأمر النبي ﷺ، وأن يُطبق الأخشبين -جبلين عظيمين- إما على أهل مكة أو على أهل الطائف، فقال النبي ﷺ: «إني أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله ﷻ» وعفا عنهم النبي ﷺ مع قدرته على الانتقام منهم.

ومن عفو النبي ﷺ: عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية التي وضعت السم في الطعام، أرادت أن تقتل النبي ﷺ، وضعت السم في الذراع فعفا عنها النبي ﷺ، عفا عن حقه، ولكن لما مات الصحابي الذي أكل من الطعام، وهو بِشر ﷺ، قتلها قصاصًا به.

وعفا النبي ﷺ عن رجل يهودي تقاضاه بينه فأغلظ عليه، رجل من اليهود وكان من

---

[١] صحيح البخاري٢١٢٥.

أحبار اليهود ومن علمائهم، وكان يجد صفة النبي ﷺ في التوراة لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا، كان هذا اليهودي يجد في صفة النبي ﷺ في التوراة لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

فهذا الرجل اليهودي قال: إنه رأى جميع صفة النبي ﷺ التي ذُكرت في التوراة إلا هذه الصفة، يعني حتى العفو عن المسيء رآها، لكن يريد أن يرى هذه الصفة أنه كلما زيد الجهل عليه كلما ازداد حلمًا، فاحتال حيلة ليزداد فيها جهلًا على النبي ﷺ، وينظر كيف يعامله النبي ﷺ، فكان له ديْن عند النبي ﷺ، يعني أقرض النبي ﷺ أو باعه بضاعة إلى أجل، وأصبح له دين عند النبي ﷺ وضرب له النبي ﷺ أجلًا، النبي ﷺ قال: في الوقت الفلاني سأعطيك الثمن، فجاء هذا اليهودي قبل حلول الأجل، وتظاهر بالغضب ورفع صوته في حضور النبي ﷺ وأصحابه، وقال: أنتم يا بنو عبد المطلب قوم مُطْل، تماطلون الناس حقوقهم، وتؤخرون عليهم حقوقهم، وأين ديني، ولماذا تأخرت في سداد الدين ؟ وأخذ يرفع صوته في حضور النبي ﷺ.

فهَمّ الصحابة به أن يفتكوا بهذا الرجل، فقال النبي ﷺ: دعه فإن لصاحب الحق مقالًا، وأمر النبي ﷺ أن يُقضَى ديْنه، وأن يُزاد له، وأعطاه حقّه وزيادة، طبعًا الزيادة إذا كانت غير مُشترطة فتكون من حُسْن القضاء الذي أوصى به النبي ﷺ، فأخبر الرجل حينئذٍ أنه أراد يختبر هذه العلامة في النبي ﷺ، أنه لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا.

فالنبي ﷺ ما آذاه، وكان قادرًا ﷺ معه أصحابه لو أمرهم أن يضربوا عنقه لفعلوا، ولكنه ﷺ عفا عنه وأكرمه، وتجاوز له عن رفْع صوته، وأمر أصحابه أن يكرموه ويعطوه حقه وزيادة.

كذلك عفوه ﷺ عن مَنْ جذبه بردائه حتى أثّرت حاشية البرد في عنق رسول الله

ﷺ، لما جاء أعرابي وجعل يطلب العطاء وجذب النبي ﷺ من بُرده، وكان عليه بُرد نجراني غليظ الحاشية، الحاشية هي البطانة المحيطة بالعنق من النوع الخشن الذي يجرح الجلد إذا احتكّ به، فالأعرابي جاء وأمسك ببرد النبي ﷺ وجذبه حتى أثّرت حاشية البرد في عنق رسول الله ﷺ، ويقول: أعطني فإنك لا تُعطيني من مالك ولا من مال أبيك، وفي رواية: لا تعطيني من مال أمك ولا من مال أبيك، ويطلب من النبي ﷺ الصدقة بهذا الأسلوب الغليظ.. فتبسم النبي ﷺ وأمر بإعطائه ما أراد، وعفا عنه النبي ﷺ، وهذا من مكارم خلقه عليه الصلاة والسلام.

٤٩- وَلَيْسَ يَجْزِي سَيِّئًا بِمِثْلِهِ لَكِنْ بِعَفْوٍ وَبِصَفْحِ فَضْلِهِ

٥٠- كَانَ يُحِبُّ الْفَالَ مِمَّنْ ذَكَرَهْ وَكَانَ يَكْرَهُ اتِّبَاعَ الطِّيَرَةْ

من هدْي النبي ﷺ أنه كان يحب الفأل عليه الصلاة والسلام فكان يعجبه أن يسمع مَنْ يُنادى باسم حسن، فيتفاءل فكان ﷺ إذا قصد حاجة وسمع مَنْ ينادي باسم حسن تفاءل النبي ﷺ بهذا.

وسمع النبي ﷺ رجلًا يقول: يا خضرة وهو خارج لخيبر، فقال: «اخرجوا بنا إلى خضرة، أخذنا فألك من فيك» يعني تفاءل النبي ﷺ بهذه الكلمة.

و(يَكْرَهُ اتِّبَاعَ الطِّيَرَةْ) لكن في العكس وهي مسألة التشاؤم كان ينهى عن التطير ﷺ، ينهى عن التشاؤم والتطير، فكان يتفاءل لكن لا يتطير.

فكان أحيانًا كان النبي ﷺ إذا سمع مَنْ يقول: يا نجيح، يكون قاصدًا حاجة ويسمع شخصًا يُنادَى اسمه نجيح أو اسمه أفلح، فيقول: أفلحت حاجتنا إن شاء الله، أو نجحت حاجتنا إن شاء الله.

لكن إذا سمع ما يُكرَه لا يتشاءم ﷺ، وينهى عن الطيرة، وقال ﷺ: «الطيرة شرك» التطير هذا من الشرك، ويُعتبر الطيرة من الشرك الأصغر، ومما حذّر منه النبي ﷺ.

فالمسلم لا يتطير ولكن يتفاءل إذا سمع كلمة حسنة.

وكان يقول ﷺ: «إذا بعثتم إليّ بريدًا» كان يقول لأمرائه، النبي ﷺ كان له أمراء وعمّال على البلاد المختلفة.. لما فتح الله عليه كان له أمراء في اليمن وفي البحرين وفي غيرها، وفي أنحاء الجزيرة العربية، فكان يقول: «إذا بعثتم إليّ بريدًا فابعثوه حسَن الوجه حسن الاسم».

باب ذِكْر خُلقه ﷺ في الطعام والشراب

الباب السابق كان يتكلم عن أخلاق النبي ﷺ بصفة عامة، و هنا يتكلم عن أخلاقه في الطعام والشراب خاصةً، أي: آداب النبي ﷺ في الأكل والشرب.

قال:

١- وَلَمْ يَعِبْ قَــطُّ طَعَامًا يَحْضُرُهْ   يَأْكُلُــهُ إِنْ يَشْــتَهِي أَوْ يَــذَرُهْ

٢- وَلَــمْ يَكُنْ جُلُوسُــهُ مُتَّكِيَا   فِي حَالَــةِ الأَكْلِ، وَلَكِــنْ مُقْعِيَا

يقول: كان المصطفى ﷺ لا يعيب طعامًا يحضره ﷺ قط، إن اشتهاه أكل منه، وإن لم يشتهه تركه، لكن كان ﷺ من أدبه وكمال خلقه ﷺ لا يعيب الطعام، إذا لم يشتهه فيتركه عليه الصلاة والسلام.

كما جاء في الصحيحين: «ما عاب ﷺ طعامًا قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» .

ولذلك لما أُكِل الضبُّ على مائدة رسول الله ﷺ، لم يأكل النبي ﷺ، فسأله الصحابة رضي الله عنهم، قالوا: يا رسول الله أحرام هو؟، قال: «إنه ليس بحرام، ولكنه لم يكن بأرض قومي فلذا تجدني أعافه» أو كما قال ﷺ.

يعني: لا أشتهي أن آكله، لكن ما عادى النبي ﷺ الطعام ولا منع الحاضرين من أكْله عليه الصلاة والسلام.

٢- وَلَــمْ يَكُنْ جُلُوسُــهُ مُتَّكِيَا   فِي حَالَــةِ الأَكْلِ، وَلَكِــنْ مُقْعِيَا

كان النبي ﷺ لا يأكل متكئًا، وكلمة الاتكاء تأتي بمعنى أن يجلس الإنسان متربعًا وتحته وسادة هذا نوع من الاتكاء: أن يجلس متربعًا وتحته وسادة.

والنوع الثاني من الاتكاء هو أن يجلس معتمدًا على إحدى يديه مائلًا إلى أحد الشقين، فكان النبي ﷺ وقت الأكل لا يأكل متكئًا عليه الصلاة والسلام، يعني لا يجلس متربعًا على وسادة أو وطاء تحته، ولا مائلًا إلى أحد الجانبين عليه الصلاة والسلام.

لكن كان يأكل مقعيًا، الإقعاء يُشبه الاحتباء، وهناك نوع آخر من الإقعاء هو أن يجلس مثل الجلسة التي هي بين السجدتين: أن يجلس على أطراف قدميه، ويجعل المقعدة على العقبين، يجعل مقعدته على العقبين، وينصب القدمين، ويجعل أطراف الأصابع إلى الأمام، فهذه جلسة الإقعاء أيضًا.

فكان النبي ﷺ في أكْله يجلس مُقعيًا إما على صورة الاحتباء، أو على صورة الإقعاء الذي يكون بين السجدتين، فكان يجلس هكذا عليه الصلاة والسلام.

وقالوا: الحكمة في هذا أن هذه الجلسة تجعل الإنسان يتقلل من الطعام، وكان النبي ﷺ يحب التقلل من الطعام، ولا يستكثر منه عليه الصلاة والسلام.

لكن إذا جلس الإنسان متكئًا أو متربعًا أو معتمدًا على إحدى يديه فهو جائز، لكن الأكمل والأحسن إن أراد الاقتداء أن يجلس مُقعيًا اقتداءً بالنبي ﷺ.

٣- يُعْجِبُـهُ الذِّرَاعُ وَالدُّبَّـاءُ وَالْعَسَـلُ الْمَحْبُـوبُ وَالْحَلْـوَاءُ

يذكر هنا بعض الأطعمة التي كان المصطفى ﷺ يحبها، فكان يعجبه ذراع الشاة جاء في الصحيحين: «كان أحب الشاة إليه الذراع» عليه الصلاة والسلام.

لذلك المرأة اليهودية التي وضعت السم للنبي ﷺ سألت وعلمت أن النبي ﷺ أحب الشاة إليه الذراع، فكثّرت السم في ذراع الشاة لعلمها أن النبي ﷺ يحب الأكل من الذراع، فكان يحب ﷺ الذراع.

وكان يعجبه الدباء، الدباء هو القرع أو اليقطين، أنواع القرع كلها تُعتبر من الدباء.

فكان يتتبعه ﷺ في الإناء لذلك يقول أنس كان النبي ﷺ يتتبع الدباء في القصعة، يعني يحبه ﷺ ويأكله ﷺ، فقال أنس: فما زلت أحبه لما رأيته، كان يرى النبي ﷺ يحبه فأحبه؛ لحب النبي ﷺ للدباء ﷺ.

وكان يحب العسل والحلواء، يحب العسل ﷺ يعجبه العسل والحلواء، الحلواء: قالوا هي: كل ما عولج من الطعام بسكر أو عسل، مثل (الحلويات) المعروفة، أصناف الطعام التي تُحلّى بالسكر، أو تُحلّى بالعسل، وتُعالَج بها يعني تُصنَع منها، يدخل في صُنعها العسل أو السكر، فكان النبي ﷺ يحب الحلواء ويحب العسل ﷺ.

٤- وَيَــأْكُلُ الْبِطِّيْــخَ وَالْقِثَّــاءَ ... بِرُطَــبٍ، يَبْــغِي بِــهِ الدَّوَاءَ

٥- يَقُولُ: «يُطْفِي بَرْدُ ذَيْنِ حَرَّ ذَا» ... وَكُلُّ إِرْشَــادٍ فَعَنْــهُ أُخِــذَا

يقول: كان النبي ﷺ (يَأْكُلُ الْبِطِّيْخَ وَالْقِثَّاءَ) يأكل البطيخ بالرطب، ويأكل القثاء بالرطب أيضًا، يأكل البطيخ بالرطب يعني يأكل البطيخ ومعه رطب، والقثاء يأكلها أيضًا مع الرطب، فكان يأكل البطيخ مع الرطب ويأكل القثاء مع الرطب أيضًا.

وكان يقول ﷺ: (يُطْفِي بَرْدُ ذَيْنِ حَرَّ ذَا) برد ذين: هما البطيخ والقثاء، بردهما يُطفئ حر الرطب، الرطب حارّ، يعني فيها لسعة من ما فيها من الحلاوة، فيُطفئ برد البطيخ والقثاء حر الرطب.

فقال: (وَكُلُّ إِرْشَادٍ فَعَنْهُ أُخِذَا) يعني: ما يُذكَر عن أطباء زمانهم، طبعًا لا أعلم الوصايا الطبية الحالية، لكن كل إرشاد هو من النبي ﷺ فالأطباء كانوا يوصون بالجمع بين الحار والبارد في الطعام، يكون أحسن في الهضم وأنفع للآكل، أنه ما يأكل طعامًا

حارًّا فقط أو باردًا فقط وإنما يجمع بينهما يعني.

والحرارة ليس المقصود بها: ارتفاع درجة حرارة والبرودة: انخفاضها، بل المقصود: بالحرارة شدة الحلاوة، والبرد: قلة الحلاوة مثل البطيخ، أو انخفاضها مثل: القثاء يعني فيه عذوبة، فالبارد يُطفئ حر الطعام الحار.

فطبعًا إرشاد النبي ﷺ مُقدّم على إرشاد كل مُرشِد ﷺ.

٦- يَـأْكُلُ بِالأَصَابِـعِ الثَّلَاثَـةِ   يَلْعَقُهَـا لِقَصْـدِ ذِي الْبَرَكَـةِ

كان النبي ﷺ يأكل بثلاثة أصابع، وهي: الإبهام، والسبابة، والوسطى.

وطبعًا لا مانع أن الإنسان يأكل بالملعقة، لكن مع اعتقاده أن هدْي النبي ﷺ هو الأكمل والأفضل.

وكان النبي ﷺ إذا انتهى من الأكل يلعق أصابعه ﷺ، يعني يعلق ما تبقى على الأصابع من الأكل عليه السلام.

وكان لا يرفع القصعة حتى يلعقها؛ فإن في آخر الطعام البركة، و كان يقول: «لا تدرون في أي طعامكم البركة»، فكان النبي ﷺ يلعق أصابعه؛ لأنه ربما كانت البقايا التي في الأصابع من الطعام هي التي يكون فيها بركة الطعام وخيره، فيلعقها قبل أن يغسل يده.

٧- يَبْدَأُ «بِاسْـمِ اللهِ»، ثُـمَّ يَخْتِمُ   بـ«الْحَمْـدِ»، فِي شُرْبٍ وَأَكْلٍ يَطْعَمُ

كان النبي ﷺ يبدأ باسم الله، ويختتم بحمد الله ﷻ في الأكل والشرب، إذا أراد أن يأكل أو يشرب يفتتح بالبسملة يقول: (بسم الله)، وإذا فرغ يقول: (الحمد لله) عليه السلام.

٨- (يَـشْرَبُ) فِي ثَلاثَةٍ أَنْفَاسَـا		يَمُـصُّ، فَهْـوَ أَهْنَـأُ اخْتِلاسَـا

كان النبي ﷺ يشرب في ثلاثة أنفاس يعني يشرب جزءًا من الإناء ثم يتنفس ﷺ ثم يشرب جزءًا ثم يتنفس، ثم يشرب جزءًا يتنفس، وكان هذا من هدْيه ﷺ.

قال: (يَمُصُّ) المص: هو الشرب بتدرج، فكان يمص مصًّا، لا يعب عبًّا كما ورد في الحديث، العب هو إفراغ الإناء بسرعة داخل الفم، فكان النبي ﷺ يشربه بشيء من التدرج يعني شيئًا فشيئًا، وهذا الذي يقال له: المص.

(فَهْوَ أَهْنَأُ اخْتِلاسَا) الاختلاس هو السرعة، فالمص أهنأ من العب الذي هو الإسراع الشديد، وعدم التدرج في الشراب أو جعله شيئًا فشيئًا.

٩- لَمْ يَتَنَفَّـسْ فِي الإنَا إذ يَشْرَبُ		يُبِيْنُـهُ عَـنْ فِيْـهِ، فَهْـوَ أَطْيَبُ

أثناء شُرْب النبي ﷺ كان لا يتنفس في الإناء، فوقت التنفس يُبعد الإناء عن فمه ﷺ؛ ليتنفس خارج الإناء، ثم يدنيه فيشرب، ثم يبعده عن فيه، فيكون التنفس خارج الإناء، وهذه أيضًا من الوصايا الطبية؛ لما في النفس الخارج من الكربون الذي ربما تضرر شاربه، فكان إذا أراد أن يتنفس يُبعد الإناء عن فيه، ويتنفس خارج الإناء ثم يدنيه ويشرب ﷺ.

١٠- يَـشْرَبُ قَاعِدًا، وَمِـنْ قِيَامِ		لِعَـارِضٍ كـ«زَمْـزَمَ» الْحَـرَامِ

١١- وَشُرْبُـهُ مِـنْ قِرْبَـةٍ مُعَلَّقَةْ		دَلَّ بِـهِ لِلرُّخْصَـةِ الْمُحَقَّقَـةْ

يقول: من هدْي النبي ﷺ أنه كان (يَشْرَبُ قَاعِدًا) يعني في أكثر أحواله ﷺ يشرب قاعدًا ﷺ لكنه شرب قائمًا في مرات قليلة؛ ليبين جواز ذلك، منها: أنه ﷺ شرب من زمزم قائمًا ﷺ ومرة شرب من قربة معلقة في السقف، فلا يُستطاع الشرب منها إلا إذا

قام الإنسان وأدناها إليه حتى يستطيع الشرب، فشرب النبي ﷺ من زمزم قائمًا، وشرب من قربة معلقة قائمًا عليه الصلاة والسلام.

(دَلَّ بِهِ لِلرُّخْصَةِ) يعني دلّت هذه الأحاديث على أن النهي عن الشرب قائمًا أنه للكراهة وليس للتحريم، وأن هناك رخصة في الشرب قائمًا.

لكن كان شربه قائمًا لعارض، يعني لشيء عارض، وما كان هو العادة الدائمة، بل عادته ﷺ هي الشرب قاعدًا.

١٢- يُنَاوِلُ الأَيْمَنَ قَبْلَ الأَيْسَرِ إِلّا بِإِذْنِهِ لِحَقِّ الأَكْبَرِ

يقول: كان النبي ﷺ يُؤتَى بالشراب، وهو جالسٌ مع أصحابه، فيشرب عليه الصلاة والسلام، ثم يعطي مَنْ على يمينه، والذي على يمينه يشرب ويعطي مَنْ على يمينه حتى يدور الشراب عن يمين النبي ﷺ.

وقالوا: هذا فيه أن الذي يسقي الجالسين يبدأ بكبير القوم، كما كان الذي يأتي بالشراب يبدأ أولًا بالنبي ﷺ، فيشرب كبير القوم، ثم يعطي بعد ذلك مَنْ على يمينه، ويدور الشراب ابتداءً من يمين كبير القوم على الجلساء.

لكن جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ أُتِي بشراب فشرب منه عليه الصلاة والسلام، وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ: أبو بكر، وعمر، وغيرهم، وكبار الصحابة كانوا جالسين على يساره، والذي كان جالسًا عن يمين النبي ﷺ غلام صغير.

فقال النبي ﷺ للغلام: أتأذن لي أن أُعطي هؤلاء القوم؟ فهنا صاحب الحق هو الأيمن وهو الغلام، فاستأذن منه النبي ﷺ فقال الغلام: لا أُوثِر بنصيبي منك أحدًا؛ لأنه يريد أن يتبرك بالشرب من أثر رسول الله ﷺ، فقال: لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فأصرّ

الغلام على حقه، فإذًا هذه السُّنة في التقديم.

وفي الدخول، يعني: في التقديم مثلًا لدخول مكان، فالأكبر يُقدّم قبل الأيمن، الأكبر أولى من الأيمن، هكذا كان يُفتي الشيخ ابن باز -رحمه الله وغيره- عند التقديم في الدخول فالأكبر يُقدَّم على الأيمن.

١٣- وَالْبَارِدُ الْحُلْوُ يُحِبُّ شُرْبَهُ وَاللَّبَنَ اسْتَزَادَ إِذ أَحَبَّهُ

١٤- يَقُولُ: «زِدْنَا مِنْهُ فَهْوَ يُجْزِي عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ الْمُجْزِي»

كان النبي ﷺ يحب الشراب البارد الحلو ﷺ كما جاء في الحديث في سُنن الترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان أحبّ الشراب إليه الحلو البارد».

وكان ﷺ يحب اللبن، ويشربه، ويستزيد منه، يعني: كان إذا شرب اللبن يقول: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فكان يستزيد من اللبن، ويقول: «ليس شيء يُجزئ مكان الطعام والشراب إلا اللبن» يعني اللبن له مزية على غيره أنه يُجزئ عن الطعام والشراب.

الطفل الصغير يتغذى على اللبن سنتين، و يُجزئه اللبن عن الطعام والشراب، فكان ﷺ يستزيد من اللبن، ويقول: «إنه يُجزئ عن الطعام والشراب».

باب ذِكْر خُلقه ﷺ في اللباس.

١- يَلْبَسُ مَا مِنَ الثِّيَابِ وَجَدَا مِنَ الإزَارِ وَالْقَمِيْصِ وَالرِّدَا

كان النبي ﷺ يلبس ما وجده من الثياب، وكان من هدْي النبي ﷺ دائمًا: أنه كان لا يتكلف مفقودًا، ولا يرد موجودًا، فالشيء الموجود يقنع به ﷺ ويرضى به، والشيء المفقود لا يسعى لتطلبه والبحث عنه. فما توفر من أنواع الثياب يلبسه ﷺ قانعًا به عليه الصلاة والسلام.

والثياب التي كان العرب يلبسونها بصفة عامة،كانوا يقسمونها إلى: مُقطّعات وغير مُقطّعات، الثياب المقطعات : هي المُفصّلة على قدر أعضاء البدن، وهي التي تُحاك وتُقصّ وتُفصّل على قدر الأعضاء، يعني عولجَت بالخياطة والتفصيل، كالقميص ونحوه.

والثياب غير المقطّعات: تكون عبارة عن قطعة قماش كبيرة توضع على بدن الإنسان، عبارة عن شيء لم يُعالَج بتفصيل وتقطيع وقصّ وخياطة.

ومن الثياب غير المقطعات: الإزار والرداء.

فالإزار عبارة عن قطعة قماش تلفّ على النصف الأسفل من البدن، والرداء عبارة عن قطعة قماش تلف على النصف الأعلى من البدن، مثل لباس الحجيج ، يلبسون الإزار والرداء.

وأما القميص فهو الذي يقال له: الثوب، ويقال له: القفطان، في بعض البلاد القفطان، أو الثوب، أو يقال له: (الجلابية) في بعض البلاد، له أسماء طبعًا باختلاف البلاد، فهذا هو القميص.

فكان القميص أحب الثياب إلى النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ أحيانًا يلبس الإزار

والرداء عليه السلام، لكن كان القميص أحب إليه من الإزار والرداء.

والقميص من لباس الأنبياء من قديم، من أيام نبي الله يوسف عليه السلام قال يوسف: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾[يوسف: ٩٣] قال: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾[يوسف: ٢٥].

٢- وَبُـرْدَةٍ وَشَـمْلَةٍ وَحِـبَرَةْ وَجُبَّـةٍ، أَوْ فَقَبَـاءٍ حَـضَرَه

لَبِس النبي ﷺ البردة، والبردة: كساء أسود مربع فيه صور تلبسه الأعراب، كان من ثياب الأعراب، كلمة كساء، يعني: قماش غير مخيط بمعنى غير مُفصّل ومُقطّع، هو عبارة عن كساء أسود مربع الشكل، وفيه صور، فكانوا دائمًا يجعلون فيه نقوشًا.

فلبس النبي ﷺ البردة. وهي من الثياب التي تلبس فوق الثياب، فيكون لابسًا تحتها قميصًا أو إزارًا ورداءً، ثم توضع البردة فوق الثياب، يعني عادة البردة يكون تحتها ثياب أخرى.

فلبس النبي ﷺ البردة ولبس أيضًا الشملة، والشملة: كساء من صوف أو شعر يُتغطّى به، يعني: الشملة في العادة تغطي جميع البدن، مثل الرداء الذي يوضع على النصف الأعلى من البدن، لكنه طويل، فالشملة من الثياب غير المُفصلّة فهي عبارة عن قطعة قماش، توضع على البدن، فيُلتحَف بها، تُلَفّ على البدن، وتغطي البدن كله، ونسجها عادة يكون من الصوف أو الشعر.

قال: (وَبُرْدَةٍ وَشَمْلَةٍ وَحِبَرَةْ) الحبرة: - بوزن عنبة-ثوب أخضر مُخطط أو كساء أخضر مُخطط من برود اليمن، فالحبرة نوع من البرود، قال الداودي: لونها أخضر، وقال ابن بطال: تُصنَع من قطن، وقال القرطبي: سُميت حبرة؛ لأنها تُحبّر أي تُزيّن، والتحبير: هو التزيين والتحسين.

فكان النبي ﷺ يلبس الحبرة ﷺ.

٢- وَبُـرْدَةٍ وَشَـمْلَةٍ وَحِـبَرَةْ   وَجُبَّـةٍ، أَوْ فَقَبَـاءٍ حَـضَرَه

(الجبة والقباء): الجبة هي أشبه ما يكون حاليًا بـ(البشت) أو العباءة الرجالية، التي تكون مفتوحة من الأمام.

والقباء-بفتح القاف-: مثل الجبة ولكن يكون مشقوقًا من الخلف، القباء مثل: ثياب المستشفيات تكون مفتوحة من الخلف، فالجهة الأمامية مُغلقة والفتحة من الجهة الخلفية.

وكل من الجبة والقباء من الثياب التي تُلبَس فوق الثياب، يكون الإنسان لابسًا قميصًا وفوقه جبة أو فوقه قباء.

والقباء في العادة كانوا إذا لبسوه تمنطقوا حوله، يعني: وضعوا حزامًا يُربَط على البطن؛ لأن فتحته من الخلف، وتُلبَس فوق الثياب، ويكون مربوطًا فوقه السلاح، يربطون أحزمة السلاح فتُمسك القباء.

فلبس النبي ﷺ الجبة ولبس القباء ﷺ.

وفي الحديث: «لبس النبي ﷺ جُبة رومية ضيقة الكُمين» كان النبي ﷺ مرة لابسًا جُبة رومية ضيقة الكمين، فأراد أن يتوضأ فلم يستطع، من ضيق الكم ما استطاع أن يُخرِج ذراعه منه ﷺ فنزع الكم وأخرج يده لغسلها.

فلبس النبي ﷺ الجُبة ولبس القَباء ﷺ أيضًا.

٣- لَبِـسَ أَيْضًـا حُلَّـةً حَمْـرَاءَ   فَزَادَهَـا بِحُسْـنِهِ سَـنَاءَ

النبي ﷺ لبس أيضًا حُلة حمراء (فَزَادَهَا بِحُسْنِهِ سَنَاءَ) يعني بهاءً وسناءً ﷺ.

والحُلة: هي كل ثوب مكون من قطعتين متشابهتين، من قماشٍ واحد، ولون واحد يعني أي ثوب مكون من قطعتين: قطعة للنصف الأعلى، وقطعة للنصف الأسفل من البدن يقال له حُلة، فإذا لبس الإنسان إزارًا ورداءً من نفس نوعية القماش، ونفس اللون والشكل، فيقال لها: حُلة، مثل: البدل الإفرنجية يقال لها: حُلة؛ لأنها جاكيت وبنطلون من نفس نوعية القماش ونفس اللون فيقال لها: حُلّة.

فالنبي ﷺ لبس حُلة حمراء ﷺ فزادها بحُسْنه بهاءً كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ في حُلة حمراء له شعر يضرب منكبيه ﷺ، فلبس النبي ﷺ.. كان عنده حُلة حمراء لبسها أحيانًا عليه السلام.

وموضوع لُبس الأحمر هذا فيه كلام طويل للفقهاء على أساس أن النبي ﷺ نهى عن المياثر الحُمر، ونهى عن المزعفَر- هو المصبوغ بالزعفران -، والزعفران صبْغ لونه أحمر، ونهى عن المياثر الحُمر وهي نوع من الثياب الحمراء.

وشراح الحديث لهم كلام في كيفية التوفيق بين هذه الأحاديث:

فبعضهم يقول: هذا النهي للكراهة، على أساس إذا نهى النبي ﷺ عن شيء ثم فعله يكون النهي للكراهة، وقالوا: بجواز لُبس الأحمر أيًا كانت مادة صُنْعه.

والرأي الآخر: قالوا: إن المياثر الحُمر هذه كانت مصنوعة من الحرير، فالنهي عنها؛ لأنها نوع معين من الثياب، وكانت من حرير فنهى عنها لأجل ذلك.

وكذلك المُزعفر؛ لأنه كان من ثياب الكفار، يعني كان المشركون يصبغون به، وكان هذا النوع من الثياب ليس من عادة المسلمين لُبسه، وكان المشركون يلبسونه فنهى عنه؛ لأجل هذه العِلة، وليس لأجل لونه الأحمر بدليل أنه لبس الحُلة الحمراء.

ورأي آخر قالوا: الحُلة الحمراء التي لبسها النبي ﷺ كانت من حمرة مشوبة أو معها لون آخر وليست حُمرة خالصة، وأخذوا هذا من حديث آخر، فيه أن النبي ﷺ لبس جُبة فيها خطوط حُمر وخطوط سود، فقالوا: لعلها هي المقصودة بالحُلة الحمراء. وليس المقصود حُمرة خالصة فهذا أخذ به بعض العلماء وقالوا: يُنهَى عن لُبس الأحمر الخالص.

فهذه الآراء التي وردت في هذا الموضوع.

فعلى كل حال؛ النبي ﷺ ثبت عنه أنه لبس حُلة حمراء، وثبت عنه أنه لبس جُبة فيها خطوط حُمر وخطوط سود عليه الصلاة والسلام.

في الحقيقة أيضًا مما تكلم فيه العلماء موضوع شراء الملابس الغالية أو النفيسة، أو لُبس الثياب الرخيصة؛ فأكمل شيء هو الاعتدال، فخير الأمور الوسط، والاعتدال؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ثياب الشهرة، وقالوا: ثوب الشهرة هذا إما لنفاسته وإما لحقارته، يعني الثوب الذي يشتهر به الإنسان إما لنفاسته؛ لكونه من الثياب التي لا يلبسها إلا واحد أو الأفراد المعدودون، بحيث إذا رُؤي صاحبها اشتهر بلُبسه إياها؛ لكوْن عامة الناس يعجزون عن لُبسها، فهذا مما يدخل في ثياب الشهرة.

كذلك من ثياب الشهرة: الثوب الخَلِق البالي، المرقع الممزق، أو الذي إذا لبسه الإنسان أُشيرَ إليه على أنه فقير، طبعًا إلا أن يكون معذورًا يعني ليس عنده غيره يلبسه طبعًا لا حرج، لكن إذا كان الإنسان يستطيع أن يلبس ثوبًا أحسن منه فيكون منهيًا عن تعمّد لُبس الثوب البالي أو الخلِق .

وفي نفس الوقت أيضًا نجد حديث النبي ﷺ قال: «مَنْ ترك اللباس تواضعًا لله ﷻ خيّره الله يوم القيامة من أي حُلل الإيمان شاء يلبسها» الذي يترك اللباس تواضعًا لله،

طبعًا هذا الحديث لا يفيد تحريم لُبس اللباس النفيس أو الغالي، لكن يفيد أنه مَنْ ترك اللباس تواضعًا لله ﷻ يعني كان قادرًا على أن يشتري أفخر أنواع الثياب، التي يشتهر بها بين الناس، أو الثياب التي يعجز عامة الناس عن لُبسها، فإذا كان قادرًا عليها ومع ذلك تركها، ليس بالضرورة تركها أنه يلبس رديئة أو ممزقة، ولكن تركها إلى ما هو أدنى منها، وأقل منها وهو قادر على ما هو أعلى، لكن تركها تواضعًا لله ﷻ فإن الله ﷻ يُلبِسه يوم القيامة من حُلل الإيمان، وهو من نعيم الآخرة الذي لا نعلم كيفيته.

والله ﷻ في القرآن سمى التقوى لباسًا؛ لأن التقوى تستر الإنسان، فقال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ﴾[الأعراف: ٢٦].

فالخلاصة: أن خير الأمور الوسط، والنبي ﷺ كان يلبس ما وجد وكان لباسه ﷺ من اللباس المعتاد المتعارف عليه الذي يلبسه الناس في زمنه ﷺ لكن كان عنده بعض الثياب النفيسة التي ربما أهداها إليه الملوك، وكان يلبسها ﷺ في العيدين وفي صلاة الجمعة، فكان ﷺ عنده بُرد حِبرة يلبسه في العيدين، ويلبسه في الجمعة، ويلبسها للوفود.

لكن عامة لباسه ﷺ من جنس ما يلبسه الناس من القطن والكتان والصوف، والأزر والأردية والقمصان من الألبسة المعتادة.

٤- وَرُبَّمَا ارْتَدَى الْكِسَــاءَ وَحْدَهُ   لَيْــسَ عَلَيْــهِ غَــيْرُهُ، لَــمْ يَعْدُهُ

ربما ارتدى النبي ﷺ الكساء وحده، والكساء: قطعة قماش غير مخيطة، غير مُفصّلة يقال لها: كساء، فربما ارتدى النبي ﷺ (الْكِسَاءَ وَحْدَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ) ﷺ يعني ربما لبس كساءً ولم يلبس غيره، ويكون هذا الكساء طويلًا يغطي البدن، ويلبسه ﷺ.

٥- وَرُبَّمَا كَانَ الإِزَارُ وَحْدَهْ لَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ يعْقِدُهْ

في نسخة (يعْقِدُهْ) وفي نسخة (بِعُقْدَهْ).

فالقصد: أن النبي ﷺ كان أحيانًا أيضًا ربما لبس الإزار فقط، الإزار هو الذي يستر النصف الأسفل أحيانًا ربما لم يضع الرداء ﷺ، ولبس الإزار وحده على نصفه الأسفل عليه الصلاة والسلام.

٦- وَرُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ مِرْطُ مُرَحَّلٌ، يَقْنَعُ لاَ يَشْتَطُّ

(رُبَّمَا كَانَ عَلَيْهِ مِرْطُ) ربما لبس النبي ﷺ مرطًا، والمرط: كساء من الخز أو الصوف، الخز: هو قماش منسوج من حرير وصوف، أو من صوف. فالمرط: إما يكون خزًّا وإما أن يكون صوفًا.

فكان النبي ﷺ يلبس مِرطًا إما من الخز وإما من الصوف الخالص.

والمرط كما ذكرنا يُؤتَزَر به، فيُلبَس مثل الإزار؛ لأن المرط أيضًا من الثياب غير المخيطة أو غير المُفصّلة، عبارة عن قطعة قماش، فكان النبي ﷺ يلبس المرط أحيانًا.

و(مُرَحَّلٌ) يعني منقوش عليه تصاوير، فكان يلبس المرط المُرحّل يعني المنقوش عليه التصاوير.

وطبعًا التصاوير التي كانت توجد في ثياب يلبسها النبي ﷺ من صور غير ذوات الأرواح كشجر ونحوه، وبعض العلماء يرى أنه حتى صور ذوات الأرواح يُعفى عنها في الثياب؛ لما جاء في حديث زيد بن أرقم قال: «إلا رقمًا في ثوب» إن النبي ﷺ نهى عن الصور إلا رقمًا في ثوب، يعني إلا الصور المنقوشة في الثياب التي تُلبَس، على أساس أنه يُعتبَر من الممتهن، فيُعفى عنه.

لكن لم يرد صراحةً أن ثياب النبي ﷺ كان فيها صور من ذوات الأرواح، يعني لم يرد صراحةً، لكن نوعية المرط المرحل هو يكون فيه نقوش وتصاوير.

قال: (يَقْنَعُ لاَ يَشْتَطُّ) يعني يقنع النبي ﷺ بهذا، (لاَ يَشْتَطُّ) يعني لا يُجاوِز عليه السلام فكان يرضى ﷺ بما يجد من الثياب عليه السلام.

وهذا المرط كان الرجال يأتزرون به، والمرأة ربما لبسته خمارًا تلف به رأسها.

والمرط غالبًا يكون أسود اللون.

٧- وَرُبَّمَا صَلَّى بِثَوْبٍ وَاحِدِ مُلْتَحِفًا بِهِ بِغَيْرِ زَائِدِ

ربما صلى النبي ﷺ في ثوب واحد ملتحفًا به، يعني يلفه عليه، ربما صلى النبي ﷺ في ثوب واحد يلتحف به: يعني يلفه عليه- عليه السلام-.

ووردت بعض الأحاديث التي تنهى عن الصلاة في الثوب الواحد، لكن قالوا: هذا إذا كان يُخشى ظهور العورة، يعني إذا كان الثوب الواحد تنكشف منه عورة الإنسان إذا صلى فهنا يُنهى عنه، لكن إذا كان ثوبًا واحدًا سابغًا يغطي البدن، فلا حرج في الصلاة فيه.

٨- لاَ يُسْبِلُ الْقَمِيصَ وَالإِزَارَا بَلْ فَوْقَ كَعْبَيْهِ هُمَا اقْتِصَارَا

٩- بَلْ رُبَّمَا كَانَا لِنِصْفِ السَّاقِ تَوَاضُعًا لِرَبِّهِ الْخَلاَّقِ

كان النبي ﷺ لا يُسبِل القميص ولا الإزار، القميص: هو الثوب أو القفطان، وكذلك الإزار، فكان ثوب النبي ﷺ وإزاره لا يصلان إلى الكعبين، والكعبان: هما العظمان الناتئان في جانبي كل قدم، فكان النبي ﷺ لا يُجاوز الكعبين في القميص وكذلك في الإزار.

(بَلْ رُبَّمَا كَانَا لِنِصْفِ السَّاقِ) ربما رفع النبي ﷺ قميصه حتى يكون إلى نصف الساق، وورد حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «أُزرة المسلم إلى نصف الساق، فإن أبى فإلى الكعبين».

١٠- يَلْبَسُ ثَوْبَهُ مِنَ الْمَيَامِنِ وَنَزْعُهُ بِالْعَكْسِ لِلتَّيَامُنِ

(يَلْبَسُ ثَوْبَهُ مِنَ الْمَيَامِنِ) يعني كان يحب التيامن عليه الصلاة والسلام يعني: يُدخِل الكم اليمنى قبل الكم اليسرى، أو يلبس الجهة اليمنى من الثوب قبل الجهة اليسرى، وأما عند النزع فبالعكس؛ ينزع اليسرى قبل اليمنى.

كذلك في لُبس النعال والخفاف أيضًا كان النبي ﷺ يلبس اليمنى قبل اليسرى، وفي النزع ينزع اليسرى قبل اليمنى ، ويقول: «لتكن اليمنى أولاهما تُنعَل، وأخراهما تُخلَع»؛ يعني لأنه من باب الإكرام، فكون الرجل مثلًا منتعلة أكمل من كونها حافية، فتكون اليمنى يطول وقت انتعالها، فهي تُلبَس أولًا وتُخلَع آخرًا، فتكون هي التي يطول وقتها.

كذلك في الأكمام يلبس الكم الأيمن أولًا ثم الأيسر، وعند النزع ينزع الأيسر أولًا ثم الأيمن.

١١- كَانَتْ لَهُ (مِلْحَفَةٌ) مَصْبُوغَةُ بِزَعْفَرَانٍ أَوْ بِوَرْسٍ يُنْبَتُ

النبي ﷺ كانت له ملحفة، والملحفة: قطعة قماش طويلة يُتغطّى بها عند النوم، وتُلفّ على البدن في البرد وغيره وعند الحاجة إليها فوق الثياب.

فالنبي ﷺ كانت له مِلحفة، وهذه الملحفة كانت مصبوغة بالزعفران والورس.

والورس: نوع من النبات الذي يُصبَغ به.

والزعفران: معروف أيضًا نبت يُصبَغ به، وصبغه لونه أحمر، صبغة الزعفران والورس كذلك تعطي لونًا أحمر.

فكان عند النبي ﷺ ملحفة مصبوغة بالزعفران والورس، فكان ربما التحف بها أو تغطى بها عليه الصلاة والسلام.

١٢- يَقُولُ عِنْدَ اللُّبْسِ بِاللِّسَـانِ: «الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَـانِيْ»

١٣- مَا يَسْـتُرُ الْعَـوْرَةَ مِنْ لِبَاسِ مَـعَ التَّجَمُّـلِ بِـهِ فِي النَّـاسِ

هنا يشير إلى معنى الدعاء النبوي الذي كان يدعو به النبي ﷺ إذا لبس الثوب ويوصي به، فكان ﷺ إذا لبس ثوبًا يقول: «مَنْ لبس ثوبًا جديدًا، فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلَق» أي: القديم الذي بَلِي. «فتصدق به، كان في كنف الله، وفي حفْظ الله، وفي ستر الله حيًّا وميتًا» هذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر رضي الله عنه، وفي سنده ضعف، لكنه من فضائل الأعمال.

فيدعو بهذا الدعاء يقول: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ويعمد إلى الثوب القديم إذا كان صالحًا للبس ويوجد مَنْ يحتاج إليه، ويمكنه أن يلبسه، فيتصدق به فله الأجر على هذا.

وكان ﷺ إذا لبس ثوبًا يقول: «الحمد لله الذي كساني ما يستر عورتي».

ومن دعائه أيضا ﷺ يقول: «الحمد لله الذي كساني هذا الثوب بحوله وقوته من غير حول مني ولا قوة» ويُسمي الثوب باسمه، يقول: كساني هذا القميص، أو هذا الرداء، أو هذا الإزار، بحوله وقوته من غير حول مني ولا قوة.

فكان النبي ﷺ يحمد الله ﷻ عند لُبس الثياب.

١٤- وَيَصْعَـدُ الْمِنْـبَرَ إذ يَشَـاءُ   بِرَأْسِـهِ عِصَابَـةٌ دَسْـمَاءُ

كان النبي ﷺ يلبس العصابة، العصابة: يعني العمامة، فكان من هدْيه ﷺ لُبس العمامة، وهي لفافة تُلَفُّ حول الرأس، وبعض العلماء يقول: ثلاث لفات فوق الرأس، وطرف يكون من تحت الحنك، وذؤابة تكون من الخلف.

فكان النبي ﷺ يلبس العمامة، ويشير هنا إلى الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ «خطب على المنبر، وعليه عمامة دسماء» ما معنى دسماء؟

قيل: عمامة دسماء يعني سوداء؛ لأن النبي ﷺ في أحاديث أخرى ورد أنه كان يلبس عمامة سوداء، وكان له عمامة بيضاء أيضًا. كان ربما لبس عمامة سوداء ﷺ، وأحيانًا يلبس عمامة بيضاء ﷺ.

فقيل: لبس عمامة دسماء، ففُسّرت بأنها سوداء.

والتفسير الآخر: قالوا: دسماء يعني لونها لون الدسم، الدسم: وهو الدهن، قالوا: من كثرة ما كان يضع النبي ﷺ من الدهن (الطِّيب) على رأسه الشريف كان بريق الطيب يظهر في مفرق رأس رسول الله ﷺ، فربما تسرّب إليها الدهن الذي كان يتطيب به ﷺ حتى صار لونها لون الدسم،كأنها عليها سمن أو دهن فقالوا: دسماء.

١٥- وَنَعْلُـهُ الْكَرِيمَـةُ الْمَصُونَةْ   طُـوْبَى لِمَـنْ مَـسَّ بِهَـا جَبِيْنَهْ

١٦- لَهَـا قِبَـالاَنِ بِسَـيْرٍ، وَهُمَا   سِـبْتِيَّتَانِ سَـبَتُوْا شَـعْرَهُمَا

(وَنَعْلُهُ الْكَرِيْمَةُ الْمَصُونَةْ) يصف نعل النبي ﷺ بأنها كريمة، وبأنها مصونة؛ لأنها مسّت قدم رسول الله ﷺ، والنبي ﷺ مبارك، وكل ما مسّه ﷺ فإنه يُتبرك بمسّه ﷺ.

يقول: (طُوْبَى لِمَنْ مَسَّ بِهَا جَبِيْنَهْ) طوبى: يعني هنيئًا لمَنْ استطاع أن يلمس نعل النبي ﷺ، ولو وضعها على جبينه لكان هذا شرفًا له؛ لبركة رسول الله ﷺ، وبركة ما لبسه ومسّه ﷺ.

ثم يذكر صفة نعل النبي ﷺ فيقول: (لَهَا قِبَالآنِ بِسَيْرٍ) لها قبالان، والقبال: هو السير الذي يكون بين الإصبعين، فكان لها قبالان، قبال بين الأصبع الكبير والسبابة، والآخر بين السبابة والوسطى، ومجمع القبالين إلى سير على ظهر القدم.

ونعل النبي ﷺ كانتا سبتيتين، والسبتية: هي التي صُنعت من جلد البقر المدبوغ الذي أُزيل عنه شعره، فكانت نعل النبي ﷺ من جلد البقر.

ثم ذكر طول نعل النبي ﷺ وعرضها وَطُوْلُهَا:

١٧- وَطُوْلُهَا شِبْرٌ وَإِصْبَعَانِ ... وَعَرْضُهَا مِمَّا يَلِي الْكَعْبَانِ

طول نعل النبي ﷺ شبر، وإصبعان: أي إذا وضعت فبعد نهاية الشبر تقيس عرض أصبعين، فالشبر يصل إلى قُرب نهاية القدم.

وعرض النعل من جهة الكعبين أي الجزء الأخير منها، فقال: من جهة الكعبين سبع أصابع.

١٨- سَبْعُ أَصَابِعَ وَبَطْنُ الْقَدَمِ ... خَمْسٌ، وَفَوْقَ ذَا فَسِتٌّ فَاعْلَمِ

(وَبَطْنُ الْقَدَمِ خَمْسٌ) يعني العرض عند بطن القدم يضيق، ويصبح خمسة أصابع.

(وَفَوْقَ ذَا فَسِتٌّ) الجزء الأعلى ستة، فالترتيب هكذا: فوق ستة أصابع، وفي المنتصف خمسة، وتحت عند الكعب سبعة.

وبعض نعال النبي ﷺ كانت حُفظِت في بعض الأماكن، وقاسها العلماء، ورسموها

في كتب السيرة والسُّنة. طبعًا هذا من باب العلم بالشيء، يعني ليس بالضرورة أن الإنسان يصنع نعله بهذه المقاييس، كل إنسان حسب مقاس قدمه، لكن هذا للتعريف بصفة النعل التي لبسها الرسول ﷺ.

١٩- وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ، وَعَرْضُ مَا بَيْنَ الْقِبَالَيْنِ اصْبَعَانِ، اضْبِطْهُمَا

(**وَرَأْسُهَا مُحَدَّدٌ**) رأسها محدد: يعني مُدبب.

عرض ما بين القبالين: إصبعان.

٢٠- وَهَذِهِ تِمْثَالُ تِلْكَ النَّعْلِ وَدَوْرُهَا، أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ

(**وَهَذِهِ تِمْثَالُ**) يعني صورة أو رسم، التمثال: هو الصورة أو الرسم، ورسمها الناظم الحافظ العراقي رحمه الله يعني رسم صورة النعل.

(**وَدَوْرُهَا**) يعني تدوير النعل، كيف كان تدويرها وشكلها.

(**أَكْرِمْ بِهَا مِنْ نَعْلِ**).

فهذه صفة نعل رسول الله ﷺ.

وكان النبي ﷺ يحث المسافر على الاستكثار من النعال «**فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي غَزْوَةٍ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ**»[١].

المسافر لا يزال راكبًا ما انتعل، يعني: طالما معك نعل فأنت كالراكب، إذا انقطع السير، واضطررت إلى المشي حافيًا فكأنك أصبحت بلا دابة تركبها.

---

[١] صحيح مسلم٢٠٩٨.

باب ذِكْر صفة خاتمه ﷺ.

١- خَاتَمُـهُ مِـنْ فِضَّـةٍ وَفَصُّهُ مِنْـهُ وَنَقْشُـهُ عَلَيْـهِ، نَصُّـهُ:

٢- «مُحَمَّدٌ» سَـطْرٌ «رَسُولُ» سَطْرُ «اللّٰهِ» سَـطْرٌ، لَيْـسَ فِيْـهِ كُبْرُ

اتخذ النبي ﷺ خاتمًا من فضة.

(وَفَصُّهُ مِنْهُ) وفصه من الفضة أيضًا، من نفس مادة صُنْع الخاتم.

(وَنَقْشُهُ عَلَيْهِ، نَصُّهُ) منقوش على فصّ خاتم النبي ﷺ: (محمد رسول الله)، وكانت منقوشة ثلاثة أسطر: كلمة محمد في السطر الأسفل، ورسول في السطر الأوسط، والله في السطر الأعلى، يعني تُقرَأ من الأسفل إلى الأعلى: محمد رسول الله، فهذا خاتم النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يستعمله للبس للتزين، فالنبي ﷺ كان يلبسه للتزين به، وفي نفس الوقت لاستعماله في ختْم الكتب والرسائل، فكان النبي ﷺ يختم كتبه بهذا الخاتم.

وقوله: (لَيْسَ فِيْهِ كُبْرُ) وفي نسخة: (ليس فيه كسْرُ) وفُسّرت بأن كل كلمة في سطر مستقل، الكلمة كاملة في سطر

فقوله: (ليس فيه كسر) بمعنى أن الكلمات كاملة في سطورها.

٣- وَفَصُّـهُ لِبَاطِـنٍ يَخْتِـمُ بِـهْ وَقَالَ: «لاَ يُنْقَشْ عَلَيْهِ يَشْـتَبِهْ»

يقول: إن النبي ﷺ كان يجعل فص الخاتم لباطن الكف، وليس من الجهة الظاهرة.

وقال ﷺ: (لاَ يُنْقَشْ عَلَيْهِ يَشْتَبِهْ) يعني نهى النبي ﷺ أن يُنقَش على نقْش خاتمه ﷺ حتى لا يشتبه خاتمه بخاتم غيره، يعني خشي النبي ﷺ إذا اتخذ خاتمًا منقوشًا عليه:

«محمد رسول الله»أن كل الصحابة يجعلون خواتمهم منقوشًا عليها: «محمد رسول الله» فيشتبه خاتمه بخاتم غيره، فنهى أن يُنقَش على نقْش خاتمه.

طبعًا هذا في حياته ﷺ حتى لا تشتبه الكتب التي ختمها النبي ﷺ بالتي ختمها غيره، لكن بعد وفاته ﷺ لا حرج لو أن شخصًا صنع خاتمًا بهذا النقش؛ لزوال المانع الذي لأجله منع النبي ﷺ.

٤- يَلْبَسُـــهُ كَمَا رَوَى الْبُخَارِيْ: «فِي خِنْـصِرٍ يَمِـيْنٍ أَوْ يَسَـــارِ»
٥- كِلاَهُمَـــا فِي مُسْـــلِمٍ، وَيُجْمَعْ: بِـأَنَّ ذَا فِي حَالَتَــيْنِ يَقَــعُ
٦- أَوْ خَاتَمَــيْنِ كُلٌّ وَاحِــدٍ بِيَدْ: كَمَــا بِفَــصٍّ حَبَـشِيٍّ قَــدْ وَرَدْ

فهنا يقول إن النبي ﷺ كان يلبس خاتمه في خنصر اليد اليمنى أو خنصر اليد اليسرى، الخنصر: هو الإصبع الصغير، في اليد اليمنى أو في اليد اليسرى.

قال: (كِلاَهُمَا فِي مُسْلِمٍ) يعني جاء التختم في اليمين واليسار كلتيهما في صحيح مسلم، وكلاهما جاء في صحيح البخاري، يعني في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ تختّم في اليمين، وفيهما أنه تختّم في اليسار ﷺ.

بعض أحاديث خاتم النبي ﷺ فيها أن النبي ﷺ اتخذ أوّل ما اتخذ خاتمًا من ذهب قبل تحريم الذهب، ورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ أوّل ما اتخذ: اتخذ خاتمًا من ذهب ولبسه في خنصر اليمنى، ثم نُهي عن الذهب للرجال، لما نُهي النبي ﷺ عن لُبس الذهب، ونُهي الرجال عن الذهب فنزعه النبي ﷺ واتخذ خاتمًا من فضة، ولبسه في خنصر يده اليسرى، فعلى هذه الأحاديث هذا يفيد أن التختم في خنصر اليسرى كان آخر الأمرين منه ﷺ.

وبعض العلماء يقول: إنه حتى بعد النهي عن لُبس خاتم الذهب، كان النبي ﷺ يلبس خاتم الفضة أحيانًا في اليمين، وأحيانًا في اليسار، و الصحابة بعد النبي ﷺ منهم مَنْ كان يتختم في اليمين، ومنهم مَنْ كان يتختم في اليسار.

ويذكر شُرّاح الحديث أن الصحابة منهم من كان يتختم في خنصر اليمنى، ومنهم من كان يتختم في خنصر اليسرى، فكأن الصحابة رأوا كلا الأمرين جائزًا لا حرج فيه.

وورد أيضًا أن النبي ﷺ لبس خاتمًا له فص حبشي، يعني له فص من الأحجار الكريمة من أحجار الحبشة.

فهذه الأحاديث التي وردت قالوا: إما أن تُحمَل على حالتين: أن النبي ﷺ في بعض الأحيان لبس خاتمًا له فص حبشي، وفي أحيان أخرى لبس الخاتم الذي نقْشه محمد رسول الله.

أو يُحمَل هذا على أنه ربما كان له خاتمان، وربما تختم بهما في وقت واحد: هذا في اليمين وهذا في اليسار، لكن في الحقيقة الأظهر: أنه يحمل على اختلاف الأوقات، وأنه لم يُنقَل أنه ﷺ تختّم بخاتمين في وقت واحد، وإنما بعض العلماء حاول الجمع بين الأحاديث بهذا، لكن الأحسن: أن يقال: إنه مع اختلاف الأوقات، يعني: أنه تختّم أحيانًا بخاتم من فضة له فص حبشي، لبسه أحيانًا، وأحيانًا كان يلبس الخاتم الذي نقْشه محمد رسول الله.

وهنا سؤال: هل يجب نزع الخاتم عند الوضوء؟ قالوا: إذا كان الخاتم ضيقًا لا يصل الماء إلى ما تحته فهنا يُحرّك عند الوضوء، ليس بالضرورة أن ينزعه بالمرة، لكن يكفي تحريكه، أما إذا كان واسعًا والماء ينفذ من خلاله فلا يحتاج إلى نزْعه عند الوضوء.

وورد في حديث في سنده شيء من الضعف أن النبي ﷺ كان إذا أراد الخلاء وضع خاتمه؛ لأن نقشه فيه اسم الله، لكن الحديث في سنده ضعف.

وعلى كل حال، يأخذ منه العلماء أنه من أدب دخول الخلاء ألا يدخله بشيء فيه اسمه الله ﷻ إلا إذا خشي أن يُسرَق أو يضيع كالدراهم والدنانير التي يكون عليها شيء من القرآن، ويخشى أن تضيع إذا تركها فلا حرج بالدخول بها، لكن يجتهد في ستْرها في هذه الحالة، وكذلك المرأة إذا كانت عندها سلسلة فيها شيء من القرآن، أو الرجل عنده خاتم فيه شيء فيه ذِكْر الله ﷻ فيستره أو يديره أو يضعه في داخل ثوبه، أو شيء من هذا فهذا من أدب دخول الخلاء.

باب ذِكْر فراشه ﷺ.

١- فِرَاشُــهُ: مِــنْ أَدَمٍ وَحَشْــوُهُ لِيــفٌ، فَلاَ يُلْــهِي بِعُجْــبٍ زَهْوُهُ

٢- وَرُبَّمَــا نَــامَ عَلَى الْعَبَــاءَةِ بِثِنْيَتَــيْنِ عِنْــدَ بَعْضِ النِّسْــوَةِ

٣- وَرُبَّمَــا نَــامَ عَلَى الْحَصِــيْرِ مَــا تَحْتَــهُ شَيْءٌ سِــوَى السَّرِيْرِ

كان فراش النبي ﷺ من أدم، والأدم: جمع أديم، والأديم: هو الجلد المدبوغ.

(وَحَشْوُهُ لِيفٌ) جلد مدبوغ ومحشو بالليف، مثل: (المرتبة) التي يُنام عليها،كانت مصنوعة من الجلد وحشوها من الداخل من الليف.

قال: (فَلاَ يُلْهِي بِعُجْبٍ زَهْوُهُ) الزهو: هو حُسن المنظر، فكان فراش النبي ﷺ متواضعًا، كان فراشه ﷺ متواضعًا ليس مما يُلهي بالزهو، ما كان عنده أثاث فاخر كما يتباهى الناس بالأثاث، ولكن كان فراشًا من الجلد المحشو بالليف ينام عليه ﷺ.

قال: (وَرُبَّمَا نَامَ عَلَى الْعَبَاءَةِ بِثِنْيَتَيْنِ) أحيانًا كان النبي ﷺ ينام على العباءة مثنية ثنيتين، تُثنى ثنيتين وينام عليها ﷺ. (عِنْدَ بَعْضِ) نسائه.. وورد هذا في سُنن الترمذي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان له فراش في بيت حفصة رضي الله عنها من عباءة، والعباءة قماشة كبيرة ومطوية على اثنتين وينام عليها النبي ﷺ، وأنها قالت للنبي ﷺ ذات مرة: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ لك، فثناه بأربع، فلما أصبح أمر بردّه لحالته الأولى، يعني نام مرة عليه أربع ثنيات، ثم أمر بعد ذلك بردّه على وضعه الأول يعني ثنيتين فقط.

قال: (وَرُبَّمَا نَامَ عَلَى الْحَصِيْرِ) أحيانًا كان النبي ﷺ ينام على الحصير.

(مَا تَحْتَهُ شَيْءٌ سِوَى السَّرِيْرِ) السرير في لغة العرب: هو كل فراش يُنام عليه، السرير هو أي فراش يُنام عليه، فأي بساط أو فراش تنام عليه فهو سرير.

والحصير معروف أنه خشن، أحيانًا كان ربما نام على الحصير، فأثّر في جلد النبي ﷺ، فإذا قام كان في جلده علامات من أثر الحصير.

باب ذِكْر طيبه وكُحله ﷺ.

١- الطِّيبُ وَالنِّسَاءُ: حُبِّبَا لَهُ	وَيَكْرَهُ: الرِّيحَ الْكَرِيْهَ كُلَّهُ
٢- وَطِيْبُهُ غَالِيَةٌ، وَمِسْكُ	وَالْمِسْكُ وَحْدَهُ، كَذَاكَ السُّكُّ
٣- بَخُوْرُهُ: الْكَافُورُ وَالْعُودُ النَّدِيْ	وَعَيْنَهُ: يَكْحُلُهَا بِالإِثْمِدِ
٤- ثَلاَثَةً فِي الْعَيْنِ لِلإِيْتَارِ	وَرُوِيَ: اثْنَتَيْنِ فِي الْيَسَارِ

النبي ﷺ حُبّب إليه من الدنيا: الطيب، والنساء، قال ﷺ: «حُبِّب إليّ من دنياكم: النساء والطيب، وجُعلت قُرة عيني في الصلاة».

توجد رواية ضعيفة أو البعض ينسبها إلى النبي ﷺ: «حُبب إليّ من دنياكم ثلاث» لكن هذا ليس بصحيح؛ لأن الصلاة ليست من أمور الدنيا، وإنما النبي ﷺ حُبّب إليه من الدنيا أمران: هما: الطيب، والنساء فقط، فأمران من الدنيا، أما الصلاة فهذه ليست من أمور الدنيا.

قال: «وجُعلت قرة عيني» يعني سعادتي وراحتي «في الصلاة».

قال: (وَيَكْرَهُ: الرِّيْحَ الْكَرِيْهَ كُلَّهُ) كان النبي ﷺ يكره الريح الكريه يكره أي رائحة كريهة.

طبعًا في أمر النساء كان النبي ﷺ قد أعطاه الله ﷻ قوة ليست لغيره ﷺ فجاء في حديث أنس رضي الله عنه في صحيح البخاري، قال: «كنّا نتحدث أنه أُوتي قوة ثلاثين ﷺ وكان يطوف على نسائه جميعًا، وهنّ تسع نسوة، فيعاشرهن جميعًا ﷺ تسع نسوة بغُسل

واحد ﷺ، كان ربما ﷺ عاشر أزواجه التسع كلهن في الليلة الواحدة بغسل واحد ﷺ ويقول أنس: وكنّا نتحدث أنه أوتي قوة ثلاثين ﷺ. فهذا مما أعطاه الله ﷻ من القوة.

فكان يكره الريح الكريه كله، ومما كان يكرهه ﷺ: رائحة الثوم، ورائحة البصل، والكراث، ونحوها، فكان يقول: «**من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا فليعتزل مسجدنا**»، **وقال**: «**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»، وكان يحب الريح الطيب.

وحتى الحناء مثلًا، كانت أمهات المؤمنين يختضبن بالحناء فقالت: كان ﷺ يعجبه لونه، ولا يعجبه ريحه، كان يحب لون الحناء في المرأة إذا اختضبت بالحناء، لكن لا يحب رائحة الحناء ﷺ.

فكان يعني يحب الروائح الطيبة ويكره ﷺ الروائح الكريهة.

قال: (وَطِيْبُهُ غَالِيَةٌ) الطيب الذي يتطيب به ﷺ الغالية، والغالية: نوع من الطيب مركب من المسك، والعنبر، والعود، والكافور، نوع يعني مخلوط فيه مسك، والمسك هذا، المسك كما قالوا: بعض دم الغزال.

فهذه أنواع الطيب التي كانت يُخلَط بعضها ببعض، ويُصنَع منها دهن، يتطيب به ﷺ؛ فـ (طِيْبُهُ غَالِيَةٌ).

(وَمِسْكُ، وَالْمِسْكُ وَحْدَهُ) فكان أحيانًا يتطيب بالغالية، والمسك.

والغالية أيضًا أحيانًا تأتي بمعنى العود، فالعود فقط يقال له أيضًا الغالية، فكان يتطيب بنوع العود هو الفاخر، أو النفيس ذو الرائحة، فأفضل أنواع العود يقال لها: الغالية، فكان النبي ﷺ يتطيب بالغالية، وأحيانًا بالمسك وحده ﷺ.

قال: (كَذَاكَ السُّكُّ) والسُّك هو طيب مصنوع من المسك، ومن صبغ أسود.

لأن المسك الأصلي يكون لونه أبيض، مثل لون الزبد والسمن، هذا المسك الأصلي، ويكون طيب الرائحة، فأحيانًا يُخلَط المسك بنوع من الصبغ الأسود الطيب الرائحة أيضًا، ويقال له: السُّك في هذه الحالة.

قال: (بَخُوْرُهُ: الْكَافُورُ وَالْعُودُ النَّدِيْ).

الأول هذا الطيب الدهني الذي يُتَطيّب به على الجلد والرأس والشعر، وكان النبي ﷺ يتطيب في رأسه ولحيته عليه الصلاة والسلام يعني يضع الطيب في رأسه وفي لحيته عليه الصلاة والسلام، وفي يديه وبدنه.

وكذلك بالنسبة للبخور، وهو الأعواد الخشبية التي يوضع معها الفحم وتُشعَل؛ ليكون لها بخار يُتطيّب به، فكان النبي ﷺ يتبخر بالكافور مع العود، وهما نوعان من الخشب، خشب الكافور، وأخشاب العود.

قال: (وَعَيْنَهُ: يَكْحُلُهَا بِالإِثْمِدِ) حجر الإثمد ، وهو كُحل الإثمد، فكان النبي ﷺ يكحل عينه بالإثمد ﷺ قبل النوم في الليل، (ثَلاَثَةً فِي الْعَيْنِ) يعني ثلاث مرات في كل عين في رواية، وفي رواية أخرى أنه: (ثلاث مرات في اليمنى، ومرتان في اليسرى) بحيث يكون المجموع وترًا، فكان يكتحل وترًا: إما وترًا في كل عين ثلاثة وثلاثة، أو وترًا في مجموعة العينين، يعني ثلاثة هنا واثنتين هنا فيكون المجموع وترًا.

باب ذِكْر معجزاته ﷺ.

والمعجزات: جمع معجزة، وهي خوارق العادات التي يُجريها الله ﷻ على يد أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم.

فخرْق العادة للأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- إظهارًا لنبوتهم، وإقامةً للحُجة على أقوامهم يقال له: معجزات، ويقال له أيضًا: آيات، ومصطلح الآية أحسن من مصطلح المعجزة لاشك؛ لأنه المصطلح القرآني، دائمًا في القرآن الكريم، مثلًا يقول -تعالى- عن معجزات موسى عليه السلام: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ﴾[النمل: ١٢]..

وخرْق العادة إذا أجراه الله ﷻ لنبي كريم من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- فإنه يقال له: آية أو معجزة، وإذا أجراه الله ﷻ لولي من الأولياء الصالحين، يقال له: كرامة.

وإذا وقع خرْق العادة لمشرك أو ساحر أو نحو ذلك، ففي هذه الحالة يكون هذا من عمل الشياطين والعياذ بالله ﷻ يضلون به الناس، والعياذ بالله تعالى.

فقد تنخرق العادة فتنة للناس على يد رجل ضال أو منحرف أو غير ذلك، فلا يُستدَل بخرق العادة على صلاح فاعلها، وإنما صلاح الإنسان واستقامته هو الذي يدل على أن خرْق العادة كرامة من الله ﷻ له، أو أنه من تلاعب الشياطين من السحر والشعوذة.

فخرْق العادات الذي أجراه الله ﷻ لنبينا محمد ﷺ وقع كثيرًا، وهناك من العلماء مَنْ عدّ معجزات النبي ﷺ فجعلها بالآلاف، ولكن يمكن إرجاع هذه المعجزات إلى أنواع رئيسة ثم كل نوع من هذه الأنواع تحته أنواع، فهناك معجزة القرآن العظيم ويمكن

عدُّها على أنها معجزة واحدة وتحتها معجزات كثيرة تندرج تحت كونها معجزة القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم فيه إعجاز تشريعي، وإعجاز بلاغي، وإعجاز من جهة الإخبار عن الأمور المغيبة.

فكل آية من آيات القرآن الكريم فيها وجوه يعني من وجوه الإعجاز.

ذكر المؤلف ﵀ عددًا من هذه المعجزات ليس على سبيل الحصر، وإنما على سبيل التمثيل، وذكر الأنواع الرئيسة التي يندرج تحتها أنواع أخر.

١- أَعْظَمُهَا: مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ تَبْقَى عَلَى تَعَاقُبِ الأَزْمَانِ

فهذه أعظم معجزة للنبي ﷺ معجزة القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ حيث حفظه الله ﷻ من التحريف ومن التغيير على تعاقب الزمان، فكما أنزله الله ﷻ على نبيّه ﷺ جعله الله تعالى محفوظًا في صدور حفّاظ القرآن العظيم.

والقرآن- كما ذكرنا- إعجازه من وجوه عديدة؛ لما فيه من الإخبار عن الأمور المغيبة مثل قوله -تعالى- مثلًا: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾﴾[الروم: ٢-٤].

وغير ذلك مما أخبر الله ﷻ عنه أنه سيقع ووقع كما أخبر الله ﷻ وكذلك ما فيه من الإعجاز التشريعي، وما فيه الشريعة الكاملة العادلة، والإعجاز من جهة الإخبار عن أحوال الأمم السابقة بما يطابق الحقيقة رغم كون النبي ﷺ ما قرأ قبله كتابًا ولا خطّ بيمينه ﷺ كتابًا كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[العنكبوت: ٤٨-٤٩].

فالنبي ﷺ ما تلا كتابًا قبله، ومع ذلك أخبر عن هذه الوقائع التي منها وقائع كان لا يعلمها إلا الأفراد من كبار علماء أهل الكتاب، وكانوا يأتون يسألون النبي ﷺ عن هذه الوقائع التي كانوا يُسرّونها فيما بينهم، مثلما سألوه عن الروح، وسألوه عن أصحاب الكهف، وسألوه عن ذي القرنين، وأمور كان لا يعلمها إلا الأفراد من أكابرهم، ويجعلونها سرًّا لا يطّلع عليه غيرهم، وأخبر عنها النبي ﷺ على وجهها وصفتها، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم كما ذكرنا.

الإعجاز البلاغي في هذا القرآن العظيم، وكان العرب أهل بلاغة وفصاحة ويُضرَب بهم المثل في هذا وجاء القرآن الكريم، فشهدوا له أنهم لا يستطيعون أن يقولوا مثله، وأنه ليس بقول الإنس ولا الجن، ولا هو مثل الشعر ولا مثل سجع الكهّان، وشهدوا له بأنه لا يُستطاع الإتيان بمثله.

٢- كَذَا انْشِقَاقُ الْبَدْرِ حَتَّى افْتَرَقَا ... بِفِرْقَتَـيْنِ، رَأْيَ عَـيْنٍ حُقِّقَـا

هذه معجزة ثانية من معجزات النبي ﷺ وهي انشقاق القمر للنبي ﷺ فرقتين، وذلك كما مر بنا من قبل أن النبي ﷺ أرى المشركين آية عظيمة، وذلك أن القمر انشق فرقتين، وكان ذلك ليلة البدر، ورأوا فلقة من القمر في جهة، وفلقة في الجهة الأخرى فقالوا: سحر محمد أعيننا، وقال لهم بعضهم: لئن سحر أعينكم لن يسحر أعين الناس جميعًا، ثم قدِم المسافرون وأخبروا أنهم رأوا القمر مشقوقًا في هذه الليلة التي أراهم فيها النبي ﷺ القمر مشقوقًا.

٣- وَقَـدْ زَوَى لَهُ الإِلَهُ حَقَّـا ... الأَرْضَ، مَغْرِبًـا لَهَـا وَشَرْقَـا
٤- وَقَـالَ: «مَـا زَوَاهُ لِي سَـيَبْلُغُ ... إِلَيْـهِ مُلْـكُ أُمَّـتِي»، فَبَلَغُـوْا

كذلك من معجزات النبي ﷺ بصفة عامة إخباره عن الأمور الغيبية التي وقعت مثلما أخبر عليه الصلاة والسلام، ومن هذا: أنه قال ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض» يعني جمع لي الأرض وضمّ بعضها لبعض حتى رآها النبي ﷺ، قال: «فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أُمتي سيبلغ ما زوي لي منها» مُلك أمة النبي ﷺ سيبلغ في اتجاه الشرق إلى أقصى نقطة رآها النبي ﷺ جهة الشرق، وجهة الغرب أيضًا إلى آخر بقعة زُويت للنبي ﷺ وطُويت له من جهة الغرب.

ووقع هذا مثلما أخبر النبي ﷺ، ما مرت سنوات معدودة بعد إخبار النبي ﷺ بهذا حتى كانت جيوش المسلمين قد دخلت الصين شرقًا، وتوغلت غربًا حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي، فبلغ ملك أُمة النبي ﷺ أقصى المشرق وأقصى المغرب.

وقالوا هنا: من الإعجاز في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم يذكر جهتي الشمال والجنوب، وذلك أن ملك أُمته ﷺ لم يتوسع شمالًا وجنوبًا مثل توسعه شرقًا وغربًا، يعني أُمة الإسلام اتسعت، واتسع مُلكها في اتجاه الشرق وفي اتجاه الغرب بما لم يتسع إليه بنفس الكيفية في اتجاهي الشمال والجنوب مثلما أخبر ﷺ.

فالقصد: أن النبي ﷺ أخبر عن مُلك أُمته وأنه سيتسع اتساعًا عظيمًا في اتجاه الشرق وفي اتجاه الغرب، ووقع مثلما أخبر عليه الصلاة والسلام.

٥- وَحَنَّ جِـذْعُ النَّخْلِ لَمَّا فَارَقَهْ   لِمِنْـبَرٍ إِلَيْـهِ، حَـتَّى اعْتَنَقَـهْ

من معجزات النبي ﷺ: حنين الجذع إليه لما فارقه النبي ﷺ (لِمِنْبَرٍ) فصار يخطب على المنبر عليه الصلاة والسلام.

فكان النبي ﷺ يخطب الجمعة على جذع، كان ﷺ يقف فوقه؛ ليخطب الجمعة عليه الصلاة والسلام ثم إن امرأة من الأنصار رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: إن لي غلامًا نجارًا، كان عندها غلام

نجار فقالت: يصنع لك منبرًا تخطب عليه، فوافق النبي ﷺ على هذا، وهذا الغلام النجار صنع منبرًا للنبي ﷺ.

فأول خطبة خطبها النبي ﷺ على المنبر سُمِع للجذع حنين مثل: حنين العشار يعني مثل الناقة الحامل، وفي بعض الروايات مثل: أنين الصبي، فسُمع للجذع هذا الصوت حتى نزل النبي ﷺ عن المنبر أثناء الخطبة فالتزمه وسكن، وفي رواية: فاحتضنه النبي ﷺ وسارّه بشيء، وكلمه النبي ﷺ بشيء وربت عليه- عليه الصلاة والسلام- فسكن هذا الجذع.

٦- وَنَبَـعَ الْمَـاءُ فَجَـاشَ كَثْرَةْ   مِـنْ بَـيْنِ إِصْبَعَيْـهِ، غَـيْرَ مَرَّةْ

هذه معجزة أخرى لرسول الله ﷺ، أو هي نوع من أنواع المعجزات يضم تحته أكثر من واقعة؛ وهو نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ.

فجاء في صحيح البخاري: «وضع النبي ﷺ يده في ركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا»، ووقع هذا غير مرة، فمنها في صلح الحديبية، وفي غزوة تبوك، وفي غيرها من الوقائع، كان يحصل أحيانًا نفاد الماء مع النبي ﷺ وأصحابه في سفر ونحوه ويحتاجون إلى الشراب، فيضع يده ﷺ في إناء، فيتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ حتى يُصبح كالعيون يشربون ويملؤون أوانيهم، ويكفي هذا الماء لجيش كبير يشربون من هذا الماء.

٧- وَسَـبَّحَ الْحَـصَى بِكَفِّهِ بِحَقْ   كَـذَا الطَّعَـامُ عِنْـدَهُ بِـهِ نَطَقْ

كذلك من معجزاته ﷺ: تسبيح الحصى بكفه عليه السلام فكان الحصى يُسبح بكف النبي ﷺ، يعني: يمسك الحصى بكفه فيُسمَع للحصى صوت التسبيح يقول: سبحان الله، سبحان الله، وجاء هذا عند أبي داود وغيره.

وكذلك من معجزاته ﷺ: نُطق الطعام عند النبي ﷺ وهذا جاء في صحيح البخاري من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ وُضِع عنده طعام فسبّح أو فنطق بين يدي رسول الله ﷺ بالتسبيح، فالطعام سبّح وهو بحضور رسول الله ﷺ.

٨- وَشَــجَرٌ وَحَجَــرٌ قَدْ سَــلَّمَا عَلَيْـهِ نُطْقًـا، وَالذِّرَاعُ كَلَّمَـا

كذلك من معجزاته ﷺ: تسليم الحجر والشجر عليه- ﷺ- نطقًا، كان الشجر والحجر يقول للنبي ﷺ: السلام عليك يا رسول الله ﷺ، وهذا كان قبيل نزول الوحي على رسول الله ﷺ بمكة، فكان النبي ﷺ يمضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلم يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وورد في بعض الروايات: أن هذا الأمر استمر ستة أشهر في بداية بعثته ﷺ، كان إذا مرّ في الطريق يسمع الحجر والشجر يقول له: السلام عليك يا رسول الله ﷺ.

وكذلك من معجزاته ﷺ: تكليم الذراع للنبي ﷺ، وذلك في صحيح البخاري: أن المرأة اليهودية التي أهدت إلى النبي ﷺ شاة مسمومة وكثّرت السم في ذراعها؛ لعلمها أن النبي ﷺ يحب أكْل الذراع.

فكلّم الذراع النبي ﷺ وأخبره أنه مسموم.

لكن الذي حصل أن رجلًا من الصحابة رضي الله عنه وهو بشر رضي الله عنه كان أول مَنْ أكل، النبي ﷺ قال: كلوا، وكان الصحابة ينتظرون عادةً أن يبدأ النبي ﷺ الطعام، لكن بشرًا كان ممَّنْ بدأ في نفس الوقت الذي بدأ النبي ﷺ فيه يقتطع اللحم، فأكل بشر قطعة لحم، وابتلعها، والنبي ﷺ كان قد أخذ قطعة من اللحم ووضعها في فمه، ثم كلمه الذراع فقال: إنه مسموم، فقال ﷺ: «إنه يخبرني أنه مسموم» فلفظ النبي ﷺ الطعام الذي في فمه، وهذا السم من النوع الذي لا يظهر أثره عند الأكل، لا يظهر إلا بعد أن يدخل إلى

المعدة، ويبدأ يشعر بالألم في بطنه بعد أن يبتلعه، لكن النبي ﷺ وضع قطعة اللحم في فمه ثم أخرجها ﷺ ولم يأكلها، وقال: أخبرني أنه مسموم، ثم لم يلبث بشر أن تغير لونه، ومات في مكانه رضي الله عنه من أثر هذا السم.

وطبعًا أُتي بالمرأة وسألها النبي ﷺ، فقال: قلت: إن كنت نبيًّا فلن يضرك، وإن كنت كذابًا استرحنا منك.

وكثير من العلماء يقولون: إن النبي ﷺ جمع الله -تعالى- له أجر الشهادة إلى أجر النبوة، فكان النبي ﷺ بعد ذلك تصيبه الحمى، حتى إن الحمى التي أصابته في مرض وفاته ﷺ فقال: «ما زالت تلك الأكلة من الشاة مسمومة يوم خيبر تعاودني» يعني ما زال هذه القطعة اللحم الصغيرة التي وضعها في فمه وأخرجها ﷺ ما زالت تعاوده يعني تسبب له آلامًا، وتسبب له حمى على فترات من يوم غزوة خيبر في العام السابع إلى وفاته ﷺ في العام الحادي عشر.

فبعض العلماء أخذ من هذه الأحاديث أن السم كان سبب وفاة رسول الله ﷺ، فيقولون: مات ﷺ شهيدًا من أثر السم الذي أكله يوم خيبر ووضعته له المرأة اليهودية عليه الصلاة والسلام.

٩- وَقَدْ شَـكَا لَهُ الْبَعِـيْرُ إذ جُهِدْ   وَبِالنُّبُـوَّةِ لَهُ الذِّيْـبُ شَـهِدْ

من معجزات النبي ﷺ: أن البعير شكا إليه الجُهد، أو الجَهد يعني المشقة، فجُهِد البعير يعني أصابته المشقة فشكا إلى النبي ﷺ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أنه أردفه النبي ﷺ خلفه، يعني أركبه خلفه على الدابة فدخل حائطًا لرجل من الأنصار، بستانًا لرجل من الأنصار، فوجد بعيرًا فلما رآه حنّ واغرورقت عيناه، فمسح عليه النبي ﷺ فسكن، البعير جاء إلى النبي ﷺ وحن وبكى

البعير، فمسح النبي ﷺ على رأس البعير حتى سكت.

ثم نادى صاحبه فقال: «إنه شكا إليّ أنك تجيعه وتدئبه» الدأب: هو العمل المتواصل، تجعله يعمل عملًا متواصلًا لا تتيح له فرصة للراحة، وأنك تجيعه، فأمره النبي ﷺ أن يرفق بهذا البعير.

ذكر هنا أيضًا من المعجزات شهادة الذئب له ﷺ بالنبوة، قال: (وَبِالنُّبُوَّةِ لَهُ الذِّيْبُ شَهِدْ)، وذلك كما جاء في الحديث: «بينما راع يرعى إذ انتهز الذئب شاةً فتبعه الراعي فحال بينه وبينها، جاء الذئب فاختطف شاة من الراعي، فحال بينه وبينها، فقال له: ألا تتقي الله؟ تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مُقعٍ على ذنبه يكلمني!

فقال الذئب: أعجب من هذا: رسول الله ﷺ بين الحرتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق الذئب كلم الرجل، وقال: أعجب من هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين، والحرة: هي حجارة سوداء تحيط بالمدينة في الجهة الشرقية والغربية، والحرة الشرقية والحرة الغربية هما حدود للمدينة، فقال: رسول الله بين الحرّتين، يعني: في المدينة يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق، فكان هذا أيضًا من معجزات رسول الله عليه الصلاة والسلام.

النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلا وأعطاه من الآيات ما على مثله آمن البشر» يعني: ما من نبي بعثه الله تبارك وتعالى إلا وأعطاه من الآيات، أي: من الدلائل وخوراق العادات والحُجج، ما على مثله آمن البشر: يعني ما يجعله الله جل وعلا سببًا في إيمان البشر بصدق رسالة نبيّهم.

ونبينا ﷺ -كما ذكر بعض العلماء- نجد أن الله تبارك وتعالى أعطاه وأعطى أمته، من جميع ما أعطى الأنبياء السابقين من المعجزات، قالوا: إذا تأملت معجزات الأنبياء السابقين،

فما من نوع منها إلا تجد له نظائر إما في معجزات النبي ﷺ أو في كرامات أُمته.

يعني مثلًا: الآن مرّ بنا أن النبي ﷺ كان يُكلم الحيوان، والجماد، والنبات، ويسمع تكليمهم ﷺ ويفهم ما يقولون، فهذه كانت معجزة لسليمان عليه السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦] فنبينا ﷺ أُوتي من جنس هذه المعجزة.

وإبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار، وكانت عليه بردًا وسلامًا، هل هذا حصل للنبي ﷺ؟

هو ما حصل له، ولكن حصل لبعض أمته، وهو أبو مسلم الخولاني رحمه الله الذي ألقاه الأسود العنسي -الذي ادّعى النبوة- في النار، فكانت عليه بردًا وسلامًا، فلما لقيه عمر رضي الله عنه قال: الحمد لله الذي جعل في أُمة محمد ﷺ مَنْ كانت النار عليه بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم.

مسألة انشقاق البحر لموسى عليه السلام وجيشه وكونهم يعبرون البحر، هذا حصل للصحابي العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، عبر بجيشه الخليج العربي لغزو بلاد فارس، فانشق البحر وعبر بجيشه البحر إلى الجهة الأخرى، وهذا حصل لصحابي من صحابة النبي ﷺ، فهو من معجزات نبيّنا ﷺ. فما يحصل لأُمته من الكرامات يندرج تحت معجزاته ﷺ .

فالقصد: أن جميع أصناف معجزات الأنبياء السابقين تجدها إما وقعت لنبيّنا عليه الصلاة والسلام أو لبعض أفراد أُمته على سبيل الكرامة لهم، وكرامات هؤلاء- يعني أتباع النبي ﷺ- تُعتبَر معجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام.

١٠- وَجَاءَ مَرَّةً (قَضَـاءَ) الْحَاجَةِ	وَلَمْ يَجِدْ شَـيْئًا سِـوَى أَشَـاءَةِ:
١١- وَمِثْلِهَـا، لَكِنْ هُمَـا بُعْدَتَا	أَمَـرَ كُلًّا مِنْهُمَـا: فَأَتَتَـا

١٢- تَخُدُّ الأَرْضَ ذِي وَذِي حَتَّى قَضَى حَاجَتَـهُ: أَمَـرَ كُلًّا فَمَـضَى

من معجزات النبي ﷺ أنه أراد يومًا أن يقضي حاجته ﷺ في مكان خالٍ ولم يجد شيئًا يستتر به ﷺ (سِوَى أَشَاءَةِ)، والأشاءة: هي النخلة الصغيرة التي لا تكفي لستره عليه السلام، يعني في أرض صحراء مكشوفة، وليس فيها شيء يستتر النبي ﷺ خلفه لقضاء الحاجة إلا أشاءة صغيرة، -نخلة صغيرة- لا تكفي لستره عليه السلام.

(وَمِثْلِهَا) يعني وأشاءة أخرى، لكنها بعيدة عنها، يعني الأرض ليس فيها إلا نخلتان صغيرتان متباعدتان، كل واحدة منهما لا تكفي لتستره ﷺ ليقضي حاجته.

فأشار النبي ﷺ إليهما بيده الشريفة عليه السلام أن تقاربا، فتحركت النخلتان، كل منهما (تَخُدُّ الأَرْضَ) يعني: تشق الأرض ،ومنه: الأخدود، وهو الشق في الأرض، فالنبي ﷺ أشار إليهما أن تقاربا فإذا بالنخلتين تتحركان فتخدان الأرض حتى التصقتا واقتربت إحداهما من الأخرى، فقضى النبي ﷺ حاجته خلفهما مستترًا بهما، ثم أشار إليهما أن تباعدا فرجعت كل واحدة منهما إلى مكانها.

وكانت هذه من معجزات رسول الله ﷺ، والحديث رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي، وغيرهم.

في رواية للحديث: عن يعلى بن مُرة عن أبيه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فنزل منزلًا فقال لي: ايت تلك الأشاءتين فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا، قال: فأتيتهما، فقلت لهما: ذلك، فوثبت إحداهما إلى الأخرى، فاجتمعتا فخرج النبي ﷺ فاستتر بهما فقضى حاجته، ثم وثبت كل واحدة منهما إلى مكانها.

وكما مرّ يعني له طرق، وفي بعضها أن النبي ﷺ أشار إليهما، ربما أنه أرسل الصحابي

إليهما؛ ليكلمهما وأشار إليهما النبي ﷺ فاجتمعتا، ثم بعد ذلك أشار إليهما، فرجعت كل واحدة منهما إلى مكانها.

١٣- وَازْدَلَفَـتْ إِلَيْهِ سِـتٌّ بُدْنِ لِلنَّحْـرِ، كُلٌّ سَـابِقٌ لِلطَّعْـنِ

من معجزات رسول الله ﷺ: أيضًا أنه (ازْدَلَفَتْ إِلَيْهِ سِتٌّ بُدْنِ) جمع بَدنة وهي: (الناقة)، ازدلفت: من الازدلاف، وهو القرب والتنافس؛ لينحرهن النبي ﷺ، كان ذلك يوم عيد كما في سنن أبي داود وسُنن النسائي، أن النبي ﷺ قُرِّب له بدنات خمس، أو ست، أو سبع، في الرواية: خمس، أو ست، أو سبع؛ لينحرها يوم عيد فطفقن يزدلفن إليه لأيتهن يبدأ.

والنحر: هو الطعن في اللُّبة، وهي في بداية العنق من جهة الصدر، فالإبل تُنحَر؛ لأنها تُطعَن في لُبتها، والبقر والغنم يُذبَح، لكن الإبل تُنحَر، فالنبي ﷺ أراد أن ينحرهن يوم عيد فجعلن يزدلفن إليه، يتسابقن إليه، كل منها تريد أن يبدأ النبي ﷺ بها فينحرها قبل الأخرى؛ لتنال شرف أن ينحرها رسول الله ﷺ بيده الشريفة ﷺ.

١٤- وَنَـدَرَتْ عَـيْنُ قَتَـادَةٍ فَرَدْ تِلْكَ، فَكَانَتْ مِـنْ صَحِيْحَةٍ أَحَدْ

من معجزات رسول الله ﷺ أن عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه ندرت، يعني: سقطت على وجهه في غزوة أُحد، أصيب يوم أُحد فندرت عينه يعني سقطت عينه على وجهه، وخرجت عينه من مكانها، فردّها النبي ﷺ بيده الشريفة، النبي ﷺ إلى مكانها، فكانت أحدّ من العين الصحيحة، فكانت أحدّ عينيه، يعني: أشدهما حِدّة في قوة الإبصار.

١٥- وَبَرِئَـتْ عَـيْنُ عَلِيٍّ إذ تَفَلْ فِيْهَـا لِوَقْتِـهِ، وَمَـا عَادَ حَصَلْ

كذلك من إبراء النبي ﷺ للمرضى -بأمر الله تعالى-: أنه يوم خيبر قال النبي ﷺ:

«لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فتشرّف لها الصحابة ﷺ، كل منهم استشرف، أي: حاول أن يبدي نفسه؛ لعل النبي ﷺ يدعوه أو يناديه، كل منهم يريد هذا الفضل وأن يكون هو المعنيَّ بهذا التكريم.

فأخذ النبي ﷺ ينظر في القوم يبحث عن علي ﷺ فلم يجده، فقال: «أين علي؟» فقالوا: رمدت عينه، كان علي ﷺ لم يكن جالسًا مع الحاضرين ؛ لأن بعينيه رمدًا، فدعاه النبي ﷺ فتفل في عينيه، قال: فما رمدتا حتى مات، يعني برئت عيناه وما أصابهما رمد من ذلك اليوم ﷺ.

١٦- وَابْنُ عَتِيْكٍ رِجْلُهُ أُصِيْبَتْ فَهْيَ بِمَسْحِهِ سَرِيْعًا: بَرِئَتْ

ابن عتيك: هو عبد الله بن عتيك الأنصاري ﷺ، كان النبي ﷺ قد أرسله ليقتل رافع بن أبي الحقيق، وكان رجلًا من زعماء اليهود وكان يؤذي المسلمين ويكيد لهم، فأرسل النبي ﷺ عبد الله بن عتيك؛ ليقتله، فذهب عبد الله بن عتيك لقتله وهو متوجه إليه في حصنه الذي كان فيه فسقط من درج، يعني وهو نازل من درج إلى المكان الذي فيه رافع، فزلق من الدرج وانكسرت رجله، وتمكن في النهاية من قتْل رافع بن أبي الحقيق، ولكنه رجع ورجله مكسورة من انزلاق الدرج، فمسح النبي ﷺ بيده الشريفة على رجله فبرئت كأن لم يكن بها بأس.

١٧- وَقَالَ: «أَقْتُلُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفْ» خَدَشَهُ خَدْشًا يَسِيْرًا: فَانْحَتَفْ

فيقول: من معجزات النبي ﷺ أنه قال لأُبيّ بن خلف: أنا أقتلك إن شاء الله، وكان أُبي بن خلف من زعماء المشركين في مكة، فقال للنبي ﷺ يومًا: إن عندي قعودًا أعلفه كل يوم، أقتلك عليه، وتكرر هذا أكثر من مرة، كان يقول هذا للنبي ﷺ، فكان النبي ﷺ يرد عليه ويقول: بل أنا أقتلك إن شاء الله.

فدارت الأيام بعد هذا، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ولما جاءت غزوة بدر، فرأى النبي ﷺ أُبي بن خلف، فضربه النبي في عنقه ضربةً خدشته خدشًا يسيرًا في عنقه، فظل يصرخ ويصيح ويقول: قتلني محمد، قتلني محمد، فجعل قومه يقولون: إن بك لخورًا. يعني ما هذا الخور؟ ما نرى بك بأسًا، يعني هذا خدش يسير فقال: إنه قال: أنا قاتلك، فلو بصق عليّ لقتلني. فظل يتلوى من ألم هذه الخدشة حتى مات في الطريق وهم راجعون، (فَانْحَتَفْ) يعني لقي حتفه وهلك.

١٨- كَذَاكُـمُ أُمَيَّةُ بْـنُ خَلَفِ   قُتِـلَ كَافِـرًا بِبَـدْرٍ، فَـوُفِي

١٩- وَعَدَّ فِي (بَـدْرٍ) لَهُمْ مَصَارِعَا   كُلٌّ بِمَـا سَـمَّى لَهُ: قَـدْ صُرِعَا

كذلك أُمية بن خلف وهو أخو أُبي بن خلف، هذا قُتل في غزوة بدر، وكان أيضًا من أئمة الكفر، وكان هو الذي يعذب بلال بن رباح رضي الله عنه.

فالقصد: أن أُمية بن خلف كان ممَّنْ دعا عليه النبي ﷺ بالهلاك، وقال: «اللهم عليك بأُمية بن خلف» فكان ممَّنْ قُتِل في غزوة بدر، دعا عليه النبي ﷺ فلقي مصرعه في غزوة بدر.

طبعًا الذي قتله هو بلال رضي الله عنه، في غزوة بدر عبد الرحمن بن عوف أسَر أُمية بن خلف، فرآه بلال مع عبد الرحمن بن عوف فقال: رأس الكفر أُمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، فكان عبد الرحمن لا يريد أن يُقتَل أُمية؛ لأنه من أئمة المشركين، وربما افتداه المسلمون بمال كثير فجعل يحوطه حتى لا يقتله بلال، وبلال يضربه بالسيف، حاول أن يجد أي فُرجة بعيدًا عن عبد الرحمن، ويطعن أُمية بن خلف حتى قتله بلال رضي الله عنه.

فكان النبي ﷺ قد دعاء على أمية، وكان هذا في اليوم الذي ألقى فيه عقبة بن أبي

معيط، قذرًا على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد ﷺ في مكة، وجعل أُمية بن خلف، وأبو جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، يضحكون ويسخرون من النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «اللهم عليك بأُمية بن خلف، اللهم عليك بأبي جهل، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، وعقبة بن أبي معيط» فدعا عليهم النبي ﷺ قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فقد رأيتهم صرعى في القليب يوم بدر، يعني ما مرت فترة طويلة حتى رآهم عبد الله بن مسعود، كان شهد تلك الواقعة يوم آذوا رسول الله ﷺ، فمرّت الأيام حتى رآهم صرعى يوم بدر في القليب، هؤلاء المجموعة كلهم الذين دعا عليهم النبي ﷺ.

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه قبل غزوة بدر، قبل بداية المعركة النبي ﷺ وهو في أرض المعركة جعل ﷺ يشير لهم إلى أماكن معينة من الأرض، ويقول ﷺ: هنا مصرع أبي جهل، وهنا مصرع أُمية بن خلف، وهنا مصرع الوليد بن عتبة، وهنا مصرع عتبة بن ربيعة، وهنا مصرع شيبة بن ربيعة، فحدد النبي ﷺ الأماكن التي سيصرعون فيها، وهذا قبل بداية المعركة.

فيقول الصحابة رضي الله عنهم: فما عدا واحد منهم الموضع الذي أشار إليه النبي ﷺ، كل واحد منهم مات في نفس الموضع الذي أشار إليه النبي ﷺ أنه سيموت فيه، ما تجاوز واحد منهم موضع يده عليه السلام، الموضع الذي أشار إليه بيده كل منهم قُتل فيه.

٢٠- وَقَــالَ عَنْ قَوْمٍ: «سَــيَرْكَبُونَا ثَبَجَ هَــذَا الْبَحْــرِ»، أَيِ: يَغْزُونَا
٢١- وَمِنْهُــمُ أُمُّ حَــرَامٍ رَكِبَــتْ الْبَحْرَ، ثُــمَّ فِي رُجُوْعِهِــمْ قَضَتْ

فمن معجزات رسول الله ﷺ مما يتعلق بالإخبار عن المغيبات: أنه ﷺ كان نائمًا ثم استيقظ ﷺ من النوم مستبشرًا يتهلل وجهه ﷺ، وقال: «عُرِض عليّ ناس من أُمتي

يركبون ثبج هذا البحر- يعني وسط هذا البحر- ملوكًا على الأَسِرّة، أو كالملوك على الأَسِرّة».

وكانت بجواره أم حرام بنت ملحان ﵂، فقالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنتِ منهم».

ثم نام النبي ﷺ نومة أخرى، ثم استيقظ مستبشرًا متهللًا، فقال: «عُرِض عليّ ناس من أُمتي يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأَسِرّة أو كالملوك على الأَسِرّة» فقالت أم حرام ﵂: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنتِ من الأولين»، فهؤلاء مجموعة أخرى سيغزون في البحر.

فكان أول غزو في البحر خرج أيام عثمان بن عفان، وكان قد بعث جيشًا لفتْح جزيرة قبرص في البحر، وكان الروم يحتلون قبرص، وقد أنشأ المسلمون أسطولًا بحريًا وغزوا في البحر ففتحوا جزيرة قبرص، وكانت أم حرام ﵂ مع زوجها عبادة بن الصامت ﵁، فخرجت هي وزوجها لغزو قبرص، وتوفيت هناك ﵂ وأرضاها، وقبرها لا يزال إلى الآن هناك، في قبرص إلى وقتنا هذا ﵂.

وأم حرام اسمها: الغميصاء أو الرميصاء، الغميصاء بالغين، أو بالراء، بنت ملحان، وهي أخت أم سُليم ﵄. فلما قفلوا من غزوهم قُدمت لها دابة؛ لتركبها فصرعتها فماتت ودُفنت بقبرص ﵂، وكان أمير الجيش معاوية بن أبي سفيان ﵁، في عدد من الصحابة كان منهم: أبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وزوجته أم حرام، وآخرون.

فالشاهد: أن النبي ﷺ أخبر عن هذا الأمر الغيبي، أن أُمته سيغزون في البحر، ووقت أن أخبر النبي ﷺ ما كان لأُمته لا أسطول، ولا سُفن، ولا شيء، وأخبر أن أم حرام ستكون مع أول جيش يغزو في البحر، وأنها مع الأولين، وليست مع الجيش الثاني الذي

سيخرج، ووقع كل هذا كما أخبر ﷺ.

٢٢- وَقَالَ فِي الْحَسَــنِ سِبْطِ نَسَبِهْ يَومًــا: «لَعَــلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِــحَ بِهْ
٢٣- مَــا كَانَ بَيْنَ فِئَتَــيْنِ، وَهُمَا عَظِيْمَتَــانِ، الْكُلُّ مِمَّنْ أَسْــلَمَا»
٢٤- فَــكَانَ ذَا، وَقَــالَ فِي عُثْمَانَا: «تُصِيْبُــهُ الْبَلْــوَى»، فَحَقًّــا كَانَا

من معجزات رسول الله ﷺ التي تتعلق بإخباره بالمغيبات: أنه قال عن الحسن سبط النبي ﷺ يعني: ابن بنته - وكان طفلًا صغيرًا- فقال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»..

فدارت الأيام بعد هذا، ولما كانت سنة إحدى وأربعين من الهجرة وهي السنة التي يقال لها: عام الجماعة، وقالوا هذا؛ لأن النبي ﷺ قال: «تكون خلافة على منهاج النبوة ثلاثون عامًا» يعني قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثلاثون عامًا».

فمدة خلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم كانت تسعة وثلاثين عامة وستة أشهر، يعني بعد مقتل علي رضي الله عنه كان قد بقي ستة أشهر على إكمال ثلاثين عامًا، فلما قُتِل علي رضي الله عنه ولي الخلافة ابنه الحسن- ابن علي- رضي الله عنهما.

وكان هناك صراع بين فئتين عظيمتين من المسلمين، أهل الشام كانوا مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وأهل العراق مع علي رضي الله عنه، وكان المسلمون منقسمين، فولي الحسن بعد مقتل أبيه الخلافة ستة أشهر، ثم إنه تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وهو في الشام. بعث الحسن إلى معاوية يريد الصلح، وعرض عليه أن يتنازل له عن الخلافة، ووافق معاوية رضي الله عنه وأكرم الحسن وأكرم آل البيت واستقبلهم، واجتمعت

كلمة المسلمين واصطلحت الفئتان، وصار معاوية ﵁ ملكًا على المسلمين جميعًا واجتمعت كلمتهم بعد أن كان المسلمون منقسمين.

وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وسُمي هذا العام بعام الجماعة، حقنًا لدماء المسلمين.

فتحقق فيه ما أخبر عنه النبي ﷺ، قال: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يُصلِح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

كذلك أخبر النبي ﷺ عن عثمان ﵁ كما جاء في صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﵁، أن النبي ﷺ كان جالسًا، فاستأذن أبو بكر فأذِن له، ثم استأذن عمر فأذِن له، ثم جاء عثمان يستأذن فقال النبي ﷺ: «ايذن له وبشّره بالجنة».

كان أبو موسى ﵁ قال: كنت بوابًا له يومئذٍ، يعني كان يذهب إلى الباب وينظر مَنْ الطارق، ويأذن لمَنْ. فلما جاء يستأذن عثمان فجاء أبو موسى وقال للنبي ﷺ: إن عثمان يستأذن، فقال: «ايذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه». فحصل أن ابتُلي عثمان ﵁ بثورة الذين ثاروا عليه وحاصروا داره وقتلوه ظلمًا ﵁.

٢٥- وَمَقْتَلَ الأَسْوَدِ فِي صَنْعَا الْيَمَنْ ذَكَـرَهُ لَيْلَـةَ قَتْلِـهِ، وَمَـنْ:

٢٦- قَتَلَهُ، كَـذَاكَ كِسْرَى أَخْبَرَا بِقَتْلِـهِ: فَـكَانَ ذَا بِـلاَ مِـرَا

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه أخبر بمقتل الأسود العنسي في صنعاء اليمن، وأخبر النبي ﷺ بمَنْ قتله، وذلك في نفس اليوم أو في نفس الليلة التي قُتل فيها الأسود العنسي، والأسود العنسي كان ممَّنْ ادّعى النبوة على عهد رسول الله ﷺ في أواخر حياة رسول الله ﷺ بدأ يظهر مَنْ يدّعي النبوة، كمسيلمة الكذاب ادعى النبوة في اليمامة، والأسود العنسي ادعى النبوة في صنعاء باليمن.

فلما قُتل الأسود العنسي أخبر النبي ﷺ أن الأسود العنسي قُتل في هذه الليلة، وكان الخبر حتى يصل إلى المدينة يحتاج إلى مدة حتى يصل إليها، فبعد ذلك جاءت الأخبار بمقتل الأسود العنسي في نفس الليلة التي أخبر فيها النبي ﷺ عن مقتله، وبنفس تفاصيل قصة قتْله كما أخبر عنها الرسول ﷺ.

كذلك أخبر النبي ﷺ عن مقتل كسرى، وكلمة كسرى تُطلَق على كل مَنْ ملك الفرس من الكافرين.

وكسرى الذي كان في زمن النبي ﷺ اسمه أبراويز بن هرمز.

وقد بعث النبي ﷺ إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما جاءه الكتاب مزقه، وبعث إلى عامله على اليمن، -وكانت اليمن محتلة من قِبَل الفرس- أن يبعث رجلين من قِبَله يأتيانه برسول الله ﷺ، يعني بلغ به الكبر -والعياذ بالله- أنه بعث لعامله على اليمن أن يبعث رجلين يُحضران النبي ﷺ إلى كسرى.

فأرسل عامله على اليمن رجلين إلى النبي ﷺ من المجوس، وورد في الخبر أن

النبي ﷺ لما رآهما كانا قد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما كعادة المجوس، وكان هذا أمرًا غريبًا على العرب، وكان العرب في الجاهلية، واليهود والنصارى كلهم يُطلقون لحاهم، فلما جاء هذان الرجلان المجوسيان كره رسول الله ﷺ أن ينظر إليهما، وقال: «ويلكما مَنْ أمركما بهذا؟» قالا: ربنا، يعنيان: كسرى، قال: «إن ربي قتل ربكما الليلة، عدا عليه ولده شيرويه فقتله» شيرويه ابن أبراويز هذا عدا على أبيه فقتله.

فجاء الخبر كما قال النبي ﷺ أن ابن كسرى قتله في نفس الليلة التي أخبر فيها النبي ﷺ.

٢٧- وَقَالَ إِخْبَارًا عَنِ الشَّـيْمَاءِ: «قَـدْ رُفِعَـتْ فِي بَغْلَـةٍ شَـهْبَاءِ
٢٨- خِمَارُهَا أَسْـوَدُ»، حَتَّى أُخِذَتْ عَهْدَ أَبِي بَكْـرٍ: كَمَا قَدْ وُصِفَتْ

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه أخبر عن الشيماء بنت نفيلة الأزدية، وهذه كانت من نصارى العرب في الحيرة بالعراق، وكانت تُدعَى أميرة الحيرة-منقطة الحيرة في العراق- وكانت أميرة على تلك المنطقة هي وأخوها، وأخوها كان من علماء النصارى، يعني من قساوسة النصارى الكبار.

فعن خريم بن أوس رضي الله عنه قال: قدمت على النبي ﷺ مُنصرفه من تبوك-وهو راجع من غزوة تبوك- فأسلمتُ، قال: فسمعته يقول عليه الصلاة والسلام: «هذه الحيرة البيضاء» النبي ﷺ يشير إلى جهة الحيرة، «قد رُفعت لي، وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود» فالنبي ﷺ قال: رُفعت لي، يعني: لعلها صُوّرت للنبي ﷺ يعني منطقة الحيرة رُفعت للنبي ﷺ حتى رآها، وقد يكون المعنى: أنه رُفع مثالها أو صورتها للنبي ﷺ، ورُفعت له أميرتهم الشيماء بنت نفيلة الأزدية، على بغلة شهباء: يعني على بغلة بيضاء، معتجرة بخمار أسود: وعليها خمار أسود تلبسه.

قال خريم ﵁: فقلت: يا رسول الله، إن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي؟ قال: «هي لك»، قال: فلما دخلناها كانت أول مَنْ تلقانا وقالوا: إنها أُخذت في السبي، وكان هذا في عهد أبي بكر الصديق ﵁، و كان أمير الجيش هو خالد بن الوليد ﵁ فذهب إلى خالد بن الوليد، وقال له: إن النبي ﷺ وعدني بكذا، فقال له خالد: ايتِ بشاهدين، فجاء بشاهدين فشهدا له، فأعطاه خالد الشيماء.

والشيماء بنت نفيلة هذه غير الشيماء بنت الحارث السعدية التي هي أخت النبي ﷺ من الرضاعة.

٢٩- وَقَـدْ دَعَا لِـوَلَدِ الْخَطَّـابِ بِعِـزَّةِ الدِّيْـنِ بِـهِ، أَوْ بِـأَبِيْ:

٣٠- جَهْلٍ، أَصَابَتْ عُمَرًا: فَأَسْلَمَا عَزَّ بِهِ مَـنْ كَانَ أَضْحَى مُسْـلِمَا

ومن معجزات النبي ﷺ: أنه دعا فقال: «اللهم أعِز الإسلام بأحب العمرين إليك» يعني عمر بن الخطاب وأبا جهل بن هشام، فأصابت دعوته عمر بن الخطاب ﵁، فأسلم فعزّ بإسلامه كل مَنْ كان مسلمًا، ولذلك كان عبد الله بن مسعود ﵁ يقول عن عمر بن الخطاب: ما زلنا أذلة حتى أسلم عمر. و قال: كنا لا نستطيع أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، كان الصحابة لا يستطيعون أن يصلي أحدهم عند الكعبة حتى أسلم عمر ﵁.

وقال ابن مسعود أيضًا قال: كان إسلامه فتحًا، وهجرته نصرًا وخلافته رحمةً.

٣١- وَلِعَـلِيٍّ بِذَهَـابِ الْحَـرِّ وَالْبَرْدِ: لَـمْ يَكُنْ بِذَيْـنِ يَدْرِيْ

دعا النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﵁ أن يُذهِب الله عنه الحر والبرد، كان يشتكي مرة من حر أو برد فدعا له النبي ﷺ أن يُذهِب الله عنه الحر والبرد، فكان لا يدري بحر

ولا برد، فقالوا: كان ربما لبس في البرد ثوبين خفيفين، وربما لبس في الحر قُباءً محشوًّا ولا يبدو عليه أي شعور بالحر ولا عرق ولا أي شيء، وفي البرد ربما خرج بثوبين خفيفين والناس حوله يعانون من البرد وهو لا يحس بأي برودة ولا أي شيء رضي الله عنه.

٣٢- وَ(لابْنِ عَبَّاسٍ) بِفِقْهِ الدِّيْنِ مَعْ ... عِلْمٍ بِتَأْوِيْلٍ: فَبَحْرًا اتَّسَعْ

دعا النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال: «اللهم فقِهه في الدين، وعلمه التأويل»؛ اللهم فقهه في الدين: الفقه بمعنى الفهم، اللهم فقهه في الدين: المعنى اللغوي للفقه هو الفهم، طبعًا بعد ذلك صار هناك معنى اصطلاحي للفقه، لكن ما كان هذا المعنى الاصطلاحي موجودًا زمن النبي ﷺ، إنما في الفقه في الدين: بمعنى الفهم في الدين.

وعلمه التأويل: التأويل يعني تفسير القرآن الكريم.

يقول: (فَبَحْرًا اتَّسَعْ) يعني فصار بحرًا واسعًا من العلم، وصار ترجمان القرآن كما قال فيه ابن مسعود رضي الله عنه: نِعْم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

وصار بحرًا واسعًا في الفقه في الدين، وكذلك في العلم بتفسير القرآن الكريم.

٣٣- وَثَابِتٍ بِعَيْشِهِ سَعِيْدَا ... حَيَاتَهُ، وَمَوْتِهِ شَهِيْدَا:

٣٤- فَكَانَ ذَا، وَأَنَسٍ بِكَثْرَةِ ... الْمَالِ وَالْوُلْدِ وَطُوْلِ الْمُدَّةِ:

٣٥- فِي عُمْرِهِ، فَعَاشَ نَحْوَ الْمِئَةِ ... وَكَانَ يُؤْتِي نَخْلُهُ فِي السَّنَةِ:

٣٦- حِمْلَيْنِ، وَالْوُلْدُ لِصُلْبٍ مِئَةُ ... مِنْ بَعْدِ عِشْرِيْنَ ذُكُوْرًا أُثْبِتُوْا

هنا يذكر من دعوات النبي ﷺ التي ظهر فيها إكرام الله ﷻ له بإجابة دعائه عليه السلام، ومن ذلك: دعاؤه لثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، من الأنصار رضي الله عنهم، وهو واحد من المبشرين

بالجنة، غير العشرة المبشرين هناك آخرون بشّرهم النبي ﷺ بالجنة منهم ثابت بن قيس رضي الله عنه.

فدعا له النبي ﷺ فقال: «عِش سعيدًا ومُت شهيدًا» فدعا له النبي ﷺ أن يعيش سعيدًا وأن يموت شهيدًا، فعاش رضي الله عنه سعيدًا، وقُتِل يوم اليمامة شهيدًا.

كذلك دعاؤه ﷺ لأنس بن مالك رضي الله عنه، دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم أكْثِر ماله وولده، وبارك فيه» وفي رواية قال: «اللهم كثِّر ماله، وكَثِّر ولده، وأطِل عمره»، فدعا له النبي ﷺ بطول العمر، وكثرة المال، وكثرة الولد.

وأنس رضي الله عنه كان خادم رسول الله ﷺ، لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان عمر أنس عشر سنين، وظل يخدم النبي ﷺ عشر سنين إلى أن توفي النبي ﷺ.

فعاش أنس ابن مالك رضي الله عنه مائة وثلاث سنوات رضي الله عنه فمات سنة ثلاث وتسعين للهجرة رضي الله عنه؛ فطال عمره كما دعا له النبي ﷺ.

وقال: «اللهم كَثِّر ماله» دعا له بكثرة المال، فكان أنس رضي الله عنه كان أكثر أهل البصرة مالًا، قضى أنس رضي الله عنه جزءًا كبيرًا في حياته إلى وفاته رضي الله عنه في البصرة، فكان له مزارع وله قصور في البصرة، وكان من أكثر أهلها مالًا.

وكان له بستان يحمل نخله في السنة مرتين، قال: وليس في البصرة بستان يحمل مرتين غير بستاني رضي الله عنه، يعني النخل يحمل مرتين التمر ويُجنى، ويرجع يحمل التمر (البلح) مرة أخرى ويُجنى مرة أخرى، فكَثّر الله تبارك وتعالى ماله.

وكثَّر الله جل وعلا أولاده فكان له مائة وعشرون ذكرًا، أو أبناؤه الذكور كانوا مائة وعشرين لصلبه ثم أولاد أبنائه، يعني هؤلاء أولاده الذكور كانوا مائة وعشرين ابنًا، غير البنات

وغير أولاد الأولاد..

وورد أنه دفن لصلبه من بين أولاده، يعني أولاده بنين وبنات كانوا بالمئات.. ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه، في صحيح البخاري قال: أخبرتني ابنتي أمينة أني دفنت لصلبي مائة وعشرين من الولد.

وأما أولاد أولاده فكان لا يُحصيهم، يعني لا يعلم عددهم ولا يعرفهم، أحيانًا يلقونه في الطريق يقولون له: أنا ابن ابنك فلان، وابن ابنتك فلان، يعني من كثرة أولاد أولاده لا يُحصي عددهم رضي الله عنه.

وكان له زوجات وله إماء كثيرات، وله أولاد من زوجاته وإمائه رضي الله عنه.

قال: (والْوُلْدِ) بمعنى الولد، دعا له بكثرة المال وكثرة الوُلد يعني كثرة الأولاد، (وَطُوْلِ الْمُدَّةِ) (فَعَاشَ نَحوَ الْمِئَةِ وَكَانَ يُؤْتِي نَخْلُهُ فِي السَّنَةِ حِمْلَيْنِ).

(وَالْوُلْدُ لِصُلْبِ) هم أولاده مباشرةً، فأولاده لصلبه (مِئَةٌ مِنْ بَعْدِ عِشْرِيْنَ ذُكُوْرًا) الذكور ١٢٠ غير البنات.

٣٧- وَقَالَ فِيْمَنِ ادَّعَى الإِسْـلاَمَا	وَقَـدْ غَـزَا مَعْـهُ الْعِـدَا وَحَامَا
٣٨- مَعْ شِـدَّةِ الْقِتَـالِ لِلْكُفَّارِ	مَعْـهُ: «بِأَنَّـهُ مِـنَ اهْـلِ النَّارِ»
٣٩- فَصَـدَّقَ اللهُ مَقَالَ السَّـيِّدِ	بِنَحْـرِهِ لِنَفْسِـهِ عَمْـدَ الْيَـدِ

يقول: في غزوة من الغزوات كان رجل ظاهره الإسلام، يقاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم، أعداءه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الرجل: «هو من أهل النار».

فشق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، هذا رجل يجاهد مع المسلمين، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

«هو من أهل النار» ثم وجدوه في القتلى، وإذا به قد أخبر عنه مَنْ رآه أنه أصابه جرح فقطع عروق يديه وقتل نفسه -والعياذ بالله تعالى- يعني أصابه جُرح في المعركة فقطّع عروق يديه حتى نحر نفسه بيده عمدًا.. قتل نفسه.. فصدَّق الله مقالة النبي ﷺ، يعني أظهر الله -تعالى- صِدْق هذه المقالة وجعل الواقع يطابق ما أخبر عنه النبي ﷺ، وهذا الرجل قتل نفسه.

٤٠- وَكَانَ مِنْ عُتْبَـةٍ بْنِ أَبِي لَهَبْ ... أَذًى لَهُ: دَعَا عَلَيْـهِ فَوَجَـبْ

٤١- يُسَـلِّطُ اللهُ عَلَيْـهِ كَلْبَـا ... قَتَلَـهُ الأَسَـدُ قَتْـلًا صَعْبَـا

بعض النسخ (عتبة) وفي بعضها (عتيبة) مصغرًا (عتيبة بن أبي لهب)، وكانا أخوين عتبة بن أبي لهب وعتيبة بن أبي لهب، فيقول: كان منه أذى للنبي ﷺ، وذلك أنه بصق على رسول الله ﷺ، فدعا عليه النبي ﷺ قال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» فأكله الأسد في الزرقاء من أرض اليمامة، قتله الأسد قتلًا صعبًا، جاء الأسد فأكله في الزرقاء باليمامة.

فقالوا هنا: المخلوق إذا أُضيف إلى الله ﷻ يكون تشريفًا لهذا المخلوق، فقالوا: لما قال كلبًا من كلابك كان أسدًا ضخمًا كبيرًا، قال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» فعدا عليه الأسد فأكله.

٤٢- وَقَدْ (شَـكَا) لَهُ قُحُوطَ الْمَطَرِ ... شَـاكٍ أَتَـاهُ وَهُـوَ فَـوْقَ الْمِنْبَرِ

٤٣- فَرَفَـعَ الْيَدَيْـنِ لِلّهِ وَمَـا ... قَزَعَـةٌ وَلاَ سَـحَابٌ فِي السَّـمَا

٤٤- فَطَلَعَتْ سَـحَابَةٌ وَانْتَشَرَتْ: ... فَأُمْطِـرُوْا جُمُعَـةً تَوَاتَـرَتْ

٤٥- حَتَّى شَكَا لَهُ انْقِطَاعَ السُّبُلِ: ... فَأَقْلَعَـتْ لَمَّـا دَعَا اللّهَ الْعَـلِي

من معجزات النبي ﷺ المتعلقة باستجابة دعائه ﷺ: أنه كان يخطب ﷺ يوم الجمعة، وكان الناس قد أصابهم جدب وقِلّة مطر، فجاء رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فشكا إليه شاك قحوط المطر، وقال: هلكت الدواب، ادعُ الله أن يسقينا، فرفع النبي ﷺ يديه وهو على المنبر فدعا، وقالوا: هذا الموضع الوحيد الذي حُفظ فيه عن النبي ﷺ أنه كان يرفع يديه إذا دعا وهو على المنبر يوم الجمعة، إذا دعا بالاستسقاء أو بالاستصحاء، بنزول المطر أو بإيقاف المطر، كان يرفع يديه، فيما عدا ذلك كان إذا دعا على المنبر لا يرفع يديه ﷺكما روى الصحابة عنه ﷺ أنه كان لا يرفع يديه إذا دعا على المنبر، وإنما يقول بسبابته هكذا، أي: كان النبي ﷺ لا يزيد عن الإشارة بالسبابة وهو يخطب على المنبر ﷺ.

ولما رأى بعض الصحابة رجلًا من أمراء بني أمية يخطب ويرفع يديه يدعو على المنبر، قال الصحابي: قبّح الله هاتين اليدين، ما زاد رسول الله ﷺ على أن قال بسبابته هكذا، وهذا لإنكار الصحابة للإحداث في الدين.

لكن رفع النبي ﷺ يديه في الدعاء على المنبر في الاستسقاء في ذلك اليوم لما طلب نزول المطر، وكذلك في الجمعة التي بعدها لما دعا بالاستصحاء (بإيقاف المطر) رفع يديه أيضًا ﷺ.

لكن في غير الخطبة إذا كان الإنسان يدعو في غير خطبة وصلاة يكون من السُّنة رفْع اليدين عند الدعاء.

المهم أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجدب وقِلّة المطر، فيقول الصحابي: وما في السماء قزعة، والقزعة هي السحابة الصغيرة، يعني السماء صافية تمامًا فرفع النبي ﷺ يديه ودعا فرجعوا من الجمعة أقدامهم تغوص في الماء، بمجرد أن دعا النبي ﷺ إذا بالسماء تهطل مطرًا متواترًا متتابعًا إلى الجمعة التي تليها، ظلوا جمعة كاملة المطر ما توقف منذ أن دعا النبي ﷺ إلى الجمعة التي بعدها.

الراوي يقول: فجاء وقال للنبي ﷺ وهو على المنبر: يا رسول الله، ادعُ الله لنا، انقطعت السبل، وأخذ يشكو الأذى الذي أصابهم بسبب كثرة المطر، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم حوالينا ولا علينا».

فدعا النبي ﷺ أن يجعل المطر حولهم ولا عليهم، «اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية» دعا أن يكون المطر بعيدًا عن سقوف بيوتهم وعن أماكن السكنى، وإنما على المرتفعات التي ينحدر منها الماء إلى أماكن الزرع وأماكن الحاجة إليه.

بمجرد أن دعا النبي ﷺ إذا بالمطر ينكشف وإذا بالشمس ساطعة وليس في السماء قزعة، ورجعوا والجو صحو.

٤٦- وَأَطْعَمَ الأَلْفَ زَمَانَ الْخَنْدَقِ مِـنْ دُوْنِ صَـاعٍ وَبُهَيْمَـةٍ، بَقِيْ:

٤٧- بَعْـدَ انْصِرَافِهِمْ عَنِ الطَّعَامِ: أَكْـثَرُ مِمَّـا كَانَ مِـنْ طَعَـامِ

٤٨- كَذَاكَ: قَدْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ تَمْرِ أَتَـتْ بِـهِ جَارِيَـةٌ فِي صُغْـرِ

٤٩- وَأَمَـرَ الْفَـارُوقَ أَنْ يُـزَوِّدَا مِئِـيْنَ أَرْبَعًـا أَتَـوْا: فَـزَوَّدَا

٥٠- وَالتَّمْرُ كَانَ كَالْفَصِيْلِ الرَّابِضِ كَأَنَّـهُ مَـا مَسَّـهُ مِـنْ قَابِـضِ

هذه عدة وقائع حصلت يشير إليها المؤلف، كلها ترجع إلى موضوع تكثير الطعام ببركة دعاء النبي ﷺ، وببركة وضْع يده الشريفة في هذا الطعام.

فذكر هنا عدة وقائع، الواقعة الأولى يقول: (وَأَطْعَمَ الأَلْفَ زَمَانَ الْخَنْدَقِ) في غزوة الخندق أطعم النبي ﷺ ألف رجل كانوا معه في غزوة الخندق (مِنْ دُوْنِ صَاعٍ) دون الصاع: يعني أقل من صاع من الشعير، (وَبُهَيْمَةٍ) تصغير بَهَمة وهي ولد الضأن، البهيمة: المقصود بها هنا الشاة الصغيرة، فمن شاة صغيرة وأقل من صاع من الشعير أطعم النبي ﷺ ألف رجل كان معه يوم الخندق، فأكلوا وشربوا وانصرفوا، وبقي بعد انصرافهم من الطعام (أَكْثَرُ مِمَّا كَانَ) قبل أن يأكلوا.

وجاء هذا في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن أهل جابر كانوا صنعوا طعامًا قليلًا وقالوا له: ادعُ رسول الله ﷺ، وأروه الطعام يعني أنه قليل، يعني لا يكفي إلا للنبي ﷺ ونفر قليل معه.

فذهب جابر ودعا النبي ﷺ فدعا الجيش كله، وكانوا ألف رجل، فقال تعالوا، فحضروا ودعا النبي ﷺ وجعلوا يأكلون يعني في إحدى الروايات: دخل عشرة فأكلوا

حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم دخل عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، وظلوا يأكلون حتى أكل ألف رجل، كل منهم أكل حتى شبع وخرج، والأكل بعد انصرافهم أكثر مما كان عليه قبل أن يبدؤوا في الطعام، فهذا كان في غزوة الخندق.

وكذلك في الواقعة الأخرى:

٤٨- كَذَاكَ: قَدْ أَطْعَمَهُمْ مِنْ تَمْرِ   أَتَتْ بِهِ جَارِيَةٌ فِي صُغْرِ

وهذه الجارية الصغيرة هي بنت بشير بن سعد ﵁، فأتت بتمر قليل إلى النبي ﷺ فأطعم منه ثلاثة آلاف رجل من هذا التمر القليل، أكلوا منه حتى شبعوا.

٤٩- وَأَمَرَ الْفَارُوقَ أَنْ يُزَوِّدَا   مِئِيْنَ أَرْبَعًا أَتَوْا: فَزَوَّدَا

النبي ﷺ أمر الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ أن يزود أربعمئة راكب أتوا إليه من تمر كان عنده، فزوّدهم، الزاد: هو الطعام الذي يحملونه معهم في أسفارهم، فأعطى أربعمائة راكب، كل راكب أعطاه زادًا، أعطاه تمرًا يكفيه يعني في طريقه، وكمية كبيرة من التمر.

(وَالتَّمْرُ كَانَ كَالْفَصِيلِ الرَّابِضِ) الفصيل هو ولد الناقة، يعني مثل: الناقة الصغيرة الرابضة، يعني كومة من التمر.

فزوّدهم جميعًا و(كَأَنَّهُ مَا مَسَّهُ مِنْ قَابِضِ) كأنه لم يقبض منه تمرة واحدة، فظل عمر ﵁ يغترف من التمر ويُحمّل هؤلاء الركاب، أربعمئة شخص كل واحد أعطاه كمية من التمر كبيرة، والتمر كالفصيل الرابض أمام عمر ﵁ كأنه لم تُقبَض منه تمرة واحدة، بعد ما عبّأ الأربعمائة وظل التمر كما هو.

٥١- (كَذَاكَ) أَقْرَاصُ شَعِيرٍ جُعِلَتْ   مِنْ تَحْتِ إِبْطِ أَنَسٍ، فَأَكَلَتْ:

٥٢- جَمَاعَةٌ مِنْهَا ثَمَانُونَ، وَهُمْ   قَدْ شَبِعُوا، وَهُوَ كَمَا أَتَى لَهُمْ

وأطعم النبي ﷺ جماعة من أقراص شعير قليلة جعلها أنس تحت إبطه، القرص هو قرص الخبز من خبز الشعير، فجعلها أنس تحت إبطه لقلتها. (أربعة أرغفة، خمسة

أرغفة). فأكل منها ثمانون رجلًا وشبعوا، (كَمَا أَتَى لَهُمْ) يعني كأنه لم يمسها أحد منهم، وبعد أن أكلوا، وشبعوا بقيت أقراص الشعير كما هي كأنه ما مسّها أحد.

٥٣- وَأَطْعَمَ الْجَيْشَ: فَكُلٌّ شَبِعَا ... مِنْ مِزْوَدٍ، وَمَا بَقِي فِيهِ دَعَا:

٥٤- لِصَاحِبِ الْمِزْوَدِ فِيْهِ، فَأَكَلْ ... مِنْهُ حَيَاتَهُ إلى حِيْنَ قُتِلْ:

٥٥- عُثْمَانُ ضَاعَ، وَرَوَوْا: أَنْ حَمَلاَ ... خَمْسِيْنَ وِسْقًا مِنْهُ لِلّهِ عَلاَ

هذه معجزة لرسول الله ﷺ متعلقة بأبي هريرة رضي الله عنه، فهو صاحب هذا المزود المحكي عنه.

والمزود: هو وعاء التمر، وعاء وعاء من قماش، أو نحوه. يوضع فيه التمر.

فكان مع أبي هريرة رضي الله عنه مزود فيه تمر، فأخذ النبي ﷺ مزود أبي هريرة رضي الله عنه، وأطعم منه الجيش، كانوا جيشًا كبيرًا في إحدى غزوات النبي ﷺ فأطعم الجيش كله من هذا المزود، يعني جعل يغرف لهم التمر ويعطيهم ﷺ حتى أكل الجيش كله من هذا المزود.

(دَعَا: لِصَاحِبِ الْمِزْوَدِ) أي: لأبي هريرة رضي الله عنه. دعا له النبي ﷺ أن يبارك الله له فيه، قال: «بارك الله لك فيه»، فظل أبو هريرة رضي الله عنه يأكل من هذا المزود ثلاثين سنة، لا ينفد منه التمر إلى السنة التي قُتِل فيها عثمان رضي الله عنه، قُتل عثمان سنة ٣٥هـ يعني نحو ثلاثين سنة تقريبًا، رضي الله عنه ولما قُتِل عثمان رضي الله عنه نُهِب بيت أبي هريرة، وسُرق المزود، ففقده يومئذ، وكان النبي ﷺ دعا له أن يبارك الله له فيه.

وجاء عن محمد بن سيرين أن أبا هريرة رضي الله عنه حمل خمسين وسقًا منه لله عز وجل، يعني تصدق من هذا المزود بخمسين وسقًا، والوسق: ستون صاعًا.

المزود أصلًا لا يكاد يتسع لأكثر من صاع، فتصدق منه بخمسين وسقًا في سبيل الله، كان يحمل منها للمجاهدين.

خمسون وسقًا، الوسق: ستون صاعًا تقريبًا.

وقال أبو هريرة ﵁: أُصبت بثلاث مصائب في الإسلام: موت النبي ﷺ، وقتْل عثمان، وفقْد المزود.

٥٦- وَفِي بِنَائِـهِ بِزَيْنَـبَ اطْعَمَا خَلْقًـا كَثِيْرًا مِـنْ طَعَـامٍ قُدِّمَا

٥٧- أَهْـدَتْ لَهُ أُمُّ سُـلَيْمٍ، رُفِعَا مِنْ بَيْنِهِـمْ وَهُوَ كَمَا قَـدْ وُضِعَا

كذلك أيضًا مما وقع لرسول الله ﷺ من البركة في الطعام: أنه لما بنى بزينب بنت جحش أم المؤمنين ﵂، أهدت إليه أم سُليم والدة أنس قصعة من طعام، فأطعم منها خلْقًا كثيرًا، فدعا النبي ﷺ خلقًا كثيرًا، وأكلوا من هذه القصعة حتى شبعوا ثم رُفِع الطعام من بينهم وهو كما وُضِع أو أكثر.

فهذه وقائع ولها نظائر أخرى كلها ترجع إلى البركة في الطعام الذي دعا فيه النبي ﷺ، دعا له النبي ﷺ، أو وضع فيه يده الشريفة ﵊.

٥٨- وَالْجَيْشُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ: إذ رُمُوْا مِنْـهُ بِقَبْضَـةٍ تُرَابًـا هُزِمُـوْا

٥٩- وَأَنْـزَلَ اللهُ بِـهِ كِتَابَـا وَامْتَـلأَتْ أَعْيُنُهُـمْ تُرَابَـا

فيقول: في يوم حنين، في غزوة حنين رمى النبي ﷺ الكفار بقبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه» بمعنى: تشوهت، فامتلأت أعينهم كلهم ترابًا، والجيش كانوا بالآلاف، وما منهم أحد إلا وامتلأت عينه ترابًا من قبضة رسول الله ﷺ التي ألقاها عليهم، وهُزموا عن آخرهم، يعني امتلأت أعينهم ترابًا وكانت سببًا في هزيمتهم وولوا الأدبار.

وأنزل الله ﷻ في ذلك كتابًا: يعني أنزل الله ﷻ هذا المعنى في القرآن الكريم؛ حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧] في تلك الرمية التي رماها النبي ﷺ من تراب.

٦٠- كَذَا التُّرَابُ فِي رُؤُوسِ الْقَوْمِ: قَدْ وَضَعَهُ وَلَمْ يَرَهْ مِنْهُمْ أَحَدْ

كذلك من معجزاته ﷺ: أنه في يوم هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، اجتمعت قريش وقالوا: نأخذ من كل قبيلة رجلًا جلدًا شابًّا، يضربون النبي ﷺ ضربة رجل واحد؛ حتى يتفرق دمه في القبائل، فأحاطوا ببيت رسول الله ﷺ في الليلة التي هاجر فيها، ينتظرون خروجه؛ ليقتلوه ﷺ، فخرج النبي ﷺ ووضع التراب على رأس كل واحد منهم، ويقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[يس:٩] فكانوا لا يرونه ﷺ وألقى الله عليهم النوم، وجعل يضع التراب على رؤوسهم، فوضع على رأس كل واحد منهم ترابًا، وقرأ الآية وخرج ﷺ لم يروه ولم يشعروا بخروجه.

٦١- وَكَمْ لَهُ مِنْ مُعْجِزَاتٍ بَيِّنَةْ تَضِيقُ عَنْهَا الْكُتُبُ الْمُدَوَّنَةْ

له ﷺ معجزات كثيرة بيّنة واضحة تضيق الكتب عن جمْعها وإحصائها، ولكن هذا الذي ذُكِر شيء منها.

باب ذِكْر خصائصه ﷺ

وهي: الأحكام التي اختص الله ﷻ بها النبي ﷺ وبعضها خاص بالنبي ﷺ، وبعضها خاص به وبأمته، فضلهم الله تعالى بهذا عن غيرهم من الأمم السابقة.

وخصائص النبي ﷺ موضوع من موضوعات السيرة أُفِرد بعلم مستقل، فتوجد بعض المؤلفات ألّفها العلماء في خصائص النبي ﷺ كعلم مستقل متفرع عن علوم السيرة النبوية المشرفة.

وهذه الخصائص النبوية منها: أمور واجبة على النبي ﷺ وهي مستحبة في حق بقية الأمة، مثل: صلاة الضحى، وكذلك الوتر، والتهجد، وقيام الليل، وغير ذلك من الأمور.

هذا القسم قالوا: الحكمة فيه أن الله ﷻ أراد أن يرفع درجته ﷺ ويزيد له الأجر؛ لأن الواجب أجره أكبر من أجر المستحب؛ لقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «ما تقرب عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه».

وهناك قسم آخر من الخصائص: هي أمور مباحة لأُمته وحُرّمت عليه- ﷺ- فمن ذلك: أن الله ﷻ حرّم عليه أكل الزكاة، وكذلك: أكْل الثوم والبصل، وأن يأكل متكئًا: يعني مائلًا على أحد شقيه معتمدًا على اليد، أو متكئًا بمعنى جالسًا متربعًا على وسادة، فهذا مما قيل: إنه يحرم على النبي ﷺ دون غيره.

هناك قسم من هذه الخصائص هي أمور محرمة على أُمته ومباحة له ﷺ مثل: الجمع بين أكثر من أربع زوجات فأحلّ الله ﷻ له أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات.

وكذلك أباح الله ﷻ له الوصال في الصيام، بمعنى: أنه يواصل صيام عدة أيام لا يفطر

ولا يتسحر، لا يأكل شيئًا، بينما أُمته نُهيت عن ذلك، نهى النبي ﷺ أُمته عن الوصال، وقال: «إني لست كهيئتكم؛ إني أبيت عند ربي فيطمعني ويسقيني».

إلى غير ذلك كما سنوضح.

ومما يدخل في الخصائص- كما ذكرنا-: الأمور التي فضّل الله ﷻ بها النبي ﷺ على غيره من الأنبياء، أو فضّله هو وأمته بها على غيرها من الأمم مثل قوله: «أُعطيت خمسًا لم يُعطَهن نبي قبلي» منها: أنه أُعطي الشفاعة العظمى يوم القيامة، هذه خاصة بالنبي ﷺ، أنه يشفع في فصْل القضاء بين الخلائق يوم القيامة، الناس يطول وقوفهم ينتظرون أن يجيء رب العالمين -ﷻ؛ ليقضي بينهم، فيذهبون إلى آدم عليه السلام يقولون: اشفع لنا عند ربك، فيقول: لست لها اذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح فيقول: لست لها اذهبوا إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، وعيسى عليه السلام يقول لهم: لست لها، اذهبوا إلى محمد عليه الصلاة والسلام فيذهبون إلى محمد عليه الصلاة والسلام، فيقول: «أنا لها، أنا لها» ويسجد تحت العرش فيقول الله ﷻ له: ارفع رأسك، وسل تُعطَ، واشفع تُشفّع، فيشفع في فصْل القضاء بين العباد.

ومن خصائصه ﷺ: أنه أُعطي جوامع الكلم: يعني :أنه يجمع المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة.

ومنها: إباحة الغنائم: ما غنمه المسلمون في قتال أعدائهم، أباحه الله ﷻ للنبي ﷺ ولأُمته؛ هذه من الخصائص التي تشاركه فيها أُمته عليه الصلاة والسلام أُبيحت لهم الغنائم، بينما كانت الغنائم لا تحل للأنبياء السابقين وأُممهم. كما سيأتي.

وهناك خصائص للنبي ﷺ ثبتت بنصوص صريحة تبين أن هذا الحكم خاص بالنبي ﷺ، مثل: الوصال في الصيام، كان النبي ﷺ ينهى أمته عن الوصال، وكان يواصل،

فأراد الصحابة أن يواصلوا اقتداءً به ﷺ وواصلوا بالفعل ثلاثة أيام، والنبي ﷺ مُغضَب ينهاهم عن الوصال، وهم يحسبون أنه ينهاهم شفقةً عليهم، وأن الوصال عمل صالح، وأن النهي لرفْع المشقة عنهم، فقال لهم ﷺ: «إني لست كهيئتكم، إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقين»، وقال: «مَنْ كان مواصلًا فليواصل إلى السحر» الذي يريد أن يواصل يمكن أنه لا يفطر، لكن لا بد أن يتسحر، ليس لأحد أن يصوم بغير إفطار ولا سحور، يمكن أن يترك الإفطار لكن يواصل إلى السحر، لكن إذا واصل فلم يفطر ولم يتسحر ولم يأكل شيئًا بين المغرب والفجر فهذا مُحرّم على أمته، والنبي ﷺ قال: «إني لست كهيئتكم».

ومن ذلك: إباحة نكاح الواهبة نفسها، هذه من الأمور التي أباحها الله ﷻ للنبي ﷺ وحرمها على أُمته، أنه إذا جاءته امرأة فوهبت نفسها له، وقبِل الهبة صارت زوجته لا يحتاج إلى ولي، ولا شهود، ولا صداق، ولا إلى أحكام و شروط صحة العقد عند عموم الأُمة، فهذه رفعها الله ﷻ عن النبي ﷺ واختصه بإباحة هذا الأمر.

فقال الله ﷻ: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾[الأحزاب:٥٠] هنا النص صريح في اختصاص النبي ﷺ بهذا الحكم، أن الله أحلّ له أزواجه، وأحلّ له:..

فبعض الخصائص كما ذكرنا وردت فيها نصوص صريحة بالخصوصية، وهناك خصائص أخرى أثبتها الفقهاء اجتهادًا منهم في بعض الأحيان في التوفيق بين نصوص قد تبدو للفقيه المفتي أنها متعارضة أحيانًا؛ النبي ﷺ مثلًا أمر أمته بشيء ثم قامت أدلة على أن النبي ﷺ لم يفعل هذا الشيء الذي أمر به الأمة، أو نهاهم عن شيء وفعله ﷺ.

فهذه في مسائل.

وهناك وجوه للجمع والتوفيق، أحيانًا يستطيع العلماء التوفيق بين هذه النصوص بأن يقولوا مثلًا: إن أمْره للأمة كان على سبيل الندب؛ فلذلك تركه ﷺ ليبين لهم أن هذا الأمر ليس على سبيل الإيجاب.

وأحيانًا يلجؤون إلى القول بالنسخ، يقولون مثلًا: إنه ترك فعْله قبل وجوبه مثلًا، ثم إنه وجب، أو كان يفعله قبل تحريمه ثم لما حُرّم تركه.

فأحيانًا يكون هناك طرق للجمع أو الترجيح غير القول بالخصوصية، فيذهب الفقهاء إلى التوفيق بين هذه النصوص بأن يقولوا: إن أمْره ﷺ بكذا كان إيجابًا على أُمته، وكونه ﷺ ترك الفعل في بعض الأحيان يقولون: هذا لخصوصيته.

فيحصل أحيانًا اختلاف في حُكم من الأحكام: هل هو من خصوصيات النبي ﷺ أو أنه ليس من خصوصياته، فكثير من مسائل خصائص النبي ﷺ فيها اختلاف بين العلماء، وليس مقطوعًا بكونها من الخصائص.

فهنا المؤلف -رحمه الله- ذكر ما هو راجح عنده، لكن بعض ما ذكره من المسائل التي فيها مجال للنقاش.

يقول:

١- خُـصَّ النَّـبِيُّ بِوُجُـوْبِ عِدَّةِ: الْوِتْـرِ وَالسِّـوَاكِ وَالأُضْحِيَّـةِ

٢- كَذَا الضُّحَى لَوْ صَحَّ، وَالْمُصَابَرَةْ عَلَى الْعَـدُوِّ، وكـذا الْمُشَـاوَرَةْ

٣- وَالشَّافِعِي عَنِ الْوُجُوبِ صَرَفَهْ: حَكَاهُ عَنْهُ الْبَيْهَـقِي فِي «الْمَعْرِفَةْ»

هنا يقول: النبي ﷺ خُصّ بوجوب عدة أشياء:

أولها: (الْوِتْرِ) وجوب الوتر: أنه لا بد وأن يختم صلاته بالليل موترًا بركعة أو بثلاث ركعات، يعني بعدد وتر من الركعات.

فقالوا: الوتر هذا فرض في حقه وسُنة في حق أُمته.

والثاني: (السِّوَاكِ) لكل صلاة، النبي ﷺ قال: «لولا أن أشق على أُمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» فكان النبي ﷺ يستاك عند كل صلاة عليه الصلاة والسلام، وكان في صلاة الليل يستاك بين كل ركعتين عليه الصلاة والسلام.

والوتر والسواك مما اختُلف في كونه من خصائص النبي ﷺ، أو أنه كان يفعلهما ندبًا كما هو في حق بقية الأمة.

فالإمام أبو حنيفة -رحمه الله- يرى أن الوتر واجب على النبي ﷺ وعلى أُمته، وأنه ليس من الخصائص.

والأئمة الثلاثة (مالك، والشافعي وأحمد) يرون أنه مستحب في حق الأمة لكن اختلفوا هل هو واجب عليه- عليه الصلاة والسلام- أم ليس واجبًا عليه.

قال: (الْوِتْرِ وَالسِّوَاكِ وَالأُضْحِيَّةِ) الأضحية أيضًا قيل: بوجوبها على النبي ﷺ مع استحبابها في حق الأمة، لماذا؟

قالوا: لأن النبي ﷺ كان يضحي يوم العيد، وذبح النبي ﷺ كبشًا عن نفسه وأهل بيته، قال: هذا عن محمد وأهل بيته.

وذبح كبشًا آخرًا، وقال: هذا عن مَنْ لم يضحِّ من أمتي.

قال: «بسم الله، والله أكبر، هذا عمَّنْ لم يُضحِّ من أمة محمد» عليه الصلاة والسلام.

فقالوا: إذًا عموم الأمة ضحى عنهم النبي عليه الصلاة والسلام فلا تكون الأضحية واجبة على الأمة، لكن هو كان واجبًا عليه أن يُضحِّي ﷺ ببهيمة الأنعام.

قال: (كَذَا الضُّحَى لَوْ صَحَّ) يعني لو صح أن الضحى كان واجبًا على النبي ﷺ. فالمؤلف غير جازم بمسألة وجوب الضحى على النبي عليه الصلاة والسلام لكن لم يثبت أن الضحى كانت واجبة على النبي ﷺ، والصواب: أنه مستحب في حقه كما هو مستحب في حق الأمة.

قال: (وَالْمُصَابَرَةْ) أي: المصابرة على قتال العدو وإن زادوا على الضعف، يعني إذا حضر جيش المسلمين المعركة كان واجبًا عليهم أن يثبتوا وأن يصابروا الأعداء، المصابرة: يعني أن يغلب صبرهم صبر الأعداء، بمعنى: أنهم لا ينهزمون، ولا يفرو من أرض المعركة..

فوجب عليهم المصابرة إذا كان الأعداء عشرة أضعافهم أو أقل، فالمئة يصابرون الألف، والعشرون يصابرون المئتين، وكان هذا في أول الأمر، ثم خفف الله جل وعلا عن الأمة، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٦٦].

فهذا الحكم الذي استقر في حق عموم الأمة: وهو وجوب المصابرة إذا كان الأعداء الضعف أو أقل، أما إذا زادوا عن الضعف فيكون جيش المسلمين معذورًا إذا انهزم أو لم يصابر الأعداء، إذا زادوا عن الضعف، فقد خفف الله جل وعلا عن الأمة.

لكن قالوا: إن النبي ﷺ من خصائصه: أنه يجب عليه أن يثبت أيًّا كان عدد أعدائه، فلهذا الذي جاء في سيرته ﷺ أنه في بعض الغزوات الشديدة التي انهزم فيها المسلمون

بمعنى تأخروا وتراجعوا، ثبت النبي ﷺ ونفر قليل معه رغم كون الأعداء ألوفًا مؤلفة، ولم يفر قط ﷺ في معركة شهدها رغم احتدام القتال، وكون كثير من أصحابه انهزموا؛ لكثرة الأعداء، لكن كان ثبات النبي ﷺ يثبتهم، يرجعون بعد ذلك عندما يجدون النبي ﷺ ثابتًا.

مسألة وجوب المشاورة؛ لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩] فقالوا.. ذكروا هنا من خصائص النبي ﷺ: أنه يجب عليه أن يستشير أصحابه ﷺ في أموره، لكن قال: (وَالشَّافِعِي عَنِ الْوُجُوبِ صَرَفَهْ) حكاه الإمام البيهقي في كتاب «المعرفة» حكى عن الإمام الشافعي أنه صرف هذا الأمر عن الوجوب، يعني قال: إن قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[آل عمران:١٥٩] ليس واجبًا لا على النبي ﷺ ولا على غيره، وإنما هو على سبيل الندب، يعني يُستحب للأمير أو المسؤول أن يستشير مَنْ معه، لكن لا تجب عليه الاستشارة.

٤- كَـذَا التَّهَجُّـدُ وَلَكِنْ خُفِّفَا ... نَسْـخًا، وَقِيلَ: «الْوِتْرُ ذَا»، وَضُعِّفَا

يقول: كذلك التهجد وهو: الصلاة في آخر الليل، قيام الليل يقال له تهجد إذا كان بعد نوم في أول الليل، يعني إذا الإنسان نام في أوله، أو استراح في أوله، ثم قام آخر الليل فهذا يقال له: التهجد.

فقيل: إن التهجد واجب على النبي ﷺ.

قال: (وَلَكِنْ خُفِّفَا) يعني وجب عليه وعلى أمته حولًا ثم خُفف ذلك عنه وعن أُمته، ونُسخ وجوبه؛ لأن الله ﷻ قال له ﷺ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل٢:٤] فكان قيام الليل واجبًا عليه، ثم بعد سنة أنزل الله ﷻ الآية الكريمة التي في آخر سورة المزمل، وهي قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ

أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾[المزمل:٢٠] فكان هذا نسخًا لوجوب التهجد.

قال: (وَقِيْلَ: «الْوِتْرُ ذَا»، وَضُعِّفَا) يعني قيل: إن الوتر هو التهجد، وضُعِّف هذا القول، ويقول: الصحيح أن الوتر غير التهجد، وأن الوتر هو آخر ركعة منفصلة أو آخر ثلاث ركعات، سواء انفصلت الثلاث أو اتصلت.

و كان أحيانًا يصِل خمس ركعات، أو سبع ركعات، أو تسع ركعات، ففي هذه الحالة تكون هذه الركعات المتصلة وترًا، إذا وصل خمس ركعات، أو سبع ركعات، أو تسع ركعات بسلام واحد، يعني: بتسليمتين لكن بدون أن يفصل بينها بتسليم فتكون هذه وترًا وما قبلها يكون هو التهجد أو القيام.

٥- كَـذَا قَضَاءُ دَيْنِ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ وَفَاءً، قِيْـلَ: «بَلْ هَذَا كَرَمْ»

كذلك من الأمور التي اختُلف في وجوبها عليه- ﷺ- مسألة قضاء ديْن مَنْ مات ولم يترك وفاءً، فالنبي ﷺ قال: «مَنْ مات وترك مالًا فلورثته» النبي ﷺ خطب في الناس وقال: «مَنْ مات وترك مالًا فلورثته، ومَنْ مات وعليه ديْن فإليّ وعليّ» فإلى النبي ﷺ وعليه قضاء دين مَنْ مات مدينًا.

فكان إذا مات أحد مدينًا يخبرون النبي ﷺ ويقضي النبي ﷺ دينه، فقيل: كان هذا واجبًا على النبي ﷺ، وقيل: بل هذا كرم من النبي ﷺ، وليس على سبيل الوجوب، وإنما على سبيل الندب، فلو كان على سبيل الندب لا يكون خصوصية؛ لأن كل الأمة يُستحب لهم قضاء الدين عن المدين على سبيل الندب والاستحباب، هذا عمل مندوب في حق عموم الأمة، لكن إذا كان واجبًا على النبي ﷺ فيكون وجوبه عليه من خصائصه.

٦- كَذَاكَ: تَخْيِيرُ النِّسَـاءِ اللاَّتِيْ مَعْـهُ. وَأَمَّـا فِي (الْمُحَرَّمَـاتِ):

٧- مِمَّـا أُبِيْـحَ لِسِـوَاهُ..... ....

إلى آخره، يقول: آخر ما ذكره من المسائل التي هي واجبة عليه- عليه الصلاة والسلام- وليست واجبة في حق أمته: مسألة تخيير زوجاته بين البقاء في عصمته وبين المفارقة، فمن اختارت المقام معه ﷺ تبقى في عصمته عليه الصلاة والسلام و يبقى حكمها كحكم الزوجة، يعني أنه يباح تطليقها ويباح إمساكها.

لكن مَنْ اختارت فراقه لزمه طلاقها، يعني هذا حُكم التخيير، يُخيرهن، فمَنْ اختارت البقاء معه فيصبح مُخيرًا في إمساكها أو تطليقها كعموم الأزواج، وأما مَنْ اختارت الفراق، فهنا يكون واجبًا عليه أن يطلقها.

فهذا حُكم أمر الله ﷻ به نبيّه ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

فخيرهن النبي ﷺ وتلا عليهن الآية فقالت كل واحدة من أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-: نريد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

فهذه كانت المسائل التي تجب عليه- عليه الصلاة والسلام- وهي في حق الأمة ليست واجبة ولكن تبقى في دائرة الاستحباب.

فيُستحب للرجل إذا وجد زوجته غير راغبة في البقاء معه، وتريد الفراق أن يُخيّرها في هذا، وإذا أرادت الفراق أن يفارقها.

فهذه الأحكام هي في دائرة الاستحباب في حق الأمة، وواجبة في حق النبي ﷺ، لكن كما رأينا بعضها فيه اختلاف.

٦- ....وَأَمَّــا فِي (الْمُحَرَّمَــاتِ):

٧- مِمَّــا أُبِيْــحَ لِسِــوَاهُ حُرِّمَــا عَلَيْــهِ، فَــهْيَ مَــدُّ عَيْنَيْــهِ لِمَا:

٨- قَدْ مُتِّعَ النَّاسُ بِــهِ مِنْ زَهْرَةِ دُنْيَاهُــمُ، كَــذَاكَ مِــنْ خَائِنَــةِ:

٩- الأَعْــيُنِ اعْــدُدْهُ، وَنَزْعُهُ لِمَا لَبِــسَ مِنْ لأْمَــةِ حَــرْبٍ حُرِّمَا:

١٠- حَــتَّى يُــلاَقِيَ الْعِــدَا فَيَنْزِعَا صَدَقَــةً: فَامْنَــعْ وَلَــوْ تَطَــوُّعَا

هنا ذكر مسائل حُرّمت على النبي ﷺ، ولم تحرم على غيره:

أولها: مدّ عينيه إلى ما مُتِّع الناس به من زهرة الحياة الدنيا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ﴾[طه:١٣١]، فأما في حق عموم الأمة فإذا كان نظرهم إلى ما مُتّع به غيرهم من زينة الدنيا ليس على سبيل الحسد لهم على ما أعطاهم الله، ولكن على سبيل الغبطة لهم، الغبطة، أي: تمني المثل من غير تمني زوال النعمة عن الشخص، فهذا مباح في حق الأمة، لكنه مُحرّم على النبي ﷺ.

على قول مَنْ قال: إنه من خصائصه هذا الحكم.

قال: (كَذَاكَ مِنْ خَائِنَةِ: الأَعْيُنِ اعْدُدْهُ) يعني حُرّم على النبي ﷺ أن تكون له خائنة الأعين، وهذه من خصائص الأنبياء عمومًا، يعني هذه خصيصة ليست لنبينا ﷺ فقط، ولكن لعموم الأنبياء.

وخائنة الأعين: بمعنى: أن يشير بعينه إشارة تُفهِم أصحابه شيئًا لا يفهمه مَنْ يخاطبه،

هذا فيها نوع من المخادعة ومما يتنزه عنها الأنبياء.

وخائنة الأعين لها قصة يتضح من خلالها المراد، وهي: أنه لما كان يوم فتْح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، هؤلاء لم يعفُ النبي ﷺ وقال: «اقتلوهم، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة» وهم: عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح.

والمرأتان هما: جاريتان مغنيتان لعبد الله بن خطل، كانتا تغنيان غناءً في هجو المسلمين، والسخرية من المسلمين طول مدة بقاء النبي ﷺ في مكة.

فعكرمة بن أبي جهل كان معينًا لأبيه على إيذاء رسول الله ﷺ، وإيذاء المسلمين، وكان سيد بني مخزوم بعد مقتل أبيه، فلما بلغه الخبر أن النبي ﷺ أمر بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة، فرّ هاربًا وركب سفينة في البحر؛ حتى لا يدركه النبي ﷺ، فلما كان في البحر هاجت رياح شديدة، فجعل أهل السفينة يقولون: أخلصوا دعاءكم لله وحده؛ لأن المشركين كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى، فقالوا: لا ينجيكم في البحر إلا الله، فقال عكرمة في نفسه: لئن كان لا ينجيني في البحر إلا الله فلا ينجيني في البر إلا هو، فأسلم رضي الله عنه رغم أن النبي ﷺ كان توعده بالقتل، وأمر بقتله لكنه أسلم، وعلم النبي ﷺ بإسلامه فعفا عنه.

وأما عبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح فهؤلاء الثلاثة كل منهم أسلم ثم ارتد، فكانوا ممَّنْ أسلم في مكة، وصحب النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة، ثم ارتدوا عن الإسلام عياذًا بالله تعالى.

وعبد الله بن خطل قصته: أنه أسلم، وبعثه النبي ﷺ مُصدّقًا، يجمع الصدقات، وبعث معه رجلًا من الأنصار، وكان معه مولى له فقتل المولى الذي كان معه، ثم

ارتد مشركًا ولحق بالمشركين في مكة، وكان له قينتان –جاريتان–كانتا تغنيان بهجو المسلمين والاستهزاء بهم.

ومقيس بن صبابة هذا كان قد أسلم أيضًا، وبعد ما أسلم، قتل رجل من المسلمين أخاه خطأً، فحكم له النبي ﷺ بالدية، فأخذ الدية، ثم قتل قاتل أخيه، ثم ارتد وهرب إلى مكة.

وعبد الله بن سعد بن أبي سرح كان أخًا لعثمان بن عفان من الرضاعة، وأسلم وكان واحدًا من كتاب الوحي الذين يكتبون للنبي ﷺ ثم ارتد عن الإسلام والعياذ بالله تعالى، بمكة.

فأهدر النبي ﷺ دمه، وأمر بقتله ولو تعلق بأستار الكعبة، فذهب إلى عثمان فاحتمى به، وعثمان بن عفان رضي الله عنه يعلم حِلم النبي ﷺ، وأنه يحب العفو عن المسيء، فأخذ معه عبد الله بن سعد، وذهب يشفع له عند النبي ﷺ، فأعرض عنه النبي ﷺ، يعني عثمان يكلمه وهو ﷺ يُعرِض بوجهه، لا يريد أن يسمع كلام عثمان وهو يشفع في عبد الله بن سعد، فلما كرر عثمان رضي الله عنه شفاعته فيه عفا عنه النبي ﷺ.

ثم نظر النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ﷺ ما في نفسك، هلّا أومأت إلينا بعينك؟ فقال ﷺ: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»

فهذا موضوع خائنة الأعين.

طبعًا هم استفادوا التحريم؛ لأن كلمة «لا ينبغي» تكون في المنع الشديد، كما في مسألة ادّعاء الولد لله سبحانه وتعالى فالله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم:٩٢]، الرحمن سبحانه وتعالى لا ينبغي له أن يتخذ ولدًا فهذه تأتي في سياق الإنكار العظيم.

كذلك في نسبة الشعر للنبي ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[يس:٦٩] فهنا لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين بمعنى: يحرم على الأنبياء خائنة الأعين، فهذا استعمال «لا ينبغي» في القرآن والسُّنة.

هذا موضوع خائنة الأعين.

وأما في الآية الكريمة وهي: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[غافر:١٩] الله ﷻ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فخيانة العين قالوا: منها النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، فهذا من خائنة الأعين، وذكر ابن عباس ﭬ وغيره في تفسير الآية: أن تكون مرأة مسلمة وبدا شيء من عورتها، أو ثوبها انكشف عن شيء مما لا يحل النظر إليه، وهي لا تشعر بالناظر وهو ينظر إليها، وهي لا تشعر به، أو يختلس النظر إليها، فهذا مما يدخل في خائنة الأعين.

لكن خائنة الأعين هنا في الحديث: هي من خصائص النبي ﷺ يعني: أن يومئ إلى مباح على خلاف ما يُظهره، قالوا: أن يومئ- يعني يشير بعينه- إلى أمر يباح فِعْله بس بخلاف ما يُظهره.

قال: (وَنَزْعُهُ لِمَا لَبِسَ مِنْ لأمَةِ حَرْبٍ حُرِّمَا حَتَّى يُلاَقِيَ الْعِدَا)، وهذا حُكم ليس خاصًا بنبينا ﷺ فقط، ولكن هو من خصائص الأنبياء عمومًا: أن النبي منهم إذا لبس لأمة الحرب- يعني عُدة الحرب: الدرع والسلاح، والدرع: عبارة عن قميص من الحديد، يكون منسوجًا من حلقات حديدية صغيرة مثل: السلاسل، يُشبَك بعضها ببعض، ويُجعَل على شكل القميص يُدخِل فيه يديه ورأسه وصدره.

فإذا لبس لأمة الحرب- يعني لبس الدرع وحمل السلاح للحرب- فليس له أن يضع السلاح، ويخلع درعه حتى يلاقي عدوه.

قال: (صَدَقَةً: فَامْنَعْ وَلَوْ تَطَوُّعَا) يعني يحرم عليه ﷺ قبول الصدقة لنفسه، أي: أن يأخذ من الصدقة أو يأكل من طعام تُصدِّق به عليه السلام وكان هذا من خصائصه، كما حدث مع سلمان رضي الله عنه لما قدِم النبي ﷺ إلى المدينة فذهب إليه بتمر وقال: هذا صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال النبي ﷺ: كلوا، ولم يأكل معهم، ثم قدِم مرة أخرى بتمر، وقال: هذا هدية لك ولأصحابك، فقال: كلوا، وأكل معهم عليه السلام، فكان يأكل من الهدية ولا يأكل من الصدقة.

وكانت الصدقة محرمة عليه- عليه السلام- وعلى آل بيته، فهذه خصوصية له ولآل بيته عليه السلام والنبي ﷺكان أحيانًا يجد تمرة ساقطة في الطريق فيقول: «لولا أني أخشى أن تكون من تمر الصدقة لأكلت هذه التمرة» لكن كان يتورع عنها خشية أن تكون من الصدقة، والصدقة تحرم عليه.

ولما أخذ الحسن- وكان طفلًا صغيرًا- تمرة من تمر الصدقة فوضعها في فمه أخرجها النبي ﷺ منه، وجعل يقول: كخ.. كخ؛ إنها صدقة، أما علمت أن الصدقة لا تحل لآل محمد- عليه السلام.

وفي حديث بريرة أيضًا لما تُصدّق عليها بطعام ثم أهدت منه إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «هو لها صدقة، ولنا هدية» لأن حُرمة هذا الطعام ليست في ذاته، وإنما في طريقة كسْبه، فبريرة اكتسبته على أنه صدقة في حقها، لكن النبي ﷺ اكتسبه على أنه هدية له عليه السلام.

١١- وَالشِّعْرَ وَالْخَطَّ، وَقِيلَ: «يُمْنَعُ	ثُـومٌ وَنَحْـوُهُ»، وَأَكْلٌ يَقَـعُ:
١٢- مَعَ اتِّكَاءٍ، وَالنِّـكَاحُ لِلأَمَةْ	مَـعَ الْكِتَابِيَّـةِ غَيْرِ الْمُسْـلِمَةْ

يقول: مما حُرّم على النبي ﷺ الشعر، يعني إنشاء الشعر، فهذا مما حُرّم عليه ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ﴾[يس:٦٩] لا ينبغي الشعر للنبي ﷺ لكنه ﷺ كان يستمع إلى شعر غيره وكان له شعراء منهم: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم كانوا ينشدون الشعر بحضرته ﷺ وكان يُعجبه الشعر الجيد ويستمع إليه، ويمدح ما يكون حسنًا من الشعر.

وربما ردد النبي ﷺ بيتًا من الشعر، يعني ربما ردّد بيتًا لكن ليس من إنشائه، يمكن أن ينقل شعر غيره، لكن في العادة يكون بيتًا واحدًا ونحوه.

كذلك الخط؛ مما حُرّم على النبي ﷺ الخط يعني الكتابة، فكان ﷺ أُميًّا لا يكتب ﷺ وكان ذلك لحكمة من الله سبحانه وتعالى حيث قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨﴾[العنكبوت: ٤٨].

فالنبي ﷺ ما كان يتلو كتابًا قبل القرآن، ولا خطّ بيمينه ﷺ كتابًا؛ حتى لا يرتاب المبطلون ويقولوا: كان يقرأ في الكتب وينقل منها، فالنبي ﷺ ما قرأ كتابًا قبل القرآن، ولكن علمه الله سبحانه وتعالى هذا العلم العظيم وأنزل عليه هذا الكتاب المبين.

فهذه أشياء تحرم عليه- ﷺ- لكنها مباحة لأُمته، أُمته يباح لهم أن يُنشئوا شعرًا، ويباح لهم الكتابة وتعلُّم الخط. بل هي من ضمن الوسائل التي تُعين على نشْر الدين، وعلى تعلُّم أحكام الإسلام.

والوسائل لها حُكم المقاصد؛ فالكتابة والقراءة مما يعين على حِفْظ هذا الدين، وعلى نشْره وتعلّمه وتعليمه، فهما من الأمور الحسنة، ولذلك أمر النبي ﷺ في غزوة بدر أسرى المشركين الذين كانوا يُحسنون الكتابة أن يُعلّم كل واحد منهم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة حتى يُطلِق سراحهم، اشترط النبي ﷺ على أسرى المشركين

الذين كانوا يُحسنون الكتابة أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة قبل أن يُطلِق سراحه.

فإذًا تعلُّم الكتابة من الأمور التي رغّب فيها الرسول ﷺ وكان له كُتّاب يُملي عليهم، ويكتبون بأمره عليه الصلاة والسلام.

كذلك مما يحرَم عليه: أكْل ما له ريح كريهة كثوم وبصل، فالنبي ﷺ كان لا يأكل ثومًا ولا يأكل بصلًا عليه الصلاة والسلام وقال: «إني أناجي مَنْ لا تناجي» لما وجد بعض أصحابه يمتنع من أكْل الثوم لما رأى النبي ﷺ لا يأكله، فقال: «كُل، فإني أناجي مَنْ لا تناجي» يعني: أنا أناجي الملائكة الذين لا تناجيهم أنت، فكان هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

لكن أيضًا ليس هناك دليل على أنه تركه على سبيل التحريم عليه، يعني قد يكون تركه لعدم رغبته فيه.

ومسألة الاتكاء عند الأكل: قيل كان مُحرّمًا عليه- عليه الصلاة والسلام- وقيل: كان مكروهًا في حقه ﷺ وليس مُحرّمًا.

فكان لا يأكل متكئًا، ويقول: «**إني لا آكل متكئًا**»، والاتكاء: أن يجلس متربعًا على وسادة ونحوها، أو يأكل مائلًا إلى أحد جنبيه معتمدًا على إحدى يديه.

قال: (**وَالنِّكَاحُ لِلأَمَةْ**) يعني مما حُرّم عليه عليه الصلاة والسلام: نكاح الأمة المسلمة- يعني أن يتزوج بأَمة- لكن يمكن أن يكون له إماء مملوكات يعاشرهن بملك اليمين، لكن ليس له أن يتزوج أمةً؛ لأن الأمة أباحها الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦﴾[المؤمنون: ٥-٦].

فالأمة التي يملكها الإنسان إما أنه اشتراها بماله، أو غنِمها في الحرب، وهذا لعموم

أُمة المسلمين بما فيهم النبي ﷺ، فالنبي ﷺ وغيره يُباح لهم أن يعاشروا من الإماء ما لا يُحدّ بعدد، يعني المسلم يباح له أربع زوجات ثم ما شاء من الإماء.

كثير من الصحابة رضي الله عنهم كان عندهم عشرات الإماء بالإضافة إلى أربع زوجات، فالإماء ليس لهنّ تحديد في العدد، وبعض الخلفاء مثل الخليفة المتوكل العباسي كان له ثلاثة آلاف أمة، يعني كانوا من الفتوحات والجهاد، يغنمون نساءً، كان له ثلاثة آلاف أمة، قالوا: وطئهن جميعًا، يعني كلهن عاشرهن، طبعًا على مدار سنين.

فالقصد: أن تملُّك الإماء ومعاشرة الأمة بملك اليمين هذا لا حرج فيه، وكان للنبي ﷺ إماء، ومنهن: مارية أم ابنه إبراهيم، هذه كانت أمة لرسول الله ﷺ، لم تكن زوجة، أهداها إليه المقوقس وهو ملك القبط في الإسكندرية، أهدى إلى النبي ﷺ جاريتين جميلتين وحسنتي الخِلقة، وكانتا أختين، هما: مارية وسيرين أختها، وأهدى إليه بغلة اسمها دلدل، وأهدى أشياء أخرى، فقَبِل النبي ﷺ هديته، فاصطفى لنفسه مارية، وأهدى سيرين لحسان بن ثابت شاعره رضي الله عنه، وعاشرها النبي ﷺ وكان له منها ابنه إبراهيم عليه السلام الذي توفي وهو طفل صغير.

واقتناء الأمة بملك اليمين، يجعل أبناءها أحرارًا، فإذا ولدت طفلًا لسيدها فإنها لا تباع، يحرم عليه أن يبيعها، وتصبح حرة بمجرد موته، يعني أولاده منها أحرار، والأمة نفسها بمجرد أن يموت سيدها تصبح حرة، وهذه التي يقال لها: أم الولد، ونهى النبي ﷺ عن بيْع أمهات الأولاد، وإذا أتى منها بولد فلا يبيعها ولكن يمسكها إلى أن يموت فتصبح حرة بموته.

لكن الزواج بأمة مملوكة لشخص آخر، أنك تتزوج بأمة مملوكة لشخص آخر وأنت تتزوج بها، فهنا أولادها يصبحون عبيدًا لمالك الأمة، في هذه الحالة، فلهذا يُنهى

المسلم عن الزواج بأمة مملوكة لغيره؛ لأنه يتسبب في استرقاق أولادها، لأن أولادها يصبحون مملوكين لسيد الأمة، أحيانًا الشخص إذا كان عنده إماءً كثيرات يصطفي لنفسه ما يشاء منهن، والباقيات يزوجهن وأولادهن في هذه الحالة يصبحون عبيدًا عنده، يمكن أن يبيعهم بعد ذلك.

فلذلك نهى الله ﷻ عن نكاح الأمة إلا بشروط لمَنْ خشي العنت،يعني: لمَنْ كان يخشى على نفسه الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج بأمة، ولا يملك مهر حرة ولا ثمن أمة، يعني لا يملك أن يشتري أمة يكون هو مالكها، ولا يملك مهر امرأة حرة يتزوجها، ويخشى على نفسه العنت، فإذا توفرت هذه الشروط يباح الزواج بالأمة.

فهذا في حق عموم المسلمين، والنبي ﷺ كان يحرم عليه التزوج بالإماء.

وكذلك نكاح الكتابية، لماذا؟

قالوا: لأن النبي ﷺ أخبر بأن زوجاته في الدنيا هن زوجاته في الدنيا، زوجات النبي ﷺ في الدنيا هن زوجاته في الجنة، والجنة مُحرّمة على غير المسلمين؛ فلذلك لا يجوز أن يتزوج بكتابية؛ لأنه لو تزوجها لصارت أمًّا للمؤمنين وصارت زوجة له في الآخرة، وهذا غير ممكن، فلهذا كان ممنوعًا من الزواج من الكتابيات مع كونه مباحًا للمسلمين.

١٣-(كَذَاكَ)إمْسَاكُالَّتِيقَدْكَرِهَتْ نِكَاحَهُ، وَالْخُلْـفُ فِي هَذَا ثَبَتْ

يعني كذلك مما يحرم عليه ﷺ: أن يُمسِك امرأة كرهت البقاء معه، فكان يحرم عليه أن يُمسكها ويجب عليه أن يُطلقها.

وقالوا: تزوج النبي ﷺ بامرأة يقال لها: ابنة الضحاك، فلما أُدخلت على النبي ﷺ قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «**قد استعذت بعظيم، الحقي بأهلك**»، أو «**عُذتِ بمعاذ**

الحقي بأهلك».

والحديث في صحيح البخاري، وورد في سبب هذا: أن بعض أمهات المؤمنين بسبب الغيرة قلن لها: نعلمك شيئًا هو يحبه، وقلن لها: إنه يحب أن يقال: أعوذ بالله منك، يعني كأن الكلام كان فيه تعريض، يعني هو يحب التعوذ من الشر، لكن ليس منه ﷺ فقلن لها بشيء فيه تعريض، وكأنه يحب هذه الكلمة.

فقالت المرأة للنبي ﷺ: أعوذ بالله منك لما أراد أن يدخل بها، فقال: «لقد عُذت بمعاذ، أو عُذت بعظيم الحقي بأهلك» ففارقها النبي ﷺ.

قال: (وَالْخُلْفُ فِي هَذَا ثَبَتْ) يعني هذا ليس مقطوعًا به، قيل: إنه يعني فارقها على سبيل الوجوب أنه يجب عليه أن يفارقها، فقيل: إنما فارقها تكرمًا لا وجوبًا عليه، لكنه اختار أن يفارقها ﷺ.

١٤- وَقَدْ أَبَاحَ رَبُّهُ: الْوِصَالاَ لَهُ، وَفِي سَاعَةٍ الْقِتَالاَ:
١٥- بِمَكَّةٍ، كَذَا بِلاَ إِحْرَامِ دُخُولُهَا، وَلَيْسَ بِالْمَنَامِ:
١٦- مُضْطَجِعًا نَقْضُ وُضُوئِهِ حَصَلْ كَذَا اصْطِفَاءُ مَا لَهُ اللهُ أَحَلْ:
١٧- مِنْ قَبْلِ قِسْمَةٍ، كَذَاكَ يَقْضِي لِنَفْسِهِ وَوُلْدِهِ فَيَمْضِي

انتقل إلى الكلام على نوع آخر من خصائص النبي ﷺ وهو: ما أُبيح له وهو مُحرّم على غيره، مرَّ بنا قسم هو واجب عليه، غير واجب على غيره، وقسم هو مُحرّم عليه مباح لغيره، هذا القسم عكسه فهو مُباح له ﷺ مُحرّم على غيره ﷺ.

فهذه الأمور التي تباح له ﷺ وتحرم على غيره:

أولها: الوصال، الوصال كما سبق : أن الإنسان يصوم يومين متتابعين فأكثر من غير أن يُفطِر ولا يتسحر، لا يأكل ولا يشرب شيئًا بين مغرب اليوم الأول إلى فجر اليوم الثاني.

فهذا نهى النبي ﷺ عنه أصحابه، فقالوا له: إنك تواصل، فقال: «إني لست كهيئتكم..» أو: «إني لست كأحدكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقين» أو: «فيطعمني ويسقيني».

وهذا الحديث اختُلف في شرحه، قيل: هو طعام وشراب حسي، وأن النبي ﷺ كان في رمضان ﷺ لا يُفطِر ولا يتسحر ولا يطعم ولا يشرب شيئًا ويطعمه الله ﷻ ويسقيه- يعني في فترة التي بين المغرب إلى فجر اليوم التالي- فيطعمه الله ﷻ طعامًا حسيًّا، يعني يجد منه الشبع، وشرابًا حسيًّا يجد منه الرِّي. فهذا تفسير الحديث على ظاهره.

والتفسير الآخر :تفسير معنوي على غير ظاهره، قالوا: المقصود يعني أنه يبيت عند ربه، أي: أنه لانشغاله بعبادة الله ﷻ يجد من حلاوة الإيمان، والراحة في العبادة ما يكون له بمثابة الطعام والشراب، يعني يجد لذة للعبادة تفوق لذة الطعام والشراب فيستغني بها عنه. والله تعالى أعلم.

لكن التفسير الأول يعني أنه يُحمَل على ظاهره، وأنه طعام حسي خاص برسول الله ﷺ.

ولهذا لما نهى أصحابه عن الوصال فظلوا يواصلون، واصل معهم ثلاثة أيام حتى خرج الشهر وكان مُغضبًا عليه الصلاة والسلام لأنه نهاهم عن الوصال وواصلوا، فلما ظهر هلال شوال ودخل العيد، قال: «لو زاد الشهر لزدتكم» كالمنكل بهم يعني عقابًا لكم على المواصلة وقد نهاهم عن المواصلة.

لكن الصحابة رضي الله عنهم أحيانًا يفهمون من نَهْيه أنه ينهاهم عن شيء من العبادة فيه أجر

لكن هو يخشى عليهم المشقة، أنه ليس نهْي حتْم.

فإذًا الوصال أُبيح له ﷺ وحُرّم على أمته.

الأمر الثاني: القتال بمكة ساعة من نهار: أُحِلّ له أن يقاتل في مكة ساعة من نهار، وقال ﷺ ذلك يوم فتْح مكة، دخلها ﷺ ومعه أصحابه، دخلوها بالسلاح، وكانوا عشرة آلاف مقاتل مع رسول الله ﷺ وقاتلوا في مكة وقتلوا بعض المشركين بها كما مرّ.

وخطب النبي ﷺ بعد أن فتح مكة وقال: «إنها أُحِلّت لي ساعة من نهار، وإنها لم تحل لأحد بعدي، وإن حُرمتها عادت كيوم خلق الله السموات والأرض» فبيّن النبي ﷺ أن إباحة القتال بمكة كان خاصًا له.

وقال النبي ﷺ: «فإن ترخّص أحد لقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أحلّه لرسوله ولم يُحلَّه لك»، يعني النبي ﷺ نَصّ هنا نصًّا صريحًا على أن إباحة القتال في مكة كانت خاصّة به عليه الصلاة والسلام.

كذلك دخول مكة بلا إحرام؛ لأن النبي ﷺ دخل مكة، وعليه عمامة سوداء عليه الصلاة والسلام، ولم يكن مُحرمًا عليه الصلاة والسلام لما دخلها يوم فتْح مكة دخلها بعُدة الحرب.

وهذه أيضًا من المسائل الخلافية في الحُكم بالنسبة لغير النبي ﷺ، يعني هنا حُكم النبي ﷺ أنه يُباح له دخول مكة بغير إحرام، لكن هل يباح هذا لغير النبي ﷺ؟ فمن الفقهاء مَنْ قال: إن مَنْ لم يرد الحج أو العمرة فله أن يدخل مكة بغير إحرام، فالإحرام إنما يجب على مَنْ أراد دخول مكة لحج أو عمرة، لكن لو أن شخصًا مثلًا أراد الذهاب إلى مكة للتجارة؛ ليبيع بعض البضائع مثلًا هناك، أو ليزور قريبًا له أو للعلاج، فله أن يدخل مكة بغير إحرام عند بعض الفقهاء.

لكن الرأي الآخر قالوا: يحرم دخول مكة لأي سبب من الأسباب إلا مُحرمًا، فالذي له مصلحة في مكة: تجارة، أو زيارة قريب فلا بد أن يدخلها مُحرمًا ثم يعتمر، وبعد ذلك يتاجر إن شاء، أو يزور قريبه أو يفعل ما شاء، لكن لا بد أن يدخلها مُحرمًا.

فعلى القول بوجوب الإحرام لدخول مكة على غير النبي ﷺ يكون هذا الحُكم من خصائصه: أنه له أن يدخل مكة بغير إحرام، ويحرم هذا على غيره، وأما على القول بأنه يباح لعموم الأمة دخول مكة بغير إحرام فلا يكون خصوصيًّا لرسول الله ﷺ.

كذلك من خصائصه ﷺ: أن وضوءه لا ينتقض بالنوم مضطجعًا؛ لأنه ﷺ قال: «إنما تنام عيناي ولا ينام قلبي» فكان ﷺ ربما نام مضطجعًا نومًا طويلًا ثم قام فصلى، ولم يتوضأ ﷺ وقال: «إني تنام عيناي ولا ينام قلبي» فقالوا: هذا من خصوصيته عليه السلام.

وأما عموم الأمة فهناك عدة مذاهب في موضوع النوم ينقض الوضوء أم لا.

فعند مَنْ يرى أن النوم ينقض الوضوء في حق الأمة يكون خصوصية لرسول الله ﷺ أنه لا ينقض.

يقول: (كَذَا اصْطِفَاءُ مَا لَهُ اللهُ أَحَلْ مِنْ قَبْلِ قِسْمَةٍ) يعني كان من خصائصه ﷺ: أنه له أن يصطفي ما شاء لنفسه ﷺ من الغنائم قبل التقسيم، إذا رأى مثلًا جارية فأعجبته، أو شيئًا من السلاح، أو شيئًا رغب أن يأخذه لنفسه ﷺ أو الدواب، فله أن يصطفيه لنفسه قبل تقسيم الغنائم على المجاهدين.

كذلك من خصائصه عليه السلام: أنه (يَقْضِي لِنَفْسِهِ وَوُلْدِهِ فَيَمْضِي) يعني فيمضي حُكمه وقضاؤه، أنه ﷺ له أن يقضي لنفسه أو لأولاده عليه السلام ويمضي حُكمه عليه السلام أما أي قاضٍ آخر من قضاة المسلمين فإذا كان هو نفسه أو أحد أولاده طرفًا في القضية، فليس له أن يقضي فيها، وإنما يقضي فيها غيره.

١٨- كَذَا الشَّهَادَةُ، كَذَاكَ يَقْبَلُ مَنْ شَهِدُوْا لَهُ، كَذَاكَ يَفْصِلُ:

١٩- فِي حُكْمِهِ بِعِلْمِهِ لِلْعِصْمَةِ وَاخْتَلَفُوْا فِي غَيْرِهِ لِلرِّيْبَةِ

يقول: من خصائص ﷺ: أنه له أن يشهد لنفسه، وله أن يشهد لأولاده، وأن يقبل شهادة مَنْ شهد له أو شهد لأولاده ﷺ يعني في القضايا له أن يكون شاهدًا لنفسه، يعني أن يكون طرفًا في القضية وشاهدًا في نفس الوقت، وغير النبي ﷺ إذا كان طرفًا للقضية لا يمكن أن يكون هو الشاهد والخصم في نفس الوقت، لكن النبي ﷺ بعصمته ﷺ لو شهد لنفسه بشيء ﷺ فشهادته لنفسه حق ﷺ ومقبولة، لو شهد لولده، وأن يكون قاضيًا ويقبل شهادة الشهود الذين يشهدون له ﷺ.

كذلك جواز الشهادة له ﷺ بما ادّعاه ﷺ يعني النبي ﷺ لو ادّعى شيئًا فيُشهد له ﷺ بما قال إنه حقه ﷺ.

وهذا حصل في فرس كان النبي ﷺ قد اشتراه من رجل من الأعراب، وأعطاه ثمنه، ثم جاء هذا الأعرابي وزعم أنه لم يبع الفرس للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «أولم أكن اشتريته منك؟» فقال: لم تشتره مني، هلمّ شهيدًا، وقالوا: هذا الأعرابي قد يكون منافقًا والعياذ بالله، فقال: إنه لم يبع الفرس للنبي ﷺ، فقال: هات مَنْ يشهد لك، فشهد خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اشترى الفرس من الأعرابي وأعطاه ثمنه، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة تعدل شهادة رجلين.

وسأله النبي ﷺ: «لم شهدت، ولم تكن شاهدًا؟» يعني كيف شهدت ولم تكن حاضرًا؟ فقال: يا رسول الله، إني أصدقك في خبر السماء، وما تُخبرنا به عن الله ﷻ أفلا أُصدقك في هذا الأمر؟

فقالوا: هذا من خصائص رسول الله ﷺ؛ لعصمته ﷺ لكن عموم الأمة لا يصح أن يشهد أحد لأحد مهما كان صالحًا ومن أهل الخير، في خصومة أو قضية إذا لم يكن شاهدًا وحاضرًا.

مهما كان الإنسان صادقًا، فليس لك أن تشهد له في قضية، ولم تكن شاهدًا إلا في الشهادة لرسول الله ﷺ في خصومة بين رسول الله ﷺ وأحد، يشهد لرسول ﷺ ولو لم يكن حاضرًا.

ومن خصائصه ﷺ: أنه له أن يحكم بعلمه ﷺ من غير إثباتات، القاضي. من مسائل القضاء: أن القاضي ليس له أن يحكم بعلمه، لا بد من إثباتات ظاهرة بيّنة، فلو أن القاضي كان شهد الأمر، وشهد الواقعة، ويعلم أن فلانًا هو صاحب الحق، فإذا قضى بينهما فليس له أن يحكم بمقتضى علمه، وإنما يحكم بمقتضى شهادة الشهود، وبمقتضى البيّنات.

فهذا الحُكم العام لعموم المسلمين حتى لا يُظلَم الناس؛ لأنه لو فُتح المجال يمكن لكل قاضٍ أن يحكم بالهوى بغير بينات وبغير إثباتات وأدلة، بمقتضى أنه هو عارف هذا الموضوع، ويعلم مَنْ صاحب الحق.

لكن رسول الله ﷺ له خصوصية في هذا، أنه لو كان يعلم صاحب الحق فله ﷺ أن يحكم بما يعلمه ﷺ وإن لم يكن عليه بينات ظاهرة.

قال: (وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِهِ لِلرِّيْبَةِ) يعني غير النبي ﷺ اختلفوا فيه: هل القاضي له أن يحكم بعلمه أو لا؟ (لِلرِّيْبَةِ) يعني للتهمة والشك؛ لأن هناك تهمة إذا حكم القاضي بغير بينات ظاهرة، فإنه يكون متهمًا في أنه ربما حابى أو حكم بالهوى، طالما ليس هناك بينات ظاهرة.

ولكن بعض العلماء جوّز أيضًا لغير النبي ﷺ أن يحكم بعلمه من القضاة لكن وضعوا لذلك شروطًا.

٢٠- كَــذَا لَهُ أَنْ يَحْـمِي الْمَوَاتَــا لِنَفْسِــهِ، وَيَأْخُــذَ الأَقْوَاتَــا
٢١- وَغَيْرَهَــا مِنَ الطَّعَــامِ مَهْمَا احْتَــاجَ، وَالْبَــذْلَ فَأَوْجِبْ حَتْمَا:
٢٢- مِنْ مَالِكٍ، وَإِنْ يَكُنْ مُحْتَاجَا لَكِنَّــهُ لِفِعْــلِ هَــذَا مَــا جَــا

من خصائصه ﷺ: أنه له أن يحمي الموات، الموات: هي الأرض غير المزروعة ولا المعمورة، بالبناء، ولا هي مزروعة، فهذه الأرض الموات له ﷺ أن يحميها يعني أن يجعل شيئًا منها حمى لنفسه ﷺ بحيث لا يتعدى أحد عليها ولا يباح لغيره أن يستعملها.

فإذا صار هذا الموات محميًّا فليس للناس أن يحيوه، والأصل أنه يحق لآحاد المسلمين أن يحيوا هذا الموات فإذا خرج شخص إلى الصحراء بعيدًا عن حدود المدينة وإلى أرض الموات وحوّلها إلى مزرعة أو حفر فيها بئرًا، وزرع فيها أو بنى فيها بيتًا فهو له؛ لقول النبي ﷺ قال: «مَنْ أحيا مواتًا فهو له» لكن بشرط أن هذا الموات لا يكون مما حماه النبي ﷺ، فإذا حمى مواتًا لا يستطيع أحد أن يحيي هذا الموات.

فهذا بالنسبة للنبي ﷺ، له أن يحمي ما شاء من الموات، لكن غيره من الأئمة من أمراء المسلمين وملوكهم له أن يحمي الموات للمصلحة العامة وليس لمصلحة نفسه، كأن يرى مثلًا أن المدينة يمكن أن تحتاج إلى التوسع مثلًا بعد سنوات، فيمنع الناس أن يحيوا هذا الموات؛ لأنه يريد أن يُنشئ فيه مشروعًا فيه مصلحة للبلد، لكن ليس له أن يحمي مواتًا ويمنع الناس من إحيائه لمصلحته الخاصة.

لكن النبي ﷺ من خصائصه: أنه يجوز له أن يحمي الموات لنفسه، لكن طبعًا هذه كلها مسائل نظرية؛ لأن النبي ﷺ كما هو معلوم كان أزهد الناس ﷺ في الدنيا، وكان بيته ﷺ من الطين، وسقف بيته من سعف النخيل ﷺ ولم يكن له في بيته إلا فراش واحد ينام عليه، ويصلي عليه، وفي الصباح يضعون عليه العلف للشاة ﷺ؛ فكان أزهد الناس ﷺ في الدنيا، وأكثرهم اجتنابًا لها ﷺ.

لكن هنا فائدة هذه الخصائص: أن نعلم أن الله ﷻ أباح له أن يختص نفسه بأموال وأراضٍ وأشياء، لكنه ﷺ ما كان يفعل هذا، فكونه يترك هذه الأمور مع أن الله ﷻ أباحها له فهذا زيادة في زهده ﷺ.

دائمًا الزهد يكون فيما تملك، لكن الإنسان لا يزهد في شيء هو غير قادر عليه، هذا زهد ناقص، الزهد الكامل فعلًا أن تكون مالكًا للشيء، وقادرًا عليه، ومع ذلك تتركه لله تعالى.

كذلك من خصائصه ﷺ: أن يأخذ الأقوات، من طعام، وشراب، ونحوه إذا احتاج إليه، وحينئذٍ يجب على مالكه أن يبذله للنبي ﷺ حتى لو كان مالكه محتاجًا إليه؛ لأن حاجة النبي ﷺ أولى من حاجته. لكن كما قال: (لَكِنَّهُ لِفِعْلِ هَذَا مَا جَا) لكن ما جاء أن النبي ﷺ فعل هذا، يعني هو حق له، لكنه لم يفعل هذا قط، ما ورد أن النبي ﷺ أخذ قوتًا من أحد عن غير طيب نفس من باذله، ولكنه كان يجوز له لو شاء أن يأخذ ما احتاج إليه من الأقوات.

لكن الذي ورد أن النبي ﷺ كان ربما جاع، وربط على بطنه الحجر من الجوع؛ ليخفف عنه ألم الجوع، الحجر إذا رُبِط على البطن يضغط عليها فيعطي إحساسًا بالشبع مع كون الإنسان لا يزال جائعًا، فكان ﷺ ربما مرت عليه أيام، وهو جائع ﷺ

أو ليس في بيته إلا الماء، مع أن أصحابه كان منهم موسرون.

فالقصد: أن النبي ﷺ كان يتعفف عن هذه الأمور حتى إنه كان ﷺ يشتري من اليهود، إذا لم يكن معه ثمن البضاعة يشتري من اليهود بالأجل حتى لا يُحرج أصحابه، يعني لو ذهب يشتري من أحد أصحابه لألحّ على النبي ﷺ أن يأخذه بلا ثمن، وربما كان الصحابي يُؤثر النبي ﷺ على نفسه، فكان النبي ﷺ يذهب إلى اليهود ويشتري منهم، وربما رهن بعض أمتعته عند اليهودي حتى يُحضر له الثمن، حتى مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في صاع من شعير، اشترى صاعًا من شعير، لم يكن معه ثمن صاع الشعير عليه السلام وتوفي ودرعه مرهونة عند اليهودي، فاستردها أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ وأعطى لليهودي ثمن الصاع.

٢٣- وَ(الْخُلْفُ) فِي النَّقْضِ بِلَمْسِ الْمَرْأَةِ وَالْمُكْثِ فِي الْمَسْــجِدِ مَعْ جَنَابَةِ

يقول: كذلك من خصائصه ﷺ المختلف فيها: مسألة انتقاض الوضوء بلمس المرأة، وهذه من مسائل الخلاف الفقيهة، فثبت أن النبي ﷺ قبّل بعض نسائه ثم صلّى ولم يتوضأ عليه السلام فمعناه أن مس المرأة لا ينقض الوضوء.

فمن الفقهاء مَنْ قال: هذا عام في عموم الأمة، ليس خاصًّا برسول الله ﷺ، وهو الصواب في الحقيقة.

وحملوا قوله سبحانه: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[النساء:٤٣] قالوا: المقصود بها: بالملامسة في الآية الكريمة: الجماع، يعني معاشرة الإنسان لزوجته توجب الاغتسال، وإذا لم يجد ماءً يتيمم، فالتيمم هنا لمَنْ لم يجد ماءً يغتسل به من الجنابة. فالصواب: أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء. وهؤلاء حملوا الآية الكريمة: (أو لامستم النساء) على الجماع؛ لأن الملامسة يُكنَى بها عن الجماع في كتاب الله ﷻ في آيات أخرى، مثل قوله

ﷻ: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾[الأحزاب:٤٩] فقالوا: إذًا آية التيمم لمَنْ لامس النساء ولم يجد ماءً، هذا في الجماع، وقبّل بعض نسائه ولم يتوضأ هذا في الملامسة العادية التي هي غير الجماع، ويكون الحُكم عامًّا للأمة، ليس فيه خصوصية لرسول الله ﷺ، هذا يكون أحسن من أن نلجأ إلى القول بالخصوصية.

لكن من الفقهاء من قال: (أو لامستم النساء) تشمل أيّ ملامسة للمرأة، وليس المقصود فقط معاشرة الزوجة، بل اللمس بصفة عامة، وحملوا تقبيل النبي ﷺ بعض نسائه وصلاته بعد ذلك مباشرة بغير وضوء على الخصوصية.

لكن في الحقيقة مسألة الخصوصية بعض العلماء وسّع فيها زيادة عن اللازم، وحمل كل تعارضٍ بين نص عام وفِعْل لرسول الله ﷺ على الخصوصية، لكن الأصوب دائمًا في هذا الباب أن الأصل أن أفعال النبي ﷺ هي للاقتداء؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[الأحزاب:٢١]، فالأصل: أن أفعال النبي ﷺ هي تشريع لعموم الأمة، فلا نقول: إن هذا الفعل خاص برسول الله ﷺ إلا إذا قام دليل واضح على الخصوصية، هنا إذا وجدنا طريقة للجمع نتحاشى بها القول بالخصوصية يكون دائمًا هذا أولى من أن نقول خاص برسول الله ﷺ.

كذلك مسألة: إباحة المكث في المسجد للنبي ﷺ ولو كان جُنُبًا، بينما يحرم هذا على عموم الأمة؛ فقيل: هذا من خصائص رسول الله ﷺ، وقيل: أيضًا ليس في هذا خصوصية، وإنما الجُنب يباح له أن يمكث في المسجد إذا توضأ، فالوضوء يخفف الجنابة ولا يزيلها، لكن الجنب إذا توضأ يمكن أن يمكث في المسجد، سواء النبي ﷺ أو غيره.

أيضًا الأصوب هنا: أنه ليس هناك خصوصية في هذا.

٢٤- وَجَائِزٌ نِكَاحُهُ لِتِسْعَةِ وَفَوْقَهَا، وَعَقْدُهُ بِالْهِبَةِ
٢٥- فَإِنْ فَلاَ بِالْعَقْدِ: حَتْمُ مَهْرِهِ وَلاَ الدُّخُولِ بِخِلاَفِ غَيْرِهِ
٢٦- كَذَا بِلاَ وَلِيٍّ اوْ شُهُودٍ، اوْ فِي حَالِ إِحْرَامٍ، بِخُلْفٍ قَدْ حَكَوْا

هنا: من خصائصه ﷺ أنه يباح له نكاح تسع من النسوة وما فوقها بغير حصر، يعني قال: (وَجَائِزٌ نِكَاحُهُ لِتِسْعَةِ وَفَوْقَهَا) وفوق التسعة، وطبعًا الذي حصل أن النبي ﷺ لم يجمع في وقت واحد أكثر من تسع نسوة، لكن مجموع مَنْ دخل بهن النبي ﷺ كنّ إحدى عشرة امرأة، لكن لم يجتمع منهن في وقت واحد أكثر من تسع، فيجوز له أن يجمع ﷺ في عصمته في الوقت الواحد تسع نسوة أو أكثر من تسع.

(وَعَقْدُهُ بِالْهِبَةِ) وعقد النبي ﷺ بالهبة: يعني أنه ينعقد نكاحه بلفظ الهبة للآية الكريمة: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[الأحزاب:٥٠] فلو أن امرأة قالت للنبي ﷺ: وهبت لك نفسي، فقال: «قبلت» صارت زوجته ﷺ بالهبة.

فإن عقد بلفظ الهبة لم يجب عليه مهر، فلو أن امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ فقِبل الهبة فلا يجب عليه في هذه الحالة مهر، لا بالعقد ولا بالدخول، بخلاف غير النبي ﷺ فإنه عليه المهر.

(كَذَا بِلاَ وَلِيٍّ اوْ شُهُودٍ) يعني أن النبي ﷺ له أن يتزوج بغير ولي أو بغير شهود، وبغير ولي وشهود جميعًا.

ومذاهب الفقهاء في صحة الزواج بلا ولي كالتالي: الإمام أبو حنيفة -رحمه الله- يرى أن العقد صحيح من غير ولي، والإمام مالك يرى أن العقد صحيح من غير شهود، لكن لا يوجد إمام يُصحِّح عقدًا بغير ولي وشهود في نفس الوقت، فالإمام أبو حنيفة لم

يشترط الولي، والإمام مالك لم يشترط الشهود.

وأما الشافعي وأحمد فاشترطا الشهود والولي؛ هذا لعموم الأمة.

أما النبي ﷺ فله أن يتزوج بغير ولي ولا شهود، وهذا في حق غيره يكون عقدًا باطلًا، لا يصح عقد بغير ولي ولا شهود عند أحد من علماء المسلمين في حق غير النبي ﷺ، أما النبي ﷺ فله ذلك.

وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات؛ يعني كان نكاح النبي ﷺ لزينب: أن الله جل وعلا قال: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧] فزوجه الله جل وعلا إياها فصارت زوجة له بتزويج الله إياها للنبي ﷺ.

قال: (أَوْ فِي حَالِ إِحْرَامٍ، بِخُلْفٍ قَدْ حَكَوْا) لأنه ورد حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو مُحرِم، لكن هذا الحديث قيل: إن الصواب: أنه وهم أو خطأ من ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ لأن ميمونة رضي الله عنها قالت: تزوجني وهو حلال، كان مُحلًا عليه الصلاة والسلام، لم يكن مُحرمًا، وقال أبو رافع: تزوجها وهو حلال، وكنت السفير بينهما.

فالصواب: أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال، لم يكن مُحرمًا.

لكن على قول ابن عباس أن النبي ﷺ تزوجها وهو مُحرِم يكون هذا من خصوصيات النبي ﷺ؛ لأنه نهى أُمته عن التزوج حال الإحرام، قال: «لا يَنكِح المحرم ولا يُنكِح» لا يتزوج ولا يُنكح يعني ولا يُزوِّج موليته.

٢٧- وَمَنْ يَرُمْ نِكَاحَهَا لَزِمَهَا إِجَابَةٌ، وَحَرُمَتْ خِطْبَتُهَا

(وَمَنْ يَرُمْ نِكَاحَهَا لَزِمَهَا إِجَابَةٌ) يعني: مَنْ أراد النبي ﷺ أن يتزوجها لزمها إجابته،

وهذا طبعًا أيضًا في قول بعض العلماء، فقيل: إنه من خصائصه ﷺ: أنه لو رغب في نكاح امرأة أنها يلزمها ذلك، ويجب عليها أن تجيبه عليه السلام وقيل: لا دليل على هذا الأمر.

لكن طبعًا من الناحية العملية: النبي ﷺ ما رغب في الزواج بامرأة إلا وهي تتشرف بزواج رسول الله ﷺ بها، يعني ما تزوج النبي ﷺ امرأة وهي غير راغبة في الزواج به، وأوجب عليها القبول به، يعني هذا من الناحية العملية ما حصل، لكن المسألة تظل نظرية، فلو فُرِض أن النبي ﷺ رغب بالزواج بامرأة وهي كانت لا تريد الزواج به ﷺ فيجب عليها أن تجيبه ﷺ وليس عندها اختيار كغيره من الأزواج فعموم المسلمين: إذا تقدم خاطب لامرأة للزواج بها تكون مُختارة، يعني لها أن توافق عليه ولها ألا توافق، وهنا قال بعض العلماء: إن من خصوصياته ﷺ : أنه إذا خطب امرأة فليس عندها اختيار أنها توافق أو لا توافق، يجب عليها أن توافق.

لكن كما ذكرنا هذا ليس عليه دليل يدل عليه، لكن من باب الظن بالمؤمنات أنه لا يُظَن بمؤمنة أنه يخطبها رسول الله ﷺ وترغب عنه عليه السلام يعني لا يُظَن هذا بمؤمنة، تظل المسألة نظرية.

قال: (وَحَرُمَتْ خِطْبَتُهَا) يعني إنه تحرم خطبة امرأة رغب رسول الله ﷺ في الزواج بها حتى ولو لم يخطبها بالفعل، هنا ذكر في خصائص النبي ﷺ أنه لو أظهر ميله لامرأة أو رغبته في الزواج بها، حتى لو لم يخطبها يحرم على غيره أن يتقدم لخطبتها.

فذكروا في هذا قصة حفصة بنت عمر لما تأيمت، يعني: لما استُشهد زوجها خنيس بن حذافة رضي الله عنه فعرض على عثمان أن يتزوجها فقال: عثمان رضي الله عنه: ليس لي رغبة في الزواج في هذا الوقت، فعرض على أبي بكر رضي الله عنه أن يتزوجها، فسكت أبو بكر، قال: فوجدت عليه أكثر مما وجدت على عثمان؛ لأن عثمان رفض رفضًا صريحًا، لكن أبو

بكر رضي الله عنه ترك الأمر مُعلقًا، يعني سكت ما قال شيئًا.

ثم بعد ذلك خطبها رسول الله ﷺ وتزوجها رضي الله عنها، فلما تزوجها النبي ﷺ قال أبو بكر لعمر: لعلك وجدت عليّ حين كلمتني عن حفصة؛ إني سمعت رسول الله ﷺ ذكرها. ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ. فانتظر حتى يرى ماذا يفعل النبي ﷺ، النبي ﷺ ما خطبها، ولكن كأنه ذكرها، يعني أثنى عليها وذكرها بالخير، فكأن أبا بكر فَهِمَ أن النبي ﷺ ربما تكون له رغبة في الزواج بها، فترك الأمر حتى ينظر ماذا يفعل النبي ﷺ، وقال لعمر: لو أن النبي ﷺ لم يتقدم لخطبتها لكنت تزوجتها، لكن انتظرت أولًا حتى أنظر ماذا يفعل النبي ﷺ.

فالقصد يعني: أنهم أخذوا من هذا ونحوه أنه بمجرد أن يبدي النبي ﷺ ميْلًا إلى الزواج بامرأة أو رغبة فيها حتى لو ما تقدم لخطبتها أنه يحرم على غيره أن يخطبها، لكن الحُكم العام، هذا يكون من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

٢٨- وَمَنْ لَهَا زَوْجٌ: فَحَقًّا وَجَبَا   طَلاَقُهَا، كَمَا جَرَى لـ«زَيْنَبَا»

يقول: من خصائص النبي ﷺ أنه إذا رغب في الزواج بامرأة، وكانت متزوجة أنه يجب على زوجها أن يطلقها ليتزوجها النبي ﷺ، ويقول: إن هذا جرى لزينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين، وأن النبي ﷺ رغب في الزواج بها، وأن زيدًا طلقها وتزوجها النبي ﷺ، لكن في الحقيقة هذا الكلام غير صحيح.

الصواب: أن زيدًا طلقها؛ لأمر وقع بينهما، وقعت بينهما نُفرة بأمر الله ﷻ زيد ما طلقها من أجل أن يتزوجها النبي ﷺ، وإنما وقعت بينما نُفرة وعدم توافق بينهما رضي الله عنهما وأن زيدًا رغب في تطليقها، وكان يستشير النبي ﷺ في تطليقها.

وزيد بن حارثة كان مولى لرسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ تبناه في الجاهلية قبل تحريم التبني.

فاستشار زيد النبي ﷺ في تطليق زينب، فكان يقول له: أمسك عليك زوجك واتق الله، فكان النبي ﷺ يشير عليه بأن يُمسِك عليه زوجه وألا يُطلقها، كما هو في كتاب الله تعالى.

الصواب في تفسير الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[الأحزاب:٣٧] الأمر الذي أخفاه النبي ﷺ وعاتبه الله عليه أن الله ﷻ أمره بالزواج بزينب، زوّجه الله منها ﷻ من فوق سبع سموات، وأن النبي ﷺ كان يخشى أنه لو تزوجها أن يقول الناس: تزوج زوجة ابنه؛ لأنه كان ابنه في الجاهلية بالتبني، ونُسِخ هذا الحُكم.

لكن الله ﷻ كانت له حِكمة في أن يتزوجها النبي ﷺ لإبطال هذه العادة، وقالوا هنا: لأن العادة كانت راسخة في المجتمع ومستقرة فيه، فمثل هذه العادات لا يكفي في تغييرها أن تُغيّر بالكلام، فالعادات التي تكون راسخة في المجتمع، ونشأ عليها الصغير، وهرم عليها الكبير، لا يمكن تغييرها فقط بالكلام، تحتاج إلى تغيير عملي وقدوة من الكبراء، يكونون قدوة للناس لتغيير هذه العادات.

فأراد الله ﷻ إبطال هذه العادة، فقضى الله ﷻ بتزويج رسول الله ﷺ من زينب.

فالقصد: أن زيدًا لم يطلقها من أجل أن النبي ﷺ رغب فيها فطلقها زيد، هذا غير صحيح.

الصواب: أنه طلقها لنُفرة وقعت بينهما وعدم توافق، ثم إن النبي ﷺ بعد ذلك لما طُلّقت تزوجها رسول الله ﷺ.

وأيضًا من سيرته العملية ﷺ ما نُقِل أن النبي ﷺ رغب في امرأة ذات زوج، ما حصل هذا من رسول الله ﷺ.

فكما ذكرنا كثير من هذه الخصائص هي اجتهاد ممَّنْ قالها، واستنباط منهم لبعض النصوص، لكن أحيانًا لا يكون عليها دليل صحيح.

٢٩- وَفِي وُجُوبِ قَسْــمِهِ بَيْنَ الإِمَا وَبَــيْنَ زَوْجَــاتٍ لَهُ: خُلْــفٌ نَمَا

ومن خصائص رسول الله ﷺ: أنه يجب عليه أن يقسم بين إمائه وزوجاته، في المبيت فمَنْ كان له أكثر من زوجة فإنه يبيت عند كل واحدة ليلة، وأما الإماء فلا قسْم لهن، فالأمة لسيدها أن يعاشرها في أي وقت، يعني ليس لها قسْم مع الزوجات.

القسم يكون لليالي بين الزوجات الحرائر، وأما الإماء فليس لهنّ قسم.

يعني النبي ﷺ مثلًا له تسع نسوة فيبيت ليلة عند كل واحدة، ثم يرجع إلى الأولى مرة أخرى، وأما الأمة فيعاشرها ﷺ في أي يوم من الأيام، ليس لها قسم مخصوص، يعني يوم بحيث أنها تدخل في القسمة، يكون الأيام تُقسم على عشرة أو أكثر.

فيقول: فيه خُلف، أي: خلاف، فبعض العلماء ذكر أن النبي ﷺ كان من خصائصه: أنه يجب عليه أن يقسم بين الإماء وبين الزوجات، لكن ليس هناك أيضًا دليل على هذا.

والذي ورد أن مارية أم إبراهيم كانت أمة النبي ﷺ، وجعل لها بيتًا في العوالي، عوالي المدينة، وكانت على بُعد ثلاثة أميال أو أربعة أميال من مسجد الرسول ﷺ وبيوت أزواجه، يعني بيوت أزواج النبي ﷺ كانت تحيط بمسجده عليه الصلاة والسلام، وبيت مارية كان في العوالي، على بُعد ثلاثة أو أربعة أميال، وكان يذهب إليها النبي ﷺ في بيتها الذي في العوالي، يذهب إليها النبي ﷺ متى شاء، ويعاشرها في ذلك البيت، لكن ما كان لها

قسْم مع زوجاته.

٣٠- (زَوْجَاتُـهُ) كُلٌّ مُحَرَّمَـاتُ ... هُـنَّ لِذِي الإِيْمَـانِ: أُمَّهَـاتُ

٣١- نِكَاحُهُـنَّ مَـعْ عُقُوقِهِنَّهْ ... مَـعَ الْوُجُـوبِ لاحْتِرَامِهِنَّـهْ

٣٢- لاَ نَظَـرٌ وَخَلْـوَةٌ بِهِنَّـهْ ... وَلاَ بِتَحْرِيْـمِ بَنَاتِهِنَّـهْ

من خصائص النبي ﷺ: أن زوجات النبي ﷺ مُحرمات على المؤمنين، فيحرم على المؤمنين الزواج بزوجات النبي ﷺ بعد وفاته ﷺ؛ لأن أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين، وهذا ليس مشروعًا في حق الأمة أن يجعل أحد زوجته أُمًا لأحد، هذا خاص برسول الله ﷺ.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[الأحزاب:٦] فالنبي ﷺ أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم، يعني هو ولي للمؤمنين ﷺ، وهو أب للمؤمنين ﷺ وأزواج النبي ﷺ أمهات لكل مؤمن.

المقصود بكون زوجات النبي ﷺ أمهات للمؤمنين: أي: من جهة أنه يحرم الزواج بهن بعد وفاة رسول الله ﷺ ،كما يحرم على الإنسان أن يتزوج بأمه يحرم عليه أن يتزوج بزوجات رسول الله ﷺ بعد وفاته؛ لقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٥٣]..

فهذا أحد معاني كونهن أمهات للمؤمنين.

(نِكَاحُهُنَّ مَعْ عُقُوقِهِنَّهْ) يعني: هن أمهات للمؤمنين بمعنى أنه يجب طاعتهن والبر بهن كما تُبر الأم، وكما أنه يحرم على الإنسان أن يعق أمه، وأن يؤذيها بتأفف مثلًا فلو طلبت شيئًا يحرم أن يقول لها: أف، أو أن يؤذيها بكلمة، فكذلك أمهات المؤمنين هن

كالأمهات في أنه يجب البر بهن ويحرم عقوقهن.

(مَعَ الْوُجُوبِ لاحْتِرَامِهِنَّهْ) يعني مع وجوب احترام أمهات المؤمنين، أنها تُحترَم كما يحترم الإنسان أمه من النسب يحترم أم المؤمنين ويذكرها بالخير، ويثني عليها ويستغفر لها، ويصلها بما يصل به أمه.

قال: (لاَ نَظَرٌ وَخَلْوَةٌ بِهِنَّهْ) لكن هُن لا يأخذن أحكام أمهات النسب في مسألة النظر، فأمك من النسب يباح لك أن تنظر إليها، وأن تبدي الأم زينتها لابنها، يعني أنها لا تحتجب الأم من ابنها، هذا في الأم من النسب، لكن أمهات المؤمنين في هذا يختلفن عن الأمهات من النسب في مسألة النظر.

وكذلك في مسألة الخلوة، فالإنسان يخلو بأمه في بيت واحد، أو حجرة واحدة، يكون الإنسان مع أمه، هذا لا حرج فيه مع أمه من النسب، لكن مع أمهات المؤمنين لا تجوز الخلوة بهن.

(وَلاَ بِتَحْرِيمِ بَنَاتِهِنَّهْ) كذلك أمك من النسب يحرم عليك الزواج ببنتها، لكن أمهات المؤمنين لا يحرم عليك الزواج ببنتها، فمثلًا: علي رضي الله عنه تزوج فاطمة، وعثمان تزوج رقية وأم كلثوم رضي الله عنهم، فهؤلاء بنات خديجة، وخديجة هي أم المؤمنين، فعثمان من المؤمنين، وخديجة هي؛ أمه لأنها أم المؤمنين، لكن تزوج بنتها.

فإذًا هُن يشتركن مع الأمهات من النسب في أحكام، ويُخالفن أمهات النسب في أحكام.

٣٣- مَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ، أَوْ قَدْ فُورِقَتْ ... أَوْ مَاتَ عَنْهَا، أَوْ تَكُونُ سَبَقَتْ

٣٤- وَهُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ الأُمَّةِ ... ضُعِّفْنَ فِي الأَجْرِ وَفِي الْعُقُوبَةِ

يقول: تحريم أمهات المؤمنين: هذا الحكم ينطبق على مَنْ دخلت عليه- عليه السلام- أي: مَنْ دخل بها، وفارقها في حياته، أو مات عنها ﷺ، أو (**سَبَقَتْ**) يعني ماتت وهي في عصمته عليه السلام.

هذا تعريف أمهات المؤمنين؛ لأن بعض النساء عقد عليهن النبي ﷺ وطلقهن قبل الدخول، وهذه وقع فيها اختلاف بين الصحابة، اجتهدوا في امرأة كان النبي ﷺ عقد عليها وطلقها ولم يدخل بها، تزوجت في عهد عمر رضي الله عنه، وكان عمر قد همّ أن يعاقب مَنْ تزوجها وتشاور الصحابة في هذا ورأوا أنه إذا عقد على امرأة، ولم يدخل بها أنها لا تكون من أمهات المؤمنين ولا ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾[الأحزاب:٥٣] فقالوا: المقصود بقوله: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [الأحزاب:٥٣] اللائي دخل بهن، لكن التي عقد عليها ولم يدخل بها وطلقها قبل الدخول فهذه لا تكون من أمهات المؤمنين.

وأما مَنْ دخل بها النبي ﷺ وطلقها فقالوا: هذه تكون من أمهات المؤمنين وتأخذ أحكامهن في مسألة حُرمة الزواج بهن ووجوب برهن والإحسان إليهن.

ومن أمهات المؤمنين: مَنْ مات وهن في عصمته، كنّ أزواجًا له إلى لحظة وفاته عليه السلام.

كذلك من أمهات المؤمنين: مَنْ سبقنه بالوفاة كخديجة، وزينب رضي الله عنهن ماتتا في حياة النبي عليه السلام، فهُن من أمهات المؤمنين كنّ أزواجًا للنبي ﷺ وتوفين في حياته عليه السلام فهُنّ من أمهات المؤمنين، وكذلك اللائي بقين إلى لحظة وفاته ﷺ وكُنّ على قيد الحياة وتوفي قبلهن، فكل هؤلاء يأخذن أحكام أمهات المؤمنين.

قال: (**وَهُنَّ أَفْضَلُ نِسَاءِ الأُمَّةِ**) أمهات المؤمنين أفضل نساء هذه الأمة.

(ضُعِّفْنَ فِي الأَجْرِ وَفِي الْعُقُوبَةِ) يعني عملهن الصالح أجرهن عليه مضاعف، والعقوبة عليهن مضاعفة في السيئات، يعني إن أسأن فعليهن عقوبة مضاعفة، وإن أَحْسَنَّ فأجرهن مضاعف، وهُنّ رضي الله عنهن كُنّ من المحسنات الصالحات رضي الله عنهن وأرضاهن، فكل واحدة من أمهات المؤمنين معروفة بالخير والزهد والصلاح، واختارهن الله ﷻ؛ ليكنَّ زوجات لرسول الله ﷺ، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾﴾[الأحزاب: ٣٠-٣١][الأحزاب٣٠:٣١].

٣٥- أَفْضَلُهُنَّ مُطْلَقًا خَدِيْجَةُ وَبَعْدَهَا عَائِشَةُ الصِّدِّيْقَةُ

(أَفْضَلُهُنَّ مُطْلَقًا خَدِيْجَةُ) أفضل أزواج النبي ﷺ: خديجة، (وَبَعْدَهَا عَائِشَةُ الصِّدِّيْقَةُ) رضي الله عنهن وأرضاهن.

وفي مسألة المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما خلاف بين العلماء، وهو خلاف لا طائل تحته؛ لأن الجميع متفِق على فضلهما وكونهما رضي الله عنهما أفضل أزواجه ﷺ خديجة وعائشة رضي الله عنهما ثم سائر أزواجه ﷺ بعد ذلك في الفضل.

طبعًا الذين قالوا بتفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما قالوا: لأن النبي ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجة، وفاطمة، ومريم، وآسية» مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم وهي امرأة فرعون، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

وأما الذين فضّلوا عائشة رضي الله عنها فلقول النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، فهذا فضل عائشة رضي الله عنها على النساء، فهذا أخذوا منه فضل

عائشة، ولأنها كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.

أما المفاضلة بينهما وبين مريم عليها السلام: فأكثر العلماء على تفضيل مريم عليهما، يعني الكلام عن المفاضلة في فضلهما على نساء هذه الأمة، وعلى النساء عمومًا سوى مريم عليها السلام.

ولهذا لما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، قال أبو هريرة قال: وما ركبت مريم بنت عمران بعيرًا قط. فهذا لا يعني تفضيلهن على مريم؛ لأن النبي ﷺ قال: «خير نساء ركبن الإبل» فهذا لا يفيد أنهن أفضل من نساء لم يركبن الإبل كمريم، وإنما تفضيلهن على نساء ركبن الإبل.

هذا طبعًا من ضمن ما يستدل مَنْ يرى فضل خديجة على عائشة رضي الله عنهما، طبعًا لهم أدلة، منها: سبْقها في الإسلام، وبذْلها وتضحيتها في سبيل الله، ومنها: أن النبي ﷺ لما كان يُكرِم صاحبات خديجة ويُحسن إليهن. تقول عائشة رضي الله عنها: «ما غرت من امرأة- يعني من أزواج رسول الله ﷺ- ما غرت من خديجة وما اجتمعت معها قط» يعني ما اجتمعت معها، ولكن كانت تغار منها من كثرة ذِكْر النبي ﷺ لها وثنائها عليها.

فقالت يومًا للنبي ﷺ: كانت عجوزًا أبدلك الله خيرًا منها، فقال ﷺ: «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، لقد صدقتني حين كذبني الناس، وآمنت بي حين كفر بي الناس، وواستني بنفسها ومالها، ورزقني الله منها الولد» قالت: فما ذكرت خديجة بعدها، يعني ما ذكرتها بعدها قط بشيء رضي الله عنهن وأرضاهن.

فهذا أيضًا مما استُدل به على تفضيل خديجة رضي الله عنها.

وأما عائشة رضي الله عنها فمما استُدل به على تفضيلها: ما كانت عليه من الفقه والعلم وأنها أعلم نساء الأمة وأفقه نساء الأمة، وما وُعِد به العلماء من رفعة الدرجات. إلى آخره.

و على كل حال؛ هما خير أزواج رسول الله ﷺ، وسيدات نساء العالمين رضي الله عنهن وأرضاهن.

وهناك آثار واردة عن ابن عباس رضي الله عنهما في زواج النبي ﷺ يوم القيامة في الآخرة بمريم وآسية رضي الله عنهما يعني في الجنة بآسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وأنهما اللتان عناهما الله جل وعلا بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ﴾ [التحريم:٥] إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾[التحريم:٥] قال: الثيبات: آسية بنت مزاحم، والأبكار: مريم بنت عمران، يعني الله جل وعلا قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[التحريم:٥] ﴿أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ قال: ليس هناك خير من أزواج النبي ﷺ إلا آسية ومريم، واستدل على هذا أيضًا بسياق الآيات؛ لأنه في نفس السورة قال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[التحريم:١١] وبعدها قال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾ [التحريم:١٢] فجاء الثناء عليهما في نفس السورة وضرْب المثل بهما مع وَعْدِه تبارك وتعالى لنبيّه أن يزوجه خير منهن.

فابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: إنهما زوجتا نبينا عليه الصلاة والسلام مريم وآسية رضي الله عنهن وأرضاهن جميعًا.

وهن أفضل نساء أهل الجنة، وكونهن أفضل نساء أهل الجنة أيضًا هذا يناسب أن يزوجهن الله تعالى بأفضل أهلها، وهو رسول الله ﷺ.

ونساؤه ﷺ بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل.

٣٦- وَأَنَّــهُ خَاتَـمُ الَانبِيَــاءِ خَـيْرُ الْخَلَائِـقِ بِـلَا مِـرَاءِ

٣٧- أُمَّتُهُ فِي النَّاسِ أَفْضَلُ الأُمَمْ مَعْصُومَةٌ مِـنَ الضَّـلَالِ بِعِصَمْ

العصم: جمع عِصمة، وهي: الحفظ.

من خصائص النبي ﷺ: أنه خاتم الأنبياء، فلا نبي بعده ﷺ وهذه خصيصة له، فكل نبي قبله: بعده نبي، إلا نبينا محمد ﷺ فهو النبي الخاتم الذي ليس بعده نبي.

وقال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠] وفي القراءة الأخرى: وخَاتِمَ النبيين.

فالنبي ﷺ هو خاتَم الأنبياء، وقال ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي» يعني هو وزير لرسول الله ﷺ، وخليفةٌ استخلفه على المدينة، النبي ﷺ استخلف عليًّا على المدينة في إحدى غزواته ﷺ كما استخلف غيره، فليس علي هو الوحيد الذي استخلفه الرسول ﷺ، استخلفه واستخلف غيره، لكن في إحدى الغزوات استخلف النبي ﷺ عليًّا على المدينة وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» لأن موسى قال لهارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢] فهو مثله في هذه الحيثية.

«غير أنه لا نبي بعدي» لكنه ليس مثل هارون أنه نبي بعد موسى ﷺ.

وقد أخبر النبي ﷺ: أنه سيأتي بعده كذابون ثلاثون، كلٌّ يزعم أنه نبي، وأنه لا نبي بعده، وهؤلاء الكذابون الثلاثون هم رؤوس أدعياء النبوة الذين جاءوا بعد النبي ﷺ، عددهم أكبر من ثلاثين، لكن منهم ثلاثون افتتن الناس بهم وكان لهم أتباع وشوكة، وبعضهم افتتن به خلق كثير.

وأما كون عيسى ﷺ ينزل في آخر الزمان كما أخبر النبي ﷺ، فإنه ينزل في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ فعيسى ﷺ إذا نزل في آخر الزمان ينزل حكمًا عدلًا، يحكم بكتاب الله ﷻ وبسُنة محمد ﷺ فعندما ينزل لا يكون نبيًّا بعد محمد ﷺ وإنما في هذه

الحالة ينزل كحاكم بشريعة محمد ﷺ.

قال: (خَيْرُ الْخَلاَئِقِ بِلاَ مِرَاءِ) النبي ﷺ هو خير الخلائق بلا مراء- يعني: بلا شك- فهو أفضل الخلق ﷺ.

وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»، وقالوا: معنى (ولا فخر) يعني لا أقول هذا تفاخرًا، وإنما تبليغًا لما كلفه الله ﷻ أن يبلغه، لتعلم الأمة هذه المعلومة التي لا سبيل للأمة أن تعلمها إلا من قِبَله ﷺ.

قال: (أُمَّتُهُ فِي النَّاسِ أَفْضَلُ الأُمَمْ) أُمة النبي ﷺ أفضل الأمم، فمما اختص الله ﷻ به محمدًا ﷺ: أن جعل أمته أفضل الأمم، وكما كان ﷺ خير الأنبياء فأُمته خير الأمم، وأصحابه خير الأصحاب، وذلك أن الله ﷻ ذكر عن أصحاب موسى الذين اختارهم موسى من قومه، وكانوا أفضل أصحابه وخير أصحابه، قالوا لموسى ﷺ لما كلمه الله ﷻ قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[النساء:١٥٣] وهؤلاء كانوا خيرة أصحاب موسى، وقد اختارهم موسى لميقات ربه: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ﴾ [الأعراف:١٥٥]..

وأصحاب عيسى ﷺ (الحواريون) قالوا لعيسى ﷺ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾[المائدة:١١٢].. الحواريون وكانوا اثني عشر رجلًا، وهم خيرة أصحاب عيسى ﷺ سألوه هذا السؤال قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة:١١٢]

﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[المائدة:١١٣] يعني هم عللوا أنهم يريدون آية وعلامة.

لكن القصد: أن هذا يبين أن أصحاب محمد ﷺ هم خير الأصحاب، وأمته ﷺ هم أفضل الأمم.

(مَعْصُومَةٌ مِنَ الضَّلَالِ بِعِصَمْ) والعصم: جمع عصمة، وهي: الحفظ؛ وذلك أن النبي ﷺ قال: «لا تجتمع أمتي على ضلالة» فأمة النبي ﷺ لا تجتمع على ضلالة.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم مَنْ خالفهم، أو خذلهم حتى تقوم الساعة وهم ظاهرون على الناس» يعني: لا بد أن تبقى طائفة من هذه الأمة يُظهرون الحق، ولا يضرهم مَنْ خالفهم ولا مَنْ خذلهم.

ومعنى (بقاء طائفة من الأمة يُظهرون الحق): أن الأمة لا يمكن أن تجتمع على الضلال، حتى لو انحرف كثير من الأمة، أو خالفوا الصواب في بعض المسائل، فلا بد وأن تبقى طائفة على الحق، يعني لا يمكن أن تكون الأمة كلها على باطل أو على خطأ، وهذه مزية لأمة محمد عليه الصلاة والسلام.

٣٨- أَصْحَابُهُ خَيْرُ الْقُرُونِ فِي الْمَلَا كِتَابُهُ الْمَحْفُوظ أَنْ يُبَدَّلَا

أصحاب النبي ﷺ خير القرون في الملأ- والملأ: هم أشراف الناس- فأصحابه خير القرون، النبي ﷺ قال: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

فأمته خير الأمم هذه خصيصة، وأصحابه خير الأصحاب هذه خصيصة أخرى، وأصحابهم خير القرون، ثم القرن الذين بعدهم هم خير القرون بعد قرن الصحابة، ثم القرن الثالث، والقرن: مائة عام، أو هو الجيل من الناس.

فالقرن الذي كان فيه النبي ﷺ هو خير القرون، ثم القرن الذي يليه، ثم القرن الذي يليه، إلى عام ثلاثمائة من الهجرة النبوية، فاختار الله ﷻ له أفضل القرون، واختار

لأصحابه أن يعيشوا في أفضل القرون.

(كِتَابُهُ الْمَحْفُوظُ أَنْ يُبَدَّلاَ) يعني أيضًا مما فضّل الله ﷻ به محمدًا ﷺ أن الله ﷻ اختاره ليُنزل عليه أفضل الكتب وخير الكتب.

والكتب التي أنزلها ﷻ كلها كلام الله ﷻ، ولكن يقع التفاضل بين الكتب كما يقع بين السور، فالقرآن كله كلام الله ﷻ لكن فيه تفاضل بين سوره، فالنبي ﷺ وصف سورة الفاتحة بأنها أعظم سورة أو أفضل سورة في القرآن، ووصف آية الكرسي بأنها أعظم آية في القرآن، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن، فإذًا هناك تفاضل بين سور القرآن مع اشتراكها كلها في الفضل، لكن بعضها أفضل من بعض، فكذلك كتب الله ﷻ التي أنزلها بعضها أفضل من بعض، وأفضل الكتب التي أنزلها الله ﷻ هو القرآن الكريم، فاختار الله -تعالى- له محمدًا ﷺ، فأنزل عليه أفضل الكتب، وجعل الكتاب الذي أنزله عليه محفوظًا من التبديل، فهذا من خصائصه: أن الله ﷻ اختصه بأفضل الكتب، واختصه بكتاب محفوظ من التبديل والتغيير؛ حيث قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، بينما الكتب السابقة وقع فيها التحريف.

٣٩- (شِرْعَتُهُ) قَدْ أُبِّدَتْ وَنَسَخَتْ كُلَّ الشَّرَائِعِ الَّتِي قَبْلُ خَلَتْ

شرعة النبي ﷺ (قَدْ أُبِّدَتْ وَنَسَخَتْ كُلَّ الشَّرَائِعِ الَّتِي) خلت من قبل، يعني: مضت من قبل؛ فهذا أيضًا من خصائص نبينا ﷺ فشريعته نسخت كل الشرائع قبله، والنسخ: هو الإزالة، فالنسخ هنا بمعنى إزالة حُكم الشرائع السابقة.

فشريعة محمد ﷺ نسخت كل الشرائع السابقة، وأُبِّدت يعني: بقيت شريعة أبدية إلى أن تقوم الساعة.

وأخذ الله ﷻ الميثاق على الأنبياء السابقين أنهم لو أدركوا محمدًا ﷺ أن يتبعوه ويعملوا بشريعته، فقال ﷺ: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني»، ولذلك فإن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان سيتبع محمدًا عليه الصلاة والسلام ويكون من العاملين بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

٤٠- وَالأَرْضُ مَسْــجِدٌ لَهُ طَهُــورُ   وَالرُّعْــبُ شَــهْرًا نَـصْرَهُ يَسِــيْرُ

فجُعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وهذا في قوله عليه الصلاة والسلام: «أُعطيت خمسًا لم يُعطَهن نبي قبلي» فذكر من هذه الخمس قال: «وجُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره».

الطهور: هو ما يُتطهّر به، بمعنى إباحة التيمم بتراب الأرض.

فكان الأنبياء قبل النبي ﷺ يصلون في البِيَع والصوامع، والأماكن التي خُصصت للصلاة، ولم يكن مأذونًا لهم أن يصلوا في أي مكان، بخلاف أمة محمد ﷺ فقد جُعلت لهم الأرض مسجدًا وطهورًا، في أي مكان يصلي المسلم طالما كان المكان طاهرًا إلا ما ورد تفصيله في كتب الفقه من الأماكن. مثل: أماكن الخلاء، والمقابر، ونحوها.

والطُّهور: هو ما يُتطهر به، والمراد: التيمم، يعني إذا لم يجد ماءً يضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم ينفض ما عليها من التراب، ويمسح وجهه وكفيه إلى الرسغين.

كذلك يقول ﷺ: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» من الخمس التي اختُص بها النبي ﷺ في حديث جابر رضي الله عنه: قال: «نُصرت بالرعب مسيرة شهر» بمعنى أنه ﷺ إذا عزم على قتال عدو، فلو كان بينه وبينهم مسافة شهر يدبّ الرعب في قلوب أعداء النبي ﷺ، بمجرد أن يرغب في قتال عدو من أعدائه فينصره الله ﷻ على عدوه بالرعب الذي يلقيه في قلب عدوه، حتى لو كانت المسافة بينه وبين عدوه مسيرة شهر.

وقالوا: لم يكن أصلًا هناك عدو للنبي ﷺ أبعد من شهر في جميع الاتجاهات.

وسيأتينا إن شاء الله في غزوات النبي ﷺ كيف أن أعداءه كانوا يتهيبون قتاله ﷺ رغم كثرة عددهم وعتادهم، لكن يتهيبون قتال النبي ﷺ ويذهبون مترددين، ويراجعون أمرهم مرات كثيرة للرجوع، وعدم مواصلة القتال لما يلقيه الله ﷻ في قلوبهم من الرعب.

٤١- سَـيِّدُ أَوْلَادِ أَبِيْنَـا «آدَمَـا»   قَـدْ حَلَّـلَ اللهُ لَهُ الْغَنَائِمَـا

فمن خصائصه ﷺ: أنه سيد ولد آدم وقال ﷺ: «أنا صاحب لواء الحمد يوم القيامة، آدم فمَنْ دونه تحت لوائي» آدم فمَنْ دونه أي: آدم وجميع الأنبياء يسيرون تحت لواء النبي ﷺ.

فالمسألة السابقة التي هي مسألة الخصيصة السابقة وهي فضل النبي ﷺ على الخلائق يعني على المخلوقات عمومًا، وهنا فضله على ولد آدم، يعني على البشر خصوصًا.

أما المسألة الأولى: التي هي فضل النبي ﷺ على الخلائق عمومًا فهذه قال بها بعض الصحابة وبعض التابعين في مسألة المفاضلة بين النبي ﷺ، وبين الملائكة أو جبريل وميكائيل، فبعض الصحابة قال: ما خلق الله خلقًا أكرم عليه من محمد، قالوا: ولا جبريل ولا ميكائيل؟، قال: ولا جبريل ولا ميكائيل، هذا مروي عن عبد الله بن سلام الصحابي ﷺ، وعن بعض التابعين، يعني أن النبي ﷺ أفضل من جميع المخلوقات بما في ذلك جبريل وميكائيل عليهم السلام.

وهناك نقاش في مسألة المفاضلة بين الملائكة والصالحين من البشر عمومًا، وهنا يذكر فضل النبي ﷺ على ولد آدم خصوصًا.

(قَدْ حَلَّلَ اللهُ لَهُ الْغَنَائِمَا).

من خصائصه ﷺ: أن الله ﷻ قد أحل الغنائم له ولأمته، طبعًا بعض هذه الخصائص كما ذكرنا بعضها للنبي ﷺ فقط، وبعضها له ولأمته، وبعض الخصائص شاركه فيها بعض الأنبياء ، الخصائص أنواع:

منها: ما اختص الله به الأنبياء دون غيرهم من البشر.

ومنها: ما اختص الله به محمدًا وأمته دون غيرهم من الأمم.

ومنها: ما اختص الله به محمدًا ﷺ دون غيره، لا من الأنبياء ولا من الناس.

فمثلًا: جَعْلُ له الأرض مسجدًا وطهورًا هذا له ولأمته ﷺ والنصر بالرعب كذلك قالوا: له ولأمته ﷺ يعني مَنْ كان سائرًا على هدْي النبي ﷺ وعلى سُنته وعاملًا بشرعه متبعًا لسُنته فإن الله ﷻ أيضًا يلقي الرعب في قلوب أعدائه منه حتى لو كان قليل العدد والعُدة.

كذلك مسألة إباحة الغنائم فهذه له ﷺ ولأمته، ولم تحل الغنائم لأحد قبل النبي ﷺ، ولكن كانوا إذا حاربوا الأعداء وغنموا منهم يجمعون الغنائم فتأتي نار فتحرقها، إلا إذا كان فيها غلول، إذا كان أحد غلّ شيئًا من الغنائم (أخذه منها) فلا تأتي النار لإحراقها فيعلمون أن أحدًا غلّ (أخذ) من هذه الغنائم شيئًا ولم تؤدّ كاملة، فكانوا يفتشونهم، كما وردت بذلك أحاديث تدل على هذا.

أما نبينا ﷺ وأُمته فأحلَّ الله ﷻ لهم الغنائم التي يغنموها من أعدائهم في القتال.

٤٢- أُرْسِــلَ لِلنَّاسِ جَمِيْعًا، أُعْطِيَا ... مَقَامَـهُ الْمَحْمُـودَ حَـتَّى رَضِيَا

٤٣- وَخُصَّ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى: الَّتِي ... يُحْجِـمُ عَنْهَـا كُلُّ مَـنْ لَهَـا أُتِيْ

فالنبي ﷺ أُرسل للناس جميعًا، وكان الأنبياء قبله يُرسَلون إلى أقوامهم خاصة، فالنبي ﷺ قال: «بُعثت للناس كافة، وكان الأنبياء قبلي يُبعَثون إلى أقوامهم خاصة»، وفي الحديث الآخر قال: «وبُعثت إلى كل أحمر وأسود»؛ فالنبي ﷺ بُعث للخلق جميعًا عليه الصلاة والسلام.

ليست رسالته خاصةً بالعرب، ولا خاصة بقوم دون قوم كما كانت رسالات الأنبياء السابقين -صلوات الله وسلامه عليهم- وإنما رسالته إلى الناس كافة، وفي كتاب الله جل وعلا ما يدل على ذلك: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[سبأ:٢٨]..

فالله جل وعلا أرسله كافةً للناس بشيرًا ونذيرًا عليه الصلاة والسلام.

ويدل على هذا أنه ﷺ بعث كتبًا يدعو كسرى ملك الفرس وقومه إلى الإسلام، ويدعو هرقل قيصر الروم وقومه إلى الإسلام، ويدعو المقوقس ملك القبط إلى الإسلام، ويدعو النجاشي ملك الحبشة إلى الإسلام، وغيرهم، فكان النبي ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، ودعا اليهود من بني إسرائيل إلى الإسلام، ودل هذا على أن دعوته ﷺ للناس جميعًا.

وكذلك من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن الله جل وعلا أعطاه المقام المحمود.

والتفسير المشهور للمقام المحمود: أنه الشفاعة العظمى في فصْل القضاء، وهي شفاعة للناس جميعًا، وذلك أن الناس يطول وقوفهم ينتظرون أن يقضي الله جل وعلا بينهم، فيطول وقوفهم وانتظارهم ويُلجمهم العرق، وتدنو الشمس من رؤوسهم، فيقول بعضهم لبعض: تعالوا نستشفع بالنبيين إلى ربنا سبحانه وتعالى حتى يقضي بيننا.

فيذهبون إلى آدم ﷺ، ويقولون: يا آدم أنت أول البشر خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته اشفع لنا عند ربك، فيقول: لست لها اذهبوا إلى نوح، ويقول ﷺ: نفسي نفسي، لست لها، اذهبوا إلى نوح، إني عصيت ربي وأكلت من الشجرة.

فيذهبون إلى نوح ﷺ ويقولون: يا نوح أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا اشفع لنا عند ربك، فيقول: إني سألت ربي ما ليس لي به علم، نفسي نفسي، لست لها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيذهبون إلى إبراهيم ﷺ فيقولون: يا إبراهيم، أنت خليل الله اشفع لنا عند ربك، فيقول: لست لها، إني كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيذهبون إلى موسى ﷺ ويقولون: أنت الذي كلمك الله ﷻ وكتب لك التوراة بيده، وكلمك الله ﷻ اشفع لنا عند ربك، فيقول موسى ﷺ: لست لها، إني قتلت نفسًا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيذهبون إلى عيسى ﷺ فيقولون: يا عيسى ابن مريم، أنت روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم، اشفع لنا عند ربك، فيقول: لست لها، نفسي نفسي، ولا يذكر ذنبًا، ثم يقول: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيذهبون إلى محمد ﷺ فيقول ﷺ يقولون له: اشفع لنا عند ربك، فيقول ﷺ: أنا لها، أنا لها، ويخر ساجدًا تحت العرش، ويُلهمه الله ﷻ محامد وتسابيح يحمده بها، ثم يقول الله ﷻ له: ارفع رأسك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع.

فيشفع ﷺ في فصْل القضاء، فيُشفعه الله ﷻ ويقبل الله -تعالى شفاعته- ويشفع ﷺ.

فقيل: المقام المحمود هو الشفاعة العظمى؛ لأن الله ﷻ ذكر المقام المحمود في كتابه الكريم: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[الإسراء:٧٩].

وجاء عن بعض السلف أن المقام المحمود: أن رسول الله ﷺ يوم القيامة يكون بين الجبار وبين جبريل، فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع، أي: يكون النبي ﷺ أقرب إلى الله تعالى من جبريل عليه السلام فيغبطه بذلك أهل الجمع.

وجاء في تفسير مجاهد بن جبر التابعي -رحمه الله- أنه قال: المقام المحمود أن يُجلسه الله ﷻ معه على عرشه، أن الله ﷻ يُجلِس نبيّه ﷺ معه على عرشه ﷻ فيكون هذا هو المقام المحمود.

والله ﷻ أعلم بحقيقة ذلك، المهم أن الله ﷻ اختصه بمقام يُحمَد عليه ويغبطه عليه الناس يوم القيامة.

فإذا كان المقام المحمود هو نفس الشفاعة العظمى كما هو في تفسير جمهور العلماء، فتكون خصيصة واحدة، وإذا كان المقام المحمود شيئًا غيره فتكونان خصيصتين من خصائص النبي عليه الصلاة والسلام.

هذه الشفاعة العظمى.

(**الَّتِي يُحْجِمُ عَنْهَا كُلُّ مَنْ لَهَا أُتِيْ**) يقول عن الشفاعة العظمى: أنه يُحجم عنها كل مَنْ لها أُتِي يعني كل الأنبياء الذين يذهب الناس إليهم يطلبون منهم الشفاعة يُحجمون عنها.

٤٤- أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ   وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ بَلْ غَمْضُ

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه أوّل مَنْ تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فعندما ينفخ إسرافيل

عليه السلام نفخة البعث، إسرافيل الملك الكريم عليه السلام ينفخ نفختين: نفخة الصعق: يصعق مَنْ في السموات ومَن في الأرض إلا مَنْ شاء الله، ثم ينفخ نفخة البعث: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨] فتنشق الأرض عن الناس ويخرجون من قبورهم، فيكون نبينا ﷺ أول مَنْ تنشق عنه الأرض.

وقد أخبر ﷺ عن نفسه: «أنه أوّل مَنْ تنشق عنه الأرض يوم القيامة» قال: « فإذا موسى قائم باطش بقائمة من قوائم العرش» البطش: هو الإمساك، ممسك بقائمة من قوائم عرش الله سبحانه وتعالى فيقول نبينا عليه الصلاة والسلام: «فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور» والحديث في صحيح البخاري.

طبعًا في تفسير (إلا مَنْ شاء الله) هناك أقوال:

قيل: هي أرواح الأنبياء، وفي أرواح المؤمنين بصفة عامة، والحور العين، والولدان المخلدون كل هؤلاء أحياء الآن، فهل هؤلاء يصعقون أو لا يصعقون؟ الله جل وعلا أعلم.

كذلك قيل: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وقيل: موسى عليه السلام هو الذي شاء الله جل وعلا أنه لا يصعق.

طبعًا الأنبياء أموات في قبورهم، لكن إذا قيل: إنهم يصعقون، فمعناه: تصعق أرواحهم التي هي الآن على قيد الحياة. والله جل وعلا أعلم بمَنْ استثناه في الآية الكريمة: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر:٦٨].

فالقصد: أن نبينا ﷺ يكون أول مَنْ تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه (لَا يَنَامُ قَلْبُهُ بَلْ غَمْضُ) أي: غمض العينين، تُغمَض عيناه، وتنام عيناه، ولكن لا ينام قلبه عليه الصلاة والسلام فقال ﷺ: «إنما تنام عيناي ولا ينام قلبي» فكان هذا

من خصائصه ﷺ.

٤٥- أَوَّلُ مَنْ يَقُومُ لِلشَّفَاعَةِ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ

نبينا ﷺ أوّل شافع وأوّل مُشفّع، وهناك شفاعات خاصة برسول الله ﷺ مثل الشفاعة في فصْل القضاء، وشفاعات يشترك فيها معه غيره من الأنبياء، مثل: الشفاعة في إخراج بعض عصاة المؤمنين من النار، الشفاعة في رفعة درجات بعض أهل الجنة، فهناك شفاعات يشترك معه فيها غيره ﷺ.

فيكون نبينا ﷺ أوّل شافع وأول مشفَّع، أول مَنْ يشفع وأول مَنْ تُقبَل شفاعته ﷺ.

(**أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**) من خصائصه ﷺ: أنه أول مَنْ يقرع باب الجنة، وذلك كما ورد في الأحاديث أن أول زمرة يدخلون الجنة فقراء المهاجرين، أول مَنْ يدخل الجنة فقراء المهاجرين، فهؤلاء لا حساب عليهم؛ لأن المؤمنين منهم: مَنْ يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ومنهم مَنْ يدخل الجنة بحساب، ولكن بغير عذاب، ومنهم مَنْ يُحاسَب ويُعذَّب ثم يدخل الجنة؛ ثلاثة أنواع: بغير حساب ولا عذاب، وبحساب بغير عذاب، وبحساب وعذاب؛ فالناس ثلاث فئات.

فممَّنْ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: فقراء المهاجرين، ويكونون أول مَنْ يدخل الجنة، فيذهبون يستفتحون باب الجنة، والناس في أرض المحشر ينتظرون الحساب، فيقول لهم خزنة الجنة: أوقد حوسبتم؟!، يتعجبون من سرعة وصولهم، والناس لا يزالون ينتظرون الحساب، وهؤلاء جاؤوا إلى باب الجنة يستفتحون، فيقول خزنتها: أوقد حوسبتم؟!، فيقولون: وعلى أي شيء نُحاسَب، إنما كانت سيوفنا على عواتقنا نقاتل في سبيل الله حتى قُتلنا، فيقول لهم خزنة الجنة: أُمرنا ألا نفتح لأحد قبل محمد ﷺ فيذهبون ويُخبرون النبي ﷺ أنهم ينتظرونه لفتح باب الجنة، فيأتي النبي ﷺ

فيأتي النبي ﷺ قال: «فآخذ بحلقة الباب فأقعقعها» يأخذ النبي ﷺ حلقة الباب ويُقعقِع حلقة الباب، فيقولون: مَنْ؟ فيقول: محمد ﷺ فيقولون له: أُمرنا ألا نفتح لأحد قبلك، فيفتحون الباب، ويكون ﷺ أول مَنْ يدخل الجنة ﷺ.

فيكون ﷺ أول مَنْ يقرع باب الجنة وأول مَنْ يُفتَح له وأول مَنْ يدخل الجنة ﷺ.

٤٦- أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ حَقًّا تَبَعًا   يَرَى وَرَاءَهُ كَقُدَّامٍ مَعًا

من خصائصه ﷺ: أنه أكثر الأنبياء تبعًا، أكثر الأنبياء أتباعًا ﷺ ولذلك ورد في أحاديث الإسراء في الصحيحين وغيرهما، وفي بعض روايات حديث الإسراء: أن النبي ﷺ عندما صعد ﷺ وجاوز السماء السادسة التي فيها موسى عليه السلام وصعد إلى لقاء ربه ﷻ بكى موسى عليه السلام فقالوا: ما يُبكيك؟ قال: غلام بُعث بعدي يدخل الجنة من أُمته أكثر ممَّنْ يدخل من أمتي.

فقالوا: هذا محمول على التنافس في الخير، يعني هذا باب من أبواب الخير وهو يغبط نبيَّنا ﷺ على كثرة الأتباع المؤمنين زيادة في الأجر؛ لأن النبي له مثل أجور مَنْ تبعه من أمته لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، فهو يغبط نبينا ﷺ على كثرة ما له من الأجور؛ لكثرة أتباعه.

والنبي ﷺ ذكر أنه قال: يأتي النبي ومعه الرهط.. النبي ﷺ عُرِض عليه الأنبياء وأممهم فرأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي وليس معه أحد، كل نبي ومعه أتباعه، فبعض الأنبياء ليس معه أحد، وبعضهم معه رجل، ومعه رجلان، ومعه الرهط يعني: العدد القليل من الناس دون العشرة.

ثم عُرِض عليه سواد عظيم فقال: «هذه أمتي؟» فسأل النبي ﷺ قال: «قلت: هذه

أمتي؟» فقيل له ﷺ: إنهم ليسوا أمتك، إنهم موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظر إلى الأفق الآخر قال: « فإذا سواد أعظم منه، فقيل له: هذه أمتك»، فهذا معناه أن أُمة موسى عليه السلام هي أكثر الأمم عددًا بعد أمة نبينا ﷺحتى إن النبي ﷺ لما رأى أمة موسى حسبهم أمته؛ لكثرة عددهم، ولكن قيل له: انظر إلى الأفق، فنظر فإذا سواد، والسواد: الناس الكثيرون الذين يُروَن من بعيد حيث لا تبدو تفاصيل ملامحهم، لكن تبدو أشخاصهم من بعيد.

فأمته ﷺ أكثر الأمم عددًا، وجاء في أحاديث عن النبي ﷺ أنه قال عن أمته: «أهل الجنة مائة وعشرون صفًّا: ثمانون صفًّا من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»، وأخبر ﷺ أن أمته ثلثا أهل الجنة؛ لأن نسبة ثمانين إلى الـ ١٢٠ نسبة الثلثين.

كان جالسًا مع أصحابه فقال: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» فقالوا: الله أكبر، فقال: «أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قالوا: الله أكبر، قالوا: «أترضون أن تكونوا نصف أهل الجنة؟» قالوا: الله أكبر، قال: «أترضون أن تكونوا ثلثي أهل الجنة؟» قالوا: الله أكبر، قال: «إني لأرجو أن تكون أمتي ثلثي أهل الجنة».

كذلك من خصائصه ﷺ: أنه يرى وراءه كما يرى أمامه، وبعض العلماء قالوا: هذا خاص بالصلاة كما ورد في الحديث، وبعضهم قال: هو في الصلاة وغيرها، والله ﷻ أعلم.

فالنبي ﷺ عندما كان يصلي كان يرى مَنْ وراءه ﷺ يعني: يصورهم الله ﷻ له ويُطلعه عليهم، والله ﷻ على كل شيء قدير. فالآن مثلًا: توجد شاشات و(كاميرات) مراقبة وأشياء وصل إليها الناس، فالله ﷻ بقدرته كان يُطلِع النبي ﷺ على مَنْ يصلون خلفه، فيكون عالمًا بهم ﷺ فقال لهم ﷺ: «إني أراكم من وراء ظهري» كان يسوي الصفوف

ﷺ ويُخبرهم أن الله ﷻ يُريه ما يكون في صفوفهم من الخلل والفُرَج. والأحاديث التي وردت بهذا كلها في الصلاة، فمن العلماء: مَنْ قصرها على حال الصلاة، يعني أنه ﷺ عند الصلاة كان يُطلعه الله ﷺ على مَنْ يصلون خلفه بحيث يراهم أثناء الصلاة، وبعضهم قال: هو في كل وقت، والله ﷻ أعلم.

٤٧- آتَـاهُ رَبُّـهُ جَوَامِـعَ الْكَلِمْ قَرِيْنُـهُ أَسْـلَمَ، فَهْـوَ قَدْ سَـلِمْ

آتاه ربه جوامع الكلم ﷺ فقال: «أُعطيت خمسًا لم يُعطَهن نبي قبلي» وذكر منها: «وأُعطيت جوامع الكلم»، وفي رواية قال: «واختُصِر لي الكلام اختصارًا» فقالوا: المقصود بهذا أنه يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، فكان ﷺ يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة؛ فأحاديثه ﷺ قليلة المبنى كثيرة المعنى، فتجد كلمات النبي ﷺ كلمات وجيزة لكنها مشتملة على معاني كثيرة عظيمة.

وبعض شراح الحديث قالوا: منه القرآن الكريم، فالقرآن الكريم كله هو من جوامع الكلم التي أُعطيها النبي ﷺ بالإضافة إلى كون سُنته المشرفة أيضًا هي من جوامع الكلم، واختُصر له الكلام عليه الصلاة والسلام.

(قَرِيْنُهُ أَسْلَمَ، فَهْوَ قَدْ سَلِمْ) قرينه: أي: الشيطان الذي معه ﷺ أسلم، فسلم النبي ﷺ من أذاه ومن وسوسته، فالنبي ﷺ أخبر أن كل إنسان قد وُكِّل به قرين من الجن يأمره بالشر ويوسوس له، فقالوا: حتى أنت يا رسول الله؟ قال: «حتى أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» في بعض الروايات.

في رواية: «فأسلم» فبعض الشراح قالوا: فأسلمَ، وبعضهم ضبطها: فأسلمُ، فإذا قلنا: (فأسلمَ) فهي فعل ماض يعني أسلم القرين وصار مسلمًا، والرواية الأخرى (فأسلمُ) فهي فعل مضارع يعني فأسلمُ أنا من أذاه.

لكن الرواية التي فيها (فأسلمَ فلا يأمرني إلا بخير) يعني تُرجّح أن يكون المقصود أنه صار مسلمًا؛ لأنه لو كانت مسألة يسلم من أذاه لكان لا يأمره بشيء أو على الأقل يسكت، لكن لا يأمر إلا بخير هذا يُرجّح التفسير بأنه أسلم يعني صار مسلمًا.

٤٨- (صُفُوفُـهُ) وَالأُمَّةِ الْمُبَارَكَةْ كَصَفِّ عِنْـدَ رَبِّهَـا الْمَلاَئِكَةْ

مما اختصه الله ﷻ به: أن جعل صفة صلاة أمته أنهم يصلون صفوفًا كما تصف الملائكة عند الله ﷻ وصَفُّ الملائكة عند الله جاء ذِكْره في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر:٢٢]، وقال النبي ﷺ: «ألا تَصُفُّون كما تصُفّ الملائكة عند ربها، يتمون الصفوف ويُسدون الفُرَج، ويتمون الصف الأول فالأول» فهكذا الملائكة تصُفّ عند ربها، يسدون الفُرج ويُتمون الصف الأول فالأول، فهكذا أمة النبي ﷺ في الصلاة.

وقوله: ((صُفُوفُهُ) وَالأُمَّةِ الْمُبَارَكَةْ) يعني: وصفوف الأمة المباركة.

٤٩- وَلاَ يَحِلُّ الرَّفْـعُ فَوْقَ صَوْتِهِ وَلاَ يُنَـادَى بِاسْـمِهِ، بَـلْ نَعْتِهِ

(وَلاَ يَحِلُّ الرَّفْعُ فَوْقَ صَوْتِهِ) من خصائصه عليه السلام: أنه لا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ؛ لقول الله ﷻ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[الحجرات:٢] فلا يُنادى النبي ﷺ بصوت عالٍ؛ لأن الله ﷻ نهى أن يُنادَى النبي ﷺ بصوت عال، أو يرفع أحد الصوت في خطاب رسول الله ﷺ، وذلك أن الأعراب كانوا ينادون النبي ﷺ من وراء الحجرات، يقفون خارج الحجرة ويقولون: يا محمد، اخرج إلينا، ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الحجرات:٤].

وكان أصحاب النبي ﷺ يطرقون بابه بالأظافير، يقرعون بابه ﷺ بالأظافير؛ حتى لا يرفعوا صوتهم في نداء رسول الله ﷺ.

وكان أحد الصحابة جهوري الصوت، وهو ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، وكان يُلَقّب بـ (خطيب رسول الله) كان النبي ﷺ إذا قدم الوفود يقوم خطيبهم فيخطب، يفتخر بقبيلته، ويذكر مناقبهم، وكان النبي ﷺ يأمر ثابت بن قيس يقوم فيخطب يفتخر بالإسلام ويذكر مكارم الإسلام ، فيقول: أجبهم يا ثابت رضي الله عنه.

فثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه كان جهوري الصوت، كان صوته عاليًا فلما نزلت الآيات الكريمة ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:٢] حزن ثابت بن قيس، وخشي أن يكون عمله قد حبط، وخاف أن يكون من أهل النار، فقال لهم النبي ﷺ: «أخبروه أنه من أهل الجنة».

هو كان يرفع صوته قبل أن تنزل الآية الكريمة؛ لأنه بطبعه جهوري الصوت، فكان يرفع صوته في محادثة رسول الله ﷺ وفي ندائه، لكن لما نزلت الآية امتنع عن هذا وخشي أن يكون عمله حبط بسببها، فأخبره النبي ﷺ، بشّره بالجنة وأخبره أنه من أهلها.

قال: (وَلاَ يُنَادَى بِاسْمِهِ، بَلْ نَعْتِهِ) يعني: نهى الله ﷻ أن يُنادَى النبي ﷺ باسمه المجرد، يعني لا يقال له: (يا محمد) يحرم ذلك، وإنما يُنادَى بنعته فيقال له: يا رسول الله، أو: يا نبي الله، فلا يُنادَى باسمه عليه الصلاة والسلام.

وذلك أن الله ﷻ قال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]، والدعاء: هو المناداة، يعني لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضًا (يا فلان) بالاسم المجرد، وإنما نادوه بلقب النبوة ولقب الرسالة، ويجوز نداؤه بالكُنية أيضًا أن

يقال: يا أبا القاسم ﷺ، أو يا نبي الله، أو يا رسول الله، فهذا فيه احترام للنبي ﷺ وتأدُّب معه.

وهذا في النداء فقط، والنداء يكون في أثناء حياته ﷺ، أما بعد وفاته ﷺ فلا يُنادَى وإنما يُذْكَر اسمه عليه الصلاة والسلام و ذِكْر اسم النبي ﷺ هذا غير النداء، لكن أيضًا من التأدُّب مع رسول الله ﷺ أنه إذا ذُكِر اسمه يُثنى عليه- عليه الصلاة والسلام- ويقال مثلًا: قال رسول الله ﷺ، أو على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام يعني يُذْكَر اسمه مقرونًا بوصف النبوة، أو مقرونًا بوصف الرسالة مع الصلاة والسلام عليه تأدُّبًا معه عليه الصلاة والسلام.

٥٠- خُوْطِبَ فِي الصَّلاَةِ: بـ«السَّلاَمِ عَلَيْكَ» دُونَ سَائِرِ الأَنَامِ

في الصلاة في صيغة التحيات نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فنستعمل حرف الخطاب في صيغة التحيات فنقول: السلام عليك أيها النبي.

(دُونَ سَائِرِ الأَنَامِ) يعني لا تخاطب أحدًا في صلاتك سوى النبي -عليه الصلاة والسلام-، فهذه من خصائصه: أنه لا يُخاطَب أحد في الصلاة إلا النبي عليه الصلاة والسلام.

فلو خاطبت شخصًا غير النبي ﷺ في الصلاة بطلت، لكن من الفقهاء مَنْ يقول: إنه لا دليل على هذا؛ لأن النبي ﷺ لما مرَّ أمامه شيطان يريد أن يقطع صلاته خنقه النبي ﷺ وقال: «ألعنك بلعنة الله ثلاثًا» فهذا استعمل ضمير الخطاب، قال: «ألعنك بلعنة الله» فكان مخاطبةً من النبي ﷺ للشيطان في الصلاة.

على كل حال؛ هذه مسألة فقهية، لكن القصد هنا: أنه ليس مما يقال في الصلاة ما فيه خطاب لأحد من البشر إلا الرسول ﷺ، طبعا المسلم يخاطب رب العالمين سبحانه وتعالى نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥]. لكن القصد: أنه لا يُخاطَب أحد من الناس في الصلاة سوى النبي ﷺ في قول: (السلام عليك أيها النبي).

وكذلك اختُص النبي ﷺ بسلام خاص غير السلام على عباد الله الصالحين، فجميع عباد الله الصالحين مشمولون بسلام عام، وهو له سلام خاص (السلام عليك أيها النبي).

وفي بعض صيَغ التشهد الواردة (السلام على النبي) يعني يجوز أن يقال: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله)، ويجوز أن يقال: (السلام على النبي ورحمة الله وبركاته)؛ فهذه من صِيَغ التحيات الواردة.

٥١- وَمَنْ دَعَاهُ فِي الصَّلاَةِ: وَجَبَتْ ... إِجَابَــةٌ لَهُ، وَفَرْضُــهُ ثَبَــتْ

(مَنْ دَعَاهُ): يعني مَنْ دعاه النبي ﷺ وهو يصلي وجب على المدعو أن يجيب النبي ﷺ؛ فلو أن النبي ﷺ نادى شخصًا وكان هذا الشخص يصلي فعلى المصلي أن يجيب النبي ﷺ حتى لو كان ذلك في صلاة الفرض، وأما غير النبي ﷺ فإذا دعا مُصليًا، فلا يجوز له أن يجيبه، إلا الوالدان في صلاة النافلة. وقد ورد إجابة دعوة الوالدين في حديث جريج العابد، وهذا من شرع مَنْ قبلنا، مسألة شرع مَنْ قبلنا شرع لنا ما لم نُؤمَر بخلافه.

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ: فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: اللهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ

لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ، قَالَ فَجَاءُوا بِفُؤوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ، قَالَ فتبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلَاهُ»[١]

فالشاهد يعني في حديث جريج: أن أمه نادته وهو في الصلاة.

فالفقهاء يقولون: إذا نادى الوالدان الشخص، وهو يصلي نافلة يجيبهما، يقطع نافلته ويخرج لإجابتهما، أما إذا نادى أحد الوالدين المصلي وهو في فريضة فلا يقطع الفريضة لإجابته لكن يتجوز فيها، ويخفف صلاته، ويتجوّز فيها.

قالوا: لكن النبي ﷺ إذا دعا أحدًا وهو يصلي فريضة وجب عليه أن يجيب النبي ﷺ.

وهل تبطل صلاة الذي خرج من صلاته لإجابة النبي ﷺ؟

بعض الفقهاء يقولون: لو خرج من صلاته لإجابة النبي ﷺ ثبت فرضه، ولا تبطل صلاته بذلك، يرجع ويُكمِل على ما فات، يعني لا يعيد الصلاة من أولها وإنما يُكمِل على ما فات، ويكون هذا من خصائص النبي ﷺ.

لكن طبعًا في إجابة الوالدين: إذا كان في نافلة يقطع النافلة ويخرج لتكليمهما، ثم إذا رجع يستأنف أي: يبدأ من جديد صلاة النافلة إذا أراد أن يقضيها.

وذلك لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤].

---

[١] صحيح مسلم ٢٥٥٠.

٥٢- وَبَــوْلُهُ وَدَمُــهُ إذ أُتِيَــا   تَــبَرُّكًا مِــنْ شَــارِبٍ مَــا نُهِيَــا

من خصائص رسول الله ﷺ: طهارة بوله، وطهارة دمه الشريف، وأنه لو تبرّك مُتبرّك بشُرب بول النبي ﷺ أو دمه فلا يُنهى عن ذلك.

وهذا الأمر وردت فيه أحاديث في سندها شيء من الضعف، لكن يُستأنَس بها وتُذكَر في خصائص النبي ﷺ، فشُرب الدم ورد في حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، والحجامة هي أن يُشرَط مواضع معينة في الظهر وغيره، ويُشفَط منها بعض الدم الفاسد الذي يتجمع في هذا المكان، فكان النبي ﷺ يحتجم فجاء عبد الله بن الزبير فلما فرغ النبي ﷺ من الحجامة قال: «يا عبد الله، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراه أحد»، فقال له النبي ﷺ: خذ هذا الدم، وأهرقه: يعني أَرِق الدم في مكان لا يراه أحد.

قال: فلما برزتُ عن رسول الله ﷺ عمدتُ إلى الدم فحسوته، فأخذ الدم ليريقه، فلما ابتعد عن النبي ﷺ شرب الدم، قال: فحسوته، فلما رجعت إلى النبي ﷺ قال: «ما صنعت يا عبد الله؟» قال: جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ عن الناس.

قال: «فلعلك شربته». قال: نعم، قال: «ومَنْ أمرك أن تشرب الدم؟ ويل لك من الناس، وويل للناس منك»، وفي رواية قال: «لا تمسك النار»، ومسح ﷺ على رأسه.

الحديث رواه الدارقطني، والبيهقي، وأبو يعلى، والبزار، وأبو نعيم في الحلية، وغيرهم ، وبعض العلماء حسّن إسناد هذا الحديث.

هذا الحديث يدل على خصوصية لرسول الله ﷺ، طبعًا الأصل: هو تحريم شُرب الدم؛ لقوله ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾[الأنعام:١٤٥] يعني يحرم شُرب

الدم سواء دم إنسان أو دم حيوان بصفة عامة، فيكون دم رسول الله ﷺ مُستثنى من هذا، ويكون طاهرًا وسببًا للبركة؛ لأنه لما شربه قال له: «لا تمسك النار».

وأما شرب بول رسول الله ﷺ: فجاء هذا في حديث أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره، طبعًا في ذلك الوقت ما كانت توجد دورات مياه كما هو معروف الآن، فكان النبي ﷺ إذا أراد قضاء الحاجة يخرج من البيت؛ لقضاء الحاجة في الصحراء أو في الخلاء ثم يرجع، لكن أحيانًا ﷺ إذا احتاج إلى قضاء الحاجة بالليل كان هناك قدح من الخشب مُخصص للبول إذا احتاج ﷺ إلى البول ليلًا فيستعمله ﷺ ثم يراق بالنهار حتى لا يخرج بالليل إلى الصحراء.

«فكان ﷺ يبول في قدح من عيدان، ثم يوضع تحت سريره، فبال ﷺ فوضع تحت سريره عليه السلام فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء» «فقال لامرأة يقال: لها بركة، كانت تخدمه، وكانت أمة لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة»: «أين البول الذي كان في القدح؟ قالت: شربته يا رسول الله، فقال ﷺ: «صحة يا أم يوسف» قال: صحة، وكانت تُكنى أم يوسف.

«فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه» وهذا الحديث رواه البيهقي، والدارقطني، والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم، وغيرهم.

فهذه الأحاديث التي وردت في هذا.

والذي ورد في صحيحي البخاري ومسلم هو التبرك بنخامة رسول الله ﷺ وبصاق رسول الله ﷺ، هذا ورد في صحيحي البخاري ومسلم: أن النبي ﷺ ما تنخّم نخامة ولا بصق بصاقة إلا وقعت في كف أحدهم يبتدرونها، يتسابقون إليها، يعني كل منها إذا أراد أن يتنخم فيتسابقون، كل منهم يريد أن تقع النخامة على يده، ويمسحون بها وجوههم

وأبدانهم، يلتمسون البركة من آثار رسول الله ﷺ.

وكان إذا توضأ يقتتلون على وَضوئه، يعني الماء المتبقي في الإناء من أثر وضوء رسول الله ﷺ الذي وضع فيه يده الشريفة عليه الصلاة والسلام وذلك لبركة رسول الله ﷺ.

فعلى كل حال: إذا صحت هذه الأحاديث فيكون هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

٥٣- يَقْبَـلُ مَا يُهْـدَى لَهُ فَحِلَّ: دُونَ الْـوُلاَةِ فَهْـوَ لاَ يَحِـلُّ

من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أنه يحِلُّ له قبول الهدية من العمال وغيرهم، يعني إذا عيّن عُمّالًا على البلدان أو قادة للجيوش،فإذا أهدوا إليه ﷺ هدايا فيحل له ﷺ أن يقبلها، بخلاف غيره من الولاة؛ فإنه لا يحل لهم قبول هدية عُمّالهم؛ لأنها تكون في حقهم رشوة، من أجل التغاضي عن مظالمهم وإقرارهم في ولايتهم رغم أنهم لا يستحقون هذه الولايات، أو إقرارهم على هذه الوظائف التي عُيّنوا فيها.

فكان النبي ﷺ يقول: «هدايا العُمّال غلول» يعني تعتبر من الغلول ومن الرشوة، لكن من خصائصه عليه الصلاة والسلام: أن الهدايا له تحِل.

وإذا كانت الهدية للخليفة أو الوالي، أو القائد من شخص كانت بينهما صداقة قبل تولّي هذا المنصب، أو قرابة وتهادٍ من قبل فاستمر على ما كان عليه فله ذلك، يعني أن هذه الهدية ليست بسبب المنصب، لكن إذا كان هدية بسبب توليه الولاية فهذا ذريعة لأن يولي الحاكم مَنْ يعطونه الأموال على حساب التغاضي عن مظالمهم.

٥٤- فَاتَتْهُ رَكْعَتَـانِ بَعْدَ الظُّهْرِ: صَلَّاهُمَـا وَدَامَ بَعْـدَ الْعَـصْرِ

٥٥- وَمَـا لَنَـا دَوَامُ ذَا: بَلْ يَمْتَنِعْ وَمَـا سِـوَى سَـبَبِهِ فَمُنْقَطِـعْ

النبي ﷺ فاتته ركعتا سُنّة الظهر البعدية، في يوم، وورد أنه كان مشغولًا في ذلك

اليوم بتقسيم أموال وردت إليه ﷺ فانشغل بقسمة هذه الأموال وتفريقها من بعد صلاة الظهر حتى دخل وقت العصر، فلم يُصل سُنة الظهر البعدية، فلما صلى العصر ﷺ قضى الركعتين؛ اللتان هما سُنّة الظهر القبلية بعد العصر ثم داوم على هذا، فصار ﷺ من بعد ذلك اليوم يصلي ركعتين بعد العصر دائمًا ﷺ وكان ﷺ إذا فعل شيئًا أثبته، أي: إذا فعل شيئًا من الخير أثبته وداوم عليه، فكان يداوم على صلاة ركعتين بعد العصر؛ لأنه في أول مرة صلاهما بنيّة قضاء سُنة الظهر البعدية، ثم داوم على ركعتين بعد العصر إلى أن مات ﷺ مع أنه كان ينهى أُمته عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس.

فأما أمته: فهم منهيون عن الصلاة بعد العصر إلا ذوات الأسباب، يعني مثل: تحية المسجد، أو قضاء راتبة الظهر إذا فاتت، لكن ليس بعد العصر سُنّة بعدية مُستحبة في كل يوم إلا لرسول الله ﷺ.

قال: (وَمَا سِوَى سَبَبِهِ فَمُنْقَطِعِ)

٥٦- وَنَسَبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ... رَآهُ نَوْمًا فَهْوَ قَدْ رَآهُ، لَنْ:

٥٧- يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ مِنْ تَمَثُّلِ ... بِصُورَةِ النَّبِيِّ، أَوْ تَخَيُّلِ

فهنا يقول من خصائص النبي ﷺ: أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه ﷺ.

و(السبب): التفسير المأثور عن الإمام أحمد -رحمه الله- وغيره: أن السبب هو المصاهرة، فكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، يعني لا ينتفع به صاحبه، كون الإنسان مصاهرًا للملك الفلاني، أو للوزير الفلاني، أو ابن الأمير الفلاني لا ينفعه يوم القيامة، فليس هناك نسب ولا سبب- يعني ولا مصاهرة- تنفع يوم القيامة إلا سبب

النبي ﷺ ونسبه؛ يعني مَنْ كان له بالنبي ﷺ نسب أو له مصاهرة- يعني تزوج من قرابة رسول الله ﷺ، أو زوّج بنته، أو أخته، لأحد من قرابة رسول الله ﷺ- فهذا ينفع صاحبه يوم القيامة.

ووجه هذا النفع: أن هؤلاء لهم شفاعة خاصة غير الشفاعة العامة لعموم الأمة، وكان الإمام أحمد -رحمه الله- يستدل بهذا الحديث على فضل معاوية ﵁، كان -رحمه الله- يقول: ما لهم ولمعاوية؟ هذا الحديث فيه كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه.

فمعاوية كان يقال له (خال المؤمنين)؛ لأن أخته أم حبيبة هي أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، فمعاوية من أصهار رسول الله ﷺ، فكل مَنْ تزوّج رسول الله ﷺ (أخواتهم، أو بناتهم) أو زوّجهم الرسول ﷺ بناته، فهؤلاء من سبب رسول الله ﷺ، ممَّنْ يشفع لهم رسول الله ﷺ يوم القيامة شفاعة خاصة، غير الشفاعة التي تكون لعموم المؤمنين، وينتفعون بهذه المصاهرة وبهذا النسب يوم القيامة.

وكذلك أيضًا؛ لأنه في يوم القيامة كما قال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

لكن رسول الله ﷺ يشفع لقرابته وللمؤمنين من ذريته إلى يوم القيامة، وكذلك لمَنْ صاهرهم وتزوّج منهم، أو زوّجهم.

كذلك من خصائصه ﵊: أن مَنْ رآه في النوم فقد رآه حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل برسول الله ﷺ.

يعني لا يستطيع الشيطان أن يتصور في صورة النبي ﷺ في المنام،فإذا رأى أحد النبي ﷺ في المنام على صورته- يعني التي مرّت بنا في هذا الكتاب وغيره- ورأى النبي ﷺ

على صورته التي وصفها الواصفون له ﷺ فقد رآه حقًا؛ فإن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ، أي: في المنام.

لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في قاعدة جليلة أن الشيطان قد يتصور في اليقظة بصورة يزعم الشيطان أنه النبي ﷺ،فإذا جاء شخص في اليقظة- يعني بعد وفاة رسول الله ﷺ- يقول: رأيت النبي ﷺ-حتى لو رآه على صورته- فهو شيطان يتلاعب به، فالنبي ﷺ لا يُرَى في اليقظة، كل مَنْ زعم أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة، فقال: هذا شيطان يتلاعب به، وليس هناك ما يمنع أن يتمثل الشيطان بصورة النبي ﷺ في اليقظة ليُضِل الناس، لكن في الرؤيا المنامية الشيطان لا يستطيع أن يتمثل في صورة النبي ﷺ في المنام.

٥٨- وَكَذِبٌ عَلَيْهِ: لَيْسَ كَكَذِبْ عَلَى سِــوَاهُ، فَهْــوَ أَكْــبَرُ الْكَذِبْ

النبي ﷺ قال: «إن كذبًا عليّ ليس ككذبٍ على أحد».

وقال ﷺ: «مَنْ كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

فتوعّد النبي ﷺ بالنار مَنْ تعمّد الكذب على رسول الله ﷺ، فليستعد لمقعد سيقعد فيه في النار- عياذًا بالله تعالى- وذلك أن الكذب على النبي ﷺ فيه تحريف في هذا الدين، وما يُنسَب إلى النبي ﷺ هذا شرع ودين ووحي، فهو كذب على الوحي، وتلبيس على المسلمين، وتحريف في دين المسلمين، فلذلك جُرمه عظيم وليس ككذب على آحاد الناس.

باب ذِكْر حجه وعمره ﷺ.

١- قَدْ حَجَّ بَعْدَ هِجْـرَةٍ لـ«طَيْبَةِ» سَـنَةَ عَـشْرٍ قَـطْ، بِغَـيْرِ مِرْيَةِ

٢- وَاعْتَمَـرَ النَّبِيُّ بَعْـدَ الْهِجْرَةِ: أَرْبَعَـةً، وَالْـكُلُّ فِي «ذِي الْقَعْدَةِ»

يقول: إن النبي ﷺ حجّ بعد الهجرة (سَنَةَ عَشْرٍ).

(قَطْ، بِغَيْرِ مِرْيَةِ) يعني بلا شك قط، يعني ليس هناك شك في هذا، فهذه حجة مشهورة متواترة عن رسول الله ﷺ أنه حج في العام العاشر من الهجرة، وهي الحجة المعروفة بحجة الوداع، ولم يحج ﷺ بعد الهجرة غير هذه الحجّة وهي حجة الوداع في العام العاشر من الهجرة.

وأما العُمَر، فقال: بعد هجرته إلى المدينة ﷺ اعتمر أربع عُمَر، وكل هذه العُمَر الأربع كانت في شهر ذي القِعدة، يقال: ذو القِعدة أو ذو القَعدة.

٣- إلّا الَّـتِي فِي حَجَّـةِ الْـوَدَاعِ قَرَنَهَـا، لَـمْ تَخْـلُ مِـنْ نِـزَاعِ

العُمَر أربع، منهن عُمرة قرنها النبي ﷺ بحجة الوداع، فهناك اختلاف بين الفقهاء في أن النبي ﷺ لمّا حجّ حجة الوداع، هل حجّ مُفردًا أو قارنًا أو متمتعًا، ثلاثة أقوال:

القول الأول: بعض العلماء يقولون: حجّ النبي ﷺ مُفردًا، والإفراد: أن الإنسان إذا وصل للميقات يقول: لبيك اللهم بحجة، ويحج حجّة فقط ليس معها عمرة.

يعني كان حجًّا فقط بغير عمرة، وعلى هذا فلا يكون معه عمرة في حجّة الوداع.

والقران: هو أن يقرن بين الحج والعمرة من غير تحلل بينهما.

وأعمال القران مثل أعمال حجة الإفراد، لكن تختلف في النيّة، وتختلف في أن القارن يجب عليه الهدي، أما المفرد فلا يجب عليه الهدي.

فالقول الثاني: أن النبي ﷺ حجّ قارنًا، وهي نفس صفة الحج، لكن لما وصل إلى الميقات قال: لبيك اللهم بحجة وعمرة، أي: أنه حج حجًّا مع عُمرة في نفس الوقت، وطبعًا النبي ﷺ مائةً من الإبل، فإذا كانت حجة قران، فالقارن: يلزمه إما شاة أو سُبع بدنة.

فإذا كان قارنًا فيكون منها الجزء الذي كان واجبًا عليه هو سُبع بدنة، والباقي يكون تطوعًا، وإذا كان مُفردًا تصبح المائة بدنة كلها على سبيل التطوع.

والقول الثالث: أنه حجّ متمتعًا، يعني اعتمر أولًا، عندما وصل للميقات قال: لبيك اللهم بعمرة، ثم يؤدي عمرة ويتحلل منها، ثم يُحرِم بالحج من مكة.

فهناك اختلاف في صفة حجّه عليه السلام وبناءً عليه اختُلِف في أي هذه الأنواع أفضل، فكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يريان الإفراد، وما حجّا بعد النبي ﷺ إلا مفردَيْن.

ومن الفقهاء مَنْ يفضّل القران، ومنهم مَنْ يُفضّل التمتع، وهناك خلاف طويل في هذا.

فعلى كل حال؛ لو كان النبي ﷺ حجّ قارنًا أو متمتعًا لكانت هناك عمرة مع حجته وكانت في ذي القعدة.

وهل حج النبي ﷺ في شهر رجب؟

ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والحديث في الصحيح، أن النبي ﷺ اعتمر في رجب، وكان عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر يستحبان العمرة في رجب لهذا، لكن أنكر

معظم الصحابة أن يكون النبي ﷺ اعتمر في رجب، قالوا: كل عُمَر النبي ﷺ كانت في ذي القعدة.

فالله ﷻ أعلم. هذه العمرة في رجب يثبتها عبد الله بن عمر وينفيها غيره من الصحابة ﭫ.

العُمَر الأربع:

٤- أَوَّلُهَا: سَنَةَ سِتٍّ صُدَّا فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ، فَحَلَّ قَصْدَا
٥- كَانَتْ بِهَا بَيْعَتُهُ الْمَرْضِيَّةْ ثُمَّ تَلِيْهَا عُمْرَةُ الْقَضِيَّةْ:
٦- سَنَةَ سَبْعٍ، بَعْدَهَا الْجِعْرَانَةْ: عَامَ ثَمَانٍ، وَاعْدُدَنْ قِرَانَهْ
٧- وَلَمْ يَعُدَّ مَالِكٌ ذِي الرَّابِعَةْ وَقَالَ: «حَجَّ مُفْرِدًا»، وَتَابَعَهْ:
٨- بَعْضُهُمُ،.......................... ....

يقول: أول هذه العُمرات: هي عُمرة الحديبية سنة ست من الهجرة، وكانت يوم الاثنين في أول شهر ذي القعدة، فالنبي ﷺ أحرم بالعمرة، وخرج ﷺ ومعه أصحابه، وكانوا نحو ألف وخمسمائة من أصحاب النبي ﷺ، وخرجوا من المدينة في العام السادس من الهجرة يريدون العمرة، فلما وصلوا إلى الحديبية، والحديبية على مشارف مكة وحدودها، منعهم المشركون من دخول البيت، حملهم الكِبر على أن يمنعوا النبي ﷺ وأصحابه أن يدخلوا البيت.

وكادت أن تنشب الحرب بين النبي ﷺ ومشركي قريش بسبب أنهم صدوا المسلمين عن دخول مكة، ومنعوهم من دخولها، وانتهى الأمر بصلح الحديبية، وحصلت فيها

بيعة الرضوان: أن الصحابة بايعوا النبي ﷺ على أن يقاتلوا المشركين لو ثبت أنهم قتلوا عثمان، وكان النبي ﷺ بعث عثمان مندوبًا أو مبعوثًا من النبي ﷺ ليفاوض المشركين، فتأخر عثمان في مكة، وأُشيع أنهم قتلوه، وعزم النبي ﷺ أنهم لو قتلوا رسوله أن يقاتلهم عليه السلام ثم تبين أن عثمان رضي الله عنه لم يُقتَل وحصلت مفاوضات بين النبي ﷺ والمشركين، وحصل صلح الحديبية، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع النبي ﷺ هذه السنة، وأن يسمحوا له بالعمرة في العام المقبل، بعد عام.

فتكبروا أن يسمحوا للنبي ﷺ بدخول مكة مع أنه كان وصل إلى مشارفها، لكن قالوا لا يدخل بغير إذنهم، وبغير تنسيق معهم، فقالوا: يرجع، ثم يأتي في العام المقبل ويأذنون له في الدخول.

فتحلل النبي ﷺ من إحرامه، واعتُبِرت عُمرة رغم أن النبي ﷺ لم يؤدِّ مناسك العمرة، لكن لأن النبي ﷺ أحرم بالعمرة ووصل إلى مشارف مكة، ثم صُدَّ عن البيت ومُنِع من الدخول، فعُدَت من عُمَر النبي ﷺ.

العمرة التي بعدها وهي: عمرة القضية، وهي في العام السابع في شهر ذي القعدة، يعني بعدها بعام جاءوا في العام السابع، في شهر ذي القعدة قدِم النبي ﷺ؛ لقضاء العمرة التي كانوا صُدُّوا عنها ومُنعوا منها، فجاء لقضائها، فسُميت عُمرة القضاء أو عمرة القضية.

والعمرة الثالثة: عمرة الجِعرّانة، والجعرانة: اسم مكان على حدود مكة ومشارف مكة.

وكانت حين قسم النبي ﷺ غنائم حُنين عام ثمان من الهجرة، في شهر ذي القعدة من العام الثامن من الهجرة.

ففي شهر ذي القعدة من العام السادس: عمرة الحديبية، ثم في ذي القعدة من العام السابع :عمرة القضاء، ثم في ذي القعدة في العام الثامن: عمرة الجعرانة.

وفي العام الثامن: فتح النبي ﷺ فيه مكة في شهر رمضان، ثم ذهب النبي ﷺ لقتال أهل الطائف في غزوة حُنين، ولما رجع من غزوة حنين كان ذلك في شهر ذي القعدة، فأحرم بالعمرة من الجعرانة عليه الصلاة والسلام.

العمرة الرابعة: هي العمرة التي قرنها بحجته في حجة الوداع، العمرة التي قرنها مع حجته في حجة الوداع.

قال: (وَلَمْ يَعُدَّ مَالِكٌ ذِي الرَّابِعَةْ) الإمام مالك لم يعد هذه العمرة الرابعة، (وَقَالَ: «حَجَّ مُفْرِدًا» وَتَابَعَهْ: بَعْضُهُمُ) يعني الإمام مالك يقول: إن النبي ﷺ حجّ مفردًا ولم يحج قارنًا، فحجة الوداع يرى الإمام مالك أنه لم يكن معها عمرة، وهذا قول بعض الصحابة رضي الله عنهم، وكما ذكرنا كان يختاره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يقولان: أفضل الحج الإفراد، وكانا يحجان مفردين، وهو الذي اختاره الإمام مالك رحمه الله.

٨- بَعْضُهُمُ، وَحَجَّ قَبْلَ الْهِجْرَةْ: ثِنْتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، أَوْ فَمَرَّةْ

٩- وَلَمْ يَصِحَّ عَدَدُ الْحَجَّاتِ مِنْ قَبْلِ هِجْرَةٍ، وَلاَ الْعُمْرَاتِ

يقول: هذا ما كان بعد الهجرة.

أما قبل الهجرة: فكان النبي ﷺ مقيمًا في مكة ﷺ وورد أنه كان في مواسم الحج يذهب النبي ﷺ إلى وفود الحُجاج، ويدعوهم إلى الله جل جلاله ويدعوهم إلى الإسلام كما مر بنا في قصة إسلام أهل المدينة: أنهم أسلموا لما دعاهم النبي ﷺ عندما قدموا للحج، وبايعوا النبي ﷺ بيعة العقبة الأولى، ثم العقبة الثانية عند جمرة العقبة، فالنبي

ﷺ كان مقيمًا في مكة.

فيقول: قيل: إنه حجّ حجتين قبل الهجرة، وهذا رواه الترمذي عن جابر رضي الله عنه، قال: «حجّ النبي ﷺ ثلاث حجات: ثنتين قبل أن يهاجر» رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فهذا أصح ما ورد؛ أن النبي ﷺ حجّ ثلاث حجّات؛ ثنتين قبل الهجرة، وواحدة بعد الهجرة.

وقيل: أكثر من اثنتين، وقيل: حجّ مرة واحدة، والمؤلف هنا يقول: (**وَلَمْ يَصِحَّ عَدَدُ الْحَجَّاتِ مِنْ قَبْلِ هِجْرَةٍ**) يقول المؤلف: يعني لم يصح عدد الحجات، يعني النبي ﷺ حج قبل الهجرة، لكن كان العدد يقول: ليس محصورًا في شيء صحيح.

لكن أصح ما ورد فيه كما ذكرنا: أنه حجّ حجتين قبل الهجرة.

قال: (**وَلاَ الْعُمْرَاتِ**) أيضًا لا يُعلَم عدد العمرات التي اعتمرها النبي ﷺ قبل أن يهاجر من مكة؛ لأن المقيم في مكة له أن يعتمر إذا شاء، يخرج إلى الحِلّ ويُحرِم بالعمرة ويعتمر.

فلا يُعلَم عدد العمرات التي اعتمرها النبي ﷺ قبل الهجرة.

باب ذِكْر عدد مغازيه ﷺ:

والمغازي: جمع مغزاة، والمغزاة: هي الغزوة أو المعركة التي شارك فيها النبي ﷺ وحضرها النبي ﷺ بنفسه، فالمعارك التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ: ما شهده بنفسه اصطُلِح على تسميته غزوة، وما لم يشارك فيه بنفسه ﷺ وإنما بعث إليه بعض أصحابه فهذا اصطُلِح على تسميته سرية.

فهنا في هذا الباب: المؤلف -رحمه الله تعالى- ذكر أسماء غزوات النبي ﷺ بدون تفصيل لأحداث هذه الغزوات، فنذكر -إن شاء الله- أسماء الغزوات وشيئًا من أبرز أحداث هذه الغزوات النبوية.

١- سَبْعًا وَعِشْرِيْنَ اعْدُدَنَّ الْغَزْوَا   أَوَّلُهَا: وَدَّانُ وَهْيَ الأَبْوَا
٢- ثُمَّ بَوَاطٌ بَعْدُ، فَالْعُشَيْرَا   فَبَدْرٌ الأُوْلَى، فَبَدْرُ الْكُبْرَى

يشير في هذين البيتين إلى أن عدد غزوات النبي ﷺ التي خرج فيها بنفسه ﷺ سبع وعشرون غزوة، خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه.

وأما السرايا التي بعثها النبي ﷺ ولم يشارك فيها فذكر المؤلف أنها كانت ستين سرية، وبعض العلماء زاد قليلًا أو نقص قليلًا عن الستين، هذه السرايا التي بعثها ﷺ.

أما الغزوات التي شارك فيها بنفسه ﷺ فكانت سبعًا وعشرين غزوة.

بعض هذه الغزوات وقع فيها قتال، فليست كل الغزوات وقع فيها قتال، بعض غزوات النبي ﷺ خرج فيها يريد قتال أعدائه، لكن لم يحصل قتال، هرب مَنْ كان يقصدهم النبي ﷺ ولم يلقهم، لكن معظم هذه الغزوات التي لم يحصل فيها قتال حصلت فيها منافع أخرى، مثل: الاتفاقيات العسكرية، فكان النبي ﷺ يغتنم خروجه

للغزو إذا لم يلق عدوه، فيعقد النبي ﷺ اتفاقات مع القبائل التي في طريقه أنهم لا يؤذون المسلمين، وأن المسلمين لا يؤذونهم، وأنهم لا يعينون أعداء المسلمين عليهم ويدخلون في حلف المسلمين، لا يعينون قريشًا ولا غيرهم من أعداء المسلمين عليهم؛ فكانت هذه في حد ذاتها من المنافع والفوائد التي يستفيدها المسلمون من هذه الغزوات التي لم يحصل فيها حرب أو قتال.

وكانت أيضًا فيها فائدة أخرى: وهي إظهار قوة المسلمين، واستعداد المسلمين للحرب والقتال، ففيها نوع من بث الرعب في قلوب الأعداء وإخافة أعداء المسلمين، وهذا فيه حماية للمسلمين وتقوية لشوكتهم.

فبعض الغزوات- كما سنرى- حصل فيها قتال، وبعضها خرج النبي ﷺ يريد القتال لكن لم يلقَ عدوه.

ونلاحظ أيضًا أن عددًا كبيرًا من غزوات النبي ﷺ كان الهدف منه مهاجمة بعض القوافل التجارية التي كانت قريش ترسلها، كانت قريش في مكة يبعثون للتجارة في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء يبعثون بالتجارة إلى اليمن، يبيعون بضائع أهل مكة في الشام وفي اليمن، ويجلبون بضائع من هناك ليبيعوها في مكة.

و كانوا قد آذوا المسلمين واستولوا على أموالهم، واستولوا على ديارهم، فكانت مهاجمة هذه القوافل التجارية فيها الحصول على شيء مما استولى عليه أعداء المسلمين من أموال المسلمين.

وكذلك أيضًا فيه نوع من الحصار الاقتصادي على مشركي قريش، يعني كانت هذه الغزوات التي خرج فيها النبي ﷺ والسرايا التي بعثها من أجل مهاجمة القوافل التجارية التي تخرج من مكة، سواء إلى الشام أو إلى اليمن فيها نوع من الحصار الاقتصادي على

أهل مكة، أضعف أهل مكة إضعافًا شديدًا وحاصرهم اقتصاديًا؛ لأنهم كانوا يعيشون على هذه التجارة فصارت طرق التجارة غير آمنة، ومُعرّضة لاستيلاء المسلمين عليها، فهذا مما أضعف قريشًا، وأنهكها وحملها في نهاية المطاف بعد ست سنوات من الهجرة، على الرضوخ للصلح وللعهد، وهادنوا المسلمين على ألا يعتدي المسلمون على تجارتهم مقابل أنهم أيضًا لا يعتدون على المسلمين، ولا يؤذونهم. كما حصل في صلح الحديبية، وسيأتي توضيحه إن شاء الله.

قال: (أَوَّلُهَا: وَدَّانُ وَهْيَ الأَبْوَا) أول غزوة: ودّان، وهي: الأبواء، يقال لها: ودّان، ويقال لها: الأبواء.

فهذا اسم مكان قريب من المدينة، قريب من منطقة الجحفة، يعني في المنطقة التي هي بين المدينة والجحفة، الجحفة على ساحل البحر الأحمر، فودّان أو الأبواء في هذه المنطقة.

هذه الغزوة كانت في شهر صفر بعد اثني عشر شهرًا من قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، النبي ﷺ.

فخرج النبي ﷺ متعرضًا لعير لقريش، العير: هي القافلة التجارية فيها إبل وبضائع لقريش، فكان النبي ﷺ يُرسِل الجواسيس يأتونه بالأخبار إذا سمع بخروج عير لقريش، ويسأل عن اتجاه هذه العير، والطريق التي ستسلكها، فبلغ النبي ﷺ أن قريشًا أرسلت عيرًا للتجارة، وأنها ستمر في هذه المنطقة، فخرج النبي ﷺ يريد هذه العير، وفي نفس الوقت يريد بني ضمرة وبني بكر؛ ليتفاوض معهم، ويُدخلهم في حلفه عليه السلام بحيث لا يؤذون المسلمين، ولا يعينون أعداء المسلمين عليهم في هذه الجهة التي تمر فيها قوافل قريش.

فخرج النبي ﷺ يتعرض لهذه العير، فلم يُدرِك هذه العير؛ لأن تحديد الزمان الذي ستمر فيه العير من هذا المكان كان تقريبيًّا، فوصل النبي ﷺ فلم يجد عير قريش، لكن عقد النبي ﷺ كتابًا أو اتفاقية بينه وبين بني ضمرة، وسيّدهم اسمه مخشي بن عمرو، فكتب النبي ﷺ كتابًا يعني معاهدة بين النبي ﷺ وبين مخشي بن عمرو وقومه الذين هم بنو ضمرة: ألا يغزوا المسلمين، وأن المسلمين لا يغزونهم، وألا يُكثّروا عليه جمعًا، ولا يعينون عليه عدوًّا، فوادعهم النبي ﷺوعقد معهم هدنة ومعاهدة أنهم لا يُكثّرون جمعًا لأعداء المسلمين، وأنهم لا يعينون أحدًا من أعداء المسلمين عليهم.

ورجع النبي ﷺ للمدينة بغير قتال، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

الغزوة التي بعدها قال: (ثُمَّ بَوَاطٌ بَعْدُ) الغزوة الثانية من غزوات رسول الله ﷺ اسمها غزوة بواط.

وبواط: اسم جبل شمال منطقة ينبع، أيضًا تُعتبر غربي المدينة في اتجاه ساحل البحر الأحمر، فهذه منطقة بواط.

خرج النبي ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من هجرته، يعني بعد شهر من غزوة ودّان.

خرج النبي ﷺ في ثمانين من أصحابه يعترض عيرًا لقريش فيها أُمية بن خلف، ومائة رجل، وألفان وخمسمائة بعير، فجاءت الأخبار إلى النبي ﷺ أن عيرًا لقريش ستمر في هذه المرة، وهذه العير كان فيها أُمية بن خلف من زعماء المشركين ومعه مائة رجل وألفان وخمسمائة بعير، مُحمّلة بالبضائع والأمتعة، وهذه المنطقة تُعتبر في اتجاه الشام، منطقة ينبع في اتجاههم إلى الشام.

وكان لواء النبي ﷺ أبيض حمله سعد بن أبي وقاص، اللواء هو الراية، أو العلَم،

واستخلف النبي ﷺ على المدينة سعد بن معاذ، وخرج ﷺ كما ذكرنا ومعه ثمانون من أصحابه.

فبلغ منطقة بواط فلم يلق أحدًا، كان يتوقع مرور العير في هذه المنطقة فلم يلق أحدًا عليه السلام فرجع النبي ﷺ، وهذه من الغزوات التي لم يحصل فيها قتال، لكن كما ذكرنا مثل هذه الغزوات من منافعها: أنها إظهار لقوة المسلمين، ومرور جيش المسلمين في الطريق ذهابًا وإيابًا، ومجرد وصول الخبر إلى الأعداء أن المسلمين سعوا لمهاجمتهم كان هذا يبث الرعب في قلوب الأعداء، ويحمل القبائل التي في الطريق ذهابًا وإيابًا على موادعة المسلمين، وأن يكفّوا بأسهم عن المسلمين.

الغزوة الثالثة: غزوة العُشيرة، يقال لها: العُشيرة أو ذات العُشيرة، قال: (**فَالْعُشَيْرَا**) هي العُشيرة أو ذات العشيرة، وهو اسم مكان أيضًا قريب من ينبع، في الجنوب الشرقي لمدينة ينبع، في اتجاه البحر الأحمر أيضًا، يعني تُعتبَر غربي المدينة في اتجاه البحر الأحمر.

فخرج إليها النبي ﷺ في جمادى الأولى، وقيل: في جمادى الآخرة، من السنة الثانية للهجرة النبوية، بعد غزوة بواط بشهرين أو ثلاثة أشهر.

فخرج النبي ﷺ ومعه لواء أبيض يحمله حمزة بن عبد المطلب، كان لواء النبي ﷺ أيضًا أبيض.

خرج النبي ﷺ في خمسين ومائة، وقيل: في مائتين من المهاجرين، يعني كان عدد جيش المسلمين ما بين مائة وخمسين إلى مائتين من المهاجرين، وكان الجيش كله من المهاجرين.

ومعهم ثلاثون بعيرًا يعتقبونها، يعتقبونها: أي: يتناوبون على ركوبها.

ولم يُكرِه النبي ﷺ أحدًا على الخروج، وإنما شجعهم النبي ﷺ، مَنْ أراد الخروج فليخرج، فهؤلاء الذين خرجوا معه ﷺ كانوا جاهزين للخروج معه عليه السلام.

فوصل النبي ﷺ إلى ذات العشيرة يعترض عير قريش لما نزلت من الشام، كأنها كانت واحدة من القوافل التي هاجمها من قبل في طريق ذهابها إلى الشام. فالنبي ﷺ ذهب يهاجمها في طريق العودة من الشام، وكانوا يتوقعون أنها تمر في هذه الأيام.

فلما وصل ﷺ إلى ذات العشيرة وجد العير قد مضت بأيام، يعني علم النبي ﷺ أن العير مرت من هذا المكان فعلًا، لكن مرت قبل أيام من وصول رسول الله ﷺ.

فلم يلق حربًا؛ لأن العير التي قصدها كانت مرّت قبل وصوله عليه السلام.

فوادع النبي ﷺ بني مدلِج، وهم قبيلة في منطقة ينبع، فوادعهم النبي ﷺ يعني عقد معهم اتفاقية عسكرية: أنهم لا يؤذون المسلمين، وأن المسلمين لا يؤذونهم، وأنهم لا يعينون أعداء المسلمين عليهم.

وأقام النبي ﷺ فيها أيامًا، ثم رجع إلى المدينة عليه السلام.

الغزوة الرابعة من غزوات رسول الله ﷺ هي غزوة بدر الأولى، عندنا ثلاث غزوات باسم (بدر) عندنا: (بدر الأولى، وبدر الكبرى، وبدر الموعد)، ثلاث غزوات باسم غزوات بدر، وأشهرها: التي جاء ذِكْرها في القرآن الكريم في سورة الأنفال وهي غزوة بدر الكبرى.

فغزوة بدر الأولى كانت بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة ذات العشيرة، رجع إلى المدينة في شهر جمادى الآخرة من العام الثاني من الهجرة.

فبعد نحو أسبوع من رجوع النبي ﷺ من غزوة ذات العشيرة أغار رجل يقال له:

كُرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، يعني على إبل المسلمين التي ترعى ومراعي المسلمين في المدينة، فخرج النبي ﷺ في طلبه، وحمل لواء النبي ﷺ علي رضي الله عنه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وخرج النبي ﷺ يريد إدراك كرز بن جابر الفهري فلم يُدركه، و كان ولّى هاربًا، وخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ واديًا يقال له سفوان قريبًا من منطقة بدر.

فلذلك سُميت هذه الغزوة غزوة بدر الأولى.

فرجع النبي ﷺ إلى المدينة مرة أخرى.

غزوة بدر الكبرى

ثم تأتي الغزوة الخامسة، وهي إحدى الغزوات الكبرى التي لها شأن عظيم في تاريخ المسلمين، غزوة سماها الله ﷻ يوم الفرقان، سماها الله في كتابه ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾[الأنفال:٤١] وهي غزوة بدر الكبرى، قال: (فَبَدْرٌ الأُوْلَى، فَبَدْرُ الْكُبْرَى).

فغزوة بدر الكبرى كانت خامس غزوات رسول الله ﷺ، وهي غزوة وقع فيها حرب وقتال بين النبي ﷺ وأعدائه.

هذه الغزوة أعزّ الله ﷻ بها الإسلام وغفر الله ﷻ لمَنْ شهدها، كما قال النبي ﷺ: إن الله اطلّع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وهؤلاء الصحابة البدريون الذين شهدوا هذه الغزوة رضي الله عنهم هم خيار أصحاب النبي ﷺ ويأتون في الفضل بعد فضل العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

هذه الغزوة كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من نفس هذا العام وهو العام الثاني من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام.

وسبب هذه الغزوة: أن النبي ﷺ سمِع بأبي سفيان مُقبلًا من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة، يعني قافلة تجارية كبيرة فيها ألف بعير مُحمّلة بالبضائع من الشام، وفيها ثلاثون أو أربعون أو سبعون رجلًا من قريش.

فبعث النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما وهما من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم، بعثهما يتحسسان خبر العير، يعني يأتيانه بالأخبار، ويسألان عن هذه العير ويحاولان توقُّع طريق مرور هذه العير، الزمان والمكان الذي يمكن فيه ملاقاة هذه العير.

وقال النبي ﷺ للمسلمين: «هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا لعل الله أن يُنفلكموها» يعني لعل الله ﷻ أن يعطيكموها ويمُنّ عليكم بهذه الأموال، وكما مرّ بنا

فإن قريشًا كانت البادئة بالاعتداء على المسلمين والاستيلاء على أموالهم وبيوتهم وإيذائهم، وقتْل مَنْ قتلوا من المسلمين، فأراد النبي ﷺ مهاجمة هذه العير والاستيلاء على ما فيها، وشجع المسلمين وندبهم لملاقاة هذه العير، وقال: «اخرجوا لعل الله أن ينفلكموها».

فخفَّ بعض الناس وثقُل بعضهم؛ لأنهم ما ظنوا أن النبي ﷺ يلقى حربًا، فعدد الذين في هذه العير نحو ثلاثين أو أربعين، أو أكثر، و أقصى ما قيل في عددهم أنهم سبعون، فالمسلمون كانوا يعلمون أن العدد الذي يحتاجه المسلمون لملاقاة هؤلاء عدد قليل، فلم يتوقعوا أن يلقى النبي ﷺ حربًا، خاصةً أنه خرج قبل ذلك لملاقاة عير لقريش أكثر من مرة وأفلتوا ولم يلقهم النبي ﷺ.

وفي نفس الوقت كان أبو سفيان يتحسس الأخبار، حتى بلغه من بعض الركبان أن محمدًا ﷺ سينفر لك ولعيرك، جاءته أخبار من بعض الركبان من المسافرين قالوا: إن محمدًا ﷺ سيخرج يريدك ويريد عيرك.

فاستأجر أبو سفيان رجلًا يقال له: ضمضم بن عمرو، وبعثه إلى مكة؛ ليستنفر قريشًا إلى أموالهم، ويخبرهم بتعرّض محمد ﷺ لها في أصحابه.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب عمّة النبي ﷺ قد رأت رؤيا وقصّتها على أخيها العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، قالت لأخيها: رأيت رؤيا أفزعتني وتخوّفت أن يدخل على قومك منها شر، فاكتم عني ما أُحدّثك:

قالت: رأيت راكبًا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح، الأبطح اسم وادي في مكة، ثم صرح بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر لمصارعكم في ثلاث؛ ألا انفروا يا آل غُدر: يعني ياأيها الغادرون، انفروا إلى مصارعكم في ثلاث: يعني اخرجوا للمكان

الذي ستُصرَعون فيه، ستُقتلون فيه وتموتون فيه، في ثلاث: يعني بعد ثلاث.

قالت: فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم مثَل بها بعير على ظهر الكعبة؛ هذا في الرؤيا المنامية: أن الرجل ناداهم في الأبطح، ذهب بالبعير إلى ظهر الكعبة فصرخ بمثلها، ونادى فوق ظهر الكعبة.

ثم مَثَل به على رأس أبي قُبيس: وقف فوق جبل أبي قبيس، الجبل الكبير الذي يُطِل على الكعبة، فصرخ بمثلها.

ثم اقتلع صخرة فأرسلها، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت، تفككت الصخرة وتفتت إلى قطع صغيرة، يعني في الرؤيا أن هذا الرجل الذي نادى اقتلع صخرة من الجبل وتركها تتدحرج من فوق الجبل حتى إذا كانت بأسفل الجبل تفتت الصخرة إلى قطع صغيرة.

فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلها منه فلقة، فهذه رؤيا عاتكة عمة النبي ﷺ.

فقال العباس: اكتميها.

ثم خرج فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقه، فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عتبة بن ربيعة، ففشا الحديث، وشاعت في مكة.

وهذا كما قيل:

إذا ضاق صدر المرء عن كتْم سرِّه ... فصدر الذي يُستودَع السر أضيقُ

ثم غدا العباس ليطوف بالبيت، وأبو جهل في رهْط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة، -والرهط: هم جماعة دون العشرة - فلما رآه أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا.

فلما فرغ من طوافه جاء فجلس معهم في هذا المجلس، فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال: وما ذاك، قال: الرؤيا التي رأت عاتكة، ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم؟! يُعرّض برسول الله ﷺ.

زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث.

قال: فسنتربص بكم الثلاث، فإن يكن حقًّا كما تقول فسيكون، وإلا نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذبُ العرب.

قال العباس: فما كان مني إليه كبير شيء إلا أني جحدت أن تكون رأت.

وفي رواية: أن العباس قال له: هل أنت منتهٍ؟ فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك.

ولقي العباس من أخته أذى شديدًا حين أفشى سرها.

بعد ذلك غدا العباس في اليوم الثالث من الرؤيا وهو مُغضَب فدخل المسجد، قال: فدخلت المسجد أتعرضه ليعود لبعض ما قال. وكان رجلًا خفيفًا حديد اللسان، حديد النظر، أي: يلقي الكلمة التي فيها سب وفيها إيذاء، لا يبالي، وكان حاد النظر، يتتبع ببصره.

فالذي حصل أن أبا جهل كان موجودًا في المسجد ،وكأنه يتجاهل العباس ولا يراه، ولا يكلمه بشيء ولا ينظر إليه، وخرج نحو باب المسجد يشتد.

قال العباس: فقلت: ما له؟ لعنه الله، أكُل هذا فَرق مني أن أشاتمه، قال: فإذا هو قد سمع ما لم أسمع.

سمع صوت ضمضم وهو يصرخ ببطن الوادي، كان ضمضم بن عمرو وصل فعلًا بعد ثلاث ليالي من تاريخ الرؤيا.

فوصل ضمضم ووقف ببطن الوادي الأبطح كما رأت عاتكة في الرؤيا، على بعيره وقد جدع بعيره، الجدع: هو تقطيع الأنف، بحيث البعير شكله يلفت النظر، جدع بعيره.

وحوّل رحْله وشقّ قميصه، حوّل رحله: أي جلس على البعير بعكس الاتجاه، وهو يصرخ ويقول: يا معشر قريش! اللطيمة.. اللطيمة.

أموالكم تعرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث! أدركوا أموالكم، فجعل يصرخ بهذه العبارة.

قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

فتجهزوا سراعًا، وقالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، ليعملن غير ذلك، ابن الحضرمي هذا هو عمرو بن الحضرمي و كان قد خرج بعير لقريش أدركتها سرية من سرايا رسول الله ﷺ، فقتلوا عمرو بن الحضرمي، وأخذوا العير التي معه، وكان هذا قبل غزوة بدر.

فالمشركون قالوا: يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلًا.

وأُوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد، كل زعماء قريش خرجوا للقتال إلا أبا لهب.

وبعث مكانه العاص بن هشام، وكان مدينًا لأبي لهب بأربعة آلاف درهم، فاستأجره بها.

المهم أنهم خرجوا في خمسين وتسعمائة مقاتل، وساقوا مائة فرس، ثم خافوا كنانة

لما بينهم من مناوشات، وليسوا حلفاء لقريش.

فظهر لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم، يعني أن أتكفل بأن أمنع أذى كنانة عنكم.

وخرج رسول الله ﷺ بعد مَنْ أرسلهما بعشر ليالٍ، وضرب عسكره بمنطقة اسمها بئر أبي عتبة.

فعرض أصحابه وردّ مَنْ استصغر، وخرج في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر؛ عدد الصحابة كان ٣٠٥.

المهاجرون منهم أربعة وستون رجلًا وسائرهم من الأنصار؛ هنا في الرواية ثلاثمائة وخمسة، وفي بعض الروايات: ثلاثمائة وبضعة عشر، وفي بعض الروايات: ثلاثمائة وخمسة عشر، يعني هذه حدود جيش المسلمين.

المهاجرون كانوا أربعة وستين رجلًا، والبقية من الأنصار، والنبي ﷺ ردّ مَنْ استُصغِر، وكان من عادة النبي ﷺ في الغزوات: أن مَنْ كان عمره أقل من خمسة عشر عامًا يردّه ﷺ، ويأخذ معه مَنْ أكمل خمسة عشر عامًا أو أكثر.

خرج النبي ﷺ وأصحابه يعتقبون سبعين بعيرًا، فعدد جيش المسلمين ما بين ٣٠٥ إلى ٣١٥ ، ومعهم سبعون بعيرًا يتعاقبون ركوبها.

وخُلِّف ثلاثة من المهاجرين لم يخرجوا، وهم عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، فكانت زوجته مريضة مرض الموت في ذلك الوقت، وجلس معها عثمان يرعاها ويمرضها وهي في مرضها.

وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما وقد أرسلهما ﷺ لاستطلاع الخبر، ولم

يخرجا مع جيش النبي ﷺ.

وخلّف النبي ﷺ أبا لبابة على المدينة من الأنصار، عيّنه النبي ﷺ أميرًا على المدينة رضي الله عنه.

كان لواء النبي ﷺ أبيض مع مصعب بن عمير، ومعه رايتان سوداوان أمامه: إحداهما مع علي، والأخرى مع رجل من الأنصار، فكان معه لواء ورايتان، اللواء أكبر من الرايتين، يعني علم كبير، وهو لواء أبيض مع مصعب بن عمير، ومعه رايتان سوداوان؛ واحدة مع علي رضي الله عنه، وواحدة مع رجل من الأنصار.

بعد ذلك جاء الخبر إلى النبي ﷺ عن قريش بمسيرهم؛ ليمنعوا عيرهم.

وهذا الذي جاء ذِكْره في كتاب الله سبحانه وتعالى وسورة الأنفال معظمها في شأن غزوة بدر وأحداث هذه الغزوة العظيمة، فقال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[الأنفال:٧] فوعد الله جل وعلا المسلمين إحدى الطائفتين: إما العير وإما القتال، و ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ يعني المسلمون يطمعون أن يلقوا العير وأن يغنموا هذه الأموال، ألف بعير مُحملة بالبضائع، فأراد الله تبارك وتعالى أن تكون الثانية، وهي ذات الشوكة، يعني أن يحصل قتال بينهم وبين أعدائهم.

فلما جاء الخبر أن قريشًا أرسلت جيشًا لقتال المسلمين قام النبي ﷺ فخطب في الناس واستشارهم ﷺ.

وقال: أشيروا علي أيها الناس، فقام أبو بكر وتكلم وجلس، وأشار على النبي ﷺ أن يقاتل، فأعاد مرة ثانية: أشيروا عليّ أيها الناس، فقام عمر، وتكلم وجلس، وأشار بالقتال، فقال: أشيروا عليّ أيها الناس، فقام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: امضِ لما

أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[المائدة:٢٤] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برْك الغماد- وهو اسم مكان بعد مكة بخمسة أيام، ويُضرَب به المثل في البُعد، يعني لو سرت بنا إلى أبعد مكان يمكن أن نسير إليه- لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تبلغه.

فقال له رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له، ثم قال: أشيروا عليّ أيها الناس، هؤلاء الثلاثة كانوا من المهاجرين، أبو بكر، وعمر، والمقداد رضي الله عنهم، كلهم من المهاجرين وأشاروا على النبي ﷺ أن يقاتل، وقالوا: امضِ لما أمرك الله ونحن معك.

فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس،

فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه، وهو سيد الأنصار رضي الله عنه، قال: كأنك تريدنا؟ قال: «أجل».

وسبب حرْص النبي ﷺ على أن يسمع رأي الأنصار هو أن الأنصار كانوا قد بايعوا النبي ﷺ في بيعة العقبة أن يؤووا النبي ﷺ إلى مدينتهم، وأن يحموا رسول الله ﷺ في مدينتهم، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم، فكانت كل نصوص البيعة لرسول الله ﷺ أنهم عاهدوا النبي ﷺ أن يدافعوا عنه في المدينة، لكن ما كان هناك نص في البيعة أنهم يخرجون للقتال مع الرسول ﷺ خارج المدينة، فهذا وضْع جديد، فأراد أن يسمع منهم: هل هم مستعدون للقتال خارج المدينة أم لا؟ فلما قال سعد: لكأنك تريدنا؟ قال ﷺ: «أجل».

فقام سعد وقال: قد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامضِ لما أردت فنحن معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منّا رجل، وما نكره أن تلقى بنّا عدونا إنّا لصُبُر

في الحرب صُدُق في اللقاء، لعل الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، فسِر على بركة الله.

وكلماته عظيمة ﷺ قال: إنّا لصُبُر في الحرب: يعني نحن أهل صبر في الحرب، لا يضرنا أن تلقى بنا عدوك فنقاتله، إنّا لصُبُر في الحق صُدُق في اللقاء، نحن أهل صدق وأهل صبر، لعل الله يريك منّا ما تقر به عينك، فسِر على بركة الله.

فسُرّ النبي ﷺ بذلك سرورًا عظيمًا، وهذا من المواقف العظيمة لهذا الصحابي الجليل سعد بن معاذ ﷺ.

وقال ﷺ: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم»، قال ﷺ: «لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم» يعني الأماكن التي سيُصرَعون فيها ويلقون فيها حتفهم.

ثم نزل النبي ﷺ بقرب بدر، وبدر في منتصف الطريق تقريبًا بين مكة والمدينة، فبين مكة والمدينة نحو أربعمائة كيلو متر تقريبًا، وبدر على نحو مائتين كيلو من المدينة، ومائتين كيلو من مكة.

فنزل النبي ﷺ بقُرب بدر، وركب هو وأبو بكر حتى وقف على شيخ من العرب، النبي ﷺ جعل الجيش يعسكر في منطقة بدر، وخرج ﷺ هو وأبو بكر وحدهما يستطلعان الأخبار، فلقيا شيخًا من العرب، فسألاه عن قريش، وعن محمد وأصحابه.

فقال: لا أُخبركما حتى تخبراني مَنْ أنتما؟

فقال ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك.

قال: ذاك بذلك؟

قال: نعم.

قال: بلغني أن محمدًا وصحبه خرجوا يوم كذا، فإن صدق المخبر فهُم اليوم بمكان كذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ فعلًا، يعني هو المكان أصابه بالضبط، وقال: مثل ذلك عن قريش..

ثم قال: ممَّنْ أنتما؟

فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء».

وهذه تورية، التورية: يعني أن يتكلم الإنسان بكلام هو صادق فيه، لكنك تريد معنى ومخاطبك يفهم معنى آخر، فالنبي ﷺ الآن في وضْع حرب، لا يريد أن يكشف أسراره، ولا يدري هذا الأعرابي ومَنْ وراءه، هل هم معادون للمسلمين، أو يوصل الخبر إلى أعداء المسلمين.

فقال: «نحن من ماء» النبي ﷺ يقصد أن الإنسان مخلوق من ماء، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور:٤٥] لكن الأعرابي ظن أن (ماء) اسم قبيلة من قبائل العرب فقال: «نحن من ماء» ثم انصرف، النبي ﷺ ما ترك له مجالًا ليكثر الأسئلة.

والشيخ يقول: من ماء، أمن ماء العراق؟

فلما أمسى رسول الله ﷺ بعث عليًّا، والزبير، وسعد بن أبي وقاص إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، منطقة بدر كان فيها آبار. فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض غلام بني العاص.

راوية: يعني بعض العبيد الذين بُعثوا لجلب الماء.

فأتوا بهما.

وكان النبي ﷺ يصلي في ذلك الوقت.

فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نستقي من الماء، فَكَرِه القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان.

فجعلوا إذا قالا: نحن نجلب الماء لجيش قريش، بعثونا لجلب الماء يضربونهم يقولون: أنتما كذابان لستم لجيش قريش، قولا: لِمَنْ أنتما؟ أنتما لأبي سفيان وقافلة أبي سفيان.

حتى قالا: نحن لأبي سفيان؛ حتى يكفوا عن ضربهما.

فتركوهما.. كل هذا وكان النبي ﷺ يصلي، فلما سلّم رسول الله ﷺ قال: «إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما؟! صدقا إنهما لقريش».

ثم قال: «أخبراني عنهم»، النبي ﷺ سأل الغلامين: قال أخبراني عنهم، عن جيش قريش، قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

الكثيب: هو المرتفع من الرمل.

فسألهما النبي ﷺ قال: «كم القوم؟» قالا: كثير.

قال: «كم عدتهم؟» قالا: لا ندري، قال: «كم ينحرون كل يوم؟» قالوا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا؛ قال: يوم ينحرون تسعة من الإبل، ويوم ينحرون عشرة من الإبل.

فقال ﷺ: «القوم ما بين تسعمائة وألف» على أساس أن البعير في العادة يُطعم مائة، يعني يكفي لإطعام مائة، فهُم يذبحون ما بين تسعة إلى عشرة من الإبل معناه أن عددهم ما بين التسعمائة والألف، فاستنتج عددهم، وكان كما توقع النبي ﷺ، كانوا: تسعمائة وخمسين بالضبط.

ثم قال: «فمَنْ فيهم من أشراف قريش؟» قالا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري

بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأُمية بن خلف، ونبيه ومُنبّه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد وُد.كل هؤلاء كبار زعماء قريش.

فأقبل رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

في هذا الوقت كان أبو سفيان قد صرف وجه العير عن بدر إلى اتجاه الساحل؛ ليصل إلى مكة من طريق الساحل.

فسار بعيدًا جدًّا عن المكان الذي فيه النبي ﷺ، واطمأن أنه نجا وقد اقترب من مكة.

فأرسل أبو سفيان إلى قريش إنما خرجتم لتمنعوا عيركم، ورجالكم وأموالكم قد نجاها الله فارجعوا.

فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نرِد بدرًا، فنقيم عليها ثلاثًا فننحر الجزور ونُطعِم الطعام، ونشرب الخمر، وتسمع العرب بمسيرنا وجمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا.

وهذا كما وصف الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[الأنفال:٤٧]، فقريش خرجوا بطرًا ورئاء الناس، يعني هذا حملهم البطر-الكبر- والمراءاة من أجل أن يسمع الناس بهم، ويعلموا ويفتخروا على غيرهم.

في هذا الوقت كان رجل من بني عبد المطلب أيضًا رأى رؤيا فيها نذير لقريش أيضًا، وهو جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب، هذا رجل من بني عبد المطلب رأى رؤيا، رأى: أن رجلًا من قريش أقبل حتى وقف ومعه بعيره، ثم قال: قُتِل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأُمية بن خلف، وفلان وفلان، وعدّ أسماء القتلى الذين قُتلوا فعلًا في غزوة بدر، هذا في الرؤيا وهم ما زالوا أحياء، ثم ضرب في لُبّة

بعيره، أي: في عنقه أو في أسفل العنق ثم أرسله في العسكر.

ضرب البعير في لُبته في أسفل العنق فتناثر منه الدم، فما بقي خباء (خيمة من خيام جيش قريش) إلا أصابه نضح من هذا الدم، فقصّ الرجل عليهم الرؤيا، وهذه الرؤى التي جعلهم الله ﷻ يرونها فيها بثّ للذعر والرعب في قلوبهم، فقصّ عليهم هذه الرؤيا، فقال أبو جهل: وهذا نبي آخر من بني عبد المطلب. سيعلم اليوم مَنْ المقتول إن نحن التقينا.

فرجع الأخنس بن شريق ببني زهرة وكان حليفًا لهم، فكانت هذه الرؤيا سببًا في رجوع بني زهرة، وزعيمهم الأخنس بن شريق، وقال لهم: قد نجّى الله لكم أموالكم، وخلّص صاحبكم، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله. فأمرهم بالرجوع فأطاعوه ورجعوا.

ورجع طالب بن أبي طالب، أيضًا؛ لمحاورة كانت بينه وبين بعض قريش، قالوا: قد علمنا أن هواكم لمع محمد، رغم أنهم خرجوا مع جيش قريش يقاتلون المسلمين، فرجع.

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي، وهو الجانب الأبعد من الوادي، العدوة: مثل: شاطئ البحر، فعدوة الوادي: نهايته أو طرفه، فبعث الله ﷻ السماء فأمطرت مطرًا لبّد الأرض لرسوله ﷺ، ومنع قريشًا من الارتحال.

فبادرهم رسول الله ﷺ إلى الماء. فوصل ﷺ إلى أدنى ماء من بدر، فنزل عند هذا المكان، فقال الحباب بن المنذر رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله، أم هو الرأي والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي والمكيدة».

فقال الحباب رضي الله عنه: نرحل حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نُغوّر ما وراءه.

فقال: ثم نبني عليه حوضًا فنملأه فنشرب ولا يشربون.

فقال النبي ﷺ: «أشرت بالرأي ففعل ما قال».

ثم قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا نبي الله، نبني لك عريشًا تكون فيه، ونعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أظهرنا الله كان ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمَنْ وراءنا فقد تخلّف عنك أقوام ما نحن بأشدّ لك حبًّا منهم.

ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلّفوا، فدعا له النبي ﷺ ثم بُني العريش للنبي ﷺ، فكان فيه، يُشرف منه على المعركة، ويكون مثل مركز القيادة يتولى منه النبي ﷺ الإشراف على المقاتلين والإشراف على سير المعركة.

ولما رأى النبي ﷺ مشركي قريش وقد أقبلوا، قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخْرها، تُحادُّك وتُكذّب رسولك» والمحادة: هي المعاندة والمحاربة لأمر الله، فالذي يُحاد الله، يعني كأنه يضع حدودًا معارضة لحدود الله، فهُم يُحادون الله.

«تُحادك وتُكذّب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أحِنْهم الغداة» أي: أهلكهم الغداة، «اللهم أحنهم» يعني يدعو عليهم بالهلاك في هذا الوقت القريب.

وقال مشركو قريش: لئن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم، وإن كنّا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد ﷺ فما لأحد بالله من طاقة؛ قريش كانوا يعلمون أنهم يحاربون الله سبحانه وتعالى ويحاربون رسوله، فكانوا يقولون: والله لو كنّا نقاتل الناس فليس بنا ضعف، يعني من جهة كثرة العدد، عدد قريش أكثر من عدد المسلمين، وسلاحهم أكثر من سلاح المسلمين، لكن لو كنّا نقاتل الله جل وعلا كما يزعم محمد، فليس لنا بالله تعالى طاقة.

ثم أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حزام، حتى وردوا حوض رسول الله ﷺ، اشتد بهم العطش وليس عندهم ماء، فأقبلوا يريدون الشرب منه بالقوة.

فقال النبي ﷺ: «دعوهم، فلم يشرب منه رجل منهم إلا قُتِل» غير حكيم بن حزام كان ممَّنْ شرِب من هذا الحوض، لكن نجا من القتل.

وطلب مشركو قريش من عُمير بن وهب أن يُقدّر لهم عدد المسلمين، فجال بفرسه حول معسكر المسلمين، ثم رجع إليهم وقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلًا أو ينقصون، وكان تقديره صائبًا؛ لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة وخمسة عشر.

ثم قال: حتى أنظر للقوم كمينًا أو مددًا، فضرب في بطن الوادي فلم ير شيئًا.

فرجع فقال: لم أر، لكن رأيت البلايا تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتَل رجل منهم حتى يقتل رجلًا منكم.

قال: فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد؟ فرُوا رأيكم.

وبدأ الرعب يدب في قلوب المشركين، فمشى حكيم بن حزام في الناس فأتى عتبة بن ربيعة، فكلمه في الرجوع بالناس، وقال: يا أبا الوليد، أنت كبير قريش، وسيدها المطاع، هل لك إلى ألا تزال تُذْكَر فيها بخير إلى آخر الأبد؟ تُرجِع الناس، وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي؟

قال: قد فعلتُ إنما هو حليفي، فعليّ عقله، وما أُصيب من ماله،لكن ايتِ ابن الحنظلية-يعني أبا جهل-؛ فإني لا أخشى أن يسخر من الناس غيره.

وقال النبي ﷺ وقد رأى عتبة على جمل أحمر: «إن يكن في القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا».

فقام عتبة خطيبًا فقال: يا معشر قريش، إنكم ما تصنعون بأن تلقوا محمدًا وصحبه شيئًا، لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمه وابن

خاله، ورجلًا من عشيرته.

وقال: ارجعوا، وخلّوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرضوا ثم انطلق حكيم بن حزام حتى أتى أبا جهل، فقال: يا أبا الحكم، إن عتبة أرسلني إليك بكذا.

فقال: انتفخ سَحره حين رأى محمدًا وصحبه، السحر: هي الرئة.

قال: كلا لا نرجع حتى يحكم الله بيننا، لكنه قد رأى محمدًا وصحبه أكلة جزور، وفيهم ابنه أبو حذيفة فقد تخوفكم عليه.

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فانشد مقتل أخيك، فقام عامر بن الحضرمي وكشف ثيابه وصرخ: واعمراه! وأخذ ينادي: واعمراه! يعني يُحمّسهم على الأخذ بالثأر لأخيه عمرو.

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل فقال: سيعلم مَنْ انتفخ سَحْره.

وقال بعض المنافقين: غرّ هؤلاء دينهم، فنزل قول الله ﷻ: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾[الأنفال:٤٩].

وخرج رجل من المشركين اسمه الأسود بن عبد الأسد المخزومي، قال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه.

فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله رضي الله عنه، فضربه فأطن قدمه بنصف ساقه دون الحوض، أراد أن يقترب من حوض المسلمين فضربه حمزة ضربة أطارت قدمه بنصف ساقه، أطارت القدم مع نصف الساق بضربة سيف من حمزة رضي الله عنه.

فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا؛ فسقط على ظهره ورجله تنزف دمًا.

فحبا إلى الحوض فاقتحمه يزعم أنه يبر بيمينه؛ ظل يحبو ورجله مقطوعة، ويحبو إلى الحوض يريد أن يبر بيمينه، فضربه حمزة في الحوض فقتله فيه.

ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، ودعوا للمبارزة، فخرج فتية من الأنصار، قالوا: نحن مستعدون لمبارزتهم.

فقالوا: مَنْ أنتم؟

قالوا: من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم يا محمد، أخرِج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبي ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، ويا حمزة، ويا علي» رضي الله عنهم.

وكما أن الثلاثة الذين خرجوا من قريش من أسرة واحدة، فهؤلاء الثلاثة من أسرة واحدة.

فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم عتبة، وحمزة: شيبة، وبارز علي الوليد، فأما حمزة وعلي فلم يُمهلا صاحبيهما أن قتلاهما، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، يعني حصل بينهما مبارزة، كلاهما أثبت صاحبه.

وكرّ علي وحمزة بأسيافهما على عتبة فدففا عليه.

واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه، ثم تزاحف الناس، و كان علي رضي الله عنه كما في الحديث في الصحيح يقول: «فينا نزلت هذه الآيات ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾[الحج١٩:٢١].

هذه نزلت في المبارزة التي كانت يوم بدر، ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ ﴾[الحج:١٩] هم هؤلاء: عتبة، وشيبة، والوليد؛ وذكر الله ﷻ ثواب المؤمنين وما أعدّ الله ﷻ لهم من النعيم العظيم.

قال: وأمر رسول الله ﷺ أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم. يعني: ألا يبدؤوا في القتال حتى يأمرهم ببدء القتال، وقال: «إن اكتنفكم القوم فانضحوا عنكم بالنبل».

وهو في العريش معه أبو بكر رضي الله عنه، و هذا كان مركز قيادة المعركة.

وكان حين سوى الصفوف بقدح في يده ﷺ رأى سواد بن غُزية، وقد برز من الصف، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ بِالْقِدْحِ وَقَالَ: « اسْتَوِ يَا سَوَادُ ».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ فَأَقِدْنِي.(يعني: مكنّي لأقتص منك).

فَكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ فَقَالَ: اسْتَقِدْ.

قَالَ: فَاعْتَنَقَهُ فَقَبَّلَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَادُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حَضَرَ مَا تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ.

فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ.

ثم رجع النبي ﷺ إلى العريش، وجعل يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبَد، العصابة: هي العدد القليل من الناس. فقال: يا رب، إن تهلك هذه العصابة لا تُعبَد في الأرض، هؤلاء هم الذين يعبدونك وينصرون دينك، ولو قُضي على المسلمين في تلك الغزوة لما قامت للإسلام وللمسلمين قائمة، فهو يتضرع إلى الله ﷻ أن يحفظ هذه العصابة من المؤمنين، وأن لا يُمَكّن منهم عدوهم حتى يُعبَد الله سبحانه وتعالى في الأرض.

وأبو بكر ﵁ يقول: يا رسول الله، بعض مناشدتك ربك؛ فإن الله منجِز لك ما وعدك، وكان النبي ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يسقط الرداء عن كتفيه ﵊ فيأتي أبو بكر فيضع الرداء على كتفي رسول الله ﷺ وهو يرفع بصره إلى السماء ويديه، ويناشد الله ﷻ ويتضرع إليه ويطلب منه النصر.

ثم أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة ﵊، يعني نام نومة صغيرة ﵊، ثم انتبه فقال: أبشِر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخِذ بعنان فرسه يقوده. وأخبر النبي ﷺ أن الله ﷻ أرسل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، جبريل في ألف من الملائكة مع المصطفى ﵊ وميكائيل في ألف عن ميمنته، وإسرافيل في ألف عن ميسرته، أرسلهم الله ﷻ.

وقاتلت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل في غيره، كانت المعركة التي قاتلت فيها الملائكة.

في المعارك الأخرى أنزل الله ﷻ ملائكة لتثبيت المؤمنين، لكن لم يشاركوا في القتال،كانت مددًا وعددًا.

من الأحداث التي وقعت من نصْر الله ﷻ للمسلمين، وتأييدهم بالملائكة في غزوة بدر: أن رجلًا من المسلمين كان يشتد خلف رجل كافر، إذ سمع ضربة سوط، وصوت يقول: أقدِم حيزوم، فنظر إلى الكافر، وقد خرّ أمامه، فإذا هو قد خُطِم أنفه وشُقّ وجهه كضربة السوط.

وكان شعار الملائكة يومئذٍ: أَحّد، أَحّد.. يعني يُوحّدون الله ﷻ وعليهم عمائم بيض، وعلى جبريل عمامة صفراء أرسلها من خلفه.

وجاء عن رجل من غِفار أنه خرج يُشرِف على بدر، إذ دنت سحابة، قال: فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلًا يقول: أقدِم حيزوم، وحيزوم هذا اسم فرس جبريل، هذا الملك هو جبريل ﵇، وحيزوم هو فرسه.

ثم كان أول مَنْ قُتِل من المسلمين: مهجع مولى عمر، ثم حارثة بن سراقة أصابه سهم وهو يشرب فقتله، هؤلاء أول مَنْ قُتِل من المسلمين، من شهداء بدر رضي الله عنهم، مهجع مولى عمر، وحارثة بن سراقة رضي الله عنه.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرّضهم على القتال عليه الصلاة والسلام وقال: «لا يقاتلهم رجل فيُقتَل إلا دخل الجنة».

فقال عمير بن الحُمام- وبيده تمرات يأكلهن- : بخٍ بخٍ، كلمة استبشار وسرور.

فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذفها من يده وقاتل حتى قُتِل، لما سمع النبي صلى الله عليه وسلم يُحرّض على القتال، وفي رواية قال: لئن بقيت حتى آكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة، يريد التعجيل بدخول الجنة، فرمى التمرات من يده، وأقدم على القتال، وانغمس في القوم فقاتل حتى قُتِل رضي الله عنه.

وكان أبو جهل حين دنا الناس يدعو، يقول: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا نعرف، اللهم فأحِنْه الغداة يعني فأهلكه هذه الغداة.

فكان هو المستفتح، يعني دعا على نفسه بالهلاك؛ لأنه هو القاطع للرحم الذي يأتي بما لا يُعرَف، لأن الحق هو القديم، والباطل هو الطارئ على الحق، فالله جل وعلا خلق الخلق موحدين على الفطرة، وكان الناس عشرة قرون على التوحيد، فالشرك طارئ.

فالذي يأتي بما لا يُعرَف، ويأتي بالمنكر هم المشركون، والذي يقطع الرحم هم المشركون، فكان يدعو على نفسه وهو لا يشعر.

فمن أحداث غزوة بدر: قصة مقتل أبي جهل، وأبو جهل كان من أئمة الكفر، وكان له دور كبير في الصد عن دين الله، وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمؤمنين، فكان

مقتله في غزوة بدر كان نصرًا عظيمًا.

في قصة مقتل أبي جهل ما جاء عن عبد الرحمن بن عوف ﵁، قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، وإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت لو كنت بين أضلع منهما.

فغمزني أحدهما فقال: هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم، فما حاجتك؟ قال: بلغني أنه أنه يسب رسول الله ﷺ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منّا. فغمزني الآخر فقال مثلها.

فلم أنشب أن نظرت أبا جهل يجول في الناس، فقلت: هذا صاحبكما.

فابتدراه بسيفيهما، فانقضّا عليه كالصقرين، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، وكل واحد منهما يقول للنبي ﷺ: أنا قتلته، قال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في سيفيهما، فوجد كلا السيفين مغموسًا في دماء أبي جهل، فقال: «كلاكما قتله».

وهذان الغلامان هما: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ بن عفراء ﵄.

ووردت تفاصيل أخرى في قصة مقتل أبي جهل، وأن أول مَنْ لقيه هو معاذ بن عمرو بن الجموح، أحد هذين الشابين، قال: سمعت القوم يقولون: أبو الحكم لا يُخلَص إليه، يعني يوصي بعضهم بعضًا: لا يصلنّ أحد إلى أبي الحكم، أحيطوا به، واحرصوا ألا يصل أحد إليه.

فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدتُ نحوه، فلما أمكنني ضربته ضربةً أطَنَّت قدمه بنصف ساقه، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي، فتعلقت بجلدة، يعني: صارت يده مقطوعة ومُعلّقة بجلدة.

وأجهضني القتال عنه فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بها عليها حتى طرحتها، يعني من تضحيته في سبيل الله ﷻ ضغط عليها برجله حتى فصل يده ﭬ، وعاش بعد ذلك إلى خلافة عثمان بن عفان ﭬ.

وورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ قضى بسَلَب أبي جهل لمعاذ بن عمرو؛ يعني رغم أن النبي ﷺ قال: «كلاكما قتله» معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء قال: «كلاكما قتله» لكن قضى بالسَلَب، وهو متاع القتيل، وما يكون معه من المتعلقات الشخصية، أعطاه لمعاذ بن عمرو بن الجموح؛ لأنه كان صاحب التضحية الأكبر في قتل أبي جهل.

بقية قصة مقتل أبي جهل أيضًا: أن عبد الله بن مسعود ﭬ مرّ على أبي جهل لما أمر النبي ﷺ بالتماس أبي جهل في القتلى؛ لأن المشركين قُتِل منهم سبعون وأُسِر سبعون،

فالتمسه عبد الله بن مسعود في القتلى وهو عقير بآخر رمق، فوضع رجله على صدره،

وأبو جهل كان قد آذى عبد الله بن مسعود ﭬ، في مكة.

فوضع عبد الله بن مسعود رجله على صدر أبي جهل ثم قال: هل أخزاك الله يا عدو الله؟ قال: وبمَ أخزاني، هل أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟ أَخْبَرَنِي لِمَنِ الدَّائِرَةُ الْيَوْمَ؟ فقال عبد الله بن مسعود: لله ورسوله.

ثم قال أبو جهل: لقد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رويعي الغنم، فقال عبد الله: إني قاتلك.

قال: ما أنت بأول عبد قتل سيده. يعني وهو في الرمق الأخير ومع ذلك والعياذ بالله لا يزال فيه الكِبر والغرور والعياذ بالله.

وقال أبو جهل قال: فلو غيرك قتلني! فاحتزّ رأسه؛ ليطمئن تمامًا أنه فارق الحياة.

ثم جاء به لرسول الله ﷺ، فقال: هذا رأس عدو الله، فقال النبي ﷺ: «والله الذي لا

إله غيره» يستحلفه النبي ﷺ، فقال: نعم؛ قال عبد الله بن مسعود: والله الذي لا إله غيره.

ثم ألقيته بين يديه فحمد الله.

وورد في بعض الروايات: أن رسول الله ﷺ خرّ ساجدًا، سجد شُكرًا لله ﷻ عند مقتل أبي جهل.

ثم أخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء- حفنة حصى- فاستقبل بها قريشًا ثم قال: «شاهت الوجوه» ثم نفخهم بها، رمى هذا الحصى عليهم، وقال: «شاهت الوجوه».

وقال لأصحابه: «شدوا».

فكانت هزيمة المشركين. وقتل الله منهم سبعين من صناديد قريش، وأُسر سبعون، ولم يبق منهم رجل إلا دخل في عينه التراب؛ الحصباء التي رماها النبي ﷺ عليهم، فما منهم أحد إلا ودخل في عينه شيء من هذا التراب، وورد أن هذا معنى قوله ﷻ وسبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧] هذه الرمية التي رماها النبي ﷺ من الحصباء والتراب، الحصى الصغير والتراب رماها عليهم النبي ﷺ فأوصل الله ﷻ رميته إلى كل واحد منهم فأصابه شيء من التراب في عينه من رمية رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفي هذه الأثناء كان سعد بن معاذ قائمًا على رأس العريش الذي صُنِع لرسول الله ﷺ؛ ليكون مقرًّا لقيادة الجيش وفيه المصطفى عليه الصلاة والسلام-

فكان سعد بن معاذ قائمًا على رأس العريش متوشحًا السيف- واضعًا السيف كالوشاح، الوشاح: هو ما يوضع على أحد العاتقين، والجنب الآخر الذي يليه، يعني يوضع على الكتف الأيسر مع الجانب الأيمن من الخصر، يعني مربوط برباط على

هيئة الوشاح.

في نفر من الأنصار يحرسون المصطفى ﷺ وحينئذٍ شاور النبي ﷺ أبا بكر وعمر في الأُسارى؛ فقال أبو بكر رضي الله عنه: هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، أرى أن نأخذ منهم الفدية؛ لتكون قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله.

وقال عمر رضي الله عنه: أرى أن تُمكنني من فلان- قريب لعمر فأضرب عنقه.

وتُمكّن عليًّا من عقيل-بن أبي طالب- فيضرب عنقه، وحمزة من فلان أخيه، فيضرب عنقه.

حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، يعني: يكون ذلك برهانًا ودليلًا على أن ولاءنا للمؤمنين، أن هؤلاء وإن كانوا إخوتنا وأقاربنا إلا أننا نعاديهم في الله حيث حاربوا المسلمين وحاربوا رسول الله ﷺ.

قال: فهوي المصطفى- ﷺ- ما قال أبو بكر. يعني مال إلى ما قاله أبو بكر رضي الله عنه، وأخذ الفداء، وبالفعل وافق النبي ﷺ على افتدائهم بالأموال.

فلما كان من الغد رأى عمر رسول الله ﷺ وأبا بكر يبكيان.

وقال النبي ﷺ: «لقد عُرِض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة فيما أخذتم من الفداء»، يعني: أن الله سبحانه وتعالى توعد المسلمين بعذاب؛ لأنهم قبلوا الفداء، لكنه جل وعلا عفا عنهم وأنزل: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال:٦٨] فعفا الله سبحانه وتعالى عنهم بعد أن كان نزل الوعيد بالعذاب، وكان العذاب قريبًا منهم، لكن الله جل وعلا رفعه عنهم سبحانه وتعالى.

وأنزل الله سبحانه وتعالى آيات يعاتب فيها رسول الله ﷺ على أنه لم يقتل هؤلاء الأسرى، قال

الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الأنفال:٦٧] يعني هؤلاء أول أسرى يُؤسرون من المشركين، فعاتب الله ﷻ النبي ﷺ، يقول: ما كان ينبغي للنبي ﷺ أن أول أسرى يأسرهم يُطلق سراحهم، وكان ينبغي أن يُثخِن في الأرض-أي: يقتل منهم- حتى تصبح للمسلمين هيبة، ويخافهم أعداءهم ويرهبونهم، ثم بعد ذلك في غزوات لاحقة يمكن أن يفتدي الأسرى، لكن هذه أول غزوة كان يؤخَذ فيها هذا العدد من الأسرى فكان ينبغي أن يكونوا عبرة لمَنْ وراءهم.

لكن الله ﷻ عفا عن النبي ﷺ؛ فلذلك بكى النبي ﷺ وأبو بكر؛ لأن اجتهادهما كان خلاف الأَوْلى، لكن الله ﷻ تجاوز عن هذا.

وكان رسول الله ﷺ قال: «إن رجالًا من بني هاشم أُخرِجوا كُرهًا لا حاجة لهم بقتال، فمَنْ لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله، ومَنْ لقي العباس فلا يقتله».

فأما أبو البختري فإنه أدركه بعض المسلمين فأبى أن يستأسر، يعني أدركه بعض المسلمين، وأرادوا أن يأخذوه أسيرًا إلى النبي ﷺ، وقالوا له: النبي ﷺ لن يقتلك، وأوصانا بألا نقتلك، فأبى أن يستأسر وكان معه زميل أُسِر فأخذ يدافع عنه ويقاتل حتى قُتِل.

وأما العباس فأُخِذ مع الأسرى ثم أُطلِق سراحه لاحقًا، وبعض العلماء يقول: إن العباس كان قد أسلم سرًا، لكن كان يكتم إيمانه وكان مُستضعفًا في مكة في ذلك الوقت، وآخرون يقولون: إنه لم يُسلِم إلا قبيل فتح مكة، فالله ﷻ أعلم.

من المواقف التي حصلت أيضًا في هذه الغزوة العظيمة: أن عبد الرحمن بن عوف ﵁ مر ومعه أدراع استلبها فلقيه أُمية بن خلف ومعه ابنه علي، فقال أمية بن خلف: هل لك فيّ؟ فأنا خير لك من هذه الأدراع، يقول له: خذني أسيرًا وأنا أحسن لك من هذه

الأدراع، سوف أفتدي نفسي منك بمال كثير أحسن لك من قيمة هذه الأدراع، فاترك الأدراع وخذني.

فطرح الأدراع وأخذهما.

فقال أمية بن خلف: مَنْ الرجل المُعلَّم بريش النعام في صدره؟

قال: ذاك حمزة.

قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.

يقول عبد الرحمن بن عوف: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي، وكان هو الذي يعذبه بمكة، فقال بلال: رأس الكفر أمية بن خلف؟ لا نجوت إن نجا.

ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، ينادي الأنصار، ويقول لهم: هذا أمية بن خلف الذي كان يعذبني ويعذب المسلمين، ويحرضهم عليه حتى يساعدوه في قتله.

فجعل عبد الرحمن بن عوف ﵁ يدافع عن أمية؛ لأنه أسيره، وهو يريد أن يسلمه للنبي ﷺ ويفتدي نفسه بمال كثير، وبلال يقول: لا نجوت إن نجا.

ثم صرخ كالأول، فأحاطوا بنا، فضرب رجل ابنه، فوقع، وصاح أمية صيحة، وورد أن عبد الرحمن بن عوف وضعهما على الأرض وانكب عليهما يحاول الدفاع عنهما، فجعلوا يطعنونهما بالسيوف من تحت عبد الرحمن عبد عوف، فقال عبد الرحمن بن عوف: انْجُ بنفسك ولا نجاة، فما أُغني عنك.

فهبروهما بالسيوف؛ الهبر: هي قطع اللحم الكبيرة.

فيقول عبد الرحمن بن عوف: فيرحم الله بلالًا ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

ومما حصل أيضًا من أحداث هذه الغزوة: أن عكاشة بن محصن ﵁ كان يقاتل

حتى انقطع سيفه، فأعطاه رسول الله ﷺ جزلًا من حطب، فهزّه فعاد في يده سيفًا، أي: فتحول عود الحطب إلى سيف في يد عكاشة رضي الله عنه، وهذه من معجزات رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القليب، القليب هذا عبارة عن حفرة عظيمة كبيرة، أمر النبي ﷺ أن يُطرَح قتلى المشركين بعضهم فوق بعض في هذه الحفرة.

فوضعوا في القليب بضعة وعشرين رجلًا، من قتلى المشركين.

ووقف رسول الله ﷺ عند هذا القليب فقال: يا أهل القليب، بئس عشيرة النبي ﷺ كنتم لنبيكم. كذبتموني وصدقني الناس.

فقال له صحبه: أتكلم قومًا موتى، وفي رواية: أتنادي قومًا قد جيّفوا؟

فقال ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا»، وقال: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقًّا»، فقال: لستم بأسمع لما أقول من هؤلاء الموتى؛ وهذا فيه أن الموتى يسمعون خطاب مَنْ كان قائمًا على قبرهم.

بعض العلماء يقول: إن هذا فقط أول الدفن، يعني عند الدفن مباشرة يسمعون الخطاب ثم بعد ذلك لا يسمع الموتى مَنْ كلمهم عند قبرهم، وبعض العلماء يقولون: إن الموتى يسمعون مَنْ وقف على قبرهم، وكلمهم لكن لا يستطيعون الجواب.

وعلم ذلك عند الله تبارك وتعالى حياة البرزخ حياة لها أحكامها التي يعلمها الله سبحانه وتعالى.

وبعض الناس يستشكل التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢].

والجواب: أن السماع المنفي في الآية الكريمة: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] هو سماع الهداية، السماع الذي يترتب عليه الهداية والانتفاع، فالله جل وعلا ينفي

عن المشركين سمع الاستجابة، وليس السمع الحسي، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[فاطر:٢٢] يعني لا أمل في هدايتهم، أن يسمعوا سماعًا ينتفعون به ويستجيبون، لكن السماع الذي لا ينتفعون به، فيه توبيخ لهم وتبكيت لهم إذا كانوا مشركين.

والسماع للمؤمنين هو سماع الدعاء والسلام عندما يدعو لهم مَنْ يزور قبرهم.

ثم ارتحل النبي ﷺ عن بدر وجمع الغنائم.

وبعث عبد الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة بشيرًا إلى أهل السافلة، وهما جانبا المدينة، وأقبل النبي ﷺ على المدينة ومعه الأسارى، وشرع النبي ﷺ في قسمة الغنائم.

في تلك الأثناء كان أهل مكة ينتظرون أخبار المعركة، فجاءهم رجل من خزاعة، أول مَنْ بشرهم بمصيبة الهزيمة التي حلّت بهم ومقتل كبرائهم، فقالوا: ما وراءك؟

قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم- أبو جهل-، وزمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، ونبيه ومُنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري.

فجعل يُعدد أشراف قريش، وعدّ كل أشراف قريش الذين كانوا في تلك المعركة ممّنْ قُتل، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد بالحجر: والله إن يعقل هذا، يعني لا يعقل هذا، بل هو مجنون.

سلوه عني.

فقالوا: ماذا فعل صفوان؟ قال: ها هو.

وقد رأيت أباه وأخاه حين قُتلا، ثم قدِم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب،

فقال أبو لهب: هلمّ إليّ، فعندك لعمري الخبر، فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقينا القوم منحناهم أكتافنا يقتلونا ويأسرونا كيف شاؤوا.

وايم الله ما لمت الناس؛ رأيت رجالًا بيضًا على خيل بُلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع -مولى رسول الله ﷺ وكان للعباس، وهو جالس مع أم الفضل- قال: تلك الملائكة، قال: فضرب أبو لهب وجهي، ثم احتملني وضرب بي الأرض وكنت ضعيفًا

فقامت أم الفضل إلى عمود، فضربت به أبا لهب فشجّته شجّة مُنكرة.

وقالت: أستضعفته أن غاب سيده؟ فقام ذليلًا موليًا ورأسه مشجوج بهذا العمود.

فما عاش إلا سبع ليالٍ حتى أتاه الله بداء العدسة فقتله.

وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا تُقرَب جنازته ولا يُحاوَل دفنه؛ لما أصابه هذا المرض، فهو مرض مُعدٍ، فالذي يلمسه ينتقل إليه الداء، وفي نفس الوقت كانت له رائحة مُنتنة بسبب هذا المرض.

فلما خافوا السُّبة، حفروا له حفرة في مكان بعيد.

ثم دفعوه في حفرته؛ حتى ورد أنهم كلفوا بعض العبيد أن يأخذوا معهم عصيًّا طويلَة، ويدحرجوه بأطراف العصي حتى يضعوه في تلك الحفرة، ودفنوه في حفرته، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، فكان هذا مما أخزاه الله به في الدنيا والعياذ بالله.

ثم أرسلت قريش ترسل تطلب افتداء الأسرى بالأموال. فكان من ضمن الأسرى

سهيل بن عمرو، وكان قد قام خطيبًا في جمْع قريش يحرضهم على قتال النبي ﷺ في غزوة بدر.

فقال عمر: دعني أدلع لسانه فلا يقوم خطيبًا عليك.

فقال النبي ﷺ: «عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه».

فحصل ما رجاه النبي ﷺ، أنه بعد وفاة النبي ﷺ قام سهيل بن عمرو وخطب في أهل مكة يثبتهم على الإسلام وعلى الدين، لما بدأ الناس يرتدّون، فجعل يثبت أهل مكة على الدين وعلى الإسلام عند موت رسول الله ﷺ، وكان له دور في تثبيت أهل مكة على الدين، فلم يرتدّوا كما ارتدّ كثير من بلاد الجزيرة، فلسانه هذا كان في نُصرة الدين في وقت لاحق.

كذلك كان من ضمن الأسرى أبو العاص بن الربيع، زوج زينب بنت المصطفى عليها السلام، وكان النبي ﷺ يُثني عليه في مصاهرته، وقال: وعدني فوفى لي.

وهو ابن أخت خديجة رضي الله عنها.

وكانت قريش بذلت له الرغائب أن يفارق زينب فأبى، وكان من المعدودين مالًا وتجارةً وأمانة، فقريش من أجل إيذاء النبي ﷺ طلبوا من أبي العاص بن الربيع أن يطلق زينب بنت النبي ﷺ، وعرضوا عليه أموالًا كثيرة، وأن يعوضوه بما يشاء، فرفض أن يطلق زينب رضي الله عنه.

فبعثت زينب في فداء زوجها بمال، وبقلادة كانت خديجة أدخلتها بها عليه، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها، وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها» فقال الصحابة رضي الله عنهم قالوا: ما شئت يا رسول الله، نطلق سراحه ونردّ مالها.

وشرط عليه رسول الله ﷺ أن يُخلي سبيل ابنته، فوافق أبو العاص، وأرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة إلى موضع معين قريب من مكة، فذهب زيد بن حارثة وانتظر في المكان المحدد، وخرج بها من مكة كنانة بن الربيع أخو زوجها.

فخرج في طلبها رجال من قريش، قريش أخذتهم الحمية الجاهلية، وقالوا: لا نتركها تصل إلى أبيها ﷺ، يريدون الانتقام من النبي ﷺ بمنع ابنته من الهجرة إليه والوصول إليه عليه الصلاة والسلام.

فسمعوا بالخبر، فخرجوا في طلبها، فأدركوها بذي طوى، وكانت في هذا الوقت لا تزال مع كنانة بن الربيع ،لم تصل إلى المكان الذي فيه زيد.

وكان أولهم هبّار بن الأسود، فروّعها بالرمح فأُجهضت، كانت حاملًا رضي الله عنها.

فنثر حموها كنانته، الكنانة: وعاء السهام، أي: فألقى السهام أمامه، وقال لهم: لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهمًا.

فانهزموا، وخافوا القتل فانصرفوا.

فجاء أبو سفيان بن حرب ومعه مجموعة من قريش وكلموا كنانة بن الربيع، وطلبوا منه أن يرجع بها، وأن يخرجها ليلًا؛ لئلا يُظَن بهم الضعف والوهن.

ففعل، وانتظر الليل، وفي الليل أخرجوها كأنها خرجت سرًّا، وتغافلوا كأنهم لا يعلمون أنها خارجة بالليل.

فخرج بها كنانة بالليل، وأسلمها لزيد وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه منتظرًا في هذا المكان.

وكان النبي ﷺ بلغه ما فعله هبّار، وأنه كان سببًا في إجهاض ابنته، فهَمَّ النبي ﷺ أن يُحرّق هبّارًا بالنار، ثم إنه ﷺ منع من ذلك وقال: «لا يعذب بالنار إلا رب النار، إن

وجدتموهما فاقتلوهما» يقصد هبّار بن الأسود والرجل الآخر الذي كان معه.

وأما أبو العاص بن الربيع، فإنه قدم مسلمًا على الرسول ﷺ بعد ذلك.

ولما أسلم ردّه النبي ﷺ إلى زوجته زينب بالنكاح الأول، يعني لم يعقد له عقدًا جديدًا، فلما أسلم رضي الله عنه وقدِم مهاجرًا إلى الرسول ﷺ في المدينة، كان لقريش عنده أموال فسلمهم أموالهم وردّ إلى كل منهم متاعه، ثم خرج مهاجرًا إلى المدينة وأسلم، وردّه النبي ﷺ إليها بالنكاح الأول.

وأطلق النبي ﷺ سراح بعض الأسرى من قريش مقابل تعليم أطفال المسلمين الكتابة، فجعل فداءهم أن يُعلّم كل واحد منهم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة، وكان هذا سببًا في انتشار الكتابة في المدينة.

وكان ممَّنْ تعلم الكتابة في ذلك الوقت زيد بن ثابت رضي الله عنه، وكان غلامًا صغيرًا من الأنصار وتعلم الكتابة من بعض الأسرى من قريش، حتى كان كاتبًا لرسول الله ﷺ فيما بعد.

وكان من الأسرى: بعض الفقراء الذين ليس لهم مال للفداء فأطلق النبي ﷺ سراحهم بغير مقابل؛ منهم: أبو عزة الشاعر، وكان شاعرًا وخرج يقاتل، وكان يهجو النبي ﷺ والمسلمين، فقال للنبي ﷺ : إن لي سبع بنات، لا عائل لهن غيري، وأنا فقير ليس عندي مال أفتدي به نفسي، واستعطف النبي ﷺ، فأطلق النبي ﷺ سراحه لكن اشترط عليه، قال: سأطلق سراحك بشرط: ألا تخرج لقتالنا بعد ذلك أبدًا، ولا تساعد على قتال المسلمين أبدًا، وأخذ عليه العهد بهذا وأطلق سراحه، لكنه نقض العهد، وخرج وقاتل المسلمين بعد ذلك في مرة أخرى وأُسِر مرة ثانية، فجعل يقول للنبي ﷺ: أنا فقير، ولي سبع بنات ولا عائل لهن، فقال له النبي ﷺ: لا أتركك ترجع إلى مكة

وتقول: خدعت محمدًا مرتين، لا يُلدَغ المؤمن من جحر مرتين، وأمر بقتله.

واستُشهد من المسلمين في غزوة بدر أربعة عشر رجلًا؛ ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، رضي الله عنهم.

فكانت هذه أبرز أحداث هذه الغزوة العظيمة التي سماها الله جل وعلا يوم الفرقان، وكانت نصرًا عظيمًا للمسلمين، وصارت للمسلمين هيبة بها، ولهم منعة وقوة بفضل الله جل وعلا بعد هذه الغزوة، وتوطدت أركان دولة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- فَقَيْنُقَاعُ، فَالسَّــوِيْقُ، غَطَفَانْ　　　　وَهْيَ فَــذُو أَمَــرْ، فَغَــزْوُ بَحْرَانْ

هذه كلها أسماء غزوات من غزوات الرسول ﷺ، فالنبي ﷺ قد غزا سبعًا وعشرين غزوة كما عرفنا من قبل، ذكرنا منها خمس غزوات:

الأولى: غزوة ودّان، ويقال لها: غزوة الأبواء.

والثانية: غزوة بواط.

والثالثة: غزوة العُشيرة.

والرابعة: غزوة بدر الأولى.

والخامسة: غزوة بدر الكبرى.

فهذه خمس غزوات.

الغزوة السادسة: هي التي ذكرها في هذا البيت قال: (قينقاع) هذه السادسة، (فَالسَّوِيْقُ) غزوة السويق هذه الغزوة السابعة، (غَطَفَانْ وَهْيَ فَذُو أَمَرْ) غزوة غطفان هي نفسها غزوة ذو أمر، يقال لها: غزوة غطفان أو غزوة ذو أمر، المكان اسمه ذو أمر، والقبيلة التي كانت تسكن هناك قبيلة غطفان، فالغزوة لها اسمان، ثم غزوة (بَحْرَانْ).

فالغزوة السادسة من غزوات رسول الله ﷺ هي: غزوة بني قيقناع.

وبنو قينقاع هم: قبيلة من قبائل اليهود الثلاثة التي كانت تسكن في المدينة النبوية، في مدينة الرسول ﷺ كانت قبائل اليهود ثلاث قبائل: هم: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، فهذه قبائل اليهود في مدينة النبي ﷺ.

فبنو قينقاع: كانوا أوّل قبيلة من قبائل اليهود تنقض عهدها مع رسول الله ﷺ؛

فقد مر بنا أن النبي ﷺ لما دخل المدينة عاهد اليهود عهدًا،كتب وثيقة (معاهدة) بين المسلمين وبين اليهود: أنهم لا يؤذون المسلمين، وأن المسلمين لا يؤذونهم طالما وفوا بعهدهم، وأنهم لا يُحالفون أعداء رسول الله ﷺ، ولا يعينون أعداء النبي ﷺ عليه مقابل أن يُؤمّنهم المسلمون على دمائهم وأموالهم.

والنبي ﷺ ظل وفيًّا بمعاهدته ﷺ حتى وقع الغدر منهم، فلما غدروا هم ونقضوا العهد من جهتهم، أصبح النبي ﷺ في حِلّ، وأصبحت هذه المعاهدة ملغاة بسبب نقْضهم العهد.

فأول قبيلة من قبائل اليهود نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ هم بنو قيقناع.

وكانت هذه الغزوة يوم السبت في نصف شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة،

وذلك أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوق بني قينقاع، وقال لهم: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثلما نزل بقريش من النقمة؛ فإنكم عرفتم أني نبي مُرسَل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، فقالوا: يا محمد، لو حاربتنا لتعلمنّ أنّا نحن الناس.

فنزل فيهم قول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[آل عمران:١٢].

وكان يهود بني قينقاع حلفاء عبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين.

وعبد الله بن أُبيّ بن سلول -كما مر بنا- كان من زعماء الأوس والخزرج قبل مجيء الرسول ﷺ، وكانوا قد أوشكوا أن يتوجوه ملكًا، على المدينة قبل قدوم رسول الله ﷺ، وكانوا أشجع يهود. فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد وتركوا العهد والذمة.

وذلك أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ منهم بسوق بني قينقاع فراودها على كشف وجهها فأبت.

فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر.

فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فوثب مسلم على الصائغ فقتله؛ فقتلته اليهود، فغضب المسلمون؛لأمرين: الأول:

لكون اليهود انتهكوا حُرمة المرأة المسلمة وكشفوا ثيابها.

والأمر الثاني: أنهم قتلوا رجلًا من المسلمين.

فسار المصطفى ﷺ إليهم، وحمل لواءه حمزة وكان اللواء أبيض.وخلّف على المدينة أبا لبابة الأنصاري.

وحاصرهم خمس عشرة ليلةً، وكان اليهود يسكنون في ضواحي متطرفة، ويسكنون في قلاع وحصون، ولهم أسوار تحيط بمساكنهم.

فنزلوا على حُكمه، يعني: استسلموا، وقالوا: احكم فينا بما شئت.

فحكم بأن له أموالهم، ولهم النساء والذرية فوافقوا على هذا، ونزلوا من الحصن.

فكلّم عبد الله بن أُبي بن سلول فيهم رسول الله ﷺ وألحّ على الرسول ﷺفي ذلك.

وقال: مواليّ: أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، منعونا من الأسود والأحمر، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله أخشى الدوائر. يعني: أن تدور الدوائر علينا ويأتي الأعداء يهاجمون المدينة، ولا يكون أحد يحمينا، والعياذ بالله ﷻ.

فقال النبي ﷺ: خلّوهم، وأمر أن يُجلوا من المدينة، فلحقوا بأذرعات- منطقة بالشام- ولما رأى ذلك عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وكان حليفًا لهم تبرأ إلى الله ورسوله

من حلفهم، فقال: أنا بريء إلى الله ورسوله من حلفهم، وقال للنبي ﷺ: افعل بهم ما شئت.

وأنزل الله ﷻ في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾[المائدة:٥١].

وولّى قبْض أموالهم محمد بن مسلمة، وإخراجهم عبادة بن الصامت، ووجدوا بحصنهم سلاحًا كثيرًا فأخذ المصطفى ﷺ الخمس، ثم فرّق البقية على أصحابه.

كانت هذه غزوة بني قينقاع.

الغزوة السابعة من غزوات رسول الله ﷺ هي: غزوة السويق.

والسويق هذا نوع من الطعام، عبارة عن حب الشعير، يُحمَص في سمن ونحوه، وهو من الطعام الذي يُدّخَر ويُحمَل في الأسفار للأكل منه.

وسبب هذه الغزوة: أنه لما رجع الكفار من غزوة بدر إلى مكة، نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يقرب النساء ولا الدهن حتى يغزو محمدًا عليه الصلاة والسلام.

فلما طال الوقت، ومضى على غزوة بدر فترة، أراد أبو سفيان أن يفي بنذره، وكان العرب كانوا يُعظّمون أمر النذر واليمين، فأراد أن يفي بهذا النذر.

فخرج في مائتي راكب؛ ليبرّ بقسمه فسلك النجدية -اسم طريق أو منطقة اسمها النجدية- حتى نزل على نحو بريد من المدينة؛ نزل على مسافة بريد من المدينة، البريد: هذا مقياس لمسافة.

ثم خرج ليلًا حتى أتى بني النضير، فضرب على حُيي بن أخطب-وهو أحد زعماء اليهود- بابه، فأبى أن يفتح له؛ حتى لا يتورط في مشكلة مع الرسول ﷺ، وهو لا يريد أن يُعرّض بني النضير لمشكلة مع الرسول ﷺ أنه استضاف أبا سفيان، وهو عدو المسلمين، فظل يدق عليه الباب فلم يفتح له.

فانصرف إلى سلّام بن مشكم- وكان سيدهم- فأذِن له وقراه وسقاه.

فاستخبره خبر المصطفى، أي: سأله عن أخبار الرسول ﷺ. ثم رجع من ليلته حتى أتى أصحابه؛ كل هذا كان في الليل، فما يجرؤ أن يدخل بالنهار، فدخل بالليل وخرج في الليل أيضًا، ورجع إلى أصحابه في المكان الذي خيّم فيه المقاتلون الذي قدموا معه.

فبعث رجالًا فأتوا ناحية العريض -وهو وادٍ على بُعد ثلاثة أميال من المدينة-

فحرّقوا من النخيل وقتلوا رجلين من الأنصار، ورأى أن يمينه قد حلّت.

فوصل الخبر إلى الرسول ﷺ، فخرج في طلبه في مائتين من المهاجرين والأنصار، وكان هذا في اليوم الخامس من ذي الحجة في نفس السنة الثانية أيضًا من الهجرة النبوية.

ففاته أبو سفيان وجعل يتخفف للهرب.

فألقوا جُرب السويق، وكانوا يحملون كميات كبيرة من السويق في جُرب- يعني جمع جراب، و هو الوعاء من القماش- فكان معهم جُرب كثيرة من السويق، فألقوها؛ حتى تخف حمولتهم ويتمكنوا من الهرب قبل أن يُدركهم النبي ﷺ.

فأخذ المسلمون وهم يطاردونهم يجمعون جُرب السويق، ورجعوا بها مُحمّلين إلى المدينة.

فسُميت هذه الغزوة غزوة السويق؛ لأن الصحابة الذين خرجوا مع الرسول ﷺ رجعوا إلى المدينة مُحمّلين بهذا السويق الكثير، ورجع أبو سفيان بسرعة إلى مكة، ولم يُدركه النبي ﷺ.

وغاب النبي ﷺ خمسة أيام ثم عاد إلى المدينة.

الغزوة الثامنة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزو غطفان، يقال لها: غزوة غطفان، ويقال لها أيضًا: غزوة ذي أَمَرّ: اسم المكان.

غطفان: اسم القبيلة التي تسكن تلك المنطقة، وذو أَمَرّ اسم المكان، وهو موضع بنجد.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة لاثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول من السنة الثالثة للهجرة، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسبب هذه الغزوة: أن النبي ﷺ بلغه أن جمْعًا من ثعلبة ومحارب قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، والذي جمعهم اسمه دعثور بن الحارث المحاربي، وهذا هو قائد المشركين في تلك الغزوة، جمع ناسًا من قبيلته هم محارب، وناسًا من ثعلبة، وأرادوا أن يهاجموا أطراف المدينة النبوية.

فندب النبي ﷺ المسلمين للخروج معه للقتال، وخرج في أربعمائة وخمسين رجلًا، وكان المسلمون في مرتفع وهم في منخفض، فهبط النبي ﷺ عليهم فهربوا وصعدوا إلى رؤوس الجبال.

فلم يلحق منهم أحدًا، وكما عرفنا: كثير من غزوات النبي ﷺ لم يحصل فيها اشتباك بين الفريقين بسبب أن المشركين كانوا يهربون، بمجرد ما يهجم النبي ﷺ ومَنْ معه يهربون.

لكن كان يحصل من هذه الغزوات إظهار قوة المسلمين، حتى لو لم يحصل قتال، لكن كان يحصل إظهار قوة المسلمين، وإظهار البأس، وكان المشركون يقع في قلوبهم الرعب.

وكثير من هذه الغزوات أيضًا كان النبي ﷺ يعقد فيها معاهدات مع أهل المدن التي يمر بها في طريقه للقتال، والقبائل التي يمر عليها: أنهم لا يقاتلون المسلمين، وأنهم لا يعينون أحدًا من أعداء المسلمين، فكان يحصل من ورائها مصالح وفوائد للمسلمين.

ونزل مطر أصاب ثياب النبي ﷺ، فوضع النبي ﷺ بعض ثيابه المبللة على شجرة، ونام ﷺ، تحت شجرة، ودعثور كان فوق رؤوس الجبال، وهم يرون المسلمين والمسلمون يرونهم لكن من بعيد.

وكان يراقب النبي ﷺ فرأى النبي ﷺ نائمًا تحت شجرة، فأقبل حتى قام على رأس

المصطفى ﷺ ومعه سيف، فقال: مَنْ يمنعك مني؟

فقال النبي ﷺ: الله.

فسقط السيف من يده.

فأخذه المصطفى ﷺ.

ثم قال له النبي ﷺ: مَنْ يمنعك مني؟ قال: لا أحد.

وأسلم؛ فأسلم دعثور الذي كان قائد المشركين بسبب هذا الموقف لما رأى نصْر الله للنبي ﷺ، وما ألقى الله في قلبه من الرعب وهو يواجه النبي ﷺ،فالنبي ﷺ كان أعزل في تلك اللحظة ليس معه سلاح، وهو معه السيف وسقط منه.

فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ ﴾[المائدة:١١]؛ فأنزل الله هذه الآية الكريمة يمُنّ فيها على المؤمنين أنه كفّ عنهم يد عدوهم، وكانوا قد همّوا أن يقاتلوا المسلمين فكفّ الله ﷻ أذاهم عن المسلمين.

وكانت غيبة رسول الله ﷺ إحدى عشرة ليلة أو أكثر.

الغزوة التاسعة من غزوات رسول الله ﷺ: غزوة بحران، يقال لها غزوة: بَحران، أو بُحران، بفتح الباء أو بضمها.

ويقال لها أيضًا: غزوة بني سليم، المنطقة التي وقعت فيها الغزوة اسمها بَحران أو بُحران، بفتح الباء أو ضمها. والقبيلة التي تسكن تلك المنطقة: هم قبائل بني سُليم.

خرج النبي ﷺ لست خلون من جمادى الأولى من السنة الثالثة للهجرة النبوية. وخرج في ثلاثمائة رجل لجمْع من بني سُليم؛ فقد جاءت الأخبار إلى النبي ﷺ أن بني سُليم قد تجمعوا يريدون مهاجمة المسلمين.

فعزم الرسول ﷺ على أن يسبق إلى قتالهم بدل أن ينتظر مجيئهم لمهاجمة المسلمين.

وكان النبي ﷺ له عيون يأتونه بالأخبار، من القبائل التي حوله، فأي تحركات لغزو مدينة الرسول ﷺ كانت تصل إلى النبي ﷺ، فجاءته الأخبار أن بني سليم يريدون يريدون مهاجمة المدينة، فخرج النبي ﷺ لقتالهم في ثلاثمائة رجل.

واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

فوجدهم تفرقوا فرجع ولم يلق كيدًا، وغاب عشر ليالٍ.

كانت هذه الغزوة التاسعة من غزوات المصطفى عليه الصلاة والسلام.

الغزوة العاشرة هي غزوة أُحد.

وغزوة أُحد فيها الكثير من الأحداث، وهي من الغزوات الكبيرة من غزوات المصطفى ﷺ التي وقع فيها قتال بين المسلمين والمشركين، وقُتل من المسلمين عدد كبير كما سيأتي إن شاء الله، وفيها كثير من العِبر والدروس.

قال الناظم رحمه الله:

٤- فَأُحُــدٌ بَعْدُ، فَحَمْرَاءُ الأَسَــدْ ثُــمَّ بَنُو النَّضِــيْرِ، ثُــمَّ فِي الْعَدَدْ:

هنا يتكلم عن غزوة أُحد، وهي الغزوة العاشرة من غزوات رسول الله ﷺ.

وسبب هذه الغزوة: أنه لما انهزم المشركون في غزوة بدر ونجا أبو سفيان بالعير، مشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية- وهؤلاء مجموعة من زعماء قريش أُصيب آباؤهم وأبناؤهم في غزوة بدر- إلى أبي سفيان قبل أن يوزع أموال القافلة، وقالوا: إن محمدًا ﷺ وَتَرَكم وقتل خياركم؛ فأعينونا بالمال على حربه لعلنا نُدرك ثأرنا، وكانت العير موقوفة بدار الندوة، وكانت ألف بعير؛ العير هذه كانت ألف بعير.

فوافق أبو سفيان، وبهذه الإبل جهزوا جيشًا لقتال رسول الله ﷺ بغرض الثأر والانتقام ممَّنْ قُتِل من ساداتهم وأقاربهم في غزوة بدر.

واجتمعت قريش ومَنْ أطاعها من القبائل من كنانة وأهل تِهامة، الذين حالفوهم وخرجوا معهم؛ لقتال رسول الله ﷺ في تلك الغزوة.

ومن أحداث هذه الغزوة: أن جُبير بن مُطعِم بن عدي -وكان مشركًا إلى هذا الوقت- أراد أن يثأر لعمه طُعيمة بن عدي، وكان قد قتله حمزة في غزوة بدر

فقال لغلامه وحشي: إن قتلت حمزة عم مُحمد بعمي طُعيمة فأنت عتيق.

وكانت هند بنت عتبة، تشجعه على هذا وتحرضه على قتْل حمزة، لما علمت أن جبيرًا وعده بالإعتاق إذا قتل حمزة، وكانت تريد الثأر لأبيها، وأخيها، وعمها الذين قتلوا في غزوة بدر.

فخرج جيش قريش حتى نزلوا بمنطقة يقال لها عينين- جبل مقابل المدينة - فسمع بهم المصطفى ﷺ وكان النبي ﷺ قد رأى رؤيا - ورؤيا الأنبياء حق- فقصّ النبي ﷺ الرؤيا على أصحابه وأوّلها، فقال ﷺ: «**إني رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تُذبَح**» النبي ﷺ رأى في الرؤيا قال: «رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا تُذبَح».

«ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا» في طرف السيف رأى فيه ثلمًا، يعني كسرًا أو شقًّا

«فأما البقر فناس من أصحابي يُقتَلون» وفي بعض روايات الحديث قال: «رأيت بقرًا والبقر خير» يعني النبي ﷺ أوّل البقر على أنه خير، ناس من أصحاب النبي ﷺ من أهل الخير ، فهذا معناه أن ناسًا من أهل الخير يُقتَلون.

«وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يُقتَل»، «ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة»

فأوّلتها: المدينة.

قال: «فإن رأيتم أن تقيموا بها وتدعوهم حيث نزلوا» «فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام»

«وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها» إذا أرادوا أن يهجموا على مدينتنا نكون مستعدين ونقاتلهم في المدينة.

وكان المصطفى ﷺ يكره الخروج، وكان رأيه أن يقاتل المسلمون داخل المدينة، حتى يشارك الجميع في القتال، حتى النساء والأطفال يشاركون من فوق أسطح البيوت،

وكان النبي ﷺ يرى أن هذا أقوى للمسلمين وأشد بأسًا على عدوهم، والمسلمون كان عندهم في المدينة طعامهم وشرابهم، عندهم عيون الماء والآبار، وعندهم ما يكفي من الزاد وليس عليهم ضرر من بقاء المشركين خارج المدينة.

فكان هذا رأي رسول الله ﷺ.

وعبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين كان رأيه يوافق رأي رسول الله ﷺ، فقال رجال من المسلمين: اخرِج بنا إلى أعدائنا لا يرونا أنّا جبُنّا؛ وهؤلاء كانوا من شباب الصحابة ﷺ، وخاصةً الذين لم يخرجوا في غزوة بدر، وحُرموا المشاركة في هذا الخير، فهؤلاء فكانوا يتشوقون للخروج لمقاتلة الأعداء.

وقال عبد الله بن أُبيّ بن سلول -المنافق- قال: لا تخرج، فما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منّا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه.

فلم يزل برسول الله ﷺ مَنْ أحب لقاء العدو؛ يرون الخروج وطلبوا من النبي ﷺ الخروج لقتال الأعداء، رغم أن رأي النبي ﷺ البقاء، وهذا درس عملي في الشورى يعلمه النبي ﷺ، لأمته، رغم أن رأي النبي ﷺ كان المُكث في المدينة، لكن المسألة لم يكن فيها وحي من الله ﷻ يُلزِم بشيء، بل كانت المسألة من باب المشورة والاجتهاد، فالنبي ﷺ كان يرى بحكمته ﷺ أن الأصلح للمسلمين البقاء في المدينة، ولكن الغالبية كانوا يرون الخروج، فالنبي ﷺ نزل على رأي الأغلبية.

فدخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمته بعد صلاة الجمعة، يعني لبس عُدة الحرب ﷺ وظاهر بين درعين، أي: لبس درعًا فوق درع- وهذا أيضًا تعليم لأمته أن يأخذوا بالأسباب- ليكون أكثر منعة من ضربات الأعداء ومن أذاهم.

ولبس مغفرًا ﷺ في رأسه- خوذة من الحديد تُلبَس على الرأس- واستعد وجهّز

سلاحه ﷺ وخرج ومعه السلاح، وقد لبس عُدة الحرب.

ففي تلك الأثناء لما دخل النبي ﷺ يلبس عُدة الحرب نِدم الناس، وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ، جعلناه يعدل عن رأيه، وما كان ينبغي أن نشير عليه بما يخالف رأيه، فلما خرج النبي ﷺ قالوا: استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد، فقال ﷺ: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل» فخرج رسول الله ﷺ ومعه ألف مقاتل ﷺ حتى إذا كانوا بين المدينة وأُحد تحرك عبد الله بن أُبي يُنكِّثُ الناس. بدأ هنا دور المنافقين في التخذيل وتفريق صف المؤمنين.

فجعل يقول: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ وظل يُثبّط الناس حتى رجع بمَنْ تبعه من أهل النفاق وكانوا نحو ثلث الجيش، ولم يُثنِ ذلك النبي ﷺ، ولم يُضعِف عزيمة المؤمنين؛ بل كان تطهيرًا لصفهم، فهذه رحمة من الله ﷻ أن هؤلاء الذين تقاعسوا تراجعوا في بداية الطريق بدلًا من أن تحصل هذه الهزيمة أثناء المواجهة مع الأعداء.

ومضى رسول الله ﷺ في طريقه، وكان معه سبعمائة مقاتل هم الذين بقوا مع رسول الله ﷺ.

ومن الأحداث التي حصلت في هذه الغزوة: أن المسلمين لم يكن معهم سوى فرسين: فرس رسول الله ﷺ، وفرس لأبي بُردة رضي الله عنه.

فكان أن فرس أبي بردة ضرب بذنَبه فأصاب غمد سيف أبي بُردة، فألقى بالغمد بعيدًا، وأصبح السيف مسلولًا، وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ويكره الطيّرة، فتفاءل النبي ﷺ بهذا وقال: «يا صاحب السيف شِمْ سيفك، فإني أرى السيوف ستُسل اليوم» شِم سيفك: أغمده، تفاءل النبي ﷺ من هذا الموقف، أن سيوف المسلمين ستُسل، وأن

هذه الغزوة سيحصل فيها قتال؛ لأن بعض الغزوات ما حصل فيها قتال بين المسلمين وأعدائهم.

ثم قال النبي ﷺ: «مَنْ رجل يخرج بنا على القوم عن كثب لا يمر عليهم» يعني يخرج بنا من قرب بدون أن يمر عليهم؟

قال أبو خيثمة رضي الله عنه: أنا، فنفذ به في حرة بني حارثة حتى نزل الشِّعب من أُحد، فسلك بالنبي ﷺ طريقًا حتى صاروا في شِعب بين جبلين، في موطن المعركة بدون أن يراهم أعداؤهم.

وقال النبي ﷺ: «لا يقاتل أحد حتى آمره بالقتال»، وتعبأ النبي ﷺ للقتال، ومعه سبعمائة مقاتل كما ذكرنا، واختار النبي ﷺ خمسين راميًا من الماهرين في الرماية، وأمّر عليهم عبد الله بن جُبير رضي الله عنه، وكان عبد الله بن جُبير مُعلّمًا بثياب بيض، عليه ثياب بيض مميزة، يُعرَف بها، ومعه خمسون راميًا.

وقال له النبي ﷺ: «انضح الخيل عنّا لا يأتوننا من خلف، إن كان لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نُؤتى من قِبَلك» فالنبي ﷺ أمر الرماة أن يثبتوا مكانهم، وألا ينزلوا مهما حصل، سواء انتصر المسلمون أو انهزموا، ولا ينزلوا حتى يأتيهم الإذن بالنزول.

و كانت مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ من أسباب الهزيمة في هذه الغزوة، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:١٥٢] وسورة آل عمران فيها عِبَر غزوة أُحد؛ فالنصف الثاني من السورة كله يتعلق بأحداث غزوة أُحد وما فيها من العِبَر والعظات.

هؤلاء الرماة كما ذكرنا كانوا خمسين راميًا والنبي ﷺ أمرهم أن يمكثوا مكانهم.

ودفع النبي ﷺ اللواء إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه، وكان لواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر أو سعد بن عُبادة، وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين، السعدان هما: سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنهما وكانا يتنافسان في الخير، وبينهما منافسة في أبواب الخير وفي البطولة والتضحية في سبيل الله سبحانه وتعالى فالسعدان يخرجا يعدوان أمام النبي ﷺ دارعين.

وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، معهم مائتا فرس، فهناك فرق كبير في العتاد بين المسلمين وأعدائهم، ودائمًا في عامة غزوات المسلمين ومعاركهم كان الأعداء عُدتهم أضعاف عُدة المسلمين، لكن الله جل وعلا ينصر المسلمين ويؤديهم بمَدد من عنده.

فالمشركون كان عددهم ثلاثة آلاف وعدد المسلمين كان سبعمائة فقط، والمسلمون معهم فرَسَان، والمشركون معهم مائتا فرس، وعلى ميمنة خيلهم خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل، وعلى القلب صفوان بن أمية أو عمرو بن العاص، وهذا تقسيم جيش المشركين، وكان قائد الرماة في جيش المشركين هو عبد الله بن ربيعة.

وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يُحرّضهم: إنكم قد وليتم يوم بدر، فأصابنا ما رأيتم، وإنما يُؤتَى الناس من قِبَل راياتهم، فاقتتلوا حتى حميت الحرب.

ومن المواقف العظيمة البطولية في هذه الغزوة: قصة أبي دجانة رضي الله عنه: وذلك أن النبي ﷺ أمسك بسيف من عنده ﷺ وقال: «مَنْ يأخذه بحقه؟»

فقام إليه رجال منهم الزبير رضي الله عنه، ومجموعة من خيار الصحابة كل منهم يقول: أنا يا رسول الله.

فقام أبو دجانة رضي الله عنه فقال: ما حقه؟ قال: «أن يضرب به حتى ينحني» ووَرَد أن أبا

دجانة فلق به هام المشركين حتى انثنى على عظامهم من كثرة الضرب ﵁.

فالنبي ﷺ أعطاه إياه مع وجود أكثر من واحد كانوا يتنافسون عليه، لكن النبي ﷺ اختار أبا دجانة خاصةً؛ لأنه هو الذي سأل عن حقه وأراد أن يعرف حقه، والباقون كانوا متحمسين لأخذه وما سألوا ما هو حقه.

قال: أنا، فأعطاه إياه، قال الزبير: وجدت في نفسي حين منعني وأعطاه إياه، فقلتُ: لأنظرن ما يصنع.

قال: فتبعته، فأخرج عصابة حمراء فعصب رأسه، والعصابة: هي العمامة، عمامة حمراء فلفّها على رأسه، فعصب رأسه، وفي الرواية الأخرى: أنه أخذ السيف وجعل يختال به بين الصفين، يعني بين المسلمين والمشركين، فقال النبي ﷺ: «إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في هذا الموضع».

فعصب أبو دجانة رأسه ﵁ بالعصابة الحمراء، فقال الأنصار: أخرج عصابة الموت، فخرج أبو دجانة ﵁ وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول ... أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفّف عليه،

فجعل كل منهما يدنو لصاحبه فالتقيا فاختلفا ضربتين فضربه أبو دجانة فقتله،ثم أمعن أبو دجانة في هدّ الصفوف، حتى خلص إلى قائدة نسوة قريش، وهو لا يدري بها. قال أبو دجانة: رأيت إنسانًا يخمش الناس خمشًا شديدًا فصمدت له، فلما حملت عليه

السيف ولْوَلَ، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وكانت تلك المرأة هي هند بنت عتبة. قال الزبير بن العوام رأيت أبا دجانة قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله ورسوله أعلم

ومن أبرز أحداث هذه الغزوة:قصة مقتل حمزة رضي الله عنه:

وقد قاتل حمزة رضي الله عنه حتى قتل أحد الذين يحملون لواء جيش المشركين. وقد أورد البخاري في صحيحه قصة مقتل حمزة بتمامها،**فعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ، قَالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ، نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ، فَقِيلَ لَنَا: هُوَ ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ، كَأَنَّهُ حَمِيتٌ، قَالَ: فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: وَعُبَيْدُ اللهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ، مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: لاَ وَاللهِ، إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي العِيصِ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلاَمًا بِمَكَّةَ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ، فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الغُلاَمَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ، قَالَ: فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللهِ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلاَيَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ، خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى القِتَالِ، فَلَمَّا أَنِ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ، خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ قَالَ: فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا سِبَاعُ، يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ، أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ قَالَ: ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ، فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، قَالَ: وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى**

خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ، قَالَ: فَكَانَ ذَاكَ العَهْدَ بِهِ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ، فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولًا، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: «آنْتَ وَحْشِيٌّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟» قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟» قَالَ: فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ، قُلْتُ: لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الفَضْلِ: فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، يَقُولُ: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ! قَتَلَهُ العَبْدُ الأَسْوَدُ[١]

وفي هذه الغزوة: قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، و كان حامل اللواء، وضربه المشركون فقطعوا يده اليمنى ثم اليسرى، وحمل اللواء بعضديه حتى جاء رجل من المسلمين فحمله عنه.

وأعطى النبي ﷺ اللواء عليًّا رضي الله عنه، بعد مقتل مصعب حمل اللواء علي رضي الله عنه.

ثم بعد ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى نصْره على المسلمين، وقاتل المسلمون المشركين قتالًا شديدًا، وكانت خيل المشركين قد حملت ثلاث مرات على المسلمين، كل ذلك تُنضَح بالنبل فترجع مغلولةً؛ لأن الرماة كانوا فوق الجبل، وكلما همّت خيل المشركين بمهاجمة المسلمين ضربوهم بالنبل حتى تراجعت الخيل.

---

[١] صحيح البخاري ٤٠٧٢.

ومن أحداث هذه الغزوة: قصة مقتل حنظلة ﷺ، وذلك أنه كان قد خرج جُنُبًا حين سمع الهيعة، فرأى المصطفى ﷺ الملائكة تُغسّله؛ فكان يقال له: حنظلة الغسيل؛ لأنه غسّلته الملائكة.

كان ﷺ تزوج حديثًا ﷺ قبيل غزوة أُحد، وكان دخل بامرأته، وسمع الهيعة وهي: قول: حي على الجهاد، فسمع الهيعة أو الهائعة فخرج وما كان عنده وقت ليغتسل، لبس عُدة الحرب وخرج للقتال، فيقول النبي ﷺ: «رأيت الملائكة تغسله» يعني استُشهد ﷺ في المعركة، ورأى النبي ﷺ الملائكة تُغسله ﷺ فلُقّب بغسيل الملائكة ﷺ.

قلنا: إن خيل المشركين حاولت مهاجمة المسلمين ثلاث مرات، ويرميها الرماة بالنبل فترجع مغلولة.

وكانت الهزيمة للمشركين لا شك فيها، فلما أبصر الرماة ذلك، قالوا: ما نجلس هنا لشيء وقد أهلك الله العدو، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله ﷺ، وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول ﷺ، وهذا الذي في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ﴾[آل عمران:١٥٢] والتنازع: أنهم صاروا فريقين: فريق يقول ننزل، وفريق يقول: إن رسول الله ﷺ عهِد إلينا ألا نتحرك من مكاننا حتى يأذن لنا، وكان الأكثرية يقولون: طالما انهزم المشركون فما الذي يبقينا هنا؟ وكانت أرض المعركة فيها غنائم والمسلمون يجمعون الغنائم مما تركه المشركون في أرض المعركة من أموالهم، وسلاحهم، وأمتعتهم، فقالوا: ننزل نشارك في جمْع هذه الغنائم.

ورأى الزبير ﷺ هند بنت عتبة وصواحبها منكشفات هوارب، وقد بدت سوقهن، وهن هاربات، ما دون أخذهن قليل ولا كثير، أي: لو أراد المسلمون أخْذ هؤلاء النساء،

لكان ذلك في غاية اليسر.

قال: إلى أن مالت الرماة على العسكر وخلّوا ظهورنا للخيل فأُتينا من خلفنا. فالذي حصل أن الرماة في تلك الأثناء نزلوا عن جبل الرماة فخلّوا ظهورهم للخيل.

وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قُتِل، وهذه كانت شائعة أُشيعت في أرض المعركة، وهذا قوله ﷻ يُعلّم المؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾[آل عمران:١٤٤] فنزلت في شأن هذه الشائعة التي أُشيعت في غزوة أُحد.

قال: فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء فانكشف المسلمون وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله مَنْ أكرم فيه بالشهادة؛ ففي تلك الأثناء لما أُشيع أن النبي ﷺ قد قُتِل، جلس كثير من المسلمين يبكون، حتى ثبّتهم بعض الصحابة، وقالوا: لئن كان محمد ﷺ قد قُتِل، فقوموا، وموتوا على ما مات عليه- عليه الصلاة والسلام-، ما الذي يُقعدكم ويجعلكم تتقاعسون عن مقاتلة عدوكم.

وخلص العدو إلى رسول الله ﷺ، فقُذِف بالحجارة ﷺ حتى وقع لشقه، فأُصيبت رباعيته، الرباعيات هي الأسنان التي بعد الثنايا، فكُسِرت رباعية رسول الله ﷺ، وكُلمَت شفته، وشُجّ في وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام أصابه كَلْم في شفته، وأصابه شجّ يعني جُرح في وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام.

فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه، ويقول: «كيف يُفلِح قوم خضبوا وجه نبيّهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾[آل عمران:١٢٨]..

قال: والذي كسر رباعيته وشج وجهه ﷺ هو عتبة بن أبي وقاص.

قال: وشجّه عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته ﷺ وجرح ابن قمئة وجنته ﷺ وإصابة أخرى أُصيب بها النبي ﷺ في وجنتيه الشريفتين، الوجنتان: هما الصدغان في جانبي الوجه.

ودخلت حلقتان من المغفر فيهما، والمغفر هو اللباس مثل الطاقية من الحديد، لها حلقات، فدخلت حلقتان من حلقات المغفر انغرستا في وجنتي رسول الله ﷺ.

ووقع في حُفَر القوم التي عملها أبو عامر الراهب، وكان النبي ﷺ يسميه: أبا عامر الفاسق، وهذا الرجل كان حفر حُفرًا في أرض المعركة، وسترها بالشجر والتراب بحيث لا يراها المسلمون، فصار بعض المسلمين وهو في المعركة يدوس على الشجر والورق فيسقط في الحفرة، وسقط النبي ﷺ في إحدى هذه الحفر التي حفرها أبو عامر.

فأخذ علي بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة، حتى استوى قائمًا، ومصّ مالك والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الدم من وجه رسول الله ﷺ.

ثم ازدرده، يعني ابتلعه، شرب دم رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «مَنْ مس دمه دمي لم تصبه النار، ومَنْ أحبّ أن ينظر إلى شهيد يمشي فلينظر إلى طلحة»؛ وهذا من خصائص رسول الله ﷺ لما جعل الله ﷻ من البركة في آثار رسول الله ﷺ.

فالأصل أن شرب الدم مُحرَّم، لكن دم رسول الله ﷺ هنا له هذه الخصوصية.

ونزع أبو عبيدة رضي الله عنه إحدى الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى فسقطت الأخرى، وهذا من النماذج العالية لمحبة الصحابة لرسول الله ﷺ وتضحيتهم في الدفاع عن رسول الله ﷺ.

ففقَد ثنيتيه رضي الله عنه -والثنايا: هي الأسنان الأمامية- وهو ينزع حلقتي المغفر من رسول

الله ﷺ. قالوا: فكان أحسن الناس هتمًا، والأهتم: هو الذي ليس له ثنايا، فكان أحسن الناس هتمًا رضي الله عنه، فهتمه هذا يُذَكِّر بتضحية وبذْل في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: ما حرصت على قتْل رجل كحرصي على قتْل عتبة أخي.

وقال المصطفى ﷺ: «اشتد غضب الله على مَنْ أدمى وجه رسول الله ﷺ».

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم؛ وأحاطوا به: «مَنْ رجل يشتري لنا نفسه؟»، لما أحاط المشركون برسول الله ﷺ، وكان الصحابة في تلك اللحظة قِلّة حول رسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ يشتري لنا نفسه؟» يعني يبيعها لله جل وعلا يشتري بها الجنة، يبيعها لله تعالى.

فقام زياد أو عمارة بن السكن رضي الله عنه في خمسة من الأنصار فقاتلوا دونه حتى قُتلوا رجلًا رجلًا رضي الله عنهم.

فجاءت فئة من المسلمين فأزالوهم، في تلك الأثناء إلى أن قُتِل هؤلاء الخمسة كان المسلمون قد رجعوا وأحاطوا برسول الله ﷺ وبدؤوا يدفعون عنه المشركين.

فقال رسول الله ﷺ: «أَدنوه مني» فأدنوه من رسول الله ﷺ، يعني: عمارة بن السكن رضي الله عنه، فأدناه النبي ﷺ منه وهو شهيد رضي الله عنه، وخده على قدم رسول الله ﷺ.

وقاتلت أم عمارة يومئذٍ عن رسول الله ﷺ.

وترّس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره؛ يعني: صار مثل الترس للنبي ﷺ، الترس هو قطعة عريضة من خشب أو حديد يُتوقّى بها ضربات الأعداء.

فصار أبو دجانة مثل الترس يعني جعل وجهه لرسول الله ﷺ وظهره للأعداء، يتلقى

ضربات الأعداء حتى لا تصيب رسول الله ﷺ، وهو منحنٍ عليه يقع النبل في ظهره، وهو مستبسل في الدفاع عن رسول الله عليه السلام.

ورمى سعد دون رسول الله ﷺ وهو يناوله النبل، وهو يقول: «ارمِ فداك أبي وأمي» النبي ﷺ يقول: ارمِ سعد فداك أبي وأمي، ففدّى رسول الله ﷺ سعدًا بأبويه، فيرمي سعد، فهذه من مناقب سعد أن رسول الله ﷺ فدّاه بأبويه وجعل يناوله النبل.

ومن أحداث هذه الغزوة أيضًا: أنه أُصيبت عين قتادة بن النعمان رضي الله عنه.

فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه؛ و هذا من معجزات رسول الله ﷺ، فأخذها رسول الله ﷺ وردّها في مكانها فكانت أحسن عينيه، يعني ما رمدت، ولا أصابها شيءٌ حتى مات رضي الله عنه، وكانت أحدّ عينيه بصرًا.

ورمى أبو رِهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم، فوقع في نحره، فجاء رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ، وشُفي.

وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا ما بأيديهم فقالوا: ما يُجلِسكم؟ قالوا: قُتِل محمد ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل فوجدوا به بضعًا وثمانين جراحةً رضي الله عنه، وكان أنس بن النضر قد غاب عن بدر فقال: إن أشهدني الله قتالًا ليرين كيف أصنع.

فلما انكشف المسلمون قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء؛ يعني المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين.

فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة، واهًا

لريحها؛ هذا أنس بن النضر ﵁. قال: وكان أوّل مَنْ عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، والحديث عن قتله كعب بن مالك ﵁. قال: عرفت عينيه تُزهران تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا! هذا رسول الله، قال: فأشار إليّ، أي: أشار إليه النبي ﷺ يُسَكّته؛ خشية أن يسمع المشركون.

فلما عرفه المسلمون نهضوا به، وتوجهوا نحو الشِّعب.

ومعه أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، والحارث بن الصّمة ﵃ ورهط من المسلمين الذين كانوا حول رسول الله ﷺ في تلك اللحظة.

فلما دخل النبي ﷺ ومَنْ معه في الشِّعب، أدركه أُبيّ بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. فقال النبي ﷺ: دعوه.

فلما دنا تناول رسول الله ﷺ حربة من الحارث بن الصِّمة ﵁ وانتفض بها انتفاضة، يعني: حرّكها بقوة، وحملها بقوة ﵇.

وطعنه في عنقه طعنةً تدلى منها عن فرسه مرارًا فرجع وقد احتقن الدم في عنقه، لكن لم يَسِل، ما نزف ولكن أصابه احتقان دم في عنقه.

فقال: قتلني محمد! فقالوا: ذهب والله فؤادك، إنه ليس بك بأس.

قال: قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فلو بصق عليّ لقتلني. فكانوا يعرفون أنه الصادق ﵇ وإذا وعد بشيء وفى به ﵇.

قال: فمات بِسَرِف- اسم منطقة بين مكة والمدينة- وهم قافلون.

وقال النبي ﵇: «اشتد غضب الله على رجل قتل نبيًّا أو قتله نبي»، فهذا شر الناس: الذي يقتل نبيًّا والذي يقتله نبي.

في تلك الأثناء جاء علي ﷺ بماء إلى النبي ﷺ فغسل به ما أصابه من الجراح ﷺ.

و علت عالية من قريش الجبل، فقال النبي ﷺ: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا».

فقاتل عمر ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض النبي ﷺ إلى صخرة فكانت عالية تحتاج إلى مساعدة في صعودها، فجلس تحته طلحة ﷺ حتى صعد النبي ﷺ واستوى عليها، وقال ﷺ: «أوجب طلحة».

وصلى النبي ﷺ الظهر قاعدًا من الجراح والمسلمون خلفه قعودًا.

ومن أحداث غزوة أُحد: قصة مُخيريق وهو من أحبار اليهود، وقد قال لليهود: قد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق،يعني: أنتم عاهدتم محمدًا ﷺ أن تنصروه وتُعينوه على عدوه. فتعللوا عليه بأنه يوم السبت، فقال لهم: لا سبت لكم، وأخذ سيفه وعُدته فلحق بالنبي ﷺ، وهو لا يزال على يهوديته، وقاتل حتى قُتِل بعد أن قال: إن أُصبت فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما شاء. وذهب وقاتل مشركي قريش حتى قُتِل، فقال النبي ﷺ: «مخيريق خير يهود» يعني هذا أحسن واحد في اليهود.

من أحداث غزوة أُحد أيضًا: أن رجلًا من المنافقين يقال له: الحارث بن سويد، كان منافقًا فلما التقى المسلمون والكفار، غدر برجل من المسلمين، ثم غدر برجل آخر، ثم فرّ إلى الكفار، وهرب معهم، ثم رجع إلى قومه بالمدينة سرًّا يعني خُفية، فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره بقدومه فأرسل النبي ﷺ بعض أصحابه فأدركوه وقتلوه.

و من الأحداث التي وقعت في غزوة أُحد: أن هندًا بنت عتبة مثّلت بالقتلى، واتخذت من أنوفهم وآذانهم قلائد.

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف صعد صخرة، ثم صرخ بأعلى صوته فقال: إن

الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعْلُ هبل، فطلب النبي ﷺ من عمر أن يجيبه، فقال له: قل له: الله أعلى وأجَلّ، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وجاء في صحيح البخاري أن أبا سفيان قال: لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال النبي ﷺ «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».

فقال: أفي القوم محمد؟

فقال ﷺ: «لا تجيبوه».. النبي ﷺ قال: لا تجيبوه.

فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم عمر بن الخطاب؟ فقال النبي ﷺ: لا تجيبوه.

فقال: إن هؤلاء قُتلوا؛ لو كانوا أحياء لأجابوا.

فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، قد أبقى الله لك ما يُخزيك.

قال: هلمّ يا عمر، فقال المصطفى ﷺ: ائته فانظر ما شأنه؟

فجاءه فقال: أنشدك الله، أقتلنا محمدًا؟ قال: اللهم لا، والله إنه ليسمع كلامك.

قال: أنت أصدق من ابن قمئة، وابن قمئة هذا الذي جرح النبي ﷺ، وهو الذي قال: قتلت محمدًا.

ثم قال أبو سفيان: إنه كان في قتلاكم مُثلة، والمثلة: هي تشويه جثث القتلى.

قال: كان في قتلاكم مُثلة، والله ما رضيتُ وما سخطتُ وما أمرتُ وما نهيتُ، وفي رواية أنه قال: لم آمر بها ولم تسؤني.

قال: وموعدكم بدر العام القادم، ولذلك سيأتينا -إن شاء الله غزوة بدر الموعد، هو

يريد أن يكون لهم نصر على المسلمين في بدر حتى يُنسي هزيمتهم في بدر.

فقال المصطفى ﷺ: قولوا: نعم.

فبعث النبي ﷺ عليًّا فقال: اخرج في آثارهم فانظر ما يصنعون، فإن كانوا جنّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة.

فذهب علي رضي الله عنه فرآهم قد جنّبوا الخيل وتوجّهوا إلى مكة.

وفزع الناس لقتلاهم، فلم يترك المشركون قتيلًا إلا ومثّلوا به، إلا حنظلة؛ فإن أباه كان مع الكفار، فمجاملةً لأبيه لم يُمثّلوا به، لكن بقية قتلى المسلمين من الصحابة رضي الله عنهم مثّلوا بجثثهم.

فقال المصطفى ﷺ: «مَنْ رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع، في الأحياء أم في الأموات؟» فقال رجل أنصاري: أنا.

فوجده جريحًا في القتلى به رمق، فقال: أبلِغ رسول الله مني السلام، وقل له: يقول لك سعد: جزاك الله عنّا خيرًا. قال: وأبلِغ قومك السلام، وقل لهم: يقول لكم سعد: لا عُذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف. ثم مات رضي الله عنه.

وخرج المصطفى ﷺ يلتمس حمزة رضي الله عنه، فوجده وقد بُقِر بطنه عن كبده، وكانت هند أكلتها فلم تُسغها.

ومُثّل به وقد قُطِع أنفه وقُطِعت أذناه رضي الله عنه، فحزن النبي ﷺ وقال: لئن أظهرني الله على قريش لأُمَثِّلنّ بسبعين منهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾[النحل:١٢٦] فعفا وصبَر وكفّر عن يمينه عليه الصلاة والسلام ونهى النبي ﷺ عن التمثيل

بالكفار، حتى لو مثّلوا بالمسلمين فنهانا النبي ﷺ عن التمثيل بهم.

وقال ﷺ حين وقف على حمزة: «رحمة الله عليك، قد كنت علمتك فعولًا للخير، وصولًا للرحم» ثم أمر به فسُجّي ببُردة رضي الله عنه. فكانت هذه أبرز أحداث غزوة أُحد.

وفي غزوة أُحد أكرم الله جل وعلا مَنْ أراد كرامته بالشهادة، ونزل من القرآن في شأن غزوة أُحد ستون آية من سورة آل عمران فكما ذكرنا: سورة آل عمران نصفها الأول في شأن وفد نصارى نجران، والنصف الثاني من سورة آل عمران في شأن غزوة أُحد وأحداث هذه الغزوة.

واستُشهد يومئذٍ من المسلمين خمسة وستون رجلًا: أربعة من المهاجرين، وباقيهم من الأنصار رضي الله عنهم.

وقُتِل من الكفار اثنان وعشرون رجلًا، لكن الإمام الحافظ بن كثير -رحمه الله- يقول: إن هذه الرواية قليلة في عدد قتلى المشركين، فقال: الذين قُتلوا من المشركين أكثر، فلعل هؤلاء هم الذين تم إحصاؤهم أو معرفة أسمائهم من قتلى المشركين، لكن قتلى المشركين لا بد وأن يكونوا أكثر من ذلك.

قال: فإن حمزة لم يُقتَل حتى قتل واحدًا وثلاثين، وأبو دجانة رضي الله عنه لما أعطاه النبي ﷺ وعاهد النبي ﷺ أن يقاتل به حتى ينثني، جعل يضرب به هام المشركين.

فأبو دجانة، وعلي بن طالب، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصِّمة كل واحد من هؤلاء قتل عددًا من المشركين.

قال: ورمى طلحة وسعد بين يديه فما سقط لهما سهم إلا أصاب كافرًا.

قال: وأنس بن النضر وسعد بن الربيع لم يُقتلا حتى قتلا خلْقًا، فربك أعلم بعددهم.

الغزوة الحادية عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة حمراء الأسد، وحمراء الأسد هذا اسم مكان على بُعد ثمانية أميال من المدينة.

وسبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان ومَنْ معه بعد أن رجعوا عائدين إلى مكة أخذ بعضهم يلوم بعضًا، ويقولون: كيف نرجع ونحن قتلنا عددًا كبيرًا من المسلمين، والمسلمون الآن في موقف ضعف، فكيف نرجع إلى مكة بدون أن نستأصل المسلمين ونقضي عليهم مرة واحدة، فعزموا على الرجوع مرة أخرى، بعد أن ساروا مسافة في الطريق راجعين إلى مكة، وقالوا: نغتنم الآن فرصة كون المسلمين في ضعف وجراح وقتلى ونرجع نهجم عليهم مرة أخرى ونقضي عليهم.

فخرج النبي ﷺ؛ ليخيفهم ويلاحقهم، فسار النبي ﷺ في غزوة حمراء الأسد ثاني يوم أُحد، ونادى مناديه بطلب العدو، وألا يخرج معنا أحد إلا مَنْ حضر يومنا بالأمس، لماذا؟

لأن المنافقين لما خرجوا مع النبي ﷺ في غزوة أحد رجعوا في منتصف الطريق، وكانوا ثلاثمائة من المنافقين، خذّلوا المسلمين وقالوا: لا قوة لكم، ولا طاقة لكم بأعدائكم، ورجع عبد الله بن أُبيّ بن سلول ومعه ثلاثمائة من المنافقين، فلذلك قال النبي ﷺ: «لا يخرج معنا أحد إلا الذين خرجوا معنا في الغزوة» أي: لا يخرج إلا الذين جُرّبوا من قبل وخرجوا وجاهدوا في سبيل الله.

وأذِن لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ﷺ فخرج؛ وهو الوحيد الذي شهد غزوة حمراء الأسد ولم يكن يشهد غزوة أُحد هو جابر بن عبد الله بن حرام؛ لأنه كان تخلّف عن أُحد لوصية أبيه له؛ فقد كان كلاهما يريد الخروج للقتال في غزوة أُحد، لكن أباه شدّد عليه في عدم الخروج -و كان جابر الابن الوحيد وله سبع أخوات بنات- فقال له:

أخواتك بنات صغار، ولا أريد أن أخرج أنا وأنت فنُقتَل، ونترك أخواتك ، فألحّ عليه أبوه أن يبقى، وخرج الأب فاستُشهد رضي الله عنه.

واستخلف النبي ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وسار النبي ﷺ حتى وصل حمراء الأسد.

ودفع لواءه وهو معقود لم يُحلّ إلى علي أو إلى أبي بكر رضي الله عنهما.

والحكمة من خروج النبي ﷺ، أن يظهر القوة ويرهب العدو، ولئلا يظنوا بالمسلمين الوهن، وأن هزيمة أُحد أضعفت قوة المسلمين.

فأقام النبي ﷺ في منطقة حمراء الأسد ثلاثة أيام. وكان يوقد كل ليلة خمسمائة نار حتى تُرَى من البُعد؛ إظهارًا لقوة المسلمين، حتى إذا رأى الناس من بعيد هذه النيران الكثيرة يقولون: هذا جيش ضخم فيلقي هذا الرعب في قلوب الأعداء.

ومر بالنبي ﷺ معبد بن أبي معبد الخزاعي رضي الله عنه، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نُصح رسول الله ﷺ؛ كان معبد مشركًا في ذلك الوقت، ثم أسلم فيما بعد، فقال للنبي ﷺ: يا محمد، قد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك ووددنا أن الله عافاك فيهم.

ثمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ حَتَّى لَقِيَ أَبَا سُفْيَانَ بْن حَرْبٍ وَمَنْ مَعَهُ بِالرَّوْحَاءِ، فقال له أبو سفيان: ما وراءك؟

قال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمْع لم أر مثله قط، يحترقون عليك تحرقًا. يعني: قلوبهم مليئة بالغيظ والرغبة في الانتقام منكم لما فعلتموه بهم.

قال: لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم؛ لنستأصل بقيتهم.

قال: فإني أنهاك، فلا أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل.

فثنى ذلك أبا سفيان عن الرجعة إلى المدينة، ورجع إلى مكة.

ومكث النبي ﷺ حتى رجع إلى المدينة يوم الجمعة.

الغزوة الثانية عشرة من غزوات المصطفى ﷺ: هي غزوة بني النضير، وكانت هذه الغزوة في شهر ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة النبوية.

وبداية أحداث هذه الغزوة: أن رجلًا من صحابة النبي ﷺ وهو عمرو بن أُمية الضمري رضي الله عنه كان الرسول ﷺ بعثه في سرية، فوجد رجلين من بني كلاب، وبنو كلاب هؤلاء ينتمون إلى بني عامر من قبائل العرب.

القصد أن هذين الرجلين كان بين قومهما وبين رسول الله ﷺ حرب، ولكنّ هذين الرجلين بالذات كان معهما أمان من رسول الله ﷺ أنه لا يعتدي عليهما أحد من المسلمين.

فقتل عمرو بن أُمية الضمري رضي الله عنه هذين الرجلين؛ يحسب أنهما من المحاربين، ثم اتضح أن بينهما وبين المسلمين أمانًا، فأراد النبي ﷺ أن يدفع الدية لقومهما، وكان من ضمن الوثيقة بين المسلمين واليهود الذين يقيمون في المدينة: أنهم إذا تحمّل المسلمون دية يشاركون في دفع هذه الدية ويتحملون شيئًا من العقل.

فذهب النبي ﷺ ومعه نفر من المهاجرين والأنصار إلى بني النضير؛ ليعينوه في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري.

فقالوا: اجلس يا محمد، حتى تطعم وترجع بحاجتك.

فجلس ﷺ وأصحابه إلى ظل جدار من بيوتهم، في تلك الأثناء تشاور اليهود فيما بينهم، قالوا: هذه فرصة لن تتكرر أن النبي ﷺ جاءكم إلى بيوتكم، وهو ما كان من عادته ﷺ أن يأتيهم في بيوتهم وفي أماكنهم، قالوا: نصعد إلى السطح ونلقي عليه حجر رحى وهو جالس فنقتله.

فابتدر عمرو بن جحاش؛ ليلقي الصخرة أو الرحى من أعلى الدار فنهاه ابن مشكم، وقال: إنه لنقض للعهد، لكنه أصرّ على ذلك.

المهم أن اليهود الذين حملوا الرحى يريدون إلقاءها على النبي ﷺ- كما ورد في الرواية- أمسك الله ﷻ أيديهم فعجزوا عن إلقائها، وجاء جبريل إلى النبي ﷺ يأمره أن يقوم من هذا المكان فورًا، وفي بعض الروايات: أن جبريل أقامه.

فاستبطأه أصحابه فقاموا في طلبه، فأخبرهم الخبر.

فكان هذا نقضًا للعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

فأرسل النبي ﷺ إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه يأمرهم بالخروج من جواره، فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويعدونهم النصر

وقالوا لهم: لئن أُخرِجتم لنخرجنّ معكم، ولئن قوتلتم لننصرنكم، والله يشهد إنهم لكاذبون، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحشر ١١:١٢].

هذه الآيات الكريمة نزلت في شأنهم، وسورة الحشر كلها نزلت في شأن بني النضير؛ ولذلك تسمى سورة (بني النضير).

فبعث اليهود إلى المصطفى ﷺ: أنهم لا يخرجون ولئن قاتلهم ليقاتلنّه، فأمر النبي ﷺ بالتأهب لحربهم، وإجلائهم من المدينة بالقوة.

واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة.

فذهب إليهم النبي ﷺ وعليّ يحمل رايته ﷺ.

فحاصرهم خمسة عشر يومًا. فتحصّنوا بالحصون، وأوصدوا عليهم أبواب الحصون،

فقطع نخيلهم وحرقها وخرّب بيوتهم، وأذِن الله ﷻ له في قطْع النخيل نكاية في الأعداء، فالمسلمون في حروبهم كانوا لا يقطعون الشجر إلا بغرض النكاية في الأعداء، إذا كان الأعداء يختبئون فيه أو يتزودون منه، ويتقوون به على المسلمين، فمعهم إذْن في قطعه لهذه المصلحة، من باب تعارض المصلحة- مصلحة القضاء على أعداء الإسلام، وإزالة تهديدهم على المسلمين- هذه أَوْلى من مصلحة إبقاء الشجر.

فقال الله ﷻ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الحشر:٥]؛ ما قطعتم من لينة يعني من شجرة.

فقطع النبي ﷺ نخيلهم وأحرقها-أحرق النخيل-، وخرّب بيوتهم حتى يستسلموا للمسلمين.

والمنافقون الذين أرسلوا إلى بني النضير يعدونهم بالقتال معهم كفّ الله ﷻ أيديهم وقذف في قلوبهم الرعب، وغدروا باليهود، وقت الجد، لا خرجوا معهم ولا نصروهم ولا أي شيء، وتركوهم للنبي ﷺ وجيشه.

ثم قذف الله ﷻ الرعب في قلوب اليهود، فسألوا الجلاء والكف عن الدماء؛ فبعد خمسة عشر يومًا من الحصار استسلموا وطلبوا من النبي ﷺ أن يأذن لهم في الجلاء وأن يَكُفّ عن دمائهم، قالوا: لا تقتلنا ولكن ائذن لنا أن نترك المدينة ونخرج ولا تقتلنا.

فأذن لهم الرسول ﷺ أن يغادروا المدينة ويحملون معهم ما شاءوا حمله على

الإبل، إلا السلاح.

فحملوا حتى كان الرجل يهدم بيته بيده فيأخذ بابه، فيضعه على ظهر بعيره؛ حتى لا ينتفع بها المسلمون.

فهذا قول الله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]

﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: ٣]

فخرجوا إلى خيبر ، وكان منهم سلّام بن أبي الحُقيق، وحُيي بن أخطب، هذان كانا من زعماء يهود بني النضير.

حُيي بن أخطب هذا كان واحدًا ممَّن حرّض على إلقاء الرحى على النبي ﷺ وهو جالس، وكان من زعماء اليهود، ثم لما ذهب إلى خيبر ظلّ يُؤلّب على قتال رسول الله ﷺ، وكان ممَّنْ حرّض أهل مكة لقتال النبي ﷺ في غزوة الأحزاب، وقد قتل حُيي بن أخطب في غزوة خيبر.

بعض يهود بني النضير ذهبوا إلى الشام، وتركوا مالهم لرسول الله ﷺ خاصةً، ولم يُسلِم منهم سوى يامين بن عُمير، وأبي سعد بن وهب، فأحرزا مالهما، يعني لم يأخذ النبي ﷺ من مالهما شيئًا.

فكان السلاح الذي غنمه النبي ﷺ: خمسين درعًا، وخمسين بيضةً، وثلاثمائة وأربعين سيفًا.

وخرجوا على ستمائة بعير.

بالنسبة للغنائم: النبي ﷺ كما ورد في بعض الروايات أنه خيّر الصحابة أن يقسمها

بين المهاجرين والأنصار جميعًا، أو أن يُعطي الغنائم للمهاجرين على شرط أن يُسدد منها المهاجرون ما عليهم من ديون للأنصار، فأذن الأنصار ﭬ للنبي ﷺ أن يقسم الغنائم على المهاجرين فقط.

وأعطى النبي ﷺ رجلين من الأنصار لفقرهما، وهما: سهل بن حنيف، وأبو دجانة، هذان من الأنصار وكانا فقيرين ﭭ فأعطاهما النبي ﷺ من الغنائم.

وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وسيفه هذا كان سيفًا له ذِكْر، يعني سيف مصنوع صنعة خاصة، وله مواصفات يُضرَب بها المثل في حُسْنه وجودة صنعته، وقوة هذا السيف، فأعطاه النبي ﷺ لسعد بن معاذ ﭬ.

بقية الأحداث: أن حيي بن أخطب زعيم يهود بني النضير ذهب إلى مكة يستنفرهم على رسول الله ﷺ.

فمن الحوادث التي وقعت: أن رجلًا من يهود بني قريظة-واسمه عمرو بن سُعدى القرظي- مرّ على ديار بني النضير وهي يباب خراب، ليس بها داعٍ ولا مجيب

فرجع إلى بني قريظة، فوجدهم بالكنيسة؛ الكنيسة هي دار عبادة اليهود، المقصود هنا معبد اليهود الذي يتعبدون فيه.

فنفخ في بوقهم؛ فأخذ البوق، وكانوا يستعملون البوق يجتمعون به للعبادة، فأخذ بوقهم فنفخ فيه.

فاجتمعوا، فقال له الزبير بن باطا- واحد من زعماء يهود بني قريظة-: أين كنت؟ وكان يعهده لا يفارق الكنيسة.

قال: رأيت اليوم عِبرًا اعتبرت بها.

رأيت منازل إخواننا خاليةً بعد ذلك العز والجَلَد، والشرف الفاضل، والعقل البارع، تركوا أموالهم وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذُل.

قال: والتوراة ما سلط الله هذا على قوم قط لله بهم حاجة.

وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف وببني قينقاع فأجلاهم، وكانوا أهل عُدة وسلاح.

يا قومي، قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبعه، فإنكم تعلمون أنه نبي، وبشّرنا به نبينا. فأُسكتوا فلم يتكلم منهم متكلم، وهو يعظهم.

فأعاد عليهم الكلام مرة أخرى، وخوّفهم بالحرب والجلاء، فقال كعب بن أسد: ما تطيب نفسي أن أصير تابعًا.

فهو لا يُنكر نبوة النبي ﷺ وأنه على حق، لكن يمنعه الكِبر من اتباع النبي ﷺ، لأنه لو اتبع النبي ﷺ صار تابعًا له وهو يريد أن يكون زعيمًا في قومه.

فأسلم عمرو بن سُعدة، أسلم هو وتركهم ولم يطيعوه.

الغزوة الثالثة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة ذات الرقاع.

والرقاع جمع رُقعة، وهناك عدة آراء في سبب تسمية هذه الغزوة بغزوة ذات الرقاع:

الرأي الأول: قالوا: لأن هناك جبلًا في منطقة الغزوة فيه بقع حُمر وبقع سُود، والبقعة يمكن أن يقال لها رقعة، فكأنه جبل مرقع فيه بقع بعضها أحمر وبعضها أسود، فالجبل يُسمى جبل ذات الرقاع، فالمنطقة تُسمى بهذا الاسم، فقالوا: هذا سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم لأنها وقعت عند جبل فيه بقع حمر وبقع سود.

والرأي الثاني: قالوا: لأن الرايات التي كان يحملها المسلمون كانت مرقعة، فسُميت ذات الرقاع.

والرأي الثالث: قالوا: لأن الصحابة ما كان معهم نعال كافية في هذه الغزوة، فكانوا يلفون أرجلهم بالرقاع.

وقيل: لأن أول صلاة خوف كانت في هذه الغزوة، وصلاة الخوف فيها ترقيع للصلاة؛ لأنها تُصلّى بكيفيات تُيسر على المقاتلين القتال، ويُؤذَن لهم بالحركة أثناء الصلاة، والتوجه إلى غير القبلة، والتحرك، والتقدم والتأخر، فقيل: إنها سُميت (ذات الرقاع) لهذا السبب، هذا ما يتعلق بالتسمية، ولا مانع أن تجتمع هذه الأمور كلها، وكل واحد منها يمكن أن يكون سببًا للتسمية أو لاجتماع أكثر من سبب.

سبب هذه الغزوة: أن النبي ﷺ بلغه أن ثعلبة وأنمارًا جمّعوا الجموع يريدون، مهاجمة المدينة، فخرج إليهم النبي ﷺ في أربعمائة أو سبعمائة، هنا عدد المسلمين، بعض الروايات أن عدد المسلمين مع النبي ﷺ أربعمائة، وفي بعض الروايات أنهم كانوا سبعمائة.

واستخلف النبي ﷺ عثمان وأبا ذر، في عشر خلون من المحرم من العام الهجري الخامس.

قال: فوصلها فلم يجد إلا نسوة، فأخذهن، وهرب الرجال في رؤوس الجبال، وحضرته الصلاة فخاف المسلمون إغارة الكفار عليهم وهم يصلون؛ لأن المشركين في رؤوس الجبال يراقبون المسلمين.

فصلى بهم النبي ﷺ صلاة الخوف، وصلاة الخوف لها كيفيات في الفقه، صلاها النبي ﷺ بهيئات متعددة حسب الحاجة؛ أحيانًا يكون الأعداء في اتجاه القبلة، وأحيانًا لا يكونون في اتجاه القبلة، وأحيانًا يكون الخوف شديدًا، وأحيانًا يكون الخوف خفيفًا، فكان لها صفات متعددة تدرس في الفقه.

القصد: أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بهم في تلك الغزوة بحيث لا يتمكن الأعداء من الإغارة عليهم أثناء الصلاة.

وغاب النبي ﷺ خمس عشرة ليلةً.

الغزوة الرابعة عشرة: هي غزوة بدر الموعد، ويقال لها أيضًا: غزوة بدر الصغرى.

سبب هذه الغزوة: أن أبا سفيان وهو منصرف من غزوة أُحد قال لهم: الموعد ببدر رأس الحول، يريد أن يثأر لهزيمتهم؛ لأن المشركين انهزموا في بدر فيريد أن يلتقي في نفس المكان، وبدر منطقة بين مكة والمدينة، وهي المنطقة التي وقعت فيها أحداث غزوة بدر الكبرى.

فالنبي ﷺ قبِل هذا، وقال له: موعدنا بدر.

فلما جاء الوقت خرج النبي ﷺ في الموعد كما واعده، فخرج النبي ﷺ بجيشه متوجهًا إلى بدر على رأس الحول.

فخرج المصطفى ﷺ في ألف وخمسمائة، ومعه عشرة أفراس، وحمل لواءه علي رضي الله عنه.

واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة، وخرج المسلمون ببضائع وتجارات؛ لأن المسلمين يعلمون أن هذا الوقت في شهر ذي القعدة يقام سوق في منطقة بدر، فخرج المسلمون معهم ببضائع، ينتظرون إذا جاء الكفار قاتلوا، وإذا لم يأتوا يبيعون ويشترون في بدر.

فسار النبي ﷺ حتى نزل بدرًا في هلال ذي القعدة، وكان بها سوق يقام من استهلاله إلى ثامنه كل سنة في بدر.

فأقام بها النبي ﷺ ثماني ليالٍ ينتظر أبا سفيان، المسلمون عسكروا بجيشهم في بدر ينتظرون مجيء أبي سفيان للوعد الذي وعده، ظل النبي ﷺ ينتظر ثمانية أيام، وخلال الأيام الثمانية الصحابة يخرجون ببضائعهم ويبيعون في السوق ويشترون.

فباعوا تجارتهم، وربحوا للدرهم درهمًا؛ يعني كانت الأرباح مائة في المائة.

وخرج أبو سفيان من مكة في ألفين، حتى نزل بمر الظهران، أو نزل في عسفان- اسم منطقة-، وكان معه خمسون فرسًا.

ثم بدا له فرجع زاعمًا أنه عام جدب؛ فألقى الله ﷻ الرعب في قلبه، فقال لجيشه: هذا العام عام جدب ولا يُصلِحهم إلا الخصب، فتعلل بهذا العذر ورجع بالجيش إلى مكة من منتصف الطريق.

وسماهم أهل مكة جيش السويق، أهل مكة يسخرون منهم، قالوا: لماذا رجعتم؟ قالوا: إنما خرجتم تأكلون السويق.

السويق: هو طحين الشعير، يُحمَص بالسمن، فأخذوا معهم كميات من السويق؛ ليتزودوا بها، فأكلوها في الطريق ورجعوا، فسموهم جيش السويق.

وأنزل الله ﷻ في حق المؤمنين بشأن هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

فقوله: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[آل عمران:١٧٤] فالفضل هو ما ربحوا في تجارتهم، ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾[آل عمران:١٧٤] انقلبوا: يعني رجعوا بنعمة من الله، يعني سالمين، وبفضل: بربح في التجارة أكرمهم الله به.

الغزوة الخامسة عشرة: غزوة دومة الجندل، والأشهر في تسمية المكان دُومة الجندل-بضم الدال-، ويقال لها أيضًا: دَوْمة الجندل-بفتح الدال- وهي منطقة بين المدينة والشام، قالوا: إنها تبعد عشر مراحل عن المدينة، وثماني مراحل من دمشق، فهي أقرب إلى دمشق منها إلى المدينة.

خرج إليها النبي ﷺ لخمس ليالٍ من شهر ربيع الأول من السنة الخامسة.

وسبب هذه الغزوة: أنه بلغه ﷺ أن جمْعًا كثيرًا بدومة الجندل يظلمون مَنْ مر بهم ويريدون المدينة، فخرج النبي ﷺ إليهم.

واستخلف النبي ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة رضي الله عنه، وخرج النبي ﷺ في ألف مقاتل، يسير الليل ويكمن النهار ﷺ حتى يُفاجئهم؛ لأنه لو سار بالنهار فربما رآهم بعض المارة في الطريق ووصل الخبر إلى الأعداء، فكان الجيش يكمن بالنهار في منطقة بعيدة عن الطريق بحيث لا يعلم أحد بهم في النهار، ثم إذا دخل الليل يسيرون في الطريق إليهم.

فنزل بساحتهم فوجدوهم تفرقوا وهربوا، ووجد الأنعام، فأصاب منها، فجمع النبي ﷺ الأنعام، وأخذها المسلمون غنيمة.

وبثّ النبي ﷺ السرايا، السرايا: مجموعات صغيرة يُؤمّر عليهم أحدًا، ويُرسلهم في الاتجاهات المختلفة يبحثون عن أهل البلد الذين هربوا وشردوا.

فبث السرايا فلم يُصب أحدًا غير رجل واحد وأسلم، فعصم دمه بإسلامه، ولم يعثروا على أحد.

وأقام النبي ﷺ أيامًا ثم رجع ﷺ إلى المدينة سالمًا غانمًا.

فدخل المدينة في العشرين من ربيع الأول، فالمدة كانت خمسة عشر يومًا.

الغزوة السادسة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة الخندق، والتي يقال لها أيضًا غزوة الأحزاب.

وكانت هذه الغزوة في شهر شوال أو ذي القعدة من العام الخامس الهجري، ومن أسباب هذه الغزوة: أن بعض زعماء اليهود الذين كان النبي ﷺ قد أجلاهم من المدينة، من زعماء بني النضير ذهبوا يُحرّضون القبائل العربية على قتال رسول الله ﷺ، وعلى رأس هؤلاء كان حُيي بن أخطب.

ذهب حُيي بن أخطب وآخرون من زعماء اليهود إلى أبي سفيان زعيم مشركي قريش بمكة، فأقسم أبو سفيان على حُيي بن أخطب يستحلفه أي الدينين خير: دين محمد ﷺ أو دين قريش؟

فحلف له حُيي بن أخطب أن دينهم خير من دين محمد ﷺ مع أنه يعلم أن دين النبي ﷺ حق؛ فقد روت أم المؤمنين صفية بنت حيي: «**قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعَمِّي أَحَبَّ إِلَيْهِمَا مِنِّي، لَمْ أَلْقَهُمَا فِي وَلَدٍ لَهُمَا قَطُّ أهشُّ إِلَيْهِمَا إِلَّا أَخَذَانِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُبَاءَ، قَرْيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا إِلَيْهِ أَبِي وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخطب مغلسين، فو الله مَا جَاءَانَا إِلَّا مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، فَجَاءَانَا فَاتِرَيْنِ كَسْلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى، فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كنت أصنع، فو الله مَا نَظَرَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، فَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ يَقُولُ لِأَبِي: أَهْوَ هُوَ؟ قَالَ: نعم وَاللهِ. قَالَ: تعرفه بنعته وَصِفَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللهِ.**

قَالَ: فَمَاذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَاللهِ مَا بَقِيتُ! وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ أَبَا يَاسِرِ بْنَ أَخْطَبَ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ ذَهَبَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ مِنْهُ وَحَادَثَهُ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قومه فَقَالَ: يا قوم أطيعون؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالَّذِي كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ،

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ.

فَانْطَلَقَ أَخُوهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ الْيَهُودِ، وَهُمَا مِنْ بنى النَّضِير، فَجَلَسَ إِلَى رَسُول الله وَسَمِعَ مِنْهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا، فَقَالَ: أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ وَاللهِ لَا أَزَالُ لَهُ عَدُوًّا أَبَدًا.

فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ: يَابْنَ أُمِّ أَطِعْنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ وَاعْصِنِي فِيمَا شِئْتَ بعده لَا تهْلك.

قَالَ: لَا وَاللهِ لَا أُطِيعُكَ أَبَدًا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَاتَّبَعَهُ قَوْمُهُ عَلَى رَأْيِهِ.»[١]

فذهب وحلف لأبي سفيان أن دين أبي سفيان خير من دين محمد ﷺ وحرّض قريشًا على قتال رسول الله ﷺ، ثم ذهبوا إلى غطفان فوعدوهم نصف ثمار خيبر كل عام وغطفان من القبائل النجدية الكبيرة، فحرّضوهم على قتال النبي ﷺ ووعدوهم بنصف ثمار خيبر كل عام على أن يشاركوا في القتال.

وداروا على القبائل الأخرى حتى جمّعوا عشرة آلاف مقاتل، منهم أربعة آلاف من قريش وحلفائها، وستة آلاف من غطفان وحلفائها.

فاجتمع هذا العدد تحت رئاسة أبي سفيان، فحاصروا مدينة النبي ﷺ، وكان المسلمون في ذلك الوقت في جوع وقِلّة زاد، وقلّ الطعام عند المسلمين حتى إن النبي ﷺ ربط على بطنه الشريف حجرين من الجوع، وكان الصحابة رضي الله عنهم يضع كل واحد منهم على بطنه حجرًا، يشده على بطنه من شدة الجوع؛ ليُقلّل الإحساس بالجوع عندما يضع حجرًا ويربطه على بطنه، فيُقلل الإحساس بالجوع.

---

[١] السيرة النبوية لابن كثير: جـ٢،صـ٢٩٨.

وفي تلك الأثناء لما اشتد جوع المسلمين أكرمهم الله ﷻ ببعض المعجزات التي فيها تكثير الطعام؛ فأكرم الله ﷻ المسلمين بذلك، فجاءت بنت بشير بن سعد -رضي الله عنهما- بحفنة من شعير لأبيها وخالها- وخالها هو عبد الله بن رواحة- فقال لها النبي ﷺ: «هاتيه» فصبته في كفّه فما ملأه؛ ثم أمر بثوب فبُسِط ثم نادى أهل الخندق أن هلمّوا إلى الغداء، فصدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

وكذلك امرأة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كان عندها شويهة- يعني شاة صغيرة- فصنعت طعامًا، وطلبت من جابر أن يدعو النبي ﷺ وحده أو ومعه نفر قليل على قدر هذه الشاة الصغيرة.

فنادى النبي ﷺ: «انصرفوا إلى بيت جابر» نادى في أهل الخندق، وكان جيش المسلمين ثلاثة آلاف، وجيش المشركين كان عشرة آلاف.

فذهبوا إلى بيت جابر، فسمّى الله وأكل، فجعل الناس يدخلون مجموعة يأكلون حتى يشبعوا ثم يخرجون، ويأتي نفر يأكلون حتى يشبعوا ثم يخرجون، حتى صدر أهل الخندق عنه.

وكانت الجهة الجنوبية من المدينة فيها مساكن يهود بني قريظة وحصونهم، وفيها جبال، والجهة الشرقية والغربية فيهما حرّتان، والحرّة: حجارة سوداء، في الجهة الشرقية وفي الجهة الغربية.

فكانت الجهة التي قدِم منها جيش المشركين هي الجهة الشمالية، وهي الجهة التي يسهل على الخيل والإبل أن تسير فيها، فجاءوا من الجهة الشمالية.

فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، وهو من المكائد التي يعرفها الفرس وليست معروفة عند العرب.

فعمل النبي ﷺ بمشورته، وأمر الصحابة أن يحفروا الخندق، وحدّد لهم ﷺ طول الخندق، وكان طوله خمسة آلاف ذراع، و في بعض الروايات طوله ميل، وفي بعض الروايات طوله خمسة آلاف ذراع، وكان عرضه تسعة أذرع، وعُمقه من سبعة إلى عشرة.

قسّم النبي ﷺ المسلمين إلى مجموعات، كل عشرة يشتركون في حفر أربعين ذراعًا، وحدد نصف الخندق يحفره المهاجرون والنصف الآخر يحفره الأنصار.

وظلوا يحفرون الخندق أربعة وعشرين يومًا، وأثناء الحفر واجهتهم كُدية، أي: صخرة ضخمة عجزت معاولهم عن تحريكها أو كسرها، فحمل النبي ﷺ معوله وضربها ثلاث ضربات، فمع الضربة الأولى قال: «بسم الله، الله أكبر إني أُعطيت مفاتيح الشام، إني لأنظر إلى قصورها الحمر الآن»، ثم ضرب الضربة الثانية وقال: «الله أكبر، إني أُعطيت مفاتيح فارس، إني لأنظر إلى مدائن كسرى أو قصر كسرى الأبيض الآن»، ثم ضرب الضربة الثالثة وقال: «الله أكبر، أُعطيت مفاتيح اليمن، إني لأنظر إلى أبواب صنعاء الآن».

ومع الضربة الثالثة صارت الصخرة كثيبًا أهيل؛ كثيبًا أهيل: أي: رمادًا هشًّا لا يتماسك.

واستبشر الصحابة رضي الله عنهم ببشارات النبي ﷺ، وأما المنافقون فاستهزؤوا بتلك البشارة، وقالوا: لا يأمن أحدنا على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وهذا يزعم أنه أُعطي مفاتيح الشام، ومفاتيح الفرس، فكان هذا تثبيط المنافقين.

فكان المسلمون يعانون من عدو داخلي وهو المنافقون من جهة، ويهود بني قريظة من جهة.

وأما يهود بني قريظة: فإن النبي ﷺ ذهب إليهم قبل بداية المعركة، وجدّد معهم ﷺ العهود والمواثيق أن يحموا المدينة من جهتهم، وألا يغدروا بالمسلمين، وجدّدوا مع النبي ﷺ العهود، لكنهم بعد ذلك غدروا بالمسلمين.

وذلك أن حُيي بن أخطب كان من ضمن تأليبه: أنه ذهب إلى زعيم يهود بني قريظة، واسمه كعب بن أسد، وجعل يُحرّضه على الغدر برسول الله ﷺ وبالمسلمين، فقال له كعب بن أسد: إنك امرؤ مشؤوم، جئت والله بذل الدهر، وجهام قد أهريق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء.

ويحك! دعني وما أنا عليه؛ فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاءً، فما زال به يُحرّضه على الغدر برسول الله ﷺ حتى أعطاه عهدًا أن يدخل معه حصنه إذا رجعت قريشًا وغطفان ولم يصيبوا محمدًا ﷺ، حتى يصيبه ما أصابهم.

وكان النبي ﷺ قد وضع النساء والأطفال في حصن قريب من حصون بني قريظة؛ ليكونوا في مأمن.

وهمّ بنو قريظة بالغدر بنساء المسلمين، وأرسلوا رجلًا يستطلع خبر حصن النساء، هل عليه حراسة شديدة أم لا، فقتلته صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله، بعمود من حديد، فكان هذا مما فتّ في عضد اليهود وأخافهم، وظنوا أن حصن المسلمين فيه حراسة كبيرة، مع أنه ما كان كذلك.

في هذه الأثناء وصل الخبر إلى النبي ﷺ أن يهود بني قريظة غدروا بالعهد، وبدؤوا يسبون النبي ﷺ، ويُعلنون بعدائهم للمسلمين، استغلوا قدوم جيش المشركين وكون المسلمين في ضعف، فأراد النبي ﷺ أن يتأكد من صحة هذا الخبر، فأرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير ﷺ؛ ليستطلعوا

خبر اليهود، وينظروا هل فعلًا غدروا بعهودهم كما جاء الخبر إلى النبي ﷺ أم لا؟

فقال ﷺ: «انظروا أحق ما بلغنا عنهم، فإن كان حقًّا فالحنوا إليّ لحنًا أعرفه، ولا تفتّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس».

فذهبوا فوجدوهم على ما أخبث ما بلغهم عنهم، وحصلت مشاتمة بينهم وبين أحد السعدين.

فقال له الآخر: دع هذا فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة.

ثم جاءوا إلى المصطفى ﷺ فقالوا: عضل والقارة، ففهمها النبي ﷺ، وعضل والقارة قبيلتان من القبائل غدروا بأصحاب رسول الله ﷺ وقتلوهم.

فهُم قالوا للنبي ﷺ: قالوا: عضل والقارة، ففهِم النبي ﷺ أنهم غدروا كما غدرت عضل والقارة، فهذا هو اللحن.

فقال النبي ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين».

وكما ذكرنا، المنافقون أظهروا عداءهم للمسلمين أيضًا، وأظهروا شماتتهم بالمسلمين، وجعلوا يسخرون من بشارات رسول الله ﷺ للمؤمنين، فعظُم الخطْب على المسلمين، فاليهود غدروا، والمنافقون أظهروا عداوتهم للمسلمين، والمشركون يحاصرون المدينة.

وكان المسلمون في تلك الأثناء انتهوا من حفر الخندق، وأقام المشركون بضعًا وعشرين ليلةً، قضوا تلك المدة في الرمي المتبادل بالسهام بينهم وبين المسلمين.

والخندق يحجز بين جيش المشركين، وجيش المسلمين، وليس بينهم إلا التراشق بالسهام.

والمسلمون استُشهد منهم نحو ستة تقريبًا، وأُصيب بعض المشركين أيضًا وقُتلوا، وحصل جراحات في الفريقين.

المشركون لما قدِموا حاولوا اقتحام الخندق، وقالوا: هذه مكيدة لا تعرفها العرب، الخيول عندما ترى الخندق تُحجِم وتمتنع من الإقدام فسبب ذلك لهم ارتباكًا كبيرًا.

وأراد رجل من المشركين اسمه نوفل بن عبد الله بن المغيرة أن يثب بفرسه الخندق فوقع وقتله الله.

وعرض المشركون على المسلمين عشرة آلاف درهم حتى يردوا إليهم جثة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، فردّه إليهم النبي ﷺ، ورفض أن يأخذ فيه شيئًا، وقال: إنه خبيث الدية، وما أخذ شيئًا.

ومن الذين حاولوا اقتحام الخندق: عمرو بن عبد وُد، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب؛ هؤلاء الثلاثة اقتحموا مضيقًا من الخندق، و هؤلاء الثلاثة فقط هم الذين نجحوا في اقتحام الخندق، فبارز علي رضي الله عنه عمرو بن عبد وُد.

دعاه علي أولًا إلى الإسلام فقال عمرو بن عبد وُد لعلي: يا ابن أخي، ما أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني أحب أن أقتلك، فنزل عمرو بن عبد وُد عن فرسه وعقره، ثم أقبل على عليّ وحصلت بينهما مبارزة بالسيوف فقتله علي رضي الله عنه. وأما عكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب فهربا ورجعا إلى المشركين.

وكان شعار الصحابة رضي الله عنهم في تلك الغزوة: حم، لا يُنصرون، كان النبي ﷺ في بعض الغزوات يُعلّم أصحابه شعارًا يقولونه فيما بينهم، إذا قاله شخص عُرِف أنه من المسلمين، مثل: كلمة السر لجيش المسلمين يقولونها بينهم، ودائمًا كلمات فيها فأل بهزيمة المشركين.

أثناء تلك المراشقة بالسهام أُصيب سعد بن معاذ ﵁ سيد الأوس ﵁ بسهم في أُكحله، وهو عرق في وسط الذراع، وقد كان عليه درع غير سابغ، بحيث يبدو جزء من ذراعه.

وكانت عائشة ﵂ لما رأت سعدًا ودرعه غير سابغ، قالت لأم سعد: يا أم سعد لوددت أن درع سعد أسبغ مما هي، يعني كانت تخشى عليه أن يصيبه شيء، فقدّر الله ﷻ و أُصيب في ذراعه بسبب أن الدرع لا تستر ذراعه، وكان من المتقدمين الذين يضربون المشركين بالسهام، فأُصيب فقُطِع منه الأُكحل.

والذي رماه رجل من المشركين اسمه ابن العرقة، قال: خذها وأنا ابن العرقة، فقال: عرّق الله وجهك في النار.

فلما أُصيب سعد جعل له النبي ﷺ خيمة في المسجد، وكان يتردد عليه أثناء المعركة، إذا وجد فرصة يذهب إليه ويعوده في المسجد، وأمر بتمريضه وتعهده بالرعاية وجعل يعوده ﵇.

وقال سعد ﵁: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها؛ فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم كذّبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

فاستجاب الله ﷻ دعاءه، وكانت هذه الحرب آخر حرب يأتي فيها مشركو قريش لمهاجمة المسلمين في المدينة، بعد ذلك صار المسلمون يغزون قريشًا، فبعد هذه الغزوة قال النبي ﷺ: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا».

وأبقى الله ﷻ سعدًا حتى حكم في بني قريظة كما سيأتينا -إن شاء الله- وأقرّ الله تعالى -عينه- بهذا، ثم استُشهد ﵁ بسبب هذا الجرح، انفجر الجرح الذي في ذراعه

بعد أن حكم في قريش وأقر الله عينه فيه.

واشتدت المراشقة بالسهام واشتد الحصار على المسلمين حتى لم يستطع النبي ﷺ أن يصلي الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء حتى مضى شطر الليل، فصلى النبي ﷺ الصلوات الأربع: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء حين مضى شطر الليل بسبب القتال الشديد، ولم تكن صلاة الخوف شُرعت في ذلك الوقت على رأي أكثر العلماء.

ولما غربت الشمس والنبي ﷺ لم يكن صلى العصر، دعا ﷺ على المشركين وقال: «ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى: صلاة العصر» وفي رواية: «حشا الله أجوافهم وقبورهم نارًا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى: صلاة العصر».

بعد ذلك هيأ الله ﷻ سببًا للنصر وهو: أن نعيم بن مسعود الغطفاني رضي الله عنه، يقال: الأشجعي أو الغطفاني، وكان رجلًا من زعماء غطفان، وشرح الله ﷻ صدره للإسلام في أثناء المعركة، وجاء إلى النبي ﷺ وقال: إني أسلمت، ولم يعلم قومي بإسلامي فمرني بما شئت، فقال له النبي ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنّا ما استطعت؛ فإن الحرب خُدعة».

فذهب نعيم بن مسعود إلى بني قريظة، وكان نديمًا لهم، يعني بينه وبينهم معرفة، وتزاور قبل إسلامه، وهم لا يعلمون أنه أسلم.

فقال لهم: قد عرفتم وُدّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت. قال: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، وبه مالكم ونساؤكم وأبناؤكم، لا تقدرون أن تتحولوا منه، وقريش وغطفان بلدهم ونساؤهم بغيره، فإن رأوا نهزة أصابوها وإلا لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل- أي: وبين النبي ﷺ-، ولا طاقة لكم به

إن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهنًا من أشرافهم، قالوا: أشرت بالرأي، وعزموا على أن يطلبوا رهائن من قريش، ومن غطفان.

ثم ذهب إلى قريش وغطفان، وقال لهم: تعلمون أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد ﷺ، وأرسلوا إليه: إنّا ندمنا، أفيرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على مَنْ بقي منهم؟

فالذي حصل: أن اليهود أرسلوا إلى قريش، وأرسلوا إلى غطفان يطلبون رهائن، فكل من قريش وغطفان قالوا: صدقكم نعيم، يريدون أن يسلموهم إلى محمد، فأبوا أن يعطوهم الرهائن، فلما رأى اليهود أن قريشًا أبت أن تعطي الرهائن وغطفان، قالوا صدقكم نعيم، هؤلاء يريدون الرحيل، فدبّ الشقاق بين الحلفاء وتفرّق هذا الحلف بأمر الله تعالى.

ثم أرسل الله ﷻ ريحًا قلعت خيام المشركين، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، فصعّبت عليهم البقاء فحتى اضطروا إلى الرحيل، وأنزل الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ ﴾[الأحزاب:٩] أي: أرسل الله ﷻ جنودًا لم يروها، وهي الملائكة، وأرسل ريحًا نصر الله ﷻ بها المسلمين.

وبدأ المشركون يتجهزون للرحيل، وفي تلك الأثناء بعث النبي ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يستطلع الخبر، فوجد أبا سفيان يأمر قومه بالرحيل وعاد إلى النبي ﷺ فبشره بهذا، ورحل المشركون، وقال ﷺ: «لن تغزوكم قريش بعد عامهم هذا، ولكنكم تغزونهم».

وانتهت أحداث هذه الغزوة.

الغزوة السابعة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة بني قريظة.

يقول:

٦- قُرَيْظَــةٌ، لِحْيَانُ، ثُـــمَّ ذُو قَرَدْ ثُمَّ الْمُرَيْسِــيْعُ عَلَى الْقَوْلِ الأَسَــدْ

هنا يذكر من غزوات النبي ﷺ غزوة بني قريظة، وغزوة لحيان، وغزوة ذي قرد، وغزو المريسيع؛ أربع غزوات من غزوات رسول الله ﷺ.

غزوة بني قريظة: وبنو قريظة هم الذين غدروا بالمسلمين في أثناء غزوة الأحزاب.

فلما انصرف النبي ﷺ من غزوة الخندق إلى بيته، وانصرف معه أصحابه، لسبع بقين من ذي القعدة.

فوضعوا السلاح، وقد أصابهم نصب وعناء شديد، حصار طويل، ومدة حفر الخندق، والحصار، والقتال.

فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: غفر الله لك، إن الملائكة لم تضع السلاح، وإن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة؛ فإني عامد إليهم فمزلزل بهم، وعرفنا أن اليهود أحياؤهم كانت قرى مُحصنة، تحيط بالمدينة لكن هي من ضواحي المدينة، وبنيانها منفصل عن المدينة، يُسار إليها ويُمشى إليها مسافة أميال حتى يوصل إليها.

فطلب النبي ﷺ من بلال أن يؤذن في الناس: مَنْ كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، وكان هذا قبيل وقت أذان العصر، فبدأ الصحابة رضي الله عنهم يسمعون الخبر فيتجهزون للقتال، ويذهبون إلى بني قريظة.

طبعًا حصل موقف هنا، وهو أنه سار الصحابة رضي الله عنهم إلى بني قريظة، فدخل عليهم

المغرب وهم في الطريق، كادت الشمس أن تغرب وهم في الطريق، فلما أوشكت الشمس على الغروب اختلف الصحابة فيما بينهم، ففريق قال: لا نصلي العصر إلا في بني قريظة حتى لو صليناها بعد غروب الشمس؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة» إذًا لا نصليها إلا في بني قريظة.

والفريق الآخر قالوا: النبي ﷺ قصده: أن نُعجّل بالخروج وألا نتأخر، وليس قصْده أن نترك صلاة العصر أو نُخرجها عن وقتها، وأرادوا التوفيق بين هذا الأمر النبوي وبين النصوص العامة التي فيها الأمر بالصلاة لوقتها، و﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ قالوا: إذًا نفهم هذا الحديث في ضوء النصوص الأخرى يعني أن النبي ﷺ يريد منّا الإسراع بالخروج.

فانقسموا إلى فريقين: فريق صلى في الطريق صلاة خفيفة، قبل غروب الشمس، وأدركوا العصر قبل أن تغرب الشمس.

والفريق الآخر: لم يُصل العصر إلا في بني قريظة بعد أن غربت الشمس.

ولم يُخطِّئ النبي ﷺ إحدى الطائفتين، أخبروا النبي ﷺ بما صنعوا، فلم يُعنِّف إحدى الطائفتين، ما خطّأ إحدى الطائفتين.

وكان هذا أنموذجًا لمنشأ الاختلاف الفقهي والاجتهاد الفقهي، النصوص واحدة، كل الصحابة يعلمون أن الله ﷻ قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء:١٠٣]، وأن النبي ﷺ قال: «وقت العصر ما لم تغرب الشمس» وأنه ﷺ قال: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة». لكن كيفية فهْم هذه النصوص والتوفيق بينها، وما الذي يُقدّم منها على الآخر، هنا حصل اجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وأقرّ النبي ﷺ كل فريق على ما أدّاه إليه اجتهاده في العمل بتلك النصوص.

فذهب الصحابة إلى بني قريظة وسار إليهم النبي ﷺ وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف، هم الذين خرجوا في غزوة الخندق.

وكان ذلك يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة في العام الخامس الهجري.

وقدّم عليًّا برايته إليهم، ثم سار النبي ﷺ حتى دنا من حصون اليهود فقال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟» قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولًا. يعني ما عهدنا منك الإساءة في القول.

لكن النبي ﷺ يستعمل الغلظة في موضعها كما أمره الله تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:٧٣] ويستعمل الحلم واللين في موضعه، ففي مقام الدعوة يدعو إلى الله تعالى باللين: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا﴾[طه:٤٤] لكن في مقام القتال والحرب يعاملهم بالغلظة عليه الصلاة والسلام.

وتلاحق الناس يعني بدؤوا يتوافدون على منطقة بني قريظة حتى تكامل عدد المسلمين.

وحاصرهم النبي ﷺ خمسًا وعشرين ليلةً حتى جهدهم الحصار.

و كان حُيي بن أخطب قد دخل معهم حصنهم وفاءً بما عاهد عليه كعب بن أسد، فلما أيقنوا بأن المصطفى ﷺ سيناجزهم؛ و أن الحصار لن يفك حتى يقاتلهم، أشار عليهم حُيي بن أخطب باتباع النبي ﷺ؛ لأنه النبي الذي يجدونه في كتابهم فيأمنوا على دمائهم وأموالهم فأبوا، وقالوا: لا نفارق حُكم التوراة.

فقال كعب بن أسد: المشورة الثانية: نقتل أبناءنا ونساءنا، ونخرج إليهم؛ لئلا يكون وراءنا ما نخاف عليه.

فأبوا وقالوا: لا خير في العيش بعدهم.

فقال لهم: الليلة ليلة السبت، وهم آمنون، نخرج إليهم لنصيب منهم غِرّة، وهم لا يتوقعون أن نبادرهم بالقتال في ذلك اليوم.

قالوا: لا نُحدِث في سبتنا ما لم يُحدِث فيه مَنْ قبلنا.

ثم طلب اليهود من النبي ﷺ أبا لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، وهو رجل من الصحابة، كان بينه وبين اليهود صداقة في الجاهلية وحلف.

فطلبوا أبا لبابة؛ ليستشيروه، فأرسله النبي ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجمعوا إليه النساء والأطفال يبكون في وجهه، فرَقّ لهم أبو لبابة، فقالوا: أترى أن ننزل على حُكم محمد ؟

قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه.

قال أبو لبابة رضي الله عنه: فما زالت قدماي حتى عرفت أني خُنت الله ورسوله، أي: ندِم أبو لبابة رضي الله عنه أنه أفشى سر النبي ﷺ، هو يعلم أن النبي ﷺ يريد أن يقتلهم، لكن هذا ربما يكون من الأسرار الحربية التي لا يريد النبي ﷺ منه أن يعرفوا أنه ينوي لهم هذا ربما، فندم على أنه قال هذه الكلمة.

فانطلق حتى ربط نفسه بسارية في المسجد وقال: لا أبرح حتى يتوب الله عليّ.

فجعلت امرأته تأتيه وقت الصلاة تفكه يصلي، ثم بعد الصلاة تربطه في العمود مرة أخرى.

وأقام ست ليالٍ لا يأكل ولا يشرب، حتى نزلت توبته في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة:١٠٢]، وعسى في

القرآن واجبة، عندما يقول الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[التوبة:١٠٢] يعني تاب الله عليهم.

ولما بلغ المصطفى ﷺ ما صنع أبو لبابة، قال: لو جاءني لاستغفرت له، لكن حيث فعل يصبر حتى يتوب الله عليه.

فلما نزلت توبته كان النبي ﷺ في بيت أم سلمة، فسمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك، قالت: قلت: مم تضحك؟ قال: تاب الله على أبي لبابة، فقامت على باب حجرتها فقالت: أبشر يا أبا لبابة فقد تاب الله عليك، فسار الناس يبشرونه، وأرادوا إطلاقه فأبى إلا أن يحّله المصطفى عليه الصلاة والسلام فحلّه لما خرج للصبح. رضي الله عنه.

ثم إن يهود بني قريظة قالوا: ننزل على حُكم رسول الله ﷺ.

فقال الأوس: يا رسول الله،ﷺ إنهم موالينا دون الخزرج، يريدون من النبي ﷺ أن يفوضهم في هؤلاء حتى يعفو عنهم، ويحصل اتفاق على الرحيل بدون أن يقتلهم النبي ﷺ.

فقال النبي ﷺ: «ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ سعد بن معاذ؟»

فأتاه قومه فحملوه على حمار، ووطّؤوه له بوسادة من أدم، وأركبوه على الحمار، وكان رضي الله عنه جسيمًا.ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: أحسِن في مواليك؛ فإن رسول الله ﷺ إنما ولّاك ذلك؛ لتُحسِن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم، فلما وصل سعد رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «قوموا إلى سيدكم فأنزلوه » فقاموا إليه وأنزلوه عن الحمار الذي كان يركبه رضي الله عنه.

فقال سعد -رضي الله عنه- يخاطب الأنصار-: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحُكم فيكم ما حكمت؟ قالوا: نعم.

قال: وعلى مَنْ هنا- يشير إلى الناحية التي فيها المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو مُعرِض عنه إجلالًا له- فقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «نعم».

وأخذ العهد على اليهود أن الحكم ينفذ عليهم، فقالوا: رضينا بحكمك.

فقال: أحكم فيكم أن تُقتَل الرجال، وتُقسَم الأموال، وتُسبى النساء والأطفال.

وفي بعض الروايات: أنه حكم بالديار للمهاجرين قال: الأرض- أراضي بني قريظة- تُقسَم على المهاجرين فقط، رغم أنه أنصاري رضي الله عنه، لكن الأموال تُقسَم على المهاجرين والأنصار، فاعترض بعض الأنصار وقالوا: إخوتنا كنّا معهم، يعني: نحن والمهاجرون إخوة ، فالأرض تُقسَّم علينا وعليهم، فقال: أردتُ أن يكتفوا عنكم.

فقال المصطفى صلى الله عليه وسلم: «حكمت بحكم الله من فوق سبعة سماوات»،

وكان علي رضي الله عنه هجم على حصن اليهود وقال: لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأقتحمن الحصن.

فحينئذٍ قال له اليهود: ننزل على حكم سعد؛ فاليهود قالوا لعلي: ننزل على حُكم سعد، ثم جرت الأحداث التي ذكرناها.

فخندق لهم موضعًا هو سوق المدينة، وخرج بهم أرسالًا فضُربت أعناقهم في تلك الخنادق، وأُتي بحيي بن أخطب فضُربت عنقه معهم، وكانوا ستمائة أو ثمانمائة، يعني عدد اليهود كانوا ما بين ستمائة إلى ثمانمائة من مقاتلة اليهود.

وفي بعض الروايات أنهم كانوا يُؤتَى بهم عشرة عشرة، فيُقتلون في تلك الخنادق التي

حُفرت لهم ويُدفنون فيها.

فكان يقولون لكعب بن أسد: ماذا تظن أنه يُفعَل بهم -يعنون الذين يُذهَبُ بهم- فقال: أفي كل حين لا تعقلون، أما ترون الداعي لا ينزع والذاهب لا يرجع؟

فقتلوا وكانوا نحو ثمانمائة.

ووجدوا فيها ألفين وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع، وألفي رمح ،وخمسمائة تُرس، وقُسّمت هذه الأسلحة، غير الأموال الكثيرة التي وُجدت، وقُسمت الغنائم، وأسلم من اليهود ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد، فأحرزوا دماءهم وأموالهم، مَنْ أسلم منهم عفا عنه النبي لم يُقتَل وترك له أهله.

ولم يقتل النبي ﷺ من النساء إلا امرأةً واحدة وهي التي طرحت الرحى على خلّاد بن سويد فقتلته، فقتلها النبي ﷺ به.

فلما انقضى شأنهم انفجر جُرح سعد بن معاذ رضي الله عنه؛ بعدما قُتلت مقاتلتهم، كان سعد دعا قال: اللهم لا تمتني حتى تُقِر عيني في بني قريظة، فبعد الانتهاء منهم انفجر الجرح فمات رضي الله عنه، وقال النبي ﷺ: «اهتز لموته عرش الرحمن» سبحانه وتعالى.

ورثاه الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم، ومما قيل في رثائه:

وما اهتز عرش الله من موت هالكٍ سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو رضي الله عنه وأرضاه، وشهد جنازته كما ورد سبعون ألف ملك رضي الله عنه وأرضاه.

ونزلت سورة الأحزاب في شأن غزوة الخندق، وفي غزوة بني قريظة أيضًا فيها قوله جل وعلا في سورة الأحزاب هو: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا﴾[الأحزاب:٢٦] الصياصي: هي

الحصون، من صياصيهم: يعني من حصونهم، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾[الأحزاب: ٢٧][الأحزاب:٢٧]

فهذه الآيات نزلت في غزوة بني قريظة، امتنّ الله ﷻ فيها على المسلمين أنه لما هزم الأحزاب أنزل اليهود من صياصيهم- من حصونهم-، ومكّن الله المسلمين فقتلوا فريقًا وأسروا فريقًا، وأورث المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم فامتنّ الله ﷻ على المسلمين بهذا.

من المواقف التي حصلت أثناء قتْل يهود بني قريظة: أن رجلًا من يهود بني قريظة كان شيخًا كبيرًا، اسمه الزَّبير- بفتح الزاي- الزَّبير بن باطا، كان له معروف على ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه في الجاهلية، فجاءه ثابت فقال: أتعرفني؟، قال: وهل يجهل مثلي مثلك ؟

قال: أردت أن أجازيك بيدك عندي.

قال: إن الكريم يجزي بالكريم.

ثم ذهب ثابت رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله، أستوهبك الزَّبير بين باطا، يعني هبه لي يعني، فوهبه له النبي ﷺ.

فذهب يبشره يقول له: إن الرسول ﷺ عفا عنك.

فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟ فذهب ثابت إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فوهبها النبي ﷺ له.

فذهب إليه وأخبره، فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم؟

فقال له: النبي ﷺ ترك لك مالك وزوجتك وعفا عنك، فظل يسأله عن زعماء

اليهود: ماذا فعل كعب بن أسد؟ قال: قُتِل ماذا فعل سيد الحاضر والبادي، حُيي بن أخطب قال: قُتل؟ ماذا فعل فلان؟ قال: قتِل، ظل يُسمي له أسماء زعمائهم، ومناقب كل واحد من الزعماء، ماذا فعل فلان وفلان من زعماء يهود بني قريظة، كلما سأله عن شخص قال له: قُتِل.

قال: فإني أسألك بيدي عنك، إلا ألحقتني بالقوم، فما في العيش بعدهم من خير، فقدّمه فضُرِبت عنقه.

قال: وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من قريظة إلى نجد فابتاع بهم خيلًا وسلاحًا.

واصطفى النبي ﷺ لنفسه من نسائهم ريحانة بنت زيد؛ لتكون ملك يمين لرسول الله ﷺ.

كانت في أول الأمر على يهوديتها، ثم خيّرها النبي ﷺ أن تُسلم ويعتقها ويتزوجها، وتكون واحدة من أمهات المؤمنين.

وعلماء السِّيَر يختلفون في ريحانة رضي الله عنها، فأكثر علماء السيرة وأصح الروايات: أنها كانت ملك يمين لرسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ عرض عليها أن يُعتقها ويتزوجها، فاختارت أن تبقى ملك يمين لرسول الله ﷺ، وقالت: هو أخف عليّ وعليك.

وبعض الروايات الأخرى فيها أن النبي ﷺ أعتقها وتزوجها، ويعدونها من أمهات المؤمنين، لكن الأكثر والأصح أنها أَمة لرسول الله ﷺ، وليست زوجة من زوجاته.

كانت في أول أمرها توقفت في الإسلام فوجد في نفسه من ذلك، وعزلها النبي ﷺ، يعني اعتزلها بعض الوقت لما تأخر إسلامها، فبينما هو مع صحبه إذ جاء ثعلبة -رجل

من أصحاب النبي ﷺ -بشّره بإسلام ريحانة، النبي ﷺ سمع صوت نعلين خلفه فقال: إن هذا لثعلبة يُبشرني بإسلام ريحانة، فكان كذلك أخبره أن ريحانة أسلمت، فلما أسلمت سُرّ بذلك ﷺ، وبقيت على إسلامها رضي الله عنها وأرضاها.

فريحانة القرظية رضي الله عنها كانت من سبايا بني قريظة واصطفاها الرسول ﷺ لنفسه، بهذا تنتهي أحداث غزوة بني قريظة

الغزوة الثامنة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة بني لِحيان، أو لَحيان، بالكسر أو الفتح.

وهذه الغزوة كانت في شهر ربيع الأول سنة ستٍ من الهجرة، وقيل: في شهر جمادى الأولى.

وسبب هذه الغزوة: أن النبي ﷺ كان قد بعث سرية، يقال لها: سرية الرجيع؛ هذه السرية كان فيها عشرة من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كان النبي ﷺ بعثهم إلى قوم من قبيلة هذيل.

فخرج عليهم بنو لَحيان وحاصروهم- حاصرهم مائة من الرماة- من بني لَحيان، واشتبكوا معهم في قتال شديد، فأسروا اثنين من العشرة، قتلوا ثمانية، وفي بعض الروايات: أنهم قتلوا سبعة أو ثمانية.

فعن أبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَأَةِ، وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَؤوا إِلَى فَدْفَدٍ وَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ، وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللهِ لاَ أَنْزِلُ اليَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالعَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ، وَابْنُ دَثِنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللهِ لاَ

أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي فِي هَؤُلَاءِ لَأُسْوَةً يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ، أَنَّ بِنْتَ الحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا،

ولست أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فَقَتَلَهُ ابْنُ الحَارِثِ فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا، فَاسْتَجَابَ اللهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ، «فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ، وَمَا أُصِيبُوا، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ، لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا»[١]

فأظهر النبي ﷺ أنه يريد الشام؛ ليصيب من القوم غِرة، وخرج في مائتي راكب، حتى

[١] صحيح البخاري ٣٠٤٥.

انتهى إلى منازلهم بقرب عسفان.

فوجدهم حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد.

فلما أخطأه من غِرّتهم ما أراد قال: «لو أنّا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أنّا قد جئنا مكة».

فجاء حتى نزل عُسفان، ثم بعث أبا بكر في عشرة فوارس حتى بلغوا كراع الغميم؛ ليكونوا على مشارف مكة، وهذا زيادة في إظهار قوة المسلمين، وأن المسلمين قادرون على الوصول إلى مشارف مكة.

ثم كرّوا فلم يلقوا أحدًا؛ يعني أهل البلد هربوا كلهم وتركوا البلد، والنبي ﷺ وصل إلى هذا المكان، فما حصل حرب ولا قتال في هذه الغزوة.

وراح رسول الله ﷺ قافلًا إلى المدينة بعد غيبته أربعة عشر يومًا.

فسمعه جابر وهو يقول: آيبون تائبون، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

الغزوة التاسعة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة ذي قَرَد- بفتح القاف والراء- ورُوي ضمهما، لكن الرواية المشهورة قَرَد، وهذا اسم المكان الذي وقعت فيه الغزوة.

وذو قَرَد منطقة على مسافة بريد من المدينة في طريق الشام، تقريبًا نحو مسيرة يوم في اتجاه الشام من المدينة.

وسبب هذه الغزوة: أن المصطفى ﷺ لما رجع ﷺ من غزوة بني لَحيان لم يُقِم إلا ليالي قلائل.

حتى أغار عُيينة بن حصن في أربعين فارسًا من غطفان على لِقاح المصطفى ﷺ بالغابة وكانت عشرين، اللقاح: هي الإبل، وكانت إبلًا للنبي ﷺ في منطقة يقال لها: الغابة، منطقة رعي خارج المدينة.

وفيها أبو ذر الغفاري ورجل من غفار وامرأة الرجل الغفاري واسمها ليلى رضي الله عنها، يقال لها: ليلى الغفارية.

بعض علماء السيرة يذكرون أن ليلى الغفارية صاحبة القصة في هذه الغزوة هي زوجة أبي ذر، لكن الرواية الأشهر أنها زوجة الرجل الآخر الغفاري الذي كان مع أبي ذر.

فكان هؤلاء هم الرعاة، يرعون الإبل ويحرسونها.

فأغار عيينة بن حصن، ومن معه على إبل النبي ﷺ، فقتلوا الرجل، وأخذوا المرأة واللقاح.

وهذه اللقاح كانت فيها ناقة النبي ﷺ، القصواء، كانت ترعى معهم، فبعضها كان

إبل صدقة، وبعضها نوق للنبي عليه الصلاة والسلام.

فكان أول مَنْ علم بهم سلمة بن الأكوع، فغدا يريد الغابة متوشحًا قوسه، وسيفه، ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع

نظر إلى خيولهم، فإذا أربعون فارسًا، ومعهم الإبل التي ساقوها، فصرخ: واصبحاه، وهي كلمة يقولها المستغيث.

ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان كالسبع؛ وسلمة بن الأكوع رضي الله عنه كان ضخم الجثة، مشهور بقوته البدنية، وضخامة جسمه رضي الله عنه، حتى لحقهم، فجعل يرميهم بالنبل، ويقول:
خذها وأنا ابن الأكوعِ واليوم يوم الرضّعِ

والرضع هنا بمعنى اللئام.

فإذا وُجِّهت الخيل نحوه انطلق هاربًا، ثم عارضهم فإن أمكنه الرمي رمى؛ وظل يكرر الأمر، إذا توجهوا نحوه يهرب ويختبئ منهم ويرجعون فلا يجدونه، فإذا أداروا الخيل وتوجهوا في الاتجاه المعاكس يلاحقهم من خلفهم بـ (خذها وأنا ابن الأكوع) ويرميهم بسهم، ويأتون فلا يجدونه، وظل على هذا الحال.

فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع: (واصبحاه) وطبعًا لا يقول هذا إلا إذا كانت هناك مشكلة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم بلغه صياح ابن الأكوع فنادى بالمدينة: «الفزع، يا خيل الله اركبي» وخرج مُقنّعًا بالحديد صلى الله عليه وسلم، فترامت الخيل إليه، فكان أول مَنْ انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود ثم عبّاد بن بِشر ثم سعد بن زيد، وفارسان آخران، فلما اجتمعوا أمّر عليهم سعد بن زيد، هذا هو الأصح.

وقيل: أمّر عليهم المقداد، وقال: اخرج في طلبهم حتى ألحقك بالناس، وقال لأبي عياش الزرقي- وهو رجل من الصحابة جاء بفرسه بعد ذلك- : «لو أعطيت هذا الفرس أفرس منك يلحق»، فقال: أنا أفرس الناس.

قال: فضرب فما جرى سوى خمسين ذراعًا حتى طرحه.

فأعطاه غيره، وكان أول فارس لحق بالقوم: مُحرِز بن نضلة ﷺ، فقُتِل ولم يُقتَل من المسلمين غيره.

وفي رواية أنه: قُتل معه وقّاص المدلجي.

و لما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الأنصاري حبيب بن عيينة بن حصن، وغشّاه ببردته؛ ليُعلم أنه قاتله، فيكون له سلبه. ثم أقبل رسول الله ﷺ في المسلمين، فلما رأوا القتيل مُغشى بالبردة استرجع الناس، خشوا أن يكون هذا أبا قتادة، فقالوا: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، قُتِل أبو قتادة.

فقال المصطفى ﷺ: «ليس به، لكنه قتيل له، وضع عليه بردته؛ لتعلموا أنه صاحبه».

وأدرك عكاشة بن محصن ﷺ رجلًا يقال له: أوبار، أو أوثار، أو إيار، عدة روايات في اسم هذا الرجل، رجل من المشركين وابنه عمرو، أدركهما على بعير، فانتظمهما بالرمح فقتلهما، أي: قتلهما برمح واحد، في وقت واحد.

واستنقذ المسلمون اللقاح كلها، وجاء في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع ﷺ: أنه طردهم، قال: فما زلت أرميهم فأعقرهم، فإذا رجع إليّ فارس أتيت شجرة فجلست فيها، ثم رميته فعقرت به؛ العقر: هو قطْع أرجل الخيل، فجعل يرميهم يعقر خيلهم؛ لتسقط.

قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهور رسول الله ﷺ إلا خلّفته وراء ظهري، حتى تمكن من استرجاع كل إبل النبي ﷺ.

ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون، قال: فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ، أولهم: الأخرم الأسدي، على إثره أبو قتادة الأنصاري، وعلى إثره المقدام.

قال: فأخذت بعنان الأخرم فقلت: احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحقك الناس، أي: انتظر حتى يأتي معك أحد؛ ليساعدك، لا تهاجمهم وحدك بفرسك حتى لا يقتلوك،

فقال: إن كنت تؤمن بالله، وتعلم أن الجنة والنار حق، فلا تحُل بيني وبين الشهادة؛ فالتقى مع عبد الرحمن بن عيينة بن حصن، فنفر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه فلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فطعنه، فهنا تسمية ابن عيينة بن حصن في هذه الرواية : عبد الرحمن بن عيينة بن حصن، وفي الرواية السابقة أنه حبيب بن عيينة بن حصن.

قال: وسار المصطفى ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَد، وسار النبي ﷺ حتى نزل في جبل في تلك المنطقة هي منطقة ذي قَرَد.

قال سلمة رضي الله عنه: فجئته وهو على الماء، وإذا بلال قد نحر ناقةً ويشوي للمصطفى ﷺ من كبدها وسنامها.

قال: فقلت: يا رسول الله، خلّني أنتخب من القوم مائة فأتبع القوم فلا يبقى منهم مُخبِر إلا قتلته المخبر: هو آخر واحد فيهم.

كانوا يقتلون القوم ويتبقى منهم واحد يُخبر عن قصتهم.

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النهار ﷺ.

وقال: أتراك كنت فاعلًا؟ قال: نعم، والذي أكرمك بالنبوة.

قال: إنهم الآن يقرون بأرض غطفان.

وأقام النبي ﷺ يومًا وليلةً يتجسس الخبر، يعني يستطلع الأخبار وينظر ماذا حصل لهؤلاء الذين هربوا.

وصلى بهم النبي ﷺ صلاة الخوف، وقسم في كل مائة من صحبه جزورًا ينحرونها، وكانوا خمسمائة وقيل: سبعمائة.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وخلّف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة.

وبعث سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ بأحمال التمر وعشر جزائر، فوافته بذي قَرَد.

وقال المصطفى ﷺ: «خير فرساننا اليوم: أبو قتادة، وخير رجّالتنا: سلمة».

وهذه الكلمات التشجيعية من الرسول ﷺ كلها أيضًا فيها لمحات من هدْي النبي ﷺ، كان يشجع أصحابه بهذه الكلمات.

ورجع قافلًا ﷺ؛ رجع النبي ﷺ إلى المدينة، وأردف سلمة خلفه على العضباء.

وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل المصطفى ﷺ، فأخبرته الخبر، وأنها نذرت إن نجّاها الله عليها أن تنحرها، وبعض الروايات الأخرى فيها مزيد تفصيل: أن المرأة تقول لما ذهب بها القوم، تركوها مع النوق وغلبهم النوم، فأرادت أن تهرب فكلما أرادت أن تركب ناقة من النوق كانت الناقة تُحدِث صوتًا فتخشى أن يوقِظ النائمين أو

يُنبّه القوم، فتتركها، وتروح لناقة أخرى، فلما وصلت إلى ناقة النبي ﷺ ركبتها وأخذها بهدوء وتسللت بها، وخرجت بدون أن يشعر بها أحد، وتمكنت من الهرب على ناقة النبي ﷺ، فنذرت: إن نجّاها الله عليها أن تنحرها.

فتبسم النبي ﷺ وقال: «بئسما جزيتِها».

ثم قال ﷺ: «لا نذر في معصية، ولا فيما لا تملك»، أو في رواية قال: «لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم» وهي لا تملكها،

والحكم الفقهي هنا: أن الإنسان إذا نذر معصيةً أو نذر شيئًا لا يملكه: أنه يُكفّر كفارة يمين، هذا النذر لا وفاء به، لكن يكفّر عنه كفارة يمين: يُطعِم عشرة مساكين أو يكسوهم، ويتحلل من هذا النذر، إذا نذر شيء لا يملكه، أو نذر معصية فيكفّر كفارة يمين ويتحلل من هذا النذر.

فالنبي ﷺ قال: «لا نذر في معصية ولا فيما لا تملك»، وأخذ ناقته ﷺ وقال للمرأة: ارجعي إلى أهلك.

وفي هذه الغزوة معجزة لرسول الله ﷺ، وهذه المعجزة: أن النبي ﷺ نزل على ماء فسأل عن اسمه، فقيل: بيسان، وهو مالح، فقال النبي ﷺ: «بل هو نعمان وهو طيب» فالنبي ﷺ غيّر اسمه وقال: «وهو طيب» وغيّر الله الماء، فإذا هو عذب.

فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به.

وقال المصطفى ﷺ: «ما أنت يا طلحة إلا فيّاض» فسُمي طلحة الفياض رضي الله عنه.

فهذه كانت آخر أحداث هذه الغزوة (غزوة ذي قَرَد)، وهي الغزوة التاسعة عشرة كانت من غزوات رسول الله ﷺ.

٦- قُرَيْظَـةٌ، لِحْيَانُ، ثُـمَّ ذُو قَرَدْ ثُمَّ الْمُرَيْسِـيْعُ عَلَى الْقَوْلِ الأَسَـدْ
٧- ثُـمَّ تَلِيْهَـا عُمْـرَةُ الْحُدَيْبِيَةْ فَخَيْـبَرٌ، فَعُمْـرَةُ الْقَضِيَّـةْ

الغزوة العشرون من غزوات رسول الله ﷺ، هي: غزوة المريسيع أو غزوة بني المصطلق.

والمريسيع: اسم المكان، وهو ماء لقبيلة خزاعة، وبنو المصطلق هم فرع من قبيلة من خزاعة.

وسبب هذه الغزوة: أن رئيس بني المصطلق، واسمه: الحارث بن أبي ضرار، سار في قومه ومَنْ أمكنه من العرب فدعاهم إلى حرب المصطفى ﷺ، فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه

فبعث النبي ﷺ بريدة بن الحصيب رضي الله عنه؛ ليستطلع له الخبر، فلقي الحارث بن أبي ضرار فقال له: إنهم يتجهزون للخروج لقتال محمد، فأخبر النبي ﷺ بذلك.

فأسرع النبي ﷺ للخروج إليهم، وخرج مع الرسول ﷺ نفر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قبلها.

واستخلف النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان مع النبي ﷺ فرسان، وكان من عادة النبي ﷺ أنه يُسمي الدواب، فهذان الفرسان اللذان كانا مع النبي ﷺ أحدهما يقال لهما: لزاز، والفرس الثاني: اسمه الظرب.

فبلغهم أن النبي ﷺ خرج إليهم فدبّ الرعب فيهم، فخافوا وتفرّق مَنْ معه.

فوصل النبي ﷺ إلى المريسيع وهو الماء، فضرب عليه قبّته.

وكان النبي ﷺ معه عائشة وأم سلمة، وتأهبوا للقتال، فصفَّ النبي ﷺ أصحابه، ودفع راية المهاجرين لأبي بكر، وراية الأنصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه سيد الخزرج.

فتراموا بالنبل ساعةً، ثم أمر النبي ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان.

وقُتِل عشرة من بني المصطلق، وأَسر النبي ﷺ بقيتهم.

ثم إن النبي ﷺ سبى الرجال والنساء والذرية والنَّعم والشاة، ولم يُقتَل من المسلمين إلا رجل واحد.

قال: فاحتبسوا على طلب الماء فنزلت آية التيمم في تلك الغزوة.

وغاب النبي ﷺ ثمانية وعشرين يومًا، وكان شعار المسلمين يومئذٍ: يا منصور أَمِت أَمِت.

ومن أحداث تلك الغزوة: أنه لقلة الماء ازدحم جهجاه الغفاري -وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب، وهو من المهاجرين- هو ورجل آخر اسمه سنان بن وبر حليف للخزرج، وهما من الصحابة رضي الله عنهم.

فحصل شجار بينهما على الماء، فصرخ سنان بن وبر، قال: يا معشر الأنصار، وقال جهجاه الغفاري: يا معشر المهاجرين.

فعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» فَسَمِعَ

بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[١]

وفي رواية: فغضب عبد الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين –وكان ممَّنْ خرج مع الرسول ﷺ– فقال: أوقد فعلوها، نافرونا، وكاثرونا في بلادنا، نافرونا: من المنافرة وهي المفاخرة.

ما أحدنا وجلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: سمِّن كلبك يأكلك. جلابيب قريش :كلمة تُطلَق على الفقراء، يعني كلمة يُعيرونهم بها لفقرهم.

ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنّ الأعز منها الأذل، فهذا المنافق يعني نفسه بالأعز– والعياذ بالله–، ويعني بالأذل رسول الله ﷺ.

ثم أقبل على مَنْ حضره من قومه وفيهم زيد بن الأرقم– و كان شابًّا صغيرًا من شباب الصحابة، من الأنصار– فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم

فمشى زيد إلى المصطفى ﷺ فأخبره، وهذا لا يُعتبَر من الغيبة أو من النميمة؛ لأنه يشكو هذا المنافق إلى حاكم المسلمين وقائدهم، يُخبره بما يُكاد له، فهذا رجل منافق يكيد للمسلمين، ويُضمِر لهم الشر، يريد أن يُخرِج النبي ﷺ، يريد أن يُوقِع فتنة في البلد فرفع الأمر إلى الرسول ﷺ يُخبره بما يكيد له عبد الله بن أُبي بن سلول.

فحدّث النبي ﷺ بهذا، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سامعًا، فقال عمر رضي الله عنه: مُر به

[١] متفق عليه: البخاري٤٩٠٥ ومسلم٢٥٨٤.

عبّاد بن بشر فليقتله، وهو من قرابة عبد الله بن أُبيّ، فقال الرسول ﷺ: كيف إذا تحدّث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟ وهذا من حكمة النبي ﷺ رغم أن هذا الرجل منافق ويستحق القتل وأساء إلى النبي ﷺ ويكيد للمسلمين، لكن النبي ﷺ رأى أن مصلحة السكوت عنه واحتمال أذاه، أو أن الضرر المترتب على السكوت عنه واحتمال أذاه أخف من الضرر الذي سيحصل لو أن النبي ﷺ قتله، ويُنقَل الخبر خارج المدينة، ولن يقال: إن النبي ﷺ قتل رجلًا منافقًا يكيد للمسلمين، وإنما سيقال: إن النبي ﷺ قتل رجلًا من أصحابه، فيكون هناك تشويه لسمعة الإسلام، وسمعة النبي ﷺ، ويصد الناس عن الدخول في الدين، فرأى النبي ﷺ أن مصلحة الحفاظ على سمعة المسلمين وعدم تشويه صورتهم خارج المدينة أن هذه مصلحة أكبر وأرجح من مصلحة قتْل هذا المنافق رغم أنه يستحق القتل.

فأذّن النبي ﷺ بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن ليرتحل فيها، ومشى عبد الله بن أُبيّ بن سلول إلى المصطفى ﷺ، فحلف ما قلت هذه الكلمة.

وكان في قومه شريفًا عظيمًا، فقال: مَنْ حضر من الأنصار: عسى أن يكون الغلام وهم في حديثه؛ حدبًا على ابن أُبيّ ودفْعًا عنه؛ لأن هؤلاء الأنصار قوم مؤمنون ولكن قالوا: لعل الغلام وهِم، لعل زيد بن أرقم وَهِم في حديثه، وربما سمع الكلام على غير وجهه.

وجاء أسيد بن حضير رضي الله عنه فحيّى رسول الله ﷺ بتحية النبوة، وقال: يا نبي الله، رُحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها.

قال: «أما سمعت ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إذا رجع إلى المدينة أخرج الأعز الأذل».

فقال أسيد بن حضير ﵁ قال: أنت تُخرِجه إن شئت، وهو والله الذليل وأنت العزيز.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس وسار بهم يومهم وليلتهم. ونزلت سورة المنافقين التي فيها ذِكْر خبر عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ومقالته تلك.

وقال ﷻ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨].

فأخذ النبي ﷺ بأذن زيد بن أرقم فقال: هذا الذي أوفى الله بأُذنه؛ ولذلك كان يقال له: ذو الأذن الواعية ﵁.

وبلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فجاء عبد الله بن عبد الله وقال: يا رسول الله ﷺ، بلغني أنك تريد قتْل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلًا فمُرني أحمل إليك رأسه؛ فلقد علمت الخزرج ما بها أبرّ بوالده منّي، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتله يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار.

فقال النبي ﷺ: «بل نترفق به ونُحسِن صحبته ما بقي معنا»، وهذا من حلم رسول الله ﷺ واحتماله الأذى من أعدائه، وإلى يوم وفاة عبد الله بن أُبيّ بن سلول والنبي ﷺ يرفق به ويُحسِن صحبته حتى إنه أعطى قميصه ليُكفّن فيه عبد الله بن أُبيّ بن سلول.

وكان النبي ﷺ يستغفر له حتى نهاه الله ﷻ عن ذلك، يعني ما ترك الاستغفار له إلا لنهْي الله عنه، وقال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:٨٠] قال: لو علمت أني لو زدتُ على السبعين لاستغفرت له.

ولما مات عبد الله بن أبيّ قام النبي ﷺ يصلي عليه، وأراد عمر أن يمنعه، قال: دعني يا عمر، وصلى عليه النبي ﷺ، ثم نهاه الله ﷻ عن ذلك، فلم يعد للصلاة على منافقين بعد ذلك.

فهذا يكون بحسب ما تدعو الحكمة، أحيانًا يغلظ عليهم، وأحيانا يترفق بهم، حسب المقام والمصلحة.

فلما أراد دخول المدينة وقف عبد الله لأبيه، وقال: لا تدخلها حتى تُقرّ أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز، ويأذن لك رسول الله ﷺ في الدخول، حبس أباه على مدخل المدينة حتى أقرّ أبوه أن العزيز هو محمد ﷺ، وأن هو عبد الله بن أُبي هو الذليل، وظل محبوسًا لما يدخل حتى أذِن له الرسول ﷺ في دخول المدينة. فجعل بعد ذلك إذا أحدث أمرًا كان قومه الذين يعاتبونه ويُعنّفونه.

ففي الموقف الذي حدث مع زيد بن أرقم، قبل نزول سورة المنافقين، لما أخبر النبي ﷺ الأنصار عما فعله عبد الله بن أُبيّ قالوا: لعل الغلام وَهِم، فكان عندهم شيء من التعاطف معه، على حسب ظاهره؛ لذلك التمسوا له الأعذار، لكن بعد هذه الحادثة وبعد نزول السورة الكريمة صار عبد الله بن أُبيّ بن سلول بعد ذلك لا يتكلم بكلمة فيها إساءة للمسلمين أو لرسول الله ﷺ إلا كان قومه هم الذين يُعنفونه ويقفون في وجهه.

فقال النبي ﷺ بعد ذلك لعمر: أما والله لو قتلته يوم قلت لي: اقتله، لأُرعدت له آنُف. أي: لغضب له ناس من قومه وأخذتهم الحمية في الدفاع عنه.

فقال عمر رضي الله عنه: قد علمت، ولأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة.

ومن أبرز أحداث هذه الغزوة: حادثة الإفك.

وخبر هذه الحادثة في الصحيحين: عن «**عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا**

حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا

أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللهِ

مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ

بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ -ﷻ- عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ-: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي «مَا عَلِمْتِ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا،

فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ»[١]

طبعًا في نهاية الأمر لما أنزل الله ﷻ براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أُقيم حد القذف على هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم: حسان، ومسطح، وحمنة رضي الله عنهم، وهم صحابة أجلّاء، لكن هذا يبين أن المؤمن حتى لو كان صحابيًّا أنه ليس معصومًا من الخطأ، وقد يقع في شيء من هذا.

و من أبرز أحداث هذه الغزوة أيضًا: قصة زواج النبي ﷺ بجويرية بنت الحارث:

لما هجم النبي ﷺ على بني المصطلق كانوا خارج البلد، وهجم النبي ﷺ عليهم وهم غارون، أنعامهم ترد الماء، كانوا في غفلة لما أمر أصحابه أن يهجموا هجمة واحدة، فكانوا في غفلة وأنعامهم ترد الماء، وهجموا على البلد، وأخذوا جميع مَنْ فيها من النساء والأطفال سبايا والأنعام.

فبدأ النبي ﷺ يقسم الغنائم، وكان جويرية بنت الحارث بنت سيد القوم، وزعيم بني المصطلق: الحارث بن أبي ضرار، وكانت من نصيب ثابت بن قيس بن شماس، وكان عمرها رضي الله عنها في ذلك الوقت نحو عشرين سنة.

فطلبت من ثابت بن قيس أن يكاتبها، مكاتبة العبد، معناها: أن يتفق مع سيده أن يشتري نفسه منه، يجمع مالًا من الزكوات والصدقات، ويشتري نفسه من سيده، فوافق على هذا.

فجاءت إلى النبي ﷺ وهو جالس مع أصحابه، وقالت: يا رسول الله، إني وقعت في سهم ثابت بن قيس، وقد نزل بي من البلاء ما قد علمت، وإني كاتبته، تريد من النبي ﷺ أن يعينها في هذه الكتابة.

[١] متفق عليه: البخاري ٢٦٦١ ومسلم ٢٧٧٠.

فبعض الصحابة أشار على النبي ﷺ قالوا: تصلح لك يا رسول الله، هذه بنت سيد قومها.

فقال لها النبي ﷺ: أو خيرًا من ذلك، أُعتقك وأتزوجك، يعني أنا أشتريك من ثابت وأعتقك وأتزوجك وتسلمين، فوافقت رضي الله عنها وأرضاها، حتى إن أباها بعد ذلك خيّرها بين أن تبقى مع النبي ﷺ أو ترجع، اختارت البقاء مع رسول الله ﷺ.

فاشتراها النبي ﷺ وأعتقها وتزوجها رضي الله عنها، فلما تزوجها النبي ﷺ قال الصحابة: أصهار رسول الله ﷺ بين أيدينا، قالوا: لا يليق هذا، فأطلقوا عبيدهم، فحرروا في ذلك اليوم مائة بيت، أعتقوهم لوجه الله؛ إكرامًا لرسول الله ﷺ، قالوا: فما كانت امرأة أكثر بركةً على قومها من جويرية رضي الله عنها.

وكانت رضي الله عنها معروفة بكثرة العبادة، فعن **ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ اسْمُ جُوَيْرِيَةَ بَرَّةَ** قَالَ: **فَكَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَرِهَ ذَلِكَ فَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَةَ كَرَاهَةَ أَنْ يُقَالَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ بَرَّةَ**. قال: **وَخَرَجَ** بعدما صلى، **فَجَاءَهَا فَقَالَتْ: مَا زِلْتُ بَعْدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ دَائِبَةً، قَالَ: فَقَالَ لَهَا: « لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَّ لَرَجَحْنَ بِمَا قُلْتِ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللهُ سُبْحَانَ اللهِ رِضَاءَ نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ »**[١]

وكانت تصوم يوم الجمعة حتى نهاها النبي ﷺ عن صيام الجمعة رضي الله عنها.

وتوفيت رضي الله عنها سنة خمسين هجريًّا، يعني عاشت بعد النبي ﷺ أربعين سنة؛ لأن عمرها كان حوالي عشرين سنة وقت زواج النبي ﷺ بها، وكان ذلك في العام الخامس، فبقيت مع النبي ﷺ خمس سنوات، وكان عمرها يوم وفاة النبي ﷺ خمسًا وعشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين وعمرها خمس وستون سنة رضي الله عنها.

[١] مسند أحمد ٢٣٣٤.

الغزوة الحادية والعشرين من غزوات رسول الله ﷺ، وهي: عمرة الحديبية، التي اشتملت على صلح الحديبية.

كثير من علماء السيرة عدّها غزوة من الغزوات؛ لأنها أوشك أن ينشب فيها القتال بين المسلمين وبين المشركين، وكذلك أيضًا كان النبي ﷺ متحسبًا لمحاولة المشركين أن يصدوا المسلمين عن البيت، وصلح الحديبية كان في شهر ذي القعدة في العام السادس الهجري، خرج الرسول ﷺ يريد العمرة، وكان المسجد الحرام في ذلك الوقت في حوزة مشركي قريش.

فالقصد: أن أحداث الغزوة كان فيها احتمال نشوب القتال والحرب، وتحسّب المسلمون لذلك وأخذوا له عُدته، فلذلك عُدّت من ضمن غزوات النبي ﷺ.

وقد أخرج البخاري في صحيحه قصة الحديبية، وساقها بطولها من حديث الزهري **«قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنِ المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانَ، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ، قَالاَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ اليَمِينِ» فَوَاللهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ، فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا: خَلَأَتِ القَصْوَاءُ، خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا خَلَأَتْ القَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلِ المَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يُلَبِّثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ العَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ،**

ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ العُوذُ المَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاؤوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ»، فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا، فَقَالَ سُفَهَاؤُهُمْ: لاَ حَاجَةَ لَنَا أَنْ تُخْبِرَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ، وَقَالَ ذَوُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، أَلَسْتُمْ بِالوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوَلَسْتُ بِالوَلَدِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ تَتَّهِمُونِي؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظَ، فَلَمَّا بَلَّحُوا عَلَيَّ جِئْتُكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ، قَالُوا: ائْتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيْ مُحَمَّدُ أَرَأَيْتَ إِنِ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ العَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟ وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللهِ لَأَرَى وُجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بِبَظْرِ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ،

وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ المِغْفَرُ، فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةُ بِيَدِهِ إلى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخِّرْ يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيْ غُدَرُ، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي غَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ المُغِيرَةُ صَحِبَ قَوْمًا فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَمَّا الاسْلامَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المَالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا فُلَانٌ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعَظِّمُونَ البُدْنَ، فَابْعَثُوهَا لَهُ» فَبُعِثَتْ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلَبُّونَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: رَأَيْتُ البُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ البَيْتِ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ، فَقَالَ: دَعُونِي آتِيهِ، فَقَالُوا: ائْتِهِ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا مِكْرَزٌ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاجِرٌ»، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ.

فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ، عَنْ عِكْرِمَةَ

أَنَّهُ لَمَّا جاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ» قَالَ مَعْمَرٌ: قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَاللهِ لاَ نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» ثُمَّ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ البَيْتِ، وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ» - قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا» - فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ، فَنَطُوفَ بِهِ»، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللهِ لاَ تَتَحَدَّثُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ، فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا، قَالَ المُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ، قَالَ: «بَلَى فَافْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ مِكْرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاهُ لَكَ، قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيْ مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُذِّبَ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللهِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ، وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ

اللهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ العَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى البَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَامَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ، - قَالَ الزُّهْرِيُّ: قَالَ عُمَرُ -: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠] فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ، كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلى المَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: العَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلاَنُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ

الآخَرُ، فَقَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمْكَنَهُ مِنْهُ، فَضَرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الآخَرُ حَتَّى أَتَى المَدِينَةَ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سِيفَ البَحْرِ قَالَ: وَيَنْفَلِتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّأْمِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ، لَمَّا أَرْسَلَ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ البَيْتِ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «مَعَرَّةٌ العُرُّ: الجَرَبُ، تَزَيَّلُوا: تَمَيَّزُوا، وَحَمَيْتُ القَوْمَ: مَنَعْتُهُمْ حِمَايَةً، وَأَحْمَيْتُ الحِمَى: جَعَلْتُهُ حِمًى لَا يُدْخَلُ، وَأَحْمَيْتُ الحَدِيدَ وَأَحْمَيْتُ الرَّجُلَ: إِذَا أَغْضَبْتَهُ إِحْمَاءً»[١]

فبهذا ينتهي الحديث عن صلح الحديبية.

---

[١] صحيح البخاري ٢٧٣١.

الغزوة الثانية والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ: هي غزوة خيبر.

وهي غزوة كانت بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من اليهود يقيمون في منطقة خيبر.

وهذه الغزوة كانت في أوائل شهر المحرم سنة سبع من الهجرة، وصلح الحديبية كان في شهر ذي القعدة من العام السادس الهجري.

فالنبي ﷺ رجع من صلح الحديبية إلى المدينة فمكث فيها شهر ذي الحجة، وبعضًا من شهر المحرم، ثم خرج غازيًا ﷺ متوجهًا إلى خيبر، بعد أن عقد مع مشركي قريش هدنة، يعني توقُّف القتال بين النبي ﷺ ومشركي قريش فتفرغ ليهود خيبر، فتوجه إليهم النبي ﷺ غازيًا.

وخيبر بلد بينها وبين المدينة ثلاثة أيام، في اتجاه الشمال أو الشمال الغربي من المدينة، تبعد عن المدينة مسافة مسيرة ثلاثة أيام.

وهي ذات حصون كعادة بيوت اليهود، فبيوتهم ذات أسوار شاهقة، وحصون منيعة، ومدينتهم مقسمة إلى حصون، ويسكنون داخل هذه الحصون، وأعظم هذه الحصون حصن يُسمى القموص (بالصاد)، حصن القموص، فهذا كان أكبر هذه الحصون، والحصن يسكن فيه أُسَر كثيرة، داخل حصن واحد ذي أسوار عالية، وله باب لا يدخله إلا سكان هذا الحصن، ويُغلّقون الأبواب ويضعون عليه الحراسة.

فسار النبي ﷺ حتى نزل بساحتهم ليلًا، فلم يصح لهم تلك الليلة ديك، وكان النبي ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغِر عليهم حتى يصبح.

فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار؛ لأن الناس كانوا قد بدؤوا يدخلون في دين الله أفواجًا، وصارت قرى كثيرة وقبائل كثيرة تدخل في الإسلام، فالنبي ﷺ كان إذا أراد

أن يغير على قوم يخشى أن يكونوا قد أسلموا ولم يبلغه خبر إسلامهم، فكان ﷺ إذا وصل إليهم ليلًا ينتظر حتى يطلع الفجر، فيكون أذان الفجر علامة على إسلامهم، فإذا لم يسمع أذانًا يكون هذا تأكيدًا على أنهم من المشركين، فالأصل أنه لم يصله خبر عن إسلامهم ويؤكد هذا بانتظاره إلى وقت الصلاة فلا يجد أثرًا للصلاة وهو الأذان فيهاجمهم عليه الصلاة والسلام.

فبات تلك الليلة فلم يسمع أذانًا؛ فركب النبي ﷺ، وكان عمّال خيبر قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم؛ فلما رأوا جيش النبي ﷺ قالوا: محمد والخميس، محمد والخميس، الخميس معناه: الجيش، والجيش يُسمى خميسًا؛ لأنه خمسة أقسام: ميمنة، وميسرة، ومقدمة، ومؤخرة، وقلب.

فقال المصطفى ﷺ: الله أكبر، خربت خيبر، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وكانت راية النبي ﷺ سوداء، وورد هنا في الروايات: أن النبي ﷺ اتخذها من بُرد لعائشة، أي: ثوب لعائشة أسود.

فتحصن اليهود في حصونهم، وأغلقوا عليهم أبوابهم وأسوارهم،كما وصفهم الله جل وعلا: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾[الحشر: ١٤] طبعًا الجدر قد تكون من البناء أو من الدبابات والطائرات، هذه الجدر التي يتحصنون خلفها، ليس عندهم من الشجاعة أن يواجهوا المسلمين وجهًا لوجه، ولكن داخل الحصون والأسوار الشاهقة، أو داخل الجدر التي تحميهم، فدخلوا داخل حصونهم، وأغلقوا عليهم الحصون، وفي العادة يكون عندهم مؤن تكفيهم، فدائمًا يكونون مستعدين، إذا هوجموا يكون عندهم خزين واحتياطي يكفيهم مدة.

فبدأ النبي ﷺ يحاصر حصونهم حصنًا حصنًا، يحاصر الحصن حتى إذا تمكن من مهاجمته وفتْحه ينتقل إلى الحصن الذي بعده.

فأول حصن افتتحه النبي ﷺ هو حصن «ناعم» حصن اسمه حصن ناعم، فهذا أول حصن حاصره النبي ﷺ، واستُشهد في حصار هذا الحصن محمود بن مسلمة، أُلقيت عليه منه صخرة، من فوق الحصن، وتمكن النبي ﷺ من افتتاح هذا الحصن.

ثم انتقل النبي ﷺ إلى حصن القموص، أكبر حصون خيبر.

وكان في هذا الحصن سلّام بن أبي الحقيق، وهذا واحد من زعماء اليهود الكبار.

فحاصر النبي ﷺ هذا الحصن، ثم تمكن أيضًا من افتتاحه عليه السلام وأصاب منهم سبايا؛ النبي ﷺ لما فتح هذا الحصن فأخذ نساءهم وأطفالهم سبايا عنده عليه السلام.

وممَّنْ سُبي في هذا الحصن: صفية بنت حُيي بن أخطب، أبوها كان من زعماء اليهود الذين قاتلهم النبي ﷺ سابقًا في المدينة، وانتقلوا إلى خيبر، وأُسرَت وأُخذَت من السبايا، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وكانت إلى هذه اللحظة يهودية لم تُسلِم بعد، ثم أسلمت رضي الله عنها وأرضاها، وأعتقها النبي ﷺ وتزوجها كما سيأتي.

كان بلال رضي الله عنه هو الذي جاء بها وبأخرى معها إلى النبي ﷺ.

فمرّ بهما على القتلى، فالتي مع صفية لما رأت القتلى اليهود من قرابتها صاحت وصكّت وجهها تأثُّرًا من قتلى اليهود.

وأما صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها فكانت متزوجة قبل النبي ﷺ برجل من اليهود، اسمه:كنانة بن الربيع، فرأت في المنام أن قمرًا وقع في حجرها فذكرت هذه الرؤيا لزوجها كنانة بن الربيع وهي عروس، فلطمها على وجهها، وقال: ما هذا إلا

أنك تتمنين ملك الحجاز محمدًا. هذا كان تأويل هذا اليهودي ووقع هذا التأويل، كان تأويله صوابًا ووقع لاحقًا لما تزوجها المصطفى عليه السلام.

وتزوجها ﷺ في رحلة العودة إلى المدينة بعد الانتهاء من فتْح خيبر، وبنى بها ﷺ، في الطريق في قُبة،: يعني خيمة، وبات أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه متوشحًا سيفه، وظل يدور حول قبة النبي ﷺ في تلك الليلة، فسمع النبي ﷺ سمع الصوت، فخرج ﷺ فوجد أبا أيوب وعليه السيف، ويدور حول القبة.

فرآه المصطفى ﷺ قال: ما لك؟ قال: خفت عليك من امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر.

ولما فُتِح حصن القموص كان فيه كنانة بن الربيع، هو زوج صفية السابق، فأُخِذ من ضمن الأسرى، وكان النبي ﷺ يعلم أنه عنده كنز يهود بني النضير، وهو خارج من المدينة كان عنده جلد بقرة أو نحوه، معبأٌ كله عن آخره بالذهب والفضة والأموال، وكنوز بني النضير كلها كانت محفوظة عنده في جلد عظيم، والنبي ﷺ بلغه أن كنانة أخذ هذا الكنز معه وارتحل به إلى خيبر.

فسأله النبي ﷺ قال: أين كنز بني النضير؟

فجحده، وقال: أفنتْه الحروب والنفقات، فقال له النبي ﷺ: كذبت؛ العهد قريب والمال أكبر من ذلك، فدفعه النبي ﷺ للزبير بن العوام رضي الله عنه وقال: عذّبه، فأخذه الزبير وجعل يقدحه بعود في صدره حتى أشرف على نفسه، فلما ظل الزبير يعذبه اعترف أن الكنز في خربة، فلما وجدوا الكنز دفعه النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه، وقال له: اضرب عنقه بأخيك، وأخوه هو محمود بن مسلمة الذي ألقوا عليه الحجر. فضرب عنقه.

وفشت السبايا من خيبر في المسلمين؛ يعني سبى المسلمون نساءً كثيرات من يهوديات خيبر، وفرّقها النبي ﷺ على المجاهدين معه.

بعد ذلك انتقل النبي ﷺ إلى حصن الوطيح، وحصن السُّلالِم، وكانا آخر الحصون.

فحاصر النبي ﷺ هذين الحصنين بضع عشرة ليلة، فخرج رجل من شجعان اليهود، اسمه مرحب، ونادى مَنْ يبارز؟ وأخذ يُنشد:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطلٌ مُجرّب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب   إذا الليوث أقبلت تلهّبُ

فقال المصطفى ﷺ: مَنْ لهذا؟

قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أنا.

قال: قم إليه، اللهم أعنه عليه.

فتبارزا، فقتل محمد بن مسلمة مرحبًا،

فخرج بعده أخوه ياسر، فقال: مَنْ يبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام.

فقالت صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه : فقالت: يُقتَل ابني يا رسول الله.

فقال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله»، فقتله الزبير.

ثم اشتد الحصار، فقال النبي ﷺ: لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرّار، يعني ليس ممَّنْ يهرب.

فتطلع إليها الصحابة، وجاؤوا مبكرين ينتظرون مَنْ يدعوه النبي ﷺ، فورد أن عمر

ﷺ كان يقول: إنه ما تطلع للإمارة إلا ذلك اليوم لما قال النبي ﷺ: «لأعطينّ الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله» فتمنى أن يكون هو الذي يختاره النبي ﷺ أميرًا على هذه المجموعة التي يكلفها باقتحام الحصن.

فجاؤوا فجعل النبي ﷺ ينظر فيهم، فقال: أين علي؟ قالوا: يشتكي عينه، به رمد، فقال النبي ﷺ: أحضروه.

فتفل في عينيه ﷺ، قال: فما رمدت حتى مات؛ النبي ﷺ تفل في عينيه فذهب الرمد وعادت عينيه كأصح ما يكون وما رمدت عيناه حتى مات رضي الله عنه.

فأعطاه النبي ﷺ وقال: «خذ هذه الراية فامضِ حتى يفتح الله على يديك»، فخرج يهرول حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي فقال: مَن أنت؟ قال: علي، قال: علوتم وما أُنزِل على موسى!

فخرج أهل الحصن إلى علي رضي الله عنه، ومَنْ معه فقاتلهم رضي الله عنه، فضربه رجل من اليهود فطرح تُرسه من يده، كان يحمل ترسًا، الترس: عبارة عن قطعة من الحديد تُمسك باليد، لها مقبض، فكان علي رضي الله عنه معه تُرس، ويقاتل بيد ويحمل الترس باليد الأخرى.

فأخذ بابًا عند الحصن فجعله تُرسًا، وجعل يقاتل بيد والباب يتوقى بها ضربات اليهود باليد الأخرى، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه.

وورد في بعض الروايات أنه لما انتهى القتال ألقى علي الباب فحاول ثمانية نفر من الصحابة أن يحملوا هذا الباب فلم يستطيعوا حمله من ثقله، فإذا صحّ هذا فتكون هذه كرامة من الله سبحانه وتعالى والله تعالى يُكرم مَنْ يشاء، فأكرمه الله جل وعلا بأن مكّنه من حمْل هذا الباب الثقيل رضي الله عنه.

فلما أيقن أهل هذين الحصنين بالهلكة، استسلموا ، طلبوا من النبي ﷺ أن يُسيّرهم ويحقن لهم دماءهم.

فسمع بذلك أهل فدَك- فدك هذه قرية قريبة أيضًا من خيبر- فطلبوا من النبي ﷺ مثلما طلب أهل هذين الحصنين.

ثم إن النبي ﷺ صالح أهل خيبر على أن يعاملهم في الأموال على النصف، و خيبر أرض زراعية وفيها مزارع ونخيل، فأبقاهم فيها لكن على شرط: نصف ما يخرج من ثمار خيبر وتمورها يكون للمسلمين.

على أن الأرض للمسلمين، قال: على أنا متى أردنا إخراجكم أخرجناكم، فوافقوا على ذلك فكانت خيبر فيئًا للمسلمين.

فلما انتهت المعركة، وعقد الصلح ، أتت زينب امرأة سلّام بن مشكم- أحد زعماء اليهود - بشاة مصلية: أي: مشوية، ووضعت فيها سمًّا، ودعت النبي ﷺ وأصحابه إلى الطعام، فذهب النبي ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فلاك منها قطعة ولم يُسغها، يعني مضغ قطعة، ولم يُسغها: يعني لم يبتلعها.

وكان ممّنْ حضر بِشر بن البراء ﵁، لاك مضغة فأساغها، ثم قال المصطفى ﷺ: إن هذا العظم يُخبرني أنه مسموم. فأمرهم أن يكفّوا أيديهم.

ثم دعا النبي ﷺ المرأة، فقال: أنتِ وضعتِ سُمًّا في هذه الشاة، وكانت سألت أي الشاة أحبّ إلى النبي ﷺ؟ فقالوا: الذراع.

فوضعت السم في الشاة كلها وكثّرت السم في الذراع

فالنبي ﷺ دعاها فاعترفت وقالت: قلت: إن كنت ملكًا استرحنا منك، وإن كنت

نبيًّا فستُخبَر، فتجاوز عنها النبي ﷺ في أول الأمر، فلما مات بِشر بن البراء أمر بها النبي ﷺ فقتُلت ببشر رضي الله عنه.

واحتجم المصطفى ﷺ في ذلك اليوم؛ لأن الحجامة ربما تُخفف من أثر ما قد يكون دخل إلى الدم من السم، ولما حضرته الوفاة قال ﷺ: ما زالت الأكلة التي أكلت يوم خيبر تعاودني.

وكانوا يرون أن النبي ﷺ مات شهيدًا مع ما أكرمه الله به من النبوة.

وأثناء رجوع النبي ﷺ من خيبر توجه إلى وادي القرى، فحاصر أهله ليالي ثم رجع إلى المدينة.

ووافق ذلك قدوم الصحابة الذين كانوا مهاجرين إلى الحبشة، وهم جعفر بن أبي طالب ومن معه، فقال ﷺ: «لستُ أدري بأيهما أُسَرّ؛ بفتح خيبر أم بقدوم خيبر؟».

ومكث الصحابة رضي الله عنهم في الحبشة، رغم أن الحبشة كانت بلدًا نصرانيًّا، لكن كان ملكها النجاشي مسلمًا.

ومكث الصحابة رضي الله عنهم في الحبشة؛ لأنهم كانوا آمنين، وقادرين على إقامة دينهم في ذلك المكان، وبهذا يستدل الفقهاء على أن الإنسان إذا أقام في بلد غير مسلم وكان قادرًا على إقامة دينه، بأن يؤدي العبادات كلها فلا تلزمه الهجرة إلى دار الإسلام، وحملوا الآيات والأحاديث التي ورد فيها التحذير من الإقامة في بلاد المشركين على أنها وردت بشأن المسلمين الذين كانوا في مكة وما أشبهها من البلاد، يعني الذين يُضطهدون ويُعذّبون من أجل دينهم ويُمنعون من الصلاة ويُمنعون من الظهور بأنهم مسلمون ويُمنعون من الجهر بدينهم وإظهار دينهم.

فهذه التي يُحمَل عليها تلك النصوص، ففي الواقع المعاصر مثلًا بلاد مثل تركيا أيام أتاتورك، أو البلاد الشيوعية أيام قوة الاتحاد السوفيتي السابق، في أيام ستالين ولينين في تلك الأوقات كان أتاتورك يمنع الأذان، ويمنع التسمي بأسماء المسلمين، ويمنع الكتابة بالعربية، ويمنع الحجاب.

وفي أيام الشيوعية في أولها كان الذي يُضبَط معه مصحف أو يتسمى بأسماء المسلمين يُسجَن، ويُعدَم أو يُعذّب.

ففي مثل هذه الحالة لا يحل البقاء في بلد بهذا الوضع إلا لمَنْ كان عاجزًا عن الهجرة؛ لأنه إذا بقي بهذا الوضع لا يستطيع أن يصلي ولا يستطيع أن يصوم، والمرأة لا تستطيع أن تتحجب ولا يستطيع أن يسمي أولاده أسماء المسلمين، فتكون النهاية ذوبان المسلمين في هذا المجتمع، ومثل: أوضاع أسبانيا أيام محاكم التفتيش؛ فقد هاجر بعض المسلمين وبقي بعضهم في أسبانيا أيام محاكم التفتيش قبل ستمائة عام أوسبعمائة عام مضت.

فكان مَنْ بقي من المسلمين يُعاقَبون: فمَنْ ضُبط يتوضأ وقت الفجر، أو ضُبِط متلبّسًا بأي شعيرة من شعائر الإسلام كان يؤخذ ويُعذّب ويُقتَل، فكانت النتيجة أن الذين بقوا ذابوا، لم تستطع ذريتهم ولا أجيالهم الحفاظ على الدين.

فهذه الحالات تُحمَل عليها هذه النصوص مثل : «أنا برئ ممَّنْ يقيموا بين أظهر المشركين»، لكن إذا قدر على إقامة دينه، فحتى لو كان قادرًا على الهجرة فلا تجب عليه، فالصحابة في الحبشة كانوا قادرين على الهجرة، لكنهم لم يهاجروا؛ لأنهم قادرون على إظهار دينهم في تلك البلاد رضي الله عنهم.

وفي هذه الأثناء كان إسلام أبي هريرة رضي الله عنه ومَنْ معه من قبيلة دوس جاؤوا مسلمين.

الغزوة الثالثة والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ هي: عمرة القضاء، أو عمرة القضية.

وبعض علماء السيرة يعدّونها من غزوات رسول الله ﷺ، وبعضهم يعُدّها كسفرة من سفرات النبي ﷺ، ليس لها علاقة بالغزوات.

المؤلف هنا ممَّنْ عدّ عمرة القضاء من الغزوات بناءً على أن هذه العمرة كانت من ضمن شروط الصلح أو الهدنة التي عقدها النبي ﷺ بينه وبين المشركين.

وكان من ضمن بنود الصلح: أن يرجع النبي ﷺ وأصحابه في هذا العام، وهو العام السادس، على أن يأتوا بعدها بسنة، يعني في شهر ذي القعدة من العام السابع للاعتمار مرة أخرى، فتكون هذه العمرة قضاءً عن العمرة التي لم يتمكنوا منها في العام السادس؛ فسُميت عمرة القضية أو عمرة القضاء؛ بمعنى: أن هذه العمرة قضاء عن العمرة التي أرادها النبي ﷺ ولم يتمكن منها ومُنِع من دخول البيت.

فنظرًا لارتباط هذه العمرة بموضوع الهدنة والصلح الذي وقع بين النبي ﷺ والمشركين، والصلح هو: توقُّف الحرب لمدة معينة، وكان هذا بندًا من البنود، فبعض العلماء ألحقوها بغزوات النبي ﷺ بناءً على هذا.

خرج النبي ﷺ في شهر ذي القعدة في العام السابع الهجري، ولم يتخلّف أحد ممَّنْ شهد الحديبية، والصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ في عمرة الحديبية، حوالي ألف وأربعمائة صحابي ، كلهم خرجوا مع النبي ﷺ في عمرة القضاء.

فلما سمع به أهل مكة نفرت أشرافهم إلى البوادي كراهة أن ينظروا إلى النبي ﷺ غيظًا وحُنقًا، وتحدثت قريش أن محمدًا وصحبه في جهد وشِدة، فأحيانًا يتمنى الإنسان شيئًا فيشيع أن هذا الشيء حصل، وهو ما حصل، هم يتمنون أن يكون النبي

ﷺ وأصحابه في جهد وشدة وعناء، فأشاعوا هذا الأمر: أن النبي ﷺ وأصحابه بهم مرض وجهد وقِلّة طعام، فقالوا: سيأتيكم ناس قد أوهنتهم حمى يثرب.

وصفّوا عند دار الندوة؛ لينظروا إليهم، وهم يطوفون. ودار الندوة هذه تكشف جزءًا من الكعبة وجزءًا من المسجد الحرام ينظرون منه إلى النبي ﷺ وأصحابه.

فاضطبع المصطفى بردائه، والاضطباع: هو إظهار الكتف الأيمن، بأن يلف الرداء من تحت اليد اليمنى بحيث يُبدي كتفه الأيمن، ويجعل طرفي الرداء على كتفه الأيسر؛ لأن الطواف بالكعبة تكون الكعبة فيه على يسارك فالجهة اليمنى هي البادية، والجهة اليسرى جعلها مغطاة؛ لأنها في جهة الكعبة.

وكانت المسافة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني غير ظاهرة لمشركي قريش.

فالنبي ﷺ اضطبع، ثم استلم الحجر وهرول أي: رمَل في الطواف، والرَّمل: هو السرعة في المشي بحيث تكون هيئته كهيئة مَنْ يركض.

فجعل النبي ﷺ يرمل في الأشواط الثلاثة الأولى إلا في الجزء الذي بين الحجر والركن اليماني، ثم يعود إلى الرَّمَل.

فهرول النبي ﷺ ثلاثة أشواط، ومشى في سائرها.

وقال ﷺ: «رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة»، فأمر النبي ﷺ المسلمين أن يُظهروا القوة، فإظهار القوة أمام المشركين الذين يكيدون للإسلام، والذين يشمتون بضعف المسلمين هذا من العمل الصالح.

كما قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌ﴾[التوبة:١٢٠]؛ فإغاظة الكفار هذا عمل صالح

إذا كانوا يكيدون للإسلام ويحاربون الدين.

ودخل النبي ﷺ مكة وعبد الله بن رواحة ينشد بين يديه أبياتًا، يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير في رسوله

يا ربي إني مؤمن بقيله   أعرف حق الله في قبوله

وبعث النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب يخطب ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين ﵂، وكانت امرأة مؤمنة ﵂ وأرضاها، وكانت في مكة وتتعرض لأذى من قومها، وينالها منهم شِدة وعناء، فأكرمها النبي ﷺ بالزواج بها، وبعث جعفر يخطبها له، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب، فزوجها من النبي ﷺ.

ثم قضى النبي ﷺ نُسكه وأقام بمكة ثلاث ليالٍ، فلما أصبح اليوم الرابع جاء سُهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى؛ وهما من زعماء قريش إلى النبي ﷺ، وقالا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا، فقال سعد بن عُبادة ﵁ : كذبت. ليست بأرضك ولا أرض أبيك، لا يخرج إلا راضيًا. فقال المصطفى ﷺ: ويحك يا سعد، لا تؤذِ قومًا زارونا في رحالنا، ثم قال النبي ﷺ لهما : «وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم وصنعت لكم طعامًا».

قالا: لا حاجة لنا بطعامك، اخرج عنّا. فأذّن بالرحيل، وخلّف أبا رافع؛ ليأتيه بميمونة، حتى أتاه بها بسَرِف، سَرِف: مكان بين مكة والمدينة، في طريق العودة، قريبة من مكة، فبنى بها النبي ﷺ بسَرِف وصنع وليمة وأطعم أصحابه وهم في طريق العودة من عمرة القضاء، عائدين إلى المدينة. وأدلج النبي ﷺ فسار حتى قدِم المدينة؛ أدلج: يعني سافر بالليل، واصل السفر بالليل، حتى إلى المدينة النبوية.

الغزوة الرابعة والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ هي: فتْح مكة. وكانت هذه الغزوة في شهر رمضان من العام الثامن الهجري.

وسبب هذه الغزوة: أنه في صُلح الحديبية الذي كان في العام السادس الهجري بين النبي ﷺ ومشركي قريش، كان من بنود الهدنة: أنه مَنْ أراد من قبائل العرب أن يدخل في حلف محمد ﷺ دخل، ومَنْ أراد أن يدخل في حلف قريش دخل، وأنه مَنْ دخل في حلف النبي ﷺ فأي اعتداء عليه من قريش يُعتبَر نقضًا للهدنة، وأي قبيلة تدخل في حلف قريش فإذا اعتدى عليها النبي ﷺ يُعتبَر هذا خرْقًا للهدنة، فدخلت قبيلة خزاعة في حلف النبي ﷺ: مُسلمهم وكافرهم. ودخل بنو بكر في حلف قريش.

ففي العام الثامن الهجري قبيل فتْح مكة حصل اقتتال بين خزاعة وبني بكر.

فالمفترض حسب شروط الهدنة: أن النبي ﷺ لا يقاتل بني بكر، وأن قريشًا لا تقاتل خزاعة، لكن الذي حصل أن قريشًا تدخلت في هذه المعركة بمساعدة بني بكر الذين هم حلفاؤهم، وناصروهم سرًّا حتى قتلوا رجالًا من خزاعة.

«وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قدم على رَسُول الله ﷺ يخبر الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أنشدها إِيَّاه:

يَا رب إنـى نَاشـد مُحَمَّـدًا حلـف أَبِيـه وأبينـا الأتلـدا

قَـدْ كُنْتُـمُ وُلْـدًا وَكُنَّـا وَالِـدَا ثُمَّـتَ أَسْـلَمْنَا فَلَـمْ نَنْـزِعْ يَـدَا

فَانْصُـرْ رَسُـولَ اللهِ نَصْـرًا أبـدا وَادْعُ عِبَـادَ اللهِ يَأْتُـوا مَـدَدَا

فِيهِـمْ رَسُـولُ اللهِ قَـدْ تَجَـرَّدَا إِنْ سِـيمَ خَسْـفًا وَجْهُـهُ تَرَبَّـدَا

فِـي فَيْلَـقٍ كَالْبَحْـرِ يَجْـرِي مُزْبِدَا   إِنَّ قُرَيْشًـا أَخْلَفُـوكَ الْمَوْعِـدَا
وَنَقَضُـوا مِيثَاقَـكَ الْمُؤَكَّـدَا   وَجَعَلُـوا لِـي فِـي كَـدَاءٍ رُصَّـدَا
وَزَعَمُـوا أَنْ لَسْـتُ أَدْعُـو أَحَـدَا   فَهُـمْ أَذَلُّ وَأَقَـلُّ عَـدَدَا
هُـمْ بَيَّتُونَـا بِالْوَتِيـرِ هُجَّـدًا   وَقَتَّلُونَـا رُكَّعًـا وَسُـجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نصرت يَا عَمْرو بن سَالم» فَمَا برح حَتَّى مَرَّتْ بِنَا عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ».

وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاس بِالْجِهَازِ وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبَرَهُ حَتَّى يَبْغَتَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ»[١]

فوصل إلى قريش أن النبي ﷺ علِم بما فعلوه، فعضّوا أصابع الندم بعدما فعلوا فعلتهم.

فقدِم أبو سفيان إلى المدينة؛ ليُشد العقد ويزيد في المدة، فدخل على ابنته أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) أم المؤمنين رضي الله عنها، فأراد أن يجلس على فراش النبي ﷺ فطوَتْه، فقال: يا بنية، أرغبتِ بي عن هذا الفراش؟ أم رغبت به عني؟

قالت: هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس.

فقال: لقد أصابك بعدي شر.

ثم خرج فلقي المصطفى ﷺ، فكلمه فلم يرد عليه، فكلّم أبا بكر أن يكلم المصطفى ﷺ، فقال أبو بكر: ما أنا بفاعل.

---

[١] السيرة النبوية لابن كثير: جـ٣، صـ٥٢٧.

فذهب إلى عمر بن الخطاب ﷺ، فكلّم عمر، أنيشفع لهم عند النبي ﷺ حتى يقبل تجديد الهدنة.

فقال عمر: أنا أشفع لكم؟! والله لو لم أجد إلا الذرّ لجاهدتكم به. فدخل على عليّ بن أبي طالب ﷺ، وعنده فاطمة وابنها حسن، فقال: يا عليّ، أنت أمَسُّ القوم بي رحمًا، جئتُ في حاجةٍ، وذكر حاجته: أن قريشًا أخطأت لما ناصرت بني بكر ، وأنهم نادمون على ذلك، ويريدون تجديد الهدنة.

فقال عليّ ﷺ: لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.

فتوجه بالحديث إلى فاطمة ﷺ، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

فقالت فاطمة ﷺ: ما بلغ ابني أن يجير.

فقال أبو سفيان: قال: يا أبا الحسن، قد اشتد الأمر فانصحني، فقال علي ﷺ: ما أعلم شيئًا يُغني عنك، لكنك سيد بني كنانة فقُم فأجِر بين الناس، ثم الحق بأرضك، وبنو كنانة تشمل قريشًا وقبائل أخرى، فقريش من القبائل الكنانية، فقال: أنت سيد بني كنانة، لست سيد قريش وحدها.

فقم فأجر بين الناس، يعني: قم أنت ونادِ في الناس، وقل: أنا أجرت بين الناس، يعني أنا منعت القتال بين الناس.

ثم الحق بأرضك، يعني قال له: قم وارفع صوتك وقل ما تريد أن تقوله وارجع إلى أرضك، ولا نملك لك شيئًا زيادة على هذا. فقام فقال: أيها الناس! قد أجرتُ بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما قدِم مكة أخبرهم.

فقالوا: فهل أجاز لك محمد؟ قال: لا.. قالوا: فما يغني عنك ما قلت.

قال: ما وجدتُ غير ذلك.

وأمر المصطفى ﷺ الناسَ أن يتجهزوا للقتال، وأمر النبي ﷺ أهله أن يُجهّزوه، أي: يُجهزوا له عدة الحرب.

ودخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة رضي الله عنها وهي تُجهّز عدة الحرب للنبي ﷺ وما يحتاجه من المتاع في السفر.

فسأل أبو بكر ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أين ترينه يريد؟ فقالت: لا أدري.

وكان النبي ﷺ يأخذ بالكتمان، فإذا أراد غزوة ورّى بغيرها فلا يحدد إلى أي وِجهة هو متوجه ﷺ للقتال.

فالنبي ﷺ أمر الناس أن يتجهزوا للقتال، لكن لم يُخبرهم تحديدًا إلى أين هو متوجه.

ثم إن النبي ﷺ أعلم الناس أنه قاصد مكة، ثم قال ﷺ: اللهم خُذ الأخبار والعيون عن قريش.

وخرج ﷺ في عشرة آلاف مقاتل، وهذا يدل على كثرة مَنْ أسلم بعد صُلح الحديبية،

وعُمّيت أخبار النبي ﷺ على قريش فلا يأتيهم عنه خبر؛ فاستجاب الله جل وعلا دعاء النبي ﷺ، حتى النبي ﷺ وصل مر الظهران.

فخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم بن حزام يتجسسان الأخبار، وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قد خرج مهاجرًا إلى المدينة، بأهله وعياله، فالتقى بالنبي ﷺ عند مر الظهران، فقال العباس: واصباح قريش إن دخل مكة عنوة قبل أن يستأمنوه! إنه

لهلاكهم إلى آخر الدهر. فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرج العباس؛ لعله يجد بعض الحطّابة الذين يجلبون الحطب من تلك المنطقة، فإذا به يلتقي بأبي سفيان وبُديل بن ورقاء يتحادثان.

وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط، وكان النبي ﷺ أمرهم أن يوقدوا نيرانهم، وكان النبي ﷺ؛ ليُظهِر كثرة عدد جيش المسلمين، فأوقدوا عشرة آلاف نار، أضاءت الليل حتى صار الليل كالنهار.

فأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط، فقال العباس: أبا حنظلة؟ قال: أبا الفضل؟

فقال العباس رضي الله عنه لأبي سفيان: إن ظفر بك ليضربن عنقك، فركب، قال العباس: فجئت به، كلما مرّ بنار قالوا: مَنْ هذا؟ فإذا رأوا البغلة قالوا: هذا عم رسول الله ﷺ على بغلته. حتى مررت بنار عمر، فلما رأى أبا سفيان قال: عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ؛ يريد أن يُخبِر النبي ﷺ بأن أبا سفيان قادم، ويشير عليه أن يقتله قبل أن يشفع الناس فيه، ويطلبون من النبي ﷺ العفو عنه.

قال العباس: فسبقته بما تسبق الدواب الرجل، فدخلتُ عليه ودخل عمر، فقال: هذا أبو سفيان، اضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله، إني أجرته.

فقال النبي ﷺ للعباس: اذهب به إلى رحْلك فإذا أصبحت فأتني به.

قال: فغدوتُ به، فلما رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟

قال: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئًا بعد. قال: ألم يأنِ لك أن تعلم أني رسول الله؟

قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك! أما هذه ففي نفسي منها شيء حتى الآن.

فقال له العباس: أسلِم قبل أن يضرب عنقك.

فأسلم.

وهذا فيه دليل على أن العبرة في قبول الإسلام بالظاهر، يعني رغم أنه قال قبل إسلامه بلحظة يقول: في نفسي شيء من الشهادة للنبي ﷺ بالنبوة، ومع ذلك لما أسلم قبل النبي ﷺ إسلامه، وحسُن إسلامه مع الوقت بعد ذلك رضي الله عنه، وثبت، وأبلى بلاءً حسنًا بعد ذلك رضي الله عنه، فخرج يقاتل في سبيل الله، وجاهد في معركة اليرموك، حتى أُصيبت عينه في القتال.

ثم قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، ﷺ إنه رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا، وهذا فيه درس أيضًا بمراعاة نفوس الناس وطبائع الناس ، والتغاضي عن بعض ما لا يُحمَد من الصفات، والتعامل معه بحكمة، فهذا الرجل كان زعيمًا في قومه، ورجلًا وجيهًا في قومه، فهو يحب الفخر، يحب أن يكون متميزًا عن الباقين، وله شيء يفتخر به.

فقال النبي ﷺ: «مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، ومَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد الحرام فهو آمن».

فالنبي ﷺ جعل له فخرًا، مع أن كل من أغلق عليه بابه فهو آمن، فالنبي ﷺ لن يفتح بابًا ويعتدي على أهله، فإذًا أي بيت مغلق فأصحابه آمنون، فبيت أبي سفيان وبيت غيره سواء، لكن النبي ﷺ ذكر بيت أبي سفيان؛ ليكون له شيء من الفخر أنه خُصّ بالذِّكر،

فقال: من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بيته فهو آمن.

فذهب لينصرف، فقال النبي ﷺ للعباس: احبسه بمضيق الوادي؛ حتى تمر به جنود الله فيراها.

فحبسه العباس، يعني توقف به، قال له: ننتظر هنا حتى يمر الناس، وأوقفه بحيث يرى كثرة عدد المسلمين فيدخل في قلبه مهابة المسلمين، ويستشعر كثرة عدد المسلمين وعِظَم قوة المسلمين. ففعل.

فمرت به القبائل على راياتها، فمرت قبيلة فقال: يا عباس، مَنْ هذه؟ قال: سُليم، فقال: ما لي ولسُليم، ثم مرت قبيلة، فقال: مَنْ هذه؟ فقال: مُزينة، فقال: ما لي ولمُزينة، حتى مرت القبائل كلها، وبقي النبي ﷺ وأصحابه.

فمر المصطفى ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى منهم إلا الحدق، يعني، لا تُرَى منهم إلا العيون من الحديد، فكانوا يلبسون دروعًا وخوذات، ولا يُرَى منهم إلا الحِدَق من الحديد يعني من كثرة الحديد الذي يلبسونه.

قال: مَنْ هؤلاء؟

قال: رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار.

قال: يا أبا الفضل، قد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا.

قال: إنها النبوة.

قال: فنعم إذًا، فقل له: الحق بقومك؛ قال: فجاء فصرخ بأعلى صوته: هذا محمد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به فمَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمِن، فقامت إليه هند بنت عتبة

زوجته، فأخذت بلحيته، وقالت: اقتلوا الشيخ، الحميت الدسم، قُبِّح من طليعة قوم.

فقال أبو سفيان: لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

ثم إن النبي ﷺ وصل إلى منطقة ذي طوى، في مكة.

ووقف ﷺ على راحلته، وقد اعتجر بشق من بردة حمراء، كان عنده بُردة حمراء فاعتجر، اعتمّ بجزء من البردة.

وإنه ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح،وسجد لله ﷻ وهو على الراحلة، فوضع رأسه حتى إن رأسه ليمس الرحل، الرحل: هو ما يوضع على الراحلة يعني ما يُركَب عليه.

فلما دخل النبي ﷺ مكة دخل المسجد الحرام، فجاء أبو بكر بأبيه يقوده، فقال له النبي ﷺ: «هلّا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه»؟ فقال: هو أحق أن يمشي إليك.

فمسح النبي ﷺ صدره وقال: أسلِم فأسلم.

ورأى النبي ﷺ كأن رأسه ثغامة؛ يعني مثل السحابة، بيضاء ليس فيها شعرة سوداء،

فقال: غيّروا هذا بشيء، وجنّبوه السواد؛ أوصاهم النبي ﷺ أن يخضبوا رأسه ولحيته بشيء من الخضاب، لكن أمرهم أن يُجنّبوه السواد، يعني ليس باللون الأسود ولكن بلون آخر.

ثم إن النبي ﷺ بعدما دخل مكة قسّم جيشه قسمين: قسمًا أمّر عليه الزبير بن العوام، وقسمًا أمّر عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه.

فقال سعد: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحرمة، وكان النبي ﷺ قال: «إن الله

أحلّها لنبيّكم ساعة من نهار، ثم عادت حُرمتها كيوم خلق الله السموات والأرض، فإن ترخّص أحد بقتال رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أحلّها لنبيّه ولم يُحلّها لكم».

فلما قال سعد: اليوم تُستحَل الحرمة، قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما نأمن أن تكون لسعد في قريش صولة، فأشار عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ أن يستبدل سعدًا بأمير آخر يكون من قريش؛ حتى يكون أرفق بهم في القتال.

فقال النبي ﷺ لعلي: خُذ الراية فادخل بها، أخذ راية سعد وأعطاها لعلي رضي الله عنه نزولًا على مشورة عمر رضي الله عنه.

وأمّر النبي ﷺ خالد بن الوليد على الميمنة، كان الزبير على الميسرة، وخالد بن الوليد كان على ميمنة الجيش.

فدخل خالد من أسفل مكة، فلقيه بنو بكر، فقاتلوه فقتل منهم نحو عشرين وانهزموا، وارتفعت طائفة على الجبل، وتبعهم المسلمون بالسيوف، فلما علا النبي ﷺ، رأى هؤلاء الذين فوق الجبل، والمسلمون يقاتلونهم.

وكان النبي ﷺ نهاهم عن القتال، قال: «إلا مَنْ قاتلكم».

فلما رأى النبي ﷺ المسلمين يلاحقون هؤلاء الصاعدين فوق الجبل بالسيوف، قال: «ألم أنه عن القتال»؟

فقال المهاجرون: نظن أن خالدًا قوتل وبُدئ بالقتال فلم يكن بُد من أن يقاتل مَنْ قاتله، وما كان ليعصيك.

وأهدر النبي ﷺ دم نفر من قريش، وأمر بقتلهم ولو وجدوهم متعلقين بأستار الكعبة، وكل واحد منهم له سبب في هذا.

فمن هؤلاء: عبد الله بن أبي سرح،وكان قد أسلم وكتب الوحي للنبي ﷺ ثم ارتد عن الدين، ورجع إلى مكة مرتدًّا عن الإسلام والعياذ بالله ﷻ وأساء إلى المسلمين في ردته.

وكان أخًا لعثمان بن عفان رضي الله عنه من الرضاع، ففرّ إلى عثمان، لما علم أن النبي ﷺ أهدر دمه.

فغيبه عثمان، يعني أخفاه عنده، حتى أتى به المصطفى ﷺ، فاستأمنه له، قال: يا رسول الله، قد أجرته. فسكت النبي ﷺ طويلًا.

ثم بعد ذلك قال: «نعم»، فقبِل النبي ﷺ وعفا عنه.

فَلَمَّا انْصَرَفَ مَعَ عُثْمَانَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ: « أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَآنِي قَدْ صَمَتُّ فَيَقْتُلَهُ » فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: « إِنَّ النَّبِيَّ لَا يَقْتُلُ بِالْإِشَارَةِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: « إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ» .

وشخص آخر ممَّنْ أهدر النبي ﷺ دمه هو عبد الله بن خطَل، كان مسلمًا فارتد، أيضًا كان مسلمًا وارتد عن الدين والعياذ بالله.

فقال النبي ﷺ: «اقتلوه وإن تعلّق بأستار الكعبة» فقتلوه. ومن الذين أيضًا أهدر النبي ﷺ دمهم: الحويرث بن نُفيل، وكان يؤذي النبي ﷺ بمكة، ومن إجرام هذا الرجل: أنه لما خرج العباس بفاطمة وأم كلثوم؛ ليلحقا بالنبي ﷺ في المدينة، نخس الدابة التي عليها فاطمة أم كلثوم، حتى رمت بهما، رضي الله عنهما وهذا من إيذائه لرسول الله ﷺ، فقتله علي رضي الله عنه.

وممَّنْ أهدر النبي ﷺ دمهم أيضًا صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل، فأما صفوان بن أمية فخرج ليقذف نفسه في البحر، فقال عمير بن وهب للنبي ﷺ: يا رسول الله، إن صفوان سيد قومه، وخرج ليقذف نفسه في البحر فأمّنه؛ فإنك أمّنت الأحمر والأسود.

فقال: أدرِك ابن عمك فهو آمِن، فأدركه عُمير قبل أن يصل إلى البحر، وقال: أي صفوان، هو ابن عمك، عِزّه من عِزِّك، وشرفه من شرفك، قال: أخافه على نفسي، فقال: هو أحلم من ذلك.

فرجع معه إلى النبي ﷺ، فقال صفوان: هذا يزعم أنك أمّنتني، قال: «صدق».

قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، يعني: أعطني مهلة شهرين، يعني رفض أن يدخل في الإسلام، قال: أنت أمّنتني لكن أعطني خيارًا لمدة شهرين.

قال: أربعة أشهر، يعني معك مهلة أربعة أشهر، ربما يُرَغّبه النبي ﷺ، لعله يفكر، ولعله يرغب في الدخول في الإسلام.

وأما عكرمة بن أبي جهل فأسلمت زوجته رضي الله عنها، وجاءت إلى النبي ﷺ وهي مسلمة فاستأمنت النبي ﷺ لعكرمة بن أبي جهل، فأمّنه النبي ﷺ ، فذهبت إليه وأخبرته أن النبي ﷺ أمّنه فجاء معها وأسلم، وفرح النبي ﷺ بإسلامه.

ثم بعد ذلك جاءت أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنها، وهي مسلمة مؤمنة رضي الله عنها، وكان النبي ﷺ دخل بيتها واغتسل، وصلى ثماني ركعات من الضحى، فهنا بعض العلماء يقول: هذه صلاة الضحى، لأن الضحى يمكن أن تُصلّى ركعتين أو أربعة أو ستة أو ثمان ركعات.

والفريق الآخر من العلماء يقول: هذه صلاة الفتح، وأنها سُنّة للأمير إذا فتح بلدًا أن

يصلي ثماني ركعات شكرًا لله ﷻ على فتْح البلد، وكانت سُنّة في الأمراء بعد ذلك، كلما فتحوا بلدًا صلوا بها ثماني ركعات شكرًا لله على فتْحه.

فالنبي ﷺ اغتسل وصلى ثماني ركعات في وقت الضحى، ثم وجد أم هانئ تنتظره عليه السلام، فقال: «مرحبًا وأهلًا بأم هانئ، ما جاء بك؟» قالت: نفر إليّ رجلان من أحمائي، الأحماء: هم أقارب الزوج، فقال أخي: لأقتلنهما.

فقال النبي ﷺ: أجرنا مَنْ أجرتِ يا أم هانئ. ثم إن الناس اطمأنوا، وجاء النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا، على راحلته، وفيه جواز الطواف راكبًا، فطاف النبي ﷺ على الراحلة سبعة أشواط يستلم الحجر بمحجنه- عصًا كانت معه ﷺ- وفيه أنه مَنْ لم يستطع أن يمس الحجر، أو أن يُقبّله أو يمسه بيده فيمكن أن يمد إليه عصًا أو شيئًا معه فيمس به الحجر.

فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة، وكان حامل مفتاح الكعبة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح فدخلها، ثم وقف ﷺ على بابها فقال: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده... إلى آخر ما قال عليه السلام.

وكان حول الكعبة، ثلاثمائة وستون صنمًا، وضعها المشركون، ورسموا صورًا داخل الكعبة، فكسّر النبي ﷺ الأصنام، جعل يقلبها بمحجنه فتسقط وتتكسر، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا».

وجمع النبي ﷺ قريشًا، وقال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وأراد علي رضي الله عنه أن تكون الحجابة بيد بني هاشم، والحجابة: هي تولّي فتْح الكعبة وإغلاقها، حاجب الكعبة هو الذي يحمل مفتاحها.

فأراد علي ﵁ أن يكون مفتاح الكعبة وحجابتها لبني هاشم؛ لأن بني هاشم كانت لهم السقاية، كانوا يتولون سقيا الحجاج من زمزم، وعثمان بن طلحة من بني شيبة، وكانوا يتولون الحجابة، فقال النبي ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ فجاء عثمان، قال: هذا مفتاحك، فأعاد النبي ﷺ المفتاح إلى عثمان بن طلحة، وقال: «اليوم يوم وفاء وبر»، وورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال له: «خذوها خالدة تالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم»،

وإلى وقتنا هذا لا تزال حجابة الكعبة في ذرية عثمان بن طلحة.

وورد أن هذا نزل فيه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾[النساء:٥٨] نزلت في رد النبي ﷺ مفتاح الكعبة، بعد أن أخذ المفتاح وفتح الكعبة، ودخلها وصلى فيها، ثم ردّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة وقال: خذوها خالدة تالدة.

ولما دخل الكعبة أمر بلالًا أن يؤذّن، فأذّن بلال ﵁، وكان قد دخل مع النبي ﷺ، الكعبة، فدخل بلال الكعبة مع النبي ﷺ، وأبو سفيان وعتّاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، وكان بلال ﵁ عبدًا حبشيًا فأكرمه النبي ﷺ وأدخله معه الكعبة، وزعماء قريش وسادتها وهم: أبو سفيان، وعتاب بن أسيد، والحارث بن هشام، كانوا جالسين لم يُكرمهم النبي ﷺ بالدخول معه.

فقال عتاب: قد أكرم الله أسيدًا -يعني: أباه- ألا يكون سمع هذا، هذا مما كان في قلوبهم من كِبْر الجاهلية، وفخْر أهل الجاهلية. وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه مُحق ما تبعته. وقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا؛ لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى.

فخرج إليهم المصطفى ﷺ: علمتُ ما قلتم، يعني أطلعه الله ﷻ بالوحي على ما

تحدثوا به وهم في فناء المسجد الحرام بعيدًا.

فقال: قد علمتُ ما قلتم، ثم ذكر ذلك لهم، قال لعتاب: أنت قلت كذا، وكذا، وقال للحارث: أنت قلت كذا، وقال لأبي سفيان: أنت قلت كذا.

فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله؛ فكان هذا سببًا في إسلامهما، فكانت هذه معجزةً لرسول الله ﷺ، أن الله ﷻ أطلعه على كلامهم وهو بعيد عنهم،

ثم قام النبي ﷺ على الصفا يدعو، فجعل الأنصار ينظرون إلى النبي ﷺ فقالوا بينهم: أترون إذا فتح الله عليه بلده يقيم بها، ويترككم؟

فلما فرغ النبي ﷺ، جاء إليهم ﷺ فقال: ما قلتم؟ قالوا: لا شيء، فلم يزل حتى أخبروه، فقال ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم.

ثم أقام ﷺ بمكة بعد فتْحها خمس عشرة ليلة يقصر فيها الصلاة ﷺ.

فهذاه أبرز أحداث فتْح مكة هذه الغزوة العظيمة التي دخلت بها مكة في دين الله ﷻ وأتمّ الله ﷻ بها إعزاز هذا الدين.

الغزوة الخامسة والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ: غزوة حنين.

وحنين: وادٍ بقرب الطائف، بينه وبين مكة ثلاث ليالٍ بمسيرة الإبل.

والقبيلة التي تسكن في هذا الوادي- وادي حنين- اسمها قبيلة هوازن.

بعد أن فتح النبي ﷺ مكة اجتمعت بطون هوازن وثقيف، ومعها نصر، وجشم، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال- وكلها من قيس عيلان- إلى مالك بن عوف النصري، وقررت المسير إلى حرب النبي ﷺ، وكان ذلك بعد فتْح مكة بحوالي شهرين، فبدؤوا يعدون العُدة لقتال الرسول ﷺ في مكة.

فجمع مالك بن عوف جمع القبائل المحيطة، ومن ضمن القبائل التي حالفته كما ذكرنا قبيلة جُشَم، وكان زعيم هذه القبيلة دُريد بن الصّمة، وكان هذا الرجل قد وهن جسمه، ولا يستطيع الحركة إلا أن يحملوه ويضعوه على الدابة وينزلوه من على الدابة، إلا أنهم كانوا يتيمنون برأيه، و يستشيرونه؛ لما له من خبرة كبيرة في الحروب.

المهم أن مالك بن عوف زعيم هوازن قرر أن يحمل معه النساء، والأطفال، ويحمل معه الأنعام؛ حتى لا يفر الناس ويعلموا أنهم إذا انهزموا ضاعت عليهم أموالهم ونساؤهم وأنعامهم ودوابهم، فلا يبقى لهم إلا أن يقاتلوا عن حريمهم،وأطفالهم، وأموالهم.

فقال دُريد بن الصمة لمَنْ معه: بأي وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نِعَم مجال الخيل، لا حزن ضرس ولا سهل دهس. يعني: إنه مكان مناسب، لا هو حَزْن ولا سهل، مكان معتدل ومتوسط.

ثم قال: مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير ؟

قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك، فقال: أين مالك؟، فدُعي له.

فقال: إنك أصبحت رئيس قومك، وهذا يوم له ما بعده، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير؟

قال: أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم.

فقال دُريد: راعي ضأن والله. وهل يرد المنهزم شيئًا؟

إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضُحت في أهلك ومالك. ثم قال: يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئًا، ارفعهم إلى متمنع بلادهم، وعلياء قومهم، ثم الْقَ الصباة على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك.

فقال: لا أفعل؛ إنك كبرت وخرفت، والله لتطيعُنّي يا معشر هوازن أو لأتكأنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري.

وكَرِه أن يكون لدُريد فيها ذِكْر أو رأي فأطاعوه، فقال دُريد: هذا يوم لم أشهده، ولم يفُتْني.

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع ... أقود وطفاء الدمع كأنها شاة صدع

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم احملوا حملة رجل واحد، فكانوا متجهزين ومتهيئين تمامًا لقتال رسول الله ﷺ.

ثم إن النبي ﷺ أجمع السير إليهم، ومعه اثنا عشر ألفًا ﷺ، وذكروا للنبي ﷺ أن صفوان عنده كمية كبيرة من الدروع و السلاح، وهو يومئذٍ كافر، فقال النبي ﷺ: يا أبا أمية، أعِرنا سلاحك.

فقال: أغصبًا يا محمد؟

قال: بل عارية مضمونة.

فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله المصطفى ﷺ أن يكفيه حمْلهايعني أن يتولى النقل ففعل.

وهذا يأخذ منه الفقهاء جواز الاستعانة بالمشرك في المعركة، لكن يستعين بالمشرك على المشركين، في محاربة المشركين، ممكن أن يستعين المسلمون ببعض المشركين، إما بأشخاصهم أو بأسلحتهم وأمتعتهم، يعني يستعينون بهم في قتال المشركين.

ثم خرج النبي ﷺ معه ألفان من أهل مكة الذين أسلموا في عام الفتح، وعشرة آلاف من الذين شهدوا معه فتح مكة وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ لفتح مكة.

ولما رأى بعض الصحابة كثرة الجنود، قال «لن نُغلَب اليوم من قِلّة»، فشق ذلك على رسول الله ﷺ.

واستعمل النبي ﷺ على مكة عتّاب بن أسيد رضي الله عنه، و كان ممَّنْ أسلم من أهل مكة في عام الفتح، وعيّنه النبي ﷺ أميرًا على مَنْ تخلّف من الناس.

وخرج النبي ﷺ، وخرج معه أهل مكة ركبانًا ومشاةً حتى النساء وكان النبي ﷺ يرضخ لمَنْ حضر من النساء والأطفال، يعني يعطيهم شيئًا يرضيهم، يرضخ لهم يعني يعطيهم عطاءً من غير أن يقسم لهم سهمًا كالمجاهدين.

فبعض مَنْ خرج خرجوا على غير دين، يعني ليس تدينًا ولا حُبًّا للنبي ﷺ، بعضهم كان أسلم حديثًا، وبعضهم من ضعفاء الدين، ولكن يرجون الغنائم، وكثير ممَّنْ أسلم كان حسُن إسلامه وخرج تقربًا إلى الله، فكان فيهم هذا وهذا.

ووصل النبي ﷺ وأصحابه إلى وادي حنين في عماية الصبح، وكان القوم سبقوهم

إليه، في أوائل الصبح، ولا يزال الجو في بدايات الفجر.

وكان القوم قد سبقوهم إليه فكمنوا في شعابه وأجنابه ومضايقه حتى تأهبوا، فخرجوا عليهم وقد شدّوا شدّة رجل واحد، فائتمر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز المصطفى ذات اليمين ﷺ، ثم قال ﷺ: «يا أيها الناس، هلموا إليّ أنا رسول الله ابن عبد المطلب» أو كما في رواية أخرى قال: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» عليه الصلاة والسلام.

فبدأ الناس يرجعون إلى النبي ﷺ، وكان بقي مع النبي ﷺ، نفر من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، الذي أسلم قبيل دخول المصطفى ﷺ لفتح مكة، والفضل بن عباس، وربيعة بن الحارث وأسامة رضي الله عنهم.

فلما انهزم المسلمون في بداية المعركة وفرّوا هاربين، قال بعض مَنْ كان مع النبي ﷺ من جفاة أهل مكة، ممَّنْ خرجوا على غير دين، وكانوا ضعفاء الدين وخرجوا يريدون الغنائم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

وقال بعضهم: ألا بطل السحر اليوم.

فقال له صفوان بن أمية -وهو يومئذٍ كافر-: اسكت، فضّ الله فاك، فلأن يربّني رجل من قريش خير، أو أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن. فهو وإن كان مشركًا إلا أنه يريد النصر للنبي ﷺ بدوافع القبلية.

وقال شيبة بن عثمان- وكان أبوه قد قُتِل يوم أُحد-: اليوم أُدرِك ثأري أقتل محمدًا، قال: فأردتُ قتْله فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي فلم أُطِق ذلك، فعلمتُ أني ممنوع

منه، وأن الله ﷻ يحفظه بحفظه عليه السلام.

وقال المصطفى ﷺ وهو على بغلته البيضاء، للعباس وهو آخذ بلجامها: اصرخ يا معشر الأنصار، فنادى العباس قال: يا معشر الأنصار، فأجابوا: لبيك.. لبيك.

فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر عليه، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويُخلّي سبيله فيؤم الصوت، أي: إذا لم يطاوعه البعير كان يتركه ويتوجه إلى النبي، يقتحم عن بعيره، ينزل عن البعير ويركض على رجله متوجهًا إلى النبي ﷺ يؤم الصوت: يعني متوجهًا إلى المكان الذي سمع فيه الصوت: يا معشر الأنصار.

حتى اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس، فاقتتلوا، فكانت الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار، ثم خلصت أخرى يا للخزرج، فبدأ الخزرج يجتمعون.

وكانوا صُبرًا عند الحرب؛ وكانوا يعني من أهل الصبر والثبات عند القتال، فنظر النبي ﷺ إلى المعركة وقد اشتدت وبدأت الاشتباكات القوية بين المسلمين والمشركين، فقال النبي ﷺ: «الآن حمي الوطيس».

فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأُسارى مُكتّفين عند المصطفى ﷺ، يعني هؤلاء المائة من الأنصار مع المجموعة الذين كانوا يحيطون بالنبي ﷺ من آل بيته بدؤوا يأسرون من المشركين، وهذا كان مما يرفع معنويات المسلمين، فزادهم هذا حماسًا وعزيمةً على مواصلة القتال في سبيل الله.

وأخذ النبي ﷺ قبضة من الحصى فحصب بها وجوه المشركين، يعني رمى بها وجوه المشركين، وقال: «شاهت الوجوه»، فهُزموا من كل ناحية، يعني كما قال ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال:١٧]، فكان النبي ﷺ يرمي رمية ويوصلها الله

ﷻ بقدرته ﷻ فيتأذّى منها المشركون أذى عظيمًا، فبدأ المشركون يفرّون وينهزمون من كل ناحية، وبدأ التقدم للمسلمين.

وتبعهم المسلمون يقتلونهم، وغنموا نساءهم ،وذراريهم، وشاءهم، وإبَلهم.

وفرّ مالك بن عوف فدخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه.

وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصْر الله رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن المواقف التي حصلت: أن النبي ﷺ رأى أم سُليم بنت ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة، حازمةً وسطها ببُرد لها وإنها لحامل ومعها خنجر وضعته في حزام وربطته على وسطها.

فقال المصطفى ﷺ: أم سُليم؟ قالت: نعم، أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما نقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل.

فقال ﷺ: أويكفي الله يا أم سليم. يعني الله ﷻ يكفينا وينصرنا على عدونا، لا حاجة إلى هذا.

وقال لها زوجها: ما هذا الخنجر؟ قالت: إن دنا مني مشرك بعجته به.

واستلب أبو طلحة وحده عشرين رجلًا، أي: قتل عشرين قتيلًا وأخذ سلبهم وحده رضي الله عنه.

ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف، وكانوا محالفين لهوازن، وخرجوا معهم كما ذكرنا في غزوة حنين، فقُتل منهم سبعون تحت رايتهم.

وأدرك ربيعة بن رفيع دُريد بن الصّمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة، فأناخ به فإذا هو شيخ كبير.

فقال له دُريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك، قال: مَنْ أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع، ثم ضربه بسيفه فلم يُغن شيئًا، أي: ضربه ضربة بالسيف فلم تقتله هذه الضربة، فقال: بئس ما سلّحتك أمك، خذ سيفي من مؤخرة الرحل، دُريد قال له: خذ سيفي واقتلني بسيفي، فأخذ سيفه، وأوصاه دريدٌ كيف يقتله، قال: وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أقتل الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يومٍ قد منعت فيه نساءك! زعمت بنو سليم أن ربيعة لما ضربه تكشف للموت عجانه، وبطون فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه فقالت: والله لقد أعتق أمهاتٍ لك ثلاثـًا في غداةٍ واحدة، وجز ناصية أبيك. قال الفتى: لم أشعر. وأنزل الله ﷻ في يوم حنين قوله ﷻ: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة٢٥:٢٦].

وجُمعت سبايا حنين وأموال حنين فأمر النبي ﷺ بحبسها في الجِعرّانة حتى يرجع من الطائف، ثم توجه النبي ﷺ إلى الطائف، فغزوة الطائف هي الغزوة السادسة والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ، وكانت في شهر شوال من السنة الثامنة من الهجرة فبمجرد أن انتهى من الانتصار على هوازن في حنين وحلفائها توجّه ﷺ إلى الطائف.

ولما وصل النبي ﷺ إلى الطائف وجدهم قد أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال؛ وكان سيد الطائف عروة بن مسعود الثقفي، ومعه آخرون من زعماء ثقيف، قبل هذه الغزوة قد توجهوا إلى مدينة جُرَش في الأردن، وكانت هذه المدينة مشهورة بالصناعات الحربية؛ لينقلوا بعض الخبرات الحربية، فكان أهل الطائف

مُسلّحين، وكانوا مُجهّزين بأنواع من الأسلحة ما كانت معروفة عند بقية العرب، فكان من ضمن الأسلحة التي يستعملونها: الدبابات والمنجنيق.

الدبابة هذه: عبارة عن صندوق كبير يدخل تحته حوالي عشرة من الرجال يحملونه، له أعمدة، كأنه غرفة متحركة من الخشب، يدخلون تحتها ويرفعونها بأعمدة فوقهم مكسوة بالجلود.

وهو من أخشاب ثقيلة تُستعمَل في هدْم الجدران والحصون بحيث يدخل تحتها عشرة رجال ويحملونها، والأخشاب نفسها سميكة ومكسوة بجلود بحيث لو ضُربوا من فوق بسهام لا تؤثر فيهم كثيرًا، ويركضون بها بقوة في وقت واحد ويصدمون بها الجُدُر لمحاولة كسْر الجدران.

والمنجنيق عبارة عن آلة رافعة ترفع أحجارًا أو زجاجات حارقة، أو يوضع فيها أحجار ثقيلة وهي آلة تقذف هذه الأحجار على مسافة بعيدة، فيوضع في المنجنيق أحجار ضخمة، ويُضرَب بهذه الآلة فتُستعمل أيضًا في المهاجمة، فكانوا مُحصّنين بهذه الأمور.

فورد في قصة غزو النبي ﷺ للطائف أن النبي ﷺ أمر أن يُصنَع له دبابة لمواجهة حصون الأعداء، وقيل: إنه صنعها، دبابة ومنجنيق، يعني نفس الآلات التي عندهم؛ لتكون مع النبي ﷺ، فاستعمل دبابة ومنجنيق في مهاجمة أهل الطائف ومحاولة هدْم حصونهم، وقالوا صنعها للنبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص وكان في الحبشة- وسلمان الفارسي رضي الله عنه- فهما علّما المسلمين كيفية صُنْع هذه الآلات.

وتوجه النبي ﷺ لحصار الطائف، فحاصرهم النبي ﷺ بضعًا وعشرين ليلة، وتراموا بالنبل، وظل النبي ﷺ محاصِرًا للطائف بضعًا وعشرين ليلة.

ولما حاول المسلمون هدْم الحصن بالدبابات ألقى أهل الطائف أشياء من فوق الحصون، فخرقت تلك الدبابة التي كانت مع المسلمين، وأتلفتها. واستعمل المسلمون المنجنيق ورموا حصونهم به.

وحصل قتال شديد، وقاتل فيها النبي ﷺ بنفسه ، ولم يقدر منهم على شيء، وقتلوا من المسلمين اثني عشر رجلًا، وبعض هؤلاء الشهداء من المسلمين ممّنْ كانوا تحت الدبابة التي ظلوا يقذفون عليها مواد حرقت الجلود، ويرمون بالسلاح من فوق الحصون فاستُشهد بعض مَنْ كانوا في تلك الدبابة ومسلمون آخرون.

وكان عندهم زاد يكفيهم عامًا، فظل النبي ﷺ مُحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة وقاتلهم قتالًا شديدًا، وحاول هدْم حصنهم بالدبابة، ورماهم بالمنجنيق فلم يتمكن النبي ﷺ من اختراق حصونهم.

فأمر أن يُنادَى: مَنْ نزل إلينا من عبيد ثقيف فهو حُر، وكان عندهم عبيد كثيرون يستعينون بهم في القتال، فتدلى أبو بَكْرة الثقفي رضي الله عنه ببَكْرة، والبَكْرة: (بإسكان الكاف) هي العجلة يعني التي يوضع فيها حبل، فصنع بكرة وتدلّى بحبل من فوق الحصون ونزل إلى المسلمين رضي الله عنه، فصار حرًا وأسلم رضي الله عنه، ولذلك سُمي أبابكرة.

ثم إن النبي ﷺ أذّن بالرحيل وعزم على الانصراف لما لم يستطع مواصلة الهجوم على الحصون، وحزن الصحابة للرحيل، وكانوا يريدون مواصلة الحصار، لكن النبي ﷺ أمرهم بالرحيل، وورد أنه رأى رؤيا ﷺ تشير إلى أنه لن يتمكن من القضاء على ثقيف والدخول إلى حصونهم.

فأذّن النبي ﷺ بالرحيل، وانصرف عن الطائف ﷺ حتى وصل إلى الجِعرّانة، فقال رجل للنبي ﷺ: ادع على ثقيف، فقال النبي ﷺ: اللهم اهدِ ثقيفًا وأْتِ بهم، فاستجاب

الله ﷻ دعاءه ولم يمضِ قليل وقت حتى أسلم عروة بن مسعود الثقفي سيد ثقيف وتَبِعه معظمهم، وجاءوا مسلمين إلى النبي ﷺ بعدها بقليل، فكانت حكمة من الله تعالى.

وسبحان الله! أهل ثقيف كانوا آخر مَنْ أسلم في جزيرة العرب.

فلما لما بدأ الناس يرتدون عن الدين بعد وفاة النبي ﷺ، لم يثبت على الإسلام إلا أهل مكة، والمدينة، والطائف، وبعض قرى البحرين.

وكان سبب ثبات أهل الطائف على الإسلام: أنه قام فيهم بعض كبرائهم وقال لهم: يا قوم، كنتم آخر الناس دخولًا في هذا الدين، فلا تكونن أول الناس خروجًا منه. ونصحهم ووعظهم، فثبّتهم على الدين وثبتوا على الإسلام، ولم يكونوا ممّنْ ارتد بعد وفاة النبي ﷺ.

ثم إن النبي ﷺ لما وصل إلى الجعرانة جاءه وفد من هوازن وقد أسلموا، وكان مع النبي ﷺ من سبيهم ستة آلاف من الذراري والنساء؛ النساء والأطفال.

ومن الإبل والشاء ما لا يدري عُدته إلا الله ﷻ؛ وكمية من الإبل والغنم لا يحصي عددها إلا الله ﷻ أعداد ضخمة جدًا من الإبل والغنم.

فقالوا: يا رسول الله، ﷺ إنّا أهل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك فامنن علينا، يريدون أن يرد النبي ﷺ عليهم أموالهم ونساءهم وأطفالهم.

وقال رجل من سعد بن بكر: يا رسول الله، إنما في الحظائر عمّاتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك؛ لأن مرضعة النبي ﷺ حليمة السعدية من بني سعد بن بكر هؤلاء.

ولو أنّا مُنحنا للحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر- من ملوك العرب - ثم

نزل بنا مثل ما أنزلت بنا، رجونا عطفه علينا، وأنت خير المكفولين.

فقال المصطفى ﷺ: «أحب الحديث إليّ أصدقه، ومعي مَنْ ترون، أبناؤكم ونساؤكم.

أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا:خيّرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحبُّ إلينا.

فقال: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا صليتُ الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنّا نتشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك»: ففعلوا، فقال المصطفى ﷺ: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فلكم» فأعاد ما ذكره لهم على الملأ.

فقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وقالت الأنصار: ما لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فقال الأقرع بن حابس- سيد تميم، وكان من المؤلفة قلوبهم-: أما أنا وبنو تميم فلا.

وقال عيينة بن حصن- سيد قبيلة فزارة، وكان أيضًا مسلمًا يتألفه النبي ﷺ على الإسلام-: أما أنا وفزارة فلا.

وقال العباس بن مرداس سيد بني سُليم: أما أنا وبنو سُليم فلا.

فقالت بنو سُليم قبيلته: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

فقال العباس: وهّنتموني، يعني أضعفتموني وأحرجتموني.

فقال المصطفى ﷺ: أما مَنْ تمسّك منكم بحقه من هذا السبي، فله بكل إنسان ست

فرائض من أول سبي أصيبه، فردّوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم، فوافقوا على هذا.

وسألهم المصطفى ﷺ: ما فعل مالك بن عوف؟ وهو زعيم هوازن.

قالوا: بالطائف، فقال النبي ﷺ: أخبروه أنه إن أتاني مسلمًا رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأخبروه فأدركه بالجعرانة، وقيل: أدركه بمكة، فردّ عليه ماله وأهله وأعطاه مائة من الإبل فأسلم فحسُن إسلامه رضي الله عنه.

فاستعمله على مَنْ أسلم من قومه، وكان النبي ﷺ يُكرِم كريم كل قوم ويوليه عليهم، وهذا من حُسْن سياسة النبي ﷺ، فلا يوجِد عداوات بنزع كبير القوم من منصبه وتولية آخر، فكان إذا أسلم زعيم قبيلة يُكرمه النبي ﷺ ويوليه عليهم.

وهذه السياسة التي اتبعها النبي ﷺ كانت تُشجع زعماء القبائل على الدخول في الإسلام؛ لأنه يعلم أنه إذا أسلم فلن يزول عنه ملكه ولا منصبه. فحسُن إسلامه وكان يقاتل مَنْ كفر من قومه وعادى المسلمين.

ثم إن النبي ﷺ بعد أن رد السبايا إلى أهلها، رد النساء والأطفال إلى أهلهم.

ثم ركب النبي ﷺ واتبعه الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا، بدؤوا يطالبون النبي ﷺ بقسمة الإبل والغنم والأموال حتى ألجؤوا النبي ﷺ إلى شجرة فاختطفت عنه ردائه، فقال ﷺ: ردوا عليّ ردائي، ثم قال: أيها الناس، لو كان لي بعدد شجر تهامة نَعَمٌ لقسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا جبانًا ولا كذوبًا، ثم قام ﷺ فأخذ وبرة من سنام البعير، فقال: أيها الناس، مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم.

فأدّوا الخياط والمخيط؛ فإن الغلول على أهله عار وشنار يوم القيامة.

ثم بدأ النبي ﷺ التقسيم فأعطى المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافًا يتألف بهم قومهم،

فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، كل واحد من هؤلاء مائة من الإبل.

وكذلك أعطى الحارث بن كلدة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، كل هؤلاء من أشراف قريش. والأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، ومالك بن عوف. أعطى كل واحد من هؤلاء مائة من الإبل.

وأعطى رجالًا دون المائة، وأعطى العباس بن مرداس سيد بني سُليم، أعطاه أباعر فسخطها؛ يعني: استقل هذا العطاء، وعاتب النبي ﷺ بقصيدة، فقال النبي ﷺ: اقطعوا عني لسانه؛ يريد أعطوه حتى يرضى، فذهب الصحابة به إلى الغنائم، وقالوا: خذ منها ما شئت، وفي رواية: أنه لما قالوا له: خذ منها ما شئت، تكرّم أن يأخذ منها شيئًا.

فبعث إليه المصطفى ﷺ بحُلّة فقبلها.

ثم قيل للنبي ﷺ: أعطيت عيينة والأقرع مائة مائة، وتركت جُعيل بن سراقة الضمري، فقال ﷺ: «أما والله لجُعيل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع، لكني تألفتهما؛ ليُسلما، ووكلته إلى إسلامه.

وكان النبي ﷺ يقول: «إني لأعطي أقوامًا أتألفهم على الإيمان، وأذر أقوامًا مؤمنين أَكِلهم إلى إيمانهم».

وجاء ذو الخويصرة التميمي إلى النبي ﷺ وهو يعطي الناس فقال: يا محمد، قد رأيتُ ما صنعتَ، فلم أرَك عدلت، وفي رواية أنه قال للنبي ﷺ: يا محمد، اعدل؛ فإنها قسمة ما أُرِيدَ بها وجه الله.

النبي ﷺ أُوذِي عليه السلام، فورد في الحديث أن النبي ﷺ لما سمع هذه المقالة قال: «يرحم الله أخي موسى أُوذي بأكثر من هذا فصبر».

فقال النبي ﷺ: ويحك! مَنْ يعدل إذا لم أعدل؟ خبت وخسرتُ إن لم أكن أعدل، ثم قال: «ألا تأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء؟» قال عمر: ألا أقتله؟، قال: «لا»

ثم إن النبي ﷺ أخبر أنه سيخرج من ضئضئ هذا، يعني إما من ذريته أو من أتباعه، ممَّنْ هم على طريقته ويتبعون نهجه، قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.. يعني القرآن لا يصل إلى قلوبهم، يقرؤونه بلسانهم، فلا يتجاوز التراقي أو الحناجر، لا يصل إلى القلب، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وهم الخوارج.

قال: «لئن أدركتهم لأُقتلَنّهم قتْل عاد، إن في قتلهم لأجرًا لمَنْ قتلهم» فأخبر النبي ﷺ عن الخوارج وأمر بقتالهم، وخرج هؤلاء فعلًا.. خرجوا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، ثم خرجوا على عليّ رضي الله عنه، وكفّروا عليًّا، وكفّروا معاوية، وكفّروا الصحابة، وقاتلهم الصحابة رضي الله عنهم.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه بدؤوا يعترضون على عثمان، ويتهمونه بأنه لا يعدل وأنه يحابي قرابته، وخرجوا على عثمان رضي الله عنه حتى قتلوه، ثم خرجوا على علي، فحذّر النبي ﷺ منهم.

فكان طليعة هؤلاء الخوارج هذا الذي اعترض على رسول الله ﷺ في قسمة الأموال، ودائمًا بداية اعتراض الخوارج على أئمة المسلمين يكون مبدؤه من الاعتراض على الأموال يعني هذا الرجل بدأ بالاعتراض على الأموال وعلى قسمة الأموال، واتهام النبي ﷺ بعدم العدل في القسمة ثم اتهموا عثمان بذلك رضي الله عنه.

ففرّق النبي ﷺ العطايا وأخذ يوزعها في قبائل العرب، ولم يُعطِ الأنصار شيئًا، فوجدوا في أنفسهم، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ » قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي، وَمَا أَنَا؟ قَالَ: « فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: « يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ »، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: « أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟ قَالَ: « أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ. أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ،

وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ » قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا»[١]

ثم خرجوا فاعتمر النبي ﷺ عمرة الجعرانة، والجعرانة قرية على حدود مكة، فاعتمر النبي ﷺ ثم انصرف راجعًا إلى المدينة، وخلّف ﷺ عتّاب بن أسيد رضي الله عنه، الذي كان عيّنه أميرًا على مكة أثناء غزوتي حنين والطائف فثبّته النبي ﷺ أميرًا على مكة، ورزقه في كل يوم درهمًا؛ أي: جعل له النبي ﷺ راتبًا كل يوم له درهم، فالراتب الشهري ثلاثون درهمًا على تفرغه للإمارة رضي الله عنه.

بهذا تنتهي أحداث غزوتي حنين والطائف.

---

[١] مسند أحمد ١١٧٣٠، ورواه الشيخان مختصرًا.

الغزوة السابعة والعشرون: هي غزوة تبوك.

وهي الغزوة الأخيرة من غزوات رسول الله ﷺ وهذه الغزوة تُسمى غزوة العسرة، وتُسمى الفاضحة، وهذه الغزوة نزل بشأنها معظم آيات سورة التوبة، أُنزلَت بشأن أحداث غزوة تبوك وما صاحبها من فضح المنافقين، ولهذا سُميت الفاضحة، وسورة التوبة التي نزلت بشأنها سُميت أيضًا الفاضحة؛ لأنها كشفت حال المنافقين.

سُميت بغزوة تبوك نسبةً إلى المدينة التي قصدها النبي ﷺ في هذا الغزو ووصل إليها مدينة تبوك، وبينها وبين مكة أربع عشرة مرحلة، والمرحلة: أربعة وعشرون ميلًا، وهذا التعبير يتكرر كثيرًا في كتب السيرة وغيرها، وكذلك في كلام الفقهاء.

فالمرحلة: أربعة وعشرون ميلًا، وهي تعادل مسيرة يوم.

فتبوك بينها وبين مكة أربع عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، وهي آخر غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه.

وكان خصْم المسلمين في هذه الغزوة هم الروم بقيادة قائدهم هرقل الذي هو قيصر الروم.

كلمة (قيصر) لقب، يُطلَق على كل مَنْ ملك الروم، يقال له: (قيصر)، واسم القيصر الذي كان معاصرًا للنبي ﷺ: هرقل.

فجهز النبي ﷺ جيشًا عظيمًا، ورد في بعض الروايات أنه كان من ثلاثين ألف مقاتل، وعشرة آلاف فرس، وقيل: أربعون ألفًا، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، لكن التقدير الذي في أكثر كتب السيرة أنهم نحو ثلاثين ألفًا.

وجاء عن كعب بن مالك ﷺ: كانوا أكثر من عشرة آلاف وليس للناس ديوان حافظ

في زمن النبي ﷺ، يعني ما كان هناك تعداد للجنود يسجلون فيه، وثائق يعني يسجلون فيها أسماء الجنود، فلذلك كان العدد تقديريًا.

وغيره قال: ثلاثون ألفًا.

وغيره قال: أربعون ألفًا.

فهذا عدد جيش المسلمين، وأما عدد جيش الروم فكانوا مائة وعشرين ألفًا.

وهرقل الذي هو قيصر الروم كان نصرانيًا، وديانة الروم كانت الديانة النصرانية، وكانت عاصمة مملكته حمص، مدينة حمص في سوريا كانت عاصمة مملكة الروم، وكانوا يحكمون بلادًا شاسعة في ذلك الوقت، فكانوا يحكمون مصر، والشام، وأجزاء كبيرة من أوروبا، وتركيا، كانوا يحكمون أجزاءً كبيرة من العالم، وكان أقوى دولتين كما هو معروف في ذلك الوقت: الفرس والروم، وبينهما نزال وحرب، يُدَال هؤلاء على هؤلاء مرة، ويدالون عليهم أخرى.

وقبل أن يغزوهم النبي ﷺ كان الروم قد انتصروا على الفرس انتصارًا عظيمًا، وكان هرقل نذر لله ﷻ أن يذهب من حمص إلى إيلياء، إلى بيت المقدس ماشيًا على قدميه شكرًا لله على انتصارهم الكبير على الفرس.

وهرقل هذا موقفه من دعوة النبي ﷺ عجيب؛ وذلك أنه كان ملك الروم، وفي نفس الوقت كان عالمًا من كبار علماء أهل الكتاب في زمانه، وكان مُنجّمًا أيضًا، له علم بالنجوم.

فالنبي ﷺ كان قد بعث إليه رسالةً يدعوه فيها إلى الإسلام، ووصلت إليه الرسالة وهو في إيلياء، بعد ما كان انتصر على الفرس وذهب ماشيًا إلى إيلياء وصلت إليه

الرسالة، وكانت هذه الرسالة وصلت إليه في فترة صلح الحديبية.

وفي هذه الفترة خرجت قافلة تجارية كبيرة من قريش إلى غزة، بقيادة أبي سفيان ومعه ثلاثون رجلًا من قريش ومعهم إبل يشترون بضائع من الشام.

فعن عَبْد اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ. ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ. فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ:

لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ. وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ» وَ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤] قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ. فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ. وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ، صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ،

سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا اليَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ اليَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي العِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ»[١]

فكان يعلم أن النبي ﷺ هو النبي الخاتم الذي بُشّر به في كتبهم، حتى إنه لما قرأ رسالة النبي ﷺ قال: لو كان أمري بيدي لذهبت أغسل تحت رجله عليه الصلاة والسلام. وليبلغن ملكه موضع قدمي هاتين. وقال هذا للبطارقة ،كان يريد أن يُسلموا، وإذا أسلموا وجعلوه ملكًا عليهم يدخلون جميعًا في الإسلام، لكن لما رآهم عارضوه وشعر أنهم سيخلعونه من الملك بقي على كفره.

---

[١] البخاري٧ ومسلم١٧٧٣.

ثم الأعجب من هذا: أنه بعث إلى النبي ﷺ، رسولًا من قِبَله اسمه التنوخي، وهذا الرجل أسلم بعد وفاة النبي ﷺ.

فحين التقى بالنبي ﷺ كان نصرانيًا، ثم أسلم بعد وفاة النبي ﷺ؛ فلذلك يُعدّ تابعيًا لا يُعدّ صحابيًا.

فالتنوخي جاءه من قِبَل هرقل، وبلّغ رسالة للنبي ﷺ يقول فيها هرقل للنبي ﷺ: أنا على دينك، هرقل يقول للنبي ﷺ: أنا على دينك، وأرسل التنوخي يقول هذا، وهو مجهز جيش لحرب النبي ﷺ ويقول هذا الكلام. فالنبي ﷺ قال: «كذب عدو الله، هو على دين قومه».

فهذه المواقف المتناقضة في سيرة هرقل قيصر الروم جعلت بعض علماء المسلمين يقول: أنه أسلم سرًّا، مثل: الحافظ بن عبد البر -رحمه الله- وجماعة من كبار الحفّاظ والأئمة قالوا: إنه كان مسلمًا سرًّا لكن غلبه حب الدنيا على عدم إظهار دينه وفعْل ما فعل من تجهيز الجيش لمحاربة النبي ﷺ.

لكن طبعًا الذي عليه عامة العلماء يقولون: هذا من الكفر العملي، فالإيمان لا يكفي فيه التصديق القلبي، يعني هو واضح من سيرته أنه مُصدّق قلبًا بأن النبي ﷺ هو النبي الخاتم، لكن هذا من الكفر العملي أنه يُجهز جيشًا لمحاربة النبي ﷺ من أجل البقاء على ملكه.

فكيف يُتصوّر أنه يبقى له مع ذلك شيء من الإيمان ؟

وكذلك قول النبي ﷺ: «كذب عدو الله، هو على دين قومه» دليل على أنه ليس بمسلم.

فهرقل جهّز جيشًا ضخمًا من مائة وعشرين ألف مقاتل لمحاربة النبي ﷺ، وكانت الأخبار وصلت إلى المدينة بأن جيش الروم يوشك أن يهاجم المدينة في أي لحظة، حتى إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سمعوا جلبة خارج المدينة كان أول ما يتوقعون أنه جيش هرقل.

وكان المنافقون قد بنوا مسجد الضرار، وتآمروا مع رجل من مشركي قريش اسمه أبو عامر الراهب، كان صديقًا لهرقل وتنصّر، وكان يزور هرقل، فهذا الرجل اتفق مع عبد الله بن أُبي بن سلول أنه سيذهب ويأتيه بأخبار الروم على أنه إذا قدِم جيش الروم إلى المدينة سيكون المنافقون لهم مكان للتجمع، ويتجمعون في هذا المسجد ويخططون مع أبي عامر؛ ليدل جيش الروم على مكان المنافقين ويكونون في حزب هرقل إذا هاجم المدينة، ويكيدون للنبي ﷺ، وأعلم الله جل وعلا نبيّه ﷺ بذلك، وكانوا قد طلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه صلاةً حتى ينال المشروعية، ويصبح مسجدًا صلى فيه النبي ﷺ، فلا يلومهم أحد على ما يفعلون.

فأوحى الله جل وعلا إلى نبيّه ﷺ خبرهم، وقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[التوبة:١٠٨] فهدمه النبي ﷺ وجعل مكانه مزبلة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة:١٠٧] وهو أبو عامر الفاسق، إرصادًا يعني: لانتظار مجيء أبي عامر إليهم لينقل إليهم خبر الروم.

فتجمعت الروم بالشام مع هرقل، فأمر النبي ﷺ أصحابه بالتأهب لغزوهم، وكان ذلك في شدة الحر وجدب من البلاد، وكان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج بغزوة ورّى بغيرها.

لكن هذه الغزوة بيّنها النبي ﷺ للناس؛ لبُعد المشقة وكثرة العدو.

وقال ﷺ للجد بن قيس،وهو رجل من المنافقين: هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ وبنو الأصفر: هم الروم.

فقال: يا رسول الله، ائذن لي ولا تفتني؛ فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشدّ عجبًا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر.

فأعرض عنه النبي ﷺ وقال: أذنت لك. فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾[التوبة:٤٩]، ومنهم: يعني ومن المنافقين: ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾[التوبة:٤٩] أي: يعني إنما خاف الفتنة من النساء وما سقط فيه من الفتنة أكبر، فتنة تخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن الخروج مع رسول الله ﷺ.

وقال بعض المنافقين لبعض: لا تنفروا في الحر؛ يُزهّدون الناس في الخروج للجهاد، ويُثبطونهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

ثم إن النبي ﷺ أخذ يحض الناس على الصدقة وعلى تجهيز هذا الجيش؛ لأنه كان في وقت عُسرة، وقِلّة مال، وجدب يعني قِلّة مطر، والنبي ﷺ يريد تجهيز هذا الجيش الكبير فأخذ يحث الناس على الصدقة.

فأكثر مَنْ تصدّق وجهّز معظم الجيش هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، وورد في الحديث أن النبي ﷺ قام فوعظ الناس وحثّهم على الإنفاق في سبيل الله، فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال: يا رسول الله، عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، يعني مُجهزة بما يوضع على ظهر البعير والزمام الذي يُقاد به البعير وما يوضع على ظهره ليُركَب عليه.

ثم جلس عثمان ﵁، فقام النبي ﷺ فدعا الناس إلى الصدقة مرة ثانية، فقام عثمان وقال: يا رسول الله، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وجلس.

تكرر هذا تسع مرات، يعني تصدق يومئذٍ بتسعمائة بعير مجهزة، ثم تصدق أيضًا بألف دينار من الذهب، ﵁، وكان عثمان رجلًا تاجرًا وكان من أغنياء الصحابة ﵁.

وعبد الرحمن بن عوف ﵁ تصدق بألفي درهم وكانت نصف ماله.

وعمر ﵁ قالوا: تصدق يومئذ بمائة أوقية، الأوقية: هي ١٢ درهم، يعني حوالي ١٢٠ درهمًا، وكانت معظم ما يملك ﵁.

وجعل الناس يتصدقون، فلما تصدق عبد الرحمن بن عوف بألفي درهم، في نفس الوقت جاء رجلان من الأنصار أحدهما جاء يتصدق بصاع من التمر، والصاع هو: أربعة أمداد، والْمُد: هو ملء الكفين، فجاء بصاع من التمر، وقال: يا رسول الله: ليس عندي لأهلي إلا صاعان تصدقت بصاع منهما، وجاء رجل آخر بنصف صاع من تمر، فجعل المنافقون يستهزئون بالمتصدقين، لما تصدق عبد الرحمن بن عوف بألفي درهم قالوا: هذا مراءٍ، والعياذ بالله، ولما تصدق الأنصاري بصاع من تمر ضحكوا منه، وقالوا: إن الله عن صاع هذا لغني، فأخذوا يستهزئون بالمتصدقين، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٧٩] .

فتصدق الصحابة ﵃ كل بما يملك، وجاء بعض الصحابة كانوا يريدون الخروج، ولكن لا يستطيع النبي ﷺ أن يحملهم فـ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة:٩٢].

والمنافقون تخلفوا وجعلوا يعتذرون للنبي ﷺ بأعذار كاذبة، يدّعون المرض ويدّعون

الفقر وهم ليسوا كذلك، وتخلّف ثلاثة من المؤمنين، هم: كعب بن مالك، وهلال بن أُمية، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم، ونزلت فيهم الآيات: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة:١١٨] تاب الله جل وعلا عليهم في القصة المعروفة.

فجهز النبي صلى الله عليه وسلم هذا الجيش وخرج عليه الصلاة والسلام فلما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع، وثنية الوداع في مدخل المدينة من جهة الشام.

وجعل عبد الله بن أُبي بن سلول له معسكرًا مستقلًا عن معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويُروى أن معسكر عبد الله بن أُبي بن سلول انضم إليه عدد كبير حتى كاد يساوي معسكر النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلّف عنه عبد الله بن أُبي فيمَنْ تخلّف من أهل الرية، كما فعل قبل ذلك في غزوة أُحد، حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي منتصف الطريق رجع بثلث الجيش إلى المدينة.

فهنا في غزوة تبوك أيضًا تظاهر أنه يريد الخروج، وبعد ذلك تخلّف ورجع، ورجع معه ناس.

وخلّف النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أهله وأمره بالإقامة؛ فقال المنافقون: ما خلّفه إلا استثقالًا له.

فأتى علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قاله المنافقون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كذبوا، لكن خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي».

طبعًا المقصود بالاستخلاف هنا: استخلافه على المدينة؛ لأن الروافض يتمسكون

بهذا الحديث ويفسرونه على هواهم أنه وصية من النبي ﷺ له بالخلافة بعده، وليس كذلك، إنما هو استخلاف خاص على المدينة في غزوة من الغزوات، وقد استخلف النبي ﷺ كثيرين في غزوات عديدة، استخلف زيد بن حارثة، واستخلف عبد الله بن أم مكتوم، وغيرهما.

ومن ردود أهل السُّنة أنهم قالوا: حتى في هذا الحديث لما قال: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» فهارون لم يكن خليفة بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام وإنما كان خليفة بني إسرائيل بعد وفاة موسى هو يوشع بن نون عليه السلام فليس في الـحديث حجة لهم.

ثم إن النبي ﷺ وصل إلى منطقة الحجر التي فيها ديار ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام وبيوتهم لا تزال باقية إلى يومنا هذا منحوتة في الجبال: ﴿وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾ [الشعراء:١٤٩] آمنين وفارهين.

فلما مر النبي ﷺ في طريقه على الحجر- ديار ثمود- سجّى وجهه بثوبه، واستحث راحلته؛ أي: غطّى وجهه بثوبه، واستحثّ الراحلة يعني جعلها تُسرِع في سيْرها، وقال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفًا من أن يصيبكم ما أصابهم».

وقال ﷺ: «لا تشربوا من ماء بئرهم ولا تتوضؤوا منه، وما من عجين عجنتموه فاعلفوه الناضح ولا تأكلوا منه» فكان الصحابة عجنوا عجينًا ببعض مياه آبارهم فأمرهم النبي ﷺ أن يعلفوها للدواب وللبهائم، وألا يأكلوا منها.

فأصبح الناس لا ماء معهم فأرسل الله جل وعلا سحابة فأمطرت حتى ارتووا، وكان من معجزات النبي ﷺ في تلك الغزوة: أنه نفد الماء فدعا النبي ﷺ ربه سبحانه وتعالى فنبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتى ملأ الناس أوانيهم، واستقى الجيش كله من هذا الماء الذي نبع من أصابع النبي ﷺ.

ومن أحداث هذه الغزوة: أنه ضلّت ناقة النبي ﷺ فخرج أصحابه في طلبها، فقال بعض المنافقين: أليس يزعم أنه نبي ويُخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال النبي ﷺ: «إن رجلًا قال كذا، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي بالوادي من شِعب كذا، حبستها شجرة بزمامها». فانطلقوا فوجدوها كذلك، وجدوها في الوادي الذي أشار إليه النبي ﷺ، ووجدوا زمامها قد تعلّق بالشجرة ففكوه.

وجعل أثناء الطريق يتخلف عنه الرجل تلو الرجل من المنافقين يتخلفون أثناء الطريق ويرجعون إلى المدينة ولا يواصلون السير، فيقال للنبي ﷺ: تخلّف فلان، فيقول عليه الصلاة والسلام: «دعوه، فإن يكُ فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه».

ولما وصل النبي ﷺ إلى تبوك دبّ الرعب في جيش الروم، الروم كانوا في الشام، وتبوك على مشارف الشام، أو حسب الحدود السياسية السابقة في زمن النبي ﷺ كانت الروم تُعتبر جزءًا من الشام، فحدود الشام في زمن النبي ﷺ كانت تبدأ من منطقة تيماء، وهذه قبل تبوك، وتيماء وما فوقها شمالًا يُعتبَر من الشام، فكان النبي ﷺ وصل إلى هذه المنطقة.

وبدأ جيش هرقل في التفلت، والتسرب منه، لما شعروا بأن القتال جاد، وأن جيش النبي ﷺ وصل إلى تبوك.

ثم إن النبي ﷺ بدأ يُجري معاهدات مع حلفاء هرقل من ملوك المدن والقرى التي حول تبوك و كانوا تابعين لهرقل وحلفاء له، فبدأ النبي ﷺ يضمهم إلى حلفه عليه الصلاة والسلام وكانوا نصارى في تلك المنطقة.

فلما وصل إلى تبوك أتاه يوحنّا بن رؤبة صاحب أيلة- ومدينة أيلة يقال: إنها منطقة إيلات، التي تُسمى الآن إيلات في فلسطين المحتلة، أو مدينة حولها في تلك المنطقة، منطقة العقبة وإيلات، على ساحل البحر الأحمر.- فصالح النبي ﷺ وأعطاه الجزية.

وأتاه أهل جرداء وأذرح- أيضًا مدينتان من مدن الشام- وكتب لهم النبي ﷺ كتابًا بالأمان، وصالحوا النبي ﷺ على أن يدفعوا الجزية للمسلمين.

والجزية: ضريبة تُؤخَذ منهم عن الفرد، حوالي درهم عن كل فرد من أفراد من رجالهم فلا تُؤخَذ من النساء والأطفال، تؤخَذ من الرجال عن كل فرد درهم في السنة حسب تعداد البلد يدفعونه للمسلمين.

ثم بعث النبي ﷺ وهو معسكِر في تبوك خالد بن الوليد إلى أُكيدر دومةالجندل، منطقة دومة الجندل، الآن في حدود الأردن.

وأُكيدر هذا لقب بمعنى: ملك، كما يقال لملك الحبشة: النجاشي، ولملك الروم: قيصر، وملك مصر يقال له فرعون، فملك دومة الجندل كان يُلقّب بالأُكيدر.

وأهل دومة الجندل كانوا أيضًا نصارى في تلك المنطقة، فبعث النبي ﷺ وهو معسكر بجيشه في تبوك، بعثًا بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أُكيدر دومة وهو رجل من كِندة كان ملكًا عليها وكان نصرانيًّا، فقال النبي ﷺ لخالد بن الوليد: «تجده يتصيد البقر».

فخرج حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، في ليلة مُقمرة، وكان الأُكيدر على سطح الحصن في تلك الليلة، ومعه امرأته، فباتت البقر تحكّ بقرونها باب القصر، فقالت امرأته: ما رأيت مثل هذا قط.

قال: مَنْ يترك هذه؟ فأمر بفرسه فأُسرِج فركب معه نفر من أهل بيته منهم أخوه حسّان وخرج بطاركته، فلقيهم خيل المصطفى ﷺ، فأخذوه أسيرا وقتلوا أخاه.

وكان على أُكيدر قباء ديباج، القباء: نوع من الثياب، تكون فتحته من الخلف، فخرج وعليه قباء ديباج مخوّص بذهب الديباج- نوع من أنواع الحرير النفيس- ومخوص بالذهب: عليه تطريز بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى المصطفى ﷺ.

فلما وصل القباء إلى النبي ﷺ جعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه، فقال المصطفى ﷺ: «أتعجبون منه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن منها».

ثم قدم خالد على رسول الله ﷺ بأُكيدر فحقن النبي ﷺ دمه وصالحه على الجزية، فرجع إلى قومه.

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلةً ولم يتجاوزها، فانصرف النبي ﷺ قافلًا إلى المدينة عليه الصلاة والسلام وقد حقق إنجازات كبيرة، منها: أنه أخاف دولة الروم، وكانت هذه مقدمة فتوحات الروم بعد ذلك؛ لأن دولة الروم دبّ فيها الرعب والخوف، وعقد النبي ﷺ مصالحات واتفاقيات عسكرية مع حُكّام تلك البلاد الذين كانوا حلفاء للروم، وكانوا تابعين لحُكم الروم، ضمّهم النبي ﷺ إلى حلفه وهذا فيه إضعاف لقوة الروم.

فهذه الغزوة السابعة والعشرون من غزوات رسول الله ﷺ.

٨- فَفَتْـحُ مَكَّـةٍ، حُنَـيْنٌ، وَتَلَا غَـزَاةُ طَائِـفٍ: تَبُـوكَ. (قَاتَلَا):

٩- مِنْهَا بِتِسْـعٍ: أُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ بَـدْرٍ، بَـنِي قُرَيْظَـةَ، الْمُصْطَلِقِ

١٠- خَيْبَرَ، وَالْفتْحِ، حُنَيْنٍ، طَائِفِ وَقَدْ حَكَوْا عَنْ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ:

١١- بِأَنَّــهُ قَاتَــلَ فِي النَّضِــيْرِ وَغَابَــةٍ، وَادِي الْقُرَى الْمَشْــهُورِ

هنا يقول في ختام الحديث عن غزوات رسول الله ﷺ: إن غزوات النبي ﷺ سبع وعشرون غزوة، النبي ﷺ قاتل بنفسه ﷺ في تسع غزوات، وذكر أسماءها.

ثم ذكر قولًا عن بعض السلف أنهم عدّوا ثلاث غزوات أخرى، قالوا: إن النبي ﷺ قاتل بنفسه ﷺ في اثنتي عشرة غزوة، ليست تسع غزوات فقط بل في اثنتي عشرة غزوة، وزادوا ثلاث غزوات.

فهنا أول نقطة: مسألة عدد غزوات النبي ﷺ، المؤلف هنا عدّ الغزوات سبعًا وعشرين غزوة، وبعض علماء السّير يعد منها غزوة وادي القرى فتصير ثمانيًا وعشرين غزوة.

وهذه الغزوة على ما ذهب إليه المؤلف: تعد جزءًا من أحداث غزوة خيبر، فهناك رأيان لعلماء السّير :بعضهم يعد غزوة وادي القرى غزوة مستقلة، وبعضهم يقول: هي جزء من أحداث غزوة خيبر.

ووادي القرى موضع قرب المدينة، بين المدينة وتبوك، بينه وبين المدينة ثلاثمائة وخمسين كيلومترًا، وهي تُعتبر قريبة من خيبر.

فالنبي ﷺ بعد أن انتهى من غزوة خيبر، ﷺ مر بوادي القرى، وفيه جماعة من اليهود، يسكنون فيه، فحاصره أربعة أيام، وقتل منهم أحد عشرة رجلًا، وغَنِم أموالهم، وأثاثًا، ومتاعًا كثيرًا، وفرّقه النبي ﷺ على المسلمين، واستسلموا بعد الحصار، على أن يأخذ المسلمون أموالهم، وأثاثهم، وصالحهم النبي ﷺ على الأرض، وكانت أرضهم فيها نخل فصالحهم النبي ﷺ على الأرض أن يبقوا في الأرض يسقون النخل ويزرعون،

ونصف ما يخرج من الثمار يكون للمسلمين مثلما فعل في خيبر.

وولّى عليهم النبي ﷺ عمرو بن سعيد بن العاص، يُشرِف على إخراجهم الثمار وبعْثها إلى المسلمين.

فكانت أحداث وادي القرى في طريق عودة النبي ﷺ من غزوة خيبر ولم يخرج إليها في سفر مستقل، يعني نفس السفرة التي خرج فيها لخيبر حاصر فيها وادي القرى، فبعض العلماء يعدّونه حصنًا من ضمن حصون خيبر التي حاصرها النبي ﷺ، والفريق الآخر يرى أنها غزوة مستقلة رغم أن النبي ﷺ لم يسافر لها سفرًا مستقلًا، لكن لأنها مدينة تبعد عن مدينة خيبر وليست متصلة بها في العمران وقصدها النبي ﷺ فالبعض يعدها غزوة مستقلة.

فالذين عدّوا غزوة وادي القرى تصبح الغزوات عندهم ثمانيًا وعشرين غزوة.

وبعض العلماء يزيد أيضًا غزوة مؤتة، وغزوة مؤتة لم يخرج فيها النبي ﷺ بنفسه، فلذلك يرى بعض العلماء: أنها من السرايا، وهي المعارك التي لم يشهدها الرسول ﷺ، لكن بعض علماء السيرة يعدّها من الغزوات، فتصبح الغزوات تسعًا وعشرين غزوة إذا عددنا غزوة مؤتة.

والذين عدّوها من الغزوات قالوا لسببين:

السبب الأول: أن النبي ﷺ كان يُوحَى إليه بأحداث الغزوة، وكان يُحدِّث عنها أصحابه وهو في المدينة كأنه يشهدها.

والأمر الآخر: أن عدد أفراد هذا الجيش كانوا ثلاثة آلاف، جيش المسلمين كان ثلاثة آلاف مقاتل، والسرايا دائمًا لا تزيد عن أربعمائة مائة.

والغزوات التي قاتل فيها النبي ﷺ: هي تسع غزوات، هي: أُحد، والخندق، وبدر، غزوة بني قريظة، وغزوة بني المصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

الشارح هنا يقول سبع غزوات، وترك الفتح وحنين.

بعض السلف قالوا: إن النبي ﷺ قاتل في غزوة بني النضير أيضًا، فتصير عشر غزوات.

(وَغَابَةٍ)؛ وغزوة الغابة: هي غزوة ذي قَرَد، وهي الغزوة التاسعة عشرة من غزوات رسول الله ﷺ، يقال لها: غزوة الغابة، وهي تبعد عن المدينة ستة كيلومترات، فقيل أيضًا: إن غزوة الغابة قاتل فيها الرسول ﷺ، بالإضافة إلى غزوة وادي القرى.

وبهذا ينتهي الحديث عن غزوات رسول الله ﷺ، وبعد ذلك يأتي الكلام عن سرايا النبي ﷺ، أي: المعارك التي لم يشهدها ﷺ بنفسه، ولكن كان يُرسِل إليها بعض أصحابه، فسرايا النبي ﷺ بلغت ستين سرية أرسلها النبي ﷺ.

بعد انتهائه من ذكر مغازي النبي ﷺ شرع في الحديث عن سرايا وبعوث رسول الله ﷺ، والسرايا والبعوث هي تلك المهمات العسكرية التي كلّف النبي ﷺ بها مجموعة من أصحابه، ولم يشارك فيها النبي ﷺ بنفسه، وإنما أرسل إليها بعض أصحابه.

باب ذكر بعوثه وسراياه إلى الملوك والبلاد

البعوث جمع بعث وهو الجيش، والمقصود في الاصطلاح في كتب السيرة الجيش الذي بعثه النبي ﷺ ولم يخرج فيه بنفسه، والسرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة مقاتل سموا به لأنهم خلاصة العسكر، مأخوذ من (السري) ومعناه: الشريف.

١- عِدَّتُها مِـنْ بَعْـثٍ أو سَرِيَّهْ ... سِـتونَ فـالأولُ بعْـثُ حمـزهْ

٢- لِنحوِ سـيفِ البحرِ منْ ناحيةِ ... العِيصِ لـمْ يَقْتَتِلـوا في الجُملةِ

أي عدد بعوثه وسراياه ﷺ ستون وهذا العدد هو ما ذكره السهيلي عن المسعودي، واختاره المؤلف وقبل غير ذلك

الأول: بعث حمزة بن عبد المطلب، وكان لواؤه أبيض وهو أول لواء عقده النبي ﷺ فكان حمزة رضي الله عنه أول من غزا في سبيل الله وأول من عُقد له لواء في الإسلام، وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر من هجرته، وقيل: في جمادى الأولى في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرًا لقريش جاءت من الشام فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر وهو بكسر السين ساحله من ناحية العيص بكسر العين وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد سليم، فالتقوا واصطفوا للقتال وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفًا للفريقين فانصرفوا ولم يقتتلوا في الجملة أي لم يحصل قتال بينهم

٣- فبعْثُـهُ عُبيدةَ بـنِ الحارثِ لِرَابِـغٍ أو قبـلَ ذا أو ثالـثِ
٤- بأنَّـهُ شَـيَّعَ كُلاًّ مِنهُمـا معًـا لذا أشـكَلَ ذا وأُبْهِمـا
٥- وكانَ رميٌ بينهُـمْ لـمْ يَعْـدُ أولُ مـنْ رمى بسـهمٍ سـعدُ

الثاني: بعثه ﷺ عبيدة بضم العين في أصح القولين وهو ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لرابغ بكسر الباء وبغين معجمة موضع بين المدينة والجحفة وهو من منازل قبيلة خزاعة، خرج إليها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين أو ثمانين من المهاجرين فلقي بهما جمعًا عظيمًا من قريش عليهم عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف، وقوله أو قبل ذا أي قيل كان بعث عبيدة قبل هذا أي قبل بعث حمزة وهو قول ابن اسحاق، وهناك قول ثالث أنه شيع كلاًّ منهما معًا ولذا أشكل الأمر على الناس وأبهم والأصح الأول، وكان بين المسلمين والكفار رمي بالسهام لم يعد بسكون العين أي لم يجاوزوا الرمي إلى سل السيوف ولم يصطفوا للقتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان سعد أول من رمى بسهم في سبيل الله رضي الله عنه ، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا مع الكفار من باب الحيلة وفي نيتهما أنهما فور وصول جيش الكفار إلى جيش المسلمين أن ينضما إلى جيش المسلمين، وكان لواء هذا البعث أبيض حمله مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب.

٦ - فبعْثُـهُ سـعدًا إلى الخَـرَّارِ للعـيرِ فاتَـتْ رَجعـوا لـلدارِ

الثالث: بعثه ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى الخرار بفتح المعجمة وراءين مهملتين الأولى مشددة على وزن فعال ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة، خرج

في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة، وكان اللواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وخرج سعد في عشرين من المهاجرين يعترضون العير بكسر العين أي الإبل التي تحمل ميرة قريش، فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير مرت بالأمس، فرجعوا للدار أي إلى المدينة.

٧ - بعْثُ ابنِ جحشٍ بعدهُ أوْ أوَّلُ ... لنَخْلةٍ فَغَنِموا وقَتَلوا

٨- في سلخِ شهرِ رجبٍ إنسانًا ... وأنزلَ الله بهِ قُرءانا

٩ - أيْ يَسْألونَكَ أزالتْ كُرَبَا ... وبأمير المؤمنينَ لُقّبا

الرابع: بعث عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في سرية بعد بعث سعد إلى الخرار الذي مر ذكره، وفي الترتيب الزمني لهذا البعث قولان ، قول أنه بعد بعث سعد بن أبي وقاص وهو الذي مشى عليه المؤلف والقول الآخر أن بعث عبد الله بن جحش رضي الله عنه هو أول البعوث ، لنخلة بفتح النون وسكون الخاء المعجمة موضع يبعد مسيرة ليلة من مكة ، فمرت به عير لقريش تحمل تجارة ومعها جماعة منهم فحاربوهم وغنموا ما معهم وقتلوا عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واستاقوا العير وما عليها، وهي أول غنيمة في الإسلام وأول قتيل بأيدي المسلمين وأول أسرٍ فيه، وكان ذلك في سلخ رجب رأس سبعة عشر شهرًا وقالت قريش: سفك محمد الدم وأخذ المال في شهر حرام، وقالت اليهود: يقتل عمرو بن الحضرمي حضرت الحرب ويقتله واقد وقدت الحرب، وأنزل الله به أي فيه قرءانًا وهو: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية فأزالت الآية الكرب الحاصل للمسلمين بما قال الكفار فيهم، وفي هذه السرية لقب عبد الله بن جحش بأمير المؤمنين وقول الناظم: «كربا» بضم الكاف وفتح الراء جمع كربة.

١٠- فبعْثُـهُ عُمـيرًا الخَطْميَّـا   لقتـلِ عَصْمـا هجَـتِ النَّبيَّـا

الخامس: بعثه عمير بن عدي بن حرشة الخطمي بفتح الخاء المعجمة القارئ إمام بني خطمة رضي الله عنه ، أرسله لقتل عصماء بفتح العين وسكون الصاد بنت مروان من بني أمية بن زيد، وكانت تعيب الإسلام وهجت المصطفى صلى الله عليه وسلم وحرضت عليه، فجهز إليها عميرًا في رمضان فدخل عليها بيتها في الليل وحولها أولادها نيام ، ومنهم من ترضعه، فجسها بيده فنحى الصبي ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم جاء فصلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: «لا ينتطح فيها عنزان»، وهو مثلٌ لم يتمثل به أحد قبله.

١١- فبعْـثُ سـالمٍ إلى أبي عَفَكْ   وقتلـهِ ءاذى النـبيَّ وأفَـكْ

السادس: بعث سالم بن عمير بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه إلى أبي عفك بفتح العين المهملة والفاء وآخره كاف، وهو يهودي كان قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يؤذي النبي ويحرض عليه ويقول فيه الشعر، وأفك بفتح الهمزة والفاء أي كذب على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فأقبل سالم إليه ليلاً فوضع السيف على كبده ثم أنفذه من ظهره، وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة.

١٢ - فبعثُـهُ محمَّدَ بنَ مَسْـلَمَهْ   في رفقةٍ لِقَتـلِ كعْـبِ المَلأمَهْ

١٣- جـاؤوا برأسِـهِ فأقْدَمُـوهُ   قـالَ لهـم أفلَحَـتِ الوجـوهُ

السابع: بعث محمد بن مسلمة الأوسي في رفقة من الأوس منهم عباد بن بشر والحارث بن أوس وأبو عبس بن جبر رضي الله عنهم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وهو المقصود في الأبيات بكعب «الملأمة» أي اللئيم وكان شاعرًا يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فقال: «اللهم اكفني ابن الأشرف»، وقال: «من لي بكعب بن الأشرف فإنه ءاذى الله ورسوله» فذهب إليه الصحابة المذكورون فقتلوه وجاءوا إليه ﷺ برأس كعب وهذا معنى قوله «فأقدموه» أي أقدموا رأسه على النبي ﷺ فرموا به بين يديه فحمد الله وقال لهم: «أفلحت الوجوه»، فقالوا: وجهك يا رسول الله، وكانت رجل الحارث قد أصابها سيف أحدهم فتفل عليه رسول الله ﷺ فلم تؤذه.

١٤- فبعثُـهُ زيـدًا إلى القَـرَدَةِ   مـاءٍ بنجـدِ بقريـبِ غمْـرةِ

١٥ - فحصَّلوا مائـةَ ألفٍ مَغنما   وأسروا فُـراتَ ثـمَّ أسـلما

الثامن: بعثه زيد بن حارثة رضي الله عنه في مائة راكب إلى القردة بفتح القاف والراء ماء من مياه نجد بقرب غمرة بفتح الغين المعجمة وسكون الميم موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة، وكانت لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرًا من هجرته، فخرج يعترض عيرًا لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى فأصابوا العير ومعهم مال كثير قيل: إنه كان مائة ألف درهم فحصلوه مغنمًا فخمَّسها فبلغ الخُمس عشرين ألف درهم وقسم الباقي بين أهل السرية، وأسروا فرات بضم الفاء العجلي دليل قريش فأتوا به إلى النبي ﷺ فأمر بقتله فأسلم فتركه وحسن إسلامه.

١٦- فبعدهُ بعْثُ ابنِ عبدِ الأَسَدِ   لِقَطَـنٍ لـولَدَيْ خُوَيـلدِ

١٧- طُليحـةٍ مـعَ أخيهِ سَـلمةْ   قد جَمَعـا حـربَ نـبيِّ المَرحمةْ

١٨ - فلَمْ يَصِـلْ حتى تَفرَّقَ الملا   وغنِمـوا شـاءً لهـم وإبـلا

التاسع: بعث أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن بفتح القاف والطاء المهملة وهو اسم جبل أوماء لبني أسد بنجد ، وعقد له لواء وخرج في مائة

وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار لولدي خويلد هما طليحة مع أخيه سلمة من بني أسد، لأنه قد بلغه أنهما جمعا جمعًا إلى حرب نبي المرحمة ﷺ فلم يصل الجيش إليهم حتى تفرقوا في كل ناحية، وغنموا شاء جمع شاة لهم وإبلاً كثيرة ولم يلقوا كيدًا ورجع أبو سلمة بالغنائم إلى المدينة.

١٩ - يليهِ بعْثُ ابنِ أنيسِ العامِدِ	لقتلِ سُفيانَ هُوَ ابنُ خالدِ
٢٠ - ابنِ نُبَيْحٍ كانَ صوْبَ عُرَنَهْ	يجمعُ للنبي فلمَّا أمْكَنهْ
٢١ - احتَزَّ رأسهُ فلمَّا أحضرهْ	دعا لهُ وخصَّهُ بِمِخْصَرَهْ

العاشر: أي يلي هذا البعث البعث العاشر وهو بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري رضي الله عنه، و «العامد» أي الذي عمد بإذن المصطفى إلى قتل سفيان بن خالد بن نُبيح مصغرًا الهذلي اللحياني وكان صوب عرنة بضم العين المهملة وفتح الراء بعدها نون وهاء التأنيث وهو وادي عرفة، وسببه أنه بلغه أنه جمع الجموع لحرب النبي ﷺ، فذهب إليه لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا من الهجرة فوجده ببطن عرنة يمشي ومعه أصحابه فعرفه فقال له سفيان: ممن الرجل؟ قال له: من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك قال: أجل إني لأجمع له فمشى معه يحدثه وتفرق أصحابه، فلما هدأ الناس وناموا وأمكنه قتله قام عليه فاحتز رأسه ثم دخل غارًا في الجبل وضرب العنكبوت عليه فجاء الطلب فلم يجدوا شيئًا فانصرفوا، فخرج يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى المدينة، فلما أحضره بين يدي النبي ﷺ دعا له وخصه بمخصرة بكسر الميم وسكون الخاء وصاد مهملة وهي عصا أو عكاز دفعه إليه وقال: «تلقاني بها في الجنة» فكانت عنده، فلما احتضر أوصى بإدراجها في كفنه فجعلوها بين جلده وكفنه، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة.

٢٢ - فبعْثُـهُ المُنــذرَ والقُرَّا إلى   بــئرِ مَعونــةٍ فطابــوا نُــزُلا

٢٣- فاسْتَشهَدَ السبعونَ إلا كعبا   هُوَ ابــنُ زيــدٍ كانَ رُتئًــا صَعبا

٢٤ - ووجــدَ النــبيُّ حُزنًــا حتى   قَنَــتَ شــهرًا في الصــلاةِ بَحْتــا

٢٥- يدعو على القُتّالِ حتى أنزلا   ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ الآيــةَ ربُّنــا عــلا

الحادي عشر: بعثه المنذر بن عمرو الأنصاري الخزرجي ﵁ وبعث القراء من الأنصار معه وكانوا سبعين على الأصح، إلى بئر معونة بالنون ماءٍ لبني عامر بن صعصعة، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من هجرته، وسببه أن ملاعب الأسنة الكلابي قدم المدينة فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد وقال: لو بعثت معي رجالاً إلى أهل نجد رجوت أن يجيبوا، قال: «أخشى عليهم» قال: أنا لهم جار، وكان شباب من الأنصار يسمون القراء يصلون بالليل ويقرؤون بالنهار، فبعثهم وكانوا سبعين رجلا حتى نزلوا بئر معونة فطابوا فيها نزلاً بضم النون الزاي، وبعثوا حرام بن ملحان ﵁ بكتاب النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وقتل الرجل ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه وقالوا لن نخفر جوار ملاعب الأسنة، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية وذكوان وغيرهما فنفروا معه حتى أحاطوا بالقوم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى استشهد السبعون إلا كعب بن زيد بن قيس الأنصاري ﵁ فتركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق، وذلك لأنه «كان رُتْئًا صعبا» بضم الراء وسكون المثناة فوق ثم همزة أي شديد القوة صعبًا، وقدم عمرة بن أمية على المصطفى فأخبره فوجد أي حزن عليهم حزنًا شديدًا حتى من شدة حزنه قنت شهرًا في الصلاة أي صلاة الصبح قيل وغيرها بحتًا بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة أي خالصًا يدعو على القبائل الذين قتلوا

القراء حتى أنزل الله ﷻ: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾ [سورة ءال عمران/ ١٢٨].

٢٦ - وبعثُهُ إلى الرَّجيعِ مُرثدَا ... أو عاصِمَ بنَ ثابتٍ وأسندَا

٢٧ - هذا البُخاريُّ وفيهِ خانا ... بسبعةٍ منهُمْ بنو لِحيانا

٢٨ - وأسَروا زيدًا خُبَيبًا بِيعا ... وقتلوا ابنَ طارِقٍ صَريعا

٢٩ - ثم الذي ابتاعَ خُبيبًا قتلهْ ... كذا بزيدٍ مُشتريهِ فَعَلهْ

٣٠ - وقَصَدتْ هذيلُ رأسِ عاصِمِ ... حَمَتْهُ دَبْرٌ ثمَّ سَيْلُ عاصِمِ

الثاني عشر: بعثه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا إلى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم وبعين مهملة ماء لهذيل بين مكة وعسفان، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي وقيل كانوا عشرة، وأن أميرهم هو عاصم بن ثابت الأوسي وهذا هو الذي أسنده البخاري في كتاب التوحيد في صحيحه ، وفي هذا البعث خان أي غدر بسبعة منهم على رواية البخاري ، وفي رواية أخرى ستة فقط ، وذلك أنه خرج إليهم بنو لحيان قريب من مائة رام فأحاطوا بهم فقتلوا عاصمًا وستة معه وأسروا زيد بن الدثنة الخزرجي وخبيب بن عدي الأنصاري رضي الله عنهما وبيعا بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبًا عقبة بن الحارث فقتله بابنه وكان ممن قتل ببدر، وابتاع زيدًا صفوان بن أمية فقتله بأبيه، وقتلوا عبد الله بن طارق رضي الله عنه وتركوه صريعًا، وقصدت بنو هذيل أخذ رأس عاصم لكونه كان قتل يوم أحد أخوين من بني عبد الدار أمهما سلافة بنت سعد فنذرت إن أمكنها الله منه لتشربن في رأسه الخمر وجعلت لمن جاء به مائة ناقة، فتسارع بنو هذيل إلى أخذه ليبيعوه لسلافة فحمته دبر بفتح الدال وسكون الموحدة أي نحل أو زنابير النحل أرسلها الله ﷻ عليه مثل الظلة، فقالوا: يذهب الدبر ليلاً فنأخذه فأرسل الله سيلاً

فاحتمل جسد عاصم فذهب به فلم يقفوا لجثته ولا لرأسه على خبر، وكان نذر أن لا يمس مشركًا فأبرَّ الله قسمه فلم يروه ولا عرفوا له محلاً.

٣١- فَبَعْثُهُ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةْ لِلْقُرَطَا أَصَابَ مِنْهُمْ مَغْنَمَهْ
٣٢- شَاءً لَهُمْ وَنَعَمًا أَصَابُوْا بَعْضَهُمْ، وَبَعْضُهُمْ هُرَّابُ
٣٣- لَمْ يَعْرِضُوْا لِلظُّعْنِ، أَمْرٌ رَامَهْ أَمِيْرُهُمْ، وَأَسَرُوْا ثُمَامَةْ

هذا البعث الثالث عشر من البعوث التي أرسلها النبي عليه الصلاة والسلام.

قائد هذه السرية: هو محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه، اسمه يتكرر كثيرًا في الغزوات والسرايا رضي الله عنه.

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرطا، وهي قبيلة موضع مساكنهم على بُعد سبع ليالٍ من المدينة النبوية.

خرج إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه في العاشر من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهرًا من الهجرة النبوية، يعني: العاشر من المحرم في بداية العام السادس الهجري.

فبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ومعه ثلاثون راكبًا؛ عدد أفراد هذه السرية كانوا ثلاثين وأميرهم محمد بن مسلمة، والقبيلة التي أرسله لقاتلها والإغارة عليها هم القرظا.

فأغار عليهم رضي الله عنه فقتل منهم وأصاب منهم مغنمة، قتل منهم بعض القتلى، وغَنِم بعض أموالهم.

أصابوا من الأنعام ومن الغنم، الأنعام كلمة تشمل الإبل والبقر والغنم، فقال:

أصابوا شاءً وأصابوا أنعامًا.

وورد أنهم أصابوا من الإبل مائة وخمسين، وأصابوا من الغنم ثلاثة آلاف شاة.

وأصابوا من القوم فقتلوا بعضهم وبعضهم هُرّاب: قتلوا بعضًا وبعضهم هربوا.

قال: (لَمْ يَعْرِضُوْا لِلظُّعْنِ) الظعن: النساء.

(أَمْرٌ رَامَهْ أَمِيْرُهُمْ) أميرهم هو محمد بن مسلمة يقصد أنه أمر أصحابه ألا يتعرضوا لنسائهم، فلم يسبوا شيئًا من نسائهم واكتفوا بأن يقتلوا منهم مَنْ قتلوا، ويغنموا هذه الإبل والغنم.

(أَمْرٌ رَامَهْ) يعني طلبه أميرهم محمد بن مسلمة ﵁، يعني كانت له وجهة نظر في ترْك النساء في هذه السرية.

وطبعًا- كما مرّ بنا- كانت سرايَا النبي ﷺ أكثرها يشبه ما يُسمى اليوم بالحروب الاستباقية، فكان النبي ﷺ يُوجهها إلى قبائل بلغته الأخبار أنهم يُعدّون لحربه ﷺ ويكيدون له، ويتمالؤون مع أعدائه، فيرسل إليهم النبي ﷺ لتأديبهم قبل أن يبدؤوا هم بمهاجمة المسلمين، فكان النبي ﷺ له عيون يُبلّغونه الأخبار، فإذا جاءته الأخبار عن بعض القبائل أنهم يكيدون للنبي ﷺ أو يجمعون جمعًا لحربه أو يراسلون قريشًا أو يتمالؤون معهم ضد النبي ﷺ، يُرسل هذه البعوث لتأديبهم. وكانت مدة السرية ذهابًا وإيابًا مع القتال سبع عشرة ليلة.

وفي هذه السرية أَسَر محمد بن مسلمة ثمامة بن أُثال الحنفي، وكان سيد بني حنيفة، وزعيم قبيلة بني حنيفة فأسره في هذه السرية، ورجع به إلى المدينة، **فعن أبي هُرَيْرَةَ** -﵁- **قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ**

بْنُ أُثَالٍ، فَرَبطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لاَ، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ وَاللهِ، لاَ يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ»[١]

فقطع الميرة عن قريش، فأصابهم بلاء شديد بسبب هذا، فجاؤوا إلى النبي ﷺ وكان هذا قبل صلح الحديبية وبينهم وبين النبي ﷺ حرب، فجاؤوا إلى النبي ﷺ ويناشدونه الرحم وأنهم بينهم وبين النبي ﷺ رحم، ويناشدونه الرحم أن يشفع لهم عند ثمامة حتى يعيد إرسال الطعام إليهم كما كان يُرسله من قبل، وهذا من حُسن خلق النبي ﷺ رغم ما بينه وبين أعدائه من القتال فبعث النبي ﷺ إلى ثمامة يوصيه بمعاودة إرسال الميرة إلى قريش، فعاد إلى إرسالها إليهم رغم ما بينه وبين النبي ﷺ من الحروب.

[١] متفق عليه: البخاري ٤٣٧٢ ومسلم ١٧٦٤.

٣٤- فَبَعْثُهُ عُكَّاشَــةَ بْنَ مِحْصَنِ لِغَمْــرِ مَــرْزُوقٍ، مُوَيْــهِ لِبَــنِي

٣٥- أَسَدْ عَلَى يَوْمَيْنِ، أَي مِنْ فَيْدِ فَهَرَبُــوْا، وَمَــا لَقُــوْا مِــنْ كَيْدِ

هذه السرية الرابعة عشرة من سرايا النبي ﷺ.

قائد هذه السرية هو: عكاشة بن محصن رضي الله عنه و حديثه المشهور لما قال النبي ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب ولا عذاب» فقال عكاشة بن محصن: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم».

فقام رجل آخر، وقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة.

بعض العلماء يقول: لعل الثاني لم يكن منهم، فلم يرد النبي ﷺ أن يُحرجه بأن يقول: لستَ منهم، لعل النبي ﷺ يعلم بالوحي أن هذا الثاني ليس منهم فلم يُرِد أن يُحرجه، قد يكون سيدخل الجنة بس بعد حساب يعني، ربما يُحاسَب، لكن هؤلاء يدخلون من غير حساب أصلًا، فربما الثاني ليس منهم فلم يُرِد أن يُحرجه.

والجواب الآخر قالوا: لعل النبي ﷺ لا يعلم أن الثاني هذا ليس منهم ولكن خشي أن يظل الناس يسألون بعد ذلك، وربما سألها مَنْ ليس منهم، ويتواكلون على هذه البشارة، فالنبي ﷺ ربما يعلم من عكاشة أنه لإيمانه إذا بُشّر بالجنة لا يُقعده ذلك عن العمل الصالح، لكن غيره ربما لو بُشّر لتواكل، ويتقاعس عن العمل أو شيء، فرأى النبي ﷺ أن يُوقِف هذا الباب.

(مُوَيْهِ) تصغير ماء، والمراد: بئر صغير (لِبَنِي أَسَدْ)، اسمه (غمر مرزوق)، هذه المنطقة التي أرسله النبي ﷺ إليها اسمها غمر مرزوق وهي ماء لبني أسد.

(أَي مِنْ فَيْدِ) فيد: بلد في منتصف الطريق بين الكوفة ومكة، فغمر مرزوق هذه تعتبر

تابعة لفيد، وفيد هذه مدينة تقع بين مكة والكوفة على الطريق القادم من العراق إلى مكة.

المهم: أنه بعثه النبي ﷺ إلى هذا المكان ومعه أربعون رجلًا، فعدد أفراد هذه السرية كانوا أربعين.

فعلم به القوم فهربوا، فوجد المسلمون رجلًا فأمّنوه فدلهم على نَعَم لبني عم له، فاستاقوها وهي مائة بعير.

قال: (وَمَا لَقُوْا مِنْ كَيْدِ) يعني لم يلق المسلمون كيدًا، ولم يحصل قتال بينهم وبين أعدائهم في هذه السرية، فغنِم المسلمون مائة بعير وعادوا بها سالمين غانمين إلى المدينة النبوية.

السرية التي بعدها، وهي: السرية الخامسة عشرة.

٣٦- وَبَعْثُهُ أَيْضًا إلى ذِي الْقَصَّةِ ... مُحَمَّدًا إلى بَنِي ثَعْلَبَةِ

٣٧- فِي عَشْرَةٍ، فَأَحْدَقَ الأَعْرَابُ ... بِهِمْ، وَكَانُوا مِئَةً، أَصَابُوا:

٣٨- كُلَّهُمُ قَتْلًا سِوَى ابْنِ مَسْلَمَةْ ... جُرِحَ جَرْحًا سَالِمًا مَا أَسْلَمَهْ

هذه سرية بعثها النبي ﷺ إلى ذي القَصّة، وذو القصّة: موضع في طريق العراق، يبعد عن المدينة أربعة وعشرين ميلًا في الطريق الخارج من المدينة إلى العراق.

والقصّة: هي الحصن، وهذه المنطقة سُميت ذا القصة لوجود حصن في هذه المنطقة.

فبعث النبي ﷺ محمد بن مسلمة (فِي عَشْرَةٍ) رجال يعني هو واحد من عشرة رجال،

المجموع عشرة رجال، وأميرهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه.

وكان في ربيع الأول سنة ست، فوَرَدُوا عليهم ليلًا فأحدق بهم الأعراب وكانوا مائة، وكانوا من قبيلة بني ثعلبة، وهم سكان هذه المنطقة.

فتراموا ساعةً، ثم حملت الأعراب عليهم فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فإنه (جُرِحَ جَرْحًا سَالِمًا)، (مَا أَسْلَمَهْ) يعني جُرِح جرحًا لم يسبب له ضررًا كبيرًا وعُولج منه وشُفي رضي الله عنه ورجع إلى المدينة سالمًا لكن قُتِل جميع مَنْ كان معه رضي الله عنهم ورجع هو وحده إلى المدينة.

السرية السادسة عشرة

٣٩- فَبَعْثُهُ لَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةْ لَمْ يَجِدِ الْقَوْمَ، وَحَادُوْا حَيْدَةْ

٤٠- لَكِنْ أَصَابُوْا رَجُلًا فَأَسْلَمَا وَغَنِمُوْا شَاءً لَهُمْ وَنَعَمَا

بعث النبي صلى الله عليه وسلم (لَهُمْ) يعني: إلى بني ثعلبة في ذي القصة في ربيع الآخر سنة ست، بعدها بأقل من شهر، أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فخرج إليهم في أربعين رجلًا من الصحابة رضي الله عنهم.

فلم يجد منهم أحدًا (وَحَادُوْا) عن مكانهم (حَيْدَةْ) أي تنحوا عن مكانهم وصعدوا في الجبال، فكانوا متوقعين مجيء جيش من النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم، فأول ما سمعوا بحضور الجيش هربوا وصعدوا إلى الجبال.

لكن أصاب المسلمون منهم (رَجُلًا) أمسكوا به فأسلم فتركوه.

(وَغَنِمُوْا شَاءً) هربوا وتركوا أغنامهم وأنعامهم، فساق المسلمون غنمهم وإبلهم.

فخمّسها رسول الله ﷺ وقسم البقية عليهم؛ النبي ﷺ أخذ الخمس منها، يعني: لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وفرّق أربعة الأخماس الباقية على المجاهدين.

فإذًا عندنا سريتان إلى ذي القصة: سرية محمد بن مسلمة في ربيع الأول سنة ست، وسرية أبي عبيدة بن الجراح أيضًا إلى ذي القصة إلى بني ثعلبة في ربيع الثاني سنة ست من الهجرة.

السرية السابعة عشرة : هي سرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم.

٤٢- فَبَعْثُ زَيْدٍ لِبَنِي سُلَيْمِ وَهُمْ بِبَطْنِ نَخْلَ بِالْجَمُومِ

والجموم: منطقة قريبة من المدينة على بُعد أربعة بُرُد من المدينة النبوية.

٤٣- وَقَدْ أَصَابُوْا نَعَمًا وَشَاءَ وَأَسَرُوْا مَا اللهُ مِنْهُمْ شَاءَ

هذه السرية بعثها النبي ﷺ بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه، في ربيع الأول سنة ست،

إلى الجموم لقتال بني سليم هناك في الجموم، في منطقة يقال لها (بطن نخل)، والمدينة اسمها (الجموم).

قال: فأصابوا امرأة مُزنيةً تُسمى حليمة، فدلّتهم عليهم، فأصابوا نعمًا وشاء وأسروا مَنْ شاء الله جل وعلا منهم، فكان فيمَنْ أسرهم المسلمون زوج حليمة التي دلّتهم، فوهب المصطفى للمُزنية نفسها وزوجها، يعني: النبي ﷺ من حُسْن خلقه كافأ المرأة المُزنية التي دلّت المسلمين على مكان القوم، عفا عنها، ووهب لها نفسها يعني أطلق سراحها، ووهب لها زوجها: وأطلق سراح زوجها من أجلها؛ لأنها ساعدت المسلمين ودلّتهم على مكان القوم.

السرية الثامنة عشرة: وهي سرية بقيادة زيد بن حارثة أيضًا ﷺ.

٤٤- فَبَعْثُهُ لِلْعِيصِ حَتَّى أَخَذُوْا عِيرَ قُرَيْشٍ كُلَّهَا وَنَفَذُوْا

٤٥- وَفِضَّةً كَثِيرَةً، وَأَسْرَى مِمَّنْ مَعَ الْعِيرِ أَتَوْا، وَالصِّهْرَا

٤٦- صِهْرَ النَّبِيِّ زَوْجَ زَيْنَبَ اسْتَجَارْ بِهَا، أَجَارَتْهُ، وَأَهْلٌ أَنْ يُجَارْ

هذه السرية الثامنة عشرة: بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة ﷺ إلى ناحية العيص، وهي على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام.

فخرج زيد بن حارثة ﷺ في جمادى الأولى سنة ست، لما بلغه أن عير قريش قدِمت من الشام، فمنذ أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وهو يلاحق القوافل التجارية لقريش، يقطع عليهم الطريق ويُخيف تجارتهم وهذا نوع من الحصار الاقتصادي على أعدائه، وهم كانوا قد أخذوا أموال المسلمين ودورهم، وأخرجوا المسلمين من ديارهم وأرضهم وأموالهم، فالنبي ﷺ كان يلاحق عير قريش.

فجاءت الأخبار إلى النبي ﷺ أن عيرًا لقريش راجعة من الشام، مُحمّلة بالتجارة والأموال، قادمة من الشام راجعة إلى مكة، وأنهم سيمرون بمنطقة العيص على ساحل البحر؛ فأرسل النبي ﷺ إليهم زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب؛ لاعتراضها.

حتى وافوها، وكانت لصفوان بن أمية كلها، فأخذوها وما فيها ونفذوا- أي: ذهبوا بها إلى المدينة- وأخذوا فضة كثيرة وأسرى، ومنهم صهر النبي ﷺ أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ، وهو ابن أخت خديجة؛ فزينب ﷺ هي بنت خالته.

فاستجار بها؛ أي بزوجته، فأجارته وهو أهل أن يُجار، قال: (**اسْتَجَارْ بِهَا، أَجَارَتْهُ، وَأَهْلٌ أَنْ يُجَارْ**) يعني هو أهل أن يجار من الأسر.

وردّوا عليه جميع ماله المأخوذ، ثم إنه بعد ذلك أسلم ﵁ لاحقًا، وكان النبي ﷺ يُثني عليه ويقول: وعدني فوفى لي، وكان يثني عليه خيرًا ﵁.

هو طبعًا كان تزوجها قبل أن يُحرّم زواج المشرك بالمسلمة، ثم إن زينب ﵂ أسلمت قبله وهاجرت إلى النبي ﷺ، وهو أسلم بعد ذلك، وأتى مهاجرًا وردّها إليه النبي ﷺ بالنكاح الأول، يعني لم يُجدد النكاح.

السرية التاسعة عشرة

٤٧- فَبَعْثُهُ رَابِعَةً إلى الطَّرَفْ ... مَاءٍ قَرِيْبٍ مِنْ مَرَاضٍ، فَانْصَرَفْ

٤٨- إلى بَنِي ثَعْلَبَةٍ أَصَابُوْا ... أَنْعَامَهُمْ، وَهَرَبَ الأَعْرَابُ

النبي ﷺ بعث زيد بن حارثة ﵁ (رَابِعَةً) يعني مرة رابعة، (إِلَى الطَّرَفْ) وهو اسم ماء.

(قَرِيْبٍ مِنْ مَرَاضٍ) مراض هذه اسم منطقة على بُعد ستة وثلاثين ميلًا من المدينة.

(فَانْصَرَفْ إلى بَنِي ثَعْلَبَةٍ) في خمسة عشر رجلًا، يعني هذه المنطقة أيضًا يسكنها بنو ثعلبة قريبة من المنطقة التي سبق ذِكْرها التي هي منطقة ذي القصّة، ذو القصّة كانت على بُعد أربعة وعشرين ميلًا من المدينة.

وهذه المنطقة التي هي الطرف ومراض على بُعد ستة وثلاثين ميلًا من المدينة وسكانها أيضًا من بني ثعلبة، من نفس القبيلة الذين كانوا قاتلوا المسلمين من قبل.

فانصرف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلًا فأصابوا أنعامهم وشياههم وهرب الأعراب؛ غنموا أنعامهم وشياههم وهرب الأعراب.

وأصبح زيد بالنعم في المدينة وهي عشرون بعيرًا ولم يلق كيدًا، وغاب أربع ليالٍ.

ثم ذكر السرية العشرين وهي بقيادة زيد بن حارثة ﵁، وهي المرة الخامسة التي يُرسِل النبي ﷺ فيها زيد بن حارثة ﵁، لكن هذه المرة أرسله إلى حِسمى -حِسمى بكسر الحاء- موضع من أرض جذام، وراء وادي القرى؛ جذام هذه اسم القبيلة بجوار منطقة وادي القرى.

يقول:

٤٩- وَبَعْثُـهُ خَامِسَـةً لِحِسْـمَى إِلَى جُـذَامٍ، فَأَتَاهُـمْ هَجْمَـا

٥٠- صُبْحًا عَلَى الْقَوْمِ، أَصَابُوا الْعَارِضَا وَأَبَـهُ هُنَيْـدًا الْمُعَارِضَـا

العارضا: هذا اسم رجل، اسمه عارض بن الهنيد.

٥١- فِي قَوْمِـهِ لِدِحْيَـةَ الْكَلْـبِيِّ فَقَطَعُـوْا طَرِيْقَـهُ بِالْـقِيِّ

القي: هي الأرض الخالية.

٥٢- وَكَانَ زَيْـدٌ مَعَـهُ خَمْسُـمِئَةْ فَأَخَـذُوْا الأَنْعَـامَ وَالسَّـبْيَ فِئَةْ

٥٣- مِئَـةً النِّسَـاءَ وَالصِّبْيَانَـا فَجَـاءَ زَيْـدٌ مِـنْ جُـذَامٍ، كَانَا:

٥٤- مَعْهُ كِتَابُ الْمُصْطَفَى إِذْ أَسْلَمَا لَهُ وَلِلْقَـوْمِ فَسَـالَ الْمَغْنَمَـا

٥٥- أَمْوَالَهُـمْ مَـعَ حَرِيمِهِمْ، فَرَدْ كُلًّا إِلَيْهِـمْ وَافِيًـا بِمَـا عَهِـدْ

يقول: إن النبي ﷺ بعث مرة خامسة زيد بن حارثة في قيادة سرية من السرايا إلى منطقة حِسمى، وهي من أرض جذام، تسكنها قبيلة جذام، والمدينة الكبيرة هناك هي وادي القرى، يعني منطقة وادي القرى تضم مدنًا أو مناطق منها حِسمى، والقبيلة التي تسكنها جُذام.

إلى قوم من جذام، في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، فخرج في خمسمائة رجل، فأتاهم فهجم عليهم هجمًا على غفلة وقت الصبح، فقتل منهم العارض (وَأَبَهُ) يعني: وأباه هُنيدًا.

قال: (أَصَابُوْا الْعَارِضَا وَأَبَهُ هُنَيْدًا الْمُعَارِضَا) فقتل المسلمون العارض بن هنيد وقتلوا أباه أيضًا.

وسبب هذه السرية: أن دحية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر، وقد أجازه وكساه، فلقيه الهنيد وابنه في ناس من جذام بحِسمى فقطعوا عليه الطريق بالقي، القي: هي الأرض الخالية، وأخذوا متاعه، وكان دحية بن خليفة الكلبي رسولًا أرسله النبي ﷺ إلى هرقل، فأعطاه كساءً وأجازه، أجازه: من الجائزة، والأموال، والعطايا، فقطعوا عليه الطريق، وأخذوا منه الأموال التي كانت معه، فقدِم على المصطفى فأخبره، فأرسل النبي ﷺ لقتالهم، فهجموا عليهم فقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة، وأخذوا من السبي مائة من النساء والصبيان، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى النبي ﷺ، وكان معه كتاب المصطفى إليهم، كتبه لهم ليالي قدِم عليهم فأسلموا، واستعذر للقوم عمّا وقع منهم في حق دحية، ويبين أن حادث الاعتداء على سفير النبي ﷺ حادث فردي، وأن بني جذام برءاء مما فعله العارض وهُنيد، وأنهم لم يشاركوا في هذا، ولم يرضوا به، واعتذر عن قومه، وسأل المصطفى ﷺ أن يرد عليهم المغنم، وهو أموالهم وحريمهم؛ فقال: يا رسول الله، لا تُحرّم علينا حلالًا ولا تُحِلّ لنا حرامًا، فقال النبي ﷺ: كيف أصنع بالقتلى؟ قال: أطلِق لنا مَنْ كان حيًّا، ومَنْ قُتل فهو تحت قدمي هاتين، فبعث معهم عليًّا إلى زيد بن حارثة رضي الله عنه يأمره بردّ مالهم وحريمهم إليهم، فرد الكل إليهم وافيًا بما عهد إليه المصطفى ﷺ.

السرية الحادية والعشرون، يقول:

٥٦- فَبَعْثُهُ أَيْضًا لَهُ مُؤَمِّرَا سَادِسَةً لِوِجْهَةٍ: وَادِي الْقُرَى

٥٧- بِهِ أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ قَتْلاَ وَارْتُثَّ زَيْدٌ مِنْ خَلِيطِ الْقَتْلَى

يقول: (فَبَعْثُهُ أَيْضًا لَهُ) يعني: فَبَعْث النبي ﷺ أيضًا (لَهُ) يعني لزيد بن حارثة رضي الله عنه، (مُؤَمِّرَا) يعني جاعِلًا إياه أميرًا على هذا البعث.

(سَادِسَةً) يعني هذه كانت السرية السادسة التي يُؤَمِّر عليها الرسول ﷺ زيد بن حارثة، ويُرسله في مهمة عسكرية.

(لِوِجْهَةٍ) وهذه الوِجهة فسّرها بقوله: (وَادِي الْقُرَى) منطقة وادي القرى في شمال المدينة النبوية.

وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ست من الهجرة.

فيقول: (بِهِ أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ قَتْلاَ) يعني أُصيب المسلمون يومئذٍ بأن قُتِل عدد ممَّنْ كانوا مع زيد رضي الله عنه في هذه السرية.

(وَارْتُثَّ زَيْدٌ مِنْ خَلِيطِ الْقَتْلَى) معنى (ارتُثّ) يعني حُمِل من المعركة مُثخنًا بالجراح، (وَارْتُثَّ زَيْدٌ) يعني أُثخِن بالجراح، يعني جُرِح جراحًا شديدة، وأُخِذَ من بين خليط القتلى، من بين قتلى المسلمين الذين قُتلوا في تلك المعركة رضي الله عنهم قُتلوا شهداء، وعاد زيد جريحًا.

وسكان تلك المناطق هم من بني فزارة فأقسم زيد، ورد أنه حلف ألا يغتسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة، أي: لا يعاشر امرأته حتى يذهب إليهم غازيًا يقاتلهم، يريد أن يقتصّ لإخوانه الذين استُشهدوا على أيدي هؤلاء القبائل، ويثأر لهم.

ووفى بهذا اليمين، يعني ورد أنه ظل حتى شُفي من جراحه رغم شدة جراحه، فانتظر حتى شُفي من جراحه، واستأذن النبي ﷺ أن يخرج لقتالهم وبعثه النبي ﷺ في سرية أخرى سابعة لقتال بني فزارة كما سيأتينا بعد ذلك.

السرية الثانية والعشرون، يقول:

٥٨- بَعْثُ ابْنِ عَوْفٍ بَعْدَهُ لِكَلْبِ ... بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، فَازَ الْكَلْبِي

٥٩- أَمِيْرُهُمْ أَصْبَغُ بِالإِسْلَامِ ... وَمَعَهُ نَاسٌ مِنَ الأَقْوَامِ

٦٠- وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ يُصَاهَرَا ... نَكَحَ ذَاكَ ابْنَةَ ذَا تُمَاضِرَا

يقول: السرية الثانية والعشرون أو البعث الثاني والعشرون: هو بعْث عبد الرحمن بن عوف الزهري رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

(بَعْثُ ابْنِ عَوْفٍ بَعْدَهُ) يعني بعث النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف، (بَعْدَهُ) يعني بعد سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى التي كانت في رجب من العام السادس.

فبعده بعث النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (لِكَلْبِ) وكلب هذه قبيلة من قبائل العرب، وهم من سكان دومة الجندل.

ودومة الجندل أيضًا من المناطق الشمالية تقع شمال المدينة النبوية في اتجاه تبوك أو قريبًا من تبوك.

وكانت في شهر شعبان سنة ست، لهذا قال: (بَعْدَهُ) فالسرية التي قبلها كانت في رجب سنة ست من الهجرة، وهي سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى، وفي شهر شعبان سنة ست بعث النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل.

وورد أن النبي ﷺ أقعده بين يديه وعمّمه عمامة سوداء، عممه بها النبي ﷺ، لفّها على رأسه وأسدل طرفها بين كتفي عبد الرحمن بن عوف، يعني: أرخى طرف العمامة بين كتفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

وقال له: «اغزُ باسم الله، وفي سبيل الله، قاتِل مَنْ كفر بالله، لا تغدر ولا تقتل وليدًا»، فذهب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وأول ما بدأ به دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، وكان من عادة أمراء النبي ﷺ الذين يُرسلهم للقتال: أنهم يدعون إلى الإسلام أولًا، إن أسلم القوم فبها ونِعْمت، صاروا إخوة لنا في الدين، وسُرّ المسلمون بإسلامهم، وإذا أبوا الإسلام يُخيّرونهم بين الإسلام والجزية والقتال.

فعبد الرحمن بن عوف ذهب فدعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام قبل بدء القتال.

قال: (فَازَ الْكَلْبِيْ أَمِيْرُهُمْ أَصْبَغُ بِالاسْلاَمِ) يعني أسلم أمير بني كلب، واسمه أصبغ بن عمرو، أو الأصبغ بن عمرو، وكان نصرانيًّا، فأسلم معه ناس من قومه، وبقي جماعة منهم على النصرانية، فمَنْ بقي على النصرانية بذل الجزية.

وأوصى النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف أمْر مشورة وإرشاد له أن يتزوج بنت الأصبغ بن عمرو، واسمها تُماضر، فهذا قوله: (وَأَمَرَ النَّبِيُّ أَنْ يُصَاهِرَا نَكَحَ ذَاكَ) أي: عبد الرحمن بن عوف (ابْنَةَ ذَا) ابنة الأصبغ بن عمرو، (تُمَاضِرَا) اسمها تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة الكلبي، فتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بمشورة النبي ﷺ بنت أميرهم هذا الذي أسلم رضي الله عنه.

وقدِم بها المدينة، وولدت له ابنه أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وكان من كبار الفقهاء، وأحد الفقهاء السبعة في المدينة الذين كانوا أبرز فقهاء زمن التابعين في المدينة.

السرية الثالثة والعشرون من سرايا رسول الله ﷺ، يقول:

٦١- فَبَعْثُـهُ لِفَـدَكٍ عَلِيًّـا إِلَى بَنِي سَـعْدِ بْنِ بَكْـرٍ، أَحْيَا:

٦٢- اللَّيْـلَ سَـيْرًا وَكَمَـنْ نَهَارَا حَـتَّى أَتَاهُـمْ غَفْلَـةً أَغَارَا

٦٣- فَهَرَبُـوْا إِذْ جَاءَهَمْ بِالظُّعُنِ وَاسْـتَاقَ أَنْعَامَهُـمُ غَـيْرَ وَنِيْ

السرية الثالثة والعشرون: أن النبي ﷺ بعث عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى فدَك، وهي مدينة تبعد عن المدينة النبوية مسيرة يومين، قريبة من خيبر. وكانت هذه السرية في شهر شعبان سنة ست، يعني في نفس الشهر الذي كان في السرية التي قبلها، وهي سرية عبد الرحمن بن عوف إلى بني كلب في شهر شعبان سنة ست من الهجرة.

٦١- فَبَعْثُـهُ لِفَـدَكٍ عَلِيًّـا إِلَى بَـنِي سَـعْدِ بْـنِ بَكْـرٍ،...

بنو سعد بن بكر هؤلاء يسكنون منطقة فدك.

وسبب هذه السرية: أنه بلغ النبي ﷺ أنهم جمعوا جمْعًا يريدون إمداد يهود خيبر، فاستبق النبي ﷺ هذا الأمر وأرسل عليًّا لقتالهم.

فسار علي رضي الله عنه إليهم في مائة رجل؛ يُحيون الليل سيرًا ويكمنون نهارًا، قال: (أَحْيَا: اللَّيْلَ سَيْرًا وَكَمَنْ) (نَهَارَا)؛ فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار هو ومَنْ معه؛ حتى يفاجئوا هؤلاء، فظل علي رضي الله عنه يسير حتى وصل إلى ماء بين خيبر وفَدَك، فوجدوا رجلًا فأمّنوه فدلّهم على الحصن الذي أراد المسلمون أن يغزوه وأن يقاتلوا أهله، فوصل المسلمون إليهم وهاجموهم وكانوا يسكنون حصنًا يقال له: الشموخ، فهربوا بالظُّعُن: يعني هربوا بالنساء؛ الظُّعُن: جمع ظعينة، وهي: المرأة؛ فهربوا بالظُّعُن يعني هربوا بالنساء.

(وَاسْتَاقَ أَنْعَامَهُمُ) وغَنِم المسلمون أنعامهم، ولم يلقوا كيدًا، يعني: لم يحصل حرب أو قتال في تلك السرية.

وكان هذا إضعافًا لهم وإخافةً لهم، كانوا يريدون أن يمدوا بهذه الأنعام أعداء المسلمين فغنمها المسلمون.

السرية الرابعة والعشرون

٦٤- فَبَعْثُهُ زَيْدًا لأُمِّ قِرْفَةْ ... سَابِعَةً فَقُتِلَتْ بِعَسْفَةْ

٦٥- وَصَحَّ فِي مُسْلِمٍ: الطَّرِيْقُ ... بِأَنَّمَا أَمِيْرُهَا الصِّدِّيْقُ

وهذه السرية هي السابعة بقيادة زيد بن حارثة رضي الله عنه، كما هو مشهور في كتب السيرة: أن أمير هذه السرية هو زيد بن حارثة رضي الله عنه بعدما شُفي من مرضه، وكانت في رمضان سنة ست، فالمشهور في كتب السيرة: أن قائد هذه السرية هو زيد بن حارثة رضي الله عنه، لكن يقول: (صَحَّ فِي مُسْلِمٍ) لكن ورد في صحيح مسلم أن أمير هذه السرية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لمهاجمة وادي القرى، وقتْل تلك المرأة التي اسمها أم قرفة، أن هذه السرية في صحيح مسلم أن قائد السرية هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ويمكن أن يقال: خرجا جميعًا، قد يكون واحد منهما الأمير، والآخر كان جنديًّا في هذه السرية.

فسبب هذه السرية: ما مرَّ: أن زيدًا خرج لقتالهم من قبل وقتلوا مَنْ كان معه من المجاهدين، وجرحوا زيدًا، ورجع جريحًا إلى المدينة.

وهذه المرأة المذكورة التي هي أم قرفة، اسمها فاطمة بنت ربيعة، وكانت تسبّ النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم هذه السرية، ومن أهدافها قتْل هذه المرأة التي سبّت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وورد أن هذه المرأة كانت تُعلّق في بيتها خمسين سيفًا لخمسين رجلًا من محارمها، يعني كانت عشيرة ولها من محارمها خمسون رجلًا يقاتلون، وكانت تؤذي المسلمين وممَّنْ أعان على المسلمين.

فقال: (فَقُتِلَتْ بِعَسْفَةٍ) يعني قُتلت قِتلة عنيفة أو شنيعة، وورد أن الذي قتلها رجل من الصحابة ممَّنْ كان في تلك السرية مع زيد، أو مع أبي بكر الصديق ﷺ، واسمه: قيس بن المُحسّر، فورد أنه ربطها بحبال، وزجر البعير فتقطعت، قتلها قِتْلة شديدة من غيظه عليها؛ لأنها كانت تسبّ رسول الله ﷺ وتؤذي المسلمين.

وأخذ سلمة بن الأكوع ﷺ ابنتها واسمها حارثة بنت مالك، يعني: سباها سلمة بن الأكوع، ورجعوا إلى النبي ﷺ.

السرية الخامسة والعشرون: يقول:

٦٦- فَبَعْثُـهُ لابْنِ عَتِيْـكٍ مَعَهُ	قَـوْمٌ مِـنَ الْخَـزْرَجِ كَيْ تَمْنَعَـهُ
٦٧- لِخَيْـبَرٍ لابْـنِ أَبِي الْحُقَيْـقِ	لِقَتْلِـهِ أُعِـيْنَ بِالتَّوْفِيْـقِ
٦٨- وَاخْتَلَفُوْا فَقِيْلَ: «ذَا فِي السَّادِسَةْ	أَوْ ثَالِـثٍ أَوْ رَابِـعٍ أَوْ خَامِسَـةْ»

السرية الخامسة والعشرون: وفيها بعث النبي ﷺ عبد الله بن عتيك، وأرسل معه النبي ﷺ أربعة من الخزرج، قال: (مَعَهُ قَوْمٌ مِنَ الْخَزْرَجِ كَيْ تَمْنَعَهُ) يعني كي يحموه ويدافعوا عنه، وهؤلاء الأربعة هم: مسعود بن سنان، وعبد الله بن أُنيس، وأبو قتادة، وخزاعي بن أسود ﷺ، فإذًا مجموع أفراد هذه السرية كانوا خمسة.

بعثهم النبي ﷺ إلى خيبر، قال: (لِخَيْبَرٍ)، لقتل أبي رافع اسمه: عبد الله بن أبي الحقيق، أبو رافع -عبد الله بن أبي الحقيق-، وكان هذا الرجل زعيمًا ليهود خيبر، وكان

ممَّنْ حزّب الأحزاب لقتال رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب.

وتمكن من جمْع عدد كبير من القبائل ليقاتلوا النبي ﷺ، وكان يؤذي رسول الله ﷺ،

فأرسل النبي ﷺ هؤلاء الخمسة رضي الله عنهم؛ ليقتلوا أبا رافع عبد الله بن أبي الحقيق اليهودي.

«فَخَرَجُوا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَنَهَاهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا وَلِيدًا أَوِ امْرَأَةً.

فَخَرَجُوا حَتَّى إِذَا قَدِمُوا خَيْبَرَ أَتَوْا دَارَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ لَيْلًا، فَلَمْ يَدَعُوا بَيْتًا فِي الدَّار حَتَّى أَغْلَقُوهُ عَلَى أَهْلِهِ.

قَالَ: وَكَانَ فِي عُلِّيَّةٍ لَهُ إِلَيْهَا عَجَلَةٌ، قَالَ: فَأَسْنَدُوا إِلَيْهَا حَتَّى قَامُوا عَلَى بَابِهِ فَاسْتَأْذَنُوا، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمِ امْرَأَتُهُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ نَلْتَمِسُ الْمِيرَةَ.

قَالَتْ: ذَاكُمْ صَاحِبُكُمْ فَادْخُلُوا عَلَيْهِ.

فَلَمَّا دَخَلْنَا أَغْلَقْنَا عَلَيْنَا وَعَلَيْهِ الْحُجْرَةَ تَخَوُّفًا أَنْ يَكُونَ دُونَهُ مُجَاوَلَةٌ تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ.

قَالَ: فَصَاحَتِ امْرَأَتُهُ فَنَوَّهَتْ بِنَا، فَابْتَدَرْنَاهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ بِأَسْيَافِنَا، فَوَاللهِ مَا يَدُلُّنَا عَلَيْهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِلَّا بَيَاضُهُ كَأَنَّهُ قُبْطِيَّةٌ مُلْقَاةٌ.

قَالَ: فَلَمَّا صَاحَتْ بِنَا امْرَأَتُهُ جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا يَرْفَعُ عَلَيْهَا سَيْفَهُ ثُمَّ يَذْكُرُ نَهَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَكُفُّ يَدَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَرَغْنَا مِنْهَا بِلَيْلٍ.

قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْنَاهُ بِأَسْيَافِنَا تَحَامَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ بِسَيْفِهِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَنْفَذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: قَطْنِي قَطْنِي.

أَيْ حَسْبِي حَسْبِي.

قَالَ: وَخَرَجْنَا وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عتِيك سَيِّءَ الْبَصرِ، قَالَ: فَوَقَعَ مِنَ الدَّرجَةِ فَوُثِئَتْ يَدُهُ وَثْئًا شَدِيدًا، وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَأْتِيَ بِهِ مَنْهَرًا مِنْ عُيُونِهِمْ فَنَدْخُلَ فِيهِ.

فَأَوْقَدُوا النِّيرَانَ وَاشْتَدُّوا فِي كُلِّ وَجْهٍ يَطْلُبُونَنَا، حَتَّى إِذَا يئسوا رجعُوا إِلَيْهِ فَاكْتَنَفُوهُ وَهُوَ يَقْضِي.

قَالَ: فَقُلْنَا: كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنَّ عَدُوَّ اللهِ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظرُ لَكُمْ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ قَالَ: فَوَجَدتهَا - يَعْنِي امْرَأَته -وَرِجَالُ يَهُود حَوْلَهُ وَفِي يَدِهَا الْمِصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجهه وتحدثهم وَتقول: أما وَاللهِ قد سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكٍ ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ: أَنَّى ابْنُ عَتِيكٍ بِهَذِهِ الْبِلَادِ! ثُمَّ أَقبلت عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ فَقَالَتْ: فَاظَ وَإِلَهِ يَهُودَ. فَمَا سَمِعْتُ كَلِمَةً كَانَتْ أَلَذَّ عَلَى نفسِي مِنْهَا.

قَالَ: ثمَّ جَاءَنَا فَأخبرنَا فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا وَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللهِ، وَاخْتَلَفْنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ كُلُّنَا يَدَّعِيهِ. قَالَ: فَقَالَ: هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ.

فَجِئْنَا بِهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ: هَذَا قَتَلَهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ»[١].

وهذه الرواية هي المشهورة في كتب السِّيَر والمغازي، وفي صحيح البخاري أن الذي قتله هو عبد الله بن عتيك، وأن الأربعة الآخرين انتظروه خارج الدار، فعن البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ اليَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ

---

[١] السيرة النبوية لابن كثير: جـ٣، صـ٢٦١.

اللهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ، فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ البَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ البَوَّابُ، يَا عَبْدَ اللهِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ البَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ البَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ البَابَ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنِ القَوْمُ نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ البَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ البَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي البَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظِبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أُرَى أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَى الأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى البَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الحِجَازِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءَ، فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ»[١]

وكانت السرية، كما قال: (وَاخْتَلَفُوا فَقِيلَ: «ذَا فِي السَّادِسَةْ أَوْ ثَالِثٍ) قيل: إنها كانت في السنة السادسة؛ وهذا الذي اختاره المؤلف، وجعل ترتيبها هنا على أنها في السنة السادسة.

---

[١] صحيح البخاري ٤٠٣٩.

وقيل: إنها كانت في السنة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة، فهناك ثلاثة آراء أخرى أن هذه السرية كانت في العام الثالث أو الرابع أو الخامس الهجري.

وعادةً التفاصيل الصغيرة التي تتعلق بتفاصيل القصص ربما تختلف فيها الروايات، لكن جوهر الموضوع وخلاصته يكون محل اتفاق بين هذه الروايات أن هؤلاء الصحابة من الأنصار وأن النبي ﷺ أرسلهم وأنهم قتلوا أبا رافع.

السرية السادسة والعشرون:

٦٩- فَبَعْدَهُ بَعْثٌ، ثَلَاثُونَ رَجُلْ — أَمِيْرُ ذَاكَ ابْنُ رَوَاحَةَ الْبَطَلْ

٧٠- لِخَيْبَرٍ فَقَتَلُوْا أُسَيْرَا — ابْنَ رِزَامٍ لَا أَصَابَ خَيْرَا

٧١- وَمِخْرَشٌ مِنْ شَوْحَطٍ كَانَ مَعَهْ — فَشَجَّ عَبْدَ اللهِ لَمَّا صَرَعَهْ

٧٢- فَبَصَقَ النَّبِيُّ فِي شَجَّتِهِ — فَلَمْ تَكُنْ تُؤْذِيهِ حَتَّى مَوْتِهِ

السرية السادسة والعشرون: وفيها بعث النبي ﷺ ثلاثين رجلًا إلى خيبر أيضًا، فالسرية التي قبلها كانت إلى خيبر لقتْل أبي رافع بن أبي الحقيق، وهذه كانت أيضًا إلى خيبر وأرسل النبي ﷺ ثلاثين رجلًا بقيادة عبد الله بن رواحة، قال: (أَمِيْرُ ذَاكَ ابْنُ رَوَاحَةَ الْبَطَلْ)؛ أمير هذه السرية هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

أرسلهم إلى خيبر؛ ليقتلوا أُسير بن رزام اليهودي، وكانت هذه السرية في شهر شوال سنة ست من الهجرة، وذلك أنه لما قُتِل أبو رافع بن أبي الحقيق أمَّرت اليهود عليها أُسير بن رزام، فصار يُحزّب على المصطفى ﷺ؛ أخذ يتّبع طريقة سلفه ابن أبي الحقيق، وأخذ يسعى أيضًا في تحريض القبائل على النبي ﷺ ويحاول أن يوجد تحالفًا بين القبائل لقتال رسول الله ﷺ.

٧٠-........ فَقَتَلُــوْا أُسَــيْرًا ابْــنَ رِزَامٍ لاَ أَصَــابَ خَــيْرَا

(لاَ أَصَابَ خَيْرَا) يعني يدعو عليه، أو يذكره بأنه لم يُصِب خيرًا.

فسار إليه هؤلاء الثلاثون ﭫ، ووصلوا إليه وقالوا: بعثنا النبي ﷺ إليك؛ ليستعملك على خيبر، فطَمِع في هذا، فخرج في ثلاثين يهوديًّا- وهذا من باب الخدعة، فالحرب خدعة - فخرج ومعه ثلاثون يهوديًّا، والصحابة كانوا ثلاثين، فجعلوا يماشون المسلمين، حتى إذا كانوا بالطريق أهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أُنيس، يعني يريد أن يمسك بسيف عبد الله بن أُنيس.

فقال: أغدر؟ فضربه عبد الله بن أُنيس، وكان عبد الله بن أُنيس على بعير، وأُسير بن رزام على بعير بجواره، يماشيه، هذا على بعيره وهذا على بعيره، فهو مد يده يريد أن يأخذ سيف عبد الله بن أُنيس، فعاجله عبد الله بن أُنيس أخذ السيف وضربه قال: أغدر؟ تريد الغدر، يعني كان كأنه يريد أن يأخذ منه السيف؛ حتى لا يكون معه سلاح فعبد الله بن أُنيس سبقه، فضربه بالسيف فسقط عن بعيره.

في بعض الروايات: أنه ضربه على رجله، ضربة فقطع رجله، وسقط عن البعير.

فلما سقط عن البعير كان بيده (مِخْرَشٌ مِنْ شَوْحَطٍ)؛ المخرش: هو العصا المعقوفة الرأس، أي: رأسها معوّج مثل الكُلّاب.

(مِنْ شَوْحَطٍ) الشوحط هذا نوع من الشجر، يُصنع منه القِسي، فكان معه عصا من الشوحط فضرب بهذه العصا -وهي عصا ثقيلة- رأس عبد الله بن أُنيس فشجّها شجّة، وصلت إلى أم الدماغ، وهي التي تسمى (المأمومة).

فمالت السرية على أصحابه فقتلوهم، غير واحد، فرجع المسلمون الثلاثون

سالمين وقد قتلوا تسعة وعشرين يهوديًّا ونجا واحد فقط من اليهود، أُصيب ولم يُقتَل.

ثم قدِموا على المصطفى ﷺ فأراه عبد الله الضربة، أو الشجة التي في رأسه فبصق النبي ﷺ في شجّته فلم تؤذه حتى مات، أي: شُفيت وما اشتكى منها حتى مات رضي الله عنه.

فلهذا يقول:

٧٢- فَبَصَقَ النَّبِيُّ فِي شَجَّتِهِ ... فَلَمْ تَكُنْ تُؤْذِيهِ حَتَّى مَوْتِهِ

السرية السابعة والعشرون:

٧٣- فَبَعْثُهُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ إِلَى ... الْعُرَنِيِّيْنَ الَّذِيْنَ مَثَّلاَ:

٧٤- بِهِمْ رَسُولُ اللهِ فِي الْقَتْلِ، كَمَا ... قَدْ فَعَلُوْا هُمْ فِي الرُّعَاةِ مِثْلَ مَا

٧٥- وَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيْرٍ كَوْنَا ... جَرِيْرٍ الْمُرْسَلَ فَارْدُدْ وَهْنَا

هذه السرية السابعة والعشرون: وفيها بعث النبي ﷺ كُرز بن جابر الفهري رضي الله عنه، إلى العُرنيين، نسبةً إلى قبيلة عُرينة، يقال لهم: العُرنيون.

وهؤلاء العُرنيين كانوا ثمانية نفر، قدِموا على النبي ﷺ إلى المدينة فأحسن إليهم النبي ﷺ، وأطعمهم.

ثم إنهم اجتووا المدينة، أي: أصابهم وباء في المدينة، فبعثهم النبي ﷺ إلى الإبل التي ترعى، وهي إبل الصدقة ومعها إبل النبي ﷺ، كانت مع الرعاة خارج المدينة في المراعي، فأرسلهم؛ ليشربوا من أبوال الإبل وألبانها، وهذا نوع من التداوي، وقالوا: إن هذا يفيد في مرض الاستسقاء أو التهاب الكبد.

فاشتكوا أنهم اجتووا المدينة وأصابهم داء، الاستسقاء وهو انتفاخ البطن بسبب

التهاب في الكبد، فأوصاهم النبي ﷺ أن يشربوا من أبوال الإبل وألبانها وبعثهم إلى الرعاة.

فلما ذهبوا إلى هناك قتلوا الرعاة ومثّلوا بهم، أو قتلوا الراعي ومثّلوا به يعني شوّهوا خِلقته، بعد القتل مَثّلوا بجثته وسرقوا إبل الصدقة، استولوا عليها وهربوا بها.

فجاء الخبر إلى النبي ﷺ فأرسل إليهم كُرز بن جابر رضي الله عنه؛ ليُمسك بهم ويُحضرهم؛ لينالوا عقابهم وجزاءهم؛ لأنهم قتلوا الراعي ومثّلوا به وسرقوا إبل الصدقة وغدروا وخانوا.

٧٣- فَبَعْثُهُ كُرْزَ بْنَ جَابِرٍ إِلَى الْعُرَنِيِّينَ الَّذِينَ مَثَّلاَ:
٧٤- بِهِمْ رَسُولُ اللهِ فِي الْقَتْلِ، كَمَا قَدْ فَعَلُوا هُمْ فِي الرُّعَاةِ مِثْلَ مَا

فأحضرهم كُرز بن جابر إلى النبي ﷺ، فعاقبهم عقاب المحاربين، المحارب: الذي يقطع الطريق ويُخيف المارة ويسرق ويقتل، فأمر بهم النبي ﷺ فقُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، كل واحد تُقطَع يده اليمنى ورجله اليسرى.

وسمل أعينهم؛ لأنهم كانوا قد سملوا عين الراعي، يعني: فقؤوا عينيه بحديدة، يعني جزاءً وِفاقًا، وأمر بإلقائهم في الحرّة، فأُلقوا في الحرة، فجعلوا يستسقون، يقولون: الماء..الماء.

فيقول النبي ﷺ: «النار النار، النار النار»..

يعني رغم حلم النبي ﷺ وعفْوه لكن كان حازمًا ﷺ مع هؤلاء المجرمين الذين غدروا وخانوا الأمانة، وقتلوا وسرقوا، ومثّلوا بقتلى المسلمين.

فكان قائد هذه السرية الذي تمكن من القبض على هؤلاء المجرمين، وإحضارهم

إلى النبي ﷺ واسترداد إبل الصدقة و إبل النبي ﷺ، هو كُرز بن جابر الفهري رضي الله عنه.

يقول: (وَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيْرٍ) يعني: ابن جرير الطبري -رحمه الله- روى أن الذي أُرسل إليهم هو جرير بن عبد الله البجلي، فيقول: (فَارْدُدْ وَهْنَا) يعني رُد هذه الرواية؛ لضعفها ووهنها، يعني يُنبّه هنا على أن هذه الرواية ضعيفة لا تصح أن قائد هذه السرية هو جرير بن عبد الله، فيقول: هذا لا يصح؛ وذلك لأن جريرًا رضي الله عنه أسلم في السنة العاشرة، وهذه السرية- سرية العُرنيين- كانت في العام السادس الهجري قبل إسلام جرير.

والروايات الأخرى الثابتة فيها أن أمير هذه السرية هو كُرز بن جابر الفهري.

السرية الثامنة والعشرين:

٧٦- فَبَعْثُ عَمْرِو بْـنِ أُمَيَّةٍ إِلَى قَتْـلِ أَبِي سُـفْيَانَ فِيْمَـا فَعَـلا
٧٨- مِـنْ كَوْنِـهِ جَهَّـزَ أَعْرَابِيًّا بِخِنْجَـرٍ لِيَقْتُـلَ النَّبِيَّـا
٧٩- فَلَمْ يُطِقْ، فَأَسْـلَمَ الأَعْرَابِي وَرَاحَ عَمْـرٌو مَعَـهُ صَحَـابِي
٨٠- جَبَّارٌ اوْ سَـلَمَةُ بْنُ أَسْـلَمَا وَقَـدَّرَ اللهُ لَهُ أَنْ يَسْـلَمَا
٨١- فَلَـمْ يُطِيْقَـا قَتْلَـهُ، وَقَتَلا عَمْـرٌو ثَلاَثَـةً وَأَسْرًا رَجُـلا

هذه السرية الثامنة والعشرون من سرايا المصطفى عليه الصلاة والسلام.

بعث النبي ﷺ عمرو بن أُمية الضمري رضي الله عنه إلى قتْل أبي سفيان بن حرب.

لأن أبا سفيان كان قد جهّز أعرابيًّا بخنجر؛ ليقتل به النبي ﷺ؛ فجاء هذا الأعرابي ومعه الخنجر إلى النبي ﷺ وهو بمسجد بني عبد الأشهل، من مساجد الأنصار، فذهب ليجني على المصطفى ﷺ، فجذبه أُسيد بن حُضير بداخلة إزاره، يعني وضع يده في

معقد الإزار وجذبه منه، فإذا بالخنجر يسقط من يده، فقال المصطفى ﷺ: «اصدقني».

قال: وأنا آمن؟ قال: «نعم». فأخبره، فخلّى النبي ﷺ سبيله. فأسلم هذا الأعرابي.

فحينئذٍ أرسل المصطفى ﷺ عمرو بن أُمية الضمري؛ ليقتل أبا سفيان، عقابًا له على سعيه في قتْل رسول الله ﷺ.

وذهب معه صحابي آخر هو جبّار بن صخر الأنصاري، وقيل: سلمة بن أسلم الأنصاري؛ ففي بعض الروايات أن النبي ﷺ بعث في هذه السرية عمرو بن أُمية وجبّار بن صخر الأنصاري.

والرواية الثانية: أن النبي ﷺ بعث عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم الأنصاري رضي الله عنهم أجمعين.

فالحاصل: أن هذه السرية كانت مكونة من شخصين؛ أحدهما: عمرو بن أُمية، والثاني: واحد من هذين.

وقال ﷺ لهما: «إن أصبتما منه غِرّة فاقتلاه»، فدخلا مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت، فرآه معاوية فعرفه، فأخبر قريشًا فخافوه، وطلبوه، وكانا فاتكًا في الجاهلية، والفاتك: هو الذي له مهارة في القتل السريع بخفية.

فكان عمرو بن أُمية في الجاهلية معروفًا بأنه فاتك، وفتك بناس كثيرين في الجاهلين. فرأوه يطوف بالبيت وعرفوا أن هذا هو عمرو بن أُمية الفاتك المعروف في الجاهلية فخافوه، فحشدوا له فهرب، ولم يجتمع بأبي سفيان.

(وَقَدَّرَ اللهُ لَهُ)أي: لأبي سفيان (أَنْ يَسْلَمَا) لحكمة من الله ﷻ أراد الله ﷻ أن ينجو أبو سفيان لعلم الله ﷻ أنه سيُسلم لاحقًا ويحسُن إسلامه.

قال: (فَلَمْ يُطِيْقَا قَتْلَهُ)؛ يعني فلم يتمكن عمرو بن أُمية وصاحبه هو جبار بن صخر أو سلمة بن أسلم من قتْل أبي سفيان.

قال: (وَقَتَلاَ عَمْرٌو ثَلاَثَةً) يعني هو ما قتل أبو سفيان، لكن وهو في طريقه قتل ثلاثة من المشركين، كل واحد له مناسبة:

أحدهم: هو عبد الله بن مالك، وكان رجلًا من المشركين يُسيء إلى المسلمين، وجده في طريقه فطعنه بخنجر، ومشى.

ثم مرّ برجل من بني الديل سمعه يقول:

ولست بمسلم ما دمت حيًّا ... ولستُ أدين دين المسلمين

فطعنه بخنجره أيضًا.

ومرّ برجل ثالث أيضًا، لعله كان يُسيء إلى الإسلام، فقتله. فقتل ثلاثة في طريقه.

(وَأَسْرًا رَجُلاً) فقدِم به المدينة، يعني: قتل ثلاثة وأسر رجلًا أخذه أسيرًا وذهب به إلى النبي ﷺ.

السرية التاسعة والعشرون:

٨٢- بَعْـــثُ أَبَانَ بْنِ سَـــعِيْدٍ نَجْدَا ... مِنْ بَعْـــدِ فَتْـــحِ خَيْبَرٍ قَـــدْ عُدَّا

هذه السرية التاسعة والعشرون لا توجد عنها تفصيلات أكثر من هذا، أنه بعث النبي ﷺ أبان بن سعيد بن العاص، في مهمة عسكرية إلى نجد، وكان هذا (بَعْدِ فَتْحِ خَيْبَرٍ قَدْ عُدَّا) يعني عدّه أهل السِّيَر بعد فتح خيبر.

السرية الثلاثون

٨٣- ثُـمَّ إلى تُرَبَـةٍ بَعْـثُ عُمَرْ نَحْـوَ هَـوَازِنٍ أَتَاهُـمُ الْخَـبَرْ

٨٤- فَهَرَبُوْا لَمْ يَلْـقَ مِنْهُمْ أَحَدَا وَعَادَ رَاجِعًـا لِنَحْـوِ أَحْمَـدَا

هذه السرية الثلاثون بعث النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر شعبان سنة سبع من الهجرة، وهي السنة التي وقعت فيها غزوة خيبر.

في ثلاثين رجلًا، (إِلَى تُرَبَةٍ) تربة هذا اسم بلد، على أربعة ليالٍ من مكة على طريق صنعاء، فبعث النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تلك الجهة، فأتاهم الخبر فهربوا، وجاء عمر فلم يلق منهم أحدًا، وعاد عمر رضي الله عنه راجعًا إلى النبي ﷺ.

السرية الحادية والثلاثون:

٨٥- بَعْثُ أَبِي بَكْـرٍ إلى كِلاَبِ يَعْقُبُـهُ، وَمَـرَّ فِي كِتَـابِيْ:

٨٦- بِـأَنَّ بَعْثَـهُ إلى فَـزَارَةْ فِي مُسْـلِمٍ قَدْ صَـحَّ مَـعْ زِيَادَةْ

بعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب، وبنو كلاب قبيلة في نجد، ومنطقة نجد حاليًا هي منطقة الرياض والقصيم وضواحيهما.

فبعث النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب، وكان بعْثه في شعبان سنة سبع للهجرة.

قال: (يَعْقُبُهُ) يعني يعقب بعْث عمر، فبعد إرسال عمر رضي الله عنه إلى تربة بعث أبا بكر رضي الله عنه في نفس الشهر، وهو شهر شعبان من العام السابع الهجري.

فقتل ناسًا من المشركين، وكان شعارهم: أَمِت أَمِت، ويقول المصنف: إنه مرّ سابقًا

أن النبي ﷺ بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى قبيلة فزارة وأن هذا ورد في صحيح مسلم، ومرّ الحديث عنه في سرية سابقة.

السرية الثانية والثلاثون:

٨٧- فَبَعْثُـهُ بَشِـيْرًا الأَنْصَارِيْ لِفَـدَكٍ، فَسَـاقَ فِي انْحِـدَارِ:
٨٨- شَـاءً لَهُمْ وَنَعَمًـا، فَأَدْرَكُوْا أَصْحَابَـهُ، فَقَتَلُـوْا وَسَـفَكُوْا
٨٩- وَأَخَـذُوْا أَمْوَالَهُمْ، وَسَـلِمَا مِـنْ بَعْدِ مَـا ارْتُثَّ بَشِـيْرٌ قَدِمَا

هنا يتكلم عن السرية الثانية والثلاثين، ويذكر: أن النبي ﷺ بعث بشيرًا الأنصاري البدري رضي الله عنه قائدًا لسرية إلى فَدَك، إلى منطقة فَدَك، وفَدَك هذه منطقة في شمال المدينة في اتجاه تبوك وخيبر وتلك الجهات.

وذلك في شهر شعبان سنة سبع أيضًا، ففي هذا الشهر بعث النبي ﷺ ثلاث سرايا: سرية أبي بكر، وسرية عمر، وسرية بشير.

فبعثه إلى بني مُرة ومعه ثلاثون رجلًا، فلقي رعاء الغنم فسأل عن الناس فقالوا: في بواديهم، فساق النَّعم والشياة وانحدر بها نحو المدينة.

فخرج الصريخ إلى أصحابها، فأدركوا بشيرًا فتراموا بالنبل، ففَنِي أصحاب بشير، فقتلوهم وسفكوا دماءهم وساقوا أموالهم، وسَلِم بشير، ومن بعد ما ارتُثّ قدِم؛ ارتُثّ: يعني استُخرِج جريحًا من بين القتلى، يعني خرج وقد أثخنته الجراح وأُخرِج من بين القتلى، وقدِم على النبي ﷺ يُخبره بمقتل الصحابة الثلاثين رضي الله عنهم.

وهذه القبائل التي كان يُرسِل إليها النبي ﷺ كان يُرسِل إليهم لقتالهم؛ لكونهم أعانوا على قتال المسلمين من قبل، أو يُعدّون العُدّة لقتال المسلمين، ويعينون أعداء

المسلمين، فيكون للنبي ﷺ حِكَم في الإرسال إلى هذه القبائل لما بدا منهم من العداوة والكيد للإسلام والمسلمين.

السرية الثالثة والثلاثون:

٩٠- فَبَعْثُـهُ اللَّيْـثِيَّ غَالِبًـا إِلَى مَيْفَعَـةٍ مِـنْ أَرْضِ نَجْـدٍ قَتَـلاَ

٩١- قَوْمًـا وَسَـاقَ نَعَمًا وَشَـاءَ لَهُـمْ، وَلَمْ يَسْـتَأْسِرَنْ مَـنْ جَاءَ

٩٢- قِيْـلَ: «بِهَا أُسَـامَةُ بْنُ زَيْدِ قَتَـلَ مَـنْ نَطَـقَ بِالتَّوْحِيْـدِ

٩٣- قَـالَ لَهُ النَّـبِيُّ: هَـلاَّ قَلْبَهْ شَـقَقْتَ عَنْهُ؟ هَلْ تُحِسُّ كِذْبَهْ؟»

٩٤- وَفِي الْبُخَارِي: «بَعْثُهُ أُسَـامَةْ لِلْحُرَقَـاتِ» سَـاقَ ذَا تَمَامَـهْ

٩٥- وَسَـيَجِيْءُ ذِكْرُ ذِي الْوَاقِعَةِ مِنْ بَعْـدِ ذِكْرِي لِبُعُـوثٍ عَشْرَةِ

هذه السرية الثالثة والثلاثون من السرايا التي بعثها النبي ﷺ.

وقائد هذه السرية: هو غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه في مائة وثلاثين رجلًا.

والجهة التي وجّههم إليها النبي ﷺ إلى منطقة الميفعة من أرض نجد، وكان هذا في رمضان سنة سبع.

فهجموا عليهم فقتلوا قومًا وساق نَعَمًا وشاءً.

(وَلَمْ يَسْتَأْسِرَنْ مَنْ جَاءَ) يعني لم يأسر ناسًا منهم، إنما قتل وغَنِم الإبل والغنم.

وقيل: إن هذه السرية هي التي وقعت فيها حادثة أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

أنه قتل فيها مَنْ أسلم، وهو نهيك بن مرداس، وهو رجل كان مع المشركين، كان

يقاتل المسلمين، وجرح من المسلمين وأصابهم، فلما شعر أن أسامة أوشك أن يقتله فقال: (لا إله إلا الله) حتى يعصم دمه، فقتله أسامة ﵁، حتى ورد في الروايات: أن هذا الرجل كان جرح أسامة وهو يقاتله، فلما تمكن منه أسامة وكاد أن يقتله قال: (لا إله إلا الله) فقتله أسامة.

فهنا في البيت يقول:

٩٣- قَـالَ لَهُ النَّـبِيُّ: هَـلاَّ قَلْبَهْ شَـقَقْتَ عَنْهُ؟ هَلْ تُحِسُّ كِذْبَهْ؟»

هذا معنى الحديث، يسوق معناه، أن النبي ﷺ: «هلّا شققت عن قلبه؟»، ثم قال له النبي ﷺ: «كيف تصنع بـ (لا إله إلا الله) إذا جاءت يوم القيامة؟»؛ كيف تصنع بهذه الكلمة إذا جاءت يوم القيامة.

قال أسامة: فما زال يُكررها، يقول له: «هلّا شققت عن قلبه؟»، حتى تمنيت أني لم أُسلِم إلا يومئذ، يعني من شدة تغليظ النبي ﷺ على أسامة، مع أن النبي ﷺ كان يحب أسامة حبًّا عظيمًا، يقال له: حِبّ رسول الله ﷺ، لكنه أغلظ عليه في الموعظة حتى إن أسامة يقول: وددتُ أني ما كنت أسلمتُ إلا يومئذٍ؛ لأن الإسلام يمحو ما قبله، فيقول: تمنيت أني أسلمت يومئذٍ حتى يمحو الإسلام إثم هذا العمل الذي فعله، لكن عُذر أسامة ﵁ أنه ما كان يعلم هذا، يعني كان يظن أن الشخص لو قال: (لا إله إلا الله) ليعصم نفسه من القتل وهو كان يقاتل المسلمين ويصيبهم ويجرح منهم، ولما قدر عليه المسلمون قالها، فاجتهد وأخطأ، يحسب أن هذا لا يعصمه من القتل، لكن النبي ﷺ بيّن له أنه أخطأ في هذا.

ثم ذكر المؤلف أن الإمام البخاري -رحمه الله- ذكر في صحيحه أن بعْث النبي ﷺ أسامة كان إلى الحُرقات، وأن هذه الحادثة حصلت في السرية التي بعث فيها النبي ﷺ

إلى الحُرقات- اسم بلد-، وقال: إنه سيجيء ذِكْر هذه الواقعة بعد عشرة بعوث، يعني في السرية الرابعة والأربعين، لكن الذي ذكره هنا هو المشهور في كتب السيرة، أن هذه الحادثة وقعت في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة، وأن أسامة كان جُنديًّا في هذه السرية، ووقعت هذه الواقعة في هذا الوقت.

السرية الرابعة والثلاثون:

٩٦- فَبَعْثُـهُ بَشِـيْرًا الأَنْصَارِيْ ثَانِيَـةً لِيُمْـنَ وَالْجَبَـارِ

٩٧- لِغَطَفَانَ، هَرَبُـوْا وَقَدْ هَجَمْ أَرْضَهُـمُ، فَلَـمْ يَجِـدْ إلّا النَّعَـمْ

٩٨- فَسَـاقَهَا، وَرَجُلَـيْنِ أُسِرَا فَأَسْـلَمَا، وَأُرْسِـلاَ إذ أُحْـضِرَا

هذه السرية الرابعة والثلاثون: وفيها بعث النبي ﷺ بشيرًا الأنصاري أيضًا.

قال: (ثَانِيَةً): يعني هذه هي المرة الثانية التي يُؤمّر فيها النبي ﷺ بشيرًا، فالنبي ﷺ بعثه مرة ثانية إلى (يُمن والجبار).

فـ (يُمن) اسم بلد قريبة من مكة، يُمْن وليست اليمن هنا ولكن يُمن.

(وَالْجَبَارِ لِغَطَفَانَ)؛ والجبار هذه أيضًا أرض لقبيلة غطفان، فمنطقة يُمن ومنطقة الجَبَار (بفتح الجيم والباء المخففة يعني هكذا).

فأرسله النبي ﷺ إليهم، وكان هذا في شهر شوال سنة سبع.

فلما قدِم عليهم هربوا وهجم على أرضهم فلم يجد إلا النَّعم، فساقها، يعني: أخذها غنيمة، وأَسَرَ رجلين، فأسلما عندما أُحضِرا إلى المصطفى ﷺ، فأطلق سراحهما لما أسلما.

السرية الخامسة والثلاثون: يقول:

٩٩- يَلِيْهِ بَعْثُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَهُوَ بُعَيْدَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ:

١٠٠- إلى سُلَيْمٍ، جَاءَهُمْ عَيْنٌ لَهُمْ فَجَاءَهُمْ وَقَدْ أَعَدُّوْا نَبْلَهُمْ

١٠١- ثُمَّ تَرَامَوْا سَاعَةً فَقُتِلا أَصْحَابُهُ، وَهُوَ فَقَدْ تَحَامَلا

١٠٢- مِنْ بَعْدِ جَرْحِهِ إلى أَنْ قَدِمَا عَلَى النَّبِيِّ سَالِمًا مُسَلِّمَا

بعث النبي ﷺ ابن أبي العوجاء، واسمه: الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه،

فالنبي ﷺ يعني عندما أرسل لقتال سُليم أرسل إليهم صحابيًّا منهم، وهو الأخرم بن أبي العوجاء السلمي، ولما أرسل لقتال بني أسد أمّر عكاشة بن محصن الأسدي، فكان ﷺ يراعي في الاختيار أن يُرسِل إلى القبيلة رجلًا منهم، ممَّنْ أسلم يقود هذه السرية؛ لأنه أعرف بقومه وأعرف ببلاده.

فالنبي ﷺ أمّر على هذه السرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه، وقال: (وَهُوَ بُعَيْدَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ) توقيت هذه السرية: كان بُعيد عمرة القضاء، (بُعيد) هذا تصغير، يعني بعدها بأيام قليلة، بعد عمرة القضاء بأيام قليلة.

وعمرة القضاء كانت في ذي القعدة من العام السابع الهجري، وكانت البعثة بعدها بأيام قليلة.

فبعثه إليهم في خمسين رجلًا، وتقدّمه عين- أي طليعة لهم- فبنو سُليم كان لهم جواسيس يتتبعون الأخبار، فاطّلع جاسوس منهم على أن الأخرم ومَنْ معه جاءوا لقتالهم.

فحذّرهم؛ فأخذوا أُهبتهم، فجاءهم الأخرم ومَنْ معه وقد أعدّوا للحرب بنبلهم، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا فيما دعوتنا إليه.

(ثُمَّ تَرَامَوْا سَاعَةً)؛ ظلوا ساعة يترامون بالنبال، وأتت الأمداد من كل ناحية، فقاتلهم الأخرم قتالًا شديدًا، فقُتِل عامة أصحابه وأُصيب هو مع القتلى، لكنه لم يمت ﵁

فـ(تحَامَلَا)؛ أي: تكلّف المشي على مشقة (مِنْ بَعْدِ جَرْحِهِ إلى أَنْ قَدِمَا عَلَى النَّبِيِّ) ﷺ يعني سالمًا من القتل لكنه مُثخَن بالجراح وتحامل على نفسه حتى قدِم على النبي ﷺ.

السرية هي السادسة والثلاثون:

١٠٣- فَبَعْثُ غَالِبٍ إلى الْكَدِيْدِ إلَى بَنِي الْمُلَوِّحِ الرُّقُودِ

١٠٤- شَنَّ عَلَيْهِمْ غَارَةً فَاسْتَاقَا نَعَمَهُمْ، وَأَدْرَكُوا لَحَاقَا:

١٠٥- بِهِ، فَجَاءَ اللهُ بِالسَّيْلِ فَمَا قَدَّرَهُمْ أَنْ يَسْتَرِدُّوا النَّعَمَا

قائد هذه السرية: هو غالب بن عبد الله الليثي ﵁، أرسله النبي ﷺ إلى الكَديد.

والكَديد: موضع بالحجاز شمال غربي مكة يبعد عنها تسعين كيلو مترًا، وفيه عين جارية، عليها نخل كثير.

(إلَى بَنِي الْمُلَوِّحِ) هم القبيلة التي تسكن هذا المكان، وهم من بني ليث، من قوم غالب بن عبد الله الليثي، لذلك أرسله النبي ﷺ إليهم، وكان معه بضعة عشر رجلًا.

فهو يقول: (إلَى بَنِي الْمُلَوِّحِ الرُّقُودِ) كانوا راقدين وقت هجومه عليهم.

فشنّ عليهم الغارة في وقت السحر، أي: في آخر ساعة قبل الفجر، فشنّ الغارة

عليهم في وقت السحر (فَاسْتَاقَ نَعَمَهُمْ) وقتل منهم جماعة كثيرة، وخرج صريخ القوم، فأدركوا غالبًا وأصحابه ولحقوا به بسرعة، وجاء معهم ما لا قِبَل لهم به، فقربوا منهم وما بقي بينهما إلا الوادي، فجاء الله بسيل عظيم فحال بينهما.

ولم يقدروا أن يستردوا نِعمهم وهم ينظرون إليها عيانًا مع كثرتهم، فتمكن الصحابة من الوصول بهذه الأنعام إلى النبي ﷺ في المدينة.

السرية السابعة والثلاثون

١٠٦- فَبَعْثُهُ ثَالِثَةً إلى فَدَكْ   أَجْلَ مُصَابِ مَنْ بِهَا قَبْلُ هَلَكْ:

١٠٧- مَعَ بَشِيْرٍ، فَأَصَابُوْا النَّعَمَا   وَقَتَلُوْا فِي اللهِ قَتْلَى لُؤَمَا

في هذه السرية بعث النبي ﷺ غالب بن عبد الله الليثي مرة ثالثة؛ فقد مر بنا أن النبي ﷺ بعث غالب بن عبد الله الليثي قائدًا لساريتين من قبل، فهذه السرية الثالثة التي يُؤمّر عليها النبي ﷺ غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه.

بعثه (إِلَى فَدَكْ) وفَدَك كما عرفنا مدينة في شمال المدينة النبوية في اتجاه تبوك وخيبر، وكان ذلك في شهر صفر من العام الثامن الهجري.

قال: (أَجْلَ مُصَابِ مَنْ بِهَا قَبْلُ هَلَكْ: مَعَ بَشِيْرٍ) يعني من أجل الثأر لمَنْ قُتلوا مع بشير رضي الله عنه في فَدك حين بعثه النبي ﷺ في ثلاثين رجلًا، فقتِل من معه، ونجا بشير وهو جريح وارتُثّ من بين القتلى، يعني أُنقِذَ من بين القتلى وهو جريح.

وكان ذلك في شعبان من العام السابع، فلما كان شهر صفر من العام الثامن الهجري، يعني بعد هذه الحادثة بنحو سبعة أشهر، أرسل النبي ﷺ غالب بن عبد الله الليثي إلى فدك؛ من أجل مَنْ أُصيب بها من الصحابة وقُتلوا مع بشير الأنصاري رضي الله عنه.

فخرج إليهم في مائتي رجل، منهم أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

فأغاروا عليهم وقت الصبح فأصابوا منهم نعمًا وقتلوا منهم قتلًا ذريعًا، لا يخافون في الله لومة لائم، وقتلوا (قَتْلَى لُؤَمَا) يعني لؤماء؛ لأنهم سبق أن قتلوا من أصحاب النبي ﷺ من قبل، فاقتص منهم النبي ﷺ في هذه السرية، وقُتِل عدد كبير من أهل فدك وأخذ المسلمون أنعامهم ورجعوا بها غانمين إلى المدينة النبوية.

السرية الثامنة والثلاثون:

١٠٨- بَعْثُ شُجَاعٍ بَعْدَهُ إلى بَنِيْ عَامِرَ بِالسِّيِّ إلى هَوَازِنِ
١٠٩- يَسِيْرُ لَيْلًا، يَكْمُنُ النَّهَارَا فَسَارَ حَتَّى صَبَّحَ الدِّيَارَا
١١٠- أَصَابَ مِنْهُمْ نَعَمًا وَشَاءَا وَخَمَّسُوْا وَقَسَّمُوْا مَا جَاءَا

هذه السرية هي سرية شجاع بن وهب الأسدي رضي الله عنه، أرسله النبي ﷺ إلى السِّي، والسِّيّ: اسم موضع على بُعد خمس ليالٍ من المدينة، والقبيلة التي أُرسِل إليهم هم هوازن.

وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ من الهجرة.

وكان عدد أفراد السرية كان أربعة وعشرين صحابيًّا رضي الله عنهم. فكان يسير ليلًا ويكمن نهارًا، فصبّحهم على غفلة، فأصاب منهم نعمًا كثيرًا وشاءً فغَنِم إبلًا كثيرةً وغنمًا كثيرة، فقدموا بها المدينة فخمّسوها واقتسموا، خمّسوها يعني قُسّمت أخماسًا، أُخرِج خُمسها لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

وأربعة الأخماس الأخرى تُقسّم على المجاهدين، فكل واحد كان نصيبه خمسة عشر بعيرًا، وغابوا خمس عشرة ليلة.

السرية التاسعة والثلاثون

١١١- فَبَعْثُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ مِنْ غِفَارْ لِذَاتِ أَطْلَاحٍ فَحَلُّوا بِالدِّيَارْ
١١٢- فَوَجَدُوا الْجَمْعَ كَثِيرًا، قَاتَلُوا مِنْ أَعْظَمِ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا
١١٣- إِلَّا الأَمِيرَ ابْنَ عُمَيْرٍ كَعْبَا نَجَا جَرِيحًا، كَانَ رُزْءًا صَعْبَا

بعث النبي ﷺ كعب بن عُمير الغفاري رضي الله عنه في خمسة عشر رجلًا إلى ذات أطلاح، وهذا المكان: على حدود الشام قريب من وادي القرى.

وكانت هذه السرية أيضًا في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ من الهجرة، نفس الشهر الذي أُرسلت فيه السرية السابقة.

فساروا حتى حلّوا بها فوجدوا جمْعًا كثيرًا، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لدعوة الإسلام.

ورموهم بالنبل، ثم قاتلوا قتالًا شديدًا، حتى قُتِل جميع أفراد السرية ما عدا الأمير، كعب بن عُمير الغفراي رضي الله عنه انفلت منهم وهو جريح.

و(كَانَ رُزْءًا صَعْبًا) يعني كان بلاءً شديدًا على المسلمين، وكانوا من خيار الصحابة رضي الله عنهم، فشقّ ذلك على المصطفى ﷺ، وشقّ على المسلمين، ورجع الأمير إلى النبي ﷺ جريحًا.

السرية الأربعون؛ وهي: سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السلاسل، يقول:

١١٤- وَبَعْثُ عَمْرٍو وَهُوَ ابْنُ الْعَاصِي إِلَى قُضَاعَةٍ بِمَرْمًى قَاصِي
١١٥- ذَاتِ السُّلَاسِلِ وَكَانَ مَنْ مَعَهْ عَدَّ ثَلَاثَمِئَةٍ مُجْتَمِعَةْ

١١٦- وَبَلَغَ ابْنَ الْعَاصِ كُثْرُ الْجَمْعِ أَرْسَـلَ يَسْـتَمِدُّ قَـدْرَ الْوُسْـعِ

١١٧- أَرْسَـلَ لَهُ أَبَا عُبَيْـدَةٍ وَرَدْ فِي مِئَتَيْنِ، مِنْهُمَا شَـيْخَا الرَّشَـدْ

١١٨- الْعُمَـرَانِ يَلْحَقَـانِ عَمْرَا فَلَحِقُـوهُ، ثُـمَّ سَـارُوْا طُـرَّا

١١٩- حَـتَّى لَقُوْا جَمْعًا مِنَ الْكُفَّارِ فَهَـرَبَ الْكُفَّـارُ لِلأَدْبَـارِ

بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه أميرًا على هذه السرية إلى منطقة يقال لها: ذات السلاسل، وهي الآن في وقتنا الحاضر قريبة من مدينة الوجه في شمال الجزيرة العربية، وهي ميناء على البحر الأحمر قريبة من حدود الأردن.

فبعث النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه أميرًا على سرية كبيرة يقال لها: ذات السلاسل.

وكانت المسافة من المدينة إلى ذات السلاسل مسيرة عشرة أيام، يقال لها: ذات السَّلاسل، هذا الاسم المشهور، ويقال أيضًا بضم السين: (ذات السُّلاسِل)؛ السَّلاسل أو السُّلاسل.

وسكان هذه المنطقة هم قبيلة جزام، من القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية.

خرج بن العاص رضي الله عنه أميرًا على هذه السرية في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ من الهجرة.

في ثلاثمائة من وجوه المهاجرين والأنصار، وكما سيأتينا أن النبي ﷺ بعث بعد ذلك، مائتي مقاتل، مددًا لهؤلاء الثلاثمائة فصار المجموع خمسمائة مقاتل؛ لذلك بعض العلماء يسميها غزوة رغم أن النبي ﷺ لم يشارك فيها؛ لأن السرايا في العادة لا تزيد عن أربعمائة.

سار عمرو الليل، وكمن النهار حتى دنا منهم فبلغه كثرة الجمع، فأرسل إلى

المصطفى ﷺ يستمده؛ فبعث عمرو ﷺ رسولًا إلى النبي ﷺ يطلب منه مددًا قبل بدء المعركة، أن يُرسِل إليه مددًا؛ لأن عددهم قليل والأعداء كثيرون.

فأمدّه النبي ﷺ بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين: منهم أبو بكر وعمر ﷺ.

يقول:

١١٧- أَرْسَـــلَ لَهُ أَبَا عُبَيْـــدَةٍ وَرَدْ   فِي مِئَتَيْنِ، مِنْهُمَا شَـــيْخَا الرَّشَـــدْ

١١٨- الْعُمَـــرَانِ.........   . . . .

(الْعُمَرَانِ) هما أبو بكر وعمر ﷺ بعثهما جنديين تحت إمْرة أبي عبيدة ﷺ مددًا لعمرو بن العاص.

فلحقوا بهم ثم ساروا جميعًا فلحقوا جمْعًا كثيرًا من الكفار فحمل عليهم المسلمون- هجموا عليهم هجمة شديدة- فهرب الكفار للأدبار كما ذكر المؤلف، ولّى المشركون الأدبار وفرّوا هاربين من هجمة المسلمين رغم أن عدد الكافرين كان أضعافًا مضاعفة.

ورجع المسلمون سالمين، وتحقق الغرض وهو إخافة أهل تلك الجهات من المشركين؛ لأن هذه المناطق الشمالية التي على حدود الشام وقريبة من الشام كانوا يوالون قيصر الروم، ويوالون النصارى، وكان قيصر يعد العُدة لقتال المسلمين، فكانت هذه السرايا لتلك المناطق تخيف أعداء المسلمين وتجعلهم يفكرون قبل أن بعث الجيش لقتال المسلمين، أو مساعدة أعداء المسلمين.

وهذه السرية فيها القصة المشهورة وهي: أن عمرو بن العاص ﷺ أصابته جنابة وكان الجو باردًا شديد البرد فاستيقظ لصلاة الفجر وهو جُنب والبرد شديد، فخشي إن اغتسل أن يهلك فتيمم وصلى بأصحابه، ولما رجع للنبي ﷺ قال له: صليت بأصحابك

وأنت جُنب؟ فقال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، فضحك النبي ﷺ وأقرّه يعني على ما صنع؛ لأن البرد كان شديدًا فإن اغتسل في هذا البرد الشديد هلك.

السرية الحادية والأربعون، يقال لها: سرية سيف البحر ويقال لها: جيش الخبط، يقول:

١٢٠- فَبَعْثُهُ أَيْضًا أَبَا عُبَيْدَةِ ... فِي عِدَّةٍ، وَهُمْ ثَلاثُمِئَةِ

١٢١- وَهُوَ الَّذِي تَعْرِيفُهُ جَيْشُ الْخَبَطْ ... يَلْقَوْنَ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، فَفَرَطْ

١٢٢- وَكَانَ زَادُهُمْ جِرَابَ تَمْرِ ... فَأَكَلُوا الْخَبَطَ فَقْدَ التَّمْرِ

١٢٣- وَفِيْهِ أَلْقَى الْبَحْرُ حُوتًا مَيِّتَا ... يَدْعُونَهُ الْعَنْبَرَ، حَتَّى ثَبَتَا:

١٢٤- شَهْرًا عَلَيْهِ الْجَيْشُ، حَتَّى سَمِنُوْا ... مِنْ أَكْلِهِ، وَحَمَلُوْا وَادَّهَنُوْا

١٢٥- وَفِيْهِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ نَحَرَا ... جَزَائِرًا لِلْجَيْشِ، حَتَّى ائْتَمَرَا:

١٢٦- عُمَرُ مَعْ أَمِيْرِهِمْ، فَمَنَعَا ... وَجَاءَ سَعْدٌ فَاشْتَكَى مَنْ مَنَعَا

هذه السرية من السرايا المشهورة في سيرة النبي ﷺ ،وكانت في شهر رجب في السنة الثامنة من الهجرة. بعث النبي ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أميرًا على ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

بعثهم النبي ﷺ لمهمتين: إلى حي من جُهينة، وأيضًا للقاء قافلة تجارية لقريش كانت ستمر من تلك المنطقة.

فخرجت السرية وكانوا ثلاثمائة رجل، والمنطقة التي أُرسلوا إليها تبعد خمس ليالٍ

عن المدينة يقال لها: سِيف البحر، وهي على ساحل البحر.

فذهبوا للقاء عير قريش فسبقتهم العير، ولم يلقوا كيدًا، كما ذكر هنا قال: (يَلْقَوْنَ عِيْرًا لِقُرَيْشٍ، فَفَرَطْ) يعني فسبقتهم العير، ولم يدركوها.

(وَكَانَ زَادُهُمْ جِرَابَ تَمْرِ) كان معهم الزاد جراب تمر، فكانوا يأكلون من التمر حتى بدأ التمر يتناقص وعددهم كبير (ثلاثمائة) فصار يعطيهم تمرتين تمرتين، كل جندي له تمرتان، ثم صار يعطيهم تمرة واحدة، كل واحد تمرة واحدة في اليوم، يعني هذه إفطاره وغذاؤه وعشاؤه، فكان إذا جاع أحدهم يُخرِج التمرة يمصها، يُخفف بها الجوع عن نفسه ويضعها؛ حتى لا يأكلها مرة واحدة.

حتى إن أحد الصحابة ممَّنْ كان في تلك السرية قيل له: وما تصنعون بتمرة؟ قال: وجدناها حين فقدناها، أي: لما فقدنا التمرة، عرفنا قيمة التمر، بعد ذلك فنيت حتى التمرة الواحدة، ما عاد معهم طعام.

فصاروا يأكلون الخبط، والخبط: ورق السَّمُر -وهو نوع من الأشجار- وأصابهم جوع شديد، و كان من ضمن الجنود قيس بن سعد بن عبادة ﵁، فلما جاع الجيش ونفد الطعام ، قال: مَنْ يشتري مني تمرًا بجزور يفيني الجزور هنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟ فقال عمر: واعجباه لغلام لا مال له، يدين في مال غيره.

فباعه رجل من جهينة خمس جزائر، وقال له: أعطيك ثمنها في المدينة.

فنحر لهم ثلاثًا في ثلاثة أيام، كل يوم واحدة؛ فجعل كل يوم ينحر لهم جزورًا ويُطعِم الجيش في ثلاثة أيام.

فلما كان في اليوم الرابع ائتمر عمر وأمير الجيش أبو عبيدة فمنعاه؛ وقالا: عزمنا

عليك ألا تنحر، فلما رجعوا إلى المدينة، ذكر قيس لأبيه القصة، فلام الذين منعوا ابنه من نحْر الإبل التي كانت معه، ووفّى للجهني حقّه وحمله وكساه.

وقال النبي ﷺ عن قيس: «إنه في قلبه جود»أي: في قلبه كرم رضي الله عنه، يعني تحمّل هذه الغرامة الكبيرة في ماله ومال أبيه من أجل إطعام الجيش.

هذه السرية فيها قصة مشهورة وحادثة مشهورة، وهي: قصة الحوت، لما نفد الطعام، ونفد التمر، وصاروا يأكلون ورق الشجر، وأصابهم جوع شديد، ألقى البحر لهم حوتًا عظيمًا ميتًا يسمى حوت العنبر، والنبي ﷺ قال: «الحِلّ ميتته».

فكان حوتًا ضخمًا عظيمًا حتى إن أبا عبيدة رضي الله عنه نصب ضلعين من أضلاع الحوت وأتى بأطول رجل في الجيش قالوا: هو قيس بن سعد بن عُبادة، هو نفسه. يعني هو كان شابًّا لكنه كان أطولهم، فأركبه على البعير ومرّ بالبعير من بين ضلعين من أضلاع الحوت، وهو على بعير ومرّ بين ضلعين من أضلاع الحوت لضخامة حجمه.

وجعلوا يغرفون الدهن من عينه بالدلاء- جمع دلْو- من كِبَر عين الحوت عينه كلها دُهن، شحم، فجعلوا يغرفون بالدلو من عين الحوت.

فظلوا يأكلون منه شهرًا، وحملوا معهم من لحم هذا الحوت وجففوا لحمه وملّحوه، يعني جففوه بطريقة بحيث يعيش معهم، وظلوا يأكلون منه شهرًا حتى قدِموا ببعضه إلى المدينة، وصلوا إلى المدينة في نهاية المعركة ولا يزال معهم من لحم هذا الحوت، حملوه معهم إلى المدينة.

حتى سَمنوا؛ يعني قال: أكلوا منه شهرًا، ظلوا يأكلون منه شهرًا كاملًا حتى سَمِن الجيش من كثرة اللحم، والادهان من دُهنه.

فهذه المعركة لم يحصل قتال، كان الغرض الأساسي هو عير قريش، والعير سبقتهم ولم يحصل فيها قتال.

السرية الثانية والأربعون:

١٢٧- بَعْثُ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيْ: بَعْـدُ إِلَى خُـضْرَةَ لِلْمَغَـارِ

١٢٨- عَلَى مُحَـارِبٍ بِنَجْدٍ سَـارَا لَيْـلًا بِهِـمْ، وَكَمَـنَ النَّهَـارَا:

١٢٩- فَقَتَلُوْا مَنْ جَاءَ، وَاسْتَاقُوْا النَّعَمْ وَأَخْـرَجَ الْخُمْسَ الأَمِيْرُ وَقَسَـمْ

هذه سرية أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه خمسة عشر رجلًا إلى منطقة يقال لها خُضرة، وهي من أرض محارب، فالمكان اسمه خُضرة، والقبيلة التي تسكن المكان اسمها محارب، وقبيلة محارب في نجد، وخُضرة هذه قرية من قرى نجد.

وكان هذا في شهر شعبان في السنة الثامنة من الهجرة.

وأمره أن يشنّ الغارة عليهم ليلًا، فجعل يسير بالليل ويكمن بالنهار، فهجم عليهم وقتل من أشرافهم مَنْ جاء إليهم واستاقوا الأنعام، وكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة، وسبوا سبيًا كثيرًا.

وجمعوا الغنيمة فأخرج الأمير الخمس، وقسم الباقي فأصاب كل واحد اثني عشر بعيرًا وغابوا خمس عشرة ليلة.

السرية الثالثة والأربعون:

١٣٠- فَبَعْثُـهُ أَيْضًا إِلَى بَطْنِ إِضَمْ حِـيْنَ أَرَادَ غَـزْوَ مَكَّـةٍ وَهَـمْ

١٣١- وَكَانَ فِي الْبَعْثِ مُحَلِّمٌ قَتَلْ ... عَامِرَ أَشْجَعٍ وَبِئْسَ مَا فَعَلْ
١٣٢- حَيَّاهُمُ تَحِيَّةَ الإِسْلامِ ... قَتَلَهُ، فَبَاءَ بِالآثَامِ
١٣٣- وَنَزَلَتْ: «وَلاَ تَقُولُوا» الآيَا ... ثُمَّ لَقُوا النَّبِيَّ عِنْدَ السُّقْيَا
١٣٤- وَلابْنِ إِسْحَاقٍ بِأَنْ ذِي الْقِصَّةُ ... لابْنِ أَبِي حَدْرَدَ وَهُوَ عُرْوَةُ
١٣٥- بَعْثُهُ مَعْ رَجُلَيْنِ نَحْوَا ... رِفَاعَةٍ، جَاءَ يُرِيدُ غَزْوَا:
١٣٦- لِلْمُسْلِمِيْنَ، مَعَ بَطْنٍ مِنْ جُشَمْ ... قَتَلَهُ عُرْوَةُ وَاسْتَاقَ النَّعَمْ

بعث النبي ﷺ أبا قتادة الأنصاري أيضًا رضي الله عنه في ثمانية رجال، في شهر رمضان سنة ثمانٍ.

(إِلَى بَطْنِ إِضَمْ) وهو وادٍ دون المدينة، قريب من المدينة اسمه بطن إضم. قيل: هو جبل لأشجع وجهينة، وقيل: وادٍ لهم.

بعث النبي ﷺ أبا قتادة إلى هؤلاء القوم من أشجع وجهينة من أهل تلك المنطقة.

(وَكَانَ فِي الْبَعْثِ مُحَلِّمٌ) بن جثّامة الليثي؛ من أحداث هذه السرية: أنه كان من ضمن الجنود الثمانية مُحلّم بن جثّامة الليثي رضي الله عنه، واحد من الصحابة من جنود تلك السرية.

فمرّ عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلّم بتحية الإسلام ، قال: السلام عليكم، فأمسك عنه القوم، وخافوا أن يكونوا الرجل مسلمًا. وحمل عليه مُحلّم فقتله وسلبه متاعه وبعيره.

فلما لحقوا بالنبي ﷺ أنزل الله ﷻ الآيات الكريمة: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ

ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ﴾[النساء:٩٤] فنزلت الآيات في الإنكار على مَنْ قتل رجلًا سلّم على المسلمين، وعُذر الصحابي مُحلم بن جثّامة أنه حسبه مشركًا فقتله، فأنزل الله ﷻ الآيات يأمر بالإمساك عن مَنْ سلّم على المسلمين؛ لأنه يظهر أنه أراد الدخول في الإسلام، أو أنه ما سلّم على المسلمين إلا أن السلام من شعار المسلمين.

فمضوا ولم يلقوا جمعًا، وبلغهم أن النبي ﷺ توجه إلى مكة؛ لأن في شهر رمضان في العام الثامن، حصل فتح مكة، فتوجهوا إلى مكة فلقوا النبي ﷺ عند السُّقيا.

والمؤلف يقول: إن هذه السرية لها رواية أخرى عند ابن إسحاق، صاحب كتاب السيرة روى قصة هذه السرية بطريقة مخالفة، فقال: ابن إسحاق نسب هذه الغزوة إلى عروة بن أبي حدرد الأسلمي، قال: إن عروة بن أبي حدرد الأسلمي نكح امرأة، وجاء إلى النبي ﷺ يستعينه على نكاحها، فقال النبي ﷺ: «ما عندي ما أُعينك به»، فمكث أيامًا، وأقبل رجل من بني جُشم يقال له: رفاعة بن قيس في بطن من بني جُشم، يعني: مع عدد كبير من قبيلته من بني جُشم، ونزل بهم بالغابة، وأراد أن يجمع قيسًا- قبيلة من القبائل في تلك المناطق- على حرب المصطفى ﷺ.

فدعا النبي ﷺ عُروة بن أبي حدرد الأسلمي، وأرسل معه رجلين وقال: اخرجوا حتى تأتوا بخبر الرجل، فخرجوا فكمن له عُروة ليلًا حتى أمكن منه فنفحه بسهم فوقع في فؤاده، فلم يتكلم، أي: فسقط مباشرة، ما صرخ ولا صاح فسقط على الأرض.

فاحتز رأسه، وكبّر في ناحية العسكر؛ قال: (الله أكبر) فهربوا، هُم في الليل وحسبوا أنه معهم عدد كبير، وهو واحد فقط.

فهربوا واستاق عروة وصاحباه النعم وهي ثلاثة عشر بعيرًا.

السرية الرابعة والأربعون

١٣٧- فَبَعْثُـهُ أُسَـامَةَ بْـنَ زَيْدِ ... لِلْحُرَقَـاتِ، وَهُـوَ ذُو تَرْدِيْـدِ

١٣٨- هَلْ كَانَ فِي السَّبْعِ كَمَا قَدْ مَرَّا ... أَوْ فِي الثَّمَـانِ كَانَ، وَهُـوَ أَحْرَى

١٣٩- وَفِيْـهِ قَتْلُهُ لِمَـنْ قَدْ ذَكَرَا ... كَلِمَـةَ التَّوْحِيْـدِ حَـتَّى أُنْكِـرَا

بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنه أميرًا على سرية إلى منطقة الحُرقات. قال: (وَهُوَ ذُو تَرْدِيْدِ) يعني هذه السرية تردد في توقيتها وبعض أحداثها علماء السّيَر، فبعضهم ذكر أن هذه كانت في العام السابع الهجري، وبعضهم قال: كانت في العام الثامن الهجري.

وفيها وقعت قصة أسامة بن زيد رضي الله عنهما لما قتل رجلًا قال: (لا إله إلا الله) كما في الصحيحين من حديث «أُسَامَةَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ»[١]

وهناك قول آخر أن أسامة وقعت منه هذه الحادثة عندما كان جنديًّا في سرية غالب الليثي على ما مر بنا.

---

[١] متفق عليه: البخاري ٦٨٧٢ ومسلم ٩٦.

السرية الخامسة والأربعون:

١٤٠- فَبَعَثُ خَالِدٍ لِهَدْمِ الْعُزَّى فَحَزَّهَا بِاثْنَيْنِ حَزًّا حَزًّا

يقول: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى هدْم العزّى، وهي أعظم أصنام قريش وبني كنانة، وقريش هي فرع من كنانة، فكنانة تضم عددًا من القبائل منها قريش، فكانت العُزّى هي أعظم صنم للقبائل الكنانية. وكانت بنخلة: وادٍ قريب من مكة.

فخرج خالد بن الوليد رضي الله عنه لخمس بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة، بعد فتْح مكة، في ثلاثين فارسًا لهدْم العُزّى.

فهدمها ثم رجع إلى المصطفى ﷺ فأخبره، وكانت شجرة عظيمة، وعليها بناء فوقها، فهدم خالد رضي الله عنه العزى ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره.

فقال: هل رأيت شيئًا؟ قال: لا، قال: «إنك لم تهدمها فارجع فاهدمها»..

فرجع وهو متغيظ فجرّد سيفه، فخرجت امرأة عُريانة سوداء ناشرة الرأس، فضربها خالد فحزّها باثنتين؛ قطعها قطعتين، وهذه كانت شيطانة والعياذ بالله متمثلة في هذه الصورة، وكانت الشياطين تسكن في تلك الأوثان التي تُعبَد من دون الله، يأتي الناس ويدعون؛ حتى يصبح الشيطان كأنه هو الذي يُعبَد والعياذ بالله، فكانت هذه شيطانة حالّةً في ذلك الصنم، فخرجت تولول، فضربها خالد فقطعها قطعتين، ورجع إلى المصطفى ﷺ، فأخبره، فقال: «تلك العُزّى وقد أيست أن تُعبَد أبدًا».

ثم بعث النبي ﷺ البعْث السادس والأربعين بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى هدْم سواع.

١٤١- فَبَعْثُ عَمْرٍو ثَانِيًا، فَهَدَمَا سُوَاعَ، وَالسَّادِنُ عَادَ مُسْلِمَا

بعث النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه أيضًا في شهر رمضان سنة ثمان، بعد فتْح مكة أيضًا، بعثه إلى سواع وهو صنم لهذيل، وسواع هذا هو الصنم المذكور في كتاب الله جل وعلا من الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح، ثم صار لهذيل، وقبيلة هذيل مساكنهم قريبة من مكة بجوار عرفات.

فبعث النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى سواع؛ لهدمه، فانتهى إليه وعنده السادن، فقال: لا تقدر على هدمهم؛ السادن قال له: لن تقدر على هدمه، والعياذ بالله الشياطين يُخوّفون الناس من هذه الأوثان التي تُعبَد من دون الله، وأنهم لو أصابوا الأصنام بسوء أنه سيحل بهم البلاء.

فالسادن قال لعمرو: لا تستطيع أن تهدمه، فقال عمرو: حتى الآن وأنت على الباطل؟ ثم كسره وهدم بيت خزانته فلم ير ما يضر، فقال للسادن: كيف رأيت؟ فقال: أسلمت لله، كان يظن أن هذا الصنم ينفع ويضر ، فرأى أنه حُطّم وما ضرّ بشيء، فقال: أسلمت لله.

فهذا قوله: (فَبَعْثُ عَمْرٍو ثَانِيًا) بعْث عمروًا ثانيًا يعني مرة ثانية أميرًا على جيش، المرة الأولى في سرية ذات السلاسل، وهذه المرة الثانية أمّر النبي ﷺ عمرو بن العاص، أرسله في هذه المهمة لهدْم سواع.

السرية السابعة والأربعون

١٤٢- فَبَعْثُ سَعْدٍ وَهُوَ ابْنُ زَيْدِ هَدَمْ مَنَاتَهُمْ عَلَى قُدَيْدِ

بعث النبي ﷺ سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه إلى مناة، وكانت بالمشلل- منطقة المشلل على قديد- اسم المكان الذي كان فيه مناة هذا الصنم.

وكانت للأوس والخزرج وغسّان،كان يعبدها الأوس، والخزرج، وغسان في الجاهلية. قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم١٩: ٢٠].

فكانت هذه من الأصنام الكبيرة التي يعبدها العرب في الجاهلية.

فخرج في عشرين فارسًا فوصلها وعندها السادن، فخرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تولول وتضرب صدرها، أول ما وصل إلى مناة وشرع في هدْمها فخرجت امرأة بهذه الصفة..

فقال السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فقتلها سعد وكسر الصنم، ثم رجع ولم يجد بأسًا؛ ورجع يعني بعافية لم ير بأسًا.

١٤٣- فَبَعْثُ خَالِدٍ إلى جَذِيمَةِ ثَانِيَةً يَدْعُو لِخَيْرِ مِلَّةِ
١٤٤- لَيْسَ مُقَاتِلًا، وَكَانُوا أَسْلَمُوْا قَالُوْا: «صبأْنا»، وَهُوَ لَفْظٌ مُفْهِمُ
١٤٥- أَمَرَهُمْ خَالِدٌ أَنْ يُقَتِّلا كُلٌّ أَسِيْرَهُ، فَبَعْضُ قَتَلا
١٤٦- وَبَعْضُهُمْ أَمْسَكَ كَابْنِ عُمَرَا وَصَحْبِهِ، لَمْ يَقْتُلُوْا مَنْ أُسِرَا
١٤٧- قَالَ النَّبِيُّ إذ أَتَاهُ الْوَارِدُ: «أَبْرَأُ مِمَّا قَدْ أَتَاهُ خَالِدُ»
١٤٨- وَدَى لَهُمْ قَتْلاَهُمُ النَّبِيُّ ذَهَبْ بِهَا إِلَيْهِمُ عَلِيُّ

يشير هنا إلى سرية بعثها النبي ﷺ إلى بني جذيمة، ومكان بني جذيمة منطقة يلملم أسفل مكة، في جنوب مكة، وهي المنطقة التي عندها ميقات أهل اليمن، وكان يسكنها بنو جذيمة؛ قوم من العرب من قبائل كنانة.

فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني جذيمة في شهر شوال سنة ثمانٍ من الهجرة.

بعثه النبي ﷺ داعيًا إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلًا؛ هو هنا يقول: (**فَبَعْثُ خَالِدٍ إلى جَذِيْمَةِ ثَانِيَةً**) يعني هذه ثاني مرة النبي ﷺ يُرسِل خالدًا قائدًا على سرية، المرة الأولى بعثه إلى هدْم العزّى، فهدم العزّى ورجع، ثم بعثه النبي ﷺ إلى بني جذيمة وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلًا.

فخرج في ثلاثمائة وخمسين، فانتهى إليهم، فسألهم قال: ما أنتم؟ قالوا: صبأنا، جعلوا يقولون: صبأنا صبأنا.

العرب يسمون مَنْ خرج من دينه إلى دين آخر: الصابئ، فهؤلاء أرادوا أن يقولوا: أسلمنا، كما ورد في الحديث: «لم يُحسنوا أن يقولوا أسلمنا» يعني أرادوا أن يقولوا: أسلمنا فقالوا: صبأنا، يعني خرجنا من ديننا إلى دينكم، يقصدون: أسلمنا.

ففي أول الأمر قالوا: صبأنا، ثم صرّحوا بإسلامهم، لما شدد عليهم المسلمون ماذا تقصدون بـ(صبأنا) فقالوا: مسلمون، آمنا بمحمد وصلينا، وبنينا المساجد وأذنّا.

فقال خالد بن الوليد: فما بال السلاح عليكم؟

قالوا: بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن تكونوا هُم.

قال: ضعوا السلاح، فوضعوه.

قال: استأسروا، أي: استسلموا للأسر، فاستأسروا.

فأمر بعضهم فكتّف بعضًا، وفرّقهم بين أصحابه.

ومع ذلك فخالد إلى هذا الوقت لا يصدقهم يحسب أن هذه خدعة منهم خاصة

أنهم خرجوا بالسلاح في مواجهة جيش المسلمين وهو قادم إليهم، ففوجئ خالد بهذا الزعم منهم، فلم يكن خالد على ثقة من كلامهم، فلما استأسروا وقيّدهم، وأخذهم أسرى، نادى خالد في السحر، قال: «مَنْ كان معه أسير فليقتله» وكان جيش خالد مكونًا من مجموعة من المهاجرين، ومجموعة من الأنصار، ومجموعة من بني سُليم- ممَّنْ أسلم من بني سُليم- كانوا أسلموا وبعثهم النبي ﷺ جنودًا مع خالد.

فأما المهاجرون والأنصار فعصوا أمر خالد، قالوا: كيف نقتلهم وهم يقولون: إنهم أسلموا؟ فأبى المهاجرون والأنصار أن يقتلوا أسراهم، وكان ممّنْ كان مع خالد في هذه السرية عبد الله بن عمر رضي الله عنه في مجموعة معه من المهاجرين رفضوا أن يقتلوا أسراهم والأنصار.

وأما بنو سُليم فقتلوا أسراهم.

طبعًا خالد رضي الله عنه أخطأ في هذا، لكن عذره: أنه اجتهد فأخطأ في هذا؛ فقد ظنّ أنهم يخادعون المسلمين، وأنهم لم يُسلموا صدقًا وأن هذه خديعة منهم، وأنهم خرجوا بالسلاح لقتال المسلمين، فكان هذا اجتهادًا من خالد رضي الله عنه ومسارعة في قتْلهم، ولم يوافقه مَنْ كان معه من الصحابة من المهاجرين والأنصار على هذا الاجتهاد.

فلما رجعوا إلى النبي ﷺ غضب وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد».

وأرسل النبي ﷺ عليًّا رضي الله عنه حاملًا ديات القتلى، فودى كل مَنْ قُتِل منهم، يعني دفع ديته على أنه مسلم قُتِل خطأً، وردّ إليهم أي مال تلف بسبب المسلمين واسترضاهم النبي ﷺ، وتبرّأ مما فعله خالد رضي الله عنه، لكن النبي ﷺ لم يعاقب خالدًا؛ لعلمه أنه اجتهد فأخطأ.

السرية التاسعة والأربعين: وهي: سرية الطُفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه لهدْم ذي الكفّين، صنم لدوس.

١٤٩- فَبَعْثُـهُ طُفَيْـلًا الدَّوْسِـيَّا ... لِذِي الْكَفَّـيْنِ صَنَمًـا، فَهَيَّـا:

١٥٠- نَـارًا لَهُ، وَمُنْشِـدًا فِي ذَلِكَا: ... «يَا ذَا الْكَفَّيْنِ لَسْـتُ مِنْ عُبَّادِكَا

١٥١- مِيْلَادُنَا أَقْـدَمُ مِنْ مِيْلَادِكَا ... إِنِّي حَشَـوْتُ النَّـارَ فِي فُـؤَادِكَا»

النبي صلى الله عليه وسلم بعث الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه في شهر شوال سنة ثمان، بعد فتْح مكة مباشرةً، لهدم ذي الكفين، وهو صنم لقبيلة دوس لرجل منهم اسمه عمرو بن حُممة الدوسي، وكان هذا الصنم من الخشب.

ودوس هذه هي قبيلة أبي هريرة رضي الله عنه، عبد الرحمن بن صخر الدوسي وهي قبيلة من قبائل اليمن.

فذهب الطفيل بن عمرو رضي الله عنه فخرج سريعًا فهيّأ له نارًا فحرقه بها، وجعل يُنشِد الأبيات التي أوردها المؤلف يعني، جعل الطفيل رضي الله عنه وهو يُحرِق الصنم يقول: «**يَا ذَا الْكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا، مِيْلَادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيْلَادِكَا، إِنِّي حَشَوْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا**» وأحرقه رضي الله عنه.

ثم رجع فلقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف في أربعمائة من قومه، أي: دعا قومه إلى الإسلام وجاء بأربعمائة مسلم من دوس، أتى بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الطائف، وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة بشهرين ذهب إلى الطائف؛ لحصارها وفتحها.

السرية الخمسون:

١٥٢- فَبَعْثُ قَيْسٍ وَهُوَ ابْنُ سَعْدِ إِلَى صُـدَاءٍ، أُمِـرُوْا بِالـرَّدِّ:

١٥٣- لَمَّا أَتَى أَخُـو صُدَاءَ، الْتَزَمَا بِقَوْمِـهِ، أَتَى بِجَمْـعٍ أَسْـلَمَا

بعث النبي ﷺ سرية بقيادة قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما إلى صُداء، وصداء حي من العرب باليمن، فأثناء خروج السرية كان وفد على النبي ﷺ أخو صداء وهو رجل من صداء علم بأن النبي ﷺ أرسل سرية لقتال قومه فتعهد للنبي ﷺ أن يأتي بقومه مسلمين، قال للنبي ﷺ: اجعل السرية ترجع، وأنا أتكفل لك بأن أذهب إلى قومي وأدعوهم إلى الإسلام، وأن آتي بهم مسلمين، ففعل النبي ﷺ ذلك وأمر بردّ البعث، بعد ما كان خرج البعث فأُدرِك في الطريق وأمر بردّه إلى المدينة، وفعلًا رجع الرجل الصدائي بقومه مسلمين، يعني دعا قومه للإسلام وأتى بهم مسلمين إلى النبي ﷺ بعد ذلك.

والرجل الصدائي هو زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه، قال: (أَخُو صُدَاءَ) هنا هو مثل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[الأعراف:٦٥] أخو القوم يعني رجل منهم.

السرية الحادية والخمسون

١٥٤- فَبَعْثُـهُ ضَحَّـاكًا الْكِلَابِي لِقَوْمِـهِ وَهُـمْ بَنُـو كِلَابِ

بعث النبي ﷺ الضحاك بن سفيان الكلابي رضي الله عنه أميرًا على سرية إلى قومه، وقومه هم بنو كلاب.

وكانت هذه السرية في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة، فالتقوا بهم في منطقة يقال لها: الزَّخ، اسم منطقة فيها غدير ماء، التقوا بهم في هذا المكان فدعوهم إلى الإسلام فأبوا الدخول في الإسلام فقاتلوهم فهزموهم.

السرية الثانية والخمسون

١٥٥- فَبَعْثُهُ عُيَيْنَةَ الْفَزَارِي ... إِلَى تَمِيمٍ، أَجْلَ أَخْذِ الثَّارِ
١٥٦- إذ مَنَعُوْا مُصَدِّقَ الرَّسُولِ ... مِنْ أَخْذِ مَا أُمِرَ بِالْفُضُولِ
١٥٧- يَسِيْرُ لَيْلًا، يَكْمُنُ النَّهَارَا ... صَبَّحَهُمْ فَهَرَبُوْا فِرَارَا
١٥٨- أَسَرَ مِنْهُمْ فَوْقَ خَمْسِيْنَ، قَدِمْ ... عَلَى النَّبِيِّ بِهِمُ، كَمَا عُلِمْ
١٥٩- فَجَاءَ عَشْرٌ لِلنَّبِيِّ مِنْهُمُ ... مِنْ رُؤَسَاءِ قَوْمِهِمْ، فَقَدَّمُوْا:
١٦٠- عُطَارِدًا، خَطَبَ ثُمَّ كَلَّمَا ... رَدَّ لَهُمْ أَسْرَاهُمُ وَالْمَغْنَمَا
١٦١- وَنَزَلَتْ: «إِنَّ الَّذِيْنَ» الْمُنْزَلُ ... فِي «الْحُجُرَاتِ» فِيْهِمُ لِيَعْقِلُوْا

بعث النبي ﷺ عيينة بن حصن الفزاري رضي الله عنه أميرًا على هذه السرية إلى بني تميم.

بعثه ﷺ في خمسين فارسًا، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري؛ لأجل أَخْذ الثأر من بني تميم؛ لأنهم (مَنَعُوْا مُصَدِّقَ الرَّسُولِ) أي: منعوا جامع الزكوات الذي بعثه النبي ﷺ؛ ليأخذ صدقات بني تميم، وهو بشر بن سفيان رضي الله عنه، فلما جُمعت كانت مقدارًا كبيرًا، بعثه النبي ﷺ وأعلمه بزكاة الإبل، وزكاة الغنم، وزكاة الزروع والثمار والأموال، فاستكثرها بنو تميم، ومنعوه من أَخْذِها، فجاء الخبر إلى النبي ﷺ إنهم امتنعوا من دفع الزكاة فأرسل النبي ﷺ إليهم خمسين فارسًا بقيادة عيينة بن حصن.

(يَسِيْرُ لَيْلًا، يَكْمُنُ النَّهَارَا) فجعل يسير بالليل ويكمن في النهار، فهجم عليهم فهربوا.

فأخذ منهم أحد عشر رجلًا وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيًا، فجلبهم إلى المصطفى ﷺ، فأمر النبي ﷺ بحبْسهم، فأرسل بنو تميم وفدًا منهم من رؤسائهم

وكبرائهم، وفيهم عطارد بن الحاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وآخرون.

ولما قدموا على النبي ﷺ كان ﷺ في بيته في وقت القيلولة، فلما دخلوا المسجد، نادوا النبي ﷺ قالوا: يا محمد، اخرج إلينا. وقال الأقرع بن حابس سيد تميم: يا محمد، إن مدحنا لزين، وإن ذمّنا لشين، فقال النبي ﷺ: ذاك الله ﷻ. ونزلت فيهم آيات سورة الحجرات.

وكان من عادتهم أن يُقدّموا خطيبًا وشاعرًا يفخرون بقومهم ويفخرون بقبيلتهم، ﷺ فقدّموا عطارد بن الحاجب.

وبدأ خطيبهم عطارد بن الحاجب، خطب خطبة يفخر بقومه وبنو تميم: نحن كذا وكذا، وأخذ يُعدّد أنهم أشجع الناس، وأكرم الناس إلى آخره.

فأمر النبي ﷺ خطيبه ثابت بن قيس أن يجيبهم، قال: أجبه يا ثابت؛ فخطب ثابت خطبة بليغة في الفخر بالإسلام والمسلمين، والنبي ﷺ ، وأجاب خطيبهم.

ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر، فأنشد قصيدة في الفخر بقومه، فقال النبي ﷺ: أجبه يا حسّان، فأجابه حسّان بقصيدة في الفخر بالنبي ﷺ وبالإسلام.

فقال الأقرع بن حابس: والله لخطيبه أخطب من خطيبكم، وشاعره أشعر من شاعركم، ودعا قومه إلى الإسلام، قال: أسلموا، فأسلموا، وتعهدوا للنبي ﷺ بردّ الزكوات وكانوا ادّعوا الإسلام من قبل، فالقصد أنهم تعهدوا أن يصدق إسلامهم ويبعثوا الزكوات.

وأكرمهم النبي ﷺ وردّ عليهم الأسرى والغنيمة.

السرية الثالثة والخمسون:

١٦٢- فَبَعْثُ قُطْبَةٍ هُوَ ابْنُ عَامِرِ لِخَثْعَمٍ بِبِيْشَةٍ فِي صَفَرِ

١٦٣- سَنَةَ تِسْعٍ «أَنْ يَشُنُّوْا الْغَارَةْ» فَفَعَلُوْا، وَوَاقَعُوهُمْ غِرَّةْ

١٦٤- فَكَثُرَ الْقَتْلَى وَسَاقُوْا النَّعَمَا مَعَ نِسَائِهِمْ فَكَانَ مَغْنَمَا

بعث النبي ﷺ قطبة بن عامر إلى قبيلة خثعم (بِبِيْشَةٍ) بيشة: اسم مدينة في جنوب السعودية الآن، على حدود اليمن، وذلك في شهر صفر سنة تسع، في عشرين رجلًا، وأمره النبي ﷺ أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، يعني يتعاقبون الركوب عليها، فوصلوا إلى خثعم فأخذوا رجلًا، فاستعجم وجعل يصيح بالحاضرة ويُحذّرهم، استعجم يعني: أبى أن يتكلم، كأنه أعجمي ما يجيب على أسئلة الصحابة، فضربوا عنقه، ثم أقاموا حتى نام القوم فأغاروا عليهم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا يقول: (وَوَاقَعُوهُمْ غِرَّةْ) يعني أخذوهم على حين بغتة وهم نائمون فهاجموهم وحصل اقتتال شديد، وكثُر الجرحى والقتلى في الفريقين.

ثم ساق قطبة النعم إلى المدينة، فكانت مغنمًا وافرًا، فخُمِّس وقُسِم.

١٦٥- فَابْنُ مُجَزِّزٍ وَالاسْمُ عَلْقَمَةْ وَابْنُ حُذَافَةٍ بِبَعْثٍ يَمَّمَهْ

١٦٦- لِلْحُبْشِ فِي جَزِيْرَةٍ فِي الْبَحْرِ فَهَرَبُوْا، وَفِيْهِ بَدْءُ أَمْرِ:

١٦٧- ابْنِ حُذَافَةٍ لِمَنْ كَانَ مَعَهْ أَنْ يَقَعُوْا فِي النَّارِ، ثُمَّ مَنَعَهْ

١٦٨- وَقَالَ: «كُنْتُ مَازِحًا»، فَأُخْبِرَا بِذَلِكَ النَّبِيُّ قَالَ مُنْكِرَا:

١٦٩- «لاَ تَسْمَعُوْا وَلاَ تُطِيْعُوهُمُ فِي مَعْصِيَةٍ، بَلْ ذَاكَ فِي الْمَعْرُوفِ»

السرية الرابعة والخمسون: وفيها بعث النبي ﷺ علقمة بن مُجزز المدلجي رضي الله عنه في ثلاثمائة من المقاتلين، منهم عبد الله بن حذافة السهمي، إلى ناس من الحبشة في جزيرة في البحر بناحية جُدة، فركبوا البحر إليهم، فوصلوا إليهم، فهربوا منه، فلما رجع تعجّل بعض القوم إلى أهليهم، فأذِن لهم وأمّر عليهم عبد الله بن حذافة، وكانت فيه دعابة، فلما كانوا في طريق العودة أوقدوا نارًا يصطلون عليها، أي: يستدفئون بها فقال عبد الله بن حذافة: ألستُ أميركم؟ قالوا: بلى، قال: ألم يأمر النبي ﷺ بطاعة الأمير ؟ قالوا: بلى، قال: عزمتُ عليكم أن تقعوا فيها. أي: عزمتُ عليكم أن تلقوا بأنفسكم في هذه النار. فالصحابة رضي الله عنهم- وهذا من كمال إيمانهم - قالوا: النبي ﷺ أمرنا بطاعة الأمير، وليس لنا حل إلا أن نطيع الأمر.

فتحجّزوا حتى ظن أنهم واقعون؛ يعني أخذوا بحجزهم وجمعوا ثيابهم واقتربوا من النار حتى كادوا أن يلقوا بأنفسهم فيها فعلًا طاعة لأميرهم كما أمرهم.

فقال: اجلسوا إنما كنت مازحًا معكم.

فلما قدموا أخبروا النبي ﷺ بذلك، فقال منكرًا عليه: «لو أطاعوه ما خرجوا منها» وهذا وعيد، بمعنى: لو أطاعوا الأمير في المعصية لدخلوا النار، فمَنْ أطاع الأمير في المعصية يستحق النار في الآخرة.

ثم قال النبي ﷺ: «مَنْ أمركم بمعصية فلا تطيعوه، إنما الطاعة في المعروف».

السرية الخامسة والخمسون:

١٧٠- بَعْـثُ عَلِيٍّ بَعْـدَهُ لِيَهْدِمَـا　　　　الْفُلْـسَ بِالْفَـاءِ، وَكَانَ صَنَمَـا:

يقال: الفُلس أو الفَلس- بضم الفاء، و فتحها- فيها لغتان.

١٧١- لِطَــيِّءٍ، فَشَــنَّ غَارَةً عَلَى حِلَّــةِ آلِ حَاتِــمٍ، حَــتَّى مَــلاَ:
١٧٢- أَيْدِيَهُمْ سَــبْيًا وَشَاءً وَنَعَمْ وَخَــرَّبَ الْفَلْسَ جَمِيْعًــا، وَغَنِمْ:
١٧٣- أَدْرَاعَــهُ ثَلاَثَــةً، وَمِخْذَمَا مَــعَ الْيَمَــانِي وَرَسُــوبٍ مَغْنَمَــا
١٧٤- وَقَسَــمَ السَّــبْيَ، وَآلَ حَاتِمِ عَزَلَهُــمْ لِصَاحِــبِ الْمَرَاحِــمِ
١٧٥- قَامَتْ لَهُ سَفَّانَةٌ فَاسْتَأْمَنَتْ مُحَمَّــدًا، فَحِيْــنَ مَــنَّ أَسْــلَمَتْ
١٧٦- سَــافَرَتِ الشَّــامَ إلى عَدِيِّ بِشَــوْرِهَا جَــاءَ إلى النَّــبِيِّ
١٧٧- وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: «أَنَّ الْمُرْسَلاَ فِي الْبَعْــثِ خَالِدٌ»، كَمَــا قَدْ نَقَلاَ

هذه سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خمسين ومائة من الأنصار.

إلى الفَلس؛ يقال: الفَلس أو الفُلس، وهو صنم لطيء، صنم لقبيلة طيء التي كان زعيمها حاتم الطائي المشهور بالكرم.

وحاتم الطائي هذا مات قبل الإسلام، وكان كبيرهم بعد حاتم ابنه عديّ بن حاتم الطائي.

وعديّ بن حاتم أيضًا رضي الله عنه كان يُضرَب به المثل في الكرم كأبيه، وفيه يقول الشاعر:

بأبِه اقتدى عدي في الكرم ومَنْ يشابه أبَه فما ظلم

وقالوا: من كرمه رضي الله عنه: أنه كان يفتّ الخبز للنمل حول بيته، يقول: هنّ جارات لنا، يعني يخرج الصباح يفتّ خبز يُطعِم النمل حول البيت رضي الله عنه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب ومعه مائة وخمسون من الأنصار إلى الفَلس

وهو صنم طيء، وطيء كانوا نصارى لكن كان عندهم صنم الفُلس أو الفَلس.

فشنّ الغارة (عَلَى حِلَّةِ آلِ حَاتِمٍ) حلّة هي المكان، أو المنطقة مثل: المحلة، أي: محل القوم، ومسكنهم.

فشنّ الغارة عليهم مع الفجر، فهدموا الفلس وحرقوه، وملؤوا أيديهم من السبي والنّعم والشاء، ووجدوا في خزانة الفلس ثلاثة أدرع، وثلاثة أسياف مميزة ، كانوا وضعوها عند الفلس، وكانت هذه الأسياف لها أسماء، هي: مخذم، واليماني، ورسوب.

وهم راجعون في الطريق أخذ علي ﵁ هذه المغانم، وفي أثناء رجوع الجيش، عزل للمصطفى الخمس، والمخذم والرسوب، يعني: انتقى أفضل سيفين من السيوف الثلاثة وعزلهما للنبي ﷺ.

(وَقَسَمَ السَّبْيَ) على مَنْ كان معه من المجاهدين.

وأما آل حاتم فلم يقسمهم، وانتظر أمر النبي ﷺ فيهم؛ لأن هؤلاء هم سادة القوم، ولهم جاه في العرب، ومعروفون بالكرم.

١٧٤-..........، وَآلَ حَاتِمِ عَزَلَهُمْ لِصَاحِبِ الْمَرَاحِمِ

صاحب المراحم يعني للنبي ﷺ حتى ينظر فيهم ﷺ.

فقدم بهم على النبي ﷺ، فقامت له سفّانة بنت حاتم الطائي، فكلّمت النبي ﷺ، وطلبت منه ﷺ أن يُؤمّنها وأن يعتقها، فأعتقها النبي ﷺ فأسلمت ﵂.

ثم عادت إلى بلادها، وكان عدي لما علم بقدوم جيش النبي ﷺ هرب إلى الشام، فذهبت إليه في الشام، وأشارت عليه بالقدوم إلى المصطفى ﷺ، وكانت طلبت من النبي ﷺ أن يُؤمّن أخاها لو أسلم، فجاء عدي بن حاتم إلى النبي ﷺ وأسلم بين يديه

ﷺ، وأحسن النبي ﷺ إليه، وأكرمه.

ثم ذكر في آخر كلامه عن هذه السرية:

١٧٧- وَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ: «أَنَّ الْمُرْسَلَا فِي الْبَعْثِ خَالِدٌ»،.........

الإمام محمد بن سعد صاحب الطبقات روى قصة هذه السرية وذكر أن أمير السرية هو خالد بن الوليد، لكن معظم رواة السيرة ذكروا أن أمير هذه السرية هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولعل خالدًا كان جُنديًّا في هذه السرية ولم يكن هو الأمير.

السرية السادسة والخمسون:

١٧٨- فَبَعْثُهُ عُكَّاشَةَ بْنَ مِحْصَنِ ثَانِيَةً إلى الْجِبَابِ، مَوْطِنِ:

١٧٩- لِغَطَفَانَ، أَوْ بَلِي وَعُذْرَةَ أَوْ بَيْنَ كَلْبٍ وَبَنِي فَزَارَةَ

يقول: إن النبي ﷺ بعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه مرة ثانية؛ لأنه كان بعثه قبل ذلك إلى بني أسد فهذه المرة الثانية التي أمّر فيها النبي ﷺ عكاشة بن محصن على سرية.

في شهر ربيع الآخر سنة تسع إلى منطقة يقال لها: الجُباب، أو الجِباب، يعني رُويت بالضم وبالكسر؛ هذا اسم البلد.

واسم سكانها: من غطفان أو بَلِي، وبَلِي قبيلة من القبائل العربية، يُنسَب إليه: البلوي، فلان بن فلان البلوي.

قال: (أَوْ بَيْنَ كَلْبٍ وَبَنِي فَزَارَةِ) يعني وقيل: إن هذا المكان بين ديار كلب وبني فزارة، يعني سكان هذه المنطقة فيهم خلاف: هل هم من غطفان؟ أو بلي؟ أو بني كلب؟ أو بني فزارة؟ ولعل هذا المكان تسكنه تلك القبائل.

ليس هناك تفصيلات أكثر في أحداث تلك السرية غير هذه المعلومات الأساسية.

السرية السابعة والخمسون:

١٨٠- فَبَعْثُـهُ إلى أُكَيْـدِرِ دُومَةِ ... ابْـنَ الْوَلِيْـدِ خَـالِدًا فِي فِئَـةِ

١٨١- وَقَالَ: «يَا خَالِدُ سَوْفَ تَجِدُهْ ... وَهُـوَ يُرِيْـدُ بَقَـرًا يَصَّيَّـدُهْ»

١٨٢- فَأُرْسِلَتْ بَقَرُ وَحْشٍ حَكَّتِ ... قُرُونُهَـا حَائِطَـهُ فِي لَيْلَـةِ

١٨٣- نَشَّـطَهُ ذَاكَ يَصِيْـدُ الْبَقَرَا ... شَـدَّتْ عَلَيْهِ خَيْلُهُ فَاسْـتَأْسَرَا

١٨٤- أَجَـارَهُ خَالِدُ، ثُـمَّ صَالَحَهْ ... عَلَى رَقِيْـقٍ وَدُرُوعٍ صَالِحَـةْ

١٨٥- مَـعَ رِمَاحٍ وَجِمَـالٍ، وَرَحَلْ ... مَعْـهُ إلى النَّـبِيِّ بَعْدَ مَـا فَصَلْ

هذه السرية سرية خالد بن الوليد ﵁: بعثه النبي ﷺ إلى أُكيدر دومة، هي منطقة دومة الجندل (هذا اسم المكان)، وهم قوم من كِندة، قبيلة اسمها كِندة يقال: الكندي.

والأُكيدر: هذا لقب عندهم بمعنى الملك، أُكيدر دومة الجندل: يعني ملك دومة الجندل، وكان نصرانيًّا.

فذهب إليه خالد ﵁ في شهر رجب سنة تسع، ومعه أربعمئة وعشرون فارسًا، وقال له المصطفى ﷺ: «يا خالد، سوف تجده يريد أن يَصَّيَّد بقر وحش» ، فوصف له النبي ﷺ ذلك.

فأتاه خالد ﵁ ليلًا وقرُب من حصنه؛ كان له حصن كبير، فلما وصل جيش المسلمين هناك أرسل الله ﷻ بقر الوحش فجعلت تحك قرونها بباب الحصن، فجعل يقول هو وامرأته: ما رأينا كاليوم بقرًا قط.

وكانت ليلة مقمرة، فنشّطه ذلك فنزل في نصف الليل؛ ليصيد هذا البقر الذي وصل إلى بابه يحك قرونه في الباب.

فخرج، فشدّت عليه خيل خالد بن الوليد، فأسر خالد أُكيدر دومة وأجاره، ثم صالحه على ثمانمئة رأس من الرقيق وأربعمائة درع صالحة للقتال، وأربعمئة رمح وألفي بعير، ففتح الحصن وقبض خالد ذلك، وعزل للمصطفى صفيه ثم قسم الباقي.

ورحل أُكيدر معه إلى النبي ﷺ فصالحه المصطفى ﷺ على الجزية وخلّى سبيله، وحقن دمه ودم أخيه، وكتب معه كتابًا بالأمان، يعني يُؤمّنه النبي ﷺ، وهذا الكتاب لو جاءه أي جيش من المسلمين يريهم إياه ويُعلمهم أن النبي ﷺ أعطاهم أمانًا.

السرية الثامنة والخمسون:

١٨٦- فَبَعْثُهُ أَيْضًا إلى عَبْدِ الْمَدَانْ ... أَوْ لِبَنِي الْحَارِثِ نَحْوَ نَجْرَانْ

١٨٧- أَتَاهُمُ فَأَسْلَمُوْا، وَأَقْبَلُوْا ... مَعْهُ إلى النَّبِيِّ حَتَّى وَصَلُوْا

يقول: إن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه أيضًا في شهر ربيع الأول سنة عشر، من الهجرة (إِلَى عَبْدِ الْمَدَانْ أَوْ لِبَنِي الْحَارِثِ)، قال: إما بين عبد المدان أو لبني الحارث بن كعب..

(نَحْوَ نَجْرَانْ) إلى منطقة نجران في جنوب الجزيرة العربية، أيضًا قريبة من اليمن أو على حدود اليمن، طبعًا في المصطلحات العصرية على حدود اليمن، لكن سابقًا كانت حدود اليمن تشمل جزءًا من جنوب السعودية حاليًا.

فأتاهم ودعاهم إلى الإسلام (فَأَسْلَمُوْا، وَأَقْبَلُوْا مَعْهُ إلى النَّبِيِّ) ﷺ (حَتَّى وَصَلُوْا) إليه فأقاموا عنده مدة، ثم رجعوا إلى بلادهم، قال: (أَتَاهُمُ فَأَسْلَمُوْا) هذه المرة دعاهم

إلى الإسلام فأسلموا، وذهبوا معه مسلمين وأقاموا عند النبي ﷺ مدة ثم رجعوا إلى بلادهم.

السرية التاسعة والخمسون:

١٨٨- بَعْـثُ عَلِيٍّ بَعْدَهُ إلى الْيَمَنْ   وَهْيَ بِـلَادُ مَذْحِـجٍ، فَفَرَّقَـنْ:

١٨٩- أَصْحَابَـهُ جَاؤُوهُ بِالنِّسَـاءِ   وَوُلْدِهِـمْ وَنَعَـمٍ وَشَـاءِ

١٩٠- ثُمَّ دَعَاهُمْ لَـمْ يُجِيْبُوْا، فَقَتَلْ   مِنْهُمْ رِجَالًا نَحْـوَ عِشْرِيْنَ رَجُلْ

١٩١- فَانْهَزَمُـوْا فَكَفَّ، ثُمَّ إذ دَعَا   ثَانِيَـةً أَجَـابَ بَعْـضٌ مُـسْرِعَا

١٩٢- فَأَسْـلَمُوْا، وَجَمَـعَ الْغَنَائِمَا   خَمَّسَـهَا لِلّهِ ثُـمَّ قَسَـمَا

يقول هنا: إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرة أخرى، فبعثه إلى اليمن، وتحديدًا إلى مذحج- اسم القبيلة يعني اسمها مذحج-، وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة، وعقد له النبي ﷺ لواءً وعمّمه بيده عليه السلام، وقال له: امض ولا تلتفت ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك.

فخرج في ثلاثمائة فارس؛ فدخلت هذه الخيل إلى بلاد مذحج، ففرّق أصحابه فيهم فغابوا ثم جاءوهم بنسائهم وأولادهم ونعمهم وشاءهم.

ثم لقي جمْعهم فدعاهم إلى الإسلام، أول مرة دعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ورموه بالنبل، فحمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلًا، فانهزموا؛ يعني هربوا.

فكفّ عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام مرة ثانية فأجاب بعض رؤسائهم، فجمع الغنائم وقسّمها، وأخرج خُمسها لله ولرسوله ﷺ، ثم قسم البقية على مَنْ معه، ثم قفل،

فوافى النبي ﷺ بمكة وقد قدِمها لحجة الوداع، النبي ﷺ في ذي القعدة من العام العاشر.

السرية الستون:

١٩٣- بَعْثُ بَنِي عَبْسٍ، وَكَانُوا وَفَدُوْا   لَهُ إلى عِيْرِ قُرَيْشٍ فَهُدُوْا

فيقول: إن النبي ﷺ بعث بني عبس إلى عير لقريش، وبنو عبس هؤلاء كانوا وفدوا على النبي ﷺ، ، فوفد منهم تسعة إلى النبي ﷺ فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلموا وبايعوه على الإسلام فبعثهم النبي ﷺ إلى عير لقريش.

ثم بعد ذلك يقول:

١٩٤- آخِرُ مَنْ بَعَثَهُ أُسَامَةْ   لأَهْلِ أُبْنَى لَمْ يَرِمْ مَقَامَهْ

١٩٥- حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ قَبْلَ سَفَرِهْ   رُدَّ أُسَامَةٌ بِجَمْعِ عَسْكَرِهْ

١٩٦- بَعَثَهُ الصِّدِّيْقُ حَتَّى أَرْهَقَا   قَاتِلَ زَيْدٍ وَسَبَا وَحَرَّقَا

١٩٧- وَاخْتَلَفُوْا فِي عَدِّهَا، فَالأَكْثَرُ   عَنْ قَدْرِ مَا عَدَدْتُ مِنْهَا قَصَّرُوْا

١٩٨- وَلابْنِ نَصْرٍ عَالِمٍ جَلِيْلِ:   «بَلْ فَوْقَ سَبْعِيْنَ»، وَفِي الاكْلِيْلِ:

١٩٩- «أَنَّ الْبُعُوثَ عَدُّهَا فَوْقَ الْمِئَةْ»   وَلَمْ أَجِدْ ذَا لِسِوَاهُ ابْتَدَأَهْ

السرية الحادية والستين، وهي: بعْث أسامة بن زيد رضي الله عنه: (لأَهْلِ أُبْنَى) و أُبنى: موقع بناحية البلقاء من الشام، فهذه السرية أمر النبي ﷺ بإخراجها، وتُوفي رسول الله ﷺ قبل خروج السرية، وخرجت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فيمكن أن تعدها من سرايا النبي ﷺ على أساس أن النبي ﷺ هو الذي أمر بإخراجها، وكانت من آخر ما أوصى به النبي ﷺ وهو في احتضاره عليه السلام، يقول: «أنفِذوا بعْث أسامة » وكرر النبي ﷺ الوصية بهذا.

وكان عمر أسامة عشرين سنة ﵁، وكان أبو بكر وعمر ﵄ جنديين في هذه السرية، لكن توفي النبي ﷺ قبل خروج السرية.

وبعد وفاة النبي ﷺ وقبل خروج بعْث أسامة بدأ العرب يرتدون عن الإسلام، إلا أهل مكة والمدينة والطائف وبعض قرى البحرين، فأخذ المسلمون يشيرون على أبي بكر ﵁ بأن يُؤجّل سرية أسامة، ولكن أصَرّ أبو بكر ﵁ على إنفاذ وصية رسول الله ﷺ.

وهذه السرية كانت موجهة لقتال الروم، بالبلقاء في الشام، وهذه المنطقة خاضعة لقيصر الروم، والنبي ﷺ كان بينه وبين الروم قتال في معركة تبوك من قبل، ثم في سرية مؤتة بعد ذلك.

فكان لهذه السرية أثر كبير في إعادة العرب إلى الإسلام، وسار أسامة بجيشه، فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا لأربعين يومـًا وقيل لسبعين سالمين غانمين، وثبّت الله الناس على الإسلام.

وكان هذا من بركة إنفاذ وصية رسول الله ﷺ.

فخرج في شهر صفر سنة إحدى عشرة، إلى الجُرف، اسم منطقة قريبة من المدينة، وعسكر جيش أسامة في تلك المنطقة بجوار المدينة، فبدأ بالمصطفى ﷺ وجعه وثقُل فجعل يقول: أنفِذوا بعْث أسامة.

فـ (لَمْ يَرِمْ) يعني لم يبرح مكانه حتى قضى النبي ﷺ نحبه ﵇ ثم استأذن أبو بكر وعمر ﵄ أسامة أن يبقيا في المدينة؛ لإدارة شئون المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ فأذِن لهما أسامة وبقي أبو بكر وعمر، وأمر أبو بكر بإنفاذ الجيش.

ووصل الجيش إلى البلقاء في الشام، وشنّ عليهم الغارة وقتل مَنْ أشرف له، أي: خرج له. المشرف هو الذي ينظر ويُطالِع، فكل مَنْ خرج إليهم ووقف في طريقهم من الروم قتلوه.

وقتل أسامة قاتل أبيه زيد، وزيد بن حارثة رضي الله عنه قُتِل في معركة مؤتة، قتله رجل من الروم، فقصده أسامة وقتله، كان من أمراء المسلمين في معركة مؤتة.

وسبى مَنْ قدر عليهم، حرق بلادهم، يعني: أشعل الحرائق في بلاد الروم، وسبى ناسًا وقتل، وأشعرهم بقوة المسلمين وبأسهم.

ثم رحل فقدم المدينة ولم يُصب من المسلمين أحد، ولكن كان لهم نكاية عظيمة في الروم، وكانت هذه السرية سببًا في زعزعة معنويات الروم، وإشعارهم بقوة المسلمين، وإخافة أيضًا القبائل العربية التي ارتدّت.

ثم في الختام الكلام عن السرايا ذكر الخلافة في عدّ السرايا، ف

١٩٧-..............، فَالأَكْــثَرُ عَنْ قَدْرِ مَا عَــدَدْتُ مِنْهَا قَصَّرُوْا

الحافظ العراقي هنا يقول: أكثر علماء السيرة عدّوا السرايا بأقل من العدد الذي ذكرته، هو ذكر ستين سرية أو إحدى وستين سرية،و أكثر مَنْ كتب في السيرة لم يذكر هذا العدد، أغفلوا ذِكْر بعضًا من هذه السرايا، فمنهم من ذكر ثمانيًا وأربعين، ومنهم من ذكر أقل من ذلك.

١٩٨- وَلابْــنِ نَصْرٍ عَالِــمٍ جَلِيْلِ: «بَــلْ فَــوْقَ سَــبْعِيْنَ»،.........

يقول: الإمام ابن نصر، وهو محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- يقول: إن السرايا فوق سبعين سرية، لكن هذه التي عُلمت أحداثها فيكون معنى هذا أن هناك سرايا أخرى

بعثها النبي ﷺ لكن لم يُنقَل إلينا شيء عن تفاصيل أخبارها.

١٩٨- . . . . وَفِي الاكْلِيْــلِ:

١٩٩- «أَنَّ الْبُعُوثَ عَدُّهَا فَوْقَ الْمِئَةْ» . . . .

في كتاب الإكليل للإمام الحاكم النيسابوري -رحمه الله- صاحب المستدرك، فيقول: إن السرايا التي بعثها النبي ﷺ كانت فوق المئة، فهذا معناه أيضًا أن هناك سرايا أخرى لم تصل إلينا تفاصيل أخبارها.

١٩٩- . . . . وَلَــمْ أَجِــدْ ذَا لِسِــوَاهُ ابْتَــدَأَهْ

يقول: إن الحاكم هو الذي قال: إنها فوق المئة، لكن لم أجد هذا لسواه، فالحاكم هو الذي ابتدأ القول بهذا، ونقله عنه ناس بعده.

فكأن هذه السرايا الستين هي التي نُقلت إلينا أخبارها وشيء من تفاصيلها.

ذِكْرُ كُتّابه ﷺ

أورد الإمام العراقي -رحمه الله تعالى- أسماء الكُتّاب الذين كانوا يكتبون لرسول الله ﷺ، بعض هؤلاء الكُتّاب نُقِل أنهم كانوا يكتبون له الوحي، وبعضهم كانوا يكتبون للنبي ﷺ الكتب التي يُرسلها لدعوة الملوك إلى الإسلام.

١- كُتَّابُهُ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَا: زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَكَانَ حِينَا:

٢- كَاتِبَهُ،................................ . . . .

فيقول: كُتّاب النبي ﷺ اثنان وأربعون، وأول كاتب ذكره هو زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(وَكَانَ حِينَا: كَاتِبَهُ) يعني وكان فترة من الزمان كاتبًا لرسول الله ﷺ ملازمًا يكتب له الوحي، وزيد بن ثابت رضي الله عنه كان شابًّا ورُوي أنه تعلم الكتابة من أسرى بدر، وكان يكتب لرسول الله ﷺ.

٢- كَاتِبَهُ، وَبَعْدَهُ مُعَاوِيَةْ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ كَانَ وَاعِيَةْ

وبعد زيد بن ثابت رضي الله عنه كان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان واعيًا يعني حافظًا، ويكتب لرسول الله ﷺ، والوعي: يأتي بمعنى الحفظ، وبمعنى صيانة الكتاب وحِفْظه والائتمان عليه.

ودعا له النبي ﷺ قال: اللهم علِّمه الكتاب وقِه العذاب، فكان يلازم النبي ﷺ ويكتب له منذ أن أسلم رضي الله عنه إلى وفاة النبي ﷺ.

٣- كَذَا أَبُو بَكْرٍ، كَذَا عَلِيُّ عُمَرُ عُثْمَانُ، كَذَا أُبَيُّ

في هذا البيت ذكر عددًا من الكُتّاب وهم: أبو بكر الصديق ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ.

طبعًا هو رتّبهم هكذا لضرورة النظم، لم يُرتبهم على ترتيب الفضل والخلافة.

قال: (كَذَا أُبَيٌّ) وهو أُبَيّ بن كعب ﷺ كان من كُتّاب النبي ﷺ.

٤- وَابْنُ سَعِيْدٍ خَالِدٌ، حَنْظَلَةُ كَذَا شُرَحْبِيْلُ امُّهُ حَسَنَةُ

يقول: من الكُتّاب أيضًا خالد بن سعيد بن العاص ﷺ الأموي.

وكذلك حنظلة وهو حنظلة بن ربيع بن صيفي ﷺ، كان من كُتّاب رسول الله ﷺ.

(كَذَا شُرَحْبِيْلُ امُّهُ حَسَنَةُ) هو شرحبيل بن حسنة ﷺ كان منسوبًا إلى أمه، يوجد عدد من الصحابة كانوا منسوبين إلى أمهاتهم؛ لأن الأمهات كُنّ أشهر من الآباء، أحيانًا الأم تكن أكثر شهرةً من الأب، يعني نُسبوا إليها على سبيل التعريف، آباؤهم معروفون ولكن نُسبوا إلى الأمهات لشهرة الأمهات.

فهو اسمه شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندي، وأمه اسمها حسنة، فاشتهر أكثر باسم شرحبيل ابن حسنة.

٥- وَعَامِرٌ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسِ كَذَا ابْنُ أَرْقَمٍ بِغَيْرِ لَبْسِ

عامر: هو عامر بن فُهيرة ﷺ مولى لأبي بكر الصديق ﷺ. وثابت بن قيس: هو ثابت بن قيس بن شمّاس. وابن أرقم: هو عبد الله بن الأرقم القرشي ﷺ.

٦- وَاقْتَصَرَ الْمِزِّيُّ مَعْ عَبْدِ الْغَنِيْ: مِنْهُمْ عَلَى ذَا الْعَدَدِ الْمُبَيَّنِ

يقول: الحافظ جمال الدين المزي، والحافظ عبد الغني المقدسي -رحمهما الله-

اقتصرا على هؤلاء، وهم ثلاثة عشر كاتبًا من كُتّاب رسول الله ﷺ، لكن المؤلف هنا يقول:

٧- (وَزِدْتُ) مِنْ مُفْتَرِقَاتِ السِّيَرِ   جَمْعًا كَثِـيرًا، فَاضْبِطَنْهُ وَاحْصُرِ:

يقول: إنه تتبع كتب السِّيَر، وتتبع كل مَنْ رُوي أنه كتب لرسول الله ﷺ، فزاد على هذا العدد المذكور حتى أوصلهم إلى اثنين وأربعين.

زاد عليهم

٨- طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَابْنَ الْحَضْرَمِي   وَابْـنَ رَوَاحَــةٍ، وَجَهْمًــا فَاضْمُمِ

يقول: طلحة: هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين، والزبير بن العوام رضي الله عنه أيضًا أحد العشرة المبشرين.

قال: وابن الحضرمي: هو العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه الذي أمّره النبي ﷺ على البحرين، وهو صحابي مشهور، له كرامات كثيرة.

أشهر كرامة له: أنه لما عبّر بجيشه البحر في فتوح فارس، وهو في البحرين وعبر الخليج بالجيش، ما ابتلت سروجهم، قال: سيروا باسم الله، وعبر البحر بجيشه إلى الجهة الأخرى، وفرّ الفرس، لما رأوهم قالوا: هؤلاء شياطين، حتى إن رجلًا من الجند سقط متاعه في الماء فرجع بالفرس، وأخذ متاعه من على الماء وكمّل الطريق رضي الله عنه.

قال: (وَابْنَ رَوَاحَةٍ) هو عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه، وهو من شعراء رسول الله ﷺ.

قال: (وَجَهْمًا) جهم: هو جهم بن سعد رضي الله عنه.

٩- وَابْنَ الْوَلِيْدِ خَـــالِدًا، وَحَاطِبَا هُوَ ابْـــنُ عَمْرٍو، وكَـــذا حُوَيْطِبَا

من الكُتّاب أيضًا خالد بن الوليد ﵁، وحاطب: هو حاطب بن عمرو الأوسي، (وَكَذَا حُوَيْطِبَا) هو حويطب العامري ﵁.

١٠- حُذَيْفَــةً، بُرَيْـــدَةً، أَبَانَـــا ابْـــنَ سَـــعِيْدٍ، وَأَبَـــا سُـــفْيَانَا

١١- كَذَا ابْنَهُ يَزِيْدَ بَعْضَ مُسْلِمَةْ الْفَتْـــحِ، مَـــعْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْــلَمَةْ

يقول: من الكُتّاب أيضًا حذيفة بن اليمان ﵁، وبُريدة بن الحصيب الأسلمي ﵁، وأبان بن سعيد بن العاص ﵁.

قال: (وَأَبَا سُفْيَانَا) هو أبو سفيان بن حرب، لما أسلم عام الفتح صار يكتب لرسول الله ﷺ، وأبو سفيان حسُن إسلامه وقاتل في سبيل الله، وقاتل في معركة اليرموك وجُرِح وأُصيب في سبيل الله، وحسُن إسلامه بعد ذلك، بعد أن كان يعادي المسلمين ويحاربهم، ويعادي رسول الله ﷺ شرح الله صدره للإسلام وصار يكتب للنبي ﷺ.

قال: (كَذَا ابْنَهُ يَزِيْدَ) كذلك يزيد بن أبي سفيان هو أخو معاوية.

قال: (بَعْضَ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ) فيزيد وأبو سفيان كانا من مسلمة الفتح يعني ممَّنْ أسلم يوم فتح مكة.

(مَعْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةْ) كذلك محمد بن مسلمة الأوسي، من الأوس ﵁، أنصاري أوسي كان أيضًا من كُتّاب النبي ﷺ.

١٢- عَمْرٌو هُوَ ابْنُ الْعَاصِ، مَعْ مُغِيْرَةِ كَذَا السِّـــجِلُّ، مَـــعْ أَبِي سَـــلَمَةِ

يقول: من كُتّاب النبي ﷺ عمرو بن العاص ﵁، (مَعْ مُغِيْرَةِ) هو المغيرة بن شعبة

الثقفي، أيضًا ﵁ كان يكتب لرسول الله ﷺ.

يقول: (كَذَا السِّجِلُّ) قال: (كَذَا السِّجِلُّ) السجلّ: ورد في أحاديث أن النبي ﷺ كان له كاتب يقال له: السجل،كان يكتب لرسول الله ﷺ، وأنه الذي أُشير إليه في الآية الكريمة: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾[الأنبياء:١٠٤]، وفي القراءة الأخرى: {كطي السجل للكتاب}[الأنبياء:١٠٤] يعني كما يطوي السجل الكتاب، المقصود به هذا الرجل.

لكن هذا الحديث قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: إنه حديث موضوع، والحافظ ابن حجر أيضًا يقول: كُتّاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل، ولا يُعرَف أحد في الصحابة اسمه السجل فمال كثير من أئمة الحديث إلى تضعيف تلك الروايات.

فالحافظ هنا ذكر السجل بناءً على أنه ممَّنْ رُوي أنه كان يكتب للنبي ﷺ.

وحديث السجل هذا قالوا رواه الخطيب البغدادي، ورواه ابن منده، وآخرون، والله ﷻ أعلم.

بعد ذلك يقول: (كَذَا السِّجِلُّ، مَعْ أَبِي سَلَمَةِ) والتفسير الصحيح الثابت للآية الكريمة {كطي السجل للكتاب}[الأنبياء:١٠٤] أن السجل هو الغلاف، كما يطوي الغلاف الكتاب بداخله.

بعده يقول: (مَعْ أَبِي سَلَمَةِ) أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ﵁، كان من كُتّاب رسول الله ﷺ.

١٣- كَـــذَا أَبُو أَيُّــوبَ الأَنْصَارِيُّ   كَـــذَا مُعَيْقِيْـــبٌ هُـــوَ الدَّوْسِيُّ

من كُتّاب النبي ﷺ أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، ومعيقيب الدوسي رضي الله عنه كانا أيضًا من كُتّاب النبي ﷺ.

١٤- وَابْـــنَ أَبِي الأَرْقَمِ أَرْقَمَ اعْدُدِ   فِيْهِمْ، كَذَاكَ ابْنَ سَلُولَ الْمُهْتَدِيْ

يقول: من كُتّاب رسول الله ﷺ الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه، وهو من الصحابة السابقين إلى الإسلام ممَّنْ كان النبي ﷺ في فترة الدعوة السرية ثلاث سنين قبل أن يجهر بالدعوة كان يجتمع بأصحابه في دار الأرقم، ابن أبي الأرقم كان شابًّا أسلم وكان من أغنياء قريش، وكان له دار كبيرة عند الصفا، وكان النبي ﷺ يجتمع فيها بأصحابه.

فالأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه كان من كُتّاب رسول الله ﷺ.

يقول: (كَذَاكَ ابْنَ سَلُولَ الْمُهْتَدِيْ) هو عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول، المهتدي: يعني ليس المنافق الأب؛ لأن الأب كان منافقًا والابن كان مهتديًا، صالحًا وكان يكتب لرسول الله ﷺ.

١٥- كَذَا ابْنَ زَيْدٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهْ   وَالْجَــدُّ عَبْــدُ رَبِّــهِ بِلاَ اشْــتِبَاهْ

يشير هنا إلى الصحابي الجليل عبد الله بن زيد بن عبد ربه، رضي الله عنه، كان من كُتّاب رسول الله ﷺ، وهو صاحب حديث الأذان، الذي رأى رؤيا الأذان لما جاءه الملك في المنام، وعلّمه الأذان، وعلّمه الإقامة، وقصّ الرؤيا على النبي ﷺ، قال: «إنها رؤيا حق إن شاء الله، ألقِها.. أو: ألقِه على بلال فإنه أندى منك صوتًا»..

فهذا الصحابي الجليل هو ابن زيد (وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهْ وَالْجَدُّ عَبْدُ رَبِّهِ) جده اسمه: عبد ربه، فهو اسمه عبد الله بن زيد بن عبد ربه.

١٦- جُهَيْمًا الْعَـــلاَ أَيِ ابْنَ عُتْبَةِ   كَـــذَا حُصَيْنَ بْــنَ نُمَــيْرٍ أَثْبِتِ

(جُهَيْمًا) هنا يشير إلى الصحابي الجليل جُهيم المطلبي رضي الله عنه.

قال: (الْعَلاَ أَيِ ابْنَ عُتْبَةِ) هو العلاء بن عتبة رضي الله عنه أيضًا من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وكان يكتب له الوحي.

(كَذَا حُصَيْنَ بْنَ نُمَيْرٍ) صحابي اسمه حصين بن نمير رضي الله عنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي.

١٧- وَذَكَـرُوْا ثَلاَثَـةً قَـدْ كَتَبُوْا وَارْتَـدَّ كُلٌّ مِنْهُـمُ وَانْقَلَبُـوْا:

١٨- ابْنَ أَبِي سَرْحٍ، مَعْ ابْنِ خَطَلِ وَآخَـرٌ أُبْهِـمَ لَـمْ يُسَـمَّ لِيْ

١٩- وَلَمْ يَعُدْ مِنْهُمْ إلى الدِّيْنِ: سِوَى ابْـنِ أَبِي سَرْحٍ، وَبَاقِيْهِـمْ غَوَى

يقول: ممَّنْ عُدّوا في كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم، ثلاثة ارتدوا عن الإسلام والعياذ بالله تعالى.

منهم واحد رجع إلى الإسلام وخُتِم له بالخير، وهو عبد الله بن أبي سرح، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الإسلام وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، ثم جاء إلى عثمان، يطلب منه أن يشفع له عند النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقَبِل النبي صلى الله عليه وسلم توبته وأسلم مرة أخرى ثم ثبت على الإسلام بعد ذلك، وحسُن إسلامه وظهر منه ما يدل على حُسْن إسلامه، وجاهد في سبيل الله، وقاتل، وشارك في الفتوحات أيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وظهر منه الخير وحُسْن الإسلام.

ولذلك يقول العلماء في تعريف الصحابي: أنه مَنْ لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللت ذلك ردة.

الثاني: هو عبد الله بن خطل، وابن خطل هذا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الدين، ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة أهدر دمه وأمر بقتله، قال: «لو رأيتموه متعلقًا بأستار الكعبة

فاقتلوه» فوجده الصحابة وقتلوه في فتْح مكة.

الثالث: يقول: (وَآخَرٌ أُبْهِمَ لَمْ يُسَمَّ لِيْ) يعني وذكروا رجلًا ثالثًا كتب للنبي ﷺ وارتد عن الدين ومات كافرًا والعياذ بالله، لكن لم يُسمّ لي، يعني لم يقف على اسمه فهو مُبهم.

١٩- وَلَمْ يَعُدْ مِنْهُمْ إلى الدِّيْنِ: سِوَى ... ابْـنِ أَبِي سَرْحٍ، وَبَاقِيْهِـمْ غَوَى

أي: لم يعد إلى الإسلام من هؤلاء الثلاثة إلا ابن أبي سرح، أما الاثنان الباقيان فماتا على الكفر.

ذِكْر رسله ﷺ إلى الملوك

سنلاحظ هنا أن النبي ﷺ من جهاده في الدعوة إلى الله ﷻ ونشْر الدين: أنه ﷺ جعل يراسل ملوك الأرض ويكتب لهم كتبًا، ويُرسل إليهم رسلًا من قِبَله ﷺ يدعوهم فيها إلى الإسلام، فاستجاب طائفة منهم كما سيأتي، وخضعت بلادهم للإسلام بدعوة رسول الله ﷺ، وطائفة منهم لم يُسلموا ولكن أحسنوا استقبال رسل النبي ﷺ وأكرموهم، وبعضهم أرسل هدايا إلى النبي ﷺ لكنهم بقوا على كُفرهم.

وطائفة منهم والعياذ بالله أساؤوا معاملة رسل النبي ﷺ، ومنهم مَنْ مزّق كتاب رسول الله ﷺ كما سيأتينا.

فالنبي ﷺ كان مُرسلًا إلى العالمين، وقال: «بُعثت إلى الناس كافة»، وقال: «بُعثت إلى كل أحمر وأسود»؛ فهو ﷺ مُرسَل إلى البشر جميعًا، ليست دعوته خاصة بالعرب فقط، فلذلك بعث ﷺ كتبًا لملوك الأرض يدعو ملك الفرس إلى الإسلام، ويدعو ملك الروم إلى الإسلام، ويدعو النجاشي ملك الحبشة، ويدعو المقوقس ملك القبط، ويدعو آخرين من ملوك الأرض، يدعوهم النبي ﷺ إلى الإسلام.

١- أَوَّلُ مَــنْ أَرْسَــلَهُ النَّــبِيُّ ... لِمَلِــكٍ: «عَمْــرٌو» هُــوَ الضَّمْرِيُّ

٢- إلى النَّجَــاشِيِّ، فَلَمَّــا قَدِمَــا ... نَــزَلَ عَــنْ فِرَاشِــهِ فَأَسْــلَمَا

٣- وَأَرْكَــبَ الْمُهَاجِرِيْــنَ الْبَحْرَا ... إِلَيْــهِ فِي سَــفِيْنَتَيْنِ طُــرَّا

٤- زَوَّجَــهُ رَمْلَــةَ عَمْــرٌو قَبلَهْ ... لَهُ، وَمَهْرَهَــا النَّجَــاشِي بَــذَلَهْ

أول مَنْ أرسل النبي ﷺ إليه كتابًا يدعوه إلى الإسلام من ملوك الأرض هو النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة، كلمة النجاشي معناها: الملك في لغة الحبشة، فكان كل مَنْ ملك الحبشة يقال له: النجاشي، وكل مَنْ ملك الروم يقال له: قيصر، ومن ملك الفرس يقال له: كسرى، فملك الحبشة أو نجاشي الحبشة في زمن النبي ﷺ الذي أرسل إليه الكتاب اسمه أصحمة -رحمه الله-.

فأرسل النبي ﷺ عمرو بن أُمية الضمري؛ الصحابي إلى النجاشي، فلما قدِم عليه بالكتاب نزل عن فراشه أدبًا مع الكتاب، وجلس على الأرض تواضعًا، وأسلم، وحسُن إسلامه.

وأركب النجاشي المهاجرين البحر، أي: هيّأ لهم سفنًا وتكفّل بنفقات إعادتهم مُعززين مُكرّمين.

ومن مناقبه: أنه هو الذي زوّج النبي ﷺ من أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، يعني: كان وكيلًا عن النبي ﷺ في تزويجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما.

وقصتها رضي الله عنها: أن زوجها عبيد الله بن جحش كان ممَّنْ سبق إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة مع المهاجرين الذين هاجروا إلى الحبشة.

ثم الروايات المشهورة التي يرويها أهل السِّيَر: أن عبيد الله بن جحش تنصّر -والعياذ بالله- وارتد عن الدين، ودان بالنصرانية.

فجاء الخبر إلى النبي ﷺ بهذا، فأراد النبي ﷺ إكرام هذه المرأة الصالحة التي أُوذيت في دينها، كان أبوها رأس الكفر في ذلك الوقت، وهاجرت هربًا بدينها، فارتد زوجها عن الدين هناك، فالنبي ﷺ بعث إليها عمرو بن أمية؛ ليوكّل النجاشي في تزويج أم حبيبة من النبي ﷺ، ودفع النجاشي مهرها من عنده هديةً لرسول الله ﷺ، فأعطاها

مهرًا أربعة آلاف درهم هدية لرسول الله ﷺ.

قال: (عَمْرٌو قَبلَهْ)، يعني يقول: إن عمروًا عقد، يعني في رواية أن عمروًا هو الذي عقد للنبي ﷺ العقد، والنجاشي بذل المهر.

٥- وَ «دِحْيَـةٌ» أَرْسَـلَهُ: لِقَيْصَرَا وَهْوَ هِرَقْـلٌ، فَعَصَى وَاسْـتَكْبَرَا

يقول: أرسل النبي ﷺ دحية بن خليفة الكلبي، وهذا ثاني رسول يرسله النبي ﷺ بكتاب إلى ملك من الملوك، بعثه النبي ﷺ إلى قيصر (وَهُوَ هِرَقْلٌ) قيصر هذا اللقب يُطلَق على كل مَنْ ملك الروم، يقال له: قيصر، وقيصر الروم في زمن النبي ﷺ هو هرقل.

وكان الروم يحكمون أجزاء كبيرة من أوروبا وتركيا، ويحكمون الشام أيضًا، ويُذكَر أن عاصمة مُلكهم في زمن النبي ﷺ كانت مدينة حمص، وكان فيها مقر إقامة هرقل.

فلما وصله الكتاب كان في إيلياء، (فَعَصَى وَاسْتَكْبَرَا) يعني هرقل عصى واستكبر ولم يدخل في الإسلام، وتفاصيل ذلك أنه لما جاءه الكتاب جمع بطارقته وأغلق عليهم باب القصر، وأمر بكتاب النبي ﷺ ففُتِح الكتاب، وقُرِئ عليهم، ثم قال لهم: يا قوم، هل أدلكم على الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حُمر الوحش، يعني: فصاحوا وصرخوا، وهُرعوا إلى الأبواب يريدون أن يُؤلبوا الناس عليه، ويقولون: هرقل خرج من دينه، ويخلعوه من الملك، فوجدوا الأبواب مغلقة، وكان غلّق الأبواب واحتفظ بالمفاتيح، فرجعوا إليه مرة أخرى، فقال: إنما أردتم أن أختبر إيمانكم ولقد علمت. قال: ما كنت أتكلم جادًا أنا أردت أن أختبر إيمانكم ولقد علمت، فسجدوا له.

فشعر أنه لو أسلم سيعزلونه من مُلكه، ولن يستجيبوا له، فبقي على كفره والعياذ بالله..

ولكنه كلّم دحية بن خليفة، وكلّم أبا سفيان أيضًا، أبو سفيان كان مشركًا في ذلك الوقت، كان مشركًا وكان ذاهب في تجارة وأمر أن يُحضروا إليه، كان أبو سفيان في غزة، ومعه ثلاثون راكبًا من قريش تجارًا.

فالشاهد: أنه كان يعلم أن النبي ﷺ على حق، وهمّ أن يدخل في الإسلام، ولكن آثر الدنيا على الآخرة، وآثر الملك فبقي على كفره والعياذ بالله.

وقال لأبي سفيان: لو كان أمري بيدي لذهبت أغسل عند رجله، وليملكن موضع قدمي هاتين، وهو واقف في القدس، قال: وليملكن موضع قدمي هاتين، يعني المكان الذي أنا واقف فيه الآن سيملكه محمد ﷺ.

٦- وَ «ابْنُ حُذَافَةٍ» مَضَى: لِكِسْرَى فَمَــزَّقَ الْكِتَــابَ بَغْيًــا نُكْـرَا

هذا عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه بعثه النبي ﷺ لكسرى، وكسرى: هو ملك الفرس، واسمه أبراويس، وكانوا مجوسًا يعبدون النار، ويزعمون أن الكون له إله للخير وإله للشر، وأن النار هي رمز لإله الخير فيعبدون النار والعياذ بالله تعالى.

فأرسل النبي ﷺ إليه كتابًا يدعوه إلى الإسلام، ففتحه فأول ما قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى) قال: عبد من عبيدي ويبدأ باسمه قبل اسمي، ومزّق الكتاب، ولم يكمل بقية قراءة الكتاب، فدعا عليه النبي ﷺ قال: «مزّق الله مُلكه» فمزّق الله ﷻ ملكه، و دخلت دولة الفرس في حوزة بلاد الإسلام، وما بقي لهم ذِكْر ولا قائمة.

٧- وَ «حَاطِبًا» أُرْسِـــلَ: لِلْمُقَوْقِسِ فَقَـــالَ خَـــيْرًا، وَدَنَـــا لَـــمْ يُوئِسِ

المقوقس: هو ملك القبط، وعاصمتهم في ذلك الوقت كانت الإسكندرية، فأرسل النبي ﷺ إليه حاطبًا رضي الله عنه، قال: (فَقَالَ خَيْرًا، وَدَنَا لَمْ يُوئِسِ) يعني كان موقفه يُطمِع في إسلامه، لا يُوئس من قبوله للدين وقبوله للإسلام.

٨- أَهْـــدَى لَهُ مَارِيَـــةَ الْقِبْطِيَّـــةْ وَأُخْتَهَـــا سِـــيْرِيْنَ، مَـــعْ هَدِيَّـــةْ:

٩- مِنْ ذَهَبٍ وَقَدَحٍ، وَمِنْ عَسَلْ وَطُرَفٍ مِنْ مِصْرَ، مِنْ بَنْهَا الْعَسَلْ

فيقول: إن المقوقس لم يُوئس من إسلامه، يعني: جعل النبي ﷺ يرجو إسلامه؛ لأنه ردّ ردًا حسنًا، فجاءه كتاب النبي ﷺ ففتح الكتاب وقرأه، وقال: ننظر في أمر هذا الرجل؛ إنه لا يأمر بمرفوض، ولا ينهى عن مرغوب، وقال: خيرًا؛ لهذا يقول: (فَقَالَ خَيْرًا، وَدَنَا) يعني: قال كلمة طيبة، واقترب من الإسلام.

ثم أكرم رسول النبي ﷺ، وأرسل هدايا إلى النبي ﷺ، ومن الهدايا التي أرسلها: (مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةْ وَأُخْتَهَا سِيْرِيْنَ) كانتا جاريتين، شقيقتين: مارية، وسيرين، فأهداهما إلى النبي ﷺ.

(مَعْ هَدِيَّةْ: مِنْ ذَهَبٍ) وأهدى ألف مثقال من الذهب، ألف مثقال: يعني ألف دينار من الذهب، والدينار وزنه: أربعة جرام وربع، و الألف دينار تساوي: أربعة كيلو وربع من الذهب.

وأهدى إلى النبي ﷺ قدحًا من القوارير؛ أي: قدح فاخر مصنوع من قوارير فاخرة، نوع فاخر من الزجاج.

(وَمِنْ عَسَلْ وَطُرُفٍ مِنْ مِصْرَ مِنْ بَنْهَا الْعَسَلْ) عسل من بنها، مدينة بنها المعروفة في

مصر، وكانت في ذلك الوقت مشهورة بجودة عسلها، فأرسل إلى النبي ﷺ كمية من عسل بنها هدية إلى رسول الله ﷺ، وأرسل هذه الهدايا.

(وَطُرَفٍ مِنْ مِصْرَ) يعني ما يُستطرَف وما يُستملَح.

فأماالجاريتان: فاصطفى النبي ﷺ لنفسه مارية، واتخذها سُرّية له، فولدت للنبي ﷺ ابنه إبراهيم.

وأهدى أختها سيرين لحسّان بن ثابت، شاعر النبي ﷺ.

١٠- وَأَرْسَلَ «ابْنَ الْعَاصِ» حَتَّى أَدَّى   كِتَابَهُ: إلى ابْنَيِ الْجُلَنْدَى

١١- فَأَسْلَمَا وَصَدَّقَا، وَخَلَّيَا   مَا بَيْنَ عَمْرٍو وَالزَّكَاةِ، هُدِيَا

أرسل النبي ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه رسولًا، ومعه كتاب إلى ابني الجلندى، وهما: جيفر بن الجلندى، وعبد بن الجلندى، كانا ملكي عُمان، التي هي الآن سلطنة عُمان في جنوب الجزيرة العربية، فكتب إليهما النبي ﷺ كتابًا يدعوهما إلى الإسلام، وأرسل هذا الكتاب مع عمرو بن العاص رضي الله عنه.

١٠- وَأَرْسَلَ «ابْنَ الْعَاصِ» حَتَّى أَدَّى   كِتَابَهُ: إلى ابْنَيِ الْجُلَنْدَى

١١- فَأَسْلَمَا وَصَدَّقَا،.....   ....

(فَأَسْلَمَا) يعني قَبِلا كتاب النبي ﷺ، واستجابا لدعوة الإسلام (وَصَدَّقَا) النبي ﷺ.

١١-.....،   وَخَلَّيَا   مَا بَيْنَ عَمْرٍو وَالزَّكَاةِ،...

أسلم ناس من أهل عُمان، ولمّا حال الحول جاءهم عمرو وجمع الزكاة وأدّاها إلى النبي ﷺ.

(**هُدِيَا**) يعني هُديا إلى الخير وهُديا إلى الإسلام.

١٢- وَأَرْسَلَ «السَّلِيْطَ» لِلْيَمَامَةِ:	لِهُوْذَةٍ مَلْكِ بَنِي حَنِيْفَةِ
١٣- وَأَكْرَمَ الرَّسُولَ إذ أَنْزَلَهُ	وَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ مَا يَدْعُو لَهُ»
١٤- وَسَالَ أَنْ يُجْعَلَ بَعْضُ الأَمْرِ	لَهُ، فَلَمْ يُعْطَ، قَضَى فِي الْكُفْرِ

السليط: هو سليط بن عمرو ﵁، أرسله النبي ﷺ رسولًا إلى اليمامة، واليمامة: هي منطقة الرياض حاليًا، وهي عاصمة السعودية في الوقت الحالي.

فأرسل النبي ﷺ سليطًا ﵁ إلى اليمامة لهوذة بن عمرو الحنفي، وهو سيد بني حنيفة.

فـ (**أَكْرَمَ الرَّسُولَ إذ أَنْزَلَهُ**) أكرم سليطًا ﵁ وأحسن استقباله، (**وَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ مَا يَدْعُو لَهُ»**) فقال: ما أحسن ما يدعو له، يعني: النبي ﵊.

ثم سأل: (**أَنْ يُجْعَلَ بَعْضُ الأَمْرِ لَهُ**) قال: إنه مستعد أن يدخل في الإسلام بشرط أن يكون له جزء من رئاسة الدين، أو المناصب الدينية، (**فَلَمْ يُعْطَ**) ما طلبه، فـ(**قَضَى فِي الْكُفْرِ**) فبقي على كفره والعياذ بالله، ورُوي أنه تنصّر، و مات نصرانيًّا.

١٥- كَذَا «شُجَاعُ الأَسَدِيُّ» يَلْقَى:	الْحَارِثَ الْغَسَّانِ مَلْكَ الْبَلْقَا
١٦- رَمَى الْكِتَابَ قَالَ: «انِّي سَائِرُ	إِلَيْهِ»، رَدَّهُ هِرَقْلُ قَيْصَرُ
١٧- وَقِيْلَ: «بَلْ أَرْسَلَهُ لِجَبَلَةْ	فَقَارَبَ الأَمْرَ، وَلَكِنْ شَغَلَهْ
١٨- الْمُلْكُ، ثُمَّ فِي زَمَانِ عُمَرَا	أَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ حَتَّى كَفَرَا»

يقول: إن النبي ﷺ أرسل شجاع بن وهب الأسدي ﵁، إلى الحارث الغسّاني ملك

البلقاء، منطقة بالشام قريبة من دمشق.

وكان الغساسنة ملوك العرب في الشام ،وكانوا عربًا تابعين لهرقل قيصر الروم.

فالنبي ﷺ أرسل يدعو الحارث الغسّاني إلى الإسلام، وأرسل إليه شجاعًا الأسدي بكتاب فرمى كتاب النبي ﷺ، وقال: ومَنْ ينازع في ملكي؟ إني سائر إليه ولو كان باليمن. وهمّ أن يقاتل النبي ﷺ ويُعدّ جيشًا لقتال النبي ﷺ فمنعه هرقل.

قال: (وَقِيْلَ: «بَلْ أَرْسَلَهُ لِجَبَلَةْ) يعني ورد في روايات أخرى من روايات السيرة أن النبي ﷺ أرسل شجاعًا الأسدي إلى جبلة الغسّاني ملك آخر من ملوك العرب.

وجبلة الغساني هو آخر ملوك بني غسّان الذين كانوا يحكمون العرب النصارى في الشام، فأرسل النبي ﷺ إليه شجاعًا الأسدي.

فلما جاءه الكتاب والنبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام قال: (فَقَارَبَ الأَمْرَ، وَلَكِنْ شَغَلَهْ) قارب الأمر: يعني اقترب من الإسلام، وهمّ أن يدخل في الإسلام ولكن شغله ملكه، فلم يبادر بإعلان إسلامه.

فلما كانت خلافة عمر رضي الله عنه وبدأت الفتوح الإسلامية في الشام، ووصلت إليهم الفتوح أسلم، ثم حدث شيءٌ بينه وبين رجل من قبيلة مزينة، فلطمه جبلة لطمةً ففقأ عينه، فقضى عمر رضي الله عنه بأن يُقتص من جبلة الغسّاني وتُفقأ عينه، لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾[المائدة:٤٥].

فأنف جبلة وقال: عيني وعينه سواء؟ لا أُقيم بهذه، ورحل إلى عمّورية- وكانت أيضًا من بلاد النصارى ومن بقايا بلاد الروم في ذلك الوقت- وارتد والعياذ بالله.

١٩- وَ «ابْـنَ أَبِي أُمَيَّةَ» الْمُهَاجِرَا: أَرْسَـلَهُ لِحَـارِثِ بْـنِ حِمْـيَرَا

٢٠- عَبْـدُ كُلاَلٍ أَبُـهُ، فَـرَدَّدَا: «أَنْظُـرُ فِي أَمْرِي»، وَبَعْـدُ وَفَدَا:

٢١- عَلَى النَّبِيِّ مُسْـلِمًا، فَاعْتَنَقَهْ وَفَـرَشَ الـرِّدَا لَهُ وَوَمَّقَـهْ

يقول: إن النبي ﷺ أرسل المهاجر ابن أبي أمية رضي الله عنه بكتاب للحارث بن حمير، قال: (عَبْدُ كُلاَلٍ أَبُهُ)، الحارث بن حمير بن عبد كُلال، أو الحارث بن عبد كلال الحميري، وحمير قبيلة من قبائل اليمن.

فلما جاءه كتاب النبي ﷺ قال: («أَنْظُرُ فِي أَمْرِي») يعني: أفكر في الأمر، وكان النبي ﷺ طلب من المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه، أن يقرأ عليه سورة البينة، ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[البينة:١] فقرأ عليه سورة البينة ودعاه إلى الإسلام، وأعطاه كتاب النبي ﷺ، فقال: أنظر في أمري.

ثم بعد ذلك لم يلبث أن هداه الله ﷻ إلى الإسلام، فجاء إلى النبي ﷺ في المدينة مسلمًا، فاعتنقه النبي ﷺ وفرش له رداءه، وأجلسه عليه، (وَوَمَّقَهْ) يعني: وأحبّه وأكرمه وأحسن إليه النبي ﷺ.

يقول:

٢٢- وَأَرْسَلَ «الْعَلاَ» أَيِ ابْنَ الْحَضْرَمِي: لِمُنْذِرٍ، وَهُوَ ابْنُ سَـاوَى الدَّارِمِي

٢٣- كَانَ مَعَ الْعَـلاَ: «أَبُو هُرَيْرَةِ» فَانْقَـادَ مُنْـذِرٌ لِخَيْرِ مِلَّـةِ

٢٤- وَوَفَدَ الْمُنْـذِرُ عَامَ الْفَتْحِ أَوْ فِي عَامِ تِسْـعَةٍ، خِلاَفًـا قَدْ حَكَوْا

بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه، برسالة إلى المنذر بن ساوى الدارمي، وكان ملك البحرين، وكلمة البحرين في زمان النبي ﷺ كانت تُطلَق على الساحل

الشرقي للجزيرة العربية، يعني ما بين العراق إلى عمان، فكان يشمل عددًا من الدول الموجودة حاليًّا، فكان يضم مناطق كبيرة من شرق السعودية، ويضم منطقة البحرين الحالية، كانت جزءًا من البحرين الكبرى في زمن رسول الله ﷺ.

وكان مع العلاء أبو هريرة رضي الله عنه، يقول: (كَانَ مَعَ الْعَلاَ: «أَبُو هُرَيْرَةٍ») العلاء هو حامل الرسالة رضي الله عنه، وبعث النبي ﷺ معه أبا هريرة رضي الله عنه.

فوصلوا إلى المنذر بن ساوى، وقُرِئ عليه كتاب النبي ﷺ، وانقاد لخير ملة قال: (فَانْقَادَ مُنْذِرٌ لِخَيْرِ مِلَّةِ) فأسلم المنذر ملك البحرين رضي الله عنه.

ووفد (عَامَ الْفَتْحِ أَوْ فِي عَامِ تِسْعَةٍ) يقول: (خِلاَفًا قَدْ حَكَوْا) يعني علماء السيرة اختلفوا في تاريخ وفود المنذر على النبي ﷺ: بعضهم قال: إنه قدِم على النبي ﷺ في عام فتْح مكة، وبعضهم قال: وفد على النبي ﷺ في العام التاسع الهجري، وفتْح مكة كان في العام الثامن، فقيل: إنه وفد على النبي ﷺ في العام الثامن، وقيل: في العام التاسع.

٢٥- كَذَاكَ قَدْ أَرْسَلَ «مُعَاذًا وَأَبَا ... مُوسَى» إِلَى: مَخَالِفٍ فَاقْتَرَبَا

٢٦- وَقَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ... وَبَشِّرَا طَوْعًا وَلاَ تُنَفِّرَا»

يقول: إن النبي ﷺ أرسل معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما أرسلهما النبي ﷺ إلى مخالف، والمخالف: جمع مخلاف، والمخلاف: بمعنى المنطقة أو المدينة، وهذا المصطلح مستعمل في مدن اليمن، كل منطقة من مناطق اليمن يقال لها: مخلاف كذا، ومخلاف كذا، يستعملون كلمة مخلاف بمعنى المنطقة، أو الإقليم. فاليمن مُقسّمة إلى مَخالِف.

فبعث النبي ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما وأرضاهما إلى مَخالِف يعني إلى مخالف اليمن.

قال: (فَاقْتَرَبَا) يعني: بعثهما إلى مكانين متقاربين، في اليمن.

وقال لهما النبي ﷺ: («يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا طَوْعًا وَلاَ تُنَفِّرَا») وبشّرا ولا تنفرا، وقال: وتطاوعا، يعني هنا الناظم يحاول أن يصوغ معنى الحديث النبوي الشريف، فالنبي ﷺ قال لهما: «تطاوعا ولا تختلفا وبشّرا ولا تُنفّرا، وييسرا ولا تُعسّرا» يعني بشّرا الخلق ولا تُنفّرا الخلق عن الإسلام، وادعوا إلى الإسلام بيُسر وبأسلوب حسن.

فقبلا وصية رسول الله ﷺ وعملا بها رضي الله عنهما واستجاب لهما خلق كثير وأسلم كثير من أهل اليمن بدعوة معاذ وأبي موسى رضي الله عنهما.

٢٧- كَذَا «جَرِيرًا» نَحْوَ: ذِي الْكَلاَعِ ... وَنَحْـوَ ذِي عَمْرٍو، وَنِعْـمَ الدَّاعِي

٢٨- دَعَاهُمَـا لِمِلَّـةِ الإِسْـلاَمِ ... فَأَسْـلَمَا لِلَّهِ بِاسْتِسْـلاَمِ

يقول: إن النبي ﷺ بعث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، رسولًا إلى ذي الكلاع وذي عمرو، وهما من أمراء اليمن أيضًا، اليمن كانت مقسمة إلى مناطق كثيرة، ولها أمراء كثيرون، فبعث النبي ﷺ جريرًا إلى هذين يدعوهما إلى الإسلام.

قال: (فَأَسْلَمَا لِلَّهِ بِاسْتِسْلاَمِ) يعني فاستجابا لدعوته رضي الله عنه، ودخلا في هذا الدين الحنيف.

وتُوفي النبي ﷺ وجرير عندهم، يدعو إلى الإسلام.

٢٩- وَ«عَمْرًا الضَّمْرِي» إِلَى: مُسَيْلِمَةْ ... فَلَمْ يَـؤُبْ عَـنْ كِذْبِـهِ وَلَزِمَهُ

٣٠- أَرْسَـلَ لَهُ كِتَابَهُ مَعْ «سَائِبِ» ثَانِيَـةً، فَلَـمْ يَكُـنْ بِالتَّائِـبِ

يقول: إن النبي ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه، رسولًا إلى مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة، في أواخر حياة رسول الله ﷺ، وكان قد بعث إلى النبي ﷺ يقول: الأمر بيني وبينك، ونقسم البلاد بيني وبينك نصفين، فردّ عليه النبي ﷺ وكتب إليه كتابًا قال له النبي ﷺ: «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، إن الأرض لله يورثها مَنْ يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين».

وبعث النبي ﷺ إليه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه برسالة، قال: (فَلَمْ يَؤُبْ عَنْ كِذْبِهِ) يعني: لم يرجع عن كذبه.

فأرسل إليه النبي ﷺ كتابًا ثانيًا مع السائب بن العوام أخي الزبير بن العوام رضي الله عنه.

قال: (فَلَمْ يَكُنْ بِالتَّائِبِ) أيضًا لم يتب، واستمر على كذبه وكفره حتى قاتله بعد ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٣١- وَبَعْدَهُ «عَيَّاشًا» أَيْضًا أَرْسَلاَ: إِلَى بَـنِي عَبْـدِ كُلاَلٍ، قَبِـلاَ:

٣٢- كُلُّهُـمُ كِتَابَـهُ، وَأَسْـلَمُوْا نُعَيْـمٌ الْحَـارِثُ مَـسْرُوحٌ هُـمُ

يقول: أرسل النبي ﷺ عياش بن أبي ربيعة المخزومي رضي الله عنه إلى بني عبد كُلال، وهم ثلاثة ملوك من ملوك القبائل العربية اسمهم بنو عبد كلال: أحدهم: اسمه نُعيم بن عبد كلال، والثاني: الحارث بن عبد كلال، والثالث: مسروح بن عبد كلال، فبعث النبي ﷺ إليهم عياش بن أبي ربيعة رضي الله عنه، فوصل إليهم وقال: أنا رسول رسول الله إليكم، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وآمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام.

بعد ذلك يقول:

٣٣- وَ (أَرْسَلَ) النَّبِيُّ أَيْضًا إذ كَتَبْ لِعِـدَّةٍ لَمْ يُسْـمَ مَنْ بِهَـا ذَهَبْ:

٣٤- لِفَـرْوَةَ بْنِ عَمْـرِو الْجُذَامِيْ أَفْلَـحَ إذ أَقَـرَّ بِالإِسْـلَامِ

٣٥- وَلِبَنِي عَمْـرٍو وَهُمْ مِنْ حِمْيَرَ كَـذَا لِمَعْدِي كَـرِبَ الْمُشْـتَهِرِ

يقول: إن النبي ﷺ أرسل أيضًا عددًا من الرسل لبعض الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، لكن كما يقول الناظم، يقول: (لَمْ يُسْمَ مَنْ بِهَا ذَهَبْ) يعني هذه الكتب لم يُنقَل إلينا أسماء الرسل الذين أرسلهم النبي ﷺ بها إلى هؤلاء الملوك، فورد أن النبي ﷺ أرسل كتابًا لفروة بن عمرو الجذامي.

قال: (أَفْلَحَ إذ أَقَرَّ بِالإِسْلَامِ) فبعث إليه النبي ﷺ كتابًا يدعوه إلى الإسلام فأسلم واستجاب لدعوة الإسلام، و(أَفْلَحَ إذ أَقَرَّ بِالاسْلَامِ)، لكن لم يُنقَل إلينا مَنْ الذي ذهب بالكتاب إليه.

وكذلك ورد أن النبي ﷺ أرسل لبني عمرو وهم من حمير، وأرسل أيضًا ﷺ لمعدي كَرِب، يقول: (الْمُشْتَهِرِ) يعني المشهور الذي أسلم واشتهر أمره في إسلامه واستجابته للرسول ﷺ.

٣٦- وَلأَسَـاقِفِ بِنَجْـرَانٍ كَتَبْ كَذَا لِمَنْ أَسْـلَمَ مِنْ حَدْسٍ عَرَبْ

٣٧- وَابْـنِ ضِمَادٍ خَـالِدِ الأَزْدِيِّ وَلابْـنِ حَـزْمٍ عَمْـرٍو الـرَّضِيِّ

٣٨- وَلأَخِي تَمِيْـمٍ أَوْسٍ كَتَبَـا وَهُـوَ لَدَى أَوْلَادِهِ مَـا ذَهَبَـا

٣٩- وَلِيَزِيْـدَ بْنِ الطُّفَيْلِ الْحَارِثِي وَلِبَـنِي زِيَـادِ بْـنِ الْحَـارِثِ

يقول: إن النبي ﷺ بعث كتبًا لأساقف نجران، الأساقف: جمع أُسقف وهي مرتبة

دينية عالية عند النصارى، فبعث النبي ﷺ رسائل إلى أساقف نجران يدعوهم النبي ﷺ إلى الإسلام.

كذلك بعث النبي ﷺ (لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ حَدْسٍ) وحدْس: القبيلة اسمها حَدَس-بفتح الدال- لكن سكّنها لضرورة وزن البيت، وهي قبيلة عربية اسمها حَدَس فبعث النبي ﷺ لمَنْ أسلم من حدس أيضًا كتابًا.

ويقول: إن النبي ﷺ بعث أيضًا كتابًا لخالد بن ضماد الأزدي.

قال: (وَلابْنِ حَزْمٍ عَمْرٍو الرَّضِيِّ) عمرو بن حزم رضي الله عنه بعث إليه النبي ﷺ كتابًا، وعمرو بن حزم صحابي كان صغير السن، كان ابن سبع عشرة سنة، واستعمله النبي ﷺ على نجران، لما أسلم ناس من أهل نجران، ودخل مَنْ بقي على دينه في عهد النبي ﷺ، فبعث النبي ﷺ عمرو بن حزم أميرًا عليهم، وعاملًا على نجران.

وبعث إليه النبي ﷺ كتابًا، وهو الكتاب المشهور الذي هو فيه: «لا يمس المصحف إلا طاهر».

طبعًا الفقهاء أكثرهم يقول: (إلا طاهر) يعني إلا طاهر من الحدثين الأصغر والأكبر، يعني يكون مغتسلًا ومتوضئًا.

وبعضهم يقول: إلا طاهر يعني إلا مسلم، وأن قصد النبي ﷺ بهذا الكتاب أنه لا يترك المصحف في يد أعداء الإسلام ممّنْ يُخشى أن يهين المصحف أو يُسيء إليه.

يقول: إن النبي ﷺ بعث أيضًا (لأَخِي تَمِيْمٍ أَوْسٍ)؛ تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، أخوه اسمه نُعيم بن أوس الداري، فبعث النبي ﷺ لنُعيم بن أوس الداري كتابًا (وَهُوَ لَدَى أَوْلَادِهِ مَا ذَهَبَا) يعني وما زال هذا الكتاب لدى أولاده كما يقول المؤلف، وكان

هذا الكتاب أقطعه فيه النبي ﷺ حبرا، وحبرا قرية بين وادي القرى والشام، وهي حاليًا منطقة الخليل.

وكتب النبي ﷺ (وَلِيَزِيْدَ بْنِ الطُّفَيْلِ الْحَارِثِيْ) أيضًا أقطعه النبي ﷺ أرضًا، يعني وهبه أرضًا ولا يُحاقّه فيها أحد، يعني ليس لأحد فيها حق سواه، ما أقام الصلاة وآتى الزكاة وحارب المشركين.

وكتب النبي ﷺ أيضًا (وَلِبَنِي زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ)؛ أيضًا كتب إليهم النبي ﷺ، أقطعهم أيضًا أراضي وأنهم آمنون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحاربوا المشركين، أيضًا أقطعهم النبي ﷺ أراضي وشرطها بهذا الشرط.

فهؤلاء الذين كتب إليهم النبي ﷺ، أو نُقل إلينا أن النبي ﷺ بعث إليهم رسلًا وكتب إليهم كتبًا عليه الصلاة والسلام.

ذكر أولاده ﷺ

١- كَانَ لَهُ ثَلاثَةٌ بَنُوْنَا: الْقَاسِمُ الَّذِي بِهِ يَكْنُوْنَا
٢- بِمَكَّةٍ قَبْلَ النُّبُوَّةِ: وُلِدْ وَالطَّيِّبُ الطَّاهِرُ: وَهُوَ وَاحِدْ
٣- وَهُوَ الصَّحِيْحُ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللهْ وَقِيْلَ: «بَلْ هَذَانِ فَابْنَانِ سِوَاهْ»
٤- وَالثَّالِثُ ابْرَاهِيْمُ بِالْمَدِيْنَةِ عَاشَ بِهَا عَامًا وَنِصْفَ سَنَةِ
٥- وَقِيْلَ: «مَعْ نُقْصَانِ شَهْرٍ»، وَقَضَى سَنَةَ عَشْرٍ، فَرَطًا لَهُ رِضَا
٦- وَمَاتَ قَاسِمٌ لَهُ عَامَانِ وَعِدَّةُ (الأَوْلَادِ) مِنْ نِسْوَانِ:
٧- أَرْبَعَةٌ،.............................. ....

يقول: إن النبي ﷺ كان له ثلاثة من البنين، والأولاد من النسوان: يعني البنات، يقصد بنات النبي ﷺ كُنّ أربعًا، فالنبي ﷺ له ثلاثة بنين، وأربع بنات.

فأما أبناء النبي ﷺ فأولهم: القاسم الذي به يُكنى النبي ﷺ، يعني يقال له: أبو القاسم عليه الصلاة والسلام.

وولد القاسم بمكة قبل النبوة، واختُلِف هل مات قبل البعثة أو بعدها؟ فبعض أهل السِّيَر روى أنه تُوفي قبل البعثة، وبعضهم قال: وُلِد قبل البعثة ولكن عاش إلى أن بُعث النبي ﷺ ثم تُوفي.

وكل ذرية النبي ﷺ الأبناء والبنات من خديجة رضي الله عنها ما عدا إبراهيم فهو ابن مارية القبطية، فالنبي ﷺ رُزِق من خديجة بستة من الأولاد: (ابنان وأربع بنات) والابن

الثالث للنبي ﷺ من أبنائه، وهو إبراهيم رُزِق به من مارية القبطية.

الابن الثاني للنبي ﷺ اسمه عبد الله، ويُلقّب بالطيب، والطاهر.

قالوا: لقب بهذا؛ لأنه وُلِد في الإسلام.

وقال: (وَقِيْلَ: «بَلْ هَذَانِ فَابْنَانِ سِوَاهْ»)، هناك قول: أن الطاهر والطيب ابنان غير عبد الله، فعلى هذا القول يصبح عدد أبناء النبي ﷺ خمسة، لكنه قول مرجوح، والمشهور أن الطيب والطاهر هما لقبان لعبد الله نفسه، ليسا ابنين آخرين.

الابن الثالث من أبناء النبي ﷺ: هو إبراهيم، وإبراهيم وُلِد بالمدينة في شهر ذي الحجة سنة ثمانٍ من الهجرة، يعني بعد فتْح مكة بشهرين تقريبًا، فتْح مكة كان في رمضان من العام الثامن، وفي آخر العام الثامن وُلِد إبراهيم.

وعاش سنةً ونصف سنة، (وَقِيْلَ: «مَعْ نُقْصَانِ شَهْرٍ») يعني سنة وخمسة أشهر، ما بين سنة وخمس أشهر وسنة وستة أشهر، هذا عمره رضي الله عنه.

قال: (وَقَضَى سَنَةَ عَشْرٍ، فَرَطًا لَهُ) قضى فرطًا: أي سابقًا لأبويه، الفرط: هو السابق لأبويه إلى الجنة، والطفل الذي يُتوفّى صغيرًا يقال له: الفرط؛ لأنه الفرط بمعنى السابق لأنه يسبق أبويه إلى الجنة ويكون شفيعًا لأبويه، فإبراهيم كان فرطًا لرسول الله ﷺ يعني سابقًا له إلى الجنة رضي الله عنه.

والقاسم عمره عندما توفي عامان، قال: (وَمَاتَ قَاسِمٌ لَهُ عَامَانِ)، القاسم عند وفاته كان عمره بلغ سنتين.

قال: (وَعِدَّةُ (الأَوْلَادِ) مِنْ نِسْوَانِ: أَرْبَعَةٌ) كلمة الأولاد في اللغة العربية تُطلَق على البنين والبنات، فهناك أولاد من البنين، وأولاد من البنات، فذكر الأولاد من الأبناء،

وهم ثلاثة، الآن يذكر أولاد النبي ﷺ من النسوان يعني من البنات، أولاد النبي ﷺ من الإناث قال: (أَرْبَعَةٌ)

٧- أَرْبَعَـةٌ، فَاطِمَـةُ الْبَتُـولُ زَوَّجَهَـا عَلِيًّـا الرَّسُـولُ

الرسول ﷺ زوجها عليًّا.

٨- وَزَيْنَـبٌ زَوَّجَهَا أَبَـا الْعَاصْ ابْـنَ الرَّبِيعِ، وَافِيًـا ذَا إِخْلاَصْ:
٩- بِوَعْـدِهِ، وَزَوَّجَ اثْنَتَـيْنِ تَعَاقُبًـا: عُثْمَـانَ ذَا النُّوْرَيْـنِ
١٠- رُقَيَّـةً وَأُمَّ كُلْثُـومٍ تَـلِي وَنِعْـمَ ذَاكَ الصِّهْـرُ عُثْمَانُ الْوَلِي
١١- وَجُمْلَةُ (الأَوْلاَدِ) مِنْ خَدِيْجَةِ لَكِـنَّ إِبْرَاهِيْـمَ مِـنْ مَارِيَـةِ
١٢- وَلَيْسَ فِي بَنَاتِـهِ مَنْ أَعْقَبَا: إِلّا الْبَتُـولُ، طَـابَ أُمًّـا وَأَبَـا

هنا يذكر بنات النبي ﷺ وهنّ أربع بنات، أولهن: فاطمة رضي الله عنها وأرضاها، قال: (زَوَّجَهَا عَلِيًّا) زوّجها النبي ﷺ عليًّا وكان عمرها خمس عشرة سنة ونصف تقريبًا، وكان عمر علي وقتها نحو عشرين سنة، وكان علي رضي الله عنه عمره نحو عشرين سنة، فزوّجه النبي ﷺ من فاطمة.

الثانية: هي زينب بنت النبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنها، زوّجها النبي ﷺ أبا العاص بن الربيع قال: (وَافِيًا ذَا إِخْلاَصْ): يعني مشهورًا بالوفاء والإخلاص وقد مدحه النبي ﷺ وقال: «وعدني فوفى لي»، ذكر النبي ﷺ في حديث في البخاري يعني أن النبي ﷺ ذكر أبا العاص بن الربيع وأثنى عليه وقال: وعدني فوفى لي، فمدحه النبي ﷺ بوفاء الوعد.

وكان قد شهد بدرًا مع المشركين، فأُسِرَ فأطلقه النبي ﷺ على أن يخلي سبيل ابنته

ففعل؛ ثم أسلم بعد ذلك ﵁، وجاء إلى النبي ﷺ مهاجرًا مسلمًا ﵁. ولما أسلم ردّها النبي ﷺ إليه، بالنكاح الأول.

بعد ذلك يقول: إن النبي ﷺ زوّج اثنتين من بناته (تَعَاقُبًا: عُثْمَانَ ذَا النُّوْرَيْنِ)، تعاقبًا: يعني واحدة عقب أخرى، فلم يتزوجهما في وقت واحد، وإنما تزوج واحدة فلما توفيت تزوج الأخرى.

قال: (رُقَيَّةً وَأُمَّ كُلْثُومٍ تَلِي) يعني أول واحدة تزوجها عثمان من بنات النبي ﷺ هي رقية ﵂، تزوجها عثمان أولًا، فلما توفيت رقية ﵂ زوّجه النبي ﷺ بنته الأخرى أم كلثوم ﵂.

ولما توفيت أم كلثوم قال النبي ﷺ لعثمان: لو كان عندنا ثالثة لزوجّناك؛ لأنه كان نِعْم الصهر ﵁.

فهؤلاء الأربع هُنّ بنات رسول الله ﷺ: فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم رضي الله عنهن وأرضاهن.

يقول:

١١- وَجُمْلَةُ (الأَوْلَادِ) مِنْ خَدِيْجَةِ   لَكِـنَّ إِبْرَاهِيْـمَ مِـنْ مَارِيَـةِ

يقول: أولاد النبي ﷺ كلهم من البنين والبنات من خديجة ما عدا إبراهيم فهو من مارية القبطية ﵂.

١٢- وَلَيْسَ فِي بَنَاتِـهِ مَنْ أَعْقَبَا: إِلّا   الْبَتُـولُ،..........

يعني ليس في بنات النبي ﷺ مَنْ أعقب- أي: عاش بعده-، هنا معنى أعقب: يعني عاش بعد النبي ﷺ، (إِلّا الْبَتُولُ) يعني إلا فاطمة ﵂ عاشت بعده ستة أشهر، يعني لم

يعش بعد النبي ﷺ من أولاده إلا فاطمة رضي الله عنها، عاشت ستة أشهر بعد النبي ﷺ ثم توفيت رضي الله عنها.

يقول: (طَابَ أُمًّا وَأَبَا) يعني يقصد طابت أُمًّا وأبًا يعني يشير إلى فاطمة – رضي الله عنها– طابت أُمًّا: أمها خديجة، وطابت أبًا: أبوها النبي عليه الصلاة والسلام.

باب ذِكْر أعمامه وعمّاته ﷺ

١- (أَعْمَامُـهُ): حَمْـزَةُ وَالْعَبَّاسُ قَـدْ أَسْـلَمَا، وَأُرْغِـمَ الْخَنَّـاسُ

٢- زُبَـيْرٌ، الْحَارِثُ، جَحْـلٌ، قُثَمْ ضِرَارٌ، الْغَيْـدَاقُ، وَالْمُقَـوِّمُ

أو: والمُقوَّمُ

٣- عَبْدُ مَنَافٍ، مَعَ عَبْدِ الْكَعْبَةْ كَـذَا أَبُـو لَهَـبٍ ارْدَى كَسْـبَهْ

٤- (عَمَّاتُـهُ): صَفِيَّـةٌ، عَاتِكَـةُ أُمُّ حَكِيْـمٍ بَـرَّةٌ، أُمَيْمَـةُ

٥- أَرْوَى، وَلَمْ يُسْلِمْ سِوَى صَفِيَّةِ قِيلَ: «وَمَـعْ أَرْوَى وَمَعْ عَاتِكَةِ»

قال: أعمام النبي ﷺ اثنا عشر، أعمامه وعمّاته مجموعهم اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة، ولكن الأول هو الذي رجّحه المؤلف أنهم اثنا عشر.

أول واحد من أعمام النبي ﷺ هو: حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وهو الملقّب بأسد الله وأسد رسوله عليه السلام وهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة.

العم الثاني من أعمام النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

١-..................وَالْعَبَّـاسُ قَـدْ أَسْـلَمَا، وَأُرْغِـمَ الْخَنَّـاسُ

يعني وأُرغم الشيطان، الخناس هو الشيطان، يعني أسلم حمزة والعباس وكان إسلامهما إرغامًا للشيطان، فهذان العمّان كانا مسلمين رضي الله عنهما.

قال: (زُبَيْرٌ) العم الثالث من أعماما النبي ﷺ الزبير بن عبد المطلب، وكان شاعرًا عاقلًا، وكان رئيس بني هاشم بعد عبد المطلب، ولم يُدرِك الإسلام، تُوفي قبل البعث.

و(الحارث) وهو أكبر أولاد عبد المطلب، وبه كان يُكنى، ومات في حياة أبيه.

يقول: (جَحْلٌ) وقيل: (حَجْل)، قيل (جَحْلٌ) بتقديم الجيم على الحاء وقيل: حجل، هذا عم آخر من أعمام النبي ﷺ (جحل) بن عبد المطلب، أو حجل بن عبد المطلب، فهذا من أعمام النبي ﷺ وقيل: إن حجل أو جحل اسمه المغيرة، وكان حجل أو جحل هذا كان لقبًا له، ﷺ ولم يُدرِك الإسلام.

قال: (قُثَمُ) من أعمام النبي ﷺ: قثم بن عبد المطلب، ومات صغيرًا.

و(**ضرار بن عبد المطلب**) من أعمام النبي ﷺ، ومات في مبادئ الوحي، في بدايات الوحي إلى النبي ﷺ.

و(الْغَيْدَاقُ) من أعمام النبي ﷺ: (الْغَيْدَاقُ)، و(الْغَيْدَاقُ) هو المطر الكثير. إنه كان اسمه مصعب وقيل: اسمه نوفل، و(الْغَيْدَاقُ) كان أجود قريش، كان مشهورًا بالجود والكرم، يعني يُشبه المطر.

(وَالْمُقَوِّمُ) أو المُقوَّم، يقال له: المقوَّم أو المقوِّم بتشديد الواو مع فتحها أو كسرها.

والمقوِّم أو المقوَّم هذا أيضًا من أعمام النبي عليه السلام.

(عَبْدُ مَنَافٍ) عبد مناف هو أبو طالب، وهو الذي كفل النبي ﷺ كان بعد وفاة عبد المطلب، وكان ينصر النبي ﷺ ويدفع عنه أذى قومه، لكنه بقي على دين أبيه، ولم يُسلِم.

و(**عبد الكعبة**) من أعمام النبي ﷺ: عبد الكعبة، ولم يُدرِك الإسلام.

قال: (كَذَا أَبُو لَهَبٍ ارْدَى كَسْبَهُ) يعني: أهلك ماله وولده.

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[المسد:١] وهو الذي أنزل الله ﷻ فيه هذه الآيات الكريمة،

هذا كان يؤذي النبي ﷺ ويصد الناس عنه ويُنفّرهم عن النبي ﷺ، ويقول: أنا عمّه وأعرف الناس به ويصدّ الناس عن النبي ﷺ، ونزلت فيه الآيات الكريمة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾[المسد: ١-٢]. فهذا معنى قوله: (أَرْدَى كَسْبَهْ) يعني أهلك كسْبه، لم يُغنِ عنه شيئًا.

وأبو لهب اسمه: عبد العزى، وكُنيته أبو لهب. فهؤلاء أعمام رسول الله عليه الصلاة والسلام.

أمّا عمّات النبي ﷺ فهُنّ ست عمّات.

قال: (صَفِيَّةٌ) صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وأرضاها، وهي أم الزبير بن العوام.

ومن عمّاته عليه الصلاة والسلام عاتكة، وأم حكيم، وأم حكيم اسمها: البيضاء وكُنيتها: أم حكيم.

ومن عمّات النبي ﷺ برّة بنت عبد المطلب، وأميمة بنت عبد المطلب، وأروى بنت عبد المطلب؛ فهن ست عمّات.

المؤلف هنا يقول: (وَلَمْ يُسْلِمْ سِوَى صَفِيَّةِ) يعني لم يثبت أنه أسلم من عمّات النبي ﷺ الست سوى صفية رضي الله عنها.

قال: (قِيلَ: «وَمَعْ أَرْوَى وَمَعْ عَاتِكَةِ») يعني: وقال بعض علماء السِّيَر، قالوا: إن أروى وعاتكة أسلمتا أيضًا، يعني رُوي أنه أسلم ثلاث عمّات من عمّات النبي ﷺ، لكن الأشهر والأصح أنه لم يُسلِم سوى صفية رضي الله عنها، والباقيات لم يثبت أنهنّ أسلمن.

ذِكْر أزواجه ﷺ

١- زَوْجَاتُهُ اللاَّتِي بِهِنَّ قَدْ دَخَلْ: ثِنْتَا أَوْ احْدَى عَشْرَةٍ، خُلْفٌ نُقِلْ
٢- خَدِيْجَةُ الأُوْلَى، تَلِيْهَا سَوْدَةُ ثُمَّ تَلِي عَائِشَةُ الصِّدِّيْقَةُ
٣- وَقِيْلَ: «قَبْلَ سَوْدَةٍ»، فَحَفْصَةُ فَزَيْنَبُ وَالِدُهَا خُزَيْمَةُ
٤- فَبَعْدَهَا هِنْدُ أَيِ أُمُّ سَلَمَةْ فَابْنَةُ جَحْشٍ زَيْنَبُ الْمُكَرَّمَةْ
٥- تَلِي ابْنَةُ الْحَارِثِ أَيِ جُوَيْرِيَةْ فَبَعْدَهَا رَيْحَانَةُ الْمَسْبِيَّةْ
٦- وَقِيْلَ: «بَلْ مِلْكُ يَمِيْنٍ فَقَطْ لَمْ يَتَزَوَّجْهَا»، وَذَاكَ أَضْبَطُ
٧- بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ وَهْيَ رَمْلَةُ أُمُّ حَبِيْبَةٍ، تَلِي صَفِيَّةُ:
٨- مِنْ بَعْدِهَا، فَبَعْدَهَا مَيْمُونَةْ حِلًّا، وَكَانَتْ كَاسْمِهَا مَيْمُونَةْ

يقول: أزواج النبي ﷺ اللائي دخل بهن ﷺ قيل: ثنتا عشرة وقيل: إحدى عشرة.

وسبب الخلاف: هو عدّ ريحانة رضي الله عنها، بعضهم قال: هي من أمهات المؤمنين، وعدّها زوجة للنبي ﷺ، وبعض العلماء يقول: إنها كانت ملك يمين، وكانت ملك يمين ولم تكن زوجةً لرسول الله ﷺ، فالذي يعدّ ريحانة رضي الله عنها يجعل أمهات المؤمنين اللائي دخل بهنّ النبي ﷺ اثنتي عشرة، والذين لا يعدّون ريحانة من الزوجات ويجعلونها ملك يمين يجعلون الزوجات اللائي دخل بهن إحدى عشرة.

قال: أولاهنّ: خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ولم يتزوج عليها النبي ﷺ حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها.

الثانية: سودة بن زمعة، تزوجها بعد خديجة رضي الله عنها.

(ثُمَّ تَلِي عَائِشَةُ الصِّدِّيْقَةُ) بعد سودة تأتي عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال: (وَقِيْلَ: «قَبْلَ سَوْدَةٍ») يعني: بعض العلماء يقول: تزوج عائشة قبل سودة، وبعضهم يقول: تزوج سودة قبل عائشة.

وسبب ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجهما تقريبًا في وقت واحدٍ أو متقارب؛ لأنه بعد وفاة خديجة رضي الله عنها عُرِض على النبي صلى الله عليه وسلم، قيل: تريد ثيّبًا أو بِكْرًا قالوا: نزّوجك ثيّبًا أو بِكرًا؟ قال: مَنْ الثيّب قالوا: سودة، من البكر قالوا: عائشة، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على زواجهما معًا وتزوجهما في وقت متقارب بعد وفاة خديجة رضي الله عنها.

فقيل: تزوج سودة أولًا ثم عائشة، وقيل: العكس؛ يعني عائشة أولًا ثم سودة.

ثم إن عائشة رضي الله عنها لما عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم لم يدخل بها، فلعل سبب الخلاف في الترتيب أن المقصود: أنه عقد على عائشة قبل سودة، ولكن دخل بسودة قبل الدخول بعائشة.

يقول: (فَحَفْصَةُ) هنا يُرتّب زوجات النبي صلى الله عليه وسلم: خديجة، ثم سودة، ثم عائشة رضي الله عنهن قال: (فَحَفْصَةُ) وهي الرابعة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

قال: (فَزَيْنَبُ وَالِدُهَا خُزَيْمَةُ) بعد حفصة تزوج زينب بنت خزيمة الحارثية رضي الله عنها، وكانت تُدعى أم المساكين؛ لرحمتها بالمساكين وكثرة صدقتها، كانت كثيرة الصدقة والإحسان إلى الفقراء رضي الله عنها، فكانت تُلقّب بأم المساكين رضي الله عنها.

ثم قال: (فَبَعْدَهَا هِنْدُ أَي أُمُّ سَلَمَةْ) بعد زينب بنت خزيمة تزوج أم سلمة، واسمها: هند بنت أبي أُمية بن المغيرة المخزومية، من بني مخزوم من قريش رضي الله عنها.

قال: (فَابْنَةُ جَحْشٍ زَيْنَبُ الْمُكَرَّمَةْ) بعد ذلك تزوج زينب بنت جحش ﵂، وكان اسمها بَرّة فسماها زينب، وكانت أيضًا كثيرة الصدقة والإيثار ﵂، وكانت عائشة ﵂ تقول: وكانت زينب هي التي تساميني، تعني: تساويها في المنزلة، عائشة كانت أحب زوجات النبي ﷺ إليه، وكانت زينب تساويها في درجة المحبة.

وهي التي زوّجه الله ﷻ بها من فوق سبع سموات، فكانت تفخر بذلك على بقية أزواج النبي ﷺ تقول: زوّجكن أهاليكن، وزوّجني الله من فوق سبع سموات؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧]؛ فالله ﷻ زوّجه بها.

بعد ذلك تزوج النبي ﷺ جويرية بنت الحارث المصطلقية، أُخِذَت سبية وأعتقها النبي ﷺ وتزوجها.

قال: (فَبَعْدَهَا رَيْحَانَةُ الْمَسْبِيَّةْ) بعد جويرية المصطلقية تزوج النبي ﷺ ريحانة، قال: (وَقِيلَ: «بَلْ مِلْكُ يَمِينٍ فَقَطُ لَمْ يَتَزَوَّجَهَا»)؛ وقيل: إنها كانت ملك يمين، ولم يتزوجها النبي ﷺ، إنما كان يعاشرها بملك اليمين.

قال: (وَذَاكَ أَضْبَطُ) يعني: أصحّ، أنها كانت ملك يمين، ولم تكن زوجة.

قال: (بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ وَهْيَ رَمْلَةُ أُمُّ حَبِيْبَةٍ) بعد ذلك تزوج النبي ﷺ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أم حبيبة ﵂، ممَّنْ سبق إلى الإسلام، كانت من السابقات إلى الإسلام، وهاجرت إلى الحبشة هي وزوجها عبيد الله بن جحش.

ثم إن عبيد الله بن جحش لما هاجر إلى الحبشة تنصر -والعياذ بالله تعالى- ومات مرتدًا عن الإسلام، في الحبشة، فلما جاءت الأخبار إلى النبي ﷺ بأن زوجها عبيد الله بن جحش تنصر في الحبشة بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري رسولًا إلى النجاشي ليُزوّجه بأم حبيبة، فتزوجها النبي ﵊.

قال: (تَلِي صَفِيَّةُ) يعني بعد ذلك تأتي صفية ﵂ (مِنْ بَعْدِهَا) يعني تزوج بعد ذلك صفية بنت حيي، وكان أبوها حيي بن أخطب، كان من زعماء اليهود، وأُسرت صفية ﵂ يوم خيبر، واصطفاها النبي ﷺ لنفسه، وأسلمت ﵂ فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها ﵊.

قال: (فَبَعْدَهَا مَيْمُونَةْ حِلًّا) هي ميمونة بنت الحارث ﵂ وهي خالة عبد الله بن عباس، وخالة خالد بن الوليد ﵄.

تزوجها النبي ﷺ وهو في عمرة القضاء، لكن تزوجها وهو حلال، أي: غير محرم ﵊

وتزوجها النبي ﷺ بسَرِف- اسم القرية التي تزوجها النبي ﷺ- في الطريق بين مكة والمدينة، وبعد ذلك لما توفيت ﵂ توفيت في نفس المكان.

يقول: إنها كانت آخر مَنْ تزوج النبي ﷺ، (وَكَانَتْ كَاسْمِهَا مَيْمُونَةْ) يعني كانت ميمونة من اليُمن وهو البركة، كانت ميمونة يعني مباركة كاسمها.

بعد ذلك يقول:

٩- وَابْنُ الْمُثَنَّى (مَعْمَرٌ) قَدْ أَدْخَلاَ ... فِي جُمْلَةِ الـلاَّتِي بِهِـنَّ دَخَـلاَ:

١٠- بِنْتَ شُرَيْحٍ وَاسْمُهَا فَاطِمَةُ ... عَرَّفَهَـا بِأَنَّهَـا الْوَاهِبَـةُ

يواصل الحديث عن زوجات النبي ﵊ يقول: (وَابْنُ الْمُثَنَّى (مَعْمَرٌ) يذكر أن الإمام معمر بن المثنى -رحمه الله- يقول: إن النبي ﷺ تزوج فاطمة بنت شُريح فعدّها من أزواج النبي ﷺ اللائي دخل بهنّ النبي ﵊ .

يعني: أن معمر بن المثنى عرّف فاطمة بنت شريح التي أشار إليها بأنها هي الواهبة

نفسها، قال: هي المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، قالت: وهبتُ لك نفسي، وكان هذا من خصوصيات النبي ﷺ أنه يجوز له أن يتزوج مَنْ تهب نفسها له من غير حاجة إلى ولي وشهود كحال بقية المؤمنين، فكان هذا من خصوصيات النبي ﷺ، حيث قال الله ﷻ له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الأحزاب:٥٠] فهذه من خصوصيات النبي ﷺ؛ ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ فأي مؤمن غير النبي ﷺ إذا وهبت امرأة نفسها له فلا يكون هذا زواجًا حتى لو قبِل، بل يحتاج إلى ولي وشهود، لكن النبي ﷺ لو وهبت امرأة نفسها له وقبِل ﷺ هذه الهبة أصبحت زوجةً له.

فمعمر بن المثنى يعد من زوجات النبي ﷺ امرأة سماها فاطمة بنت شُريح، وقال: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام.

١١- وَلَمْ أَجِدْ مَــنْ جَمَعَ الصَّحَابَةْ ذَكَرَهَــا، وَلاَ بـ«أُسْــدِ الْغَابَــةْ»

قال الحافظ العراقي -رحمه الله-: (وَلَمْ أَجِدْ مَنْ جَمَعَ الصَّحَابَةْ ذَكَرَهَا) يقول: لم أجد أحدًا من العلماء الذين جمعوا الصحابة في مصنفات ذكر من زوجات النبي ﷺ امرأة بهذا الاسم، ولا عدّوا في الصحابة امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ بهذا الاسم.

قال: (وَلاَ بـ«أُسْدِ الْغَابَةْ») يعني ولا في كتاب (أسْد الغابة في معرفة الصحابة) وهو كتاب للإمام ابن الأثير -رحمه الله- في عدّ الصحابة.

١٢- وَعَلَّهَا الَّتِي اسْتَعَاذَتْ مِنْهُ وَهْيَ ابْنَةُ الضَّحَّاكِ بَانَتْ عَنْهُ

يقول: لعل التي يقصدها معمر تلك الصحابية التي تزوجها النبي ﷺ، فلما أراد أن يدخل بها قالت: أعوذ بالله منك، ورُوي أن بعض أمهات المؤمنين غِرْنَ منها، فقلن لها: إنه يحب أن يقال له: أعوذ بالله، فالمرأة قالت هذا الكلام، فقال لها النبي ﷺ: «لقد عُذتِ بمعاذ» يعني: قد استجرتِ بمَنْ أجارك، وطلقها النبي عليه السلام.

قال: (بَانَتْ عَنْهُ) البينونة هي بمعنى الطلاق.

فهذه اسمها فاطمة بنت الضحاك، وليس اسمها فاطمة بنت شُريح، فقال: لعل معمر بن المثنى اختلط عليه الأمر؛ فإن المرأة التي استعاذت من النبي ﷺ اسمها فاطمة بنت الضحاك، فهو لعله سماها فاطمة بنت شُريح وظنّ أنها الواهبة، يقول: لعل هذا وهْمٌ من معمر بن المثنى.

ثم بعد ذلك يقول:

١٣- وَغَيْرُ مَنْ بَنَى بِهَا أَوْ وَهَبَتْ إِلَى النَّبِيِّ نَفْسَهَا، أَوْ خُطِبَتْ:

١٤- وَلَمْ يَقَعْ تَزْوِيجُهَا فَالْعِدَّةُ: نَحْوَ «ثَلاَثِيْنَ»......................

يقول: غير هؤلاء يعني اللائي خطبهن النبي ﷺ ولم يتزوجهن، واللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ولم يتزوجهن فالإمام ابن القيم -رحمه الله- يقول: هُنّ أربع أو خمس نسوة، نُقِل أن النبي ﷺ خطبهن ولم يدخل بهن ولم يعقد عليهن، أو أنهن وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ولم يتزوجهن النبي عليه السلام فهُنّ نحو أربع أو خمس.

وقال بعض العلماء: هُنّ ثلاثون امرأة، والإمام ابن القيم -رحمه الله- رَدّ هذا الكلام، فقال: أهل العلم بالسيرة وأحواله ﷺ لا يعرفون هذا بل يُنكرونه.

وذكر ابن القيم أن اللائي نُقِل أن النبي ﷺ خطبهن ولم يتزوجهن، أو وهبن أنفسهن ولم يتزوجهن امرأة جونية يقال لها: الجونية، وهذه هي التي استعاذت من النبي ﷺ، وامرأة كلبية من بني كلب، قال: وكذلك امرأة عقد عليها النبي ﷺ فلما أراد أن يدخل بها رأى بكشحها بياضًا فلم يدخل بها النبي ﷺ، يعني كان بها مرض في الكشح: وهو جانب البطن، يعني كان في جنبها شيء من مرض البهاق، فالنبي ﷺ لم يدخل بها.

وامرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ والنبي ﷺ لم يرغب في الزواج بها، صعّد النظر فيها وصوّبه ثم خفض بصره إلى الأرض، يعني غضّ بصره؛ يعني جاءت المرأة والنبي ﷺ كان جالسًا مع أصحابه وقالت: يا رسول الله، وهبت لك نفسي، فصعّد النظر فيها وصوّبه ثم خفض بصره إلى الأرض، فقال رجل من الحاضرين: يا رسول الله، إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال له النبي ﷺ: ما تصدقها؟ قال: لا أملك شيئًا، قال: أصدقها ولو خاتمًا من حديد، قال: لا أجد ولا خاتمًا من حديد، ليس عندي إلا إزاري هذا، وكان عليه إزار ولا رداء عليه، الإزار هو ما يكون على النصف الأسفل من البدن وليس عليه رداء، فقال: ليس عندي إلا إزاري هذا، فقال له النبي ﷺ: إنك إن أعطيتها إزارك جلست ولا إزار عليك، يمازحه النبي ﷺ.

ثم إن النبي ﷺ سأله قال: ماذا معك من القرآن؟ قال: سورة كذا وسورة كذا، وعدّ سورًا، فقال له النبي ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن، وزوّج النبي ﷺ هذه المرأة التي جاءت تهب نفسها للنبي ﷺ، فزوجها من هذا الصحابي الفقير.

وهنا ذكروا أن الواهبة هي فاطمة بنت الضحاك، يعني سُميّت في بعض الروايات أنها فاطمة بنت الضحاك.

فلهذا هنا يقول:

١٤-...................... فَالْعِــدَّةُ: نَحْــوَ «ثَلاَثِــيْنَ»، بِخُلْــفٍ........

الحافظ العراقي هنا يقول: النساء اللائي قيل: إن النبي ﷺ تزوجهن يصل عددهن إلى ثلاثين لكن مع اختلافهم في هذا العدد، وذكرنا رأي ابن القيم -رحمه الله- أنه غير الأزواج اللائي نُقل أن النبي ﷺ دخل بهن هن أربع أو خمس نسوة، والباقيات ليس هناك دليل ثابت فيهن.

والله ﷻ أعلم بهذا.

فإذًا الخلاصة هنا أن أزواج النبي ﷺ اللائي دخل بهن- عليه السلام- إما اثنتا عشرة أو إحدى عشرة اللائي دخل بهن النبي عليه السلام.

أما اللائي عقد عليهن، ولم يدخل بهن، أو وهبن أنفسهن للنبي ﷺ ولم يتزوجهن، أو خطبهن النبي ﷺ ولم يتزوجهن؛ فهؤلاء الراجح: أنهن لا يزدن عن خمس، وبعض العلماء قال: إنهن ثلاثون لكن لا دليل على هذا.

ذِكْر خدامه من الرجال والنساء

١- فَأَنَسٌ: أَلْزَمُهُمْ لِلْخِدْمَةِ أَسْمَاءُ، هِنْدُ وَلَدَا حَارِثَةِ
٢- كَذَا بِلَالٌ، عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ سَعْدُ فَتَى الصِّدِّيقِ، مَعْ ذِي مِخْمَرِ
٣- رَبِيعَةٌ، مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَبُو ذَرٍّ، بُكَيْرٌ، وَلِلَيْثٍ نَسَبُوا
٤- وَابْنُ شَرِيكٍ أَسْلَعٌ، وَأَرْبَدُ كَذَا ابْنُ مَالِكٍ وَالاسْمُ الأَسْوَدُ

هنا يعدّ بعض مَنْ خدموا رسول الله ﷺ فيقول: أنس بن مالك رضي الله عنه كان ألزمهم لخدمة النبي ﷺ؛ فعندما قدِم النبي ﷺ المدينة مهاجرًا عليه الصلاة والسلام جاءته أم سُليم والدة أنس بن مالك، وكان أنس بن مالك له من العمر عشر سنوات، فقالت للنبي ﷺ: يا رسول الله، هذا غلامك أنس يخدمك، وضعت ابنها عند النبي ﷺ لخدمته ﷺ، فحظي بهذا الشرف الكبير، فظلّ يخدم النبي ﷺ عشر سنين، ولما توفي النبي ﷺ كان عمر أنس بن مالك عشرين سنة، وقال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط لشيء فعلتُه لم فعلتَه، ولا لشيء تركتُه لم تركتَه، وكان النبي ﷺ يعدّه كواحد من أولاده، ويُكرمه النبي ﷺ ويُكرِم أسرته.

كذلك من خُدّام رسول الله ﷺ أسماء بن حارثة وهند بن حارثة، وأسماء وهند من الأسماء المشتركة بين الرجال والنساء، فهنا أسماء بن حارثة وهند بن حارثة الأسلميان رضي الله عنهما كانا يخدمان النبي ﷺ وكانا رجلين فقيرين من فقراء الصحابة رضي الله عنهم، وكانا يخدمان النبي ﷺ ورويا عنه حديثًا في صوم عاشوراء، وهما ممَّنْ شهد عمرة الحديبية، والذين شهدوا عمرة الحديبية كانوا ألفًا وأربعمائة صحابي، وهم الذين رضي الله ﷻ عنهم فقال: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح:١٨]

قال: (كَذَا بِلَالٌ) وهو بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ كان أيضًا ممّنْ يتشرف بخدمة النبي ﷺ.

(عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ) كذلك عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه كان صاحب بغلته يقود به في الأسفار. وخُدّام النبي ﷺ بعضهم كان يخدمه في أمور عديدة، يعني: ليس مختصًا بشيء معين أو مجال معين من مجالات الخدمة، وبعض خُدّام النبي ﷺ كان يتخصص في مجال محدد يتولى مسئوليته، وكذلك من جهة الأوقات: منهم مَنْ لازم الخدمة سنوات عديدة ومنهم مَنْ خدم النبي ﷺ في فترة ما خلال حياته عليه الصلاة والسلام.

فالمؤلف هنا يذكر كل مَنْ نُقِل أنهم كانوا يخدمون النبي ﷺ في فترة من الفترات أو في مجال معين من المجالات.

فهنا عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه كان متخصصًا في قيادة بغلة النبي ﷺ في الأسفار، فنوع الخدمة التي كان يقوم بها: قيادة بغلة النبي ﷺ في الأسفار.

قال: (سَعْدٌ فَتَى الصِّدِّيْقِ) كذلك منهم سعد مولى أبي بكر الصديق، الصحابي اسمه سعد ويُعرَف بأنه مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

قال: (مَعْ ذِي مِخْمَرِ) كذلك ذو مخمر وهو ابن أخي النجاشي أو ابن أخت النجاشي، كان حبشيًّا من أسرة النجاشي ملك الحبشة، وكان أيضًا يخدم رسول الله ﷺ،

كذلك ربيعة بن كعب الأسلمي، كان أيضًا من خُدام رسول الله ﷺ ورضي الله عنه.

(مَعَ ابْنِ مَسْعُودٍ) هو عبد الله بن مسعود الهذلي، الصحابي المشهور الذي هو من علماء الصحابة وقُرّائهم رضي الله عنه، كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مختصًّا بالنعلين والوساد، يحمل نعلي النبي ﷺ، إذا خلعهما النبي ﷺ يحفظهما، وإذا أراد أن يلبسهما يأتيه

بالنعلين، كذلك كان يحمل الوسادة للنبي ﷺ إذا أراد أن يجلس، يُحضِر الوسادة للنبي ﷺ وإذا قام يرفعها، فمن مناقب ابن مسعود رضي الله عنه أن الصحابة كانوا يلقّبونه: بصاحب النعلين والوساد، يعني تشريفًا له؛ لأنه حظِي بهذا الشرف الكبير.

وأحيانًا يقال له: صاحب النعلين والطهور والوساد؛ لأنه كان أحيانًا يُحضِر الطَّهور- الماء الذي يُتوضّأ به- فكان أيضًا أحيانًا يخدم النبي ﷺ بإحضار الطهور، إذا أراد أن يتوضأ يذهب ويجلب الماء، للنبي ﷺ ليتوضأ به.

قال: (أَبُو ذَرٍّ) أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أيضًا، الصحابي المشهور هو ممَّنْ كان يخدم رسول الله ﷺ.

(بُكَيْرٌ) وهو بُكير بن شُريح الليثي رضي الله عنه. قال: (وَلِلَيْثٍ نَسَبُوْا) يعني بُكير نسبه لقبيلة الليث، فيقال له: بُكير بن شُريح الليثي رضي الله عنه.

قال: (وَابْنُ شَرِيْكٍ أَسْلَعُ) من الصحابة الذين خدموا رسول الله ﷺ أسلع بن شريك، وكان صاحب راحلة النبي ﷺ، الراحلة: هي الناقة المُعدّة للسفر، ودائمًا ناقة السفر تكون متميزة، فليست كل النوق تصلح لأن يُسافَر عليها المسافات البعيدة وتحمل الأمتعة الثقيلة، وتسافر من غير أن تتعب، فكما يقول النبي ﷺ: «الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، أو لا تكاد تجد فيها راحلة».

قال: (وَأَرْبَدُ) هو أربد بن حمير رضي الله عنه، كان من خُدّام رسول الله ﷺ.

كذلك (ابْنُ مَالِكٍ) اسمه الأسود بن مالك الأسدي، فلهذا يقول: (كَذَا ابْنُ مَالِكٍ وَالاسْمُ الأَسْوَدُ) يعني ابن مالك واسمه الأسود بن مالك الأسدي من بني أسد رضي الله عنه.

٥- وَابْنُ أَخِيــهِ الْحَدْرَجَانِ جَسْرُ   لَهُ بِخُـدَّامِ النَّــبِيِّ ذِكْــرُ

يقول: جسر بن أخي الأسود بن مالك، اسمه جسْر بن الحدرجان بن مالك الأسدي، وكلاهما من خُدّام رسول الله ﷺ.

(لَهُ بِخُدَّامِ النَّبِيِّ ذِكْرُ) يعني ذُكِر مع خُدّام النبي ﷺ.

واسمه حصل فيه اختلاف: فقيل: اسمه جسْر -بالسين- وقيل: جزر -بالزاي- لكن الاسم الذي اختاره المؤلف هو جسر بن الحدرجان الأسدي.

٦- وَسَــابِقٌ، وَسَــالِمٌ قَــدْ ذُكِرَا   وَقِيْلَ: «سَلْمَى». وَاعْدُدِ (الْمُهَاجِرَا):

٧- قَيْسُ بْنُ سَــعْدٍ، أَيْمَنٌ، ثَعْلَبَةُ   كَـذَا نُعَيْــمٌ أَبُــهُ رَبِيْعَــةُ

٨- كَذَا أَبُو السَّــمْحِ، أَبُو الْحَمْرَاءِ   أَبُــو عُبَيْــدٍ، وَمِــنَ (النِّسَــاءِ):

٩- مَارِيَــةُ.........................   ....

يقول: من خُدّام النبي ﷺ (سَابِقٌ، وَسَالِمٌ) رضي الله عنهما. قال: (وَقِيْلَ: «سَلْمَى») يعني: سالم هذا قيل: اسمه سالم، وقيل: اسمه سلمى، وقيل: اسمه أبو سلمى، يعني هو نفس الصحابي المعدود من خُدّام النبي ﷺ أسماء كلها متشابهة، فكأنه لم يُضبَط اسمه في الروايات.

قال: (وَاعْدُدِ (الْمُهَاجِرَا) كذلك عُدّ من خُدّام رسول الله ﷺ المهاجِر مولى أم سلمة.

قال: (قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ) هو قيس بن سعد بن عُبادة رضي الله عنه، قالوا: كان من المصطفى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من السلطان.

(أَيْمَنٌ) هو أيمن بن أم أيمن، وأم أيمن اسمها بركة الحبشية رضي الله عنهما.

قال: (ثَعْلَبَةُ) هو ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري ﵁.

قال: (كَذَا نُعَيْمُ أَبُهُ رَبِيْعَةُ) هو نعيم بن ربيعة وقيل: نعيم بن ربيعة بن كعب ﵁.

قال: (كَذَا أَبُو السَّمْحِ) من خُدّام رسول الله ﷺ أبو السمح، وقيل: اسمه إياد، وكُنيته أبو السمح، كان من خُدّام رسول الله ﷺ.

و(أَبُو الْحَمْرَاءِ) واسمه هلال بن الحارث، وقيل: هلال بن ظَفَر، واشتُهِر بكنيته «أبو الحمراء» ﵁.

قال: (أَبُو عُبَيْدٍ) أبو عبيد كان من خدام رسول الله ﷺ أيضًا رجل اشتُهر بكنيته أبو عبيد، ولم يُعرَف اسمه، اشتُهر بالكنية أبو عبيد خادم رسول الله ﷺ.

هؤلاء الذين مر ذِكْرهم هم الذين كانوا يخدمون النبي ﷺ من الرجال.

وأما من النساء:

٨- .... وَمِنَ (النِّسَاءِ):

٩- مَارِيَةُ اثْنَتَانِ، مَعْ رَزِيْنَةِ ... وَأَمَةِ اللهِ لِهَذِهِ ابْنَةِ

١٠- صَفِيَّةٌ، وَخَوْلَةٌ، خَضِرَةُ ... سَلْمَى، وَأُمُّ أَيْمَنٍ بَرَكَةُ

١١- وَأُمُّ عَبَّاسٍ، كَذَا مَيْمُونَةُ ... وَفِي الْمَوَالِي: ذُكِرَتْ ذِي الْخَمْسَةُ

من النساء اللائي كن يخدمن النبي ﷺ ذكر مارية قال: (اثْنَتَانِ) يعني اثنتان كل منهما اسمها مارية، كانتا تخدمان النبي ﷺ، واحدة منهما هي جدّة المثنى بن صالح، وكان يروي عنها حفيدها، لها حديث عند الكوفيين، يعني رواة الحديث في الكوفة.

والثانية اسمها مارية بنت الرباب، وهذه لها حديث عند البصريين.

وعلماء الحديث أيضًا اختلفوا هل هما واحدة، أو أنهما اثنتان؟ ابن عبد البر قال: الظاهر أنها التي قبلها، وقال آخرون: هما اثنتان كما رجّحه هنا الحافظ العراقي حيث قال: (مَارِيَةٌ اثْنَتَانِ) يرى أنهما امرأتان مختلفتان، والله ﷻ أعلم.

(مَعْ رَزِيْنَةِ) كذلك ممَّنْ خدم النبي ﷺ رزينة رضي الله عنها.

(وَأَمَةِ اللهِ لِهَذِهِ ابْنَةِ) يعني: وممَّنْ كان يخدم النبي ﷺ صحابية كريمة اسمها أمة الله وهي بنت رزينة، ورزينة رضي الله عنها روت عن النبي ﷺ حديثًا عن صيام عاشوراء.

و(صَفِيَّةٌ) وكذلك ممَّنْ خدم النبي ﷺ صفية، وخولة، وخضرة، وسلمى، وأم أيمن.

قال: (وَأُمُّ عَبَّاسٍ، كَذَا مَيْمُونَةُ) أم عباس، في النسخة الأصح: أم عباس –بالباء الموحدة، والسين المهملة– كما ذكر ابن عبد البر –رحمه الله– في كتاب الاستيعاب، وابن الأثير في كتاب أُسْد الغابة، والحافظ بن حجر في الإصابة قال: أم عياش،–بالياء آخر الحروف، والشين المعجمة– ولعل واحدة منهم تكون تصحيفًا من النُسّاخ. والله ﷻ أعلم.

(كَذَا مَيْمُونَةُ).

يقول: (وَفِي الْمَوَالِي: ذُكِرَتْ ذِي الْخَمْسَةُ) آخر خمسة جاءت أسماؤهن، وهن: خضرة، وسلمى، وأم أيمن، وأم عباس، وميمونة، هؤلاء الخمس كن يخدمن النبي ﷺ، وقيل: إنهن عُدِدن أيضًا من موالي النبي ﷺ، يعني كُنّ إماء وأعتقهن النبي ﷺ، وليس هناك تعارض بين أن يكون الشخص معدودًا من موالي النبي ﷺ ومعدودًا من خُدّامه أيضًا، فيكون عبدًا مملوكًا وأعتقه النبي ﷺ وكان يخدم النبي ﷺ في نفس الوقت، فآخر خمس ذُكرن هن من موالي النبي ﷺ، وفي نفس الوقت هنّ ممَّنْ خدمن رسول الله ﷺ.

ذِكْر مواليه ﷺ

يذكر موالي النبي ﷺ، يعني منْ كانوا عبيدًا مملوكين وأعتقهم النبي عليه الصلاة والسلام.

والمولى إما أنه أُعتق هو نفسه، أو أن النبي ﷺ أعتق أباه فالولاء ينتقل إلى ذرية المُعتَق.

يقول:

١- زَيْـدٌ، أُسَـامَةُ ابْنُـهُ، ثَوْبَانُ ... أَنَسَـةٌ، وَصَالِـحٌ شُـقْرَانُ

٢- كَذَا أَبُو كَبْشَـةَ وَاسْمُهُ سُلَيْمُ ... أَوْ أَوْسُ أَسْـمَاهُ بِـهِ: أَبُـو نُعَيْمُ

٣- كَـذَا رَبَاحٌ، وَيَسَـارٌ، مِدْعَمُ ... كَـذَا أَبُـو رَافِـعَ وَهُوَ «أَسْـلَمُ»

٤- وَقِيْـلَ: إِبْرَاهِيْـمُ أَوْ فَثَابِـتُ ... أَوْ هُرْمُـزٌ يَزِيْـدُ، خُلْـفٌ ثَابِتُ

٥- وَرَافِـعٌ، كِرْكِـرَةٌ، فَضَالَـةُ ... وَوَاقِـدٌ، سَـفِيْنَةٌ، فَـزَارَةُ

هؤلاء كلهم من موالي رسول الله ﷺ، بدأ بزيد بن حارثة الكلبي رضي الله عنه، كان مولى لرسول الله ﷺ، وكذلك ابنه أسامة بن زيد، الصحابيان الجليلان المشهوران، وكان النبي ﷺ يحبهما حبًّا عظيمًا، وكان يقال لأسامة: حِب رسول الله، ابن حِب رسول الله.

وزيد بن حارثة رضي الله عنه كان أبيض البشرة، وزوّجه النبي ﷺ من أم أيمن بركة الحبشية، وولدت له أسامة وكان أسامة أسود البشرة رضي الله عنه، فكان زيد أبيض، وكان ابنه أسامة أسود رضي الله عنهما وكان النبي ﷺ يحبهما.

(**ثَوْبَانُ**) كذلك من موالي رسول الله ﷺ ثوبان، وكُنيته: أبو عبد الله، وله أحاديث يرويها عن النبي ﷺ.

و(أَنَسَةُ) من الصحابة أنسةُ، هذا اسم رجل أيضًا من موالي رسول الله ﷺ، كُنيته: أبو مسروح.

قال: (وَصَالِحٌ شُقْرَانُ) اسمه: صالح، ويُلقّب بشُقران -بضم الشين- كان أيضًا من موالي رسول الله ﷺ.

قال: (كَذَا أَبُو كَبْشَةَ وَاسْمُهُ سُلَيْمُ) من موالي رسول الله ﷺ أبو كبشة، واسمه سُليم، كُنيته: أبو كبشة، واسمه: سُليم.

قال: (أَوْ أَوْسٌ أَسْمَاهُ بِهِ: أَبُو نُعِيْمُ) يقول: إن الإمام أبا نعيم سمّاه أوسًا، فأبو كبشة، أكثر مَنْ ترجم له سماه سليمًا، ولكنْ أبو نعيم قال: إن أبا كبشة اسمه أوس، فإذًا أوس أو سُليم هما شخص واحد كُنيته أبو كبشة.

قال: (كَذَا رَبَاحٌ، وَيَسَارٌ) رباح أيضًا كان مولى وكان أسود رضي الله عنه، كان من موالي رسول الله ﷺ، ويسار كان نوبيًّا.

و(مِدْعَمُ) مدعم أيضًا كان مولى، وكان أسود البشرة، وهبه له رفاعة بن زيد الجذامي، وأعتقه النبي ﷺ.

قال: (كَذَا أَبُو رَافِعَ وَهُوَ «أَسْلَمُ») أبو رافع واسمه أسلم رضي الله عنه.

(وَقِيْلَ: إِبْرَاهِيْمُ) يعني أبو رافع مولى رسول الله ﷺ اشتُهر بكنيته: «أبو رافع»

وذكر المؤلف في اسمه عدة أقوال: قيل: اسمه أسلم، وقيل: إبراهيم، وقيل: ثابت، وقيل: هرمز، وقيل: يزيد. (خُلْفٌ ثَابِتُ) يعني: هذا الخلاف ثابت في اسمه.

قال: (رَافِعٌ) كذلك من موالي رسول الله ﷺ رافع، كان لسعيد بن العاص، وأعطاه للنبي ﷺ.

و(كِرْكِرَةٌ) هذا كان على ثَقل المصطفى ﷺ، و كلمة الثقل هذه تأتي بمعنى العيال، وتأتي بمعنى ما يثقل حمله من المتاع، يعني كأنه كان يحفظ الأمتعة الثقيلة التي يثقل حمْلها، وهو الذي ورد فيه حديث في صحيح البخاري أنه غلّ، كركرة غلّ شملة، يعني كان في بعض المغازي مع النبي ﷺ وغلّ شملة فغلّ شملة، يعني أخذ شملة من الغنائم قبل أن تُقسّم، أخبر النبي ﷺ أن هذه الشملة تكون عليه نارًا -والعياذ بالله- في قبره، في شملة غلّها، فورد في حقه هذا الوعيد، لكنه كان من المسلمين وهذا الوعيد ورد في حقّه، لعله عُذّب به في القبر، وبعض الشُّرّاح يقولون: هو مستحق لهذا الوعيد إلا أن يعفو الله عنه، أو لعله عُذّب به في القبر حسب مشيئة الله ﷻ فكان مولى للنبي ﷺ ولكن له ذِكْر في الحديث بهذه القصة يعني.

قال: (فَضَالَةٌ) كذلك من موالي النبي ﷺ فضالة. (وَوَاقِدٌ) أيضًا من موالي النبي ﷺ واقد.

و(سَفِيْنَةٌ) سفينة مولى رسول الله ﷺ.

و(فَزَارَةٌ) أيضًا من موالي النبي ﷺ.

٦- طَهْمَانُ أَوْ كَيْسَـــانُ أَوْ مِهْرَانُ ... مَــوْلاَهُ أَوْ ذَكْــوَانُ أَوْ مَــرْوَانُ

يقول: أيضًا واحد من موالي النبي ﷺ اختُلف في تعيين اسمه على خمسة أقوال: فقيل: اسمه طهمان، وقيل: كيسان، وقيل: مهران، وقيل: ذكوان، وقيل: مروان خمسة أسماء كلها لشخص واحد.

٧- جَــدُّ هِلاَلِ بْــنِ يَسَــارٍ زَيْدُ ... حُنَــيْنٌ، مَأْبُــورٌ، كَــذَا عُبَيْــدُ

٨- أَبُــو عَسِــيبٍ، وَأَبُــو عُبَيْدِ ... مَــعَ أَبِي ضُمَــيْرَةٍ سَــعِيْدِ

فهنا يقول: من موالي النبي ﷺ: جد هلال بن يسار واسمه: زيد بن بولا، قالوا: كان عبدًا نوبيًّا من أهل النوبة، ويروي عنه حفيده هلال بن يسار.

و(**حُنَيْنُ**) أيضًا كان خادمًا للنبي ﷺ، أو عبدًا للنبي ﷺ فوهبه لعمه العباس فأعتقه، النبي ﷺ.

وكلمة المولى تُطلق على العبد الذي أعتقه الشخص فهو من مواليه، وكذلك العبد الذي لا يزال مملوكًا يقال له: مولى أيضًا، فكل مَنْ مملوكًا للنبي ﷺ في وقت من الأوقات فهو من مواليه، وكذلك مَنْ أعتقهم النبي ﷺ فهُم مواليه.

كذلك (**مَأْبُورٌ**) هو مأبور القبطي أهداه له المقوقس، ملك القبط، وقالوا: كان خصيًّا.

كذلك من موالي النبي ﷺ (**عُبَيْدُ**) اسمه عبيد بن عبد الغفار، ومن موالي النبي ﷺ (**أَبُو عَسِيْبٍ**) واسمه أحمر.

(**وَأَبُو عُبَيْدِ**) قالوا: أبو عبيد كان يطبخ للنبي ﷺ.

قال: (**مَعْ أَبِي ضُمَيْرَةٍ سَعِيْدِ**) أبو ضميرة: اسمه سعيد الحميري، كُنيته أبو ضميرة وهو من آل ذي يزن من اليمن.

٩- وَمِــنْ (مَوَالِيْهِ) أَبُــو مُوَيْهِبَةْ ... حَــازُوْا بِــهِ فَخْــرًا عَلِيِّ الْمَرْتَبَةْ

١٠- وَكُلُّ مَــنْ سُــمِّيَ فِيْهَا أَوْ كُنِي ... فَلَــمْ يَــزِدْ عَلَيْهِمُ «عَبْــدُ الْغَنِي»

١١- وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ فِي الْعَدَدْ ... تِسْــعًا وَأَرْبَعِــيْنَ كُلٌّ قَــدْ وَرَدْ:

من موالي النبي ﷺ (**أَبُو مُوَيْهِبَةْ**) ولا يُعرَف اسمه، فهو مشهور بكُنيته.

قال: (حَازُوْا بِهِ فَخْرًا عَلِيَّ الْمَرْتَبَةْ) يعني هؤلاء الذين كانوا موالي النبي ﷺ حازوا فخرًا عليّ المرتبة، يعني هذا شرف عظيم لهم وكبير لهم أن كانوا موالي رسول الله ﷺ، أو تشرفوا بخدمة رسول الله ﷺ.

١٠- وَكُلُّ مَـنْ سُـمِّيَ فِيْهَا أَوْ كُنِي ... فَلَـمْ يَـزِدْ عَلَيْهِمُ «عَبْـدُ الْغَنِي»

يقول: إن الإمام عبد الغني المقدسي -رحمه الله - من حُفّاظ الحديث الأئمة، ذكر كل هؤلاء، ذُكروا بأسمائهم أو ذُكروا بكُناهم، في كتابه في سيرة النبي ﷺ، ولم يزد عليهم: يعني لم يزد على هذا العدد.

١١- وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ فِي الْعَدَدْ ... تِسْـعًا وَأَرْبَعِـيْنَ كُلٌّ قَـدْ وَرَدْ:

يقول: وُجِد في كتب السيرة الأخرى، وكتب تراجم الصحابة أسماء لعدد آخرين من موالي رسول الله ﷺ بلغوا تسعًا وأربعين غير مَنْ سبق ذِكْرهم من قبل.

فأخذ يعد هذه الأسماء التي زيدت على الأسماء التي ذكرها عبد الغني،

١٢- أَفْلَحُ، مَعْ أَنْجَشَـةٍ، وَأَسْـلَمُ ... أَيْمَـنُ، بَـاذَامُ، وَبَـدْرٌ، حَاتِـمُ

١٣- دَوْسٌ، قَفِيْزٌ، سَـابِقٌ، رُوَيْفِعُ ... سَـعِيْدٌ اثْنَـانِ، عُبَيْـدٌ، رَافِـعُ

١٤- سَنْدَرٌ، سَالِمٌ، كُرَيْبٌ، غَيْلَانْ ... كَذَا عُبَيْدُ اللهِ، سَـعْدٌ، سَـلْمَانْ

١٥- مُحَمَّدٌ هُوَ ابْـنُ عَبدِ الرَّحْمَنْ ... مَكْحُولُ، نَافِـعٌ، نُفَيْـعٌ، وَرْدَانْ

يقول: من موالي النبي ﷺ: أفلح، وأنجشة.

وأنجشة كان مشهورًا بالحداء للإبل، الحداء: هو الإنشاد، يعني: ينشد أناشيد من بحر الرجز فكان يرتجز وكان حسن الصوت، والإبل في الأسفار عندما يُرجَز لها من

شخص يكون حاديًا بصوت حسن، الإبل تُسرع في مشيها، وتركض وتسرع في المشي، فكان أنجشة حاديًا للإبل، و«**عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَغُلَامٌ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ**»[١]

وشراح الحديث بعضهم يقول: النبي ﷺ شبّه النساء بالقوارير، يعني الإبل لو أسرعت والنساء يركبن الهوادج فوق الإبل، يخشى أن تسقط النساء من سرعة الإبل، فينكسرن كما تنكسر القوارير إذا سقطت.

وهناك تفسير آخر: قالوا: إنه كان حسن الصوت، فخشي النبي ﷺ أن تفتتن النساء بحُسن صوته، فقال: رويدك. لا تبالِغ يعني في تحسين صوتك بالإنشاد حتى لا تفتتن النساء بحُسن الصوت. هذا رأي لبعض شُرّاح الحديث والله ﷻ أعلم.

قال: (وَأَسْلَمُ) اسمه أسلم بن عبيدة، وهو أيضًا من موالي الرسول ﷺ وكان حاديًا أيضًا لإبل النبي ﷺ.

و(أَيْمَنُ) هو أيمن بن عبيد، وهو المعروف بأيمن ابن أم أيمن، أمه: أم أيمن بركة الحبشية، ومرّ ذِكْره في خُدّام رسول الله ﷺ، وهنا يذكره في موالي رسول الله ﷺ، ولا تعارُض؛ فبعض خُدّام النبي ﷺ كانوا من مواليه في نفس الوقت، و بعضهم لم يكونوا موالي، مثل: أنس، عبد الله بن مسعود، وأبي ذر الغفاري، هؤلاء كانوا من خُدّام النبي ﷺ وليسوا من الموالي، وبعض خُدّام النبي ﷺ كانوا من الموالي، فبعض الأسماء تتكرر تأتي مع الخُدّام وتأتي مع الموالي.

فهنا أيمن بن عبيد معدود مع خُدّام النبي ﷺ، ومعدود مع الموالي أيضًا.

[١] متفق عليه: البخاري٦١٦١ ومسلم٢٣٢٣.

قال: و(بَاذَامٌ) رضي الله عنه كان أيضًا من موالي النبي ﷺ، باذام.

(وَبَدْرٌ) أيضًا من موالي النبي ﷺ صحابي اسمه بدر، كُنيته أبو عبد الله.

و(حَاتِمٌ)، و(دَوْسٌ)، و(قَفِيْزٌ) هذه كلها من أسماء الصحابة الذين كانوا موالي رسول الله ﷺ، عندنا حاتم، ودوس، وقفيز (بفتح القاف)، و(سَابِقٌ)، و(رُوَيْفِعُ) اليماني، رويفع هذا كان من أهل اليمن.

(سَعِيْدٌ اثْنَانِ) يقول: هناك اثنان من موالي النبي ﷺ اسمهما سعيد: واحد اسمه سعيد بن زيد، والآخر اسمه سعيد بن كندة.

قال: (عُبَيْدٌ)، و(رَافِعُ)، و(سَنْدَرُ) من موالي النبي ﷺ مولى اسمه سندر.

و(سَالِمٌ، كُرَيْبٌ، غَيْلاَنْ)، و(عُبَيْدُ اللهِ) اسمه عبيد الله بن أسلم، و(سَعْدٌ).

(سَلْمَانْ) وهو سلمان الفارسي المشهور رضي الله عنه، هو من موالي النبي ﷺ، وقصة سلمان أنه كان أبوه دهقان القرية، والدهقان هو مثل: رئيس القرية أو عمدة البلد في قرية من بلاد فارس، وكان مجوسيًّا، أبوه كان غنيًّا، والتقى ببعض النصارى الذين قدموا للتجارة في بلاد الفرس، وسمع منهم عن دينهم فأعجبه دينهم، كان يعني لم يكن مقتنعًا بدين المجوس الذي هو عبادة النار، والتقى ببعض النصارى فأعجبه دينهم فسألهم أين أصل هذا الدين؟ فقالوا: في الشام.

فارتحل معهم إلى الشام في قصة طويلة.. وظل يتنقل في خدمة بعض كبار علماء النصارى في الشام قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام والتقى ببعض علماء النصارى الذين كانوا لا يزالون على الحق، يؤمنون بأن الله جل وعلا إله واحد، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وينتظرون بعثة النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام فصار معهم يخدمهم ويتنقل من واحد إلى الآخر، كلما

حضرت أحدهم الوفاة أوصى به إلى آخر فينتقل إليه.

وآخر واحد منهم قال له: لم يبق أحد على ظهر الأرض على مثل ما كنّا عليه، ولكن هذا زمان مبعث النبي الخاتم مُهاجره يثرب فاذهب إليها فانتظره هناك.

فوجد قومًا من العرب في الشام مسافرين إلى يثرب، فتفاوض معهم حتى يحملوه إلى المدينة بالأجرة، وأعطاهم بعض الغنم، وبعض الأموال، فغدروا به لما وصلوا إلى يثرب ادّعوا أنه عبد جلبوه معهم من الشام وباعوه في السوق لرجل من اليهود، باعوه على أنه مملوك، وقالوا: هذا العبد يكذب ويدّعي أنه حر، وصار رقيقًا، فظل هناك يخدم سيده اليهودي هذا حتى هاجر النبي ﷺ.

وكان النصارى الذين علّموه صفات النبي الخاتم ذكروا له أن من علامات النبي ﷺ: أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فجاء مرة بتمر إلى النبي ﷺ فقال: هذا صدقة فلم يأكل منه النبي ﷺ، مرة ثانية قال: هذه هدية فأكل منه النبي ﷺ.

وخاتم النبوة بين كتفيه مثل شامة مثل بيضة الحمام بين كتفيه، ورأى خاتم النبوة، وأسلم رضي الله عنه.

بعد ذلك اشتراه النبي ﷺ من صاحبه اليهودي، وأعتقه عليه الصلاة والسلام فصار سلمان من موالي رسول الله ﷺ، وكان يقول: سلمان منّا آل البيت. فهو معدود أيضًا من موالي رسول الله ﷺ.

بعد سلمان قال: (مُحَمَّدٌ هُوَ ابْنُ عَبدِ الرَّحْمَنْ) هو محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، كان أيضًا من موالي رسول الله ﷺ.

و(مَكْحُولُ، نَافِعٌ) وأبو السائب، و(نُفَيْعٌ) هو نفيع بن الحارث، وهو المشهور بكنيته

«أبو بكْرة «الثقفي ﵁، أعتقه النبي ﷺ وكان من علماء الصحابة ﵃.

و(وَرْدَانْ) أيضًا من موالي النبي ﷺ وردان ﵁.

١٦- هُرْمُزُ، وَاقِدٌ، يَسَـارٌ، شَمْعُونْ ضُمَـيْرَةٌ، فَضَالَـةٌ، وَعَمْـرُونْ

فيقول: من موالي النبي ﷺ (هُرْمُزُ) وكُنيته: أبو كيسان، وقيل: هو نفسه طهمان الذي مر ذكره. وبعضهم قالوا: هو شخص آخر.

و(وَاقِدٌ) من موالي النبي ﷺ مولى اسمه واقد.

و(يَسَارٌ) هو يسار بن زيد.

و(شَمْعُونْ) بن يزيد، أبو ريحانة حليف الأنصار، كان من أصل يهودي وأعتقه النبي ﷺ.

و(ضُمَيْرَةٌ) من موالي النبي ﷺ ضميرة.

و(فَضَالَةٌ، وَعَمْرُونْ) عمرون كذلك من موالي النبي ﷺ.

يقول:

١٧- كَـذَا نُبَيْهٌ، وَنَبِيْـلٌ، وَهِلاَلْ كَـذَا أَبُـو رَافِـعٍ آخَـرٌ يُقَـالْ

من موالي النبي ﷺ (نُبَيْهٌ) اشتراه النبي ﷺ وأعتقه.

(وَنَبِيْلٌ) نبيل أيضًا اسم مولى من موالي النبي ﷺ.

(وَهِلاَلْ) بن الحارث، ويقال: هلال بن ظفر، ومرّ في خُدّام رسول الله ﷺ.

و(أَبُو رَافِعٍ) يقول: آخر غير أبي رافع المشهور، أبو رافع غير أبي رافع المشهور، هناك آخر من موالي النبي ﷺ كُنيته أبو رافع.

١٨- أَبُــو الْبَشِــيْرِ، وَأَبُــو أُثَيْلَةِ أَبُــو لَقِيْــطٍ، وَأَبُــو صَفِيَّــةِ

يقول من موالي النبي ﷺ: (أَبُو الْبَشِيْرِ، وَأَبُو أُثَيْلَةِ أَبُو لَقِيْطٍ، وَأَبُو صَفِيَّةِ) كلهم من موالي رسول الله ﷺ.

١٩- كَــذَا أَبُو الْحَمْرَا، أَبُو سَــلاَّمِ مَــعَ أَبِي هِنْــدٍ، أَيِ الْحَجَّــامِ

من موالي النبي ﷺ أبو الحمراء، وأبو الحمراء هذا مر ذكره في خُدّام النبي ﷺ.

و(أَبُو سَلاَّمِ) واسمه حُريث، كان راعيًا لنَعَم النبي ﷺ، وكان من مواليه، وكُنيته: أبو سلام.

وأبو هند، قال: (أَيِ الْحَجَّامِ) أبو هند اشتراه النبي ﷺ منصرفه من الحديبية وأعتقه، كان حجّامًا.

٢٠- كَذَا أَبُــو الْيُسْرِ، أَبُــو لُبَابَةِ كَــذَا أَبُو سَــلْمَى، مَــعَ أَبِي قَيْلَةِ

من موالي النبي ﷺ: أبو اليسر، واسمه كعب بن عمرو رضي الله عنه، وأبو لبابة كان لبعض عمّات النبي ﷺ فوهبته له.

(كَذَا أَبُو سَلْمَى) كان راعيًا للنبي ﷺ وكان مولى من مواليه، (مَعْ أَبِي قَيْلَةِ) أبو قيلة وهذا أيضًا من موالي النبي ﷺ.

٢١- أَمَّا (الإِمَاءُ) فَذُكِرْنَ خَمْسَــةُ فِيمَــا مَضَى رَضْوَى، كَــذَا أُمَيْمَةُ

٢٢- رُبَيْحَــةٌ، رَزِيْنَــةٌ، رُكَانَــةُ كَــذَاكَ قَيْسَــرُ أُخْتُهَــا مَــارِيَــةُ

٢٣- مَيْمُونَةُ اثْنَتَانِ، وَالْبَعْضُ جَعَلْ تَيْنِ: مِــنَ الْخُدَّامِ فِيمَــا قَدْ نَقَلْ

يقول: موالي النبي ﷺ من الإماء، (فَذُكِرْنَ خَمْسَةٌ) يعني هناك خمسة مرّ ذكرهن، هنّ: خضرة، وسلمى، وأم أيمن، وأم عباس، وميمونة. فهؤلاء خمس إماء للنبي ﷺ ذُكِرن مع خُدّام النبي ﷺ، فهنّ من الخُدّام ومن الموالي، يعني خدمن النبي ﷺ، وكُنّ من مواليه أيضًا ﷺ في نفس الوقت، أو من إمائه أيضًا عليه الصلاة والسلام.

يقول ومن هُنّ أيضًا (رَضْوَى) الآن هو يزيد على هؤلاء الخمس، فيزيد عليهن من إماء النبي ﷺ أمة اسمها رضوى رضي الله عنها.

وكذلك (أُمَيْمَةُ)، و(رُبَيْحَةٌ، رَزِيْنَةٌ، رُكَانَةٌ) كل هؤلاء إماء من إماء النبي ﷺ ورضي الله عنهن.

قال: (كَذَاكَ قَيْسَرُ اخْتُهَا مَارِيَةٌ) قيسر القبطية أخت مارية القبطية، وهذه أخرى غير سيرين، فالمقوقس أهدى إلى النبي ﷺ أربع إماء، منهُنّ مارية التي اصطفاها النبي ﷺ لنفسه وولدت له ابنه إبراهيم، وأخت مارية، واسمها قيسر، وأمة أخرى اسمها سيرين وقيل أيضًا: هي أخت أخرى لمارية هي التي وهبها النبي ﷺ لحسان بن ثابت وهي أم ابنه عبد الرحمن بن حسّان رضي الله عنه.

فالمقوقس أهدى إلى النبي ﷺ: مارية، وسيرين، وقيسر، وجارية أخرى اسمها بريرة، والعبد مأبور، وبغلة شهباء يقال لها: دلدل، قيل: بيضاء وقيل: شهباء، والشهباء: لونها أبيض فيه قليل من السواد، وفرسًا اسمه ميمون، وحمارًا أشهب اسمه يعفور، وكل هذه اصطفاها النبي ﷺ وكان يستعملها النبي عليه الصلاة والسلام فاستعمل الحمار يعفور، والفرس ميمون. وأرسل مكحلة ومرآة ومشطًا وقارورة دهن وعودًا ومسكًا وبعض الطيب، وأرسل عسلًا من عسل بنها، وألف مثقال من الذهب وقدحًا من القوارير، وعشرين ثوبًا من قباطي مصر، فبعث هذه الهدايا مع حاطب.

وفي الطريق دعا حاطب هؤلاء الإماء والعبيد إلى الإسلام، فأسلمت مارية وسيرين في الطريق، ما وصلتا إلى المدينة إلا مسلمتين، فكان هذا من مناقبهما، أنهما استجابتا لدعوة الإسلام وأسلمتا، قبل الوصول إلى المدينة رضي الله عنهما.

وقيسر هذه أيضًا مولاة لرسول الله، وقالوا: إنها كانت أختًا لمارية أخرى يعني غير سيرين.

و(مَيْمُونَةُ اثْنَتَانِ) من موالي النبي ﷺ ميمونة، واحدة اسمها ميمونة بنت سعد، والأخرى ميمونة بنت أبي عسيب.

قال: (وَالْبَعْضُ جَعَلْ تَيْنِ: مِنَ الْخُدَّامِ فِيمَا قَدْ نَقَلْ) والبعض عدّوا ميمونة والأمتين اللتين اسمهما ميمونة مع خُدّام النبي عليه الصلاة والسلام.

ذِكْر أفراسه ﷺ

١- سَـــكْبٌ، لِزَازٌ، ظَرِبٌ، وَسَبْحَةُ مُرْتَجِـزٌ، وَرْدٌ، لَحِيْـفٌ، سَـبْعَةُ

٢- وَلَيْسَ فِيْهَا عِنْدَهُمْ مِنْ خُلْفِ وَالْخُلْـفُ: فِي مُـلَاوِحٍ، وَالطِّرْفِ

٣- كَذَاكَ ضَرْسٌ، وَشَحَا، مَنْدُوبُ مِـرْوَاحُ، بَحْـرٌ، أَدْهَـمٌ، نَجِيْـبُ

٤- أَبْلَقُ، مَعْ مُرْتَجِلٍ، مَعْ يَعْسُوبْ سِرْحَانُ، ذو الْعُقَّالِ، سِجْلٌ، يَعْبُوبْ

يقول: إن المصطفى ﷺ كان له عدة أفراس منها سبعة لا خُلف فيها بين علماء السِّيَر ورواة الحديث، واختلفوا في الزيادة على هذه الأفراس السبعة، يعني كل ذكر بعضًا منها، وفيها شيء من الاختلاف.

ويُلاحَظ أن النبي ﷺ كان من هدْيه تسمية خيوله وتسمية إبله وتسمية مقتنياته ﷺ وكان يخص كلًّا منها باسم يُميزه عن الآخر، وكان يختار لها ﷺ أسماء تدل على شيء من صفاتها.

فالأفراس السبعة التي لا خُلف فيها بين العلماء: أولها: اسمه (سَكْبٌ) قالوا: وهو أول فرس ملكه النبي ﷺ، ابتاعه بالمدينة من رجل من فزارة، وأول ما غزا عليه في أحد.

واسمه (سَكْبٌ)، والسكب: هو شديد الجري، يعني شُبّه بانسكاب الماء، الماء المنسكب يجري بسرعة.

الفرس الثاني: اسمه (لِزَازٌ)، ولزاز أي: لا يُسابِق شيئًا إلا لزّه يعني إلا أثبته، فسماه النبي ﷺ بهذا الاسم، وهذا الفرس أهداه له المقوقس.

الفرس الثالث: اسمه الظرب، والظرب: هو الجبل الصغير، كما في الحديث: «اللهم

على الآكام والظراب»، الظراب: هي الجبال الصغيرة، وبطون الأودية.

فهذا الفرس اسمه الظرب؛ سُمي به لقوته وصلابة حافره، وكِبَره وسِمَنه، يُشبه الجبل، وأهداه له فروة بن عمرو الجذامي، أحد الملوك الذين راسلهم النبي ﷺ.

و (سَبْحَةُ) وهي أنثى شقراء ابتاعها من رجل من جهينة بعشر من الإبل.

والخامس (المرتجز) من خيول النبي ﷺ فرس اسمه المرتجز، سُمي به؛ لحُسن صهيله كأنه يُنشد رجزًا، وهذا الفرس اشتراه النبي ﷺ من رجل أعرابي، وكان له قصة: أنه لما اشترى النبي ﷺ الفرس من هذا الأعرابي، وقال: أُعطيك ثمنه بالمدينة، ثم أنكر الأعرابي بعد ذلك أن يكون النبي ﷺ اشترى منه هذا الفرس، وقال: هذا فرسي، ولم تشتره مني، فقال النبي ﷺ: اشتريته منك، فقال: هلم شهيدًا، هات شهيدًا يشهد لك، فقال خزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: أنا أشهد أن رسول الله ﷺ اشتراه منك، ولم يكن حاضرًا.

وسأله النبي ﷺ: كيف شهدت على شيء لم تره؟ قال: يا رسول الله، إنّا نصدقك في خبر السماء، فجعل النبي ﷺ شهادته تعدل شهادة رجلين.

فهذا الفرس هو الذي اشتراه النبي ﷺ من الأعرابي، وشهد له به.

والفرس السادس: اسمه: (وَرْدٌ) وكان هذا الفرس هدية من أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه.

وسمي وردًا: لأن لونه يشبه لون الورد، وكان لون هذا الفرس بين الكميت والأشقر، الكميت: هو الأحمر، والأشقر: هو لون بين الأحمر والأصفر، يشبه اللون البرتقالي.

والفرس السابع: اسمه اللحيف، وقالوا: معنى لحيف: أن ذنبه يمس الأرض، يعني

طويل الذيل. فهذه السبعة ليس فيها اختلاف بين أهل السِّيَر أن النبي ﷺ كان يقتني هذه الخيول السبعة، و بعضها كان هدية، من بعض الملوك، وبعضها أُهدِي إليه من بعض أصحابه، وبعضها اشتراه النبي ﷺ من ماله، وكان يقبل الهدية عليه الصلاة والسلام.

هناك أفراس أخرى وقع فيها خلاف بين أهل السِّيَر، المؤلف هنا ذكر أسماءها، فقال: (وَالْخُلْفُ: فِي مُلاَوِحٍ) فرس اسمه ملاوح، والملاوح معناه: الضامر الذي لا يسمن، وضمور الخيل هذا مزية فيها؛ حتى تكون سريعة الركض.

وفرس آخر اسمه الطرف، والطِّرْف: هو كريم الآباء والأمهات، كلا طرفيه كريم.

وكذلك من أفراسه: (ضَرْسٌ، شَحَا، ومَنْدُوبُ، ومِرْوَاحُ، وبَحْرٌ، وأَدْهَمٌ، ونَجِيبُ، وأَبْلَقُ، ومُرْتَجِلٍ، ويَعْسُوبُ، وسِرْحَانٌ، وذو الْعُقَّالِ، وسِجْلٌ، ويَعْبُوبُ) وهذه كلها أسماء خيول رُوي أن النبي ﷺ اقتناها، وفيها اختلاف ما بين مَنْ يثبت ومَنْ ينفي.

باب (ذِكْر بغاله وحميره ﷺ)

الحمير معروفة، والبغال: هي المتولدة بين الخيل والحمير.

يقول:

١- (بِغَالُهُ) خَمْسَةٌ أَوْ فَسِتَّةُ: دُلْدُلُ، مَعْ فِضَّةَ، وَالأَيْلِيَّةُ

٢- وَبَغْلَةٌ أَهْدَى لَهُ الأُكَيْدِرُ وَجَاءَ مِنْ كِسْرَى، وَفِيْهِ نَظَرُ

٣- وَبَغْلَةٌ أَهْدَى لَهُ النَّجَاشِي وَهُوَ بِـ«أَخْلاَقِ النَّبِيِّ» الْفَاشِي

٤- (حِمَارُهُ) عُفَيْرٌ، اوْ يَعْفُورُ أَوْ فَهُمَا اثْنَانِ، وَذا الْمَشْهُورُ

٥- وَكَوْنُهُ كَانَ اسْمُهُ زِيَادَا أَوْ فَيَزِيْدَ: مُنْكَرٌ إِسْنَادَا

٦- وَثَالِثٌ: أَعْطَاهُ سَعْدٌ يُسْنِدُهْ رَدِيْفُهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَلَدُهْ

يقول: بغال النبي ﷺ كانت خمسة أو ستة: منها بغلة اسمها: دُلدل، وأهداها له المقوقس.

وهي بغلة بيضاء، وكان يركبها في السفر ﷺ.

والبغلة الثانية: اسمها فضة، وأهداها له فروة بن عمرو الجذامي، فوهبها النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

البغلة الثالثة: اسمها الأيلية نسبةً إلى أيلة، وأيلة هي المنطقة التي تُعرَف الآن بإيلات في فلسطين، اليهود الآن يسمونها إيلات، و كان اسمها أيلة. وقد أهداها له ملك أيلة.

وبغلة أخرى أهداها له الأُكيدر، الأكيدر: ملك دومة الجندل.

وهناك بغلة قال: رُوي أن كسرى ملك الفرس أهداها إلى النبي ﷺ، لكن هذه الرواية قال: فيها نظر كما قال: (وَجَاءَ مِنْ كِسْرَى، وَفِيْهِ نَظَرُ) يعني هذا فيه نظر ولا يصح؛ لأن الثابت المعروف أن كسرى مزّق كتاب النبي ﷺ وأساء الرد. فالصحيح: أن كسرى لم يُهدِ إلى النبي ﷺ شيئًا، بل أساء الرد ومزّق الكتاب، فهذا الكلام رُوي لكنه لا يصح ولا يثبت.

قال: (وَبَغْلَةً أَهْدَى لَهُ النَّجَاشِي) وهناك بغلة أهداها النجاشي، ملك الحبشة أهدى إلى النبي ﷺ بغلة.

قال: (وَهُوَ بِـ«أَخْلاَقِ النَّبِيِّ» الْفَاشِي) يعني وهذا الكلام مذكور في كتاب «أخلاق النبي ﷺ» وهو كتاب للإمام أبي الشيخ الأصبهاني من حُفّاظ الحديث، وهو كتاب فاشٍ يعني: منتشر ومشهور.

وكان له حمير ﷺ منها حمار اسمه: عفير قال: (أَوْ يَعْفُورُ أَوْ فَهُمَا اثْنَانِ)، فبعض الروايات تقول: إنه حمار واحد اسمه عفير، وبعضهم يسميه يعفورًا، وبعض علماء السِّيَر قالوا: هما حماران مختلفان، عفير غير يعفور.

وهذا الحمار أهداه له المقوقس.

قال: (أَوْ فَهُمَا اثْنَانِ، وَذا الْمَشْهُورُ) الإمام العراقي يقول: المشهور أنهما اثنان؛ لأن عُفير غير يعفور، وإذا أخذنا بهذا القول، فالذي أهداه المقوقس هو عفير.

قال: (وَكَوْنُهُ كَانَ اسْمُهُ زِيَادًا أَوْ فَيَزِيْدَ) يقول: هذا (مُنْكَرٌ إِسْنَادًا) يقول: بعض الناس زعموا أن الحمار اسمه زياد بن شهاب أو يزيد بن شهاب سموه، وسموا أباه أيضًا، فقال: هذا الكلام (مُنْكَرٌ إِسْنَادًا) يعني سنده منكر يعني لا يثبت أن الحمار كان اسمه زياد بن شهاب ولا يزيد بن شهاب، قال: هذا الكلام لا يثبت.

وكان ﷺ عنده حمار ثالث (أَعْطَاهُ سَعْدٌ) كان هدية من سعد بن عبادة رضي الله عنه، وجد النبي ﷺ ماشيًا فأهدى له حمارًا يُقِلّه إلى بيته، ثم أرسل ابنه قيس بن سعد، قال: (سَعْدٌ يُسْنِدُهْ رَدِيْفُهُ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ وَلَدُهْ)، فسعد بن عبادة ألح على النبي ﷺ أن يركب الحمار، ثم بعث سعد بن عبادة ابنه قيس بن سعد إلى النبي ﷺ يقول له: لا ترد الحمار وهو هدية من أبي.

باب (ذِكْر لقاحه وجماله) ﷺ

واللقاح: هي النوق، جمْع لِقحة، وهي الناقة ذات اللبن فهذه اللقاح، والجِمال: هي ذكور الإبل.

يقول:

١- كَانَـتْ لَهُ (لِقَـاحُ): الْحِنَّـاءُ عُرَيِّـسٌ، بُغُـومٌ، السَّـمْرَاءُ
٢- بُـرْدَةُ، وَالْمَـرْوَةُ، وَالسَّـعْدِيَّةُ حَفِـدَةٌ، مُهْـرَةُ، وَالْيَسِـيْرَةُ
٣- رَيَّـاءُ، وَالشَّـقْرَاءُ، وَالصَّهْبَاءُ عَضْبَـاءُ، جَدْعَاءُ، هُمَـا الْقَصْوَاءُ
٤- وَغَيْرُهُنَّ. وَ (الْجِمَالُ): الثَّعْلَبُ وَجَمَـلٌ أَحْمَـرُ، وَالْمُكْتَسَـبُ
٥- غَنِيْمَـةً فِي يَوْمِ بَـدْرٍ مِنْ أَبِي جَهْـلٍ، فَأَهْـدَاهُ إلى الْبَيْتِ النَّبِي
٦- فِي أَنْفِـهِ بُرَةٌ، اي مِـنْ فِضَّةِ غَاظَ بِـهِ كُفَّـارَ أَهْـلِ مَكَّـةِ

(كَانَتْ لَهُ (لِقَاحُ) كثيرة، تُحلَب وتُدر اللبن، فذكر أسماء بعضها:

فمنها ناقة اسمها (الْحِنَّاءُ) اسمها الحناء: على اسم النبت المعروف الذي يُصبَغ به ويُختضَب به.

وناقة أخرى اسمها (عُرَيِّسٌ).

والثالثة اسمها: (بُغُومٌ) بضم الباء والغين، (بُغُومٌ).

والرابعة اسمها: (السَّمْرَاءُ).

وناقة خامسة اسمها: (بُرْدَةُ) ومما جاء في خبر هذه الناقة: أنها كانت تحلب كما

تحلب لقحتان عظيمتان، وأهداها للنبي ﷺ الضحاك بن سفيان.

وناقة سادسة اسمها: (مَرْوَةُ) أهداها له سعد بن عُبادة رضي الله عنه سيد الخزرج.

والسابعة: (السَّعْدِيَّةُ) وناقة ثامنة اسمها (حَفِدَةُ).

وناقة تاسعة اسمها (مُهْرَةُ)، وهذه أيضًا كانت هدية من سعد بن عبادة رضي الله عنه.

وناقة عاشرة اسمها (الْيَسِيْرَةُ) أو اليُسيرة، رُويت يعني بالضم والفتح.

والناقة الحادية عشرة اسمها (رَيَّاءُ) بفتح الراء وتشديد الياء، وناقة اسمها (الشَّقْرَاءُ)، وناقة اسمها (الصَّهْبَاءُ)، وأخرى اسمها (عَضْبَاءُ، وجَدْعَاءُ) قال: (هُمَا الْقَصْوَاءُ) يعني المؤلف يقول: إن العضباء والجدعاء هما لقبان لنفس الناقة التي اسمها القصواء.

فيقول: إن القصواء هذه كان ناقة لها ذِكْر في أسفار النبي ﷺ ، كانت تسمى أيضًا العضباء والجدعاء.

وقال ابن قتيبة: بل هُن ثلاث، بعض علماء السِّيَر قالوا: لا، العضباء والجدعاء ناقتان أخريان غير القصواء، لكن الإمام العراقي رأيه أن العضباء والجدعاء هما لقبان أو اسمان آخران لنفس الناقة.

قال: (وَغَيْرُهُنَّ) يعني هنا ما قصد الحصر، وإنما ذكر بعضًا منهن وله ﷺ نوق أخرى غير هذه.

قال: (وَ(الْجِمَالُ): الثَّعْلَبُ) الجِمال هي ذكور الإبل، كان عنده من الجِمال جَمَل يقال له: ثعلب، قال: (وَجَمَلٌ أَحْمَرُ) يقال له: الجمل الأحمر.

قال: (وَالْمُكْتَسَبُ غَنِيْمَةً فِي يَوْمِ بَدْرٍ مِنْ أَبِي جَهْلٍ) كان النبي ﷺ عنده جمل اكتسبه غنيمة في يوم بدر، كان مملوكًا لأبي جهل، وهذا الجمل كان أبو جهل معلمه ببرة من

الفضة، أي: وضع له حلقة من الفضة في أنفه تُميزه، وظل عند النبي ﷺ حتى عمرة الحديبية، فأهدى النبي ﷺ هذا الجمل للبيت ليغيظ به الكفار.

باب (ذِكْر منائحه وديكه ﷺ)

المنائح: جميع منيحة، والمقصود هنا: الشياه يعني الغنم، والمنيحة في الأصل: هي الشاة التي يعيرها إنسان لآخر حتى يشرب من لبنها ويعيدها إليه، ثم صارت تُطلَق على الشياه ذات اللبن بصفة عامة.

فهنا المقصود: الشياة أو الأغنام التي كانت عند النبي ﷺ يحلب منها ويشرب من لبنها ﵊.

١- كَانَتْ لَهُ مَنَائِحُ: بَرَكَةُ ... زَمْزَمُ، سُقْيَا، عَجْرَةٌ، وَوَرْشَةُ
٢- أَطْلَالُ، أَطْرَافٌ، قَمَرْ، مَعْ يَمَنِ ... غَوْثَةٌ اوْ غَيْثَةُ، بَلْ فِي السُّنَنِ:
٣- كَانَتْ لَهُ مِئَةُ شَاةٍ غَنَمَا ... وَلاَ يُرِيدُ أَنْ تَزِيدَ، كُلَّمَا:
٤- وَلَّدَ مِنْهَا بَهْمَةً، رَاعِيْهَا ... ذَبَحَ شَاةً، لاَ يَزِيْدُ فِيْهَا
٥- وَكَانَ أَيْضًا عِنْدَهُ: دِيْكٌ لَهُ ... أَبْيَضُ، فـ«الْمُحِبُّ» قَدْ نَقَلَهُ

يقول: إن النبي ﷺ كانت له منائح، يحلبها ﵊ ذكر بعض أسمائهن قال: كانت ترعاهن أم أيمن، حاضنة النبي ﷺ كانت ترعى هذه الشياة.

فمنها: شاة اسمها بركة، وشاة اسمها زمزم، وشاة اسمها سُقيا، وشاة اسمها عجرة، وورشة، وأطلال، وأطراف، وقمر، ويمن، وغوثة، أو غيثة؛ فهذه أسماء بعض الشياة التي نُقِل أن النبي ﷺ سمّى بها بعض شياهه.

قال: (بَلْ فِي السُّنَنِ) طبعًا هذه بعض أسماء شياه النبي ﷺ، ثم يشير إلى أنه ورد في السنن يقصد سنن أبي داود: أن النبي ﷺ كان له مئة شاة من الغنم، لا يريد أن تزيد

عليها، يعني كان حريصًا أن غنمه ما تزيد عن المائة، كلما ولِدت بهمة، ذبح النبي ﷺ مكانها شاة كبيرة، بحيث يظل العدد دائمًا ثابتًا على المئة.

ثم يقول: إنه ﷺ كان عنده ديك أبيض، يقول هذا الكلام نقله المحب، وهو المحب الطبري من الفقهاء الشافعية، له كتب في سيرة النبي ﷺ وأخباره، فذكر قصة هذا الديك الأبيض، الذي كان يوقظ النبي ﷺ للصلاة.

والشارح يقول: أما البقر فلم يُنقَل أنه ملك منها شيئًا عليه الصلاة والسلام لكنه ضحّى عن نسائه بالبقر في حجّة الوداع، يعني النبي ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقر فيُحتمَل أنه ما اقتناه مدة طويلة، يعني اشتراه ليضحي به، وما كان يحتفظ بالأبقار يعني يقتنيها بصفة دائمة عليه الصلاة والسلام.

(ذِكْر سلاحه) عليه الصلاة والسلام

١- كَانَ لَهُ مِـنَ الرِّمَـاحِ خَمْسَـةُ مِـنْ قَيْنُقَـاعَ جَـاءَهُ ثَلاَثَـةُ

٢- وَرَابِـعٌ لَهُ يُسَـمَّى: الْمُثْوِيَـا وَالْخَامِـسُ: الْمُثْنِي، بِذَاكَ سُـمِّيَا

كان له صلى الله عليه وسلم خمسة من الرماح.

والرمح: عبارة عن حديدة طويلة، أو عصًا طويلة وفي أطرافها حديدة مسنونة.

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان عنده خمسة من الرماح، غَنِم من بني قينقاع ثلاثة.

والرابع اسمه: المثوي.

والخامس اسمه: المثني.

٣- (أَقْوَاسُـهُ) خَمْسَـةٌ: الرَّوْحَاءُ وَقَـوْسُ شَـوْحَطٍ هِيَ الْبَيْضَـاءُ

٤- وَقَـوْسُ نَبْـعٍ وَهِيَ الصَّفْـرَاءُ كَذَلِـكَ الْكَتُـومُ، وَالـزَّوْرَاءُ

القوس: عصا مقوسة ويُشَد فيها وتر، ترمَى بها السهام.

فأقواس النبي عليه الصلاة والسلام: خمسة: واحدة اسمها: الروحاء، والثانية: اسمها البيضاء وهي من شوحط، وهو صنف من شجر الجبال.

وقوس أخرى اسمها نبع، وهي الصفراء، يقال لها: نبع، ويقال لها: الصفراء، اسمان لقوس واحدة، والرابعة: يقال لها: الكتوم ، سُميت بذلك؛ لانخفاض صوتها إذا رمى عنها، لا يصدر عنها صوت، فلا يتنبه العدو إلا والسهم قد أصابه.

والقوس الخامسة يقال لها: الزوراء. هذه أقواس النبي عليه الصلاة والسلام.

٥- كَانَـتْ لَهُ تُـرْسٌ بِـهِ تِمْثَـالُ | كَرِهَـهُ، فَذَهَـبَ التِّمْثَـالُ
٦- كَـذَا الزَّلُوقُ لِلسِّـلَاحِ يُزْلِقُ | وَتُرْسُـهُ الثَّالِـثُ فَهُـوَ الْفُتُـقُ

النبي ﷺ كان عنده ثلاثة أتراس، الترس: قطعة حديد كبيرة، ولها مقبض تُمسَك منه من الداخل، ويُتَّقى به ضربات الأعداء، يشبه (الصينية) الكبيرة.

فالنبي ﷺ كان عنده ثلاثة أتراس: الترس الأول أُهدِي للنبي ﷺ وكان به تمثال عُقاب أو كبش، كان منقوشًا على الترس، فكرهه النبي ﷺ، فرُوي أنه وضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال، يعني معجزة له عليه الصلاة والسلام.

وكان عنده ترس أخرى سماها الزلوق؛ لكون السلاح يزلق فيها ولا يخرقها.

والترس الثالث: اسمه الفُتُق بضم الفاء والتاء.

وذكر أنه رُوي أيضًا أنه كان له ترس رابع يسمى الموجز، وخامس يُسمى الجمع. والله جل وعلا أعلم.

٧- (أَسْيَافُهُ) الْحَتْفُ، وَذُو الفِقَارِ | مَأْثُـوْرٌ، الْعَضْـبُ، مَـعَ الْبَتَّـارِ
٨- كَـذَاكَ مِخْذَمٌ، كَذَا رَسُـوبُ | وَالْقَلَـعِي لَـمْ يُسْـمَ، وَالْقَضِيْبُ
٩- وَقِيْلَ: «ذَا قَضِيْبُهُ الْمَمْشُـوقُ | كَانَ بِأَيْـدِي الْخُلَفَـا يَشُـوقُ

أسياف النبي ﷺ كثيرة، ذكر المؤلف منها تسعة، وقيل: كان له أحد عشر سيفًا عليه الصلاة والسلام.

الأول: اسمه الحتف، وهذا غنمه النبي ﷺ من بني قينقاع.

والثاني: اسمه ذو الفقار، وهذا غَنِمه النبي ﷺ يوم بدر.

والثالث: اسمه مأثور، وهذا ورثه النبي ﷺ عن أبيه.

والسيف الرابع: اسمه العضب، وهذا كان هدية من سعد بن عُبادة رضي الله عنه للنبي ﷺ عند توجّهه لبدر.

والسيف الخامس: اسمه البتّار، هذا كان أيضًا غنيمة من يهود بني قينقاع.

والسيف السادس: اسمه مِخذم، وهو السريع القطع.

والسيف السابع: اسمه رسوب.

ومخذم والرسوب كانا على الفلس صنم طيء.

والسيف الثامن: قال: (وَالْقَلَعِي لَمْ يُسْمَ) يعني سيف من القلعة أو من مرج القلعة -موضع بالبادية- فنُسِب السيف إلى مكانه، لكن لم يُذكَر اسمه.

والسيف التاسع: اسمه: القضيب، أصل القضيب هو العمود من الخشب، أو العصا الخشبية التي يُعتمَد عليها، فهنا يذكر الاختلاف قيل: إن القضيب هذا: اسم لسيف من سيوف النبي عليه الصلاة والسلام.

وقيل: القضيب هذا ليس اسمًا لسيف من سيوف النبي ﷺ، وإنما هو عصًا كان يتوكأ عليها عليه الصلاة والسلام أو يعتمد عليها، وكانت من شوحط، وهو شجر من شجر الجبال يُصنَع منه الأقواس، ويُصنَع منه العُصي، وبعد وفاته ﷺ ظل الخلفاء- خلفاء بني العباس- يستعملونها، يخطبون بها في الأعياد ،يخرجون معهم هذه العصا النبوية، فظلت بأيدي الخلفاء يتناقلونها خليفة بعد خليفة، ويعتمدون عليها في الخطب.

٩- وَقِيلَ: «ذَا قَضِيْبُهُ الْمَمْشُوقُ كَانَ بِأَيْدِي الْخُلَفَا يَشُوقُ

يشوق: من الشوق يعني يُشوّق إلى النبي ﷺ عندما يراه الناس، فظل بعد النبي ﷺ

في أيدي الخلفاء، إذا رآه الناس معهم يتذكرون النبي عليه الصلاة والسلام.

بعد ذلك يتكلم عن أدراع النبي ﷺ، الأدراع: جمع درع، والدرع عبارة عن حلقات صغيرة من الحديد يُنسَج بعضها في بعض بحيث تصبح على شكل القميص، له كُمّان يدخل فيهما ذراعيه. والنبي ﷺ كان عنده دروع، وفي يوم أُحُد النبي ﷺ ظاهر بين درعين، يعني لبس درعًا فوق درع؛ حتى يُعلّم أمته الأخذ بالأسباب، وكان عنده سبعة أدراع.

١٠- (أَدْرَاعُهُ) سَـبْعَةٌ: السُّغْدِيَّةُ ذَاتُ الْفُضُـولِ، وَكَـذَاكَ فِضَّـةُ

١١- ذَاتُ الْحَوَاشِي، مَـا لَهَا كِفَاءُ ذَاتُ الْوِشَـاحِ، الْخِرْنِـقُ، الْبَتْرَاءُ

فهذه أسماء الدروع السبعة، أول دِرع يقال لها: السغدية بالسين وبعدها غين ساكنة، وكانت من دروع بني قينقاع، ويقال: إنها من أيام داود عليه السلام، يقال: إن هذه الدرع لبسها داود النبي عليه السلام، لما قاتل جالوت، ولعله من أخبار بني إسرائيل. والله جل وعلا أعلم.

فغنمها النبي ﷺ واستعملها عليه الصلاة والسلام.

والدرع الثانية يقال لها: ذات الفضول، سُميت به؛ لطولها، كانت هدية من سعد بن عبادة رضي الله عنه، أهداها للنبي ﷺ يوم بدر وهو خارج للقتال.

والدرع الثالثة اسمها فضة، لعلها تُشبه الفضة.

والرابعة: ذات الحواشي، قال: (مَا لَهَا كِفَاءُ) يعني: ليس لها درع تكافئها في حُسنها وإتقان صنعتها.

والخامسة: ذات الوشاح، كانت مُوشّحة بنحاس.

والسادسة: الخرنق، والخرنق: هو ذكر الأرنب، فقالوا: شُبِّهت بذكر الأرنب،

وكأنها سُميت بذلك؛ لقصرها، وأنها تُشبه الأرنب.

والسابعة: البتراء، وسُمّيت أيضًا به لِقِصَرها.

١٢- كَانَـتْ لَهُ مِنْطَقَـةٌ أَدِيْـمُ فِضَّـةٌ الحَلَـقُ وَالإِبْزِيْـمُ

يقول: إن النبي ﷺ كانت له منطقة، والمنطقة: هي الحزام، الذي يُلَفّ على البطن، حزام عريض يعني من الجلد.

وحلقه من الفضة وإبزيمه من الفضة، قالوا: كان به ثلاث حِلَق من الفضة.

والإبزيم: هو في رأس المنطقة من الفضة، والطرف من الفضة.كان يشد بها وسطه ﷺ وخاصةً وقت القتال.

بعد ذلك يتكلم عن الرايات والألوية، فيقول:

١٣- (رَايَاتُـهُ) الْعُقَـابُ كَالنَّمْرَاءِ مَعْ رَايَـةٍ صَفْـرَاءَ، مَعْ سَـوْدَاءِ

١٤- كَانَـتْ لَهُ أَلْوِيَـةٌ بِيْضٌ كَذَا أَسْـوَدُ، مَعْ أَغْـبَرَ، مِنْهَـا اتُّخِذَا

النبي ﷺ كان عنده رايات، والراية: هي العلم الكبير.

قال: ((رَايَاتُهُ) الْعُقَابُ) كان عنده النبي ﷺ راية يقال لها العقاب.

(كَالنَّمْرَاءِ) يقول: إن هذه الراية كالنمراء، يعني تُشبه لون النمر، والنمر لونه فيه أبيض وأسود، لكن كان السواد أغلب عليها، وكانت مربعة، تُرى من بعيد كأنها سوداء خالصة.

وكان له راية أخرى صفراء، وروى الطبراني أن هذه الراية كانت للأنصار. وكانت له راية أخرى سوداء خالصة.

وروى أبو الشيخ أن رايات النبي ﷺ كان مكتوبًا عليها (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وكانت له ألوية؛ والألوية جمع لواء، وهو العلم الصغير، فكان عنده ألوية كثيرة، وكانت تُفرّق على فِرَق الجيش، قال: (كَانَتْ لَهُ أَلْوِيَةٌ بِيْضٌ كَذَا) سود (مَعْ أَغْبَرَ) وبعض الألوية لونها أغبر هو اللون الذي يشبه ما نسميه الرصاصي أو اللون الفضي. فكان عنده ﷺ ألوية سوداء، وألوية بيضاء، وألوية لونها أغبر، وكان يستعملها عليه السلام.

والألوية غالبًا لا يكون عليها كتابة.

١٥- حِرَابُهُ الْبَيْضَاءُ، ثُمَّ النَّبْعَةُ ... وَحَرْبَةٌ صَغِيْرَةٌ عَنَزَةُ

يتكلم الآن عن الحراب، الحربة، عصا لها طرف مدبب من الحديد، والحربة أصغر من الرمح، فالرمح هذا يكون طويلًا.

فالنبي ﷺ كان عنده عدة حراب، فعنده حربة اسمها البيضاء، وحربة اسمها النبعة، وحربة صغيرة يقال لها: عَنَزَة، وهذه الحربة كان النبي ﷺ دائمًا يصطحبها معه إذا أراد أن يصلي غرزها في الأرض واتخذها سُترة يصلي إليها.

وكان أيضًا إذا ذهب إلى الخلاء يأخذها معه يغرزها في الأرض قيل: كان يضع عليها ثوبه، وقيل: لتكون علامة تدل على أن هذا المكان فيه النبي ﷺ حتى لا يقترب أحد منه، فكان يستعملها النبي ﷺ استعمالات متعددة.

١٦- مِغْفَرُهُ: السَّبُوغُ، وَالْمُوَشَّحُ ... فُسْطَاطُهُ الْكِنُّ، كَمَا قَدْ صَرَّحُوا

يقول: النبي ﷺ أيضًا أنه كان عنده مغفر، والمغفر: هو الخوذة التي تُلبَس على الرأس؛ لتقي الرأس، فكان عنده مغفر يقال له: السَّبوغ، ومغفر آخر اسمه الموشح.

وكان عنده فسطاط ﷺ، الفسطاط: هو الخيمة، فكان عنده فسطاط يقال له: الكِنُّ، الذي يُكِنّ من المطر، ويُكِنّ من الشمس.

١٧- مِحْجَنُـهُ قَدْرُ ذِرَاعٍ يَسْـتَلِمْ   فِي حَجِّـهِ الرُّكْنَ بِـهِ كَمَا عُلِمْ

يقول: إن النبي ﷺ كان له مِحجن، والمحجن: خشبة في طرفها اعوجاج، مثل: بعض العصي التي يُعتمَد عليها الآن، تكون خشبة وطرفها معوّج مثل الكُلّاب.

كان له محجن، قال: (قَدْرُ ذِرَاعٍ) هذا المحجن كان طوله نحو ذراع، قال: ذراع أو أكثر، كان يستعمله النبي ﷺ ويُعلقه بين يديه على البعيرا ويعتمد عليه في الركوب أحيانًا.

و هذا المحجن كان مع النبي ﷺ في حجة الوداع، فكان يستلم به الركن، والمقصود بالركن هنا: هو الركن الأسود أي: الحجر الأسود، ليس الركن اليماني.

فكان النبي ﷺ عند الطواف كلما وصل عند الحجر الأسود يستلم الحجر بالمحجن فيمسه به ويُقبّل المحجن، كما ورد في أحاديث حجة الوداع.

١٨- كَانَـتْ لَهُ هِـرَاوَةٌ بِالنَّقْـلِ   كَذَا عَسِـيْبٌ مِـنْ جَرِيْدِ النَّخْلِ

١٩- كَانَـتْ لَهُ مِخْـصَرَةٌ يَخْتَـصِرُ   بِهَا، اسْـمُهَا الْعُرْجُونُ فِيْمَا ذَكَرُوْا

فيقول: إن النبي ﷺ كانت له هراوة: والهراوة (العصا)، وكان له عسيب من جريد النخل: عصا أخرى من جريد النخل، وكانت له مخصرة، والمخصرة: ما يتوكأ عليه الإنسان، وورد أن النبي ﷺ كان يعتمد على هذه المخصرة في خطبة الجمعة، يعتمد عليها على المنبر، فقالوا: إن الخطيب إذا كان المنبر له مقبض فيمكن أن يعتمد على مقبض المنبر ويؤدي الغرض، وإذا لم يوجد فيحسن أن يكون معه عصًا يعتمد عليها.

٢٠- كَانَ لَهُ خُفَّانِ سَاذَجَانِ أَهْدَاهُمَا أَصْحَمَةُ الرَّبَّانِيْ
٢١- كَذَا لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا أُخَرْ أَصَابَهَا مِنْ سَهْمِهِ مِنْ خَيْبَرْ
٢٢- لَهُ ثَلَاثٌ مِنْ جِبَابٍ تُلْبَسُ فِي الْحَرْبِ، إِحْدَاهُنَّ مِنْهَا سُنْدُسُ
٢٣- أَخْضَرُ، ثُمَّ جُبَّةٌ طَيَالِسَةْ تُغْسَلُ لِلْمَرْضَى، وَكَانَتْ مَلْبَسَهْ
٢٤- وَنَبْلُهُ سُمِّيَ بِالْمُؤْتَصِلَةْ وَمِنْهُ مَا سُمِّيَ بِالْمُتَّصِلَةْ

يقول: إن النبي ﷺ (كَانَ لَهُ خُفَّانِ سَاذَجَانِ) والساذج: مثل: ما نسميه السادة، وكانا أسودين، ويقال أيضًا: الساذج: هو ما ليس على جلده شعر، أهداهما له أصحمة النجاشي، فهذا قوله: (أَصْحَمَةُ الرَّبَّانِيْ)، الرباني: يعني الرجل الصالح، يعني أصحمة ملك الحبشة.

وكان يلبسهما عليه الصلاة والسلام ويمسح عليهما.

قال: (كَذَا لَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا أُخَرْ) كان له أربعة أزواج من الخِفاف أصابها من خيبر، يعني غَنِمها النبي ﷺ في غزوة خيبر. وكان له ﷺ ثلاث جباب تُلبَس في الحرب، والجبة: هو نوع من الثياب مثل البشت أو العباءة، لكنه يلبس في الحرب وفي غير الحرب، فكان يلبسها أحيانًا وهو خارج للحروب والغزوات.

واحدة منها كانت مُحلّاة بسندس أخضر، والسندس: نوع من الحرير، فكانت مُكففة بسندس أخضر، والنبي ﷺ أباح للرجل قدر أربعة أصابع من الحرير، يعني ثوب الرجل ممكن أنه يُحلّى بعرض أربعة أصابع في طول الثوب، فكان النبي ﷺ عنده جُبّة فيها سندس أخضر.

وكان عنده جُبّة طيالسة؛ والجُبّة الطيالسة: يعني جُبة سوداء، كانت تُغسَل للمرضى ويشربون غسالتها يتبركون بها، كما في صحيح مسلم، كان بعد وفاة النبي ﷺ هذه الجبة كان كثيرًا ما يلبسها ﷺ في الجُمَع، فقال: (وَكَانَتْ مَلْبَسَهُ) يعني كان كثيرًا ما يلبسها عليه الصلاة والسلام فلما توفي تقول عائشة رضي الله عنها: كانوا إذا مرض المريض أرسلوا إلينا، كانوا يغسلون الجبة في الماء، ويعطون غسالتها للمريض يشربها فيبرأ بإذن الله، فيُشفى.

وكان عنده نَبْل عليه الصلاة والسلام كان عنده نَبْل أيضًا يُرمَى بها اسمها المؤتصلة، وأخرى اسمها بالمتصلة، وقيل: المنصلة، قالوا: المُنَصّلة: من النصل، النصل: هو سن النَبْل، والنَبْل: يعني ما يُرمَى به.

ذِكْر أقداحه وآنيته وركوته وربعته وسريره ﷺ.

١- أَقْدَاحُـــهُ: الرَّيَّـــانُ وَالْمُغِيْثُ وَآخَـــرٌ مُضَبَّـــبٌ يُغِيْـــثُ:

٢- بِـــهِ إِذَا مَا مَسَّـــهُمْ مِـــنْ حَاجِ وَقَـــدَحٌ آخَـــرُ مِـــنْ زُجَـــاجِ

٣- وَقَدَحٌ تَحْـــتَ السَّرِيْرِ عَيْدَانْ يَقْضِي بِـــهِ حَاجَتَـــهُ فِي الأَحْيَانْ

يقول: إن النبي ﷺ كانت له أقداح، والقدح: نوع من الآنية، فكانت له أقداح عديدة، آنية يستعملها عليه الصلاة والسلام كان عنده قدح يقال له: الريان، حتى الآنية كان يسميها النبي ﷺ، فكان عنده قدح اسمه الريان، يُشرَب من هذا القدح، وأسماء فيها تفاؤل يعني، الريان: الذي مَنْ شرب منه ارتوى ولم يعطش، فكان عنده قدح اسمه الريان، وقدح آخر اسمه المغيث.

وقدح آخر مُضبب، الضبة: هي إصلاح الكسر أو الشق، فهذا كان عند النبي ﷺ قدح به شق أو كسر فأصلحه النبي ﷺ بالفضة، والنبي ﷺ نهى عن استعمال آنية الذهب والفضة لكن استُثني منها إصلاح الإناء، إذا كان الإناء من الخشب أو الفخار، وفيه شق أو كسر، وأُصلِح بالفضة فيجوز استعماله إذا كانت الضبّة يسيرة من الفضة لإصلاح كسر، عند الحاجة إلى هذا الإناء.

قال: (مُضَبَّبٌ يُغِيْثُ: بِهِ إِذَا مَا مَسَّهُمْ مِنْ حَاجِ) هذا كان عند أنس رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، وكان المرضى يضعون ماءً في هذا القدح ويشربون منه فيشفيهم الله تعالى.

(وَقَدَحٌ آخَرُ مِنْ زُجَاجِ) وكان عنده قدح من الزجاج.

(وَقَدَحٌ تَحْتَ السَّرِيْرِ عَيْدَانْ) وكان النبي ﷺ عنده قدح من عيدان، والعيدان: الخشب، كان له قدح من نوع من الخشب المحكم، يستعمله في البول في الليالي

الباردة، يضعه تحت السرير، فكان ربما استعمله في الليل إذا احتاج إلى البول فيه، ويُنظّف بالنهار بعد ذلك، فقال: (يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ فِي الأَحْيَانْ).

٤- مِرْكَنُـــهُ مِنْ شَـــبَهٍ، وَتَـــوْرُهُ حِجَــارَةٌ، مَــنْ نَــالَهُ يَمِــيْرُهُ

٥- (رَكْوَتُهُ) كَانَتْ تُسَمَّى: الصَّادِرَةْ قَصْعَتُهُ الْغَــرَّاءُ لَيْسَــتْ قَاصِرَةْ

٦- كَانَ لَهُ صَــاعٌ لأَجْــلِ الْفِطْرَةِ وَقَعْبُــهُ كَانَ اسْــمُهُ بِالسَّــعَةِ

يقول هنا: إن النبي ﷺ كان له مركن، والمركن: هو المخضب، وهو وعاء يوضع فيه الخضاب، والخضاب: هو الصبغ الذي يُصبَغ به الشعر، فكان عنده مخضب من شَبَه، والشَبَه: هو نوع من النحاس.

وكان له تور من الحجارة، والتور: إناء كبير من الحجارة، كان يتوضأ منه، والتور يُشبه الطست.

قال: ((رَكْوَتُهُ) كَانَتْ تُسَمَّى: الصَّادِرَةْ) كان عنده رِكْوة يقال لها: الصادرة، وهي نوع من الآنية أيضًا.

وكان عنده قصعة تُسمى الغرّاء، (لَيْسَتْ قَاصِرَةْ) يعني: ليس قليلة السعة، بل كانت قصعة كبيرة جدًا وثقيلة الحمل تحتاج أكثر من شخص ليحملها، روى أبو داود: أنه كان إناءً كبيرًا، كان يحتاج إلى أكثر من شخص لحمْله.

وكان أيضًا عنده ﷺ صاع يستعمله لأجل الفطرة، يعني لأجل زكاة الفطر، يُكال به، الصاع: مكيال يتسع لأربعة أمداد، والمُد: هو ملء الكفين من الطعام، فكان عنده صاع يستعمله في كيل زكاة الفطر.

وكان عنده قعب، والقعب: قدح ضخم (كَانَ اسْمُهُ بِالسَّعَةِ) يعني كان موسومًا

بالسعة، يعني: موصوفًا بالسعة، وكان هذا القعب كان من النحاس.

٧- كَانَــتْ لَهُ رَبْعَــةٌ اي مُرَبَّعَــةْ كَجُونَــةٍ يَجْعَــلُ فِيْهَــا أَمْتِعَــةْ

٨- سِوَاكُهُ، وَمِشْطُهُ، وَالْمُكْحُلَةْ كَذَلِــكَ الْمِــرْآةُ، وَالْمِقْــرَاضُ لَهْ

يقول: إن النبي ﷺ (كَانَتْ لَهُ رَبْعَةٌ)، والربعة: صندوق، صندوق مربع، وقيل: إنها كانت من العاج، أهداها له المقوقس، كان يضع فيها: السواك، والمشط، والمكحلة، والمرآة، والمقراض، المقراض: هو المقص.

٩- كَانَ لَهُ سَرِيْــرٌ أَهْــدَاهُ لَهْ أَسْــعَدُ وَهُــوَ سَــاجٌ اسْــتَعْمَلَهُ

١٠- مُوَشَّــحٌ بِاللِّيْفِ، ثُــمَّ وُضِعَا عَلَيْــهِ لَمَّــا مَــاتَ، ثُــمَّ رُفِعَــا

١١- عَلَيْــهِ أَيْضًا بَعْــدَهُ الصِّدِّيْقُ كَــذَاكَ أَيْضًــا عُمَــرُ الْفَــارُوقُ

يقول: إن النبي ﷺ كان له سرير ينام عليه، وهذا السرير أهداه للنبي ﷺ أسعد بن زرارة، وهو من سادة الأنصار وكبرائهم رضي الله عنه.

فالنبي ﷺ لما نزل المدينة نزل منزل أبي أيوب، فتقول عائشة -رضي الله عنها-: أهل مكة كانوا يستعملون السرير، فلما قدِم النبي ﷺ كان منزل أبي أيوب ليس فيه سرير، فبلغ أسعد بن زرارة رضي الله عنه فبعث للنبي ﷺ سريرًا له عمود وقوائمه من الساج، والساج: نوع من الخشب.

وكان موشحًا بالليف، الليف يعني كان الليف مجعولًا عليه مثل الوشاح.

وكان النبي ﷺ ينام عليه، تقول عائشة -رضي الله عنها-: حتى تحوّل إلى منزلي وكان فيه، وكان فيه فوهبه لي، وكان ينام عليه حتى توفي ﷺ وهو فوقه.

وطلبه الناس منّا يحملون عليه موتاهم، فحُمِل عليه أبو بكر، وحُمِل عليه عمر ﵁، صار الناس يحملون عليه موتاهم؛ التماسًا لبركة النبي ﷺ.

وبعد وفاة عائشة -﵂- كان في أموالها لما توفيت، فبيع السرير واشتراه عبد الله بن إسحاق مولى معاوية بأربعة آلاف درهم.

(ذِكْر الوفود الذين وفدوا عليه ﷺ).

الوفود: جمع وفد، والوفد: هم الجماعة المختارة من القوم يتقدمونهم للقاء العظماء؛ هذا تعريف الوفد.

كانت القبائل العربية يختارون مجموعة منهم، ويكونون من كبرائهم ووجهائهم، يُمثّلونهم ويُرسلونهم مندوبين عنهم للقاء رسول الله ﷺ.

و قبل فتْح مكة كانت الوفد قليلة، و كان انتشار الإسلام في القبائل العربية قليلًا، فلما فتح الله ﷻ مكة دخل الناس في دين الله أفواجًا.

فالمؤلف هنا ذكر القبائل التي أوفدت وفودًا للقاء رسول الله ﷺ:

١- أَوَّلُ وَفْـدٍ وَفَـدُوْا الْمَدِيْنَـةْ سَـنَةَ «خَمْـسٍ»: وَافِـدُوْا مُزَيْنَةْ

يقول: أول وفد وفدوا المدينة كان في سنة خمس من الهجرة، وهم وافدوا مزينة، وكانوا أربعمئة

وعندما أرادوا الانصراف أمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزودهم، فقال عمر رضي الله عنه: ما عندي إلا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعًا، أي: عندي قليل من التمر ما أظنه يكفي أربعمئة شخص.

فقال له الرسول ﷺ: انطلق فزوّدهم، فانطلق بهم عمر فأدخلهم منزله، فإذا فيه من التمر مثل الجمل الأورق، فأخذ القوم منه حاجتهم وخرجوا.

قال النعمان بن مقرن رضي الله عنه راوي الحديث: قال: وكنت في آخر مَنْ خرج فالتفتُّ فإذا فيها من التمر مثل الذي كان، وهذا كان من معجزات رسول الله ﷺ، تزوّد القوم جميعًا، وبقي التمر كما كان، ما نقص منه شيء.

٢- وَهَكَذَا سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ فِي رَجَبْ ... وَعَامَ «سَبْعَةٍ»: جُذَامٌ وَعَقَبْ
٣- الأَشْعَرِيُّونَ وَدَوْسُ الْقَوْمُ ... وَفِي «الثَّمَانِ»: أَلَّفَتْ سُلَيْمُ
٤- ثَعْلَبَةٌ، ثُمَالَةٌ وَالْحُدَّانْ ... فِيهَا، وَفِي «التَّاسِعِ»: وَفْدُ هَمْدَانْ
٥- كَذَا بَنُو الدَّارِ، وَفِيهِ فِي صَفَرْ ... عُذْرَةُ، بَعْدَهَا بَلِي، وَحِمْيَرْ

ذكر هنا أسماء عدد من الوفود التي وفدت على النبي عليه الصلاة والسلام من الوفود التي أشار إليها يقول: (سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ) وفْدُ بني سعد بن بكر، وكان هذا في شهر رجب أيضًا من السنة الخامسة.

قال: (وَعَامَ «سَبْعَةٍ»: جُذَامٌ) في سنة سبع من الهجرة قدِم رفاعة بن زيد الجذامي في جماعة من جذام وفدوا على رسول الله ﷺ.

قال: (وَعَقَبْ الأَشْعَرِيُّونَ) يعني بعد وفد جذام جاء وفد الأشعريين.

ومما ورد في ذِكْر وفد الأشعريين: ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه بلغهم مخرج النبي ﷺ، وهم باليمن، فخرجوا مهاجرين إليه ومعه أخوان له، هو أصغرهم، وأخواه الآخران: أبو بردة الأشعري، وأبو رهم الأشعري رضي الله عنهم، ثلاثتهم من الصحابة، وجاءوا مسلمين، وهم في بضعة أو في ثلاثة وخمسين رجلًا من قومه، فركبوا سفينة فألقتهم إلى النجاشي بالحبشة، ووافقوا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه عنده، فطلب منهم جعفر أن يقيموا معهم؛ لأن رسول الله ﷺ بعثهم إلى هاهنا وأمرهم بالإقامة، فأقاموا معه حتى قدموا جميعًا فوافقوا النبي ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لهم، النبي ﷺ أعطاهم شيئًا من غنائم خيبر.

قال: (وَدَوْسُ الْقَوْمُ) هذا وفد دَوس، ومن خبر دوس: أنه قدم الطفيل بن عمرو

الدوسي ﷺ مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش؛ لأنه كان رجلًا شاعرًا شريفًا في قومه، وأرادوا أن يصرفوه عن الاستماع إلى رسول الله ﷺ، وظلوا يحذرونه من سماع رسول الله ﷺ حتى حشا أذنيه قطنًا، ثم أتى المسجد الحرام فأقام قريبًا من رسول الله ﷺ، فأراد الله ﷻ أن يُسمعه، ووصل إليه صوت النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن الكريم.

فلما سمع بعض ما يقرؤه النبي ﷺ، سمع كلامًا حسنًا، فقال الطفيل في نفسه: إني رجل لبيب شاعر، لا يخفى عليّ الحسن من القبيح، لِمَ لا أسمع هذا الرجل ؟

فمكث حتى انصرف النبي ﷺ إلى بيته فجاء إلى النبي ﷺ وحكى له ما حدث من قريش، وسمع من النبي ﷺ فأعجبه ما قال وأسلم.

فطلب من النبي ﷺ أن يجعل له آية تكون عونًا له على دعوة قومه، فجعل الله له نورًا في رأس سوطه؛ يعني بأمر الله ﷻ فعندما عاد إلى قومه بدأ يدعوهم إلى الإسلام، وقال: إنه ذهب إلى مكة والتقى برسول الله ﷺ، فأول مَنْ أسلم على يديه والده وأُمه، أبوه وأمه.

وأبطأت عليه دوس، وبقية القبيلة تأخروا في الإسلام، فعاد إلى النبي ﷺ وطلب من النبي ﷺ أن يدعو عليهم، قال: يا رسول الله، ادع عليهم، دعوتهم إلى الإسلام، وأريتهم الآية التي جعلت معي بأمر الله، وأصرّوا على كُفرهم، ادعُ الله عليهم.

فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللهم اهدِ دوسًا» وقال له:

ارجع إلى قومك فادعهم، وارفق بهم، فرجع وأخذ يدعوهم إلى الإسلام، ثم قدِم بمَنْ أسلم من قومه على رسول الله ﷺ وهم بخيبر نحوًا من ثمانين بيتًا من دوس، وقدّر عددهم في الرواية بنحو أربعمائة شخص، وأسهم لهم النبي ﷺ لما رجع من خيبر،

وتألّفهم بشيء من الأموال التي أخذها المسلمون من خيبر ففرقها عليهم.

قال: (وَفِي «الثَّمَانِ»: أَلَّفَتْ سُلَيْمُ) ألفت: يعني قبِلت الإسلام، يعني دخلت سُليم في الإسلام في العام الثامن من الهجرة.

وذكر وفد ثعلبة، وثُمالة، والحُدّان، الحُدّان: اسم قبيلة من القبائل.

وفي العام التاسع وفدت همدان وبنو الدار، وفي شهر صفر وفدت قبيلة عذرة.

وبعدها قبيلة (بَلِي) التي يُنسَب إليها البلوي، يقال: فلان بن فلان البلوي.

وقبيلة حمير، ومن خبر وفد حمير على النبي ﷺ: أن إياس بن عُمير الحميري، قدِم وافدًا على رسول الله ﷺ في نفر من حمير، فقالوا: أتيناك؛ لنتفقه في الدين، ونسأل عن أول هذا الأمر؛ يعني عن مبدأ الخلق، ما أول ما خُلق،؟ وكيف خلق الله ﷻ هذا الكون؟

فقال النبي ﷺ: «كان الله، ليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء ﷻ ثم خلق القلم فقال: اكتب ما هو كائن، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن، واستوى على عرشه».

وكان هؤلاء الحميريون لهم موقف أيضًا مع النبي ﷺ: أنه في أثناء قدوم وفد حمير كان وفد بني تميم -الذي سيأتي ذِكْره أيضًا - وفدوا على النبي ﷺ في نفس الوقت، فالنبي ﷺ قال لبني تميم: أبشروا يا بني تميم، فقالوا: أمّا إذا بشّرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فقدِم الحميريون على النبي ﷺ، فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، ﷺ، فكانت هذه منقبة لهؤلاء الوفد أنهم قبلوا بشرى رسول الله ﷺ، وكان هذا في العام التاسع.

والعام التاسع يُسمى عام الوفود؛ لأن معظم الوفود كانت في العام التاسع.

فكان هذا من خبر هذا الوفد.

وذكر في الأبيات، وفد بني سعد بن بكر، وقد أرسلوا وافدًا إلى النبي ﷺ هو ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ودخل على النبي ﷺ وهو في المسجد بين أصحابه، فأخذ يسأل رسول الله ﷺ عن أركان الإسلام، وينشده الله أن يصدقه عند ذِكْر كل فريضة، والرسول ﷺ يجيبه، فقال: يا رسول الله، أتانا رسولك، فأخبرنا أنك تزعم أن الله أرسلك، فوالذي بعثك بالحق آلله أرسلك؟ قال النبي ﷺ: نعم.

قال: وأخبرنا رسولك أنك تزعم أن الله فرض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فوالذي بعثك بالحق آلله أمرك بهذا؟، فقال النبي ﷺ: نعم.

قال: وأخبرنا رسولك أن الله فرض علينا كذا وكذا، وأخذ يذكر فرائض الإسلام. وهذا يفيد أن دعوة النبي ﷺ كانت وصلت إلى تلك القبائل، لأنه قال: أتانا رسولك فأخبرنا، فمعناه أن الرسول كان بعث إليهم يدعوهم.

قال: (وَفِي «التَّاسِعِ»: وَفْدُ هَمْدَانْ)؛ همدان كانت لهم وفادتان على النبي ﷺ: الوفادة الأولى: كانت بمكة قبل بيعة العقبة الأولى، وكان وافدهم: قيس بن عمرو بن مالك الهمداني.

وفد على النبي ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى، فأسلم وبايع رسول الله ﷺ، وطلب النبي ﷺ منه أن يكلم قومه أن يستضيفوا رسول الله ﷺ، وأن يذهب إليهم النبي ﷺ مقيمًا في بلادهم، فلم يستجيبوا، وخسروا هذا الفضل الذي ظفر به أهل المدينة لما آووا رسول الله ﷺ.

الوفادة الثانية: قدِم وفد همدان مسلمين على رسول الله ﷺ بالمدينة، منهم: مالك بن نمط، وأبو ثور يقال له: ذو المشعار أبو ثور الهمداني، ومالك بن أيفع.

وكتب رسول الله ﷺ لهمدان كتابًا مع ذي المشعار الهمداني.

٦- وَبَعْدُ فِي «الْعَاشِرِ»: وَفْدُ خَوْلَانْ ... وَكِنْـدَةٍ وَغَامِـدٍ وَغَسَّـانْ

قبيلة خولان، وكندة وغامد وغسان، كل هذه قبائل عربية وفدت على النبي ﷺ في العام العاشر.

٧- وَفْـدُ الرُّهَاوِيِّـيْنَ، وَفْدُ نَجْرَانْ ... وَفْدُ صُـدَا وَالأَزْدِ، مَعْ سَـلَامَانْ

من الوفود التي وفدت على النبي ﷺ وفد الرُّهاويين، والرُهاويون هم فرع من قبيلة مذحج اليمنية. ووفد نجران، ووفد صُدا وهم بنو صداء، ووفد الأزد، ووفد سلامان.

٨- بَجِيْلَـةٌ وَحَضْرَمَـوتُ، النَّخَعُ ... وَالْحَـارِثُ بْنُ كَعْـبٍ أَيْضًا أَجْمَعُ

وفد بجيلة، ووفد حضرموت، والنخع، والحارث بن كعب؛ هؤلاء كلهم من القبائل التي وفدت على النبي ﷺ.

٩- وَفِيْهِمَـا مُـرَّةُ، عَبْسُ، أَسَـدُ ... وَفْـدُ تَمِيْـمٍ فِيْهِـمُ عُطَـارِدُ

قال: (وَفِيْهِمَا) يعني في العام العاشر أو الحادي عشر، يعني: إما في العاشر وإما في أوائل الحادي عشر قبل وفاة رسول الله ﷺ.

(مُرَّةُ، عَبْسُ، أَسَدُ) قبيلة بنو مرة، وعبس، وأسد.

(وَفْدُ تَمِيْمٍ فِيْهِمُ عُطَارِدُ) وفد تميم الذين كان منهم عطارد، هذا رجل من تميم سيأتي ذِكْر خبره.

١٠- بَاهِلَـةٌ وَجَعْـدَةٌ، فَـزَارَةُ ... عَقِيْـلُ، عَبْـدٌ، أَشْـجَعٌ، كِنَانَةُ

١١- لَقِيْطُ، بَكْرٌ، وَابْنُ عَمَّارٍ، قُدَدْ ... مَـاتَ رُجُـوعًا، وَكِلَابٌ، وَوَفْـدْ

(وَابْنُ عَمَّارٍ، قُدَدْ) هو قدد بن عمّار.

(مَاتَ رُجُوعًا) يعني مات في رجوعه من عند المصطفى ﷺ.

(وَكِلَابٌ ووَفَدْ)

١٢- وَفْدُ ثَقِيفٍ, مَعَ عَبْدِ الْقَيْسِ رُؤَاسَ، عَامِرٍ، هِلَالٍ، عَنْسِ

١٣- قُشَيْرُ، تَغْلِبٌ، وَبَعْضٌ مُسْلِمُ أَمَّا النَّصَارَى مِنْهُمُ فَالْتَزَمُوْا

ذكر أسماء بعض القبائل التي وفدت على النبي ﷺ، فلما جاء ذِكْر وفد تغلب، قال: (وَبَعْضٌ مُسْلِمُ) يعني وفد قبيلة تغلب كان بعضهم مسلمين وبعضهم نصارى، فقبيلة تغلب كانت من القبائل النصرانية، وكانوا في شمال الجزيرة العربية قريبًا من بلاد الروم.

١٣-.. أَمَّا النَّصَارَى مِنْهُمُ فَالْتَزَمُوْا

١٤- أَنْ يَمْنَعُوْا أَوْلَادَهُمْ مِنْ صِبْغَةِ فِي دِيْنِهِمْ،..............................

سيأتي الكلام عن وفد تغلب -إن شاء الله- نذكر عنه شيئًا من التفصيل.

١٤-. . . . .، وَفْدُ بَنِي حَنِيْفَةِ

١٥- وَمِنْ وُفُودِ الْيَمَنِ الْيَمَانِ وَفْدُ تُجِيْبٍ، طَيِّءٍ، جَيْشَانِ

١٦- كَلْبٌ، خُشَيْنٌ، وَمُرَادُ، وَالصَّدِفْ وَخَثْعَمٌ، سَعْدُ الْعَشِيْرَةِ رَدِفْ

هذه كلها من القبائل اليمنية التي وفدت على النبي ﷺ.

١٧- أَزْدُ عُمَانَ، وَزُبَيْدٌ، أَسْلَمُ وَبَارِقٌ، وَابْنُ حُمَيْدٍ سَالِمُ

١٨- سَعْدُ هُذَيْمٍ، جَرْمُ، بَهْرَا، مَهْرَةُ وَوَفْدُ جُعْفِيٍّ، كَذَا جُهَيْنَةُ

١٩- سَنَةَ «إِحْدَى عَشْرَةٍ» جَاءَ النَّخَعْ فِي مِئَتَيْنِ بَعْدَ مَنْ قَبْلُ نَجَعْ

٢٠- وَفْدُ السِّبَاعِ وَالذِّئَابِ ذُكِرَا فِي غَابَةٍ وَغَيْرِهَا، وَاسْتُنْكِرَا

من الوفود التي مرّت بنا وفد عبد القيس، لما وفدوا على رسول الله ﷺ قال: مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا ندامى، وعبد القيس هؤلاء من سكان البحرين، ومنطقة الأحساء في شرق الجزيرة العربية بجوار البحرين، وخبرهم في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟ أَوْ مَنِ الوَفْدُ؟ » قَالُوا: رَبِيعَةُ. قَالَ: «مَرْحَبًا بِالقَوْمِ، أَوْ بِالوَفْدِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ، نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلْ بِهِ الجَنَّةَ، وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ، وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، أَمَرَهُمْ: بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ» وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الحَنْتَمِ وَالدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالمُزَفَّتِ »، وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» وَقَالَ: «احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»[١]

فكان هذا الوفد قديمًا إما سنة خمس وإما قبلها، ولذلك بعض العلماء يقولون: إن هذا الوفد أقدم من وفد مزينة؛ لأن مزينة قدموا في العام الخامس، فقالوا: هذا الوفد يحتمل أنه يكون قبل وفد مزينة.

أو أنه يكون في العام الخامس، لكن الواضح من الحديث أنه كان قبل صلح الحديبية.

---

[١] متفق عليه: البخاري ٥٣ ومسلم ١٧.

وجاء في صحيح البخاري أن القرية التي قدم منها هؤلاء الوفد اسمها جؤاثة.

فلما رجعوا إليها بنوا مسجدًا وكانوا يصلون فيه الجمعة، فقالوا: أول جمعة جُمّعت في الإسلام بعد جمعة رسول الله ﷺ في المدينة هي جمعة بني عبد القيس في جؤاثة بالبحرين، في ذلك الوقت ما كانت تقام في الأرض صلاة جمعة في مسجد النبي ﷺ، وجمعة بني عبد القيس في جؤاثة بالبحرين، ويقال: إنه لا يزال بقايا من هذا المسجد، في جؤاثة، يعني ما زالت القرية موجودة في منطقة الأحساء حاليًا في السعودية.

وكانوا ثلاثة عشر رجلًا، وفيهم رجل يقال له: الأشج، قال له النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»، قال: قديمًا كانتا فيّ يا رسول الله أم حديثًا؟ قال: «قديمًا، يعني جبلك الله عليهما» فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله، يعني أحيانًا بعض الأخلاق تكون جِبلّية، وبعض الأخلاق يكتسبها الإنسان تكون خلاف طبعه لكنه يتدرب عليها.

كذلك مما ورد في خبر عبد القيس أيضًا: ما جاء في سنن أبي داود عن أم أبان بنت الوازع عن جدها أنه كان في وفد عبد القيس، كان واحدًا من الثلاثة عشر رجلًا الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، قدِم على رسول الله ﷺ قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبّل يد النبي ﷺ.

وجاء أيضًا في الحديث: أن النبي ﷺ قال لأصحابه قبل أن يقدم هذا الوفد قال: «سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير أهل المشرق» فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكبًا فبشرهم بقول النبي ﷺ، قال: النبي ﷺ قال فيكم: أنتم خير أهل المشرق.

فقدموا على النبي ﷺ فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يدهم فقبّلوها عليه الصلاة والسلام.

وقالوا: إن عبد القيس أيضًا وفدوا مرة ثانية في عام الوفود، وكان عددهم أربعين رجلًا في عام الوفود.

وممَّنْ وفد على النبي ﷺ وفد بني حنيفة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: **قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ، مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ»، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي: أَحَدُهُمَا: العَنْسِيُّ، وَالآخَرُ: مُسَيْلِمَةُ»**[١]

ونزل مسيلمة الكذاب في دار بنت الحارث، وهي دار أعدّها النبي ﷺ لاستقبال الوفود، في عام الوفود لما كثرت الوفود النبي ﷺ خصص دارًا وهيأها لاستقبال الوفود، فنزل فيها مسيلمة المدة التي قضاها في المدينة.

ومن الذين وفدوا على النبي ﷺ، وفد نجران، كانوا نصارى، منطقة نجران ما زالت بهذا الاسم في جنوب السعودية، قدم وفد نجران على النبي ﷺ وفيهم العاقب والسيد صاحبا نجران، يعني: زعيمي نجران.

فجاءا إلى النبي ﷺ يريدان أن يباهلاه، والمباهلة: هي أن يقولا: لعنة الله على

[١] صحيح البخاري ٤٣٧٣ ومسلم ٢٢٧٣ و٢٢٧٤.

الكاذب منّا، كل واحد منهم يقول: إن كنت كاذبًا فعليّ لعنة الله.

فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل؛ فوالله لئن كان نبيًّا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، فرجعا عن نيتهما في الملاعنة، قالا: لو لاعنّاه وكان نبيًّا لا نفلح نحن ولا عقبنا.

وقالا: إنّا نعطيك ما سألتنا.

وأقاموا في مدينة النبي ﷺ، وكانوا ستين راكبًا فيهم أربعة عشر رجلًا من أشرافهم، منهم ثلاثة يؤول إليهم أمر نجران، هم: السيد، واسمه الأيهم، والعاقب و اسمه عبد المسيح.

والثالث: اسمه أبو حارثة بن علقمة، وكان أُسْقُفهم وحبرهم، والعاقب كان أميرهم وصاحب مشورتهم، وعبد المسيح كان صاحب الرحل.

وجلسوا مع النبي ﷺ، وأقاموا في المسجد النبوي، وظلوا مدة في المسجد النبوي، واستأذنوا أن يصلوا صلاتهم، فتركهم يصلون صلاتهم إلى جهة المشرق، يتوجهون إلى المشرق ويصلون صلاتهم، وهم في مسجد النبي ﷺ، وجعلوا يجادلون النبي ﷺ في شأن المسيح وأمه، وأنزل الله ﷻ على النبي ﷺ في شأن وفد نجران نصف سورة آل عمران، وقرأ عليهم النبي ﷺ الآيات التي أُنزلَت عليه.

فلما نزلت الآيات في سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩]،.

وفيهم قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١] فدعاهم النبي ﷺ إلى

المباهلة، فترددوا، وخافوا ألا يفلحوا.

ثم قالوا للنبي ﷺ نعطيك ما سألتنا، فكتب عليهم النبي ﷺ ألفي حُلة، في كل رجب ألف حُلة، وفي كل صفر ألف حُلة، وكانت نجران منطقة مشهورة بنسج الثياب

فقالوا: ابعث معنا رجلًا أمينًا، قال: لأبعثن معكم رجلًا أمينًا حق أمين، فبعث إليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يجبي الأموال التي وعدوا بإرسالها إلى النبي ﷺ.

وكتب لهم النبي ﷺ الأمان، أنهم طالما وفوا بعهدهم أنهم على أمان.

كذلك من الوفود التي قدمت على النبي ﷺ وفد طيء، وهم قبيلة حاتم الطائي، قدموا على النبي ﷺ وفيهم زيد الخيل، سماه النبي ﷺ زيد الخير، وهو سيدهم في ذلك الوقت، فأسلموا وحسُن إسلامهم، وأقطع النبي ﷺ زيدًا أرضًا وكتب له كتابًا بذلك، ومات بالحمى في طريق عودته، وكانت زوجته لا تُحسن القراءة، فلما مات أحرقت زوجته ما كان معه من كتب فأحرقت الكتاب الذي كان كتبه النبي ﷺ لهم.

ومن الوفود: وفد بني عامر، جاء عن عبد الله بن الشّخير رضي الله عنه، قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السيد الله -تبارك وتعالى- قال: قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، قال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان. يعني: لا يحملنكم الشيطان على الغلو في رسول الله ﷺ حتى تصفوه بما لا ينبغي أن يكون إلا لله.

وكان ممَّنْ وفَد: وفْدٌ من بني عامر، وهم إربد بن قيس، وعامر بن الطفيل، قدما على النبي ﷺ وجلسا بين يديه، وقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمتُ؟ قال: لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، قال: أتجعل لي الأمر من بعدك إن أسلمت؟ ، فقال ﷺ: ليس ذلك لك ولا لقومك.

وكان من بني عامر: عامر بن الطفيل، وعامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة، وهذا وقع الخلاف فيه هل أسلم أم لا؟ والحافظ ابن حجر يرجح أنه أسلم، وعدّه من الصحابة ﵁، وقيل: لم يسلم.

ومن الوفود: وفد جذام، قدم رفاعة بن زيد الجذامي في عشرة من قومه على رسول الله ﷺ في زمن هدنة الحديبية قبل خيبر، فأسلم وحسُن إسلامه، وأهدى لرسول الله ﷺ غلامًا، وكتب له النبي ﷺ كتابًا وبعثه إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.

و من الوفود: وفد مراد: ووفد منهم فروة بن مسيك المرادي على النبي ﷺ فأسلم، واستعمله النبي ﷺ على مراد، وزبيد، ومذحج، وبعث معه النبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ، وكان فروة بن مسيك كان سيد قومه.

ومن الوفود: وفد كندة، جاء عن الأشعث بن قيس أنه قدم في وفد كندة في ثمانين راكبًا، فدخلوا على رسول الله ﷺ وعليهم ثياب مطرزة بالحرير، فأنكر عليهم النبي ﷺ لُبس الحرير؛ لأنهم أسلموا، فشقوه، فألقوه، فشقوا الحرير، وهذا يدل على حُسن إيمانهم واستجابتهم لرسول الله ﷺ، لما أنكر عليهم النبي ﷺ لبس الحرير، فخلعوا ثياب الحرير التي كانت عليهم وشقوها وألقوها.

وقالوا: يا رسول الله، نحن بنو آكلي المُرار، وأنت ابن آكلي المرار، المرار: نبت إذا أكلته الإبل انقبضت ورفع مشافرها -وهي شفاهها- لشدة مرارته، فقالوا للنبي ﷺ: نحن بنو آكلي المرار، وأنت ابن آكلي المرار، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث، كانا تاجرين.

وقصة هذا اللقب: أن العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ، وربيعة بن الحارث.

كانا تاجرين، فلما شاعا في العرب، سُئلا ممَّنْ أنتما؟ قالا: نحن بنو آكلي المرار، يُنسبان إلى كندة؛ ليعزّا في تلك البلاد؛ لأن كندة كانوا ملوكًا، فاعتقدت كندة أن قريشًا منهم، فقال النبي ﷺ: نحن بنو النضر بن كنانة، لا ننتفي من أبينا، فكان كندة لما سمع هذا كانوا يحسبون أن العباس له نسب معهم ، فالنبي ﷺ تبسم.

وممن وفدوا على النبي ﷺ، وفد زبيد: وكان منهم عمرو بن معدي كرب، و قدم على النبي ﷺ في أناس من زبيد فأسلم، ثم ارتدّ، ثم عاد إلى الإسلام وحسُن إسلامه رضي الله عنه.

ومن ضمن الوفود التي وفدت على النبي ﷺ وفد الأزد ووفد جُرَش.

والأزد نوعان من القبائل: قبيلة اسمها أزد شنوءة، وقبيلة أخرى يقال لها: أزد عمان، أزد شنوءة وأزد عمان.

والحديث هنا عن كلتا القبيلتين: أزد شنوءة، وأزد عمان أرسلوا وفودًا إلى النبي ﷺ، فبالنسبة لقبيلة أزد شنوءة أرسلوا وافدهم وهو صُرَد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه ومعه وفد من الأزد، معه جماعة من الأزد من وجهاء قومه وفدوا على رسول الله ﷺ فأسلم وحسُن إسلامه، وأمّره رسول الله ﷺ على مَنْ أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمَنْ أسلم مَنْ كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، فنزل منطقة يقال لها جُرَش، فنزل جُرَش وبها قبائل من اليمن فحاصرهم قريبًا من شهر، ثم قاتلهم قتالًا شديدًا، وكان أهل جُرَش، قد أرسلوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ ينظران أمره، فأخبر النبي ﷺ هذين الرجلين بما حصل لقومهما.

فذهبا إلى قومهما فوجدا ما أخبر النبي ﷺ به من أحداث القتال بينهم وبين صرَد بن عبد الله والمكان والزمان وتفاصيل القصة، مثلما أخبر النبي ﷺ، فأخبروا قومهم

بهذا فكان هذا سببًا في إسلام قومهما، فأسلم أهل جُرَش وأرسلوا سبعة منهم مسلمين، فوفدوا على النبي ﷺ وأعلن أهل جُرَش إسلامهم.

وورد في حديث في سنده ضعف أن النبي ﷺ قال لوفد جُرَش لما وفدوا عليه: «لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون» وأن النبي ﷺ أوصاهم بعشرين وصية،كان منها: لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدًا زائلون، واتقوا الله الذي إليه تُرجعون، وعليه تُعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون.. إلى آخر الوصايا.

طبعًا معانيها جميلة، وصحيحة، لكن من جهة السند فيها كلام.

ومن الوفود التي وفدت على النبي ﷺ : وفد ملوك حمير، فمجموعة من ملوك قبائل حمير في اليمن، وهم: الحارث بن عبد كُلال، ونُعيم بن عبد كُلال، والنعمان، وآخرون أرسلوا رسولًا من قِبَلهم قدِم على رسول الله ﷺ يُخبره بإسلامهم، وأنهم دخلوا في دين الله.

فكتب النبي ﷺ إليهم كتابًا فيه أنصبة الزكاة ويأمرهم بأخذ الجزية ممَّنْ بقي على يهوديته ونصرانيته في اليمن، وكتب لهم النبي ﷺ مقادير الزكاة ليجمعوها من المسلمين، وبعث إليهم النبي ﷺ معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن نمر رضي الله عنهم، وأميرهم معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وكتب النبي ﷺ في الكتاب الذي بعثه إلى ملوك حمير: أنه بعث إليهم هؤلاء الصحابة، وذكر أسماءهم وأن أميرهم معاذ وأوصاهم برسله خيرًا، وكان ذلك في شهر رمضان من العام التاسع الهجري.

بعد ذلك وفد بجيلة وبني قشير، بجيلة من القبائل العربية، وقبيلة أخرى مجاورة لها

يقال لهم بنو قشير.

فمن بجيلة الصحابي الجليل: جرير بن عبد الله البجلي، ورد أنه وفد على رسول الله ﷺ، ومعه وفد من بجيلة وبني قريش، وكان هذا الوفد في العام العاشر الهجري.

وقبل أن يدخل جرير بن عبد الله رضي الله عنه المسجد النبوي قال النبي ﷺ لأصحابه قبل دخوله: يدخل عليكم من هذا الباب من خير ذي يمن، فدخل جرير على اليمن ﷺ، فأسلم على يد النبي ﷺ، وبايعه وأكرمه النبي ﷺ، وألبسه حُلته، كان النبي ﷺ ألبسه ثوبه إكرامًا له، وقال ﷺ: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وكان هو زعيم قومه وكبير قومه.

وكان إسلام جرير بن عبد الله رضي الله عنه، بعد نزول سورة المائدة، يعني هذا الوفد كان متأخرًا في العام العاشر الهجري بعد نزول سورة المائدة.

وروى جرير بن عبد الله أنه رأى النبي ﷺ يتوضأ ويمسح على خفيه، فكان الفقهاء يفرحون بهذا الحديث في المسح على الخفين رغم أن المسح على الخفين رواه عن النبي ﷺ عشرات الصحابة؛ لأنه أسلم بعد نزول سورة المائدة ورأى النبي ﷺ يمسح على الخفين فدل على أنه غير منسوخ، وسورة المائدة فيها آية الوضوء، وهي قوله -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾[المائدة:٦] فآية الوضوء فيها الأمر بغسل الرجلين.

وبايعه النبي ﷺ على السمع والطاعة، وألا يسأل الناس شيئًا رضي الله عنه.

ومن الوفود: وفد حضرموت، وفد على النبي ﷺ وائل بن حُجر أحد أقيال حضرموت، والأقيال: لقب في حضرموت، أقيال: جمع قيْل، والقيْل: هو الملك في لغتهم أو في اصطلاحهم.

وقال النبي ﷺ لأصحابه: يأتيكم بقية أبناء الملوك، فبعد قليل جاء وائل بن حُجر.

فرحّب به النبي ﷺ وأدناه منه، وقرّب مجلسه وبسط له رداءه، وأجلسه عليه حتى لا يجلس على الأرض، وأدناه وأجلسه بجواره، ودعا له النبي ﷺ قال: اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده، وحصل ما أخبر عنه النبي ﷺ فكان من أبنائه وأحفاده علماء رووا حديث النبي ﷺ، فمن الأسانيد التي ترد كثيرًا في كتب السُّنة عن عاصم بن كُليب عن أبيه كُليب بن وائل بن حُجر.

واستعمله على الأقيال من حضرموت، وكتب معه ثلاثة كتب: كتابًا إلى المهاجر بن أبي أمية، وكتابين آخرين لبعض ملوك حضرموت.

وأقطعه النبي ﷺ أرضًا في حضرموت، وبعث معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ليريه إياها، فذهب معه معاوية ومما ورد في قصته: أنه رغم إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ إلا أنه كان فيه بقايا من عادات الملوك في الجاهلية، ومنها: أنهم لا يردفون على الدابة، أي: لا يركب معهم على الدابة أحد من عامة الناس، مع أن رسول الله ﷺ من تواضعه كان يردف معه على الدابة، بعض أصحابه.

المهم: أنه لما ذهب معاوية معه، كان معاوية يمشي ووائل راكب على الدابة، فشكا معاوية إليه حر الرمضاء، وطلب أن يردفه معه على الناقة، فقال: اسكت فلست من أرداف الملوك، انتعل ظل الناقة، يعني: اجعل وطء الأقدام على ظل الناقة؛ لتتقي الحر.

وسبحان الله! من العبر أنه: شاء الله جل وعلا أن يفد حُجر على معاوية، رضي الله عنه أيام خلافة، وله الخلافة ويحكم معظم الأرض، والثاني وفد عليه يطلب منه عطاءً ودارت الأيام، فذكّره بقصته.

ومن الوفود التي وفدت على النبي ﷺ وفد بني المنتفق، قدم على رسول الله ﷺ

لقيط بن عامر من بني المنتفق ومعه صاحب له يُدعى نهيك بن عاصم، قدما على النبي ﷺ، ودخلا عليه حين انصرف من صلاة الغداة وقام في الناس خطيبًا، فلما فرغ من خطبته قال له لقيط بن عامر: يا رسول الله، ﷺ ما عندك من علم الغيب؟ فحدّثه النبي ﷺ وجعل يسأل النبي ﷺ، والنبي ﷺ يجيبهم بما أطلعه الله ﷻ عليه.

ومن الوفود: وفد صداء، وكان وافدهم: اسمه زياد بن الحارث الصدائي أتى إلى رسول الله ﷺ فبايعه على الإسلام.

فلما بايع النبي ﷺ على الإسلام أُخبِر أن رسول الله ﷺ قد بعث جيشًا إلى قومه، فطلب من النبي ﷺ أن يرد الجيش ويأتيه هو بإسلام قومه وطاعتهم، ففعل النبي ﷺ ما أراده زياد، وأرسل ﷺ إلى الجيش أن يرجعوا، وأعطاهم مهلة أخرى؛ ليُسلموا.

فكتب الصدائي إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فجاء وفدهم بإسلامهم فأمّره النبي ﷺ على قومه، وكتب له كتابًا بذلك.

ومن قصة زياد بن الحارث: أنه رافق النبي ﷺ في سفر من أسفاره، فسمع النبي ﷺ في هذا السفر يحث على عدم طلب الإمارة، ويحذر من الإمارة وأنه لا خير فيها حتى لا يتنافس الناس عليها، وأنها مسئولية، وأمانة عند الله ﷻ وسمع من النبي ﷺ يحذّر من سؤال الصدقة عن ظهر غنى، فلما سمع هذا ردّ الكتابين إلى النبي ﷺ، فقال: إنه لا يريد الإمارة ولا يريد الصدقة رضي الله عنه.

ولما كان مع النبي ﷺ نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، حين فقدوا الماء، وكان هذا من معجزات رسول الله ﷺ في أكثر من حادثة يفقدون الماء فيدعو النبي ﷺ ربه فينبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ حتى يملأ الناس أوانيهم، فلما رأى هذه المعجزة قال للنبي ﷺ: إن عندهم في صداء بئرًا يقل ماؤها في الصيف، ويكثر في الشتاء، فطلب

من النبي ﷺ أن يدعو لبئرهم أن يكثر ماؤها في الصيف كما هو في الشتاء، فأخذ النبي ﷺ سبع حصيات وبرّك عليها أي: دعا بالبركة، ومسّها بيده الشريفة عليه السلام وأعطاه الحصيات، وقال له: ارمها في البئر، واحدة واحدة، واذكر الله وأنت ترمي هذه الحصيات السبع، ففعل فجاشت البئر بالماء صيفًا وشتاءً حتى لا يُرى قعرها.

وقالوا: إن توقيت وفد زياد بن الحارث الصدائي كان بعد مُنصرف النبي ﷺ من عمرة الجعرّانة.

ومن الوفود: وفد ثقيف:

في شهر رمضان من العام التاسع من الهجرة بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك، أرسلت ثقيف وفدًا إلى النبي ﷺ برئاسة عبد ياليل بن عمرو، ومعه رجلان أو ثلاثة من بني مالك، واثنان من الأحلاف، فأعلنوا إسلامهم وإسلام قومهم وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا، وأمرهم النبي ﷺ أن يهدموا اللات، فطلبوا من النبي ﷺ تأخير هدم اللات ثلاث سنين، فرفض النبي ﷺ ذلك، وأوكل النبي ﷺ أمر ذلك إلى أبي سفيان والمغيرة بن شعبة،

ثم أخذوا يطلبون طلبات فيها تنازل عن شيء من أحكام الدين، يعني: أول شيء طلبوا تأخير هدم اللات، فرفض النبي ﷺ ذلك، ثم طلبوا إعفائهم من الصلاة، قالوا: إنهم إنهم يستنكفون من الركوع والسجود- والعياذ بالله- فقالوا: إنهم لا يستطيعون الركوع والسجود، وهذا من الكبر يعني الذي كان عندهم في الجاهلية.

فأبى النبي ﷺ ذلك، وقال: لا خير في دين لا صلاة فيه، وفي رواية: لا خير في دين لا ركوع فيه.

فطلبوا إعفاءهم من الزكاة والجهاد، فسكت النبي ﷺ له عن ذلك، وقال: سيتصدقون

ويجاهدون إن شاء الله.

لماذا رفض أن يوافقهم على ترك الصلاة، وسكت لهم عن ترك الزكاة والجهاد؟

والجواب: أن الصلاة تجب على الفور، فلا مجال للسكوت عنها أو تأجيلها، وأما الزكاة فلا تجب على الفور، فمَنْ كان لا يملك نصابًا أو لم يحل عليه الحول، لا تجب عليه الزكاة أصلًا، كثير من المسلمين لا تجب عليه الزكاة طيلة عمره، ومَنْ وجبت عليه الزكاة لن تجب عليه إلا بعد سنة من إسلامه، فالزكاة ليست مطلوبة منهم على الفور، وقد لا تُطلَب منهم أبدًا إذا لم يكونوا ممَّنْ تجب عليه الزكاة، أو يعني مَنْ وجبت عليه الزكاة معه مهلة حتى تجب عليه.

وأما الجهاد ففي معظم الأحيان يكون فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، فالنبي ﷺ قال: نُمهلهم في أمر الزكاة والجهاد، وإن شاء الله إذا دخل الإيمان في قلوبهم سيتصدقون ويجاهدون إن شاء الله.

ثم سألوا النبي ﷺ أن يعفيهم من الوضوء، فأبى عليهم ذلك، وسألوا مسائل أخرى رفضها النبي ﷺ، فسألوه أن يعيد إليهم أبا بَكْرة الثقفي، فأبى النبي ﷺ، فقد أعتقه الإسلام، فلا يُسترَق بعد أن حُرر مرة أخرى.

وأمّر عليهم النبي ﷺ عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، وكان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، ومكثوا في المدينة خمسة عشر يومًا، ورجع معهم أبو سفيان والمغيرة بن شعبة؛ لهدم اللات، فلما وصلا إلى اللات اجتمعت النساء حول اللات يبكين، وشرع المغيرة في هدْمِها، ثم أخذ ما كان فيها من ذهب ومال.

فأراد المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن يسخر منهم ، فألقى المعول، وجعل يركض ويتظاهر أن أحدًا يطارده، وأنه عاجز عن مواصلة الهدم، ففرحوا وجعلوا يقولون: ثأرت الربة..

ثأرت الربة، فضحك منهم المغيرة ﷺ، وجعل يدعوهم إلى توحيد الله، وأنها لا تملك نفعًا ولا ضُرًا، وأكمل الهدم حتى أتى عليها.

ومن ضمن الوفود أيضًا: وفد عبد الرحمن بن أبي عقيل، وهو رجل من ثقيف، وبعض علماء السيرة يجعلونه عضوًا من أعضاء وفد ثقيف الذين قدموا على النبي ﷺ وليس وفدًا خاصًا، وقيل: إنه لم يكن معهم، بل جاء في وفد آخر إلى النبي ﷺ.

وقصة عبد الرحمن بن أبي عقيل الثقفي: أنه لما وفد على النبي ﷺ قال: انطلقت في وفد إلى رسول الله ﷺ، فأتيناه فأنخنا بالباب، وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه منه، فلما خرجنا ما في الناس أحب إلينا من رجل دخلنا عليه.

فقال قائل منّا: يا رسول الله، ألا سألت ربك ملكًا كملك سليمان؟

فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان.

إن الله لم يبعث نبيًا إلا أعطاه دعوةً: فمنهم مَنْ اتخذ بها دنيا فأُعطيها، ومنهم مَنْ دعا بها على قومه إذ عصوه فأُهلكوا بها، وإن الله أعطاني دعوةً فاختبأتها عند ربي شفاعةً لأمتي يوم القيامة. عليه السلام.

ومن الوفود: وفد قبيلة بكر: أوفدوا رجلًا واحدًا هو الحارث بن حسّان البكري، وفد إلى النبي ﷺ يشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ -والعلاء بن الحضرمي كان أمير النبي ﷺ على البحرين- وبينما هو في الطريق مرّ بعجوز من بني تميم منقَطَعٍ بها، يعني: واقفة في الطريق، وليس معها أحد يحملها في الصحراء، فطلبت منه أن يبلغها الرسول ﷺ فحملها معه إلى المدينة، المهم: أنه وفد مع هذه المرأة وأحضرها معه إلى النبي ﷺ، ثم إنه طلب من النبي ﷺ أن يجعل الدهناء حاجزًا بين تميم وبكر، فاعترضت المرأة العجوز، وطلبت من النبي ﷺ ألا يفعل هذا، وأنها من سكان منطقة

الدهناء، والدهناء هي أرضهم، فقال الحارث بن حسان: إن مثلي ومثلك كما قال الأول: «**حتفَها تحمل ضأنٌ بأظلافها**»[١].

و من الوفود:وفد طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه، قدِم ومعه جماعة من قومه بني محارب.

و بعض الروايات تقول: إن بني محارب وفدوا مرتين: المرة الأولى: كان فيها طارق بن عبد الله المحاربي، و كانوا ذاهبين إلى المدينة للتجارة فأسلموا.

وبعد ذلك أوفدوا وفدًا آخرًا؛ ليُعلنوا إسلام القبيلة عند النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى كل حال: قصة طارق بن عبد الله المحاربي: أنهم قدموا إلى المدينة للتجارة، فلما اقتربوا من بساتين المدينة لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم لا يعرفونه، فعرض عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ جملهم بشيء من تمر، كان معهم جمل أعجب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: آخذ هذا الجمل وأعطيكم به تمرًا فوافقوا.

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجمل، وقال: انتظروني هنا وآتيكم بالتمر، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم بالجمل إلى المدينة ليبعث إليهم التمر، فلما أخذ الجمل وذهب ندموا، وقالوا: نحن لا نعرف هذا الرجل، ولعله يأخذ الجمل ولا يعود إلينا، فقالت امرأة كانت معهم: إن وجهه ليس بوجه كذّاب، فبعد قليل عاد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه التمر، فلما دخلوا المسجد، فالتقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يسمعون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو كبير المدينة، فدخلوا المسجد؛ ليروه صلى الله عليه وسلم فوجدوه يخطب صلى الله عليه وسلم، يحث على الصدقة، ومعهم طارق بن عبد الله، فروى

---

[١] المستقصى في أمثال العرب للزمخشري: جـ٢،صـ٥٩. وَالْمعْنَى: أَن الضَّأْن تبحث بأظلافها عَن المُدية فتذبح بهَا فَتحمل حتفها بأظلافها إلى نَفسهَا وتجره الَيْهَا، وَقيل: اذا سمنت ذُبحت فَكَأَن شحومها الَّتِي تحملهَا وتمشى بهَا هي حتفها؛ لِأَنَّهَا سَبَب ذَبحهَا يضْرب فى جالب الْحِين على نَفسه.

عن النبي ﷺ فروى ما سمعه من النبي ﷺ في تلك الخطبة بعد ذلك.

المرة الثانية: أن بني محارب أوفدوا إلى النبي ﷺ عشرة نفر؛ ليعلنوا إسلامهم، وكان ذلك في عام حجة الوداع، فوفدوا على النبي ﷺ فأسلموا، وكان في الوفد رجل عرفه النبي ﷺ لما كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في مكة، في بداية الدعوة، كان فيه فظاظة، وكان يؤذي النبي ﷺ بكلامه وهو يدعو قومه إلى الإسلام، فيُسيء إلى النبي ﷺ فدارت الأيام وبعد ذلك إذا بهذا الرجل كان من ضمن الوفد الذين قدموا يسلمون بين يدي رسول الله ﷺ.

من الوفود أيضًا: وافد فروة بن عمرو الجذامي، و كان ملك (مَعان) التي هي حاليًا في جنوب الأردن.

فأسلم، وحسُن إسلامه، وأرسل وافدًا من قِبَله، وهو مسعود بن سعد، أرسله وافدًا من قِبَله يحمل معه هدايا إلى النبي ﷺ، ومنها: بغلة بيضاء وفرس وحمار.

فقبل النبي ﷺ هداياه وسُرّ بخبر إسلامه، وكتب إليه كتابًا، وأهدى إليه هدايا، مكافئة على هداياه.

فعلم هرقل بهذا الخبر-وكان فروة تابعًا له- فبعث إليه، فلما وصل إليه أمره بالرجوع عن الإسلام، فأبى، فحبسه، وضرب عنقه، وقُتِل شهيدًا -رحمه الله- ورضي عنه.

ومن الوفود: وفد تميم الداري، كان تميم الداري نصرانيًّا وقدِم على النبي ﷺ في المدينة فأسلم، وذكر قصة الجساسة وقصة الدجال التي رواها الإمام مسلم في صحيحه من حديثفاطمة بنت قيس ﵂، وفيه أن النبي ﷺ **قَالَ لأصحابه لما جمعهم**: « **إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ،**

حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ

ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِدًا - مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ» - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[١]

والعلماء يذكرون هذا الحديث في باب رواية الأكابر عن الأصاغر، يعني دائمًا الصحابي يروي عن النبي ﷺ ويقول: حدّثني رسول الله، فمن مناقب تميم الداري أنه هو الصحابي الوحيد الذي روى عنه النبي ﷺ فقال: إن أخاكم تميمًا حدّثني.

أسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم.

وذكرنا إقطاع النبي ﷺ له أرضًا في منطقة الخليل التي هي حبرون.

كذلك وفد بني أسد قدِموا في أول السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا عشرةً، منهم ضرار بن الأزور، ووابصة بن معبد، وطليحة بن خويلد الأسدي، وكان رئيسهم اسمه حضرمي بن عامر، فقال: يا رسول الله ﷺ أتيناك نتضرع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثًا، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ

[١] رواه مسلم ٢٩٤٢.

﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[الحجرات:١٧]

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، فقال رسول الله ﷺ: «إن فقههم قليل، وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم» ونزلت الآية الكريمة: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الحجرات:١٧].

ومن الوفود: وفد من بني قشير بن كعب قدِم وفدهم على النبي ﷺ قبل حجة الوداع وبعد حُنين فأسلموا، وكان ممَّنْ ذُكِر من أسماء هذا الوفد قُرة بن هبيرة، فأعطاه النبي ﷺ شيئًا وكساه بُردًا وولّاه صدقة قومه.

ومن ضمن هذا الوفد أيضًا معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه، هذا أيضًا كان من ضمن هذا الوفد وأسلم وسأل النبي ﷺ عن أشياء فعن بَهْزٍ **قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَإِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا يَرَيَنَّهَا». قُلْتُ فَإِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»**[١] ففيه النهي عن التعري إلا للحاجة، يعني إن الإنسان يتعرى ليغتسل أو عند معاشرة الزوجة، عند دخول الخلاء، عند الاغتسال، يعني إذا احتاج إلى ذلك، لكن لا يفعله لغير حاجة الإنسان، فنهى النبي ﷺ عن ذلك قال: الله أحق أن يُستحيا منه من الناس، حتى لو كان جالسًا وحدًا، وليس هناك حاجة.

---

[١] رواه أحمد٢٠٠٣٤ وحسّنه محقق المسند، وأبو داود٤٠١٧ والترمذي٢٧٦٩. وبهز: هو ابن حكيم بن معاوية بن حَيدة القُشَيري.

فكان هذا السؤال لما وفد معاوية على النبي ﷺ.

وكذلك من الوفود: وفد بني الحارث بن كعب، وهؤلاء من أهل نجران، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثًا قبل أن يقاتلهم، النبي ﷺ، فظل ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا بغير قتال، فلما أسلموا أقام خالد رضي الله عنه معهم مدة يعلمهم الإسلام وأحكام الدين.

ثم كتب إليه الرسول ﷺ أن يقدم ومعه وفدهم، فجاء وفدهم إلى النبي ﷺ وأرسل النبي ﷺ إليهم عمرو بن حزم؛ ليفقههم في الدين ويأخذ منهم الصدقات، وكتب له كتابًا، فيه مقادير الصدقات.

ومن الوفود: وفد الحكم بن حزم التميمي، وقدِم على النبي ﷺ سابع سبعة أو تاسع تسعة، فدخلوا على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، أتيناك لتدعو لنا بخير، فدعا لهم بخير، ولبثوا أيامًا عند رسول الله ﷺ بالمدينة وشهدوا معه صلاة الجمعة، فقال: إن النبي ﷺ خطب متوكئًا على قوس أو عصا، فقال: أيها الناس، إنكم إن تفعلوا ولن تطيقوا كلما أُمرتم به، ولكن سددوا وأبشروا.

كان من ضمن الوفود التي فيها بعض الأخبار وفد بني سُليم، وفد منهم قيس بن نُسيبة السلمي، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام وعاد إلى قومه فوافى رسول الله ﷺ منهم سبعمائة ويقال: ألف، وفيهم راشد بن عبد ربه، وكان من كبراء بني سُليم، وكان سادن صنم بني سُليم، فرأى يومًا ثعلبين يبولان عليه، فأنشد يقول:

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ مَنْ بالت عليه الثعالب

كان هذا بداية مفرطهم من عبادة الأوثان، يقول: كيف يكون ربًّا والثعالب تبول على رأسه؟ فجاء إلى النبي ﷺ مع قومه مسلمين.

ومن الوفود: وفد كنانة، جاء منهم واثلة بن الأسقع الليثي، وافدًا من قِبَل بني كنانة على النبي ﷺ مسلمًا، والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، ثم عاد إلى قومه، فلم يتبعوه وأقسم أبوه ألا يكلمه وآمنت به أخته، ثم رجع إلى النبي ﷺ في المدينة مرة أخرى فقيل له: إن النبي ﷺ خرج لغزوة تبوك، فذهب إلى تبوك ولحق بالنبي ﷺ في غزوة تبوك، وبعثه النبي ﷺ مع خالد بن الوليد إلى أُكيدر دومة.

ومن الوفود: وفد بني بكر بن وائل، هؤلاء قدموا على النبي ﷺ وسألوه عن قس بن ساعدة الإيادي، فمدحه النبي ﷺ قال: ليس ذاك منكم، ذاك رجل من إياد تحنّف في الجاهلية؛ تحنّف: يعني ترك عبادة الأوثان، وكان يعبد الله على شريعة إبراهيم عليه السلام وكان يوجد في جزيرة العرب بقايا من دين إبراهيم عليه السلام فجعل يتتبع الأخبار التي تُروى عن إبراهيم -عليه السلام-،-كان العرب ينقلون أن إبراهيم -عليه السلام- كان لا يعبد الأصنام، وكان يعبد الله وحده، وأنه كان لا يأكل مما ذُبِح على النصب، ولا يشرب الخمر، فكان يوجد نفر ممَّنْ يقال لهم الحنفاء، يتبعون ملة إبراهيم وتركوا عبادة الأوثان، فكان منهم هذا الرجل، وكان يخطب في سوق عكاظ، ويعظ الناس، ويأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الأوثان، فمدحه النبي ﷺ.

وكان من ضمن وفد بني بكر بن وائل : بشير بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، وحسّان بن حوط، هؤلاء الصحابة أسلموا، كانوا ممَّنْ قدم على النبي ﷺ في هذا اليوم.

في ومن الوفود: وافدة بني العنبر، واسمها قيلة بنت مخرمة التميمية العنبرية، وهي نفس العجوز التي هي قدمت مع الحارث بن حسان الشيباني وافد بني بكر، فأسلمت رضي الله عنها، وكتب لها النبي ﷺ كتابًا.

ومن الوفود: وفد بني كلاب، وهؤلاء قدموا على النبي ﷺ سنة تسع، كانوا ثلاثة

عشر رجلًا، فيهم لبيد بن ربيعة، الشاعر، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع، التي هي أشهر سبع قصائد عند العرب، فقدِم مسلمًا على النبي ﷺ في وفد بني كلاب، لبيد بن ربيعة وجبار بن سُلمى، وقدما على النبي ﷺ مسلمين، وأخبرا النبي ﷺ أنهم أسلموا على يد الضحاك بن سفيان رضي الله عنه، -وكان النبي ﷺ أرسله يدعو أهل تلك المناطق إلى الإسلام- فجاءوا وأخبروا النبي ﷺ أنه دعاهم إلى الإسلام، وأن الناس أسلموا على يديه وقدموا مسلمين إلى النبي ﷺ.

وتوجد وفود أخرى، هنا عندنا نحو ستة وتسعين وفدًا، يعني بقية الوفود فقط يوجد أسماؤها ليس فيها تفاصيل كثيرة عن أخبارها.

فهذه الوفود التي وفدت على النبي ﷺ فيها دليل على انتشار الإسلام في جزيرة العرب، وفيها حُسن سياسة النبي ﷺ، وأنه كان يُكرِم كريم كل قوم ويوليه عليهم ﷺ، وكان حسن خلقه ﷺ في معاملة هذه الوفود سببًا في إسلام مَنْ وراءهم من أهل بلادهم.

وكان يستقبلهم النبي ﷺ في المسجد، وبعض هؤلاء الوفود كان أسلم قبل أن يأتي إلى النبي ﷺ، وبعضهم أسلم بين يدي رسول الله ﷺ، وبعضهم بقي على شركه ولم يُسلِم، وكان يستقبل النبي ﷺ مَنْ كان مشركًا منهم في المسجد ويأذن لهم في البقاء فيه، ويدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم الدين حتى يُسلموا، فكان الفقهاء يأخذون من قصص الوفود الذين قدموا مشركين، وأقاموا في المسجد النبوي جواز دخول المشرك المسجد طالما قدم لغرض تعلم الإسلام وتعلم الدين.

٢٠- وَفْدُ السِّبَاعِ وَالذِّئَابِ ذُكِرَا ... فِي غَابَةٍ وَغَيْرِهَا، وَاسْتُنْكِرَا

بعد أن ذكر وفود الإنس الذين وفدوا على رسول الله ﷺ يقول: إنه رُوي في بعض الروايات أن السباع والذئاب وفدت على النبي ﷺ وهو في غزوة الغابة، نص الحديث

في كتاب الطبقات لابن سعد يقول: عن عبد الله بن حنطب ﵁ قال: بينما النبي ﷺ جالس بالمدينة فأقبل له سبع فوقف بين يديه فعوى، فقال: «هذا وافد السباع إليكم، فإن أحببتم أن تعرضوا له شيئًا لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه فما أخذ فهو رزقه».

قالوا: ما تطيب أنفسنا بشيء. هذه رواية السباع.

والرواية الثانية التي هي عن الذئاب، والذئاب من السباع، فكلمة السباع أعم، فتشمل الأسود، والنمور، والفهود، والذئاب، رواها البيهقي في «دلائل النبوة» عن أبي هريرة ﵁ قال: جاء إلى النبي ﷺ ذئب فأقعى غير بعيد، ثم جعل يبصبص بذنبه، يعني يُحرّك ذنبه، فقال النبي ﷺ: «هذا وافد الذئاب إليكم، يسألكم أن تجعلوا له شيئًا من أموالكم، قالوا: لا».

فهو ذكر يعني أن وفد السباع والذئاب ذُكِر بصيغة التمريض، يعني: (رُوي، وحُكي) أنه وفد إلى النبي ﷺ وافد عن السباع، ووافد عن الذئاب، لكن يقول: (وَاسْتُنْكِرَا) يعني: استنكر العلماء هذه الروايات؛ لضعف أحاديثها، يقول: هذه الروايات ضعيفة الإسناد، ولا تثبت واستنكرها العلماء لكن من باب العلم بالشيء تُروى.

كذلك هنا لم يذكر وفد الجن اعتمادًا على أنه سبق أن ذكر وفود الجن إلى النبي ﷺ، فالجن وفدوا إلى النبي ﷺ ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾[الأحقاف:٢٩] من جن نصيبين، ومر في أحداث السيرة مجيء الجن إلى رسول الله ﷺ، فهذا يمكن أيضًا اعتباره من أنواع الوفود التي وفدت على الرسول ﵊.

ذِكر أمرائه ﷺ

يقول:

١- أَمَّــرَ بَــاذَانَ بِــلاَدَ الْيَمَــنِ	ثُــمَّ ابْنَــهُ شَــهْرًا بِصَنْعَــا يَمَنِ
٢- وَابْــنَ أَبِي أُمَيَّــةَ الْمُهَاجِــرَا:	كِنْــدَةَ وَالصَّدِفْ، فَقَبْلَ أَنْ سَرَى:
٣- لِعَمَلِــهْ قَضَى النَّــبِيُّ بِالْمَوتْ	كَذَا زِيَــادَ بْنَ لَبِيْــدٍ حَضْرَمَوْتْ
٤- كَذَا أَبَا مُــوْسَى زَبِيْدًا وَعَدَنْ	وَزَمْعَ وَالسَّــاحِلَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنْ
٥- كَــذَاكَ قَدْ وَلَّى مُعَــاذًا الْجَنَدْ	كَــذَاكَ عَتَّابًــا عَلَى خَــيْرِ بَـلَدْ

في هذه الأبيات يذكر عددًا من أمراء رسول الله ﷺ، فمن أمراء رسول الله ﷺ: باذان بن ساسان بن بِهرام، و كان رجلًا فارسيًا وأسلم، وكان أميرًا على اليمن من قِبَل كسرى، كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأسلم -رحمه الله- فولاه النبي ﷺ على اليمن كلها، فهو أول أمير في الإسلام على اليمن، وأول مَنْ أسلم من ملوك العجم.

و كان في اليمن، يعني لم يهاجر إلى النبي ﷺ، لكنه أسلم وقبل دعوة رسل رسول الله ﷺ، وولاه النبي ﷺ على اليمن فصار أميرًا لرسول الله ﷺ على اليمن.

و قاتل الأسود العنسي، لما خرج يدّعي النبوة في اليمن، وثبت على دينه بعد وفاة رسول الله ﷺ.

يقول: (ثُمَّ ابْنَهُ شَهْرًا) لما تُوفي باذان بن ساسان -رحمه الله- ولى النبي ﷺ ابنه شهر بن باذان بصنعاء اليمن، يعني جعله النبي ﷺ أميرًا على صنعاء، ليس على اليمن كلها، وعيّن النبي ﷺ أمراء آخرين على بقية أنحاء اليمن.

قال: (وَابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمُهَاجِرَا) يقول: من أمراء رسول الله ﷺ: المهاجر بن أبي أمية المخزومي، عيّنه النبي ﷺ على كندة والصدف، منطقتان من مناطق اليمن أيضًا أو جنوب الجزيرة العربية.

يقول: (فَقَبْلَ أَنْ سَرَى: لِعَمَلِهْ قَضَى النَّبِيُّ بِالْمَوْت) عليه الصلاة والسلام، يقول: قبل أن يتوجه لتولي هذه الإمارة توفي رسول الله ﷺ، فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه وجّهه لقتال المرتدين، فعُدّ من أمراء رسول الله ﷺ على أساس أن النبي ﷺ ولّاه الإمارة ورضيه واختاره أميرًا ﷺ في حياته لكنه لم يتولها ولاية فعلية.

ثم يقول: (كَذَا أَبَا مُوْسَى زَبِيْدًا وَعَدَنْ وَزَمْعَ وَالسَّاحِلَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنْ) يقول: من أمراء رسول الله ﷺ: أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، ولاه النبي ﷺ أميرًا على زبيد وعدن وزمع والساحل، وهذه كلها مناطق من مناطق اليمن.

ومن أمراء النبي ﷺ: زياد بن لبيد بن ثعلبة البياضي، صحابي أنصاري رضي الله عنه عيّنه النبي ﷺ أميرًا على حضرموت.

قال: (كَذَاكَ قَدْ وَلَّى مُعَاذًا الْجَنَدْ) منطقة باليمن، قال: (كَذَاكَ عَتَّابًا عَلَى خَيْرِ بَلَدْ) هو عتّاب بن أسيد بن أبي العيص الأموي رضي الله عنه، ولاه النبي ﷺ على خير بلد، وهي مكة المكرمة، لما فتح النبي ﷺ مكة ولى عليها عتاب بن أسيد الأموي رضي الله عنه، فلم يزل أميرًا عليها حتى مات رضي الله عنه.

يقول:

٦- كَـذَاكَ قَـدْ وَلَّى أَبَا سُـفْيَانَا ... صَخْرَ بْـنَ حَرْبٍ بَعْـدَ ذَا نَجْرَانَا

٧- كَـذَا ابْنَـهُ يَزِيْـدَ أَي تَيْمَاءَ ... وَابْـنَ سَـعِيْدٍ خَـالِدًا صَنْعَـاءَ

٨- كَذَاكَ عَمْرًا أَخَهُ وَادِي الْقُرَى	وَحَكَمًا أَخَاهُمَا عَلَى قُرَى:
٩- عُرَيْنَةٍ، كَذَاكَ أَيْضًا أَعْطَى	أَخَاهُمَا أَبَانَ مِنْهُ الْخَطَّا
١٠- كَذَلِكَ ابْنَ الْعَاصِ عَمْرًا بِعُمَانْ	كَذَا عَلَى الطَّائِفِ وَلَّى عُثْمَانْ:

هنا يذكر أيضًا عددًا من أمراء رسول الله ﷺ، فمنهم: أبو سفيان صخر بن حرب الذي كان سيد قريش رضي الله عنه لما أسلم ولاه النبي ﷺ على نجران، وهي حاليًا في جنوب السعودية، وكانت سابقًا معدودة كجزء من اليمن.

يقول: (كَذَا ابْنَهُ يَزِيْدَ) يزيد بن أبي سفيان استعمله النبي ﷺ على تيماء، منطقة تيماء في شمال الجزيرة العربية. ويقول: (وَابْنَ سَعِيْدٍ خَالِدًا) هو خالد بن سعيد بن العاص ولاه النبي ﷺ على صنعاء بعدما قُتِل شهر بن باذان.

قال: (كَذَاكَ عَمْرًا أَخَهُ وَادِي الْقُرَى) هو عمرو بن سعيد أخو خالد بن سعيد بن العاص، ولّاه النبي ﷺ على وادي القرى، وادي القرى أيضًا في شمال الجزيرة يعني قُرب تبوك، منطقة وادي القرى فولّى النبي ﷺ عمرو بن سعيد بن العاص على وادي القرى.

يقول: (وَحَكَمًا أَخَاهُمَا عَلَى قُرَى) يعني هؤلاء الثلاثة الإخوة، وهم: خالد بن سعيد بن العاص وعمرو بن سعيد بن العاص ولاه النبي ﷺ، وكذلك الحكم بن سعيد بن العاص أيضًا ولاه النبي ﷺ (عَلَى قُرَى عُرَيْنَةٍ) وعرينة: قبيلة بالحجاز فولاه النبي ﷺ على قرى لتلك القبيلة.

قال: (كَذَاكَ أَيْضًا أَعْطَى أَخَاهُمَا أَبَانَ مِنْهُ الْخَطَّا) أبان هو أبان بن سعيد بن العاص، فيقول: ولاه النبي ﷺ على الخطّا، والخطّا: قالوا: هي ساحل الخليج ما بين عمان إلى

البصرة، وقالوا: الخطا قرية على ساحل البحرين، وهو نفس الشيء؛ لأن البحرين في زمن النبي ﷺ كانت تشمل ما بين عمان إلى البصرة، والبصرة هي آخر شيء في جنوب العراق. فهؤلاء الأربعة الإخوة كلهم من أمراء رسول الله ﷺ.

يقول: (كَذَلِكَ ابْنَ الْعَاصِ عَمْرًا بِعُمَانْ) عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاه النبي ﷺ على على منطقة عمان، و(وَلَّى عُثْمَانْ: ابْنَ أَبِي الْعَاصِي) عثمان بن أبي العاص وهو أيضًا من قرابتهم، ولاه النبي ﷺ على الطائف.

يقول:

.... عَلَى الطَّائِفِ وَلَّى عُثْمَانْ

١١- ابْنَ أَبِي الْعَاصِي، كَذَاكَ وُلِّيَا مَحْمِئَةُ الأَخْمَاسَ، ثُمَّ وَلِيَا:

١٢- عَلِيٌّ الْقَضَاءَ وَالأَخْمَاسَا بِيَمَنٍ، فَكَانَ فِيْهِ رَاسَا

١٣- كَذَاكَ أَمَّرَ ابْنَ حَاتِمٍ عَدِيْ فِي صَدَقَاتِ طَيِّءٍ وَأَسَدِ

١٤- وَغَيْرَهُ مِنْ أُمَرَاءِ الصَّدَقَةْ تُجْمَعُ مِنْ قَبَائِلٍ مُفَرَّقَةْ

فيقول هنا: من أمراء رسول الله ﷺ محمئة بن جزء بن عبد يغوث، ولاه النبي ﷺ على الأخماس، يعني على تفريق الغنائم، عندما تُجمَع الغنائم يُخرَج الخمس لله، وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين وابن السبيل، والأخماس الأربعة الأخرى تُفرّق على المجاهدين، فولاه النبي ﷺ على الأخماس، يعني على تفريق هذه الأخماس وإخراج ما هو لله وللرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وعلى تفريق الأخماس الأربعة الأخرى.

يقول: ثم ولّى عليًّا القضاء والأخماس باليمن.

قال: (فَكَانَ فِيْهِ رَاسَا) يعني كان رأسًا في القضاء، ولاه النبي ﷺ القضاء ، ودعا له النبي ﷺ وقال: «اللهم اهدِ قلبه، وسدده» وكان رأسًا في القضاء، وورد في الحديث: «وأقضى أمتي علي»، فكان من أعرفهم بالقضاء وشؤونه، والقضاء يحتاج إلى علم شرعي، ويحتاج أيضًا إلى فطنة، وانتباه لحيل الخصوم وتلاعبهم بالكلام، فكان علي رضي الله عنه رأسًا في القضاء.

و من أمراء رسول الله ﷺ: عدي بن حاتم الطائي، ولاه النبي ﷺ على (صَدَقَاتِ طَيِّءٍ وَأَسَدِ)، يجمع صدقاتهم ويوصلها إلى النبي ﷺ.

١٤- وَغَــيْرُهُ مِنْ أُمَــرَاءِ الصَّدَقَةْ   تُجْمَــعُ مِــنْ قَبَائِــلٍ مُفَرَّقَــةْ

يعني: لا يستطيع حصر أمراء الصدقة، فأمراء الصدقة كثيرون، هو حاول أن يذكر أمراء البلاد، لكن أمراء الصدقة كثيرون، لا يُستطاع حصرهم؛ لأن النبي ﷺ كان في كل قبيلة يُعيّن فيها عاملًا على الصدقات يتولى جمْع الصدقات من هذه القبيلة.

بعد ذلك يقول:

١٥- وَأَمَّــرَ الصِّدِّيْقَ فِي الْحَجِّ لَدَى   سَــنَةِ تِسْــعٍ، وَعَلِيًّــا فِي النِّــدَا:

١٦- «أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ عَامِي مُشْرِكُ   وَيَقْرَأَ السُّــوْرَةَ»، خَــابَ الْمُشْرِكُ

١٧- أَمَّــا الأُلَى أَمَّرَهُــمْ فِي الْبَعْثِ   فَذُكِــرُوْا فِي كُلِّ بَعْــثٍ بَعْــثِ

يقول: من أمراء رسول الله ﷺ: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أمّره النبي ﷺ على الحج سنة تسع؛ لأن مكة المكرمة فُتحت في العام الثامن الهجري، وفي العام التاسع بعث النبي ﷺ أبا بكر رضي الله عنه؛ ليكون أميرًا على الحج، ويحج بالناس.

ولماذا لم يذهب النبي ﷺ إلى الحج في تلك السنة؟

قالوا: إما لأنه كان لا يزال المشركون يحجون بالبيت ولهم طقوس تخالف هدْي المسلمين فأراد النبي ﷺ أن تكون حجته خالية من المشركين؛ ليقتدي الناس فيها برسول الله ﷺ، ولا يكون في الحج طائفتان: طائفة تحج للأصنام، وطائفة تحج لله ﷻ وكان مشركو قريش لا يقفون بعرفات، يقولون: عرفة من الحِل، فيقفون بالمزدلفة.

وقالوا: كذلك أيضًا كان لا يزال يوجد العراة، الذين يطوفون بالبيت عراة، والنبي ﷺ أراد أن يمنع هذه المظاهر ويمنع طواف العراة بالبيت.

وقالوا: أيضًا من الأسباب أن المشركين كان عندهم النسيء، وهو تعديل الشهور، يأتون إلى شهر حرام فيجعلونه حلالًا؛ ليستبيحوا فيه القتال فيلغون مثلًا هذا الشهر ويسمونه بغير اسمه، فقيل: إن الحج في تلك السنة كان يوافق ذا القعدة وليس ذا الحجة، لأنه كان عندهم نسيء، فالحج المفروض أنه في شهر ذي الحجة وهم قد حذفوا شهرًا في أول السنة، فترحلت الشهور فالشهر الذي هو عندهم ذو الحجة هو في الحقيقة كان ذا القعدة، لكن النبي ﷺ في العام العاشر قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞ﴾[التوبة:٣٦] في العام العاشر كانت الشهور قد عادت لوضعها السليم، وكان الحج موافقًا لذي الحجة كما شرع الله ﷻ.

فالمهم أن النبي ﷺ في العام التاسع بعث أبا بكر ليحج بالناس ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة.

فلما ذهب أبو بكر رضي الله عنه للحج بعث النبي ﷺ على إثره علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ليقرأ على الناس سورة براءة، وينادي في الناس: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت

عريان، فلما وصل علي ﷺ الْتقى بأبي بكر ﷺ وهو في الطريق من المدينة إلى مكة، وكان على بُعد ثمانية وسبعين ميلًا من المدينة، فقال له أبو بكر: فيمَ جئت؟ قال: مبلغًا للناس بالنداء لا أميرًا عليهم.

وهذا الموضوع الروافض لهم فيه لغط كثير، يزعمون أن النبي ﷺ بعث عليًّا ليعزل أبا بكر ويتولى الإمارة على الحج، وهذا الكلام لا أساس له، فالنبي ﷺ بعث عليًّا ﷺ؛ ليكون ردفًا وعونًا لأبي بكر، وبعثه لمهمة محددة وهي: قراءة سورة براءة، وقالوا: إن سورة براءة ما كانت نزلت وقت أن ذهب أبو بكر، فأُنزلت على النبي ﷺ وأبو بكر في الطريق، فبعث عليًّا ليقرأ الآيات الكريمة من أول سورة براءة؛ لأن هذه الآيات فيها فسْخ العقود التي بين النبي ﷺ والمشركين، وأعطاهم مهلة أربعة أشهر: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾[التوبة:٢] وأنه بعد ذلك تنفسخ العهود التي بينهم وبين النبي ﷺ وأنذرهم.

وقالوا أيضًا: إنه كان من عادة العرب أنه لا يحل العقود ولا يعقدها إلا الأمير أو رجل من أهل بيته، فكان هذا من عادة العرب فرأى النبي ﷺ أن الحكمة يعني أن يبعث لهذه المهمة عليًّا ﷺ؛ لأن سورة براءة فيها إلغاء العقود والمعاهدات التي كانت بينه وبين المشركين وإعطائهم مهلة، فأراد النبي ﷺ أن يكلف بذلك رجلًا من أهل بيته كما هي عادة العرب حتى يكون لهذا الأمر ثقة عندهم.

ثم يقول: أما أمراء البعوث الذين أمّرهم النبي ﷺ على السرايا، فهؤلاء مرّ ذِكْرهم عند كل بعث في موضعه.

باب (ذِكْر مرضه ووفاته ﷺ)

يقول:

١- مَرِضَ فِي الْعَشْرِ الأَخِيْرِ مِنْ صَفَرْ ... أَقَامَ فِي شَكْوَاهُ ذَاكَ: اثْنَيْ عَشَرْ
٢- أَوْ عَشْرًا، اوْ أَقَامَ أَرْبَعَ عَشِرَةْ ... أَوْ فَثَلاَثَ عَشْرَةٍ قَدْ ذَكَرَهْ
٣- كَذَا ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ فِي رَبِيْعِ ... فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ لَدَى الْجَمِيْعِ
٤- وَفَاتُهُ: إِمَّا بِثَانِي الشَّهْرِ ... أَوْ مُسْتَهَلِّ، أَوْ بِثَانِي عَشْرِ
٥- وَهُوَ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْجُمْهُورُ ... لَكِنْ عَلَيْهِ نَظَرٌ كَبِيْرُ
٦- لأَنَّ وَقْفَةَ الْوَدَاعِ الْجُمُعَةْ ... فَلاَ يَصِحُّ كَوْنُهَا فِيْهِ مَعَهْ
٧- وَقِيْلَ: «بَلْ فِي ثَامِنٍ» بِالْجَزْمِ ... وَهُوَ الَّذِي صَحَّحَهُ ابْنُ حَزْمِ
٨- وَكَانَ ذَاكَ عِنْدَمَا اشْتَدَّ الضُّحَى ... أَوْ حِيْنَ زَاغَ الشَّمْسُ، خُلْفٌ صُرِّحَا

يقول: إن ابتداء مرض رسول الله ﷺ كان بعد عودته ﷺ من حجة الوداع في آخر العام العاشر، فرجع النبي ﷺ إلى المدينة في أوائل العام الحادي عشر الهجري ﷺ، وبدأ يشتكي ﷺ في آخر عشرة أيام من صفر.

(أَقَامَ فِي شَكْوَاهُ ذَاكَ) مدة شكوى النبي ﷺ، فيها عدة روايات، فقال: (اثْنَيْ عَشَرْ أَوْ عَشْرًا) أو (أَرْبَعَ عَشِرَةْ) يعني: إما أنه أقام اثني عشر يومًا أو عشرة أيام أو أربعة عشر يومًا أو ثلاث عشرة ليلة أو غير ذلك.

وأما يوم وفاة النبي ﷺ فيقول: الثابت في الأحاديث الصحيحة والشيء المتفق عليه

أن النبي ﷺ توفي يوم الاثنين، وأنه كان في شهر ربيع الأول، لكنهم اختلفوا في تحديد اليوم من شهر ربيع الأول.

فهنا يقول: الذي أورده الجمهور: أن الوفاة وافقت اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، لكن كما يقول الإمام العراقي -رحمه الله-: هذا فيه نظر كبير؛ لأن الثابت المقطوع به في الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن وقفة عرفات في العام العاشر كانت توافق يوم جمعة، فعلى هذا فيوم الاثنين لا يمكن أن يوافق الثاني عشر من ربيع الأول، سواء على تمام الشهور أو نقصانها. فلهذا قال بعض العلماء: لعله اليوم الثاني من ربيع الأول؛ لأن اليوم الثاني من ربيع الأول كان يوافق يوم اثنين.

وبعضهم قال: في مستهل الشهر، وبعضهم قال: في الثاني عشر.

وقالوا: إن الذي رجحه ابن حزم أنه اليوم الثامن، يقول: إن اليوم الثامن أيضًا من شهر ربيع الأول يوافق يوم اثنين، وقالوا: لعل هذا يكون أقرب الأقوال.

على كل حال كانت وفاته ﷺ يوم اثنين وفي شهر ربيع الأول، وهذا يبين أن الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا معنيين عناية كبيرة بضبط هذه التواريخ، وأن المسلمين لا يقدسون هذه التواريخ، ولا هي مناسبات يُحتفَل فيها، فلو كانت المناسبات هذه لها احتفالات، ولها أعياد، ولها عزاء لكان الصحابة يضبطون هذا الأمر ويتواتر ويُنقَل، لكن الصحابة رضي الله عنهم رووا أن الرسول ﷺ توفي يوم اثنين في شهر ربيع الأول، وأنه مرض بضع عشرة ليلة، لكن ما ضبطوا التاريخ لحكمة من الله سبحانه وتعالى حتى لا يُتخَذ هذا اليوم يوم مناحة ويوم عزاء كما يفعل بعض الناس في يوم وفاة مُعظّم عندهم.

فعلى كل حال: كانت وفاة النبي ﷺ في يوم اثنين من شهر ربيع الأول، والأقرب أن يكون يوم الوفاة يوافق الثامن من ربيع الأول في العام الحادي عشر من الهجرة النبوية.

ويقول: إن وقت وفاة النبي ﷺ كان عند اشتداد الضحى، في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة، يعني النبي ﷺ لما دخل المدينة كان في وقت الضحى، عند اشتداد الضحى، يعني عند ارتفاع الشمس في السماء قبل الظهر.

قال: (أَوْ حِيْنَ زَاغَ الشَّمْسُ، خُلْفٌ صُرِّحَا) أو حين زاغت الشمس يعني عند الزوال، ناس قالوا: عند اشتداد الضحى يعني قبيل الزوال، ويقول: إنه ورد في بعض الروايات أنه كان بعد الزوال، لكن الأشهر أنه عند اشتداد الضحى، قبيل الزوال، يعني ما دخل الزوال وهو وقت الظهر إلا وقد توفي رسول الله عليه السلام.

نذكر بعض الأحداث في الأيام الأخيرة قبيل وفاة رسول الله ﷺ:

قبيل وفاة رسول الله ﷺ طلب النبي ﷺ من مولاه أبي مويهبة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع؛ لأنه أُمِرَ أن يستغفر لأهل البقيع، فوقف النبي ﷺ بين أظهرهم وقال: السلام عليكم يا أهل المقابر، وسلم عليهم النبي ﷺ.

ثم قال لأبي مويهبة: إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخُيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة، قال أبو مويهبة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة، وكان النبي ﷺ أخبر أنه ما قبض الله نبيًا حتى يُخيّره، ، يعني في قصة موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت قال: ضع يدك على متن ثور، ولك بكل شعرة مستها يدك سنة تعيشها، قال: ثم ماذا؟ قال: الموت، قال: فالآن. وكذلك النبي ﷺ خُيّر، فاختار ﷺ لقاء الله تعالى.

ثم استغفر لأهل البقيع وانصرف ﷺ إلى بيت عائشة رضي الله عنها.

واشتد وجع النبي ﷺ وكان من عادته ﷺ أنه كان يبيت كل ليلة عند واحدة من

أزواجه وهن تسع رضي الله عنهن، عائشة لها ليلتان: ليلة لها وليلة سودة ﵂ فقد تنازلت عن ليلتها لعائشة ﵂، فكان النبي ﷺ يقسم لعائشة ليلتين، ولبقية أمهات المؤمنين ليلة، فكان النبي ﷺ يدار به على البيوت وهو في مرضه ﷺ فاشتد ذلك عليه، فدعا النبي ﷺ نساءه واستأذنهن أن يُمرّض في بيت عائشة ﵂، فأذِنّ له ﵊ فبقي في بيت عائشة ﵂ عشرة أيام أو بضعة عشر يومًا كما مر إلى حين وفاته ﵊

وكانت عائشة ﵂ ترقي رسول الله ﷺ، تقرأ عليه المعوذتين وتدعو بما حفظته عن رسول الله ﷺ من الدعاء وكانت تمسح بيده رجاء البركة، يعني كانت تأخذ يد النبي ﷺ وتمسح بها على جسده ﵊، بدلًا من أن تمسح بيدها هي، يعني رجاء بركة يده ﵊.

وأصابته الحمى ﵊ وهي ارتفاع درجة الحرارة، وطلب النبي ﷺ أن يصبوا عليه سبع قِرَب من ماء حتى يخرج إلى الناس فيعهد إليهم، وقال: صبوا عليّ سبع قِرَب من الماء، فأتوا بسبع قِرَب من الماء وصبوها على رسول الله ﷺ.

فجعل يقول: حسبكم حسبكم، يعني يكفي هذا، وأحس بخفة ﵊ فعصب رأسه ودخل المسجد وجلس على المنبر ﵊ وخطب في الناس وقال: لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا تتخذوا قبري وثنًا يُعبَد.

وكان هذا قبل أن يموت بخمس، يعني كانت هذه الوصية قبل وفاته ﷺ بخمسة أيام.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كنت جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه»؛ يعني أي شخص ضربته بغير حق فليقتص مني- ﵊-.

ثم قال النبي ﷺ مَنْ كان له حق عندي، فليطلبه، فقال رجل: إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: أعطه يا فضل.

وقال آخر: إنه غلّ ثلاثة دراهم، أي: ثلاثة دراهم بغير حق، قال: خذها يا فضل، يعني:ضعها في مال الصدقة.

ثم أوصى النبي ﷺ بالأنصار، قال: قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم، وقال: مَنْ ولي منكم أمرًا يضر فيه أحدًا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، جعل يوصي بالأنصار عليه السلام، ويخصهم بالوصية.

وقال ﷺ في آخر خطبة خطبها ﷺ: إن عبدًا خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، فعجبوا لبكائه، فكان المُخيَّر: رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر أعلمهم بذلك، فقال النبي ﷺ: لا تبكِ يا أبا بكر، إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، وجعل النبي ﷺ في آخر خطبة يوصي بأبي بكر، قال: إن أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر،

ثم أوصى النبي ﷺ في آخر يوم خميس قبل وفاته عليه السلام هي وفاته بوصايا، فقال: أخرجوا اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أُجيزهم، يعني: أعطوهم جوائز، وكافئوهم وأحسنوا إليهم بنحو ما كنت أجيزهم.

وكان من وصاياه أيضًا أنه قال: الصلاة وما ملكت أيمانكم، يعني: يوصيهم بالصلاة، وما ملكت أيمانكم: يوصيهم بالإحسان إلى ملك اليمين، إلى مَنْ تحت أيديهم من العبيد والأرقاء.

وقبل موته بثلاث ﷺ أوصاهم قال: أحسنوا الظن بالله عز وجل، هذا كان من وصاياه ﷺ قبل وفاته بثلاثٍ.

ثم أثقله المرض ﷺ فلم يستطع الخروج للصلاة بالناس، فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، لما لم يستطع الخروج للصلاة في المسجد قال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم مقامك لا يُسمِع الناس، فلو أمرت عمر. قال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، فقالت عائشة لحفصة قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف، فذهبت حفصة تقول له، أو سمع النبي ﷺ كلمة عائشة لحفصة قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس؛ إنكن لأنتن صواحب يوسف: قال شراح الحديث المقصود: أن النبي ﷺ يشير إلى شيء من طبيعة المرأة: أنها لا تصرّح بطلبها مباشرة، بل تقول شيئًا وتعني من ورائه شيئًا آخر، وقد صرحت عائشة رضي الله عنها بعد ذلك بالسبب، فقالت: خشيت أن يتشاءم الناس من أبي بكر، فلم تصرّح بهذا الأمر مباشرة، بل عللت بعلة أخرى ليست هي التي تقصدها، عللت بأنه رجل أسيف متى يقم مقام النبي ﷺ لم يُسمِع الناس، لكن العلة الحقيقية: أنها خشيت أن يتطير الناس بأبي بكر، فالنبي ﷺ فطِن لهذا وقال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس رضي الله عنه، وكان هذا إشارة من النبي ﷺ إلى أن أبا بكر رضي الله عنه هو أحق الناس بخلافته عليه الصلاة والسلام.

كذلك أيضًا: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تسأله شيئًا، فقال: ائتني غدًا، وهو في مرض وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت: إن جئت فلم أجدك؟ قال: إن لم تجديني فسلي أبا بكر، فكانت هذه أيضًا إشارة أخرى إلى أن أبا بكر رضي الله عنه هو أحق الناس بخلافته عليه الصلاة والسلام.

وظل أبو بكر رضي الله عنه يصلي بالناس، وفي يوم من الأيام وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر أراد أن يتأخر فأومأ إليه النبي ﷺ ألا يتأخر، فأجلسه بجانبه، فجعل أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر، فهنا تحول أبو بكر في الصلاة من

إمام إلى مأموم، بدأ الصلاة إمامًا ودخل النبي ﷺ فصار النبي ﷺ هو الإمام، وأبو بكر أصبح مأمومًا يأتم برسول الله ﷺ، والنبي ﷺ جالس وأبو بكر قائم والناس يأتمون بأبي بكر، يعني لا يسمعون صوت النبي ﷺ، وأبو بكر يسمع صوته ويرفع صوته بالتكبير والناس يصلون مؤتمين بأبي بكر رضي الله عنه.

ثم إن النبي ﷺ قبل وفاته بيوم أعتق غلمانه عليه الصلاة والسلام وتصدق بدنانير كانت عنده، قيل: تسعة وقيل: سبعة، فتصدق بها عليه الصلاة والسلام وقال: «لا نورث» أو: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

وقال: «لا يقتسم ورثتي دينارًا، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة» ولم يترك النبي ﷺ عند موته دينارًا، ولا درهمًا، ولا عبدًا، ولا أمة، إلا بغلته البيضاء، التي كان يركبها، وسلاحه وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة.

وكانت درع النبي ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من الشعير، اشترى منه النبي ﷺ ثلاثين صاعًا من الشعير، وترك درعه رهنًا عنده، فلما توفي رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر رضي الله عنه الدرع وأعطى اليهودي ثمن الشعير.

و ظل النبي ﷺ بعد ذلك أيامًا يصلي في بيته عليه الصلاة والسلام وفي يوم الاثنين الذي مات فيه ﷺ كشف النبي ﷺ ستر حجرة عائشة، ونظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم تبسّم ﷺ، فكاد الناس أن يُفتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ، فشعر أبو بكر رضي الله عنه بشيء، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه ووجد النبي ﷺ فهمّ أن يرجع ليقف في الصف يظن أن النبي ﷺ سيأتي يصلي بالناس.

فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر عليه الصلاة والسلام.

وفي وقت الضحى من هذا اليوم الأخير من حياة رسول الله ﷺ دعا النبي ﷺ ابنته

فاطمة ﵂ فأسرّ إليها أنه يُقبَض في مرضه هذا، فبكت فاطمة ﵂، ثم أسرّ إليها أنها أول من يتبعه من أهله، فضحكت ﵂، وفعلًا بعد وفاة النبي ﷺ بستة أشهر توفيت فاطمة ﵂.

وقال لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟ وقالت فاطمة: واكرب أبتاه، فقال لها ﷺ: ليس على أبيكِ كرب بعد اليوم.

وجعل النبي ﷺ يُدخِل يده في الماء فيسمح به وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات!

ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر أخو عائشة؛ ليزور النبي ﷺ في حجرة عائشة، وفي يده سواك رطب، وكان النبي ﷺ من شدة المرض توقف عن الكلام ﵇ فنظر النبي ﷺ إلى السواك الرطب في يد عبد الرحمن فعلمت عائشة ﵂ أنه يريد السواك، فتناولته أخذته من يد عبد الرحمن، وغسلته، وقضمته، وأعطته للنبي ﷺ فاستاك به النبي ﷺ، ثم رفع يده وإصبعه، وشخص ببصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فسمعته عائشة ﵂ وهو ويقول: مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، قالها ثلاث مرات، وكان هذا آخر ما تكلم به ﷺ، ثم مالت يده ﵊، توفي ﵊.

ولما توفي النبي ﷺ كان أبو بكر في منطقة السنح، منطقة من المدينة فأُخبر أبو بكر ﵁ بالخبر، فجاء سريعًا ﵁ وكشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم قبّله، وبكى وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد مِتها،

وأما عمر ﵁ فلما بلغه خبر الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، يعني أصابه ذهول ﵁، قال: إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن ربه أرسله إليه كما أرسل إلى موسى، فمكث عن قومه أربعين ليلة، وإني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون أن رسول الله ﷺ قد مات!

فدخل أبو بكر ﵁ المسجد وعمر يكلم الناس منكرًا موت رسول الله ﷺ، وأمره أن يجلس، فأقبل الناس إلى أبي بكر، فقال أبو بكر: أما بعد مَنْ كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومَنْ كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[آل عمران:١٤٤]فهذا الناس كأنهم لم يسمعوا الآية من قبل.

وقعد عمر على الأرض لا تحمله رجلاه، عمر ﵁ كان واقفًا يتكلم، فقعد على الأرض لا يستطيع أن يتحرك ﵁.

٩- (غَسَّلَهُ) عَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَقُثَمٌ وَالْفَضْلُ، ثُمَّ نَاسُ
١٠- أُسَامَةٌ شُقْرَانُ يَصْبُبَانِ الْمَا، فَأَوْسٌ حَاضِرُ الْمَكَانِ
١١- وَقِيلَ: «كَانَ يَنْقُلُ الْمَاءَ لَهُ وَإِنَّ عَمَّهُ لَمْ يُشَاهِدْ غُسْلَهُ»
١٢- غُسِّلَ مِنْ بِئْرِهِ بِئْرِ غَرْسِ وَلَمْ يُجَرَّدْ مِنْ قَمِيصِ اللُّبْسِ
١٣- يَدْلُكُهُ بِخِرْقَةٍ عَلِيُّ مِنْ تَحْتِهِ، وَهُوَ لَهُ وَلِيُّ
١٤- بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ ثَلاثًا غُسِلاَ وَفِي ثَلاثَةٍ ثِيَابًا جُعِلاَ

١٥- وَتِلْكَ بِيْضٌ مِنْ سُحُولِ الْيَمَنِ وَلَمْ يَكُنْ قَمِيْصُهُ فِي الْكَفَنِ
١٦- وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ: «أَنْ قَدْ كُفِّنَا فِي سَبْعَةٍ»، وَبِالشُّذُوْذِ وُهِّنَا

يذكر قصة تغسيل النبي ﷺ فيقول: إن النبي ﷺ غسّله علي، والعباس، وابنا العباس: قُثم، والفضل رضي الله عنهم.

قال: (ثُمَّ نَاسُ) آخرون يساعدونهم، وهم: أسامة بن زيد مولى رسول الله، وشقران أيضًا مولى رسول الله ﷺ، كانا يصبان الماء عليه، فكان أسامة وشقران يصبان الماء.

قال: وأوس حاضر المكان، أوس هو أوس بن خولي رضي الله عنه كان (حَاضِرَ الْمَكَانِ وَقِيْلَ: «كَانَ يَنْقُلُ الْمَاءَ لَهُ») قيل: كان حاضرًا يشاهد، لكنه لم يشارك بعمل في التغسيل، وقيل: كان ينقل الماء، يعني كان دوره أنه كان ينقل الماء، وأسامة وشقران يصبان، وهؤلاء يُغسلون.

وقيل: إن العباس كان واقفًا، لم يشارك في التغسيل، وقيل: سبب ذلك أن العباس قال: كان يستحي أن أراه حاسرًا، لا أحضره، يعني قيل: إن العباس عم النبي ﷺ قال: النبي ﷺ كان لا يحب أن أراه حاسرًا، كان إذا دخل العباس النبي ﷺ كان يغطي رأسه ويلبس العمامة؛ توقيرًا للعباس وهو عم النبي ﷺ فقال: لا أحضر الغسل، لكن الروايات المشهورة أنه حضر الغسل وشارك فيه، الرواية الثانية: أنه وقف بالباب، وقال: كان يستحي أن أراه حاسرًا.

والبئر التي غُسّل منها هي بئر غرس وهي بئر كان النبي ﷺ يشرب منها في حياته ﷺ اسمها بئر غرس، فأُحضِر منها الماء وغُسّل منها ﷺ.

وقال: (وَلَمْ يُجَرَّدْ مِنْ قَمِيصِ اللُّبْسِ) يعني النبي ﷺ عند التغسيل لم يُجرّد من

قميصه ﷺ وإنما جعل علي ﷺ على يده خرقة، وجعل يُدخلها من تحت القميص ويدلك.

يقول: (وَهُوَ لَهُ وَلِيٌّ) يشير إلى قول النبي ﷺ: «مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه» فهو ولي لرسول الله ﷺ وقريب من قرابته، والمؤمنون كلهم أولياء رسول الله ﷺ لكن علي ﷺ هو من قرابته، ومن خيرة أصحابه ﷺ ومن آل بيته.

قال: (بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ ثَلاثًا غُسِلا) غُسِّل ثلاث غسلات بماء وسدر، والسدر: هو ورق النبق.

يقول: إن النبي ﷺ كُفّن في ثلاثة أثواب كما جاء في الصحيحين عن عائشة ﷺ قالت: كُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب يمانية، قال: (بِيْضٌ مِنْ سُحُولِ الْيَمَنِ) ثلاثة أثواب سحولية، سَحول هذه مدينة في اليمن مشهورة بصُنع الثياب، فالنبي ﷺ كُفّن في ثلاثة أثواب سحولية يعني من صناعة تلك المدينة سحول في اليمن.

تقول عائشة ﷺ: ليس فيها قميص ولا عمامة، يعني الأثواب عبارة عن ملاءات بيضاء كبيرة، لفافات بيضاء كبيرة، لُفّت عليه لفافة، ثم الثانية، ثم الثالثة، ليست ثيابًا مخيطة مفصلة على قدر البدن.

ويقول: إن الحاكم روى أن النبي ﷺ كُفّن في سبعة أثواب، ويقول: (وَبِالشُّذُوْذِ وُهِّنَا) قالوا: هذه رواية غير صحيحة، رواية شاذة، لا تثبت، لكن الرواية الصحيحة التي في الصحيحين أن النبي ﷺ كُفّن في ثلاثة أثواب.

وقالوا: إن قميص النبي ﷺ الذي كان عليه وقت وفاته ﷺ وغُسّل فيه نُزِع حين كُفّن ﷺ يعني عند التكفين لُفّ باللفافة ونُزِع القميص واكتُفي بأثواب الكفن.

بعد ذلك يذكر الصلاة على النبي ﷺ يقول:

١٧- ثُــمَّ أَتَى الرِّجَــالُ فَوْجًا فَوْجَا صَلَّوْا فُــرَادَى، وَمَضَــوْا خُرُوْجَا

١٨- ثُمَّ النِّسَاءُ بَعْدَهُمْ، فَالصِّبْيَةُ وَفِي حَدِيْــثٍ وَبِــهِ جَهَالَــةُ:

١٩- «صَــلَّى عَلَيْــهِ أَوَّلًا جِبْرِيْلُ ثُمَّــتَ مِيْــكَالُ، فَإِسْرَافِيْــلُ

٢٠- ثُمَّ يَلِيْهِــمْ مَلَكُ الْمَوْتِ، مَعَهْ جُنُــودُهُ الْمَلَائِــكُ الْمُجْتَمِعَــةْ»

٢١- وَقِيْلَ: «مَا صَلَّوْا عَلَيْهِ بَلْ دَعَوْا وَانْصَرَفُــوْا»، وَذَا ضَعِيْفٌ، وَرَوَوْا:

٢٢- عَنْ مَالِكٍ: «أَنْ عَدَدُ الصَّلَاةِ تِسْــعُونَ وَاثْنَــانِ مِــنَ الْمَرَّاتِ»

٢٣- وَلَيْــسَ ذَا مُتَّصِلَ الإِسْــنَادِ عَــنْ مَالِــكٍ فِي كُتُــبِ النُّقَّــادِ

يذكر هنا الصلاة على النبي ﷺ صلاة الجنازة، فيقول: دخل الناس عليه أرسالًا، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد في الصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وقيل: بل صلى عليه أولًا: بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم بقية الناس كانوا يدخلون أرسالًا، وهذا لا يعارض الأول، أنهم كانوا يدخلون أفرادًا، لكن بدأ أولًا بنو هاشم، قرابة النبي ﷺ صلوا عليه، ثم جاء المهاجرون ثم الأنصار، ثم بقية الناس، ثم النساء، ثم الصبيان، ثم العبيد.

وذكر هنا بعض الروايات مُضعّفًا لها، يقول: إن في حديث به جهالة، يعني رواته مجهولون، رواه البزار والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ صلى عليه أولًا جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت والملائكة. ولكن الحديث في سنده

ضعف، ولا مانع أن الملائكة يصلون على رسول الله ﷺ، لكن من جهة السند الذي ورد بهذا لا يثبت.

يقول: (وَقِيْلَ: «مَا صَلَّوْا عَلَيْهِ بَلْ دَعَوْا وَانْصَرَفُوْا») يعني: قيل: إنه ما صلى أحد على النبي ﷺ، الناس كانوا يدخلون يدعون للنبي ﷺ وينصرفون، لكن هذا الكلام لا يصح، قال: (وَذَا ضَعِيْفٌ) يعني هذا الكلام ضعيف، لا يثبت، الأحاديث الثابتة فيها أن النبي ﷺ صلى الناس عليه صلاة الجنازة عليه الصلاة والسلام.

وقال: (وَرَوَوْا: عَنْ مَالِكٍ) بعض العلماء زعم أن الإمام مالك روى أن عدد الصلوات على النبي ﷺ كانت اثنتين وتسعين صلاة، لكن يقول: هذا ليس متصل الإسناد، ولا يثبت، فلا يُعرَف تحديدًا عدد مرات الصلوات على النبي ﷺ.

هذا كان يوم الثلاثاء، ودفْن رسول الله ﷺ كان يوم الأربعاء، دُفن النبي ﷺ في بقعة الوفاة. يقول:

٢٤- وَ (دَفْنُهُ) فِي بُقْعَةِ الْوَفَاةِ ... بِخَبَرِ الصِّدِّيْقِ بِالإِثْبَاتِ

٢٥- وَدَخَلَ الْقَبْرَ الأُلَى فِي الْغُسْلِ ... وَقِيْلَ: «لاَ أُسَامَةٌ وَخَوْلِيْ»

٢٦- زَادَ ابْنُ سَعْدٍ أَيْضًا: ابْنَ عَوْفِ ... مَعَ عَقِيْلٍ أَمِنُوْا مِنْ خَوْفِ

٢٧- وَفُرِشَتْ فِي قَبْرِهِ قَطِيْفَةُ ... وَقِيْلَ: «أُخْرِجَتْ»، وَهَذَا أَثْبَتُ

٢٨- وَلَحَدُوْا لَحْدًا لَهُ، وَنُصِبَتْ ... عَلَيْهِ تِسْعُ لَبِنَاتٍ أُطْبِقَتْ

٢٩- وَسَطَّحُوْا مَعْ رَشِّهِمْ بِالْمَاءِ ... وَاشْتَرَكَ الأَنَامُ فِي الْعَزَاءِ

٣٠- وَذَاكَ فِي لَيْلَةِ الارْبِعَاءِ ... أَوْ قَبْلَهَا بِلَيْلَةٍ لَيْلاَءِ

٣١- وَقِيْلَ: «يَوْمَ الْمَوْتِ بِالتَّعْجِيْلِ» صَحَّحَــهُ الْحَاكِــمُ: فِي الإِكْلِيْلِ

دُفن النبي ﷺ في بقعة الوفاة يعني في المكان الذي تُوفي فيه عليه الصلاة والسلام.

(بِخَبَرِ الصِّدِّيْقِ) لأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لهم: إن النبي ﷺ قال: ما قُبِض نبي إلا دُفِن حيث يُقبَض، فرُفِع فراش النبي ﷺ وحُفِر له تحته، فحُفِر القبر في حجرة عائشة رضي الله عنها.

ودخل قبر النبي ﷺ الجماعة الذين تقدم ذِكْرهم في الغسل، فالذين دخلوا قبر النبي ﷺ هم الذين غسّلوا النبي ﷺ.

وقيل: دخلوا كلهم إلا أسامة بن زيد وأوس بن خولي. وروى ابن سعد أنه ممَّنْ دخل القبر أيضًا عبد الرحمن بن عوف، وعقيل بن أبي طالب- رضي الله عنهما-.

(أَمِنُوْا مِنْ خَوْفِ) يعني أمِنوا من العذاب.

وفُرِشت في قبر رسول الله ﷺ قطيفة كان يلبسها ويفترشها قيل: بقيت، وقيل: إنها أُخرِجت قبل إهالة التراب، (وَهَذَا أَثْبَتُ) يقول: وهذا أثبت وأصح أن القطيفة أُخرِجت، يعني لم تبق في القبر، وإنما أُخرِجت عند إهالة التراب.

(وَلَحَدُوْا لَحْدًا لَهُ) اللحد أن يحفر في جانب القبر حفرة مائلة بحيث يوضع المتوفى على جنبه الأيمن في تلك الحفرة، فهذا هو اللحد وهو من السُّنة.

(وَنُصِبَتْ عَلَيْهِ تِسْعُ لَبِنَاتٍ) وأتوا بتسع لبنات ونصبوها، واللبِن: هو الطوب المصنوع من الطين.

ثم أُطبقت على النبي ﷺ، يعني جُعلت على مقداره من جميع الجهات كأنها غطاء، فالنبي ﷺ داخل اللحد، واللبنات كأنها غطاء يغطي النبي ﷺ.

قال: (وَسَطَّحُوْا مَعْ رَشِّهِمْ بِالْمَاءِ) بعد ذلك بدؤوا يضعون التراب، وجعلوا القبر مسطحًا، ليس مُسنمًا يعني ليس له سنام مرتفع، بعض القبور تُسنّم، يعني: يوضع فوق القبر من التراب ما يُشبه السنام، وهذا في القبور التي تكون في المقابر حتى يُعرَف موضع القبر، والنبي ﷺ أذِن في رفع القبور قدر شبر حتى يُعرَف الموضع ولا يُداس عليه بالقدم، أما قبر النبي ﷺ فجُعل مسطحًا؛ لعدم الحاجة إلى التسنيم، فمكان القبر معروف داخل الحجرة.

وبعدما وضعوا التراب رشوا الماء حتى يثبت التراب، وفي القبور بصفة عامة، يرشون الماء على التراب بعد الدفن؛ حتى يثبت ويستقر، ولا تذروه الرياح.

قال: (وَاشْتَرَكَ الأَنَامُ فِي الْعَزَاءِ) يقول: (وَذَاكَ فِي لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ) يعني التجهيز والدفن فُرِغ منه (لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ) وقال ابن عبد البر: (قَبْلَهَا بِلَيْلَةٍ) يعني ليلة الثلاثاء، وقيل: بل دُفن يوم موته، دُفن يوم موته ﷺ هذا صححه الحاكم في كتاب «الإكليل،» يقول: إن الدفن كان يوم الموت، فهذه عدة أقوال في الدفن: يعني قيل: الدفن يوم الاثنين، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: ليلة الأربعاء، يعني يوم الثلاثاء بعد غروب الشمس تبقى ليلة الأربعاء، وقيل: يوم الأربعاء نفسه.

فهذا يوم دفن رسول الله عليه السلام..

آخر أبيات يختم بها يقول:

٣٢- وَ (فَسَّرَ) الصِّدِّيْقُ لِلصِّدِّيْقَةِ ... مَنَامَهَا: «أَنْ سَقَطَتْ فِي الْحُجْرَةِ

٣٣- حُجْرَتِهَا ثَلَاثَةٌ أَقْمَارَا ... هَا خَيْرُ الأَقْمَارِ أَتَاكِ الدَّارَا»

٣٤- صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَسَلَّمَا ... وَصَاحِبَيْهِ نُعِّمَا وَأَنْعَمَا

٣٥- هُمَا الضَّجِيْعَانِ مِنَ الأَقْمَارِ قَدْ جَـاوَرَا فِي اللَّحْدِ خَـيْرَ جَارِ

٣٦- ثُـمَّ عَلَى عُثْمَـانَ مَـعْ عَلِيِّ وَسَـائِرِ الأَصْحَـابِ وَالْـوَلِيِّ

يقول: إن أبا بكر الصديق ﵁ فسّر رؤيا لأم المؤمنين عائشة ﵂ كانت قد رأتها من قبل: رأت ﵂ أنه سقط في حجرتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبيها، فقال لها أبو بكر ﵁: إن صدقت رؤياك يُدفَن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلما دُفن رسول الله ﷺ في بيتها، قال لها أبو بكر ﵁: خير أقمارك الثلاثة الذين نزلوا حجرتك قد حلّ الدار، قال لها: هذا أول واحد من الأقمار الثلاثة قد حلّ دارك.

ثم كما هو معلوم بعد ذلك لما توفي أبو بكر ﵁ دُفن بجوار رسول الله ﷺ، ثم لما طُعِن عمر ﵁ استأذن أن يُدفَن في حجرة عائشة، فأذنت له، ودُفن بجوار النبي ﷺ وأبي بكر، فكان أبو بكر وعمر ضجيعي رسول الله ﷺ في القبر،كما كانا صاحبيه في الحياة، يعني قبورهما مجاورة له ﷺ في نفس الحجرة كما كان صاحبيه في حياته ﵊، و﵄.

وختم الأبيات بالصلاة على رسول الله ﷺ والترضي على خلفائه الراشدين الأربعة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﵃ وسائر الأصحاب، وسائر أولياء الله ﷻ من المؤمنين الأتقياء، أولياء الله ﷻ كل مؤمن تقي كما قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٣].

وبهذا تمت هذه المنظومة النافعة المباركة في سيرة النبي ﷺ، اسمها: «نظم الدرر السنية في السيرة الزكية» للحافظ عبد الرحيم بن الحسين العراقي -رحمه الله تعالى- وهنا ينتهي ما تيسر من التعليق على أبياتها، فنسأل الله ﷻ أن ينفعنا وإياكم بما فيها والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

مقدمة الشارح ٥

الإسناد إلى الناظم ٦

نبذة عن الناظم رحمه الله ٧

موضوع الكتاب ٩

مقدمة المؤلف ١٨

أسماؤه الشريفة ﷺ ٢٢

ذكر مولده وإرضاعه ﷺ ٤٩

باب ذِكر كفالة أبي طالب له ﷺ ٥٨

قصة بناء الكعبة ٦٣

باب كيف كان بدء الوحي؟ ٦٧

باب ذِكْر قدر إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة بعد البعثة ٧٧

باب ذِكْر السابقين إلى الإسلام ٨١

باب ذِكْر إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ١٠٠

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم ١٠٢

ذِكْر تأييده ﷺ بمعجزة القرآن المجيد ١٠٤

ذكر كفاية الله المستهزئين ١١٣

ذكر مشي قريش في أمره ﷺ إلى أبي طالب ١١٧

ذكر قدوم وفد نجران ١٢١

ذكر قدوم وفد ضماد بن ثعلبة ١٢٣
ذِكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين. ١٢٥
ذكر انشقاق القمر ١٢٩
ذكر الهجرتين إلى النجاشي وحصر بني هاشم في الشعب................. ١٣٣
ذكر وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة رضي الله عنها: ١٥٠
ذكر وفد الجن ١٦١
باب ذِكْر قصة الإسراء. ١٦٦
باب ذِكْر عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل وبيعة الأنصار له ﷺ ١٨٠
ذِكْر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة ١٨٨
باب ذِكْر مروره ﷺ بأم معبد ١٩٦
باب ذِكْر وصوله ﷺ إلى قباء... ١٩٩
باب ذِكْر صفته ﷺ ٢٣٧
ذِكْر وصف أم معبد الخزاعية له.. .... ٢٤٨
باب ذِكْر وصْف هند بن أبي هالة له ﷺ. ٢٥٦
ذِكْر أخلاقه الشريفة ﷺ.. ٢٦٢
باب ذِكْر خُلِقه ﷺ في الطعام والشراب ٢٩٨
باب ذِكْر خُلقه ﷺ في اللباس.. ٣٠٥
باب ذِكْر صفة خاتمه ﷺ... ٣١٨
باب ذِكْر فراشه ﷺ. ٣٢٢

باب ذِكْر طيبه وكُحله ﷺ. ٣٢٤
باب ذِكْر معجزاته ﷺ.. ٣٢٧
باب ذِكْر خصائصه ﷺ.. ٣٥٩
باب ذِكْر حجه وعمره ﷺ.. ٤٢٥
باب ذِكْر عدد مغازيه ﷺ.. ٤٣١
غزوة: ودّان ٤٣٣
غزوة بواط.. ٤٣٤
غزوة العُشيرة، ٤٣٥
غزوة بدر الأولى.. ٤٣٦
غزوة قينقاع.. ٤٧١
غزوة السويق ٤٧٥
غزوة: بَحران ٤٧٩
غزوة أُحد.. ٤٨٠
غزوة حمراء الأسد ٤٩٩
غزوة بني النضير، ٥٠٢
غزوة ذات الرقاع ٥٠٨
غزوة بدر الموعد.. ٥١٠
غزوة دومة الجندل.. ٥١٢
غزوة الخندق.. ٥١٣

غزوة بني قريظة ٥٢٣
غزوة بني لِحيان.. ٥٣٣
غزوة ذي قَرَد- ٥٣٦
غزوة المريسيع ٥٤٢
عمرة الحديبية ٥٥٤
غزوة خيبر ٥٦٠
غزوة عمرة القضاء.. ٥٦٩
غزوة فتح مكة ٥٧٢
غزوة حنين ٥٨٦
غزوة تبوك ٦٠٢
باب ذكر بعوثه وسراياه إلى الملوك والبلاد.. ٦١٩
ذِكْر كُتّابه ﷺ ٦٩٤
ذِكْر رسله ﷺ إلى الملوك.. ٧٠٢
ذكر أولاده ﷺ ٧١٧
باب ذِكْر أعمامه وعمّاته ﷺ ٧٢٢
ذِكْر أزواجه ﷺ ٧٢٥
ذِكْر خدامه من الرجال والنساء ٧٣٣
ذِكْر مواليه ﷺ ٧٣٩
ذِكْر أفراسه ﷺ ٧٥١

باب (ذِكْر بغاله وحميره) ﷺ ٧٥٤
باب (ذِكْر لقاحه وجماله) ﷺ ٧٥٧
باب (ذِكْر منائحه وديكه) ﷺ، ٧٦٠
(ذِكْر سلاحه) ﷺ ٧٦٢
ذِكْر أقداحه وآنيته وركوته وربعته وسريره ﷺ. ٧٧١
(ذِكْر الوفود الذين وفدوا عليه) ﷺ ٧٧٥
ذِكر أمرائه ﷺ ٨٠٥
باب (ذِكْر مرضه ووفاته) ﷺ ٨١٢